وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الواقع الثقافي في منطقة الأغواط في ظل الاحتلال الفرنسي 1852-1962م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب: بومدين كعبوش

إشراف الأستاذ الدكتور: أحمد رضوان شرف الدين

السادة أعضاء لجنة المناقشة

أ.د /لزهر بديدة	جامعة الجزائر -2-	رئيسا
أ.د أحمد رضوان شرف الدين	جامعة الجزائر -2-	مشرفا ومقررا
أ.د/ إلياس نايت قاسي	المدرسة العليا للأساتذة -بوزريعة -	عضوا مناقشا
د/ محمد جلال	جامعة الجزائر -2-	عضوا مناقشا
د/ صليحة علامة	جامعة الجزائر -2-	عضوا مناقشا
د/ لهلالي سلوى	جامعة سطيف -2-	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/ 2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أبدا، والصلاة والسلام على النبي سرمدا، وآله وصحبه ومن اتبع الهدى

الإهداء

إلى المجاهدين و الشهداء

إلى طالبي العلم و العلماء

إلى الناس البسطاء

إلى طالبي الفهم في مدرسة التاريخ

أهدي عملي هذا

ملتمسا منهم قبوله

شكر

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

أتقدم بشكري الجزيل وامتناني العميق وثنائي العطر إلى كل من ساعدني في مسيرتي العلمية في كل مراحل دراستي وبحثي، ومهما كتبت من كلمات فلن أحصي ذكركم ولن أوفيكم حقكم ولن أبلغ شكر فضلكم

شكرا الله سعيكم وبلغنا القدرة على رد بعض جميلكم

شكرا

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات:

الكلمة	اختصارها	الكلمة	اختصارها
الصفحة	ص	السنة	س
الطبعة	ط	العدد	ع
التحقيق	تح	التاريخ الهجري	هـ
التعليق	تع	التاريخ الميلادي	م
الترجمة	تر	الرقم	ر
تقديم	تق	الورقة	و
مراجعة	مر	دون تاريخ نشر	(د.ت)
الجمع	جم	دون دار نشر	(د.د.ن)
الجزء	ج	السلسلة	سل
المجلد	مج		
Page	P	Opus.citatum	OP.CIT
Volume	V	Edition	Ed
Tome	T	Revue Africaine	R.A

مقدمة

تقديم الموضوع وأهميته:

تعتبر منطقة "الأغواط" إحدى الحواضر الجزائرية التي يعود النشاط البشري فيها إلى أزمنة غابرة، حيث تشير الاكتشافات الحديثة إلى آثار قديمة تعود إلى ما قبل التاريخ، وتتمثل هذه الآثار في الرسومات الصخرية واللقى الأثرية والمقابر، كما توجد بها آثار للوجود الروماني خصوصا في منطقة "آفلو" شمال مدينة "الأغواط"، ولقد كانت المنطقة ضمن الأراضي التي تجول فيها قبيلة "زناتة" البربرية، وكان للمنطقة شهرة بغابات النخيل وببساتين الخضر والفواكه من جهة، وبتربية المواشي والأنعام، مع دورها الهام في تجارة القوافل من جهة أخرى، وكانت نشأة قصور منطقة الأغواط في حيز يتوسط الطريق من التل إلى الصحراء، فجمعت الكثير من الخصائص الطبيعية المميزة.

تميزت مدينة "الأغواط" وما يحيط بها من قصور بطابعها العربي الأصيل الذي يعود إلى مؤسسيها الهلاليين في القرن الحادي عشر الميلادي ، ومن ثم بدأ توافد مجموعات بشرية من مناطق مختلفة من القطر الجزائري (المغرب الأوسط)، وعناصر من تونس والمغرب الأقصى والمشرق العربي وإفريقيا جنوب الصحراء وحتى عناصر أندلسية ويهودية، وقد أهَّلها موقعها الاستراتيجي لأن تمسك بقيادة الطرق والمسالك المؤدية إلى التل والصحراء معا، خاصة للقبائل المتنقلة إلى الشمال أو إلى الجنوب في حركة شاقولية ذهابا وإيابا، ناهيك عن كونها محطة رئيسية لركب حجاج بيت الله الحرام من بلاد المغرب الأقصى إلى مكة المكرمة والبقاع الشريفة في اتجاه أفقي ثابت، فكانت رحلات القوافل تتم منها إلى تونس، وإلى الشام والحجاز، وإلى عواصم العلم والمدنية في شمال البلاد، بالإضافة إلى هذا فالمنطقة تضم في تركيبتها السسيولوجية خليطا من الأعراق، فيه من التنوع والتباين ما ينم عن الثراء والمشاركة، وتبادل الخبرات والمعارف في مختلف العصور، حتى أنه يمكننا أن نميز "جماعة الأغواطيين" بسماتها المعروفة والمختلفة عن غيرها في المجتمع الجزائري في عدة عصور من تاريخنا الوطني وفي عدة مناطق من الوطن.

تميزت الطائفة "الأغواطية" أو جماعة "الأغواطيين" باكتساب خبرات متعددة في الصناعة والتجارة، وكانت تجارة الحرير والكتان، والمنسوجات الصوفية، والألبسة بأنواعها أهم التجارات المتداولة، حتى عرفت "الكسوة الأغواطية" ك: علامة مسجلة "ضمن المنتجات الرائجة باسم الأغواط، والحقيقة أن هذه لم تكن التجارة الوحيدة الممتهنة من قبل الأغواطيين، فقد أشارت الوثائق العديدة

التي توفرت لدينا إلى وجود تجارات أخرى كتجارة الحلي، والبارود والأسلحة، والأعشاب، والتمور، والملح، والجلود، والطرائد البرية...الخ، وإلى جانب كل هذا شاركت طبقة مثقفة من التجار في تجارة الكتب، وجلبها، وهي تجارة كانت تستدعي جانبا مهما من الدقة، والمعرفة بمتطلبات السوق، وغالبا ما كانت تخضع للطلب المحدد، ولرغبات الزبائن.

هذا ما يؤكده الرحالة الذين مروا بالمنطقة في الفترة العثمانية، وهو مما جعل قصور المنطقة محط أنظار الحكام العثمانيين في الجزائر الذين حاولوا مرارا وتكرارا تطويع قبائل الأغواط عبر إرسال الحملات العسكرية، كما أضحت مدينة الأغواط ومحيطها محط أطماع الفرنسيين بعد احتلالهم للجزائر، وقد حوصرت الأغواط في ديسمبر سنة 1852م بالجيوش الفرنسية الغازية التي اندفعت لاحتلالها، وقد قاومت المدينة بشراسة حتى أن عدد الضحايا في هذه الواقعة بلغ ثلثي سكانها.

ورغم السياسات الثقافية التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية تجاه المدينة وسكانها إلا أن أهل المنطقة استطاعوا تجاوز صدمة المحرقة التي حلت بهم، وبدأوا في حركة ثقافية مضادة بإنشاء المساجد والمدارس والجمعيات، واستقدام العلماء والمعلمين وإرسال البعثات العلمية، مستفيدين من موقع المدينة الاستراتيجي ووظيفتها العسكرية والاقتصادية بالنسبة لسلطة الاحتلال، وقد تميزت الحركية الثقافية في منطقة الأغواط باستنادها إلى عدة روافد ومؤثرات ثقافية أهمها: الثقافة الشعبية اللامادية، والتصوف، والتأثر الثقافي الاستعماري، والنهضة الثقافية والإصلاحية في القرن العشرين.

الدراسات السابقة:

ومما يلفت الانتباه أن منطقة بهذا الزخم التاريخي لم تحظ بدراسة مفصلة لأوضاعها الثقافية، وبالرغم ما لهذا الموضوع من أهمية بالغة إلا أنه يوجد فقر شديد في الدراسات التي تتكلم عن تاريخ مدينة الأغواط بصفة عامة، وتاريخها الثقافي بصفة خاصة، ولكن توجد بعض الدراسات المحلية التي تناولت جوانب من الموضوع مثل كتاب الأستاذ "**محمود علالي**" عن "**الحركة الإصلاحية في الأغواط**" وهو عبارة عن رسالة ماجيستير تم طبعها ونشرها ، وقد ركز فيه على الجانب الثقافي لتاريخ المدينة خصوصا نشاط "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" و"الكشافة الجزائرية".

ورغم الجهد المبذول من طرف الأستاذ "**محمود علالي**" مشكورا، إلا أن اهتمامه بالحركة الإصلاحية في مذكرته وتركيزه عليها جعله يغفل الجوانب الثقافية الأخرى مثل الثقافة الشعبية والتصوف والحركة الجمعوية.

وفي التاريخ الثقافي أيضا نجد كتاب الأستاذ "**الشايب ورنيقي**" الموسوم بـ "**ديوان شعر علي بن شهرة**" وهو أيضا رسالة ماجستير منشورة، وقد خصص جزءًا من الدراسة والتحقيق للوضع الثقافي لمدينة الأغواط إبان الاحتلال الفرنسي، وركز فيه على الشعر الملحون بسبب طبيعة الموضوع، دون أن يخوض في بقية الجوانب باستفاضة.

كما نجد مذكرة الماجستير للأستاذ "**عيسى بوقرين**" وهي في التاريخ السياسي والعسكري، والمعنونة بـ: "**انتفاضة بن ناصر بن شهرة 1851–1875**"، وهي عن الرجل الذي قاد مقاومة المنطقة للحملات الفرنسية في عدة مناطق من الصحراء الجزائرية.

وفي التاريخ السياسي والعسكري أيضا نذكر رسالة الماجيستير للأستاذ "**حرزالله الشارف**" والتي تطرق فيها إلى "**دور منطقة الأغواط في الثورة التحريرية 1954–1962**"، سواء على الصعيد العسكري أو الدعم المالي والمادي.

عنوان الموضوع:

لقد دعت الحاجة –ملحة– إلى بحث أكاديمي شامل حول التطور الثقافي لساكنة منطقة الأغواط في الفترة الاستعمارية والتغيرات التي حدثت فيها بفعل السياسات الممارسة، والتي أثرت على التركيبة السكانية والنمط المعماري والحالة الثقافية واللغوية، وبعد تبادل الآراء مع الأستاذ المشرف ارتأيت أن يكون عنوان بحثي هذا كالتالي:

"الواقع الثقافي في منطقة الأغواط في ظل الاحتلال الفرنسي (1852ـ 1962)

الإطار الزماني والمكاني:

يشمل الإطار الجغرافي للموضوع "**منطقة الأغواط**" التي تضم مجموعة من القصور إضافة إلى محيطها البدوي، ولم أقتصر على قصر الأغواط وحده رغم تركيزي عليه، لأنه كان يمثل القاعدة الإدارية

والاجتماعية للمنطقة ككل، وقد شرحت في ثنايا هذا البحث تميز منطقة الأغواط طبيعيا وبشريا عن غيرها من المناطق، بحيث يمكن أن نقول بأنها تتمتع بوحدة طبيعية وحضارية ضمن ما كان يعرف قديما بمنطقة : "الواسطة".

أما بالنسبة للإطار الزماني فهو يبدأ بسنة 1852 والتي تمثل معلما زمنيا لسقوط مدينة الأغواط، أو ما يعرف في الذاكرة الشعبية ب: "عام الخلية"، وتنتهي الفترة الزمنية التي يشلمها بحثي هذا بسنة 1962 والتي تمثل استقلال الجزائر بعد ثورة تحريرية مظفرة.

أسباب اختيار الموضوع:

إن عدم وجود دراسة متخصصة حول مدينة الأغواط في الفترة الاستعمارية من جهة، وكوني ابن المنطقة، من جهة أخرى، يشكلان الدافعين الرئيسيين لاختياري هذا الموضوع.

لقد تشكلت لدي النزعة في دراسة التاريخ المحلي عبر مراحل، وكانت أولاها في فترة التكوين في مرحلة الماجيستير، حيث بدأت الإشكاليات تطرح أمامنا كطلبة باحثين حول بعض القضايا الوطنية مع التطرق إلى بعدها المحلي، ولعل أول توجيه إلى الاهتمام بالتاريخ المحلي أتى من طرف الدكتور المرحوم **"أبو القاسم سعد الله"** في سنوات الماجيستير، حيث كان يقوم لدى مناقشة أي موضوع عام مثلا بفتح نقاش جانبي حول الأبعاد المحلية لنفس الموضوع باستثمار خلفيات الطلبة الجهوية والمناطقية، وقد طرحت عليه إشكالية تحمسي لكتابة التاريخ المحلي مع انتقاده هو نفسه لتجزئة التاريخ الوطني في كثير من كتاباته، وقد كانت إجابته أن انتقاد الاهتمام بالتاريخ المحلي كان مذهبه في بدايات الكتابة التاريخية في الستينات والسبعينات وحتى الثمانينات بسبب عدم وجود مدرسة تاريخية وطنية جامعة، أما والحال قد تغير وتمكنا من كتابة تاريخ الجزائر العام فقد برزت الحاجة إلى الغوص والتفصيل في هذا التاريخ، وما زلت أذكر التشبيه الذي طرحه حيث شبه التاريخ الوطني بالمنزل الذي وضعت أساساته وبنيت جدرانه وسقفه، ونحن الآن في مرحلة الاهتمام بتفاصيل الزخرفة والأثاث وغيرها.

ورغم أنني في مرحلة الماجيستير لم أتجه نحو دراسة التاريخ المحلي، فإن إصرار الأستاذ المشرف وتشجيعه لي قد جعل الرغبة تنبعث من جديد وتلح علي في الانطلاق لدراسة تاريخ منطقة الأغواط

الزاخر، إذ أن نقاشاتنا المتعددة كانت سببا في إعادة توجيهي واهتمامي إلى التاريخ المحلي لمنطقة الأغواط، ومع بداية البحث وتشعبه ازداد العزم وزاد معه الشعور بالمسؤولية، وقد كان التصور شاملا لكل المجالات في بدايات البحث، ولكن تم الاقتصار على الواقع الثقافي مع التقدم في إنجاز الأطروحة.

إن منطقة الأغواط ركن أصيل وجزء مهم من النسيج الوطني، وتتمتع –كما قدمت سابقا– بزخم تاريخي مهم، ولكن لم تلتفت لها همم الباحثين لنفض الغبار وإضاءة الزوايا المظلمة من تاريخها.

إشكاليات البحث: في هذا الصدد لا يمكنني الآن أن أصيغ إشكالية لهذا البحث صياغة تفوق في الدقة ما سبق أن ذكرته، إلا أنني أقترح التساؤل التالي:

ماهي تمظهرات وأشكال الحالة الثقافية في الأغواط في فترة الاحتلال الفرنسي ؟ وكيف تأثرت الأوضاع الثقافية في هذه المنطقة بسياسات الاحتلال ؟

ويندرج تحت هذا الإشكال العام مجموعة من الإشكاليات الفرعية:

-ما هي أبرز الروافد الثقافية والفكرية والاجتماعية التي طبعت الثقافة المحلية في الأغواط؟

-وما هي مساهمة المدينة وسكانها في النهضة الثقافية؟ و ما هو دور الطرق الصوفية والحركة الإصلاحية -في هذه النهضة؟ وكيف نما الفكر الوطني في هذه الظروف؟

المنهج المتبع وخطة الإجابة:

وللإجابة عن الإشكاليات المطروحة اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الوصفي السردي الذي يستهدف الإحاطة بالأشكال الثقافية في منطقة الأغواط، مع استعمال المنهج التحليلي عند الاقتضاء.

وقد ارتأيت بتوجيه من الأستاذ المشرف وضع خطة مكونة من مقدمة و فصل تمهيدي وستة فصول، تنتهي بخاتمة وقائمة للملاحق.

الفصل التمهيدي : **لمحة جغرافية وتاريخية حول منطقة الأغواط قبل الاحتلال الفرنسي:** وقد تطرقت فيه إلى إعطاء لمحة جغرافية وتاريخية عن الأغواط عبر التاريخ، معتمدا على الدراسات الأثرية الموجودة حول منطقة "سيدي مخلوف" و منطقة "الغيشة" و"تاجموت" وغيرها، وعلى الكتابات التاريخية حول تطور سكانها كاستقرار قبائل "بني هلال" و قبائل "الأرباع" وبقية العناصر البشرية وعن التطورات المهمة التي حصلت في المدينة أثناء تبعيتها للإدارة العثمانية.

الفصل الأول: **منطقة الأغواط من المقاومة إلى الاحتلال:** وقد تطرقت فيه إلى التطورات السياسية والعسكرية في المنطقة بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر سنة 1930م، وإلى محاولات **"الأمير عبد القادر"** لمد نفوذه إلى الأغواط، وحملته على **"عين ماضي"**، وإلى الحملات الاستكشافية الفرنسية للمنطقة وأهمها حملة **"ماري مونج"** 1844، وبحثت في الأسباب الحقيقة التي دفعت إلى احتلال المدينة من طرف الجيوش الفرنسية، وما كان من المقاومة العنيفة لسكانها وإبادة الكثير منهم، ونتائج الغزو على المنطقة وعلى الصحراء الجزائرية ككل.

الفصل الثاني : **التأثيرات الاستعمارية على أوضاع منطقة الأغواط** : وقد خصصته لبيان السياسة الإدارية والعسكرية الفرنسية تجاه المدينة مثل عسكرة المدينة وتحويلها إلى مجمع للثكنات الفرنسية ومحطة انطلاق ومراقبة المناطق الجنوبية، والتحكم في حركة القوافل والقبائل الصحراوية، إضافة إلى السياسات الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية، مثل إدارة الأراضي والملكيات والسياسة العمرانية والمائية، وبناء المستشفيات والمدارس والكنائس، مع توضيح أثر هذه السياسات على الأوضاع الاجتماعية والثقافية، مثل الوضع الاجتماعي الذي شهد استقدام عناصر سكانية جديدة إلى المدينة مثل المستوطنين الأوربيين وبعض الموالين للإدارة الاستعمارية وحتى من السكان من مختلف المناطق الجزائرية.

الفصل الثالث: **الثقافة الشعبية ومؤسسات التعليم التقليدية** : وخصصته للحديث عن أنواع الثقافة الشعبية السائدة في المنطقة مثل القصص الشعبي والشعر الملحون، والطب الشعبي، والحساب الفلاحي، مع التطرق إلى مؤسسات الثقافة والتعليم التقليدية مثل المساجد والمحاضر.

الفصل الرابع: وهو بعنوان **الطرق الصوفية وأثرها الثقافي في المنطقة،** وقد قمت بحصر جميع الطرق الصوفية التي ظهرت ونشطت في المنطقة بمختلف مسمياتها وفروعها، مثل الطريقة القادرية والطريقة

الشاذلية وفروعها والطريقة الخلوتية الرحمانية وفروعها والتيجانية التي تعتبر من أهم الطريق كونها ظهرت في حدود هذه المنطقة.

الفصل الخامس: وهو بعنوان **التعليم الإصلاحي وأثره على المنطقة** وقد تتبعت فيه نشأة وظهور الحركة الإصلاحية والعوامل الداخلية والخارجية التي ساعدت على تقويتها، بدءا من إنشاء الجمعية الخيرية واستقدام الشيخ "**السعيد الزاهري**" والشيخ "**مبارك الميلي**"، وصولا إلى إرسال البعثات العلمية إلى "**الزيتونة**" بتونس، وانتهاءً بإنشاء "**مدرسة التربية والتعليم**" بالأغواط، مع ترجمة لعدد من أعلام الإصلاح في المنطقة.

الفصل السادس: وهو بعنوان: **المجتمع المدني وتطوره في منطقة الأغواط (النوادي والجمعيات الفنية والثقافية والرياضية)**: وقد تتبعت فيه نشاط الجمعيات والنوادي بمختلف مجالاتها الخيرية والثقافية التعليمية والفنية والكشفية والرياضية.

نقد المصادر والمراجع:

1/ الوثائق الأرشيفية المحفوظة والمخطوطات: وقد اعتمدت على مجموعة من الوثائق الأرشيفية والمخطوطات، ومن أهمها:

مخطوطات ووثائق الخزانة العائلية لعائلة الحاج "**بن شاعة بن الصغير**": والتي تعتبر بحق كنزا وطنيا بامتياز، وقد مكنني الأستاذ الدكتور "**أحمد بن الصغير**" سليل هذه العائلة العلمية الكريمة وقيم مكتبتها من الاطلاع على ما استطعت من وثائق ومخطوطات احتاجت عملية جمعها إلى جهود أربعة أجيال من عائلة بن الصغير، وقد فتح لي باب بيته وقلبه، ولم يبخل بتقديم النصح والمشورة.

-أرشيف مديرية الشؤون الدينية بالأغواط: وهو يتعلق أساسا بوثائق الحبوس والأوقاف، وقد مكنني الاطلاع على هذه الوثائق الوقفية من بناء تصور شامل حول مدى انخراط ساكنة الأغواط في دعم العمل الاجتماعي والعلمي الثقافي في مدينة الأغواط وضواحيها.

- أرشيف الأستاذ "**أحمد توفيق المدني**": وقد نشر ابنه مجموعة من الوثائق في موقع الكتروني خاص به، وهو يحوي وثائق أصليه مهمة، تتضمن مراسلات بين الشيخ "**أحمد توفيق المدني**" والشيخ

"**مبارك الميلي**" أيام وجوده في الأغواط، وكذا مراسلات مع الأستاذ "**عمر دهينة**" المترجم الخاص للشيخ "**مبارك الميلي**".

– أرشيف الشيخ "**مُحَمَّد بن عزوز الهلالي**": وهو تلميذ الشيخ "**مبارك الميلي**" ورفيقه وخليفته في التعليم الاصلاحي بالأغواط، وقد نشر ابنه كذلك مجموعة من الوثائق في موقع خاص، ضمنها وثائق بخط يد الشيخ تمثل تقييدات لأحداث وأسماء تلاميذ وصور شخصية وغيرها، وتحتاج هذه الوثائق إلى إعادة جمع وتحقيق وتعليق شامل.

2/كتب الرحلات المغربية والجزائرية: من المعلوم أن مدينة "**الأغواط**" حظيت بزيارة كثير من الرحالة والأعلام الجزائريين والمغاربة، وتعتبر كتاباتهم مصدرا مهما لإعادة بناء تاريخ المدينة، كما ارتبط زيارات بعضهم بأداء مهام تعليمية أو دينية، حيث شملت ملاحظاتهم مختلف جوانب الحياة ومن أبرزهم:

– "**ابن الدين الأغواطي**" صاحب كتاب "**رحلة الأغواطي**" ، وهو الكتاب الذي حققه الدكتور أبو القاسم سعد الله.

_"**ابن هطال أحمد التلمساني**" صاحب كتاب "**رحلة مُحَمَّد الكبير إلى الجنوب الجزائري**"، والتي وصف فيها حملة هذا الباي على المنطقة وما رافقها من أحداث.

3/ الكتب الخاصة بالحملات العسكرية على المدينة والرحلات الأوربية والتقارير الإدارية والعسكرية: يمكننا القول وبإجمال أن الوثائق الفرنسية عن الأغواط –سواء كانت تقارير عسكرية وإدارية أو كتابات رحالة أو حتى تدوينات لتاريخ المنطقة– تقدم قراءة للمجتمع الأغواطي وفق مقاربة عنصرية، تقوم على النظرة غير المتجانسة والمتناقضة للعناصر الإثنية التي تكون النسيج الاجتماعي، ويبدو هذا الطرح متناغما مع مشروع الاحتلال الذي كان يستثمر في هذه التناقضات ويوظفها، وكان يعمق الانقسام بين القبائل وبين العروش، بل إن جميع الخطط التنظيمية التي اعتمدها الاحتلال في مناطق الجنوب ككل ومنطقة الأغواط بصفة خاصة كانت تستند إلى هذا المعيار، كما يعكس التقرير الخبث الاستعماري الذي تنبه لأهمية الأساطير الشعبية باعتبارها مرآة عاكسة للعمق النفسي للمجتمعات، وهي تعرض بيئة ثقافية مهلهلة ولكنها عميقة ومؤثرة تلعب فيها الخيانات

والأحقاد والثأر دورا في الخصومات التي طبعت العلاقات بين القبائل، فهي في مجملها تستعرض أفعال الخيانة والغدر ، وتضع حواجز نفسية أمام لم الشمل، غير أن هذه التقارير والكتابات –مع ذلك– تعطينا فكرة عن شغف العقول الاستعمارية بالاهتمام بكافة الحيثيات التي تتعلق بالوضع الحضاري للمجتمع الجزائري في مجال الثروة والنشاط وفي مجال الفن والإبداع، والتنظيمات الدينية والمجتمعية التي حكمت الجزائريين طيلة قرون، وهذه الكتابات تحتاج منا اليوم مراجعة شاملة، وتسخير الجهد لإعادة بعث النسخة الأصيلة لتاريخنا الحضاري بعيد عن تأثيرات المدرسة "**الكولونيالية**"، ومن هذه بين المصادر أذكر:

–"**أوجين مونجان**" صاحب كتاب" **ملاحظات حول تاريخ الأغواط**"، والذي نشر أولا كمقالات في "**المجلة الإفريقية**" ثم جمع على شكل كتاب، وقد قدم فيه معلومات مفصلة عن تاريخ الأغواط، ويعتبر من أحسن المؤلفات الفرنسية في هذا الصدد، رغم بعض الأخطاء التي تشوبه، حيث تطرق إلى الجغرافيا الطبيعية، والتركيبة البشرية، وغاص في أحداث ووقائع بعيدة، ويبدو أنه اعتمد كثيرا على جمع الرواية الشفوية والتقارير العسكرية الفرنسية.

– "**ترومللي**" الضابط العسكري، صاحب كتاب " **الفرنسيون في الصحراء** "الذي قدم فيه الكثير من المعلومات الهامة عن حياة سكان الصحراء و طبيعة حياتهم، كما قدم معلومات مهمة حول احتلال الأغواط وما رافقه من مقاومة تواصلت بعد سقوط المدينة، وتأتي أهميته في كونه شاهد عيان على بعض الأحداث، وقد وصف بعضا من آثار الاحتلال الفرنسي على المنطقة.

– "**ماري مونج**" الضابط الفرنسي، صاحب كتاب:" **بعثة إلى الأغواط 1844**" وهو تقرير حول حملته على الأغواط سنة 1844 م التي قادها هو بنفسه، وقد انطلقت من حدود "**التيطري**" ووصلت الأغواط مرورا بعين ماضي و تاجموت، وهو بذلك مصدر جغرافي وتاريخي، رسم صورة للأوضاع الاجتماعية والسياسية التي تمر بها المنطقة في فترة مضطربة تميزت بتقلب الولاءات، كما يمكن اعتبارها رحلة استكشافية غرضها استبيان أهمية منطقة الأغواط في استراتيجية التوسع الفرنسية.

– "**أوجين فرومنتان**" الكاتب والرسام صاحب كتاب" **صيف في الصحراء** " حيث قدم فيه الكثير من المعلومات و الحقائق الهامة عن مشاهداته في الأغواط عند زيارته لها ، وقد وصل مدينة الأغواط يوم 3 جوان 1853 م أي بعد ستة أشهر من دخول الاحتلال الفرنسي في 4 ديسمبر 1852 م،

و قد مكث بها شهرا أو يزيد مر خلالها ببلدة "سيدي مخلوف" و زار مدينتي "تاجموت" و "عين ماضي"، وقد تميزت كتاباته بالمقارنة بين الإنسان العربي الشرقي و بين الإنسان الفرنسي الأوربي، طبعا مع تحيز ظاهر لبني جنسه.

- "**ماليستان**" الرحالة الألماني، مؤلف كتاب"**ثلاث سنوات في شمال إفريقيا**"، والذي زار منطقة الأغواط وحكى مشاهداته عن المنطقة وسكانها وأعلامها.

- "**دوك دي دوماس**" وكتابه "**الصحراء الجزائرية** "الذي يحتوي على جزء هام من جغرافية و تاريخ الأغواط، وقد مكنني من معرفة أوضاع قصور منطقة الأغواط وحالتها العمرانية، والنشاط البشري داخلها وحولها.

- تقارير الحكومة العامة الفرنسية حول أقاليم الجنوب خصوصا بدايات القرن العشرين.

4/ دووين الشعر الشعبي وتحقيقاتها: وهي مصدر أساسي للحياة الثقافية والاجتماعية في المدينة، وذلك بسب انتشار الأمية في فترة الاستعمار وغياب التدوين مما جعلها مصدرا لا غنى عنه لفهم طبيعة الحياة آنذاك ومن بين هذه الدواوين:

_ تحقيق الأستاذ "**بديار بشير**" لـ: **ديوان سيدي الحاج عيسى الأغواطي**، وهو ولي الأغواط المعروف وحامي المدينة، وإليه تنسب الكثير من القصص والكرامات، وتحقيق الأستاذ "**ورنيقي الشايب**" لـ: **ديوان شعر علي بن شهرة الشعبي**، وجمع الأستاذ الشاهد مسعود لـ : **ديوان الشاعر الشيخ سيدي بن حرز الله بن الجنيدي بن الشاهد الأغواطي**، وهو شاعر مقاوم رافق "**بن ناصر بن شهرة**" في جهاده، وكتاب الدكتور "شعيب ابراهيم" الموسوم بـ"**التوخي لجمع أشعار عبد الله التخي "ديوان ابن كريو"**، وهو أشهر الشعراء الشعبيين في المنطقة وغيرهم.

5/ الجرائد والمجلات المصدرية: وقد اعتمدت على كم لا بأس به من مقالات جرائد تلك الفترة، سواء أكان من كتب فيها هم من أبناء الأغواط أو من زائريها، ورغم العدد الهام الذي اعتمدت عليه وتمكنت من الحصول عليه، إلا أنه يمكنني القول أن ما عثرت عليه من مقالات ذات الصلة بمنطقة الأغواط هو نزر يسير جدا مما هو موجود بالفعل أو ما يمكن إيجاده، فمن بين الجرائد التي اعتمدتها جريدة "**المبشر**" و"**المجلة الإفريقية**" التابعتين للإدارة الاستعمارية، وجريدة "**الإقدام**" التابعة لـ

"**الأمير خالد**" وجرائد الطرق الصوفية مثل "**البلاغ**" و"**النجاح**" و"**لسان الدين**"، وجرائد الحركة الإصلاحية مثل "**الشهاب**" و"**البصائر**" و"**المنتقد**" و"**السنة**" و"**الصراط**".

6/ المذكرات الشخصية المطبوعة: مثل مذكرات شهود تلك الفترة وكتاباتهم، والتي تطرقت إلى النشاط الثقافي بالمنطقة، مثل كتابات الأستاذ "**إبراهيم خميلي**"، والأستاذ "**مُحَّد بوعزارة**" وغيرهم.

7/ المصادر الشفوية: وقد جمعت خلال فترة بحثي مجموعة من الشهادات الحية حول الوضع الثقافي في المنطقة من أفواه شهود العيان على تلك الفترة، وقد استعنت بها –بالخصوص– في فصل المجتمع المدني بسبب قلة الكتابات التاريخية حول الموضوع.

8/ المصادر التاريخية العامة وكتب التراجم والسير: من بين هذه المصادر العامة "**تاريخ ابن خلدون**" المعروف بكتاب "**العبر**"، وتراجم العلامة المغربي "**سكيرج**" لرجال وأعلام الطريقة التيجانية، كونُه أحد شيوخها، وقد عاصر بعضا من أعلام الطريقة من الأغواط، وخصوصا خلفاء الشيخ "**أحمد التيجاني**" على الطريقة من أولاده، وقد اعتمدت له مجموعة من العناوين.

وكتب رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر مثل "**مُحَّد علي دبوز**" وهو إباضي إصلاحي من وادي ميزاب، صاحب كتاب "**نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**" وقد كان قريبا من الحركة الإصلاحية بالأغواط، ويعرف أعلامها وشيوخها وشاركهم مجالسهم ونشاطاتهم.

9/ مراجع حول التاريخ السياسي و الاجتماعي والثقافي لمدينة الأغواط: كما توجد كتابات بأقلام أبناء مدينة الأغواط حول التاريخ الثقافي أو الرياضي، وهي كتابات حديثة مثل كتاب المجاهد "**لبتر المداني**": "**الأغواط صفحات التاريخ والحضارة**" وكتاب الدكتور "**بشير بديار**" وآخرين: "**التاريخ الرياضي للأغواط**" فضلا عن بعض المقالات التي تتكلم عن مواضيع متفرقة مثل آثار المدينة وعمرانها ولهجتها وعاداتها وتقاليدها.

9/ المراجع العامة: وقد أفادتني هذه المراجع في بناء الصورة العامة لتاريخ المنطقة، ووضعها في سياقها الوطني، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالاحتلال والمقاومة والتصوف والتعليم وغيرها من المواضيع.

ويدخل تحت هذا الإطار مراجع التاريخ الوطني العام، مثل "**تاريخ الجزائر القديم والحديث**" للشيخ "**مبارك الميلي**"، و"**تاريخ الجزائر العام**" للشيخ "**عبد الرحمان الجيلالي**"، وكتابات الدكتور "**إبراهيم مياسي**" حول الاستعمار والمقاومة، وكتابات الدكتور "**أبو القاسم سعد الله**" حول تاريخ الجزائر الثقافي والحركة الوطنية، وكتابات الأستاذين "**ناصر الدين سعيدوني**" و"**مُحَمَّد العربي الزبيري**" في الجانب الاقتصادي، إضافة إلى كتاب "**عدي الهواري**" حول سياسة التفكيك الاقتصادي الاستعماري وأثرها على البدو الرحل في منطقة الأغواط.

وقد استعنت بالموسوعات والقواميس والمعاجم للتعريف بالشخصيات أو الأماكن مثل "**معلمة الجزائر**" للأستاذ "**عاشور شرفي**".

10/ المقالات الأكاديمية والصحفية: لقد أتى اعتمادي على هذه المقالات بسبب عدم وجود دراسات متخصصة حول الواقع الثقافي في منطقة الأغواط، ولكن توجد بضعة مقالات تغطي مواضيع متفرقة، مثل مقالات و أعمال الملتقى الأول لاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط، والمعنون بـ: "**مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط**" ، والمنعقد في 14- 16 أفريل 1998، وهو يعتبر أول محاولة لجمع التاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط، وقد سعى الأساتذة مشكورين في ظروف صعبة وبإمكانيات قليلة في جمع ما يمكن جمعه من تراث ثقافي متناثر ومشتت، ورغم الجهد المبذول إلا أن أعمال الأساتذة الأفاضل لم تغطّ كل ما تعلق بالإرث الثقافي للمنطقة، خصوصا في مواضيع الثقافة الشعبية والتصوف والحركة والإصلاحية والجمعيات والنوادي، وتراجم الأعلام رغم وجود الكثير من الفاعلين على قيد الحياة وقتئذ.

صعوبات البحث:

واجهت مجموعة من الصعوبات خصوصا في بدايات عملية الإنجاز، بسبب طبيعة البحوث التي تهتم بالتاريخ المحلي، حيث تندر الوثائق والكتابات التاريخية، مع توزعها وتشتتها إن وجدت، وصعوبة الحصول على بعض الشهادات الشفوية والوثائق العائلية بسبب رفض أصحابها، وتعقيد الإجراءات البيروقراطية بالنسبة لدور الأرشيف سواء الوطني أو المحلي، إضافة إلى تمحيص المادة المتوفرة والذي تطلب مني جهدا إضافيا في المقارنة مع بقية المصادر مع التريث والحذر للوصول إلى الحقائق الموضوعية، كما أنني اعترف أن ذلك لم يكن سهلا نظرا لقصر التجربة والخبرة التي يفتقدها معظم

الباحثين المبتدئين مثلي، ولعله مما يحز في نفسي عدم حصولي على منحة تمكنني من الاطلاع على الوثائق الأرشيفية الموجود في فرنسا، رغم محاولاتي العديدة.

وقد يبدو من خلال مطالعة قائمة **"البيبليوغرافيا"** كثرة المصادر والمراجع وتنوعها، ولكن في الحقيقة فإن المعتمد عليها أشبه بمن ينحت في الصخر كما يقال قديما في المثل، إذ أن العناصر المرتبطة فعليا بالموضوع قليلة، خصوصا إذا تعلق الأمر بالتراجم، فكثير من الشخصيات وَجدتُ أسماءها ولم أجد لها ترجمة، ونفس الأمر بالنسبة للمعلومات المتعلقة بالمنشآت الثقافية مثل المدارس أو المكتبات وغيرها.

ومن بين الصعوبات أيضا: رحيل الكثير من صانعي الأحداث بالمنطقة عن الحياة، ورحل معهم بذلك إرث تاريخي هام إلا من بعض الآثار التي تركوها وراءهم والتي لا تعدو أن تكون صورا أو وثائق نادرة وذكرى جميلة احتفظ بها أبناؤهم كتذكار لا يشبع ولا يسمن البحث، وقد ضاعت الكثير من الوثائق العائلية والعلمية لكثير من أعلام هذه المنطقة، ورغم أنني قابلت بعض الأشخاص إلا أن شهاداتهم كانت عامة وإجاباتهم غير دقيقة نظرا لكبر سن البعض ولمحدودية ثقافة البعض الآخر، والتي لم أستطع أن أوظفها في خدمة الموضوع، عدا نزر يسير تمكنت من استغلال المعلومات الواردة في شهاداتهم.

ومن بين الصعوبات الذاتية التي اعترضت عملية إنجاز هذه الأطروحة هي فترات الانقطاع بسبب ظروف مهنية أو شخصية أو حتى صحية، والتي أثرت قطعا على تناسق العمل وتراتبيته.

وفي الأخير يمكنني القول أن هذا البحث وكل ما صاحبه من نجاحات أو خيبات قد ساهم مساهمة كبيرة في صنع شخصيتي العلمية والعملية، وبعد أن كنت غير مهتم إطلاقا بالبحث في التاريخ المحلي في بدايات دراساتي العليا، أصبحت الآن أكثر حرصا على هذا النوع من البحوث، (والفضل في ذلك يعود إلى الأستاذ المشرف الذي صقل هذه الشخصية وشجع هذا التوجه) لما لمسته من تطور سواء في شخصي أو في معارفي العلمية أو حتى في طريقة تحليلي لكثير من الأحداث التاريخية، ويمكنني القول بكل تجرد وبدون مبالغة أن ما أضافه موضوع البحث لشخصي أكثر بكثير مما قد أضيفه أنا لهذا الموضوع، فقد كان هذا الموضوع سببا في انخراطي في مشاريع ثقافية محلية مثل عضوية ورئاسة المجلس العلمي لمتحف المجاهد بالأغواط، وتأسيس **"جمعية باحثون"** للدراسات التاريخية

والأثرية بالأغواط، كما كان للبحث فضل في ربط علاقات صداقة وعلاقات تعاون مع أساتذة وباحثين ومهتمين، وحتى شهود عيان ممن عاينوا الفترة وجمعت شهاداتهم.

وقد اكتشفت مع مرور الوقت أنه كلما بحثت عميقا في تاريخ منطقة الأغواط إلا وتكشفت لي جوانب كثيرة كنت أجهلها، بل وجدت في كثير من الأحيان أن عددا من الأحداث والشخصيات التاريخية قد خرجت من سياقها المحلي الضيق إلى السياق الوطني الجزائري وحتى العربي الإسلامي والدولي، مما يعني أن ما قدمته أنا وغيري لحد الآن ليس سوى أرضية يمكن البناء عليها مستقبلا لاستكمال الحلقات المفقودة وإضاءة الزوايا المنسية من تاريخ هذه المنطقة وساكنتها.

وعليه فإني أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف البروفيسور **"أحمد رضوان شرف الدين"**، على نصائحه وتوجيهاته وعلى تفهمه وسعة أفقه ورحابة صدره، وعلى عاطفته الأبوية، كما أتقدم بجزيل الشكر أيضا للأستاذ الدكتور **"أحمد بن الصغير"** الذي قدم لي مساعدة جمة، لا تكفي العبارات لرد فضلها، كما أوجه عميق تقديري وامتناني إلى الأساتذة رفقاء دربي في **"جمعية باحثون"** للدراسات التاريخية بالأغواط، والذين أنجحوا نشاطات الجمعية والتي تأسست للاهتمام بالتاريخ المحلي وكان لهم دور في مساعدتي لإنجاز هذا البحث، ولا يفوتني أن أخص بالشكر صديقي **"يوسف حشاشنة"** على مساعدته الرقمية في كتابة الأطروحة على جهاز الإعلام الآلي، ولا أنسى في هذا المقام زملائي في متحف المجاهد بالأغواط.

وقبل الختام يسعدني أن أشكر عائلتي الكريمة وأن أهديهم هذا العمل عرفانا لهم على خلق كل الظروف المناسبة للبحث.

وآخرا أستسمح اللجنة الكريمة على أي خطأ أو تقصير أو نقصان في هذا العمل، مستمدا توجيهاتهم وتصويباتهم، وأعد باستكمال ما أنقصت وتصحيح ما أخطأت وتوضيح ما أشكلت وتفصيل ما أجملت، والله الموفق والمستعان، وهو نعم المولى ونعم النصير .

بومدين كعبوش: الأغواط المعلوم، رمضان 1441هـ/2020م.

الفصل التمهيدي:

لمحة جغرافية و تاريخية حول منطقة الأغواط قبل الاحتلال الفرنسي

المبحث الأول: جغرافية منطقة الأغواط

المبحث الثاني: النشاط البشري في منطقة الأغواط في العصور القديمة (قبل الفتح الإسلامي)

المبحث الثالث: منطقة الأغواط في الفترة الوسيطة: المجال الزناتي (البربري) و الهجرة الهلالية (العربية)

المبحث الرابع: منطقة الأغواط في الفترة الحديثة

تعتبر منطقة الأغواط حيزا جغرافيا متميزا له حدوده وخصائصه الطبيعية و التاريخية وكذا الاجتماعية والثقافية، وهي منطقة تحوي تعقيدات اجتماعية تتنوع فيها السلالات والقبائل والعشائر، كما أن الشواهد الأثرية تؤكد على مرور حضارات عديدة تراكمت منجزاتها في الحيز الجغرافي المذكور، ومن هنا فإن عملية ربط الحيز الجغرافي بالتركيبة البشرية ومنجزاتها الحضارية يفضي بنا إلى تشكيل الصورة الأقرب إلى السيرورة التاريخية.

المبحث الأول: جغرافية منطقة الأغواط:

أولا: الجغرافيا الطبيعية للمنطقة:

1/ الموقع: تقع منطقة الأغواط على الجهة الجنوبية لسلسلة الأطلس الصحراوي جنوب العاصمة الجزائر، وتبعد عنها مسافة حوالي 400 كلم، بينما تبعد عن وهران وقسنطينة مسافة 500 كلم،[1] وتعتبر مجالا يضم عددا من القصور الصحراوية في محيط بدوي، تمثل مدينة الأغواط (أو قصره ا القديم) قاعدة ومركزا لهذه المنطقة ومنه أخذت تسميتها، فتسمى منطقة الأغواط أو بلاد الأغواط أو منطقة القصور أو واحات القصور، وتعرف في اللغة الشائعة بين الناس : الأغواط المعلوم أو"لقواط" وقد وردت هذه التسمية في قصيدة عبد الله بن كريو في قوله:

لقواط أقواطين في معرفتنا لقواط المعلوم ولقواط كسال

لقواط اللي جا ميزو شرقينا واللي ناسوا عايشة همة ودلال[2]

---

[1] _ محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة**، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013، ج3، ص229. أنظر أيضا: مداني لبتر، **الأغواط صفحات من التاريخ والحضارة**، دار هومة، الجزائر، 2006، ص13. أنظر أيضا: الشايب ورنيقي، **ديوان شعر علي بن شهرة جمع وتحقيق**، مطبعة رويغي، الأغواط، 2007، ص7. عاشور شرفي، **معلمة الجزائر**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص88. محمود علالي، **الحركة الإصلاحية في الأغواط**، bloutou.c، الجزائر، 2008، ص27.

[2] – إبراهيم شعيب، **ديوان عبد الله كريو**، مطبعة رويغي، الأغواط، الجزائر، ط2، 2004، ص20.أحمد الأمين، **صور مشرقة من الشعر الشعبي الجزائري** ، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 172.

ويقع ضمن منطقة الأغواط مجموعة من القصور مثل: الأغواط، العسافية، قصر الحيران، الحويطة ، تاجموت، عين ماضي، وهي تشكل القصور الستة الرئيسية الكبرى في المنطقة بالإضافة إلى قصري الخنق وتاجرونة (الأصغر نسبيا).[1]

ويحيط بمنطقة الأغواط شمالا جبال العمور[2] وقبائلها، وشرقا مناطق أولاد نايل، وجنوبا ببني ميزاب، وغربا الأغواط كسال[3]، وهي تقع ضمن المنطقة المسماة قديما "غشتولية" أو "جيتوليا".[4]

تعد منطقة الأغواط ذات موروث إداري لمختلف التقسيمات الإدارية، فقد كانت في العهد العثماني تابعة في أحيان كثيرة إلى بايليك التيطري، ثم أصبحت منطقة عسكرية في الفترة الاستعمارية مع وجود إدارة عامة للجيش الفرنسي في الصحراء حيث حوت إدارتين الأولى لسكان المدينة والأخرى للبدو الرحل، أما بعد الاستقلال فقد كانت الأغواط تابعة إداريا لولاية الواحات وعاصمتها ورقلة، بينما

---

[1] _ دوك دي دوماس، **الصحراء الجزائرية**، تر: قندوز عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2013، ص 36-37. أنظر أيضا: إ. كاريت، **أبحاث حول الجغرافيا والتجارة في الجزائر الجنوبية– الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1840.1841.1842**. **العلوم التاريخية والجغرافية**، تر: حمزة الأمين يحياوي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ج 6، ص 80. أنظر أيضا: محمود علالي، مرجع سابق، ص27.

[2]– **جبال العمور**: أو جبل بني راشد قديما، تنسب إلى قبيلة بربرية تعرف ببني راشد ثم إلى قبيلة هلالية تسمى العمور غلبوا على المنطقة، تقع جبال العمور ضمن سلسلة الأطلس الصحراوي. عن جبال العمور وقبائلها أنظر: أبو الحسن علي بن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تح وتق وتع: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982، ص145. عبد الرحمان ابن خلدون، **كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الفكر، لبنان ، ط2، 1988م ج 6، ص64 . كاريت، مرجع سابق، ج6، ص62-63. ترومللي ، مصدر سابق، ص311-312. ناصر مجاهد ، **سبل العبور إلى جبال العمور**، المطبعة العربية، غرداية، 1993، ص09.

[3]– **الأغواط كسال أو اكسال**: هو اسم الجبل المطل على منطقة استيتن، وهي تسمية جماعية تضم عدة قبائل من أصول مختلفة: أولاد مومن والرزيقات وأولاد عيسى والقراريج، وبعض هذه العناصر جاءت من منطقة الأغواط حاملة معها اسمها والذي أضيف له كسال نسبة للجبل المذكور، وقد أصبحت الأغواط كسال تجمعا قبليا زادت أعدادهم بعد حلولهم البيض، أنظر: خليفة بن عمارة، **تاريخ الجنوب الغربي الجزائري الأعلى من الأصول إلى غاية حرب التحرير**، تر: بوداود عمير، دار القدس العربي، وهران، 2016، ص 150.

[4] _ دوماس، مرجع سابق، ص36 . أحمد صيقع، **علم الأحياء لكنافات تنوخية شمال الصحراء**، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، 2013، ص17.إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837–1934**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص86. عاشور شرفي، مرجع سابق، ص88.

أصبحت في سنة 1975 ولاية تضم إليها منطقة غرداية، أما بعد التقسيم الإداري لسنة 1986 فانفصلت الولايتان عن بعضهما البعض، وهي حاليا تمثل ولاية انبثقت من التقسيم الإداري لسنة 1986 تقدر مساحتها بأكثر من 25 ألف كلم2 وهي تضم عشر دوائر و24 بلدية، يحدها جنوبا ولاية غرداية ومن الشمال والشرق ولاية الجلفة، ومن الجنوب الغربي ولاية البيض، ومن الشمال الغربي ولاية تيارت،[1] وهي تنقسم تضاريسيا إلى قسمين:

-شمالا : الأطلس الصحراوي: تمتاز بعلو يمتد ما بين 1000م إلى 1700م وتمثل الجزء الشمال الغربي وهي عبارة عن نجود (تلال وجبال) غابية قديمة يكسو جزءا منها نبات الحلفاء.

-جنوبا: السهول الصحراوية المنخفضة (المنطقة السهبية): تمتاز بعلو ما بين 700م إلى 1000م وهي تمثل الجزء الأكبر من شرق ووسط وجنوب الولاية وهي عبارة عن مساحات رعوية سهبية.[2]

وللتدقيق أكثر في رسم حدود المنطقة، ومن خلال تتبعنا لمسار شمالي- جنوبي عبر ما يسمى اليوم بالطريق الوطني رقم (01) فإننا نلج منطقة الأغواط ابتداء من شمال سيدي مخلوف حيث تقابلنا القمم المرتفعة للجبال الصحراوية على شكل منشار غير متساوي الأسنان في حين تبدو الأرض المنبسطة على شكل هضاب وتلال مكسوة بغطاء نباتي من الحلفاء وغيرها من الحشائش الصحراوية

[1] _ محمودي نادية، **التحول العمراني وآفاق التوسع لمدينة الأغواط**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، مارس 2015، ص142. عاشور شرفي، مرجع سابق، ص88.

[2] _ بشير طلحة، **البنى التقليدية وعلاقتها بالتقسيم الاجتماعي للمجال الحضري- دراسة حالة مدينة الأغواط**، رسالة ماجيستير غير منشورة، تخصص علم الاجتماع الحضري، إشراف: مُحَمَّد مخلوف، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص 85. أنظر أيضا: صيقع، مرجع سابق، ص108. أنظر أيضا: أحمد حمدي، **الفن الصخري بمنطقة جبال العمور بالأغواط**، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مركز البحث في العلوم والحضارة الإسلامية، الأغواط. ع 08، جوان 2018، ص630. مراد بديرينة، **تفعيل السياحة الصحراوية بولاية الأغواط**، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ع14، ماي 2013، ص156.

ويصادف العابر لهذا الطريق سلاسل جبلية تشكل ما يسمى بجبل الأزرق (لزرق) وجبل الميلق وجبال الدخلة ليجد عند الدخول إلى مدينة الأغواط منخفضا واضح المعالم ألا وهو واد مزي. [1]

أما إذا سلكنا الطريق الذي اعتاد اجتيازه معظم الرحالة المغاربة المارين بالمنطقة ، فإن بداية منطقة الأغواط (أو بلاد الأغواط كما تسمى في المصادر الجزائرية والمغربية الحديثة) من عين ماضي مرورا بتاجموت وصولا إلى واد مزي ومدينة الأغواط ومنه إلى العسافية وقصر الحيران حيث تنتهي بلاد الأغواط في الطريق إلى مسعد عبر الفج وواد الحميض،[2] ويحيط بهذه المنطقة ويتخللها أراض سهبية ووديان صحراوية تشكل كلها ما يسمى في العرف الشعبي "**منطقة الواسطة**" والتي تردد لفظها ومعناها في قصائد الشعراء الشعبيين وفي الذاكرة الشعبية وتمثل مدينة الأغواط عاصمة لها.[3]

2/المناخ: تقع منطقة الأغواط ضمن مجال مناخ قاري متغير المغياثية، حيث تتراوح ما بين 100 ملم3 و 300ملم3، ويمكن تصنيفها ضمن المناطق شبه الجافة رغم أنه توجد دورات جفاف وأخرى ماطرة، وقد تستمر هذه الدورات لعشرات السنين،[4] وقد تتسبب الأمطار في فيضان الأودية الصحراوية كواد مزي وواد مساعد، ويعتبر شهري ديسمبر وجانفي الأكثر برودة إلى درجة تساقط الجليد، في حين أن شهري جوان وجويلية الأكثر حرارة وجفافا طيلة أشهر السنة[5].

---

[1] _ هاينريش، فون مالتسان، **ثلاث سنوات في شمال غرب افريقيا**، تر، أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2008، ج3، ص193-198.دلاسي أمُحَّد، **العائلة التقليدية في الوسط الحضري– دراسة ميدانية بمدينة الأغواط** ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، إشراف: بوتنفوشت مصطفى، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص 112-113.

[2] _ أنظر كتب رحلات المغاربة الذين مروا على المدينة عبر هذا الطريق مثل: أبو سالم العياشي، أبو العباس السجلماسي، أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعي، الحضيكي السوسي، أبو عبد الله الطيب الفاسي، أبو الحسن اليوسي، أبو عبد الله مُحَّد بن عبد السلام الناصري، ابن هطال التلمساني، ابن الدين الأغواطي، وللمزيد حول هذه الرحلات أنظر: حفناوي بعلي، **الرحلات الحجازية المغاربية المغاربة الأعلام في بلد الله الحرام**، دار اليازوري العلمية، عمان، الأردن، 2018.

[3] _ أحمد بن الصغير، **رسالة نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء –دراسة وتحقيق**، رسالة ماجيستير في تخصص تحقيق المخطوطات، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2013، ص18.

[4] _ صيقع، مرجع سابق، ص17_18. عدي الهواري، **الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830–1960**، تر: جوزيف عبد الله، دار الحداثة، لبنان، 1983، ص112.

[5] _ لبتر، مرجع سابق، ص 14. نجاة قناطي وحياة بوناب، **الهوية العمرانية للمدينة الصحراوية القصر القديم لمدينة الأغواط**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، مارس 2015، ص36.

وتسود المنطقة رياح شديدة وهي تؤثر على نوعية الغطاء النباتي والنشاط الإنساني، بحيث توجد علاقة مباشرة بين هذه الأحياء من جهة وبين الرياح والمغياثية والطوبة والتبخر من جهة أخرى،[1] فقد تتسبب الرياح أحيانا – تبعا لشدتها– بتشكل الكثبان الرملية وفي زيادة حرارة الطقس بسبب رياح السيروكو، وقد لاحظ مقدار شدتها وعنفها معظم الرحالة المغاربة والفرنسيين الذي مروا بالمنطقة[2].

3/: التربة والغطاء النباتي: تعود البنية الأرضية للمنطقة –حسب الخريطة الجيولوجية لشركة التنقيب الفرنسية لسنة 1957 – إلى دهر " المساني القاري" ضمن العصر الطباشيري،[3] وبالعموم فالتربة في منطقة الأغواط تشكلت بمجملها في العصر الطباشيري في مختلف فتراته: السينوني والسينامواني والميساني القاري، والتوري، وتتشكل تربة المنطقة من رسوبيات حديثة فوق سطح من الجير أو الحجر الرملي، كما تحوي مناطق رملية مثل: المخرق (بن ناصر بن شهرة حاليا) وسيدي مخلوف، وبرج السنوسي (ضواحي أو فحص الأغواط) ومناطق مالحة مثل تاجموت وتاجرونة وقصر الحيران، في حين أن تربة واحات مدينة الأغواط الشمالية الغربية مثل (الصوادق، والقابو) والواحات الشرقية مثل (المقطع القبلي) هي تربة فلاحية ممتازة، أهلت الأغواط لتكون مجتمعا مكتف ذاتيا بجميع المنتوجات الزراعية.[4]

---

[1] _ كاريت، مرجع سابق، ص 191 .أنظر أيضا: صيقع، مرجع سابق، ص 21_22. لبتر، مرجع سابق، ص14. دلاسي، مرجع سابق، ص114.

[2] _ عبر عنها التلمساني بقوله:".. فماؤها حميم وغبارها عميم فلا توافق كل ذي طبع سليم، فمهما هب ريح ولو نسيم الصبا إلا وارتفع منها غبار عظيم وأظلمت منه الأرض وامتلأ منه الجو طولا وعرضا.." أنظر : أحمد ابن هطال التلمساني ، **رحلة مُحَمَّد الكبير الى الجنوب الصحراوي الجزائري** ، تح وتق مُحَمَّد بن عبد الكريم، ، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات، 2004، ص63 أنظر أيضا: أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن ناصر الدرعي ، **الرحلة الناصرية**، تح وتق: عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات، 2001، ص133. ترومليي، **الفرنسيون في الصحراء يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية**، تر: مُحَمَّد المعراجي، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 372_373. سانت أرنو، **مذكرات الماريشال سانت أرنو 1841–1844**، تر: عبد القادر ليفا وبداه المهدي، دار المعرفة، الجزائر، 2013، ص 180.

[3] _ صيقع، مرجع سابق، ص 108-109.

[4] _ المرجع نفسه، 109_110.

كما تتوفر المنطقة على وديان جافة وأخرى دائمة الجريان نسبيا من أهمها واد مزي وزرقون والواد الطويل.. الخ، كما تتوفر على المياه الجوفية في مختلف مناطقها تتفجر عن ينابيع صافية، بالإضافة إلى طبقة بئرية ومخزون أحفوري مائي هائل في الميلق والحاجب وغيرها.[1]

أما واد مزي فيأخذ منبعه من منحدرات جبال العمور وهو يتشكل من عدة جداول وروافد مثل وادي الغيشة النابع من أعلى قمتين على جبل أنفوس وجبال القعدة، وبالتقاء واد مزي مع مجرى مائي يسمى واد امساعد –الذي يأتي من الغرب– يتشكل ما يسمى بواد جدي،[2] وقد عده ابن خلدون مشاركا لنهر الشلف في المنبع بقوله:" وينبع من فوهته نهر آخر يذهب مشرقا ويمر بالزاب إلى أن يصل سبخة ما بين توزر ونفزاوة ويسمى وادي شدي"[3].

تعتبر منطقة الأغواط الهضبة التي تشكل نقطة انطلاق أربعة وديان كبيرة بالإضافة إلى روافدها وتفرعاتها: هي وادي مزي الذي يصب في شط ملغيغ، ووادي الشلف حيث يعتبر وادي سبقاق والواد الطويل المنطلقان من جبال العمور روافدا له، ووادي سقار الذي يتجه نحو الجنوب الغربي، ووادي زرقون الذي يصب في وادي ميزاب .[4]

---

[1]_ عميراوي احميدة، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844–1916**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص14. صيقع، مرجع سابق، 25.

[2]_ كاريت، مصدر سابق، ج6، ص41.فرانسوا دو فيلاري، **السهوب عبر العهود مرافئ لتاريخ الجلفة**، تر: عيسى بن مُحَمَّد بونوة، مطبعة رويغي، الأغواط، الجزائر، 2015 ، ج1، ص13. أنظر أيضا: مُحَمَّد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص 229. إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص85. دلاسي، مرجع سابق، ص13.

[3]– ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص134.

[4]– كاريت، ج6، مصدر سابق، ص62. أنظر أيضا: يوسف بن بكير الحاج سعيد، **تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص9–10.

ومن اللافت في هذه المنطقة انتشار ما يسمى " الضايات" مفردها " ضاية" منخفضات طبيعية (أحواض) مشكلة غالبا من أشجار البطم والسدر وصالحة لزراعة القمح والشعير وتحتفظ بنسبة من الرطوبة ، وتتميز بوجودها في فلاة الصحراء في أرض جافة وصلبة ومناخ حار، إضافة إلى أن منشأها يكون بداية من شجر السدر وهو نبات شوكي صحراوي معروف، ومع مرور الزمن تخرج من وسطه أشجار البطم، حيث تنمو شيئا فشيئا إلى غاية القضاء على شجر السدر (المضيف).[1]

تتميز الضايات بخضرتها في الربيع والصيف وبسقوط أوراق أشجارها خريفا وشتاء، وقد كانت الضايات بالنسبة لساكنة المنطقة أشبه بالواحات حيث تمارس فيها زراعة الحبوب (القمح والشعير حصرا) ورعي الماشية كما تصلح كأماكن للراحة من وعثاء السفر واتقاء قر الشتاء وحر الصيف، ومن هنا فهي تعتبر الحيز الجغرافي لقبائل الأرباع العتيدة التي ارتبط اسمها بهذه الأراضي حلا وترحالا، وقد وردت تسميتها la région des Dhayas في كثير من المصادر الفرنسية مما يدل على كونها منطقة متميزة عن غيرها طبيعيا وبشريا.[2]

ثانيا: القصور[3] المشكلة لمنطقة الأغواط: تميزت قصور الأغواط بعمارتها البسيطة وبمكوناتها التي كانت تشمل القصر المحاط بالأسوار والتحصين المنيع، كما تتميز بالواحات أو الغابات المحيطة وكذا بوجود نظام سقي محكم ودقيق كان يتم وفقه توزيع الماء على البساتين، حيث كانت الزراعة هي المورد الأساسي لسكان القصور.[4]

---

[1]- ترومللي، مصدر سابق، ص231. دو فيلاري، مصدر سابق، ص24. ناصر مجاهد، مرجع سابق، ص38.

[2]- عمار درياس وكمال بوغرارة، **السياحة في المناطق العمرانية والتراثية والقصور والواحات: حالة ولاية الأغواط**، جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا، دت، ص2. ناصر مجاهد، مرجع سابق، ص38-39.

[3]- **القصور**: تعني كلمة القصور بالمناطق الصحراوية التكتلات السكانية التي تقطنها مجموعات بشرية تنتمي إلى أصل عرقي واحد أو إلى أصول مختلفة، وتكون هذه التكتلات مجهزة بنظام دفاعي يتكون من سور محيط بتلك التجمعات تتخلله أبراج للمراقبة والدفاع، وهي بذلك تشكل وحدة معمارية واجتماعية. التخي بلقاسم، **الجانب الجمالي والرمزي في عمارة قصور منطقة الأغواط**، مجلة العلوم الاسلامية والحضارة، ع2، ماي 2016، ص287-288.عاشور شرفي، مرجع سابق، ص1185.

[4]- التخي بلقاسم، مرجع سابق، ص291. أنظر أيضا: خليفة عبد القادر، **مدن الصحراء في التحولات من القصور إلى المدن الحديثة**، الملتقى الوطني : المدينة وإشكاليات العمران الجديد، 20-21 أفريل 2008، جامعة الأغواط، ص 32-33. علالي، مرجع سابق، ص28.

1/ الأغواط: تقع الأغواط (المدينة أو القصر) بين خطي 33 .55. 57 شمالا و 2 50 39 شرقا، بارتفاع يبلغ 783 مترا عن سطح البحر، وهذه الإحداثيات ليست مطلقة لأن مدينة الأغواط مدينة متسعة نسبيا. [1]

تمتد بساتين الأغواط ومبانيها على السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي وعلى ضفاف واد مزي، الذي يأخذ مجراه من جبال العمور غربا ويتوجه نحو الشرق حيث يحمل اسما آخر ألا وهو واد جدي مارا بعدد من واحات الزيبان وصولا إلى مصبه في شط ملغيغ،[2]ويقطع مدينة الأغواط واد الخير المتفرع عن واد مزي والذي كان يعمل على سقي الأجنة والبساتين فضلا عن تخصيب التربة التي تنبت فيها خيرات كثيرة من خضر وفواكه حتى سميت بمدينة البساتين أو الحدائق.[3]

نشأت الأغواط على هضبات تعرف بـ: "تزقرارين"، وأما بساتينها وأراضيها الفلاحية فبعضها يقع شمال هذه الهضاب ويسمى بالواحات الشمالية وبعضها الآخر يقع جنوبها ويسمى الواحات الجنوبية، ويمتد خارج الواحتين سهلان كان يستغلان لزراعة الحبوب يسمى الأول بالضاية القبلية (الجنوبية) ويسمى الثاني بالضاية الغربية.[4]

أصل التسمية: تعتبر مدينة الأغواط من المدن الجزائرية التي اختلف الباحثون في أصل تسميتها، فمنهم من ينسب اسم المدينة لقبيلة الأغواط البربرية، ومنهم من ينسبها لطبيعة المنطقة ذات البساتين التي يطلق على الواحد منها في الكثير من المناطق الجنوبية الجزائرية، وخاصة الجنوبية الشرقية منها اسم الغوط، وجمعها الأغواط، وبين الطرحين لم نجد لدى الباحثين إجابة قطعية أو طرحا غالبا.

---

[1] _ صيقع، مرجع سابق، ص 108. علالي، مرجع سابق، ص27.

[2] _ دوماس، مصدر سابق، ص 37. لبتر، مرجع سابق، ص 13. مياسي، مرجع سابق، ص85. دبوز، مصدر سابق، ج3، ص 229. عاشور شرفي، مرجع سابق، ص1450.

[3] _ ترومليي، مصدر سابق، ص 562. دوماس، مصدر سابق، ص 38_39. علالي، مرجع سابق، ص 28. أنظر أيضا:
(J) Millia, **Lagouat ou Les maisons entourées des jardins** , plan norrit et cie, Paris ,1923 ,p22.

[4] _ دوماس، مصدر سابق، ص 39. لبتر، مرجع سابق، ص 13_14. مياسي، مرجع سابق، ص85. علالي، مرجع سابق، ص28.

من خلال دراستنا للمصادر العربية يتبن لنا أن منطقة الأغواط كانت معروفة بهذا الاسم منذ ما قبل القرن الرابع الهجري- العاشر ميلادي، إذ يذكرها مؤرخ الدولة العبيدية أبي عبد الله الصنهاجي في كتابه حين يتحدث عن إقامة مُحَّد بن خزر الزناتي للدعوة الفاطمية باسم المنصور بالله الفاطمي . [1]

أما في كتاب العبر لابن خلدون فورد اسم الأغواط بثلاث صيغ، الأولى " **لغواط** ' بحذف الألف، [2] الثانية "**الأغواط**" معرفة كما هو اسم المدينة اليوم، [3] والثالثة " **لقواط** " بحذف الألف وتغيير العين بالقاف. [4]

ويعرف ابن خلدون قبيلة الأغواط بقوله: " وأما لقواط وهم فخذ من مغراوة أيضا، في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد، ولهم هناك قصر مشهور بهم، فيه فريق من أعقابهم على سغب من العيش لتوغله في القفر، وهم مشهورون بالنجدة والامتناع من العرب، وبينهم وبين الدوسن أقصى عمل الزاب مرحلتان، وتختلف قصورهم إليه لتحصيل المرافق منه... "[5]، وممن يذكر قبيلة الأغواط بقلب الغين قافا أي "لقواط" الزياني في كتابه أنيس السهران حيث يجعلهم من قبائل مغراوة بقوله: " ومنهم بنو قوط بين الزاب وبني راشد ولهم قصور كبيرة مشهورة" [6] وكذلك الشقراني الراشدي في

---

[1]-أبو عبد الله الصنهاجي ، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم**، تحقيق أحمد جلول بدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 40، 41.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، **العبر** ، مصدر سابق، ج7، ص50.

[3]- ابن خلدون، مصدر سابق، ج 7، ص 63.

[4]- المصدر نفسه، ج 7، ص 65. الجدير بالذكر أن سكان المدينة وما جاورها ينطقون اسم الأغواط هكذا: لقواط وهو الاسم الدارج، حيث أن سكان المنطقة وما جاورها يقلبون الغين قافا، وهي لهجة عربية صرفة حيث تنتشر في أجزاء من شبه الجزيرة العربية مثلا في السعودية واليمن وقطر والكويت وبدو العراق. أنظر: سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي، **إبدال الحروف في اللهجات العربية**، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية، 1915، ص271-276.

[5]- ابن خلدون، مصدر سابق، ج 7، ص65. ولكن رأي ابن خلدون يبقى قابلا للمناقشة فهو قد اعتمد على روايات شفوية، وتضاربت تسمياته بين الأغواط ولقواط. أنظر: أحمد الأمين، مرجع سابق، ص 148.

[6]- مُحَّد بن يوسف الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تع وتق: المهدي بوعبدلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص 54.كما أن مُحَّد علي دبوز يرجع نسب قبيلة الأغواط إلى زناتة. دبوز، مصدر سابق، ج3، ص 229.

كتابه القول الأوسط في من حل بالمغرب الأوسط حيث سماهم بني قوط وعدهم من مغراوة وموطنهم بين الزاب وجبل راشد.[1]

أما المصادر الفرنسية وعلى رأسها جون ميليا Millia (J) صاحب كتاب الأغواط أو المدينة المحاطة بالبساتين (Lagouat ou Les maisons entourées de jardins) وأوديت بيتي Petit (O) صاحبة كتاب محاولة حول التاريخ الاجتماعي لمدينة الأغواط (Essai d'histoir social sur la ville de Laghouat) فإنها تجمع على أن اسم الأغواط مشتق من كلمة غوط أو غوطة، وجمعها أغواط أو الأغواط ،[2] وهذا الطرح يتبناه أيضا سكان المدينة بمختلف مشاربهم أي أنهم يرون أن الأغواط في أصلها جمع غوطة، [3] كما نجد الشاعر الكبير مفدي زكريا يذهب إلى نفس الرأي حين يتحدث عن مدينة الأغواط في إلياذته حيث يقول:

أبا الغوطتين يباهي الشآم * فأغواطنا بالشآم استخفا**

كـــأن حدائقه العابقات * نوافج مسك تضوعن عرفا[4]**

ولكن مفدي زكريا في هذه الأبيات لا يعدو أن قام بوصف لجنات مدينة الأغواط وبساتينها، فهي فعلا كما تبدو لزائرها مدينة حدائقها جميلة غناء تجلب الناظر إليها وتسحره بجمالها، فهو في بيتيه هاتين لم يثبت رأيا حول أصل التسمية ولم ينفه.

ولكن قطب الأئمة أطفيش الذي زار المدينة في رحلته فسر معنى الاسم بعلو وانخفاض بعض أرضها، وهو معنى مشابه لمعنى الغوط الذي يعرفه أهل الصحراء، حيث قال:

ومن بعدها الأغواط أغواط من حضر وشرق وقدما كان من أهلها القرى

تسمى لأن أرضه بعضها سفل وبعضه علا والله ما يشا يـــــرا [5]

---

[1]- أحمد بن عبد الرحمان الراشدي الشقراني، **القول الأوسط في من حل بالمغرب الأوسط**، تح: ناصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 49.

[2] -(O) Petit ,**Essai d'histoir social sur la ville de Laghouat** ,collège de Paris ,1976 ,p 20. J.Melia, op.cit. p22

[3]- بشير طلحة، مرجع سابق، ص 94. دلاسي، مرجع سابق، ص116. أحمد الأمين، مرجع سابق، ص 148.

[4]- يقصد الشاعر مفدي زكريا بالشآم غوطة الشام، أو سوريا الشهيرة بكثرة بساتينها وتنوع فاكهتها ومنتوجاتها الزراعية.

[5]- مُحَمَّد بن يوسف أطفيش قطب الأئمة، **رحلة القطب**، تح وتع: يحي بن بهون حاج مُحَمَّد، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2017، ص51.

بينما يرى دوران دولاكر أحد المهتمين بتاريخ المدينة غداة الاحتلال الفرنسي فإنه يرجع أصل تسميتها إلى طبيعة الجبال المحيطة بالمدينة، والتي تسمى الأغواط باللهجة البربرية ومعناها الجبال المسننة،[1] ولكن هذا الرأي التعريف لا يعدو كونه صادرا عن سائح مر بالمدينة دون أن يعتمد على مصدر موثوق به أو وثيقة تاريخية أو حتى رواية شفوية من سكان المدينة.[2]

من خلال دراستنا لأهم المصادر العربية والفرنسية التي تناولت اسم مدينة الأغواط بالذكر أو الدراسة نصل إلى أن المصادر العربية وخاصة عبد الرحمن بن خلدون يرجع أصل التسمية إلى قبيلة الأغواط أو بني الأغواط البربرية، خاصة حين يحدد موقعها بين منطقة الزاب (بسكرة وضواحيها)، وجبل راشد (جبل عمور)، وهو موقع مدينة الأغواط اليوم تقريبا، كما أن المدينة كانت معروفة بهذا الاسم قبل ابن خلدون، إذ ذكرها أبو عبد الله الصنهاجي الذي عاش خلال القرن الرابع الهجري ،العاشر ميلادي حين ذكر اقامة مُحَمَّد بن خزر الزناتي بها، وطلب من المنصور بالله الفاطمي أن يرسل له الخطة وأن يضرب العملة باسمه، أي أن الأغواط على هذا العهد كانت تابعة للعبيديين[3].

ففي الحين الذي وصف فيه ابن خلدون منطقة الأغواط بأنها في مكان قفر، نجده يصف تلك المناطق –توقرت والمنطقة المحصورة مابين بسكرة ورقلة– بقوله: "... ونزل الكثير منهم –يقصد قبائل زناتة– ما بين قصور الزاب ووارکلا، فاختطوا قرى كثيرة في عدوة واد ينحدر من الغرب إلى الشرق، ويشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة، والأطم قد رف عليها الشجر، ونضدت حفافيفها النخيل، وانساحت خلالها المياه وزهت بنابعها الصحراء ... وأكبر هذه الأمصار تسمى تقرت، مصر مستبحر العمران، بدوي الأحوال، كثير المياه والنخل ... "[4]، وهو ما يلقي بالشك حول نسبة أصل تسمية الأغواط إلى وفرة الحدائق والبساتين.

---

[1] -(D) Lacre ,**Visite a Laghouat** ,Alger ,1924 ,p 13.

[2]– أحمد الأمين، مرجع سابق، ص148.

[3]– الصنهاجي، مصدر سابق، ص 40، 41.

[4] – ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج 7، ص 65.

كما أن ابن الدين الأغواطي في رحلته عرف لنا الأغواط وما حولها من المدن[1] ولم يذكر أصل التسمية، لا هو ولا من سبقه من الرحالة مثل العياشي وابن ناصر الدرعي، ولعل هذا مرده لكون أن هذا الإشكال لم يكن مطروحا في زمنه.

وللتذكير فقد استوطن الإنسان منطقة الأغواط منذ العصور القديمة، وكانت على ضفاف وادي أمزي، وأن البربر (من زناتة كما سنرى لاحقا) أول من استوطنها وخاصة قبائل الأغواط التي سميت المنطقة نسبة إليهم، ومن الممكن أن التسمية البربرية "لقوط" لحقها تصحيف وتغيير عبر الزمن فحولها كتاب المصادر العربية إلى الأغواط القريبة من النطق والمعنى العربي، لأن المنطقة ما زالت تحتفظ بأسماء أماكن وأسماء أصل بربري مثل تاجموت أو تاجمعوت، تاجرونة، تيزقرارين[2]، تيمجهورت (نوع من التمر) [3] وغيرها.

وبعد وصول العرب من الهلاليين وغيرهم والسكن بها وفلاحة أرضها حدث تغير في مدلول الكلمة عبر سفرها الطويل خلال الزمن، حيث أصبح الشائع والمعروف هو تسمية الأغواط نسبة لغيطان النخيل التي كانت أعدادها تصل إلى عشرات الالاف، ومازالت موجودة بها إلا حد الان، في حين بقي الاسم الدارج "لقواط" هو المستعمل من طرف سكان المدينة وما جاورها للتعبير عن المدينة، وللطرافة فإن من خصائص سكان المنطقة هو قلب الغين قافا وهي لغة عربية وميزة تتعلق ببعض القبائل الهلالية، ما يدل على أن تغير المعنى والمدلول حدث للكلمة الدارجة مثلما حدث للكلمة الفصيحة، ولعل هذا ما استقرت عليه آراء الباحثين في أصل التسمية ومنهم الشيخ مبارك الميلي الذي يقول بعد استعراضه لرأي ابن خلدون:" والمحقق عند أهلها وأعرابها أن الهلاليين تغلبوا على أطراف مدينتهم وبها بستان يعرف اليوم باسم بني هلال.[4]

---

[1] –ابن الدين الأغواطي ، **رحلة الأغواطي**، تح : أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001 ص 87 وما بعدها.

[2] – تيزقرارين اسم الجبل الذي تتموضع فوقه مدينة الأغواط. ينظر: بشير طلحة، مرجع سابق، ص 95.علالي ، مرجع سابق، ص 27.

[3] – المرجع نفسه، ص 95.

[4] – مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر القديم والحديث**، م و ك، ب ت، ج2، ص212. أحمد الأمين، مرجع سابق، ص148-149. دلاسي، مرجع سابق، ص118-119.

2/ عين ماضي : تتموضع في سفوح جبال القعدة جنوب جبل رداد – وهي جزء من سلسلة جبال عمور ويفصل واد عين ماضي القديمة عن الجديدة، تقع ضمن إحداثيات 33 .46. 21 شمالا و 2 .01 .52 شرقا وترتفع ب 1243 مترا عن سطح البحر، وهي تبعد عن الأغواط ب 75 كلم تقريبا في الاتجاه الغربي و تقع على ربوة صغيرة ضمن سهل مجدب على بعد 24 كلم تقريبا غرب تاجموت،[1] وصفها دوماس على أنها تبدو من بعيد على شكل إهليجي كبيضة نعامة مقسومة طولا إلى نصفين[2]، وقد ورد ذكرها في الرحلات المغربية التي مرت بالمنطقة وهي مهد الطريقة التيجانية وقد اشتهرت بزاويتها العريقة، وتعتبر عين ماضي واحة تتميز بحدائقها الغناء ومائها العذب ويحيط بها سور يحميها من الهجمات الخارجية.[3]

يوجد المنبع الذي سميت عليه العين " عين ماضي" على بعد 2 كلم بالجانب الشمالي خارج الحيطان بسفح جبل يسمى المركب (جزء من جبال عمور) حيت تحل مياه العين عبر ساقية تمر بباب الساقية ومنه تصب في حوض لتنطلق لسقيا البساتين، التي يسهر على توزيع الماء عليها بعدل رجل مكلف يسمى الوقاف، ويميل مناخ عين ماضي إلى الطابع شبه الصحراوي حيث تمطر بها سنويا كمية تتراوح ما بين مائتين وأربعمائة ملم، كما أن تربتها الصخرية ونباتاتها الشوكية جعلت منها بيئة رعوية خصبة لتربية المواشي، أما عن الفلاحة فإنها تكاد تنعدم إذا ما استثنينا مجموعة البساتين المخضرة المحيطة بالمدينة ترويها الآبار والمنابع المائية، وغداة الاحتلال حوت عين ماضي على ما بين 150 و 200 بيت مبنية بالطوب أو الحجارة الصغيرة، كما حوت أربعة آبار،[4] إضافة إلى أن أزقتها ضيقة ، لا تسمح بمرور فارس على حصانه،[5] ويبدو أن عدد سكانها قد وصل –قبيل الاحتلال– إلى ما يقارب 1000 نسمة مسلحين ب 300 بندقية.[6]

---

[1] _ صيقع، مرجع سابق، 119. درياس وبوغرارة، مرجع سابق، ص11.

[2] _ دوماس، مصدر سابق، ص 53.

[3] _ مخلوف صادقي، **مراحل وأشواط من تاريخ وتراث منطقة الأغواط**، مطبعة رويغي، الأغواط ، الجزائر، 2017، ص 219.

[4] _ دوماس ، مصدر سابق، ص 55. فون مالتسان، مصدر سابق، ص225–226.

[5] _ المصدر نفسه، ص 56.

[6] _ أرنو، مصدر سابق، ص 177. ابن الدين الأغواطي، مصدر سابق، ص88.

ويصفها ليون روش Leon ROCHES الذي زارها عشية الحصار قائلا:"تبدو المدينة في شكل دائرة يحيط بها جدار يبلغ طوله خمسة عشر قدما وعرضه قدمين ونصف مجنحة بحصون صغيرة على ارتفاع الجدار بعشرة أقدام وحسبت سبع وثلاثين حصنا على شكل دائرة أهمها اثنان وهما اللذان يؤديان إلى داخل الحدائق..."[1].

وقد اختلفت النصوص وتعددت الروايات حول تأسيس عين ماضي فمنها التي تذكر أنها بقايا أثار رومانية تم ترميمها وإصلاحها، ومنها من تذهب إلى القول بأنها بقايا تعود إلى زمن الدولة العبيدية في المغرب الأوسط، حيث جاء في كتاب تحفة الزائر: "وهذا الحصن اختطه ماضي بن يقرب من أقيال العرب في المائة الخامسة لأول استلاء العرب على المغرب الأوسط في أيام العبيديين"[2].

3/ تاجموت: تقع تاجموت شمال غرب الأغواط، وفق الإحداثيات 33 .45 .39 شمالا و 2. 16 48. شرقا وترتفع ب 1028 مترا عن سطح البحر،[3]وهي تبعد عن الأغواط ب 45 كلم من جهة الغرب[4]

وتاجموت كلمة غشتولية (زناتية) معربة وأصل الكلمة Tagmout وتعني القرية الملاصقة للجبل، وتوجد في القطر الجزائري 08 قرى بنفس التسمية" تاقموت" وفي الحقيقة فإن تاجموت الأغواط توجد فوق ربوة صخرية معزولة.[5]

---

[1]- Leon ROCHES, **trente-deux ans**, **à travers l'Islam 1832-1864**, Librairie, de Firmin Didot Paris 1884, p 301.

[2]-مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر في مآثر تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، ج1 تعليق محمود حقي، ط2، دار اليقظة العربية، بيروت 1384 هـ/1964م، ص 305.

[3]_ صيقع، مرجع سابق، 112.

[4]_ مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص 217. درياس وبوغرارة، مرجع سابق، ص 12-13.

[5]_ صيقع، مرجع سابق، ص 112. عن قصر تاجموت أنظر: خديجة بوخلخال، **قصر تاجموت**، رسالة ماجيستير في الآثار الريفية الصحراوية، جامعة الجزائر، 2011، ص11-27.

يعود أصل تسميتها إلى روايات عدة، تفيد إحداها بأن ملكة بربرية أسطورية قديمة شديدة القسوة كانت تضع تاجا كلما قررت إعدام شخص ما ومنه لقبت المدينة باسمها: تاج الموت،[1]كما يعود أصل التسمية إلى " تاجنوت" وهي كلمة بربرية تعني البئر المتسعة والعميقة قليلا مع وجود الماء بها، ويقال أيضا أنه يوجد خارج أسوار القصر مقبرة محاطة بالبساتين والحدائق المحيطة متخذة شكل نصف دائري مما جعلها تعرف لدى السكان بتاجموت أم هلال،كما يرجح أن كلمة تاجموت بربرية تنقسم إلى قسمين تاج وتعني الغابة، وموت وتعني الخضراء وبهذا يصبح المعنى: الغابة الخضراء،[2] بينما ذكرها ابن الدين الأغواطي باسم تجمعوت وهو ما قد يكون نطقا بربريا لكلمة جماعة أو تجمع بالعربية.[3]

بني قصر تاجموت بالطوب المجفف على منحدر وبها حدائق جميلة تحوي نخيلا وأشجار مثمرة،[4]ويصفه دوماس بأنها قرية صغيرة تحوي 100 منزلا تقريبا تبعد حوالي 28 كلم شمال شرق عين ماضي، و40 كلم غرب الأغواط، تكون الحدائق المحيطة بها حزاما، كما أنها محاطة بسور له بابان الأول بجهة عين ماضي يسمى باب سفاين، والثاني من جهة الأغواط يسمى باب أولاد مُحَّد، [5] بينما وصفه أرنو بقوله: " لقد شيدت تاجموت على مرتفع مع حزام البساتين يلفها واد فضي يجري على رمال ناعمة بيضاء يمنح نظرة خاطفة فاتنة، وعلى الخضرة القاتمة لأشجار المشمش والخروب".[6]

حدائق تاجموت خصبة تزرع بها كل أشجار الفواكه وكذا الخضر تسقى بماء واد مزي الذي يفيض كل سنة، مع وجود منبعين واحد بالشمال والآخر بالجنوب وعلى ربوة صغيرة فوق المدينة توجد قبة مبيضة بالجير تعود لسيدي عطاء الله ،[7]ويوجد بمحاذاة المدينة بعض القصور البربرية القديمة والتي لم

---

[1]-George Hirtz, **L'algerie nomade et ksouriénne 1830-1954**, ed marseille,1989, p9.

[2]_محمود الأخضاري، **الولي سيدي عطاء الله بن العابد – تاريخ رحلة**، مطبعة رويغي، الأغواط، 2017، ص 87. درياس و بوغرارة، مرجع سابق، ص12-13.

[3]- ابن الدين الأغواطي، مصدر سابق، ص 88.

[4]_ ترومللي، مصدر سابق، ص 565_566. فون مالتسان، مصدر سابق، ص222.

[5]_ دوماس، مصدر سابق، ص 49.

[6]_ أرنو، مصدر سابق، ص 175.

[7]_ دوماس، مصدر سابق، ص 49.

يبق منها سوى الأساسات والحجارة التي بنيت بها وهي عرضة للنهب من طرف أشخاص يستعملون حجارتها للبناء.[1]

4/ الحويطة: تقع الحويطة ضمن إحداثيات 33 38 64 شمالا و 2 27 04 شرقا وترتفع ب 231 مترا عن سطح البحر، وهي تقع في الجنوب الغربي بالنسبة إلى مدينة الأغواط وتبعد عنها قرابة 30 كلم، بينما تقع على بعد 20 كلم من الجنوب الشرقي لعين ماضي، وتعني كلمة الحويطة الدائرة أو المحاطة بسور لحمايتها من اللصوص والحيوانات المفترسة،[2] ويبدو أنها كانت تفتقر للمياه وهي منطقة عبور للقبائل المتجهة نحو الشمال أو الجنوب.[3]

كانت الحويطة عبارة عن قصر مكون من 40 إلى 50 منزلا، ، والقصر مبني فوق منحدر من حيث تجري مياه عنصر الذي ينطلق من الجنوب، تلك المياه تسقي الحدائق وتترامى بعيدا بالرمال اسمها وادي الدخلة، وهي محاطة بسور صغير يكاد يسقط،[4] وقد ذكر أرنو أنهم قاموا بالإغارة عليها ضمن حملة ماري مونج سنة 1844.[5]

5/ العسافية: تبعد 12 كلم شرق الأغواط على الجهة اليسرى لواد مزي،[6] يعود أصل التسمية حسب الروايات إلى وضع رجال مسلحين كحراس (عسة) على نبع الماء،[7]جاء ذكرها في رحلات المغاربة وتقارير الفرنسيين، ووصفها أرنو بأنها قصر رائع.[8]

---

[1] _ قمت شخصيا بزيارة قصور قديمة بالقرب من تاجموت، وقد عاينت وجود معالم جنائزية بمحاذاتها، إضافة إلى تعرض القصر إلى التخريب التام، وتعرض بعض القبور إلى النبش أو التجريف.

[2] - George Hirtz, Op.cit, p8 . Eugene fromentin, **sahara et sahel** , **un été dans le sahara une anne dans le sahel**, 1887,p140.

[3] - صادقي، مرجع سابق، ص 215.

[4] _ دوماس، مصدر سابق، ص 50-51.

[5] _ أرنو، مصدر سابق، ص 178.

[6] _ صادقي، مرجع سابق، 214.

[7] _George Hirtz, Op.cit, p7.

[8] _ أرنو، مصدر سابق، ص 180.

والعسافية كما وصفها دوماس فهي قصر به 30 مسكنا تقع على سهل قريب من الأغواط ليس لها سور ولكن منازلها متلاصقة كما يوجد بها مسجد، وتتوفر على ينبوع وافر المياه، ينطلق ليسقي الحدائق وينسكب أولا في حوض، وبها نحو من 30 نخلة، ويبدو أن سكان القصر قد قطنوه بعد رحيلهم من قصر قديم مجاور، واختلف الروايات حول سبب الانتقال وإن كانت في غالبها تلفها الغموض والأساطير.[1]

6/ قصر الحيران: تبعد حوالي 20 كلم جنوب شرق الأغواط، وهي بلدة فلاحية نظرا لمرور واد مزي بالقرب منها، ويعود أصل تسميتها إلى أصول هلالية، حيث تنقسم الكلمة إلى شطرين: قصر و "الحيران" ويقصد بها جمع حوار وهو صغير الإبل، وتعود الروايات حول التسمية إلى شخصية ذياب بن غانم الذي بنى قصرا أو برجا لتوضع به صغار الإبل لحمايتها من السرقة أو الظروف الطبيعية ومن هنا جاءت تسمية قصر الحيران.[2]

وهو قصر مكون من 120 منزلا به ساحات ومطامير وهو محاط بحزام من الأسوار الهشة ولكنها مرتفعة، وحدائق قصر الحيران ليست فسيحة ولا خصبة وأشجار النخيل بها قليلة ولهذا فأراضيهم القابلة للحرث تكفي لاستهلاكهم من القمح والشعير وهي أراض مسقية بالآبار التي توجد بحذوها آبار ماء الذي يصب بالدلاء ومن ثم يسيل عبر سواقي نحو الحقول ،واد مزي يمر عبر قصر الحيران ولكنه جاف أغلب أيام السنة،[3] وقد ورد ذكره في بعض الرحلات الحجية المغربية كما وصفه أرنو بأنه قصر رائع.[4]

وإلى جانب هذه القصور الستة المهمة، يوجد قصران أصغر حجما وأقل أهمية هما قصر الخنق وقصر تاجرونة:

[1] _ دوماس، مصدر سابق، ص51- 52. صادقي، مرجع سابق، ص214-215.

[2] _ صادقي، مرجع سابق، ص215_216.

[3] _ دوماس، مصدر سابق، ص52- 53.

[4] _ أرنو، مصدر سابق، ص 180.

–قصر الخنق: يقع غرب الأغواط بحوالي 10 كلم، بني هذا القصر على ربوة كبيرة وعالية، وسمي بخنق نجفال، وهو يطل على قصر قديم آخر،[1] ويمكن اليوم الملاحظة بالعين المجردة لآثار وبقايا القصر القديم على الربوة المطلة على مدينة الخنق حيث لم يبق إلا أساسات القصر والحجارة التي بني بها.

–قصر تاجرونة: وهي قرية من 100 منزل محمية بسور علوه قدر قامة رجلين وتحوي أربعة حصون ولها باب واحد إلا أنها تبدو في حالة سيئة بالنسبة لدوماس،[2]ويعيش سكان تاجرونة على الفواكه المغروسة بحدائقهم إضافة إلى القمح الذي يجلبونه (أو يجلب لهم) من التل[3]، كما أن لهم ثروة مهمة من البقر والغنم والماعز، كما أنهم يصنعون عتاد الفرسان (مناخيس، شكائم، سرج) ويبيعونها إلى القبائل المجاورة. [4]

[1]- (E) Mangine ,**Not sur l'histoire de Laghouat** ,R. A ,1893 ,p 393 .

[2]_ دوماس، مصدر سابق، ص 66.

[3]- **التل:** مشتق من الكلمة اللاتينية Tellus وهي الأرض الزراعية، وتطلق على المنطقة المحاذية للبحر المتوسط. كاريت، مرجع سابق، ج6، ص6.

[4] _ دوماس، مصدر سابق، ص 66_67.

المبحث الثاني: النشاط البشري في منطقة الأغواط في العصور القديمة (قبل الفتح الإسلامي):

يعود الوجود البشري في المنطقة إلى عصور قديمة جدا، ويدل على ذلك مجموعة من الشواهد الأثرية والتاريخية، والتي نورد منها ما يلي:

أولا: النقوش الصخرية: إن مناخ المنطقة في الفترة القديمة وكثافة غطائها النباتي وكثرة المسطحات المائية بها يدل على وجود نشاط بشري كبير، حيث توفرت النباتات والحيوانات الوحشية منها والقابلة للاستئناس، مما وفر بيئة مناسبة للإنسان.

إن الصحراء خلال فترة ما قبل التاريخ لم تكن منطقة جافة كما هي عليه الآن، وهذا ما تدل عليه الرسوم الصخرية من وجود حيوانات استوائية أو حيوانات منطقة السافانا بالمنطقة،[1] وتوجد هذه الرسومات في محطات تقع على ضفاف الأودية أو بالقرب من منابع المياه وفي أماكن عالية وصعبة المسالك، فقد وجد في المنطقة عظام لحيوان وحيد القرن، في حين وجدت نقوش لفيلة وأسود (محطة الرميلية) وأحصنة، والجاموس القديم كبير الجثة، ونقوش بقريات بأسفل واد بخداش، وفي نفس المنطقة نقش لنعامة،[2] إضافة إلى نقوش لوحيد القرن، البقريات، الكبش، الظباء.[3]

كما وجدت بمنطقة سيدي مخلوف شمال الأغواط محطة الحصباية الأثرية التي صنفها الباحث الفرنسي هنري لوت كأحسن محطة في الأطلس الصحراوي حيث يبلغ علو الواجهة الصخرية المنقوشة حوالي 15م وعرضها حوالي 17م،[4]كما توجد أشكال هندسية ورموز بمنطقة الحصباية وأخرى بقارة الحمام وهي أشبه ما تكون بالكتابة.[5]

---

[1]- دو فيلاري، مصدر سابق، ص59-61. مُحَمَّد الصغير غانم، **مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم**، دار الهدى، الجزائر، 2010، ج2، ص 58 ،61.

[2]- دو فيلاري، مصدر سابق، ص48 ، 50. صادقي، مرجع سابق، ص17، 19.

[3]- أحمد حمدي، **دراسة أثرية لنقوش صخرية بمنطقة جبل عمور**، رسالة ماجيستير غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2012، ص70- 77.

[4] -Henri Lhote, **Les Gravures rupestres de l'atlas saharien monts des Ouled–Nail et région Djelfa**, parc national du Tassili, 1984, p 156 ,233 ,.266 .

[5]- صادقي، مرجع سابق، ص 23.

بدأت البعثات الاستكشافية الفرنسية في اكتشاف الصحراء الجزائرية منذ سنة 1847 على يد الدكتور جاكوا برفقة النقيب كويمن وقد وصلت بعثتهما إلى تيوت ومغرار التحتاني، بينما واصل الجنرال كوفينياك أعماله بمنطقة الأطلس الصحراوي، وأشار تقريره إلى وجود نقوش لحيوانات مثل الفيلة والجواميس الضخمة، لتتوالى الاكتشافات سنة 1862 حيث اكتشف الباحث بومال محطة وادي تورين، ثم يأتي دور أرنو arnaud الذي اكتشف موقع "صفية المكتوبة"، لتأتي سنة 1890 باكتشاف محطة تاويالة، وفي سنة 1892 يكتشف الباحث فلاموند flamand حواي 20 محطة خلال أبحاثه في الطلس الصحراوي، وفي سنة 1897 اكتشف النقيب جوني نقوشا بمنطقة ثنية الخروبة أما في سنة 1980 فقام الباحث هنري لوت باكتشاف منطقة الحصباية في سيدي مخلوف، في حين اكتشفت جمعية قرن عريف[1] محطة صخرية بمنطقة تاوزازة (بريدة) [2]. [3]

1/ **أهم محطات الفن الصخري:** تزخر منطقة الأغواط بأكثر من 30 محطة للرسومات الصخرية، موزعة على هضبات الميلق، سيدي مخلوف، تاجرونة، تاجموت، الغيشة، تاويالة، الركوسة، الحويطة والتي يعود جزء منها إلى العصر الحجري القديم، وكلها تدل على أن أثر الإنسان كان في المنطقة منذ 6 آلاف سنة ق.م،[4] كما لاتزال بعض الشواهد حول المدينة من بقايا العصر الحجري الحديث (من 9 الاف إلى 6 آلاف سنة ق.م) والتي ما تزال تحافظ على مخلفات إنسان ماقبل التاريخ.[5]

[1]– قامت جمعية قرن عريف منذ سنوات التسعينات بنشاط مهم نتج عنه سنة 2004 اكتشاف محطات : فيجة السبع، كاف الرمل، الفرشة، بوزرطالة، والتي كانت موضوع بحث ورسالة تخرج الأستاذ الباحث في آثار ما قبل وفجر التاريخ. انظر: حمدي، **الفن الصخري**...، مرجع سابق، ص629.

[2]– أبركان كريم وبلقاسمي، **أسس أولى أبحاث ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا منطقة الجلفة أنموذجا**، مجلة آثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ديسمبر 2016، ص23-25.

[3] -Ginette Aumassip, **Trésors de l'Atlas**, Alger, Entreprise nationale du livre,1986, p 123.

[4]– سليم نجاعي، **الأغواط**، وزارة الثقافة، 2011، ص18. كمال إبراهيمي، **تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر**، تر: مُحَمَّد البشير شنيتي ورشيد بورويبة، ش و ن ت ، الجزائر، 1984، ص92.

[5]– لبتر، مرجع سابق، ص 29.حمدي، **الفن الصخري**...، مرجع سابق، ص640.

محطة عين صفيصيفة : من أهم المحطات حيث اكتشف بها نقوش تعبر عن فيلة وصغيرها حيث تقوم بحمايته من فهد متربص وقد اختيرت هذه الواجهة كرمز لحماية الطفولة من طرف اليونيسيف.[1]

محطة الحمرة: وتتضمن نقوشا لثيران متبارزة.[2]

محطات الفرشة، كاف الرمل: [3] في منطقة بريدة شمالي الأغواط، وهي عبارة عن ثور عتيق يتميز بوجود حلقات بالقرون أسفل منه، وتمثيل للإنسان، في مشهد يؤكد ما جاء به العديد من الباحثين في تقديس إنسان المنطقة لهذا الحيوان.[4]

محطة الحصباية: تقع في سيدي مخلوف، وتوجد بها حوالي 8 محطات أثرية تعود إلى 4000 سنة ق.م ومن أهم محطات الحصباية الرميلية التي توجد بها نقوشات ورسومات تعود إلى ماقبل التاريخ بالإضافة إلى رسومات يعود تاريخها إلى ما بين 7000 ق.م و10000 ق.م.[5]

محطة الرميلية: تقع في سيدي مخلوف تحوي مجموعة من النقوش تمثل: الأسود، الغزال، الزرافة، الفيلة، وهي على بعد 6 كلم من سيدي مخلوف، واكتشفت أول مرة سنة 1974 وأخضعت لدراسة أثرية تاريخية.[6]

محطة فيجة السبع: وتقع في منطقة الغيشة شمال غرب الأغواط، ويوجد بها الرمز الشهير للفيلة التي تحتضن صغيرها وتحميه من هجوم فهد، والذي اتخذت منه منظمة حماية الطفولة (اليونيسيف) رمزا لها، وهي عبارة عن كتلة صخرية كبيرة الحجم يصل عرضها إلى 5م وارتفاعها إلى 5م، كما توجد بها رسومات أخرى.[7]

---

[1].- Ginette Aumassip,op cit, p116 .

[2] - ibid, p 117.

[3]- ibid, p 125.

[4]- حمدي، **دراسة**..، مرجع سابق، ص 44. ناصر مجاهد ، مرجع سابق، ص74.

[5]- دو فيلاري، مصدر سابق، ص67. سليم نجاعي، مرجع سابق، ص 13-14.

[6]- نجاعي، ص 15-16. ناصر مجاهد، مرجع سابق، ص 66-67. حمدي، **دراسة**...، مرجع سابق، ص 60.

[7]- ناصر مجاهد، مرجع سابق، ص 74.

خرجت الحمام (قارة الحمام)1: يوجد بها رسم لوحيد القرن ، خرجت الحمام2: رسم لنعامة وشكل بقري.[1]

والملاحظ أنه في محيط مدينة الأغواط (المقصود الجبال المحيطة بها) ينعدم فيها –إلى حد الآن– كشوفات عن رسوم صخرية كما تنعدم في الجهة الجنوبية ، في حين تظهر هذه الرسوم في الشمال الشرقي (سيدي مخلوف) والشمال الغربي (تاجموت) القريبتان من مدينة الأغواط (تبعدان حوالي 30 كلم) أو في الجهة الشمالية (الغيشة ومحطات جبال العمور) والتي تبعد أكثر من 120 كلم، وهو ما يؤكد أن الوجود البشري المستقر اقتصر على الجبال التي هي جزء من سلسلة الأطلس الصحراوي في حين أن موقع مدينة الأغواط المنبسط جعلها عبارة عن حلقة وصل ومعبرا للهجرات من الشمال إلى الجنوب أو العكس.

2/ دلالات وجود النقوش الصخرية بالمنطقة:

أ)الدلالات الطبيعية: كان يسود المنطقة مناخ رطب مع غطاء نباتي كثيف، وهو ما يدل عليه وجود رسومات لحيوانات استوائية أو حيوانات منطقة السافانا مثل الزرافات والفيلة والبقريات بأنواعها والحيوانات المفترسة، وهو ما يعني تعرض المنطقة لتغير مناخي كبير أثر على النشاط البشري والغطاء النباتي والحيواني.[2]

ب) دلالات اقتصادية–اجتماعية: يتضح من خلال الرسومات الصخرية نوعية النشاطات الاقتصادية التي مارسها إنسان هذا المنطقة مثل الجمع والالتقاط والصيد والزراعة واستئناس الحيوانات، مما جعله ينتقل من مرحلة التنقل بغية الجمع والصيد إلى مرحلة الاستقرار بغية الزراعة وتربية الحيوانات.[3]

---

[1]– حمدي، **دراسة**...، مرجع سابق، ص 24 ،60.

[2]– دوفيلاري، مصدر سابق، ص59–61.حمدي، **الفن الصخري**...، مرجع سابق، ص631. عمار عمورة، **الجزائر بوابة التاريخ**، دار المعرفة الجزائر، 2009، ج1، ص9.

[3]– مُحَّد الصغير غانم، **مقالات وآراء** ..، ص 168. حمدي، **الفن الصخري**...، مرجع سابق، ص631–632.

كما أن وجود النقوش في مناطق الكهوف والمغارات ومناطق صعبة المسالك يدل على استقراره في مناطق محمية بعيدة عن أخطار الطبيعة خصوصا الحيوانات المفترسة، ومن خلال رسوماته يظهر تمييزه بين الحيوانات الأليفة والمفترسة وملاحظته للبيئة المحيطة به مما يدل على استقرار فعلي وشبه دائم.

ج) الدلالات الدينية: يظهر من خلال صورة الكبش المنقوشة الذي يحمل بين قرنيه دائرة تشير إلى قرص الشمس ما يدل على تقديس الإنسان في المنطقة للكبش وهو شبيه بتقديس المصريين للإله آمون، مما يعطي دلالة على ما يشبه " الوحدة الدينية" التي تربط إنسان المنطقة مع المجموعات البشرية في أغلب شمال إفريقيا بما فيها الواحات المصرية. [1]

إن الفن الصخري في الأغواط يعبر عن حالة المنطقة الطبيعية خصوصا الغطاء النباتي وأنواع الحيوانات كما تعبر عن النشاطات البشرية الاقتصادية (المعيشية) والاجتماعية (الاستقرار) والدينية (تقديس الطبيعة) كما يعبر بصورة صادقة عن الحياة اليومية لإنسان المنطقة في العصور القديمة .

ثانيا: المعالم الجنائزية واللقى الأثرية: تعد المنطقة من بين المواقع الممتدة عبر سلسة جبال الأطلس الصحراوي والتي مرت بجميع الفترات التاريخية، بداية من ما قبل التاريخ والتي تشهد عليها الرسومات والمغارات وبقايا الصناعات الحجرية التي تعود إلى العصر الحجري الحديث، وهذا ما يفسر وجود مجموعة من القبور والمعالم الجنائزية، يسميها السكان المحليون بـ: قبور الجاهلية، أو الجهال، أو قبور بني سفاو (أي المغطاة بالرمال) أو الجدر أو لجدار [2]، كما تعرف المعالم الجنائزية باسم: الهنشير وهي كلمة ذات أصل بربري وتعني كومة الحجارة، وهي تتنوع من حيث الشكل والحجم والصنف، بعضها عبارة عن ركام يشبه الهرم الصغير، وبعضها دائري الشكل، ويطرح السؤال حول وظيفتها هل هي بقايا مساكن أم هي قبور. [3]

---

[1]- مُحَّد الصغير غانم، **معالم التواجد الفنيقي البوني**، دار الهدى، 2003، ص252. حمدي، **الفن الصخري...**، مرجع سابق، ص631.

[2]- دوفيلاري، مصدر سابق، ص59-61. صادقي، مرجع سابق، ص 24.

[3]- عزيز طارق ساحد، **التعمير البشري في بلاد المغرب في فترة فجر التاريخ نموذج المعالم الجنائزية بمناطق الأوراس**، رسالة دكتوراه في آثار فجر ما قبل التاريخ، جامعة الجزائر، 2009، ص 535-536. صادقي، مرجع سابق، ص 24.

ورغم كون منطقة الأغواط من بين المناطق التي تحوي الكثير من المعالم الجنائزية إلا أنها لم تخضع للاكتشاف والدراسة والبحث بشكل كاف، ولا توجد أبحاث عنها سوى ما جاء به pothier عن موقع تيلغمت الواقع في الجنوب، بالإضافة إلى الحفريات التي أجريت في المنطقة ابتداء من سنة 2000 ومن أهم مواقعها: الحويطة، الميلق، عين الركوسة، تاجموت، بريدة، والوديان التي تتخلل جبال العمور، وبين سنوات 2005 إلى 2008 تم القيام بأعمال بحث اكتشفت من خلالها مواقع عديدة وجديدة بمنطقة الأغواط بجيل الميلق، والحويطة، وواد مزي ،سيدي مخلوف ، تاجموت، تاجرونة، الغيشة، والتي لم يشر إليها الباحثون من قبل رغم أهميتها خصوصا من جانب توزيعها ونظامها المعماري[1] والملاحظ أنه منذ سنة 2005 زاد اهتمام طلبة الآثار من مختلف الجامعات بالمنطقة عن طريق القيام بحفريات ودراسات معمقة في الميدان مما أدى إلى اكتشافات جديدة.[2]

ويوجد بمنطقة الأغواط حوالي 750 معلم جنائزي، 94 منها بمنطقة الميلق وحدها، أغلبها من نوع تميلوس والبازينات أما الدولمان فنادر جدا،[3] ، وهي عبارة عن تلال صغيرة مكونة من التربة والحجارة ودوائر من الحجارة البسيطة أو المتراكمة وفراغات دائرية مبلطة، تشكل غرفة جنائزية، بداية من طريقة التومولوس ثم تطورت إلى البازينات وهي عبارة عن تلال تومولوس تكسوها حجارة من الخارج، كما توجد طريقة الدولمان وهي صروح أكثر تعقيدا مكونة من ألواح حجرية قائمة تشكل حجرة مستطيلة يسقفها لوح حجري أفقي، وتكون المصاطب مغروسة في الأرض بعمق مختلف كما تكون موضوعة على أعلى صفوف من الحجارة الثابتة، وتعكس هذه الصروح الجنائزية الطرق التي كان يدفن بها إنسان ما قبل التاريخ وقد كانت طرق الدفن متنوعة، حيث توضع الجثة مطوية على الجنب أو الظهر، وكان لإنسان فجر التاريخ اهتمام بحاجات الميت حيث توضع إلى جانبه لوازمه وأدواته التي كان يستعملها في حياته.[4]

---

[1]- عزيز طارق ساحد، **الدلالات الرمزية للدفن في المجتمع الجزائري خلال فترة فجر التاريخ**، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، ع6، أفريل2014، ص64.

[2]- عطاء الله طريف، **الأغواط موطن السواقي والزوايا**، جريدة الشعب، 2011/09/07.

[3]- خليفة بن عمارة، مرجع سابق، ص19-22. للمزيد حول التيميلوس والبازينات والدولمان أنظر: دوفيلاري، مصدر سابق، ص70-72. أنظر الملحق رقم 01.

[4]- دوفيلاري، مصدر سابق، ص 72.

ثالثا: القصور البربرية: تنتشر في المنطقة مجموعة من القصور البربرية القديمة، ويمكن التمييز بينها وبين قصور الفترة الوسيطة بحالتها المعمارية، حيث أن أغلب القصور البربرية تهدمت ولم يبق منها سوى الأساسات مع أكوام من الحجارة المتناثرة حول محيط هذا القصور، وجدير بالذكر أن المنطقة كانت ضمن مجال قبائل الجيتول، حيث كان يطلق على الأجزاء الجنوبية للهضاب العليا اسم جيتولي (getulle) بخلاف الجبهة الشمالية التي يطلق عليها اسم نوميديا، ومن هنا فإن الأغواط جزء من جيتوليا.[1]

لقد أورد سترابون تعريفا ديموغرافيا خص به سكان المغرب القديم: الجيتول، حيث حدد بلادهم على أنها محاذية لبلاد التل الزراعية من الجهة الجنوبية وأنها كانت تضم مرتفعات سماها جبال جيتولي وهي جبال الأطلس الصحراوي في تقدير الباحثين، ووصف سترابون رحل الجيتول بأنهم يشبهون كثيرا العرب البدو في عاداتهم وأخلاقهم وملابسهم ومعيشتهم وتعدد زوجاتهم وكثرة أطفالهم، فهم يعيشون على منتجات قطعان ماشيتهم التي يربونها بأعداد كبيرة، ومناطقهم هي المناطق الرعوية على سفوح الأطلس الصحراوي من جبال القصور إلى جبال أولاد نايل مرورا بجبال العمور، حيث يمارس أهلها تربية الماشية مع الترحال في حركة موسمية اعتيادية.[2]

توجد بمنطقة الأغواط آثار لحوالي 40 يعتقد أن بعضها ذو أصلي بربري زناتي منها: قصر الرومية، قاعة الصبيان، بكمة، قليتات، الهمام، سكلافة، سبرقادة، أوزداجا، تامدا، بارباب، القليل، غرداية(تاويالة)، [3]وقد شيدت القصور البربرية والتي هي عبارة عن قرى تقليدية صغيرة بالأماكن المرتفعة وعلى مقربة من عيون الماء وعلى ضفاف الأودية، وهي اختيارات تدل على الحاجة إلى الماء والكلأ والحماية من الأخطار الخارجية طبيعية كانت أم بشرية.

---

[1] – صيقع، مرجع سابق، ص17. أنظر أيضا: علالي، مرجع سابق، ص 29. بن عمارة خليفة، مرجع سابق، ص27. بشير طلحة، مرجع سابق، ص 98.

[2] – دوفيلاري، مصدر سابق، ص 63-64.حفناوي بعلي، **صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحة وفي الكتابات الغربية**، دروب للنشر والتوزيع، 2016، ص30. شنيتي مُحَمَّد البشير، **التوسع الزراعي الروماني وظاهرة البداوة في الجزائر**، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، ع2، 1986، ص11.بن عمارة خليفة، مرجع سابق، ص 27.

[3] – طريف، مرجع سابق، .وقد وقفت بنفسي على آثار قصرين بربرين غير بعيدين عن مدينة تاجموت الحالية، ولم يتبق منهما سوى الأساسات والحجارة المكومة أو المتناثرة، إلى جانب محاذاتهما لمقابر ومعالم جنائزية قديمة.

تعد قصور المنطقة الصحراوية من الشواهد المعمارية التي تميزها، حيث شكلت حواضن للنشاط البشري الاقتصادي والاجتماعي، وهي نتيجة لتكيف إنسان المنطقة القديم مع بيئته واستجابته لتحديات التغذية والحماية، [1]وهي تتميز بوقوعها على قمم الجبال والتلال وعلى سفوحها، أو على هضبات صخرية تسهل عملية الدفاع عنها، وتمكن من استغلال عنصر المياه وتوزيعه بطريقة محكمة مضبوطة إلى جانب ارتباطها بالجانب الفلاحي لهذا فهي تقع بجانب أراض صالحة للزراعة.[2]

رابعا: آثار الوجود الروماني: من بين أهم المكتشفات الأثرية التي تبين وصول الرومان إلى مشارف منطقة الأغواط هي الصخرة المكتشفة في منطقة "أقناب" في بلدية الحاج المشري شمال الأغواط والتي تم نقلها إلى الحديقة العمومية بأفلو، والتي قام بترجمتها البروفيسور مصطفى فيلاح إلى العربية، وهي مؤرخة في جوان 174م وجاء فيها أن القائد كاتوليوس قائد المائة رجل في الفرقة الثالثة قد حقق أمنيته حيث رقي من رتبة قائد عشر جنود إلى قائد مائة رجل ويقول أنه نحت مجموعة من تماثيل الأسود على شرف حامي قمة جبل ثازون وعلى شرف الروح النقية ذكرا كانت أم أنثى وقام بنقش هذه الكتابة في عهد قنصلية فلاكوس وقالوس.[3]

ومن بين الآثار المكتشفة قلادة رومانية من البرونز عثر عليها بمدينة الأغواط سنة 1857 قرب برج موران، عثر عليها أحد الأطباء الفرنسيين ويسمى مالفير [4] mallifer وهو ما يدل على وصول التأثير الروماني رغم أنه لا يعطينا دلالة واضحة على النفوذ السياسي المباشر،[5] حيث من المعروف أن الرومان قد وصلوا إلى مشارف الأغواط وكانت حدودهم هي سلسلة الأطلس الصحراوي وهو ما يدل عليه وجود آثار خط الليمس الروماني في مناطق قريبة من الأغواط مثل منطقة دمد قرب مسعد

[1]- يمينة بن صغير حضري، **القصور الصحراوية صورة للابداع الهندسي**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع 15، 2011، ص136.

[2]- حملاوي علي، **نماذج من قصور منطقة الأغواط دراسة تاريخية وأثرية**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص15،18.

[3]- دوفيلاري، مصدر سابق، ص 78. نورين عبد القادر، **اكتشاف آثار تؤرخ لوصول الرومان إلى الأغواط**، جريدة الخبر اليومي ، 2009/06/16.ناصر مجاهد، مرجع سابق، ص48-49.

[4] - MANGIN , OP.CIT, P 318.

[5]- طلحة، مرجع سابق، ص 99 .بوخلخال، مرجع سابق، ص 5.

جنوب ولاية الجلفة حاليا، وهو ما يعني اقتراب الرومان من الأغواط مسافة 30 ميلا حيث كانت ضمن مجال القبائل المتمردة آنذاك والخارجة عن السيطرة الرومانية.[1]

وقد احتلت منطقة الاغواط مكانة مميزة منذ القدم، بحيث شكل موقعها الجغرافي محورا رئيسيا لحركة تجارية كبيرة ومهمة، كان السبب الرئيسي فيها امتداد مسالك من وإلى هذه المنطقة، والأكيد أن شبكة الطرق تلك لم تكن وليدة العصر الوسيط، فقد ارتبط شقها منذ العهد الروماني بشكل أساسي بالحالة العسكرية[2]، حيث مهدت للرومان مد جذورها الاستعمارية باتجاه أقصى الصحراء خاصة في ظل سعي الرومان لإخضاع القبائل البعيدة عن نفوذها، هذا الجدار العسكري الذي أطلق عليه اسم " الليمس" والذي سيكون له دور بارز في رسم معالم التقسيم الإداري للمغرب القديم خلال العهد الروماني و حتى خلال العصر البيزنطي[3].

ويرى الأستاذ مُحَّد البشير شنيتي بأن شبكة الطرق والمواصلات بالأخص نحو الصحراء قد عرفت قبل الاحتلال الروماني للجزائر، إذ يكفي إلقاء نظرة عابرة على شبكات الطرق قديمة بالأخص التي تخترق مرتفعات الأوراس والحضنة والتيطري والونشريس، والتي نجد أنها قامت على معابر القوافل بين الجنوب والشمال أي بين الصحراء والتل[4]، إن مراحل حركة الرومان خلال محاولاتهم ضبط القبائل البربرية، لمنعها من التحرك نحو الشمال، وكذا الضغط على أي انتفاضة محتملة، تؤكد على سلوك الكثير من الدروب القديمة، حيث تم توسعتها فيما بعد على حساب حاجات الجيوش للمدد العسكري، المادي، أو لاستغلاله فيما بعد لأغراض أكثر أهمية، ألا وهو الجانب الاقتصادي، والراجح أن المسالك الممتدة لمنطقة الاغواط قد تم شقها خلال عهد سبتميوس سيفيروس(193-211م)، هذا الأخير يكون قد واصل شق الكثير من المسالك بعدما توقفت حركة مد الطرق بسبب ثورة المور بحسب رواية بوزانياس (pausanias)، وكان من بين أهداف الامبرواطور سبتميوس إعطاء دفع

---

[1]- دو فيلاري، مصدر سابق، ص76-77. مبارك الميلي، مصدر سابق، ج1، ص 257. مُحَّد تيكيالين، **التواجد الروماني في الصحراء بين الاستراتيجية الدفاعية والمصالح الاقتصادية**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، نوفمبر 2011، جامعة غرداية، ص 106.

[2]- مُحَّد البشير شنيتي، **أضواء على تاريخ الجزائر القديم**، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 117.

[3]- مُحَّد تيكيالين، مرجع سابق، ص 108-109خليفة بن عمارة، مرجع سابق، ص 33.

[4]- مُحَّد البشير شنيتي، **أضواء**..، مرجع سابق، ص 119.

جديد لحركة الاستيطان، وكذا السيطرة على امتدادات الحركة التجارية في مفترق الطرق بين إفريقيا والصحراء عند غدامس[1].

إن أول إشارة لمنطقة الاغواط وما جاورها جاء خلال الحديث عن نقل مسالك التجارة التي تربط الصحراء بإفريقيا باتجاه مرتفعات أولاد نايل، وهذا عند تأسيس قلعة ديميدي (Castillum Dimmidi) حوالي السنة 201م[2]، هذا التحول المميز يكون قد مهد لتغيير جذري في قيمة الجنوب، خاصة وأن تعزيز وجود الرومان بالجنوب قد قوى الدور التجاري لمنطقة الجلفة–الاغواط والمناطق الواقعة غرب الحضنة ، أي جبهة الجنوب النوميدي–الموريطاني، والتي تقع فيه منطقة الاغواط وكل القصور والقرى التابعة لها.[3]

وقد أشار ابن الدين الأغواطي في رحلته إلى وجود آثار بلدة قديمة شرقي الأغواط كان أمراؤها مسيحيون وهو ما يدل على وجود آثار رومانية قديمة آنذاك،[4]كما أشار القس دو فيلاري إلى وجود آثار رومانية في حدود منطقة الأغواط مثل انثيلة والفج وتعظميت.[5]

[1]– محمد تيكيالين، مرجع سابق، ص 108.

[2]– محمد البشير شنيتي، **أضواء** ..، مرجع سابق، ص 123.

[3]– محمد تيكيالين، مرجع سابق، ص110-111.

[4]–ولعله يقصد الآثار التي توجد بمنطقة الفج قريبا من الأغواط، أو ربما يقصد آثار دمد في منطقة مسعد. أنظر: ابن الدين الأغواطي، مصدر سابق، ص87 . وقد تطرق القس دوفيلاري المعروف بالقس عبد الرحمان إلى هذه الآثار أيضا . أنظر: دو فيلاري، مصدر سابق، ص78.

[5]– دو فيلاري، مصدر سابق، ص86.

المبحث الثالث : منطقة الأغواط في الفترة الوسيطة: المجال الزناتي (البربري) والهجرة الهلالية (العربية):

إن الملاحظ بالنسبة المصادر الوسيطة هو سكوتها عن بيان التوطين البشري للأغواط خلال القرنين الأول و الثاني للهجرة، بحيث تنعدم لدينا المعلومات عن المجموعات المحلية القبلية والمذهبية التي استقرت بالمنطقة، لكن الأكيد أن مواصفات المنطقة ككل وموقعها وجغرافيتها البشرية ترجح أن سكان المنطقة كانوا على الأغلب من بطون وأفخاذ قبيلة زناتة التي اشتهرت بالميل إلى النجعة و الترحال بعيدا بحيواناتهم وخيامهم عن المراكز الحضرية في الشمال، ثم حلت العناصر الهلالية بكل تشكيلاتها وفروعها لتحل في المجال الزناتي وتطبعه بطابعها الخاص، ولكن هذا التحول لم يحدث فجأة بل احتاج قرونا عديدة ليصل إلى صورته النهائية .

أولا: منطقة الأغواط مع بداية الفتح الإسلامي (المجال الزناتي) : تعد قبيلة زناتة من القبائل المغربية العريقة و التي كانت لها مساحة انتشار واسعة في بلاد المغرب ابتداء من المغرب الأدنى و انتهاء بالمغرب الأقصى ، مما جعل دورها في الأحداث السياسية دورا كبيرا و فعالا لاسيما تبنيها لمذهب الخوارج أو موقفها من الصراع الفاطمي و الأموي أو مواجهتها للقبائل البربرية المناوئة لها خصوصا صراعها المرير مع صنهاجة.

يشير ابن خلدون في حديثه عن توزع القبائل الزناتية ، إلى انتشارها الواسع فيذكر مواطنهم الموجودة في سائر مواطن البربر بإفريقية و المغرب[1] ، لكنه يربط و بكل وضوح بين زناتة و المغرب الأوسط الذي كان ديارا لها[2] ، حتى أنه ينسب إليهم ، ويعرف بهم فيقال المغرب الأوسط موطن زناتة[3] ، فالمغرب الأوسط عنده عبارة عن كتلة جغرافية تدل على المواطن التي تستقر فيها القبائل الزناتية ،

[1]– عبد الرحمان ابن خلدون، **كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، 1983م ، ج 6 ، ص04.

[2]– المصدر نفسه ، ج6 ، ص203.

[3] –ابن خلدون، العبر، ج7، ص04.أنظر أيضا: مُحَمَّد بن عميرة، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م، ص18. يوسف إبراهيم سنوسي ، **زناتة والخلافة الفاطمية**، مكتبة سعيد رأفت، مصر، 1986، ص 57. أنظر الملحق رقم: 02.

وهو الممتد من وادي ملوية غربا إلى وادي شلف و الزاب شرقا ، ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تاهرت جنوبا [1].

و يؤكد ابن خلدون على أولية زناتة بإفريقية و المغرب ، فهي مساوية لأولية البربر منذ أحقاب متطاولة لا يعلم مبدأها إلا الله تعالى[2] ،كما يلمح أيضا إلى افتراق رئاسة البربر في شعوبهم ، بعد فرار الفرنجة من المغرب ، مبينا أن زناتة في ذلك الوقت من أعظم قبائل البربر و أكثرها جمعا وبطونا[3]، و يبدو أن بعض القبائل الزناتية قد حالفها الحظ في إنشاء إمارات محلية مستقلة ، خلال العهدين الوندالي و البيزنطي[4] .

كما تعددت الروايات التاريخية عن أصل قبائل زناتة العريقة في بلاد المغرب ، إلا أن هذه الروايات تختلف في نسب زناتة فمنهم من يؤكد أن نسب زناتة يعود إلى العرب فذهب كل من المازوزي و ابن أبي زرع و صاحب الذخيرة السنية ، إذ أكدوا أن قبيلة زناتة يعود أصلها إلى بر بن قيس بن عيلان الذي نزح من نجد إلى ديار أخواله البربر[5]، أما القسم الثاني من المؤرخين كالبلاذري و ابن حزم و ابن خلدون فقد أنكروا على زناتة نسبها العربي و نفوا ذلك ، و أكدوا أن نسب زناتة ينحدر إلى حام بن نوح و بالتالي فهي من القبائل الحامية بإفريقية[6].

وقد تمكن بعض بطون زناتة من تسلق مراتب الملك قبيل الفتح الإسلامي ، حيث كانت الكثرة و الرئاسة في زناتة قبل الإسلام لجراوة ثم مغراوة و بني يفرن و خلال حديثه عن انتقال الملك داخل

[1] ابن خلدون، **العبر** ،ج 6، ص04. عبد العزيز فيلالي، **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط** ، دار الهدى ، عين مليلة ، 2014م ، ص 11. سنوسي، مرجع سابق، ص 58. خليفة بن عمارة، مرجع سابق، ص 38.

[2] –ابن خلدون ، **العبر**، ج7، ص14. يرجح مُحَمَّد بن عميرة وجود اسم زناتة بالمغرب إلى العهد الروماني. أنظر: بن عميرة ، مرجع سابق، ص15.

[3] –ابن خلدون ، **العبر**، ج7، ص17.

[4] –الفيلالي، مرجع سابق ، ص14.

[5] –مُحَمَّد عبد الله المعموري و أحمد جاسم محيميد ، **قبيلة زناتة و أثرها في حركة الخوارج في المغرب العربي**، مجلة كلية التربية الأساسية لعلوم التربوية و الإنسانية ، جامعة بابل ، ع23، أكتوبر 2015،، ص02

[6] –المعموري ومحيميد، المرجع السابق ، ص02.للمزيد حول زناتة أنظر: يحي بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تق وتح وتع: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1980، ص178-181. عمار عمورة، مرجع سابق، ج1، ص15.

الأمة من جيل إلى جيل يصف مغراوة بالملك الأول،[1] و أنهم أوسع بطون زناتة و أهل بأس ، ولمغراوة شعوب وبطون كثيرة مثل بني يلنت و بني زنداك و بني وراق و ورتزمير و بني أبي سعيد و بني رسيفان ولغواط و بني ريغة و غيرهم[2].

و كانت محلاتهم بأرض المغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان إلى جبل مديونة وما إليها [3]، ليكون وادي شلف قرار عزهم ومنشأ جيلهم ومركزهم الأول[4] ، بل كان نزول آجانا وهو أبو زناتة بوادي شلف[5] ،و منطقة شلف هي قلب بلاد مغراوة لكن امتدادهم يمتد إلى الهضاب العليا و الصحراء ، ومن أفخاذهم الأغواط ، و الريغا المقيمون في وادي ريغ[6]، وبنو سنجاس وبنو زنداك وبنو ورا، وبنو ورسيغان، وبنو خزر أو خزرون، الذين كانت لهم رئاسة مغراوة. [7]

و بذلك كان المغرب الأوسط موطنا للكثير من القبائل الزناتية من جهة و رهين حكم بعض بطونها من جهة ثانية ،و ربما هذا ما يفسر ربط و مطابقة ابن خلدون بين المغرب الأوسط وزناتة في رسم الملمح الاجتماعي و السياسي و الجغرافي للمغرب الأوسط خلال القرن الثاني للهجرة.

أما اللغة فيعتقد بعض الباحثين أن اللغة البربرية هي اللغة التي كانت سائدة في منطقة المغرب منذ عهود بعيدة و يجعل ابن خلدون شعار زناتة و ميزاتهم بين البربر اللغة، التي يتراطنون بها ،فهي مشتهرة بنوعها بسائر برطانة البربر[8] ، إذ تختلف اللهجات الزناتية عن باقي اللهجات البربرية [9]،والتي تعود في

---

[1] -ابن خلدون ، **المقدمة** ، ص145.

[2] -ابن خلدون ، **العبر**، ج7، ص50. مُحَّد بن يوسف الزياني، ص 53-54. يوسف بن بكير الحاج سعيد، مرجع سابق، ص14.

[3] - ابن خلدون، **العبر**، ج7، ص50.

[4] - المصدر نفسه، ج7، ص 130-131.

[5] - نفسه، ج6، ص183.

[6] - إيميل فيليكس غوتييه ، **ماضي شمال افريقيا** ، تر: هاشم الحسيني، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010، ص 211-212

[7] - ابن خلدون، العبر، ج6، ص91. أنظر أيضا: سنوسي، مرجع سابق، ص 60. أنظر الملحق رقم: 02.

[8] - ابن خلدون ، العبر ، ج6، ص03. بن عميرة ، المرجع السابق ، 24.

[9] - بن عميرة ، مرجع سابق ، ص25. بوزياني الدراجي، **القبائل الامازيغية**، دار الكتاب العربي، الجزائر،2007، ج1، ص 256.

أصولها إلى السامية لما لها من خصائص مشتركة مع اللغة العربية[1] ، ويحلل ابن خلدون سبب إهمال كتابة و تقييد أحداث القبائل الزناتية وما كان لهم في محاربة الأحياء و القبائل لغلبة الخط العربي ، فالكتابة و الخط بلغة الدولة و لسان الملك ، لكن استعمال الخط العربي بحكم عربية الدولة لم يقوض اللسان البربري فقد ظل اللسان العجمي مستتر بجناحه مندرجا في غماده[2] .

ثانيا: المنطقة بين الفتح الإسلامي وقيام الدولة الفاطمي: ليس من المستبعد أن تكون منطقة الأغواط من بين أولى الأماكن التي وطأتها أقدام الفاتحين المسلمين الأوائل، حيث تتحدث المصادر في هذا الإطار عن أن عقبة بن نافع أثناء عودته إلى المغرب ثانية (62هـ) توجه إلى المغرب الأوسط ففتح تيهرت وغيرها، ثم توغل في بلاط المغرب الأقصى وكر راجعا إلى إفريقية حيث استشهد في تهودة من بلاد الزاب، وسار على نحوه كل من موسى بن نصير (86هـ-95هـ) وحبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع (127هـ-132هـ) الذي بلغ بحملاته أرض السودان.[3]

ويعتبر كتاب تاريخ الائمة لابن الصغير أول مصدر يذكر التوطين البشري بالأغواط خلال العصر الوسيط والأقرب زمنيا إلى المرحلة الأولى من الوجود الإسلامي في المنطقة، وقد قام هذا المصدر بحصر الجماعات التي سكنت المنطقة، ففي حديثه عن ذلك يقول:" ..فاجتمعت قبائل الصحراء إليه (ويقصد أبا حاتم)، خلا الحصن المعروف بتالغمت وأهل الصفرية فإنهم مالوا إلى المدينة (يقصد تاهرت) ، ثم جمع أبو حاتم جموعه و زحف إلى المدينة من ثلاث مواضع، فتولى القبلة مع لواتة، و الرستمية و ما شايعها، وتولى المشرق العجم وصنهاجة ومن شايعها، وتولى المغرب طوائل من الناس مع نفوسة.."[4].

ومن هنا فإن أول الجماعات المذهبية التي برزت وأثرت في المنطقة كانت إما الجماعات الإباضية المسيطرة في تلك المرحلة حتى سدراتة وورجلان، وكذا الجماعات الصفرية، و التي تراجعت بشكل

---

[1] – الجيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام**، دار الأمة ، الجزائر ،2010م ، ج1، ص79. بن عميرة ، المرجع السابق ، ص24

[2] – ابن خلدون، **العبر** ، ج7، ص124.

[3] – دو فيلاري، مصدر سابق، ص98. علي حملاوي، مرجع سابق ، ص80-81.

[4] – ابن الصغير المالكي ، **أخبار الائمة الرستميين**، تح: محمد ناصر و إبراهيم بحاز، الجزائر، 1985 ص 94-95.

كبير أمام المد الإباضي ، حيث إن شهادة ابن الصغير والتي تأتي خلال القرن الثالث هجري/9م عن المدن القريبة من الاغواط، على غرار تيلغمت[1] والتي تمتد بين الاغواط و غرداية، تؤكد استوطان الجماعات الصفرية بالمنطقة، هذا المشهد لا نلاحظه فقط في الاغواط بل يمتد الى باقي المدن الأخرى الملاصقة للأغواط، فمثلا مدن بلاد الزاب عرفت نفس الانتشار للجماعات سواء الصفرية، أو الاباضية[2]، كما أن مصادر الإباضية تشير إلى قبيلة لماية التي ناصرت عبد الرحمان بن رستم وكان لها دور كبير في الأحداث التي طرأت على الدولة الرستمية، وقد أنشأت القصر المعروف بقصر لالماية في الطريق بين الأغواط والبيض.[3]

من جهة أخرى فمن المؤكد أن السكان المحليين الذين سكنوا المنطقة قبل وصول الهجرات الهلالية خلال النصف الثاني من القرن الخامس هجري/11م، كانوا ممثلين للفروع الزناتية المنتشرة في كامل منطقة شمال الصحراء، ويكون فخذ "لقواط" الذي تشكلت منه في البداية الجماعات المحلية لمجال منطقة الأغواط قد اعتنق أهلها المذهب الصفري كما دلت على ذلك شهادة بن الصغير.

وفي شهادته المتأخرة عن صفات الجماعات المحلية الأولى للأغواط، تحدث العلامة ابن خلدون عنها فيقول:" وأما لقواط وهم فخذ من مغراوة أيضا فهم في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد، ولهم هنالك قصر مشهور بهم، فيه فريق من أعقابهم على سغب من العيش لتوغّله في القفر، وهم مشهورون بالنجدة والامتناع من العرب، وبينهم وبين الدوسن أقصى عمل الزاب مرحلتان، وتختلف قصودهم إليهم لتحصيل المرافق منهم والله يخلق ما يشاء ويختار"[4]، إن هذه الشهادة تبرز أن

---

[1] – **تيلغمت** : أو تالغمت تالغمنت أو تلرهمت من القصور التي أنشأتها زناتة وتقع في الطريق بين الأغواط وغرداية. أنظر: م. الفاسي و إ . هربك ، **تاريخ إفريقيا العام** ، اليونيسكو، باريس ، فرنسا، 1994، مج 3 ، ص336. مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ج2، ص78، 169.

[2]– علاوة عمارة، **مغرب أوسطيات(دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الوسيط)**، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة– الجزائر، 2013، ص24–27. عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج1، ص221.

[3]– عن لالماية أنظر: أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تح وتع: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979، ص 9، 49، 176، 185.

[4]–ابن خلدون، **العبر**، ج7، ص65.

فخذ مغراوة قد تميز بمعارضة السلطة ، أيام حكم الاغالبة، ثم أيام الفاطميين، وميولهم الدائم للجماعات الاباضية أو الصفرية متبعين بذلك القبيلة الأم زناتة[1].

وتؤكد شهادة ابن خلدون أن أحد أفراد عائلة لقواط ممثلة في إمارة "لقوط بن يوسف بن علي المغراوي" قد استطاع منافسة بني يعلى و بني خزر، ورحل إلى أغمات أين أسس إمارته هناك، خاصة أن الصراع كان كبيرا في تلك الفترة بين بطني زناتة "بني يفرن و مغراوة" على تسيد المنطقة وإقامة دولة باسم كل بطن منهم.[2]

إن لقواط كفرع من فروع مغراوة قد مثلت الجماعات المحلية الأولى في المنطقة، وعرف عليها الإباء والنجدة والامتناع عن السلطان إتباعا للقبيلة الأم زناتة، فلم تخضع لا للأغالبة ولا للفاطمين أو من خلفهم من زيريين وحماديين، حيث انعزلوا في مناطقهم، ممتنعين بحياتهم البدوية، وبترحالهم بحثا عن الماء و الكل باستمرار، وكغيره من الأفخاذ التي شكلت بطن زناتة الشهير" مغراوة" على غرار وريغة، بنو سنجاس، بنو ورا، فقد انحازت هذه الأفخاذ فيما بعد للعصبية الزناتية، ضد الموجة الاسماعيلية التي اجتاحت المنطقة في نهاية القرن الثالث الهجري ، ليتواصل بعد ذلك الصراع مع من خلفهم سواء الزيريين أو الحماديين، قبل أن يميلوا إلى الأمويين بالأندلس لما تطلع هؤلاء إلى بلاد المغرب الإسلامي[3].

و يعد المغرب الأوسط الموطن الأصلي لمغراوة وكانت هذه المنطقة تحت سيطرة قبيلة مغراوة الزناتية قبل مجيء الإسلام ، وكان زعيمها صولات بن وزمار ومن معه من أهل مغراوة فقد أقروا بالولاء للخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) الذي أقرَّ حكم صولات على المناطق التي يسيطر عليها[4]، وقد كان لمغراوة السيادة على المغرب الأوسط مع بني يفرن الزناتيين، وقد ظلت لهم هذه السيادة إلى غاية تشريدهم على يد صنهاجة بعد تحالفها مع الفاطميين كما سنرى[5]

[1]- غوتييه، مرجع سابق، ص 212-213.

[2]- وقد كانت نهايته على يد المرابطين. أنظر: ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص62.

[3]- مُحَمَّد بن يوسف الزياني ، مصدر سابق، ص 61-63. بوزياني الدراجي، مرجع سابق، ج1، ص 172-173.

[4] - أبو زكرياء يحي بن خلدون، **بغية**..، مرجع سابق، ج1، 169.أنظر أيضا: المعموري ومحيميد، مرجع سابق ، ص 04.

[5]- سنوسي، مرجع سابق ، ص 59.

ولقد كان لبطون مغراوة انتشار واسع بضواحي و قفار المغرب الأوسط، كما كان لمغراوة في بدوهم ملك كبير أدركهم عليه الإسلام ، و هم الملك البدوي الذي لم يفارقوا فيه سكن الخيام و الظعن و إيلاف الرحلتين[1] ، فقد بقت صفة البداوة غالبا عليهم و بيئة الصحراء تجذبهم و مواشيهم و أنعامهم و خيولهم هي خير ما يملكون[2]، واعتنقت هذه القبائل الاسلام بعد الفتح وأيدته وناصرته بكل صدق وإخلاص مثل سائر القبائل البربرية فكانوا عدة الفاتحين في رحلتهم وطليعة جندهم وأعانوهم على دحض الرومان، وكانوا أسرع القبائل دخولا إلى الإسلام وأكثرهم استجابة لدعوته.[3]

و ازداد نفوذ مغراوة و زناتة بالمغرب الأوسط عند الفتح الإسلامي خزر بن حفص بن صولات بن وزمار[4] الذي تقول بعض المصادر أن سيدنا عثمان بن عفان عقد له على قومه ووطنه [5]، ويبدوا ان ملك بني خزر قد قوي أكثر و عظم شأنه خلال الثورات و الفتن التي عرفها المغرب أواخر العهد الأموي مع مطلع القرن الثاني للهجرة ، حيث استمر أبناء صولات في وراثة ملك مغراوة ، وزناتة بالمغرب الأوسط فكان الأمر بعده لابنه حفص ثم لابنه خزر[6].

و قد استطاع ملك مغراوة أن يمد نفوذه إلى تاهرت وبلاد القبلة وبقي في المغرب تحت نفوذ وسيطرة مغراوة حتى العهد الأموي[7]، و بهذا فقد نجحت زناتة ممثلة في أقوى بطونها "مغراوة" في الحفاظ على إمارة مستقلة بنواحي المغرب الأوسط خلال القرن الأول للهجرة و مطلع القرن الثاني للهجرة.

---

[1] ابن خلدون ، **العبر**، ج7، ص 50-51. أنظر أيضا: سنوسي، مرجع سابق ، ص 60.

[2] – يحي بن خلدون، **بغية..**، مصدر سابق، ج1، 169. أنظر أيضا: موسى لقبال ، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس للهجرة** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1979، ص59

[3]– علي حملاوي، مرجع سابق، ص81. سنوسي، مرجع سابق ، ص 61.مرمول مُحَمَّد الصالح، **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي**، د.د.ن، الجزائر، 1983، ص 179. مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص86.

[4] – ابن عذارى المراكشي ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب** ، تحقيق ج.س. كولان . ليفي بروفنسال ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2009م، ج1، ص252.

[5]– ابن خلدون ، العبر، ج7، ص 50-51.

[6] –المصدر نفسه، ج7، ص 50-51

[7] –المعموري ومحيميد، مرجع السابق ، ص04

ويبدو أن إمارة مغراوة ممثلة في زعيمها مُحَمَّد بن خزر قد استمرت رغم دخولهم في طاعة الأدارسة[1] ، فقد بايع هذا الأخير إدريس بن عبد الله و دخل في طاعته مع سائر مغراوة وبني يفرن سنة 173هـ /789م[2] ، مقابل منحه الأمان و لسائر قبائل زناتة [3]، ومن هنا فان قيام دولة الأدارسة و الإمارات السليمانية بالمغرب الأوسط[4] لم يقض على إمارة مُحَمَّد بن خزر المغراوي ، الذي ظل سيدا و أميرا على سائر بوادي و ضواحي المغرب الأوسط و تلمسان[5] في حين اقتصر حكم بنو سليمان في اغلب الأحوال على بعض مدن المغرب الأوسط [6]، وهذا ما يتوافق مع التقسيم الذي نهض به السلاوي الناصري لدول المغرب الإسلامي خلال القرن الثاني للهجرة حينما جعل القوة السنية في ثلاث دول هي دولة الأغالبة بالقيروان و افريقية و دولة بني خزر المغراوية بالمغرب الأوسط و دولة السليمانيين بتلمسان و دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى[7].

وبذلك نجحت زناتة في الحفاظ على ملكها البدوي رغم وجود دول و ممالك بجوارها حيث امتد ملك مُحَمَّد بن خزر إلى ضواحي المغرب الأوسط حتى أواخر القرن الثالث هجري[8] .

وقد شهد المغرب قيام كيانات مستقلة في ظل الحكم العباسي و سيطرة الخوارج على مناطق عدة منه ، وقد اتبعت هذه القبائل الدعاة الإباضيين والصفريين بسبب طبيعة دعوتهم الرافضة للظلم والتسلط والحاثة على إشراك المسلمين جميعا في أمر الحكم حتى لو كانوا عبيدا،[9] بينما حافظت مغراوة على مناطق نفوذها بالمغرب الأوسط ، بالتعاون مع الدولة الرستمية للوقوف بوجه خطر الدولة

---

[1]–الرقيق القيرواني، **تاريخ الرقيق القيرواني**، تح: منجي الكعبي ، ط2، الدار العربية للكتاب ، تونس، 2005م ، ص254–255.

[2]–ابن خلدون ،**العبر**،ج4،ص24. ابن ابي زرع ،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس** ، ط2، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1999م،ص25.بن عميرة ،مرجع سابق ص142.الفيلالي ،مرجع سابق،ص171–172.

[3]– ابن خلدون ، **العبر**، ج4، ص24

[4]– المصدر نفسه، ج7، ص35–52.

[5]–ابن خلدون ، **العبر** ، ج7، ص52. بن عميرة ، المرجع السابق، ص149. الدراجي بوزيان ، مرجع سابق ، ج1، ص172.

[6]–ابن خلدون ، **العبر** ، ج7، ص52

[7]–الدراجي ، المرجع السابق ، ج1، ص139

[8]–ابن خلدون ، **العبر** ، ج7، ص52. بن عميرة ، **دور زناتة...**، مرجع سابق ، ص 149.

[9]– حملاوي، مرجع سابق ، ص 82.

العباسية ، وبقي الحال عليه حتى سقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ ، إذ برزت مغراوة كقوة لا يستهان بها ضد الدولة الفاطمية، وظلت تقاومها لمدة ليست بالقصيرة[1].

و قد لعبت الدولة الرستمية بأسواقها الواقعة في نهاية المسالك التجارية دور الوسيط في التجارة ، فكانت بمثابة همزة وصل بين النشاط الاقتصادي في المغرب و الأندلس، و بين إفريقية التي تصلها بأسواق المشرق العربي و بين بلاد السودان ، و يعتبر المسلك بين تيهرت و ورجلان أحد أهم شرايين الاقتصاد الرستمي مع الصحراء الكبرى، وعلى الرغم من إهمال المصادر الجغرافية لذكر المراحل المختلفة التي تربط تيهرت –ورجلان (مثل الأغواط وغيرها)، إلا أنه لا يمكن للقوافل التجارية المنطلقة من العاصمة الرستمية عبر الصحاري أن تواصل سيرها دون التوقف للراحة قبل الوصول إلى ورجلان لأن المسلك طويل و شاق جدا[2].

ويتحدث الباحثون عن وجود طريق مباشر بين تيهرت وورقلة (ورجلان) مرورا بقصر تيلغمت ثم الأغواط وهو الطريق الذي سلكه الشيخان الإباضيان أبو يعقوب بن منيب و أبو يوسف أيام حكم أفلح بن عبد الوهاب من جبل نفوسه متوجهين إلى مدينة تيهرت،[3] ومما يعزز هذا الرأي وجود بعض المواقع الأثرية في منطقة الأغواط التي تحمل صلة مباشرة بالدولة الرستمية أو بالإباضيين عموما مثل تيلغمت (سبق ذكرها)، أو قصر غرداية قرب تاويالة وجبل يسمى : "كاف لمزابي" [4] أو قصر لماية الواقع قرب قصر تاجرونة وقد اشتق اسمه من قبيلة لماية البترية، والتي قال عنها ابن خلدون:" وكان جمهورهم بالمغرب الأوسط موطنين بتخومه مما يلي الصحراء" وقد لجأ إليها عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية قبل تأسيس عاصمته تيهرت،[5] والجدير بالذكر أن جبال العمور شمالي منطقة

[1]– المعموري والمحيميد، مرجع سابق ، ص04. يرى البعض أن قبيلة مغراوة وعلى خلاف أغلب القبائل الزناتية بقيت على مذهب أهل السنة بالرغم من تحالفها السياسي مع الخوارج . أنظر : سنوسي، مرجع سابق ، ص65.

[2]– ابراهيم بحاز كبير، **الدولة الرستمية 160–296هـ/777–909م (دراسة في الاوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية)** ، ط2، جمعية التراث ، القرارة ، الجزائر ، 1993م، ص 214-215. مُحَمَّد علي دبوز، مرجع سابق، ج3، ص233. أنظر أيضا: أحمد مولود ولد أيده، **الصحراء الكبرى مدن وقصور**، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ج1، ص40.

[3]– مزهودي مسعود، **الإباضية في المغرب الأوسط**، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 1996، ص131.

[4]– حملاوي، مرجع سابق ، ص84. ناصر مجاهد، مرجع سابق، ص11-13.

[5]– ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص244. عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج1، ص219.

الأغواط قد شهدت وصول نفوذ الأدارسة إليها، خصوصا مع نزوح بعض المشائخ ممن ينسبون إلى الأدارسة في هذه الفترة إلى المنطقة.[1]

ثالثا: أوضاع المنطقة في ظل الصراع الزناتي–الفاطمي: من المسلم به تاريخيا أن أسباب الصراع الزناتي–الفاطمي كانت أكبر من الاختلاف المذهبي ، بل يضاف له الأسباب السياسية والاقتصادية مثل التنافس على احتكار طرق تجارة الصحراء[2]، إلى جانب نزوع زناتة إلى الاستقلال وطموح فروعها إلى الملك، حيث أن أعيان زناتة كانوا على علم بخطط الفاطميين في الإطباق على جميع بلاد المغرب ، وبذلك القضاء على سلطتهم مثل زعيمهم مُحَمَّد بن خرز الذي وصفه ابن خلدون بقوله : " و لم يزل الملك بضواحي المغرب الأوسط لمحمد بن خزر إلى أنْ كانت دولة الشيعة "[3].

بدأ الصراع بين الطرفين في وقت مبكر جدا، ففي سنة 297هـ/910م خالف مُحَمَّد بن خرز الفاطميين ، فأرسلوا إليه الحملات العسكرية من أهمها حملة 299هـ/ 912م التي مروا بها على زناتة حيث قتل منهم عددا لا يحصى[4] ، و إلى جانب الحملات العسكرية التي اعتمدها الفاطميون على سياسة التهجير ، ففي سنة300هـ/922م حاول المهدي تهجير عيالات سكان جبال أوراس ، إلا أنهم تمكنوا من قتل القائد الشيعي و من معه ، وفي سنة 312هـ/924م خرج عامل الشيعة عل تيهرت الى بلد زناتة فقتل و سبي[5].

وبعد انتصار مُحَمَّد بن خرز الزناتي و تمكنه من قتل العامل الشيعي على تيهرت سنة 315هـ/928م أخرج عبيد الله الفاطمي حملة ضخمة بقيادة ابنه مُحَمَّد بن عبيد الله ، من نفس السنة،[6] ورغم فشل الحملة في تحقيق هدفها الرئيسي و هو القضاء على بني خرز بعد فرارهم إلى

[1]– ناصر مجاهد، مرجع سابق، ص14.

[2] – الجنحاني الحبيب، **دراسات في تاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي** ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1986م، ص84

[3]–ابن خلدون ، العبر ، مصدر سابق، ج7، ص52

[4]– ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص155، 165. بن عميرة ، مرجع سابق، ص175.

[5] – ابن عذارى، مصدر سابق، ، ج1، ص 187، 189 .

[6]–المصدر نفسه، ج1، ص312. ابن خلدون ، **العبر** ، مصدر سابق، ج4، ص81

الصحراء، إلا أنها حققت بعض النتائج حيث تمكنت من فتح جبل فيه بني برزال و مكلاته ، كما تم فتح برقجانة، وقتل كل من كان فيه[1].

كما هاجم الخليفة المنصور أيضا أفراد قبيلة لواتة الذين فروا أمامه إلى الصحراء[2]، إضافة إلى قتله لقبائل أوغمرت[3] الذين أوقعَ بهم و أثخن فيهم [4]، بل طال انتقام المنصور كل من ساعد أبا يزيد و أصحابه ، ناهيك عن تتبعه لقبائل بني يفرن إلى أن انقطع أمر الدعوة[5] .

ولا شك في الضرر الكبير الذي لحق بقبائل زناتة وفروعها بسبب حروب الثورة (تلك الثورة التي زعزعت كيان الفاطميين[6]) و سياسة الفاطميين من قتل وتهجير وتشتيت ، في حين حافظ فرع مغراوة على قوته ، و بسبب انسحابهم من ثورة صاحب الحمار في الوقت المناسب [7]و دخول زعيمهم الخير بن مُحَمَّد بن خرز وهو في الأغواط في طاعة الخليفة المنصور الذي أوقف حملاته العسكرية على المغرب إلى أن توفي سنة 341هـ/954م[8]، ويبدو أن الخلاف المذهبي بين أبي يزيد النكاري صاحب الحمار والخير بن مُحَمَّد بن خزر هو أحد الأسباب التي دعت هذا الأخير إلى التخلي عن صاحب الحمار وإقامة الدعوة للفاطميين.[9]

ولكن سرعان ما خرجت مغراوة بقيادة الخير بن مُحَمَّد بن خزر عن الدولة الفاطمية واستولت على تيهرت وأرسلت بالطاعة إلى خليفة الأندلس عبد الرحمان الناصر نكاية في الفاطميين وبذلك أصبح المغرب الأوسط ومن ضمنه مضارب مغراوة تابعا للأمويين في الأندلس.[10]

---

[1]–ابن عذارى ، مصدر سابق، ، ج1، ص192–193.

[2]–ابن خلدون ، **العبر** ، ج7، ص34

[3] – من بطون زناتة موطنهم بالمغرب الاوسط من جبال المشنتل إلى الدوسن. ابن خلدون ، **العبر** ، ج7، ص105.

[4] ابن خلدون ، **العبر**، ج7، ص105.

[5]–ابن خلدون ، **العبر** ، ج7، ص35.

[6]– غوتييه، مرجع سابق، ص216.

[7]– بن عميرة مرجع سابق، ص218. سنوسي ، مرجع سابق ، ص230.

[8] – الصنهاجي، مصدر سابق، ص30. ابن خلدون، **العبر**، ج4، ص91. بن عميرة ، مرجع سابق ، ص227.

[9]– غوتييه، مرجع سابق، ص394. سنوسي، مرجع سابق، ص230.

[10]– مُحَمَّد بن يوسف الزياني ، مصدر سابق، ص 77.سنوسي ، ص241. عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج1، ص295.

أثرت السياسة الفاطمية و نتائج حملاتها العسكرية في ديمغرافية القبائل البربرية عموما و البدوية خصوصا ، ويمكنا أن نستشف السياسة الفاطمية القاسية اتجاه البادية من خلال الوصايا التي قدمها المعز لدين الله الفاطمي إلى خليفته على افريقية و المغرب بلكين بن زيري ت 373هـ /983م غداة خروجه إلى مصر بأن لا يرفع الجباية عن أهل البادية[1] إضافة إلى نجاح هذا الأخير في إجلاء الكثير من بطون مغراوة و بني يفرن خارج المغرب الأوسط إلي وراء وادي ملوية و ذلك سنة 361هـ/971م فلا شك في تأثير هذا الإجلاء على النسيج القبلي البدوي في المغرب الأوسط وإفراغه من سكانه بالترحيل والتهجير الطوعي إو الاضطراري.[2]

رابعا: الحماديون: في عهد بني حماد ظلت حدودهم الغربية متاخمة لبوادي زناتة بضواحي تاهرت و تلمسان [3]، حيث أصبحت بطون أخرى من زناتة تتولى أمر الضواحي و القفار بالمغرب الأوسط بدلا من مغراوة و بني يفرن فأصبح لبني يلومي و بني ومانوا قوة و ظهورا[4] ، و كان لبني توجين بمواطنهم بحوافي وادي شلف[5] ، دور في حروب حماد ابن أخيه باديس فقد تحالفوا مع هذا الأخير ضد حماد[6] ، و جندوا له ثلاثة آلاف مقاتل مما يوحي بقوتهم العسكرية خلال القرن الخامس للهجرة[7].

قام الحماديون بدور الوسيط للسلع القادمة من السودان ،كما أقاموا علاقات مع المدن الإيطالية ، و بهذا أصبحت مدنهم و على رأسها العاصمة القلعة وبجاية إلى جانب قسنطينة وتاهرت و المسيلة من أهم المراكز التجارية بالمغرب الإسلامي[8] ، ورغم أن زناتة كانت تسيطر على التجارة مع بلاد السودان في القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر ميلادي إلا أن الحماديين أثبتوا أن لهم قدما في السودان ، و

---

[1] – ابن خلدون ، **العبر** ، ج6، ص310.

[2] – المصدر نفسه، ج6، ص318

[3] – نفسه ، العبر ، ج6، ص350

[4] –نفسه ، العبر ، ج7، ص114

[5] – نفسه، ج7، ص230. ستأتي الإشارة إلى بني توجين في سياق الحديث عن قصر عين ماضي وتركيبته البشرية.

[6] – نفسه، ج6، ص323

[7] – نفسه ، ج7، ص319.

[8] – ريحاب مُحَمَّد كمال المغربي، **التجارة في عصر بني حماد (1017 – 408/ 1152 م – 547 هـ)**، كلية الآداب ، جامعة دمياط ، مصر ، 2015، ص03.

القيام بدور الوسيط مع السودان الغربي ، كما أن القوافل غير منقطعة، وأن التجار يحملون الملح و عقد الخشب و العطور[1].

والملاحظ أن أغلب المسالك التي ربطت الشمال بالجنوب أو الشرق بالغرب مرورا بمنطقة الأغواط في العصر القديم ستشهد استمرارية تامة خلال العصر الإسلامي الوسيط، وهذا ما أكدته مصادر الرحلة و الجغرافية خلال الفترة المطروقة، لكن مع بروز مسالك جديدة نتيجة العمارة الجديدة التي صاحبت تأسيس مدن إسلامية تحمل في طياتها ملامح السيادة والسلطة الجديدة، على غرار تأسيس المسيلة لإبراز السيادة الفاطمية، أو تأسيس القلعة لإبراز استقلالية الحماديين بسلطتهم المطلقة عن صنهاجة الأم، إلى جانب ارتباط خطوط التجارة الوسيطية في المغرب الأوسط بالعواصم والحواضر الكبرى والتي تمثلها قسنطينة ووراجلان في الشرق أو تلمسان وسجلماسة في الغرب بشكل يبتعد عن منطقة الأغواط.

إضافة إلى تحويل الطرق التجارية التي تربط بين تلمسان و سجلماسة بسبب وعورة الطرق الجبلية بعد الغزوة الهلالية ، و كان المسلك التجاري يخرج من تاهرت إلى المسيلة ثم طبنة فبسكرة وصولا إلى وارجلان المؤدي إلى مراكز السودان الغربي[2]، مبتعدا عن السفوح الجنوبية الوسطى للأطلس الصحراوي وهو ما يفسر عدم ذكر الأغواط كمحطة تجارية في هذه الفترة.

خامسا: الهجرة الهلالية: ويبدو أن وصول القبائل الهلالية إلى افريقية كان سنة443هـ /1052م و بعد الهزائم المتتالية التي مني بها المعز بن باديس أخذت هذه القبائل في التوسع معتمدة على أسلوب التحرك البطيء و التوسع التدريجي بامتلاك أطراف المدن اذ لم يكن دخولهم في شكل جيش زاحف بل كان في شكل قبائل تحتل بلدا مفتوحا ثم تتفرق من جديد لتتقدم بعدها في سائر الأنحاء، ففي سنة 446هـ/1055م اقتسمت العرب بلاد افريقية و تصرم الملك من يد المعز بن باديس، وبدأ

[1]–ولد أيده، مرجع سابق، ج1، ص38. ريحاب مُحَمَّد، مرجع سابق، ص38–39. أنظر خريطة طرق التجارة في العهد الحمادي: مُحَمَّد الطمار، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص167.

[2]– ريحاب مُحَمَّد، مرجع سابق ، ص40. عمار عمورة، مرجع سابق، ج1، ص 169–170.ولد أيده، مرجع سابق، ج1، ص41–420.

بذلك الانقلاب الثقافي والاجتماعي والسياسي الذي تبع وصول الهلاليين ومن معهم إلى بلاد المغرب.[1]

إلا أن الحدث الأكبر و الذي أدى إلى رسم واقع اجتماعي و سياسي و اقتصادي و ثقافي جديد تماما هو الهزيمة التي لحقت بالناصر ت 48هـ/1081م في معركة سبيبة سن 457هـ/1056م ، فقد جمع هذا الأخير جيشا من صنهاجة و زناتة ومن العرب عدي و الأثبج و عدي و حاول الاستيلاء على ملك بني عمه بني زيري بإفريقية إلا انه انكسر و انهزم أمام قبائل رياح و زغبة و سليم[2].

فبعد هذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد كما تغيرت الوضعية الاقتصادية للقبائل العربية المنتصرة بفضل الغنائم و الذخائر التي استولوا عليها من حملات الناصر بن علناس الحمادي، وفي حين رجع الناصر إلى القلعة في قلة من عسكره لم يبلغوا مائتا مقاتل ، فقد بلغ عدد القتلى من صنهاجة و زناتة أربعة و عشرين ألف قتيل ، فقل المحامي على البلد ، و أخذ الوجود الهلالي بالمغرب الأوسط وضعا جديدا حيث تخطى العرب أعمال بني حماد و احجروهم بالقلعة ، كما بدأوا بعبثهم في قرى و مدن المغرب الأوسط[3].

و لم يقتصر الصراع الهلالي مع ملوك بني حماد فحسب بل سرعان ما انتقل ليشمل زناتة ، فبعد أن غلب العرب صنهاجة اجتهدت زناتة في مدافعتهم بما كانوا املك للباس و النجدة بالبداوة ، فحاربهم أمير تلمسان آنذاك من ولد يعلى المغراوي الزناتي و في هدا يقول ابن خلدون :" فاجتمع لذلك بنو يعلى ملوك تلمسان من مغراوة وجمعوا من كان إليهم من بني واسين هؤلاء من بني مرين و عبد الواد وتوجين و بني راشد، و عقدوا على حرب الهلاليين لوزيرهم أبي سعدى خليفة بن اليفريني فكان له مقامات في حروبهم و دفاعهم عن ضواحي الزاب ، و ما إليه من بلاد افريقية و المغرب الأوسط إلى أن هلك في بعض أيامه معهم"[4].

---

[1]- عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج1، ص344.عمار عمورة، مرجع سابق، ج1، ص 155. عبد الحميد خالدي، **الوجود الهلالي السليمي في الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2003، ص170

[2]- ابن خلدون ، **العبر** ، ج6، ص355. عمار عمورة، مرجع سابق، ج1، ص161.

[3]- ابن خلدون ، **العبر** ، ج6، ص43. عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج1، ص369-370.

[4]- ابن خلدون ، **العبر** ، ج7، ص83.

و بذلك انهزمت قبائل زناتة أمام بني هلال و انشمر بنو واسين هؤلاء من بني مرين و عبد الواد و توجين عن الزاب إلى مواطنهم بصحراء المغرب الأوسط من مصاب و جبل راشد إلى ملوية فيكيك[1]، وهو ما يعني حسب بن خلدون أن فروع زناتة اضطرت إلى النزوح من المنطقة الممتدة من مصاب (وادي ميزاب أو غرداية حاليا) و جبل راشد (جبال العمور شمال ولاية الأغواط حاليا) إلى منطقة فيجيج على الحدود الجزائرية المغربية الحالية، وحل محل هذه الفروع الزناتية فروع هلالية مختلفة. [2]

و بعد ظهور معالم الحدود الجغرافية بين زناتة و القبائل الهلالية بجبل راشد – العمور- ومصاب (مزاب) من بلاد المغرب الأوسط ووضع الحرب لأوزارها ، تتضح صورة التوزيع الجغرافي لبطون القبائل الهلالية بالمغرب الأوسط.

رغم دخول العرب الهلالية إلى المغرب الأوسط في وقت مبكر ، إلا أن هزيمة سبيبة 457هـ/1061م قد احدث فارقا اجتماعيا في طبيعة الوجود الهلالي ، فبعد فشل بني حماد في مواجهتهم عسكريا و كذلك فشل قبائل زناتة إضافة إلى فشل التحالف العسكري الصنهاجي الزناتي في دحر القبائل الهلالية اضطر بنو حماد إلى الاتفاق معهم و مصالحتهم على التنازل على ملك الضواحي و كذلك البوادي.

و هذا ما عناه ابن خلدون بقوله : " و لم يزل هذا دأب العرب حتى غلبوا صنهاجة و زناتة على ضواحي افريقية و الزاب"[3]، وفي أثناء تخلي البربر تدريجيا عن السهول المستوية كان العرب يقومون بالتوغل بالبوادي الجزائرية، إذ أن هذه الهجرة البشرية الكبيرة قد أنتجت مجتمعا جديدا وأعادتالتقسيم الجغرافي لمناطق النفوذ، حيث انعزلت أغلب القبائل البربرية في القرى والمداشر بالمناطق الجبلية وعرة المسالك، وتحصنت قبائل أخرى في القصور بالواحات الصحراوية لممارسة النشاط الزراعي.[4]

[1]- ابن خلدون ، **العبر** ، ج6، ص ص42.

[2]- دو فيلاري، مصدر سابق، ص105-107. خليفة بن عمارة، مرجع سابق، ص 49.

[3]- ابن خلدون ، العبر ، ج6، ص35.

[4]- كاريت، مصدر سابق، ج5، ص 242-243. أنظر أيضا: مُحَّد برشان، **الاستعمار والمجتمع القبلي في الصحراء الجزائرية**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع11، ديسمبر2016، ص166. أنظر الملحق رقم: 04.

في حين أن غوتيه يطرح مجموعة من الأسئلة والافتراضات حول بقاء زناتة أو اندثارها بسبب الهجرة الهلالية بقوله : " يبدو أن البدو المغلوبين على أمرهم بعد أن فقدوا كل شيء سيتحولون إلى فلاحين ، والواقع أن في قرى زسفانة وغرارة و الأغواط ووادي ريغ نجد شعبا بائسا أقرب إلى الزنوج ، يلقب نفسه بالشعب الزناتي، و أنه ينتمي إلى القبائل الزناتية المعروفة مثل الأغواطيين و اليفرنيين ، يضاف إلى ذلك إباضية الزاب الذين حافظوا على كرامتهم و استقلالهم لتعلقهم بالدين ، وممارسة التجارة ، لكن بلاد زناتة لم تزل من الوجود، فلا تزال الهضاب العليا و السهول التي كانت مرتعا لهم على حالها ، لكن سكان هذه البلاد يسمون أنفسهم عربا ، و يعلنون انتمائهم للهلاليين و بني سليم ، وكأن هؤلاء البدو قد حلوا محل الزناتيين فردا فردا[1]، و بذلك تحولت مساحات واسعة من أراضي المغرب الأوسط إلى ضواحي تقطنها الساكنة الهلالية ، فلقد كان استقرارهم بها سريع جدا، علله ابن خلدون بسهولة استيلاء العرب على البسائط لفقدانها الحامية و ضعف الدولة المركزية[2]، وكان الانتشار الهلالي في المغرب الأوسط واسع النطاق وشاملا لكافة الجهات وليس من غريب الصدف انتماء جل عرب الجزائر إلى الهلاليين.[3]

وأصبحت بلاد مغراوة من حق قبائل العمور وغيرها فسكنوا الضواحي و صارت مواطنهم ما بين جبل أوراس شرقا إلى جبل راشد و كان كل ذلك من ناحية الحضنة و الصحراء ، أي اتجاه قبائل العمور نحو المفاوز و القفار، وبالعودة لابن خلدون فهو يؤكد هذه الحقائق بقوله: " إلا أنهم غلب عليهم هناك العمور، من بطون الهلاليين ونزلوا معهم وملكوا عليهم أمرهم فصاروا لهم فيئة"[4]، و في سياق آخر يتحدث بن خلدون عن غلبة الهلاليين لقبائل زناتة وإزاحتهم عن الزاب وإليه من بلاد إفريقية : " وانشمر بنو واسين هؤلاء من بني عبد الواد وتوجين عن الزاب إلى مواطنهم بالصحراء بالمغرب الأوسط من مصاب وجبل راشد، وكان بنو بادين من الجهة الشرقية قبيل المغرب الأوسط ما فيكيك وميدونة إلى جبل راشد ومصاب"،[5] وجدير بالذكر أن بنو توجين وهم فرع من بني بادين وهم

[1]- غوتييه ، مرجع سابق، ص235.

[2]-ابن خلدون ، **المقدمة** ، ص178.

[3]- عبد الحميد خالدي، مرجع سابق، ص170-171.ناصر مجاهد، مرجع سابق، ص10-11.

[4]- ابن خلدون، **العبر**، ج7، ص64.

[5]- ابن خلدون، **العبر**، ج7، ص84. يحي بن خلدون، **بغية الرواد**..، مصدر سابق، ص186.

طبعا من زناتة قد سكنوا ما يسمى الآن عين ماضي وما زالوا بها، في حين سكن معهم الهلاليون، حيث تكاد تجمع الروايات إلى أن أصل تسمية عين ماضي يعود إلى ماضي بن مقرب وهو من قال في شأنه ابن خلدون: ".. وكان لهؤلاء العرب لعهد دخولهم إفريقية رجالات مذكورين وكان من أشرافهم..... وكان من أشرافهم ماضي بن مقرب المذكور في أخبار بني هلال..."[1]

أما قبائل العمور فهم من ولد عمرو بن عبد مناف ويلحقون بالأثبج وهم بطنان قرة (أو مرة) وعبد الله وهم منتشرون بالضواحي والجبال وموطنهم ما بين جبل أوراس شرقا إلى جبل راشد حيث القفر والجدب، ومن بني قرة أولاد ماضي وأولاد شكر الذين قطنا جبل راشد.[2]

لقد تعرب الزناتيون الرحل تعريبا كاملا، فبعد قرون قليلة من الهجرة الهلالية (تقريبا ق15م) لا تكاد تجد في المنطقة المحاذية لجنوب الأطلس الصحراوي بربرا رحلا بدوا ، ذلك أن المجال البدوي قد تم حيازته من طرف الهلاليين، فانطوى الزناتيون على أنفسهم في قصور وقرى صغيرة، وما لبث أن بدأ توطن البدو الهلاليين ما نتج عنه تعريب كامل للمنطقة المحاذية للأطلس الصحراوي من جهة الجنوب، ما عدا بعض الجيوب في البيض والنعامة ووادي ميزاب التي لم تتعرب كلية،[3] فقد تم تعمير المنطقة من طرف قبائل وبطون عربية قامت بتعريب المنطقة تعريبا كاملا، بحيث لم يبق من الأثر البربري إلا بقايا أسماء وأماكن أو نباتات أو بعض العادات التي اصطبغت بالدين الاسلامي والثقافة العربية،" ذلك أن الفتح الإسلامي الأول وإن طبعهم (أي البربر) بالدين واللغة إلا أنهم لم يطبعهم بالدم العربي، فعدلت الغزوة الهلالية تعديلا جنسيا في السكان جميعا، حتى أصبح الأثر البربري القديم لا يلتمس إلا في معاقل طبيعية ضيقة ولا يتميز إلا ببعض الظواهر اللسانية العامة".[4]

---

[1]- الشقراني ، مصدر سابق، ص 71. ابن خلدون، العبر، ج6 ، ص22، ص 25.

[2]- مبارك الميلي، مرجع سابق، ج2، ص 162. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، **القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص211-212. كما توطنت زغبة في المنطقة ما بين مزاب وجبل راشد. أنظر: عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج1، ص345. دو فيلاري، مصدر سابق، ص105.

[3]- كاريت، مصدر سابق، ج5، ص320. أنظر أيضا: بن عمارة خليفة، مرجع سابق، ص 61-63. خالدي، مرجع سابق، ص175. محمد علي دبوز، مرجع سابق، ج3، ص231-232.

[4]- عبد الحميد يونس، **الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي**، دار المعرفة، ط2، 1968، ص82-84.خالدي، مرجع سابق، ص174.

وفي المجمل يعتبر التاريخ الوسيط لمنطقة الأغواط عبارة عن سلسلة غير مكتملة الحلقات، حيث يلقي الغموض بظلاله على كثير من المراحل، إذ تعاقبت الدول والأسر الحاكمة دون ذكر للمنطقة، عدا عن الإشارة لبعض قبائلها ولكن في حالة قيامها بأدوار سياسية خارجها، ولا تأتي مصادر هذه الفترة على أي ذكر لمنطقة الأغواط بهذا الاسم ، عدا ابن خلدون الذي ذكرها كقبيلة أو فرع من مغراوة، مما يعني أن المنطقة لم تكن مركز ثقل بشري أو محور صراعات سياسية، بل هي أشبه بمناطق الأطراف التي تنأى عن الأحداث العظام وهو ما تؤكده الخرائط المنجزة حول دول المغرب الأوسط، فقد كانت هذه المنطقة تعيش اضطرابات وفتنا لا تكاد تتوقف بسبب كونها منطقة عبور للجيوش النظامية، أو القبائل الثائرة أو الظاعنة، وملجأ للفارين من الأحداث والتقلبات السياسية في الشمال.[1]

فقد بسط المرابطون سيطرتهم على المنطقة خلال حكمهم للمغرب الأوسط وتظهر آثارهم في المساجد العتيقة في الأغواط وتاجموت ذات النمط المرابطي، بينما فر بعض أنصار الدولة الموحدية غداة سقوطها (668هـ-1269م) إلى هذه الأماكن للاحتماء بها مثل قبيلة بني بادين الزناتية قبل استقرارهم نهائيا بمنطقة "ميزاب "وكان ذلك في حوالي 1269م ، و قبيلة زغبة الهلالية، وكذلك إثر صدام المرينيين مع بني" عبد الواد ، حيث أمر "عبد العزيز المريني سلطان فاس" وزيره "ابن غازي" بمطاردة "أبي حمو سلطان" أمير تلمسان ،الذي هزم بعدة مواقع لا سيما "بالدوسن" ، وحين ملاحقته احتمى بالأغواط ، في حوالي 1368م فناصره أهل المنطقة ،لكنه انسحب إلى بني ميزاب حينما شعر بالخطر.[2]

ولا نغادر الحديث عن الفترة الوسيطة دون الرجوع إلى ابن خلدون في كتابه العبر حيث تطرق إلى وصول النفوذ الحفصي إلى أطراف المنطقة عبر عاملهم مُحَمَّد بن عبد القوي الذي وصلت سلطته إلى

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص413.

[2]- حملاوي، مرجع سابق، ص86. عبد الحميد حاجيات، **تاريخ المغرب الوسط في عهد المرابطين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص412. أنظر أيضا: عبد الحميد حاجيات، **السلطان أبو حمو موسى الثاني سياسته وأدبه**، مجلة تاريخ وحضارة المغرب ، جويلية 1970، ص 52-53. عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج2، ص170. أنظر أيضا: مياسي إبراهيم، مرجع سابق، ص87. بن عمارة خليفة، مرجع سابق، ص 66. .E.Mangin ,op,cit, p 23

الزاب وجبل راشد وباقي مواطن مغراوة،[1] كما يمكن الإشارة أيضا إلى الحسين بن مُحَّد الوتيلاني صاحب الرحلة الورتيلانية الذي تكلم عن أحد أجداد المقرانيين في مجانة ، حيث وصفه بقوله: " ..وولده هو الذي بنى قلعة بني عباس وأقام المملكة فيها بأن أسس العساكر وجيش الجيوش وأخذ المغارم في القرن العاشر (15 م) بأن وصلت عساكره عمالة تونس ووادي ريغ في الصحراء، ومن جهة المغرب مزاب وبلد الأغواط".[2]

وفي الأخير فإن المجموعات البدوية الوافدة هلالية وغير هلالية، قد نجحت في تغيير المشهد السياسي والبشري والثقافي للمنطقة، ولكن الضربات العسكرية التي تلقتها هذه المجموعات من مختلف الجهات (داخلية وخارجية) أدى إلى إضعاف العصبيات القبلية وتشتت بعضها وإعادة اندماج الاخر بالقبائل العربية أو البربرية بمرور الوقت مما جعل الكثير منها تلجأ إلى الاستقرار، وقد حمل الأولياء والمؤسسات الصوفية لواء الاندماج الاجتماعي والثقافي بين كل القوى الفاعلة في المنطقة فكان لهم الدور الأبرز في إعادة البناء والتأسيس،[3] وهو ما سنلاحظه جليا في حالة منطقة الأغواط ولكن في الفترة الحديثة.

[1]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص158.

[2]-الحسين بن مُحَّد الورتيلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"الرحلة الورثيلانية"**، دار الكتب العلمية، لبنان، 2017، ص48. أنظر أيضا: مزيان وشن، **مجانة عاصمة إمارة المقرانيين**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص81.

[3]- عادل النفاتي، **المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب حفريات في أدب الرحلة القرن 16**، دار إفريقيا للشرق، الدار البيضاء، المغرب، ص58-59. عاشور شرفي، مرجع سابق، 89.

المبحث الرابع: منطقة الأغواط في الفترة الحديثة:

تعتبر الفترة الحديثة (منذ بداية القرن السادس) هي الفترة التي ستشهد بروز منطقة الأغواط على واجهة الأحداث السياسية والحراك الاجتماعي والنشاط الاقتصادي والاحتكاك العلمي والثقافي، ففي هذه الفترة ستشهد المنطقة تثبيت منظومة القصور[1] وتحولها من مجرد تجمعات متناثرة إلى وحدات اجتماعية وسياسية واقتصادية منظمة، كما ستشهد نفس الفترة حراكا اجتماعيا كبيرا ستقوده القبائل البدوية التي ستقوم بالتوطن حول هذه القصور مما سينتج علاقات اجتماعية واقتصادية قائمة على الصراع أحيانا وعلى التحالف والدفاع عن المصالح المشتركة أحيانا أخرى.

أولا: نشأة القصور : الملاحظ أن قصر الأغواط لم يبرز في بداية الفترة الحديثة والدليل على ذلك عدم ورود اسم الأغواط في أهم مصدر جغرافي في بداية الفترة الحديثة ألا وهو "وصف إفريقيا" حيث أن ليون الإفريقي (الحسن الوزان) ذكر مناطق قريبة مثل ميزاب وغيرها،[2] كما لم يتم ذكرها في رحلة ابن عابد الفاسي في رحلته إلى حضر موت رغم مروره بالطريق المحاذي لها في نهاية القرن العاشر الهجري، حيث اكتفى عند مروره بالمنطقة بقوله: " ما بين بلاد الحمياني وقابس جهات معمورة فيها قرى وأوقاف .." [3]، بينما ذكرت في رحلات مغربية لاحقة، وهذا يعني أن المدينة لم تصبح مركزا ذا شأن إلا مع الفترة الحديثة (العثمانية).

---

[1]- **القصور**: ج قصر: هناك تعريفات كثيرة ومختلفة ولكن أحسن تعريف للقصر الصحراوي هو: الفضاء المشترك المغلق والمقسم إلى مساحات موزعة توزيعا نوعيا والتي تخزن فيه مجموعات بشرية ذات المصلحة الواحدة محصولها الزراعي الموسمي، وتستعمله (أي القصر) وقت السلم لممارسة نشاطاتها التربوية والطقوسية والاجتماعية والتجارية ووقت الحرب للاحتماء به عند هجوم العدو. أنظر: يمينة بن اصغير حاضري، **القصور الصحراوية بالجزائر صورة للإبداع الهندسي**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، نوفمبر 2011، جامعة غرداية، ص137. ولد أيده، مرجع سابق، ج1، ص156-157.

[2]- الحسن بن مُحَمَّد الوزان الفاسي ليون الافريقي، **وصف إفريقيا**، تر: مُحَمَّد حجي و مُحَمَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1983، ص134. للتعريف بالحسن الوزان (ليون الإفريقي) أنظر: ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1999، ص 290 وما بعدها.

[3]- ولد ابن عابد الفاسي في 965هـ وتوفي في 1048هـ وكانت رحلته سنة 999هـ، أنظر: الشريف يوسف بن عابد بن مُحَمَّد الفاسي، **رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضر موت**، تح وتق وتع: إبراهيم السامرائي وعبد الله مُحَمَّد حبشي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1993، ص86.

إن تشكل قصر الأغواط لم يتم عبر عملية واحدة مكتملة، بل بعملية متدرجة طويلة الأمد دامت لقرون،[1] بدأت كتجمعات سكانية حول وادي مزي عبر هجرات متعددة من مختلف المناطق ولأسباب متباينة، لتتطور بعد ذلك إلى اتحاد هذه المجموعات في قصر واحد، عرف تاريخيا بقصر الأغواط.

ومن بين الهجرات السكانية المعروفة آنذاك يقول الرواة أن أولاد سكحال و أولاد زيد وهما من القبائل التي كانت تعيش بمنطقة الزيبان ببسكرة و أثناء الزحف الهلالي هاجروا إلى المنطقة و أسسوا قصر يدعى بن بوطا، وهو في الحقيقة النواة الأولى لمدينة الأغواط (حاليا زقاق الحجاج والغربية)[2]، ونزحت إليهم مجموعة القبائل الأخرى "كأولاد سالم" الذين هاجروا من قورارة (الجنوب الغربي الجزائري) واستقروا بخيامهم على ضفاف وادي جدي وقد جلبتهم إلى هذه المناطق وفرة المياه والكلأ، حيث التقوا بفرع الاغواط كسال (الجماني، والبدارة) وهم من بقايا الزناتيين، ثم لحق بهم مهاجرون آخرون منهم "أولاد بوراس" القادمين من الزاب فأسسوا قرية بومندالة في الوحات الجنوبية (الشطيط حاليا)، وأولاد بوزيان وحميان الغرابة [3]، الذين أسسوا قصر ندجال وقصر سيدي ميمون، وأولاد يوسف الذين أسسوا قصبة بن فتوح في الجهة المقابلة لوادي مزي (سيدي حكوم)و قصر بدلة لأولاد يوسف في الواحات الشمالية (أولاد يوسف ذي الأصل المزابي الذين أسسوا قصر تاجموت حوالي سنة 1666)، و قد توزعت هذه التجمعات على امتداد حوالي ثلاث كيلومترات. [4]

و ممن سكن الأغواط أيضا في هذه الفترة : أولاد يعقوب قبيلة عمورية من بني سليم , أولاد داود , أولاد بخة من ميزاب من غرداية، الفليجات فيقال أنهم قدموا من أقصى الشرق الجزائري ، أما

[1]- من خلال تتبعنا للمصادر والمراجع والروايات الشفهية، يمكننا الجزم بأن عملية التشكل دامت سبعة قرون تقريبا، ابتداء من منتصف القرن الحادي عشر الميلادي حيث بدأ التوطن الهلالي بالمنطقة إلى غاية القرن السابع عشر الميلادي الذي شهد في منتصفه نزوح قبائل الأرباع العتيدة وفي نهايته قدوم الولي سيدي الحاج عيسى إلى المنطقة.

[2]- محمود علالي، مرجع سابق، ص30. قارة مبروك بن صالح، **أصول الأشراف والقبائل**، د.د،2016، ص144-145.

[3]- مياسي إبراهيم، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص87. محمود علالي ، مرجع سابق، ص30.

[4]- مياسي إبراهيم، مرجع سابق، ص87-88. علالي، مرجع سابق، ص30. قارة مبروك، مرجع سابق، ص144. أنظر الملحق رقم: 08.

MANGIN , OP.CIT, P22.

عن أولاد خريق (الخرارقة) فقدموا من الشرق الجزائري,, أما المغاربة فهم من الأشراف جاءوا من الغرب الجزائري من ناحية تلمسان وفيجيج ومنهم أولاد عبدالله.[1]

ومن الملاحظ أن في هذه الفترة ساد نوع من الحراك الاجتماعي الذي يتخلله الشعور بالانتماء للنظام القبلي السائد آنذاك في المنطقة، من خلال جذورها التاريخية المتجسدة في بيئة القبيلة التي تسعى إلى البقاء وبسط النفوذ في جميع أنحاء المنطقة، ومن المرجح أن التأسيس الحقيقي لمدينة الاغواط ترجعه معظم الدراسات إلى بداية القرن الثامن عشر أي حوالي 1700،[2] وما سبق ذلك ما هو إلا إرهاصات البناء والتأسيس، حيث شهدت نوعا من الخلل السكاني في حوالي سنة 1666م غادرت عرب يوسف أو "أولاد يوسف "،" قصر بدلاه أو بداله" بعد خصومات عديدة مع جيرانهم ليؤسسوا قرية "تاجموت" على بعد 32كلم شمال غرب الاغواط على ضفاف "وادي امزي" ويستقروا بها في نفس هذه الفترة كانت قصبة ابن فتوح قد فرغت تقريبا من أهلها ولم تلبث أن أصبحت خالية على ارجائها، على إثر بعض الحوادث الدامية التي رواها " الجنرال فيليبار" وورد ذكرها في رحلة الناصري[3].

وفي بداية القرن 18م بدأت معالم مدينة الاغواط تتضح أكثر ، فكانت تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي على الضفة الغربية لوادي امزي وكانت منقسمة إلى قسمين :فكان يسكن المدينة الشرقية (الاحلاف وهم: أولاد زيد , أولاد زعنون , أولاد عبد الله , المغاربة ، الخرارقة الذين كان أصلهم من فرجيوة من مقاطعة قسنطينة ،وأولاد سالم القادمين من قورارة ، وأولاد بوزيان الذين ينتمون إلى فرع الحجاج ، أما المدينة الغربية فيقطنها "أولاد سرغين"[4]، والمتكونين بدورهم من جماني والبدارة المنحدرين من الاغواط–كسال وأولاد سكحال الذين انحدروا من أولاد زيد من الزاب ببسكرة ،

---

[1] - MANGIN , OP.CIT, P22.

[2] – علالي، مرجع سابق، ص31. قارة مبروك، مرجع سابق، ص144. دلاسي، مرجع سابق، 119.

[3] -LE General Philibert, **le Général Margueritte**, paris, 1882, p106.

أنظر أيضا: أبو العباس أحمد بن مُحَّد بن ناصر الدرعي، مصدر سابق، ص133. مياسي إبراهيم، مرجع سابق، ص88. علالي، مرجع سابق، ص31..

[4] – **سرغين أو سرقين** (تنطق الغين قافا على عادة سكان المنطقة، وأحيانا تنطق بالجيم المصرية): وتعني عشبة فواحة تنبت في المنطقة .أنظر صيقع، مرجع سابق، ص 75.

وفليجا الذين جاءوا من الجنوب التونسي ،[1] وكان لكل حي مسجده وإدارته المدنية المتميزة وسوقه الخاص، ان هذه التركيبة الاجتماعية ومن خلال الوضع الذي مرت به المنطقة من تحولات وتغيرات اجتماعية جعل منها حيزا مهما للتغلغل في التركيبة الاجتماعية، ونظرا لهذا التباين في التكوين الاجتماعي كان "أولاد الاحلاف" و "أولاد سرغين" يدخلون من حين إلى آخر في شجار حاد بسبب التنافس على مناطق الكلأ والماء.[2]

مما لا شك فيه أن هذه القصور و القصبات كانت في البداية مستقلة تضم كل منها قبيلة أو أكثر، يرأس كل شيخ لا يربط بينهما سوى علاقة الجوار، لكن لأسباب أمنية دفعتها للتجمع حول أكبر قصور الأغواط بن بوطة. ولم يهدأ الصراع بينهم إلا بقدوم الولي الصالح و الشريف الإدريسي الحسني سيدي الحاج عيسى ذو الأصل التلمساني،[3] و في سنة 1700 تجمعت القصور بمشورة من الولي الصالح و تحصنت مدينة الأغواط حول أسوار و بساتين و أصبحت بمثابة القلعة، و يرى البعض أن هذا الحدث هو بداية تأسيس المدينة ،[4] وهكذا تأسست مدينة الأغواط، من خلال تجمع مجموعة من القرى الصغيرة المحاطة بمركز مهم هو قصر بن بوطة، ويكاد يتفق الكتاب الفرنسيون على أن نشوء المدينة تم بهذا الشكل.

وقد نزحت عشيرتان إباضيتان هما أولاد باخة والعفافرة من وادي ميزاب بعد اكتظاظه بالسكان، ورغبة في التوسع إلى فضاء زراعي وتجاري جديد، وعند نزوحهم إلى الأغواط قاموا بنشاط اقتصادي (زراعي وتجاري) مما أدى إلى احتكاكهم بسكانها الأصليين، ويبدو أن الخلاف المذهبي كان أحد أسباب هذا الاحتكاك فتم طرد أولاد باخة أولا وقد استعان بنو الأغواط على أولاد باخة بإخوانهم من العفافرة، ولكن ما لبث بنو الأغواط أن قاموا بطرد العفافرة عندما ضعفت شوكتهم بخروج إخوانهم

[1] – مياسي إبراهيم، مرجع سابق، ص89. علالي، مرجع سابق، ص33.

[2] -Philibert, op.cit, p 107. Mangin. Op.cit. p382.

[3] -Trumelet, **l'algerie legendaire**. Ed adolphe jordan libraire edition, alger, 1892, p502.

[4] – البشير بديار، **ديوان سيدي الحاج عيسى الأغواطي 1089–1150هـ/1678–1737م**، ج و تح: البشير بديار، د د ن، 2009، ص34. لزهاري لبتر، **العودة إلى الاغواط ألف سنة بعد بني هلال** ، دار الفارابي، الجزائر، 2002، ص35. مياسي إبراهيم، مرجع سابق، ص88.

قبلهم، وقد حدثت هذه الواقعة في بداية القرن الحادي عشر هجري، وقد نزل العفافرة في بريان أما أولاد باخة فقد نزلوا بالقرارة. [1]

وبسبب هذا الطرد ساءت العلاقة بين بني الأغواط وأهل ميزاب من الإباضية، وهو ما ترجم في أحداث ووقائع عسكرية بين الطرفين، حيث جمع الميزابيون سنة 1752 جموعهم مع عقدهم لتحالفات مع قبائل بدوية وقاموا بالهجوم على الأغواط والتقى الجمعان في معركة انتصر فيها تحالف بني الأغواط وسيطروا على وادي مزي.[2]

وقد أورد ابن هطال التلمساني[3] صورا عن توتر العلاقات بين الطرفين في كتابة رحلة الباي مُحَمَّد الكبير، حيث استنجد بنو ميزاب بالباي مُحَمَّد الكبير غداة حملته على الأغواط وقد حاول بنو ميزاب إقناع الباي بتسليمهم قصر الأغواط وعندما فشلوا سألوه أن يفرض الصلح على الأغواطيين وأن يسعى لإطلاق سراح أسراهم لدى بني الأغواط، فكتب الباي مُحَمَّد الكبير للأغواطيين بإطلاق سراح الميزابيين أما الصلح فلم يفرضه على الطرفين.[4]

ولكن يبدو أن حالة الصراع لم تكون دائمة[5] بدليل ما أورده الشيخ إبراهيم بن بحمان المصعبي في رحلته الحجية وهي رحلة حجية شعرية، حيث نزل بالأغواط في منزل " طاهر بوراس "كبير الأحلاف كما سماه، وإن كان يبدو أنه ما زال يحمل ضغينة للأغواط حيث وصفها ب: كثرة المعاصي، حيث قال:

---

[1]- حمو مُحَمَّد عيسى النوري، **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، دار مساحات المعرفة، الجزائر، 2015، ج1، ص104-105. يوسف بن بكير الحاج سعيد، مرجع سابق، ص61. مياسي إبراهيم، مرجع سابق، ص89. عطاء الله طالبي، **صور من الحياة الثقافية في مدينة الاغواط بين القرنيين 18م 20** ، أعمال الملتقى الأول لاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الاغواط ، 14-16افريل 1998، ص18. أنظر أيضا:

MOTYLINSKI (A. de C.) , **Notes historiques sur le Mzab**. R. A.V.28, P387

[2] - MANGIN , OP.CIT ,V 37, P383

[3]- للتعريف بابن هطال التلمساني أنظر: ناصر الدين سعيدوني، **من التراث**..، مرجع سابق، ص 448.

[4]- أحمد ابن هطال التلمساني ، مصدر سابق، ص70-71. . أنظر أيضا: حمو النوري، ج1، ص105. مياسي إبراهيم، مرجع سابق، ص90.

[5]- هناك حالات حدث فيها تحالف بين الأرباع وبني ميزاب حتى في قضايا ميزابية داخلية أو ما كان يعرف بحروب الصفوف في وادي ميزاب. أنظر: حمو النوري، مرجع سابق، ج1، ص58.

لـــدى عصـــــر سبت قد دخلنا ببلدة تســـمى بأغواطن (كذا) كثير المعاصيا

نـــزلنا بحوش كان ملكا لطـــاهـــر ســلالة براس (بوراس) كبير أحـــــلافيا

أقمنا به يوما أو يومين بـــــــــعده رحـــــلنا أصـــــيل رابع للـبراريا[1]

-الوضع السياسي والإداري داخل قصر الأغواط: كانت الأغواط مثلها مثل بقية الواحات لها نظامها السياسي المحكم و الذي يتشكل من " الجماعة " كأعلى سلطة و تضم أعيان القبيلة أو العرش وهي التي تقرر و تنفذ قراراتها ، و يكون على رأسها شيخ حيث كانت المشيخة يتقاسمها قبل سنة 1828 أولاد سرغين و أولاد أحلاف،[2] و كان الشيخ يتمتع بسلطة يمنحها له القياد و ينفذ القايد أوامر الشيخ و هو المسؤول عن الشرطة و أعمال التضامن (التويزة) للمصلحة العامة كبناء المساجد و حصد المحاصيل... الخ و يمنح رواتب كل من الإمام الذي يصلي بالناس و المنادي " الذي يعلن للناس القرارات المهمة بالإضافة الى " الشاهد " و هو الاداري الذي يسجل عقود الزواج و الملكية بموافقة الجماعة و بحضور القاضي المخول بفض النزاعات عن طريق الشرع الاسلامي [3]،و يعتبر القاضي من الشخصيات المهمة في الجماعة فهو المكلف بالأوقاف و التي تعتبر مصدر مالي أساسي للمدينة فمنها تبنى المساجد، المدارس القرآنية و الحمامات، بينما يكلف " المحتسب " بمراقبة حركة التجارة و الأسواق و الأسعار و جباية مداخيل الأسواق، و التي كانت أيضا مصدرا ماليا مهما للمدينة.[4]

---

[1]- إبراهيم بن بحمان المصعبي، **رحلة المصعبي**، تح وتع: يحي بن بهون حاج أحمد، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2017، ص68.

[2]- فون مالتسان، مصدر سابق، ص209. علالي، مرجع سابق، ص33. أنظر أيضا:

Chettih Mohammed , **La bataille de Laghouat legéncide décembre 1852**, imprimerie bensalem, laghouat,2009, p28-29.

[3]- عيسى بوقرين، **انتفاضة بن الناصر بن شهرة 1851-1875**، رسالة ماجيستير غير منشورة ، جامعة الجزائر2009-2010، ص 26. أنظر أيضا: Chettih Mohammed ,op.cit, p32-36. .

[4]- علالي، مرجع سابق، ص33. عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص27. أنظر الملحق رقم: 09.

ويصف ابن الدين الأغواطي يصف حالة العلاقات داخل قصر الأغواط بقوله: "..أما السكان فهم فريقان فريق يسمى الأحلاف وفريق يسمى أولاد سرقين، وهم غالبا في حالة حرب بينهم وسبب الخصومة بينهم على العموم هو رفض فريق منهم طاعة شيخ البلدة.."[1] ويؤكد هاينريش فون مالتسان هذه الفكرة بقوله:" كانت الأغواط منذ القديم مقسمة إلى حزبين يظل النزاع قائما بينهما ... و يتكون هذان الحزبان من الأحلاف و أولاد سرغين ... "[2]

بعد خصومات عديدة وعنيفة فقد على أثرها أولاد الأحلاف زعيمهم" السائح بن زعنون" وأخوه "معمر بن زعنون" ، وبما أن "السائح بن زعنون"، لم ينجب أولادا وأخوه معمر ترك طفلين صغيرين أكبرهما "أحمد بن سالم"، الذي استطاع أن يكسب ود الجميع ، ويحكم الاغواط بمفرده بعد أن تزوج ابنة قائد "أولاد سرغين" "أحمد بن لخضر"، وبعد تولي أحمد بن سالم السلطة في الاغواط سنة 1828،[3] عرفت البلاد نوعا من الاستقرار والهدوء سمح بنمو و ازدهار الحركة التجارية المتمثلة في التبادل بين أهل الشمال المحملين بالحبوب والمواد الغذائية، وأهل الجنوب بمنتجاتهم الزراعية خاصة التمور و السلع الإفريقية[4]، وقد بلغ عدد سكان قصر الأغواط قبيل الاحتلال الفرنسي حوالي 3000 نسمة.[5]

-الدور الاقتصادي :تعتبر الوظيفة الاقتصادية[6] للأغواط والتي تشكلت في الفترة العثمانية أهم دافع لظهور وبروز قصر الأغواط والمنطقة ككل كوسيط ومحطة تجارية، ومن هنا يمكننا تفسير ورود اسم الأغواط والقصور المحاذية لها في مصادر الفترة الحديثة، وندرتها أو انعدامها في الفترة الوسيطة، ذلك أن طرق التجارة التقليدية في العصر الوسيط سواء كانت شمال- جنوب أو شرق-غرب كانت تبتعد جدا عن الأغواط، في حين كانت وارجلان والزاب في الشرق وسجلماسة وفيجيج في الغرب، تتبع

[1]- ابن الدين الأغواطي، مصدر سابق، ص87.

[2]- فون مالتسان، مصدر سابق، ص209.

[3] - Mangin. Op.cit, 79.

[4]- إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص91. محمود علالي ، مرجع سابق، ص 37.

[5]_ أرنو، مصدر سابق، ص 177.

[6]- للمزيد من المعلومات حول وظائف المدن. أنظر: سامية بن عمر، **وظائف المدينة**، الملتقى الوطني : المدينة وإشكاليات العمران الجديد، 20-21 أفريل 2008، جامعة الأغواط، ص70 وما بعدها.

تموضع عواصم الدويلات التي ظهرت في المغرب الأوسط مثل قلعة بني حماد أو تلمسان أو قسنطينة، في حين أن وصول العثمانيين إلى الجزائر وتحويلهم لمدينة الجزائر إلى عاصمة سياسية واقتصادية للقطر ككل، قد نشط الطريق الرابط بين الجزائر —المدية–الأغواط– ميزاب– توات–السودان، بينما شهدت هذه الفترة (الحديثة) تقهقر بعض المراكز التجارية التي كانت نشطة في الفترة الوسيطة مثل قسنطينة وتلمسان، وحتى بعض المراكز الصحراوية مثل بسكرة وورجلان لم تعد مثلما كانت عليه في العصر الوسيط[1]، ومن جهة أخرى فإن وقوع الأغواط في طريق الحج المغربي الذي نشط في الفترة الحديثة بسبب اهتمام دول المغرب الأقصى (السعدية وخصوصا العلوية) بهذا الطريق قد جعلها محطة لالتقاء أهم طرق التجارة والحج في الفترة الحديثة.

وبالعودة إلى المؤرخ مُحَّد العربي الزبيري في كتابه "التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830" فقد أشار إلى أنه كان يمر بالأغواط: - الطريق العرضاني الأوسط الذي يربط مدينة قفصة التونسية بفيجيج المغربية عبر بسكرة والأغواط والأبيض سيدي الشيخ، إضافة إلى الطريق القطري الشرقي الذي يربط وادي ميزاب بالقطر التونسي مرورا بالأغواط وبوسعادة وقسنطينة والكاف، [2] وقد كانت القوافل التجارية التي تنطلق من بسكرة متجهة إلى فيجيج وتافيلالت تستعمل طريق يمر على الأغواط والبيض، محملة بالمنسوجات المستوردة من تونس والأقمشة ذات الصنع المحلي، وفي الرجوع تستورد المشاط والأقمشة المستوردة من أوربا والخيول والأسلحة.[3]

لعبت القبائل الرحالة ومنها قبائل الأرباع وحلفائها دورا كبيرا في تنشيط الأسواق السنوية، حيث يتم في هذه الأسواق تبادل منتوجات الصحراء المتمثلة أساسا في التمور والماشية والأصواف وريش النعام والملح والعبيد بمنتوجات التل المتمثلة أساس في الحبوب والزيوت والتين، وتعتبر بوسعادة

[1]- عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ج2، ص86-88. يوسف بن بكير الحاج سعيد، مرجع سابق، ص46. أنظر أيضا: ولد أيده، مرجع سابق، ج1، ص42-43.

[2]- مُحَّد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص67. أنظر الملحق رقم: 05.

[3]- كاريت، مصدر سابق، ج6، ص170.أنظر أيضا: مُحَّد العربي الزبيري، المرجع نفسه، ص176. يمينة بن اصغير حاضري، مرجع سابق، ص145. يوسف بن بكير الحاج سعيد، مرجع سابق، ص46.

مثالا على هذه الأسواق السنوية، حيث يلتقى سكان الجبال من جرجرة والأوراس بسكان الصحراء ومناطق تيارت وتيسمسيلت.[1]

وكانت أكبر القوافل التجارية المارة بالأغواط هي ركب الحج المغربي، وأهمها هي التي تتجمع في تازة ثم ترحل إلى تافيلالت حيث ينضم إليها حجاج الصحراء القادمون عن طريق درعا، وبعد ذلك تدخل إلى الجزائر فتمر بالمحطات التالية: بوسمغون، الغاسول، عين ماضي، تاجموت ، الأغواط، وفي هذه الأخيرة تنقسم القافلة إلى فرعين يتجه أحدهما إلى ورقلة عن طريق غرداية، ثم يصعد شمالا إلى توزر في بلاد الجريد مرورا بتماسين وتقرت، ويواصل الثاني سيره إلى غمرة وسيدي خالد وبسكرة وسيدي عقبة والفيض ومدينة توزر، وفي كل مدينة أو قرية يمر بها الركب كان الحجاج يتاجرون مع سكانها، كما أن القافلة نفسها كانت تشكل سوقا متنقلا بالنسبة لجميع أفرادها،[2] ويورد كاريت رقما مهما لقافلة الحج المغربي المارة بالأغواط وهو 8000 شخص وهم فقط حجاج المغرب الأقصى[3]، وكانت هناك حركة تجارية أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها هي حركة قوافل الجنوب نحو منطقة الساحل السوداني، الغنية بالذهب والعبيد وكانت التجارة بين الإيالة وأسواق بلاد السودان تمر بالأغواط وميزاب والقليعة وصولا إلى واحات توات، ومنها إلى بلاد السودان.[4]

[1]- كاريت، مصدر سابق، ج6، ص80، 168-169. صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي**، الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2013، ص 519. خليفة عبد القادر، مرجع سابق، ص30-31، 35. أنظر الملحق رقم: 06.

[2]- للمزيد حول طرق التجارة والحج المغربية المارة بالأغواط أنظر: مُحَمَّد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص 184.بن خروف، مرجع سابق، ج2، ص65-69. كاريت، مرجع سابق، ج6، ص 149.

[3]- كاريت، مرجع سابق، ج6، ص 151-152.

[4]- يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الإسلامية الغربية في مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص40. أمين محرز، **الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671**، البصائر الجدية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص199. أنظر أيضا: صالح عباد، مرجع سابق، ص521. بن خروف عمار، ج2، ص65-69. مياسي إبراهيم، **مقاربات في تاريخ الجزائر1830-1962**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص36.

ثانيا: هجرات البدو وتوطنهم: خلال القرن الحادي عشر الميلادي وما بعده استطاعت القبائل الهلالية النازحة من الشرق أن توسع نفوذها في منطقة الأغواط، وتطرد القبائل البربرية نحو الغرب وفي بعض الاحيان نحو الجنوب، كما حدث مع قبائل بني راشد التي أبعدت نحو الجهة الغربية، بينما استحوذت كل من قبيلة أولاد يعقوب[1] على الحدود المتاخمة للمدينة من الناحية الغربية، وقبيلة رحمان[2] على الحدود الشرقية للمدينة والزناخرة[3] في الجهة الشمالية وفي الجهة الجنوبية وصولا إلى واد ميزاب إضافة إلى البواعيش[4]، وزيادة على القابئل المذكورة آنفا ذكر عبد الرحمن بن الحاج إبراهيم بن سبقاق المذبوحي في معرض حديثه عن صحراء بريان أن المنطقة الشمالية كانت تعج بعدة أعراش منها أولاد عقاب وأولاد فرشيش، قال: " وأما الصحراء الجوفية فعرب مخلطة منهم الزناخرة والبواعيش وأولاد يعقوب وأولاد عقاب والفراشيش"،[5] واستمر هذا الواقع حتى قدوم قبيلة الأرباع من منطقة الزيبان وتحديداً من أولاد جلال وهي القبيلة التي ستصنع جزاء كبيرا من تاريخ المنطقة.

وفي الخزانة العائلية للشيخ سيدي بن شاعة بن الصغير يوجد عقد مصور لبيع واد نسا، الذي يعتبر الحد الفاصل بين بلاد الأغواط وبلاد الشبكة، وطرفا هذا العقد هم قبيلة الزناخرة كبائعين، وأهل بريان وأولاد سيدي يحي كمشترين، وبحضور ووساطة أعيان الأرباع، وتحوي الوثيقة مداولات البيع

---

[1]– **أولاد يعقوب:** حسب ابن خلدون فهم فرع من بني عامر وموطنهم كان جبل أبي راشد (العمور) وجنوبها، ومضارب ترحالهم في واد جدي إلى غاية القرن 17 حيث كانوا في حلف مع قبيلة رحمان وبعد مجيئ الأرباع في نفس القرن عملوا على تفرقة هذا الحلف وطردوا أولاد يعقوب غربي الأغواط (تاجرونة ووادي زرقون) حيث أصبح هذا الوادي مكانهم المفضل. ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص68. دو فيلاري، مصدر سابق، ص120. ناصر مجاهد، مرجع سابق، ص58، 61-64.

[2]– **رحمان:** وهم فرع من مسلم من رياح القبيلة الهلالية حسب ما يروي ابن خلدون. ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص51.

[3]– **الزناخرة:** هناك اختلاف خول أصل الزناخرة، فهناك من يقول بالأصل العربي الهلالي، وهناك من يعدهم بربرا صنهاجيين، في حين يميل طرف ثالث إلى اعتبارهم خليطا أو حلفا قبليا، وقد تم إجلاء الزناخرة من موطنهم قرب الأغواط إلى الشمال من طرف الأرباع أنظر حول هذا الموضوع: محمود الأخضاري، مرجع سابق، ص86. وأنظر أيضا:

-MANGIN , OP.CIT, P377-378.

[4]– **البواعيش:** قبيلة هلالية، كانت تقيم جنوب وشمال الأطلس الصحراوي (الأوسط) وكانت لخم حروب ومعارك مع قبائل المنطقة مثل الصحاري وأولاد نايل والأغواط، وقد بقي جزء منهم قرب الأغواط إلى غاية القرن 17م، حيث قام الأرباع بطردهم إلى شمال الجلفة وجنوب المدية (حاليا) وهم متواجدون بنواحي قصر البخاري. أنظر: دوفيلاري، مصدر سابق، ص119.

[5]– عبد الرحمن بن الحاج إبراهيم بن سبقاق المذبوحي، **ورقات مخطوطة**، الناسخ: مُحَمَّد بن قلة المهداوي، سنة 1272هـ، مخطوط بالخزانة العائلية لسيدي بن شاعة بن الصغير الحرزلي، ورقة 3 ظ 3.

ومفاوضاتها والتأكيد على أسبقية الزناخرة وأقدمية ملكيتهم لوادي نسا قبل إخراج الأرباع لهم من المنطقة وانتقالهم إلى التل، مع ذكر تدخل وتوجيه الآغا يحي والسلطة المركزية في دار السلطان، وقد أسفرت المفاوضات عن بيع وادي نسا بمبلغ 800 ريال كرينتي وحرر هذا العقد من طرف كاتبه مُحَّد بن الخيذر بن مُحَّد بن أحمد بن يوسف المليانى بتاريخ آخر رمضان 1184 هـ .[1]

1/ التعريف بقبيلة الأرباع: يذكر إبراهيم الساسي العوامر أن الأرباع من العرب القحطانية فهم أبناء الربيع بن زياد بن الربيع بن قنان بن سلمة بن المعقل بن كعب بن ربيعة بن الحرث بن كعب بن حرب بن علة بن خالد بن مالك بن أدد وهو مذحج بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن مالك بن أدد بن يشجب بن يعرب بن قحطان،[2] وهو في نظري وفي نظر الكثير من الباحثين قول مستبعد، إذ كيف يكون الربيع بن زياد جدا جامع لهذه القبائل وهم من أصول مختلفة كما سنتبين لاحقا، ويقال أيضا أن أصل الأرباع يعود إلى قبيلة يمنية اسمها أربعن أو أرباعن و لعل الأجذع الهمذاني يقصدها في قوله : **أسألتني بركائب و رحالها * و نسيت قتل فوارس الأرباع**[3]

بينما هناك من يرجح الأصل الهلالي لهذه القبائل مثل: lehureaux[4] في حين يرجعها كل من: Mercier[5] و Gauthier إلى البربر المستعربة، ولكن الثابت أن تشكل هذه القبيلة قد تم في فترة حديثة نسبيا حيث لم يرد اسمها في مؤلفات الفترة الوسيطة التي اهتمت بالجغرافيا البشرية للمنطقة وبالخصوص تاريخ ابن خلدون الذي فصل في كثير من أحوال قبائل الزاب أو الأطلس الصحراوي العربية منها والبربرية.

---

[1]- مُحَّد بن الخيذر المليانى، **شراء أولاد يحي لوادي نسا من الزناخرة**، وثيقة مصورة موجودة بالخزانة العائلية للشيخ سيدي بن شاعة بن الصغير الحرزلي الأغواطي.

[2]- إبراهيم الساسي العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف** ،منشورة ثالة ،الجزائر ،2007 ،ص 376. بشير بديار، ديوان..، مرجع سابق، ص31-32.

[3]- ابن حائك حسن بن أحمد الهمذاني، **الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير**، تح: مُحَّد أكوع حوالي، وزارة الثقافة والسياحة، اليمن، دت، ج15، ص77.

[4] - Léon LE HURAUX, **Le nomadisme et la colonisation dans les hauts plateaux de l'Algérie**, Éditions du comité de l'Afrique ; 1931 ,p33.

[5] - Ernest Mercier, **Histoire de l'Afrique septentrionale**, t III, Paris, ERNEST LEROUX ÉDITEUR , 1868, p 548

كانت قبيلة الأرباع[1] تتشكل قبل قدومها إلى الأغواط من أربع فرق – ولعل هذا سبب تسميتها بالأرباع- هي المعامرة، الحجاج، أولاد زيد، وأولاد صالح،[2] وقد استقروا في الخط الشمالي من

[1]- تتعدد الروايات حول وجود أجزاء من قبيلة الأرباع خارج حدودها الحالية وهي منطقة الأغواط، ومن خلال البحث يمكن أن نقول أن هناك بعض المناطق التي يعتقد بوجود فروع من الأرباع بها وهي:

1- **لارباع** أو **أرض الربيع**: هي إحدى بلديات ولاية باتنة حاليا، يسكنها عرش يحمل نفس الاسم ، وكلمة الأرباع و التي مفردها الربع, وهو الموضع الذي ينزل فيه زمن الربيع, و يقال أربع القوم وتعني أرض الاقامة في فصل الربيع, و المنطقة تشتهر بالرعي ويقوم سكانها في فصل الشتاء بالتوجه مع ماشيتهم للرعي في الصحراء ، أما في فصل الربيع فيرجعون بها إلى لارباع، وهي نفس عادة قبيلة الأرباع الأغواطية، لكن هناك راي ثاني عن أصل هذا الاسم تقول أن هذا الاسم يرجع إلى رجل يدعى الأرباعي قدم إلى هذه المنطقة مع بعض اهله و سكنها , وهو من قبيلة الارباع التى كانت بمنطقة بسكرة حيث تشكلت قبيلتهم ثم انتقلوا إلى منطقة الأغواط. أنظر المقال المعرف لهذا العرش والبلدية المسماة باسمه على موقع ويكيبيديا، وقد اضطررت للاعتماد عليه بسبب عدم حصولي على مراجع، وللالتزام بالأمانة العلمية:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D8%B9، آخر إطلاع : 2020/02/28، الساعة 12:00.

2- **لارباع**: وهو عرش يقطن حاليا بولاية برج بوعريريج ، وذلك بحكم أنه عرش شكل بلدية بأكملها وهي بلدية تيكستار أما أصل هذا العرش فيعود إلى إتحاد مجموعة من القبائل من بينها أولاد صالح، وكان ذلك خلال القرن 17م أين تفرقت الأرباع في ربوع الوطن مع الحفاظ على التسمية الأم (نجدها تحمل اسم لارباع والأرباع ولرباع)، وتفرع أولاد صالح بولاية برج بوعريريج ، وكانت لارباع تابعة لأول مرة إداريا لقيادة قصر الطير وفقا لمرسوم 10 أوت 1875م، وبعد تأسيس البلدية المختلطة عين تاغروت سنة 1880م أصبح عرش لارباع تابع لها، وبعد تأسيس بلدية ريغة المختلطة سنة 1884م أصبح عرش لارباع تابع لريغة إداريا وقبليا، إلى غاية تأسيس بلدية تيكستار بتاريخ سنة 1958م أين أصبح عرش لارباع بمثابة بلدية بحكم أن جل سكان تيكستار في ذلك الوقت ينتمون لهذا العرش، وقد ورد ذكر المنطقة في رحلة الورثيلاني خلال القرن 18م ، كما نجد ذكر عرش لارباع في ثورة المقراني حيث شاركوا بفعالية الثورة ، ولذلك نجد عرش لارباع ضمن العروش التي مسها قرار 19 سبتمبر 1871م المجحف والذي صادر العشرات من أراضي عائلاتها. أنظر: الصالح بن سالم، **ملف الأعراش بمدينة عين تاغروت**، مقال على شبكة الفايسبوك،
https://www.facebook.com/groups/889942911122829/permalink/1634659239984/522/، نشر : 2018/05/18.

3- **قبيلة الربايع**: يرى العروسي أن الأرباع انفصلت من الربايع في واد سوف حيث نزحت إلى الزاب ومن ثم إلى الأغواط. أنظر: الصادق بن أحمد العروسي، **العرف الرياحيني في ترجمة سيدي الحاج علي التماسيني**، مر و تص: أحمد العروسي التيجاني، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 2015، ص45.

[2] - (E) Mangine ,**Not sur l'histoire de Laghouat** ,Révue Africaine ,1893 ,p 377.

الصحراء ناحية الزيبان ببسكرة, واجهوا مشاكل و حروب مع القبائل كان هذا سنة 1635، هاجر (المعامرة والحجاج) أولا إلى جبل بوكحيل بمسعد (ولاية الجلفة حاليا) واستقروا به 15 سنة، ثم توجهوا إلى الأغواط و استقروا بها، ثم لحق بهم أولاد صالح، أما أولاد زيد فقد بقوا في الزيبان.[1]

يحاول الأستاذ بونات في أطروحته للدكتوراه[2] تفسير تحالف قبائل الأرباع العتيدة ابتداء من الاشتقاق والبنية اللغوية لكلمة (أرباع) مستعينا باللغوي واللساني الأستاذ عمر دهينة المختص في مورفولوجيا اللسان العامي الجزائري و الأغواطي الأرباعي منه خصوصا[3] ، فهي مشتقة من كلمة (ربع) الذي يعني واحد من أربعة (4/1)، ويؤكدها إن أصل الأرباع بعود إلى أربعة قبائل هي : المعامرة ، الحجاج ، أولاد صالح ، أولاد زيد، لينتهي به الأمر إلى كون تحالف قبائل الأرباع وتوسعها لا يعود إلى أصول اثنيه عرقية مترابطة بل إلى تحالفات جيواستراتيجية متكاملة شكلت من أربعة قبائل شكلت مع جيرانها من القبائل الأخرى حلفا متكاملا يصل إلى اثني عشر قبيلة كما يبين الشكل المدرج في الملحق.[4]

[1]- دو فيلاري، مصدر سابق، ص 120. العروسي، مصدر سابق، ص45. للمزيد حول نزاعات وحروب الأرباع مع قبائل أولاد نايل والصحاري حول جبل بوكحيل وزاغر الشرقي أنظر: مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن الديسي، **تحفة الأفاضل في ترجمة سيدي نايل**، تح: مُحَمَّد بسكر، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2016، ص 73-75.

[2]- Yves Bonète, **Contribution à l'étude des pasteurs nomades Arba'a : étude de géographie humaine**, Doctorat de 3eme cycle en Géographie, 1962

[3]- A. DHINA. **Contribution à l'étude du nomadisme** .**Le chameau chez les tribus Arbâ' du sud algerois**. Mélanges Louis Massignon. Inst. français de Damas. 1956,pp 417-428.A. DHIN.A .**Notes sur la phonétique et la morphologie du parler des Arbâ**'. R.A, 1938, p313-352.

[4]- أنظر الملحق رقم: 07.

وهناك تصور تاريخي لتشكل قبيلة الأرباع يؤيده في ذلك مجموعة من الشواهد التاريخية وهو كالتالي:

- **المعامرة:** وهي قبيلة هلالية من الزيبان المجاورة لأولاد جلال، وهم ينقسمون إلى قسمين: أولاد سي عيسى[1] والزكازكة أو السكاسة.[2]
- **الحجاج:** وهم عبارة عن تحالف قبلي وليسوا من أصل واحد، وهم ينقسمون إلى فرعين: أولاد أونيس وأولاد ورقلة، وكان المعامرة والحجاج أول النازحين من الزيبان.[3]
- **أولاد صالح:** وهم ينقسمون إلى: العبابدة–صفران و أولاد زيان، أولاد عطية، أولاد داود، الزناقحة.[4]
- **أولاد زيد:** ذات الأصول الهلالية، والتي زعم بعض المؤلفين أن أصلها إدريسي حسني وقد فضلوا البقاء في الزيبان،[5]مع بقايا حلفائهم من قبيلة رحمان ومن هنا أتت ربما تسمية الربايع التي تنتشر في الجنوب الشرقي، وقد انفصل عنهم أولاد غياث وانضموا إلى فرع الحجاج، والجدير بالذكر أن أولاد زيد كانوا فرعا قويا وذا شوكة في بداية نزوح الأرباع إلى منطقة الأغواط، ولكن أمرهم تشتت بعد ذلك.[6]

ويرى البروفيسور مُحَمَّد السويدي بأنه حوالي سنة 1660 نزحت قبائل أولاد يعقوب نحو الغرب باتجاه جبال العمور بسبب ضغط قبائل الأرباع المتحالفة مع قبيلة رحمان(وهي قبيلة هلالية من رياح) ، بحيث تحالفت أجزاء من قبيلة رحمان مع نظيراتها من فروع الأرباع على الشكل الآتي الذي فصله الأستاذ إيف بونات :

---

[1]– وهم ليسوا أولاد عيسى النوايل، ولا أولاد سيدي الحاج عيسى التلمساني ولي الأغواط، ولا أولاد سيدي عيسى في المسيلة.

[2]– توجد قبيلة يمنية بهذا الاسم، ومنه يمكن ترجيح الأصل اليمني لهذا الفرع على الأقل، السكاسك بفتح السين الأولى وكسر الثانية المهملتين. السكاسك والسكون بطنان كبيران من كندة، ووادي السكاسك موضع بالأردن نزلته السكاسك حين قدموا الشام زمن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه. أنظر: أبو سعد عبد الكريم السمعاني، **الأنساب**، عبد الرحمن المعلمي اليماني وآخرون، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1962 م، ج7، ص159.

[3]– قارة مبروك، مرجع سابق، ص147.

[4]– المرجع نفسه، ص147.

[5]– دو فيلاري، مصدر سابق، ص178. قارة بالمبروك، مرجع سابق، ص147.

[6]– دو فيلاري، مصدر سابق، ص123.بشير بديار، **ديوان**..، مرجع سابق، ص32.

- أولاد خليفة وأولاد ابراهيم (رحمان) مع المعامرة وهم أولاد عيسى والسكاسكة (الأرباع)

- المطالية والنويرات (رحمان) مع الحجاج وهم أولاد أونيس وأولاد ورقلة (الأرباع).[1]

كما تعزز حلف الأرباع بانضمام القبائل الشريفة (التي تدعي نسبتها إلى الأدراسة) وهي قبيلة الحرازلية[2] وقبيلة أولاد سيدي عطاء الله[3] وقبيلة المخاليف[4]، بينما تم طرد كل من قبائل أولاد يعقوب غرباً باتجاه جبل العمور ووادي زرقون، والزناخرة والبواعيش شمالا باتجاه قصر البخاري، وهكذا بعدما كان اسم قبيلة الأرباع يدل على عدد القبائل المنضوية تحتها، أصبحت مكونة من تحالف كبير يضم عدة عروش وقبائل وصلت بحسب التقسيم الفرنسي سنة 1875 إلى عشرة عروش كبيرة وهي : أولاد سيدي سليمان(الحرازلية)، أولاد بن شاعة (الحرازلية)، الحجاج، الزكازكة، المعامرة، المخاليف، العبابدة–صفران، أولاد صالح ، وأولاد وزيان، أولاد سيدي عطاء الله. [5]

وبالتالي ومع مرور الزمن تغير مدلول اللفظة من الأرباع القبيلة المكونة من أربعة عروش إلى حالة اجتماعية تشترك فيها مجموعة من القبائل المجاورة للمدينة والمتمثلة في حياة البادية والترحال، وقد قسمت السلطات الفرنسية القبائل خوفا من ثوراتهم، خططت لكل عرش منطقة رعوية خاصة بها وزراعية ملك لكل عرش بالصحراء، حتى أنها أنشأت بلدية سميت باسمهم :"بلدية الأرباع" وهي بلدية متداخلة مع بلدية الأغواط، وهي أكبر منها مساحة وتعتبر من بلدات القطاع الريفي، لكنها تختلف

[1] -Yves Bonète. Op.Cit, p16-17. أنظر أيضا: مُحَّد سويدي، مرجع سابق، ص 168.

[2] – **الحرازلية:** نسبة إلى سيدي أحمد بن حرزالله، دفين دمد في مسعد. دوفيلاري، مصدر سابق، ص127.

[3] – **أولاد سيدي عطاء الله:** نسبة إلى سيدي عطاء الله بن العابد دفين تاجموت. للمزيد حول هذا الولي أنظر كتاب محمود الأخضاري، **الولي سيدي عطاء الله بن العابد – تاريخ رحلة**، مطبعة رويغي، الأغواط، 2017.

[4] – **المخاليف:** نسبة إلى سيدي أحمد بن مخلوف.صادقي مخلوف، مرجع سابق، ص220–221. قارة مبروك، مرجع سابق، ص101.

[5] – بشير بديار، مرجع سابق، ص32. محمود الأخضاري، مرجع سابق، ص 86.مُحَّد سويدي، **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص 167. والأرباع بعد الاستقلال أصبح اسما لإحدى بلديات ولاية الأغواط ،متداخلة مع بلدية الأغواط، 95 ٪ من سكانها من البدو الرحل، وأغلب نشاطهم تربية المواشي .أنظر مُحَّد سويدي، مرجع سابق، ص 168. ولكن هذه البلدية لم يعد لها وجود بعد آخر تقسيم اداري. دلاسي، مرجع سابق، ص120.

عن الريف في أن 95 بالمائة من سكانها من البدو الرحل، يقوم نشاطهم على تربية المواشي،[1] وقد استمرت هذه البلدية إلى غاية التقسيم الإداري لسنة 1984.

استقر بعض هذه العروش على حواشي المدينة وتصاهروا مع السكان الحضريين داخلها، بفضل سيدي الحاج عيسى الذي أصلح بين الأرباع وسكان القصر،[2] واختطوا القرى كالعبابدة بالخنق، وعرش رحمان (أولاد براهيم وأولاد خليفة) من قبيلة بني هلال بقصر الحيران[3] والحجاج (أولاد أونيس وأولاد ورقلة) والمعامرة (أولاد سي عيسى والزكازكة) بالمخرق (بلدية بن ناصر بن شهرة حاليا) ، وأولاد سيدي عطاء الله توزعوا بين الأغواط وتاجموت حيث ضريح جدهم الجامع،[4] وسكن أولاد زيان وهم فرع من أولاد صالح عين ماضي وباديتها، بينما تفرق بقية فروع أولاد صالح (أولاد عطية، أولاد داود، الزناقحة)غربي الأغواط، في حين توزع المخاليف شمال وجنوب الأغواط وانقسموا إلى فرعين : المخاليف الزرق نسبة لتوطنهم بمحاذاة الجبل الأزرق (لزرق) ومخاليف الصحراء أو الجرب نسبة لتوطنهم بصحراء غرداية وبريان أو بسبب جرب أصاب جمالهم،[5] كما كان الحجاج يرتحلون في الصحراء جنوب الأغواط وفي سهل تاونزة المحاذي لوادي مزي، بينما جال الحرازلية في مضاربهم جنوب وجنوب شرق الأغواط وقصر الحيران وصولا إلى القرارة وبريان ومسعد وحتى الجنوب الشرقي.

وقد ظل هؤلاء العرب الرحل يمارسون تربية المواشي معتمدين على الترحال، كما أقاموا علاقات اجتماعية طيبة بالمصاهرة والمبادلات التجارية بينهم وبين سكان قصور منطقة الأغواط مما سبب ازدهار المنطقة، وهم يتفرعون لأرباع الغرابة و أرباع الشراقة لكل منها مراعيها وحسب الفصول، وقد كانت تنشب الكثير من الحروب و التراعات و الخصومات بين هذه القبائل كان سببها

[1]- محمد سويدي، مرجع سابق، ص 168.دلاسي، مرجع سابق، ص124.

[2]- بشير بديار، ديوان..، مرجع سابق، ص33.

[3]- انضمام قبيلة رحمان الأغواط للأرباع بعد رحيلهم عن الزاب كان لتكوين حلف ضد أولاد يعقوب لمحاربتهم و إبعادهم عن الأغواط و كان لهم ذلك بعد حرب ضروس و رحمان الأغواط يتكونون من أربع قبائل : النويرات – المطالية – أولاد خليفة – أولاد إبراهيم توزعت رفقها على الأرباع بين المعامرة و الحجاج كما أسلفت سابقا.

[4]- للمزيد حول سيدي عطاء الله بن العابد أنظر: محمود الأخضاري، **الولي سيدي عطاء الله بن العابد – تاريخ رحلة**، مرجع سابق.

[5]- صادقي، مرجع سابق، ص 221.

الماء والكلأ بين و مثال ذلك ما كان بين أولاد يعقوب ورحمان ثم مع الأرباع أو ما بين الأرباع وأولاد نايل أو مع قبائل العمور، وقد كان مسار الفصلي لقبائل الأرباع إلى التل في الرواق الفاصل بين جبال أولاد نايل و جبال العمور فالقبائل كانت تتحرك و تنتقل بحثا عن الكلأ خاصة بمناطق التل نواحي تيارت و فرندة و الشلف.[1]

2/الصف الشرقي والصف الغربي أو الأرباع الشراقة والأرباع الغرابة : شكل التحالف بين القبائل أو الأعراش فيما بينها قوة عسكرية تقف في وجه كل من اعتدى على أي واحد من الأطراف المشاركة في الحلف وقد أطلق بعض المؤرخين الفرنسيين على هذه الصفوف أو الأحلاف اسم الكونفدراليات واعتبروها دويلات مستقلة في الجزائر، ولعل هذا ما يفسر نشأة الصفوف العشائرية، وهو خطأ لأن هذه الصفوف تابعة لنظام مركزي تلجأ إليه في جميع القضايا التي تصعب عليها من أجل تسويتها كما أنها تدفع ما يترتب عليها من رسوم قانونية ، وإذا كانت تتمرد من حين آخر شأنها في ذلك شان سائر الجماعات البشرية.[2]

ويمكن تفسير نشأة هذه الصفوف بأنها فكرة مستمدة من واقع الحياة اليومية للإنسان الريفي والبدوي آنذاك التي جعلت في مقدمة المطالب الضرورية للحياة حيازة مجال ملائم للزراعة و الرعي مع ضمان مصادر مياه كافية خاصة في المناطق الجافة وقد وجد السكان في هذه الأحلاف " الصفوف " وسيلة فعالة لحماية أعضائها من أي اعتداء قد تتعرض له من جيرانها في وقت لم يكن فيه للسلطة العثمانية مصلحة في إقرار الهدوء وإرساء النظام ولا سيما بعد أن وجد بعض الحكام الأتراك في هذا الصراع العشائري ، والتنازع القبلي فرصة للتدخل في شؤون الأعراش و القبائل وعاملا مساعدا لإبقاء نفوذهم بالجهات الجبلية التي يصعب السيطرة عليها .[3]

وأهم ما يمكن قوله عن هذه التحالفات أنها كانت دفاعية أكثر منها هجومية و الحقيقة التاريخية تثبت أن القبلية و العشائرية (العروشية) لم يكن لها شأن في العهد العثماني في الصراع على

[1]- دلاسي، مرجع سابق، ص116. أنظر الملحق رقم: 06.

[2]- مُحَمَّد العربي الزبيري ، مرجع سابق ، ص 46.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، **الإنسان الأوراسي وبيئته الخاصة** ، مجلة الأصالة، وزارة الثقافة، الجزائر، 1978، ع60-61 ، ص143

السلطة المحلية سواء على مستوى العرش الواحد أو على مستوى الأحلاف وتتأكد لنا هذه الحقيقة عندما نعلم أن آليات اختيار الممارسين للسلطة على مستوى العرش و الأحلاف تعتمد على السلوك الحسن دينيا ودنيويا للشخص المختار، كما توجد آليات أخرى تضبط العلاقات الخاصة بين أفراد العرش الواحد و العلاقات العامة بين الأعراش وهذا ما يفند تماما ما ذهبت إليه الوثائق الإدارية و المصادر التاريخية الفرنسية في أن الأعراش دائمة القتال فيما بينها لأتفه الأسباب وتعتمد على السلب و النهب إضافة إلى الصراع على السلطة.

إن الصراعات العشائرية يجب أن ينظر إليها من الجانب الاقتصادي وما يترتب عليه من وضع اجتماعي دون أن نعطي أي قيمة للخصائص العرقية وهذا عكس ما دأب عليه بعض الدارسين المغرضين خاصة مؤرخو الاستعمار الفرنسي في الجزائر الذين سعوا إلى تفتيت واقع المجتمع وتماسكه في تلك الفترة ، إذن فتلك الأعراش كانت مدفوعة قهرا لإنشاء الأحلاف وذلك لصعوبة الأوضاع الاقتصادية ما نجم عنه من تأزم الوضع الاجتماعي.

إن الأرباع المؤازرون بمن انضوى تحت اسم هذا الحلف العتيد من رحمان وحرازلية ومخاليف وأولاد سيدي عطاء الله، كانوا دائما بحاجة إلى منفذ إلى تقرت وتمورها في الجنوب، وإلى منطقة التل وحبوبها في الشمال، وطوال سنوات الرحلة بين خطي **"الثريد"** و**"الجريد"** كما تسمى في الثقافة الشعبية المحلية، كان عليهم الاصطدام بحلف أولاد نايل في الشرق والجنوب والشمال الشرقي من مضاربهم، وبحلف العمور في الغرب والشمال الغربي منهم، ومع بني ميزاب والشعانبة في الجنوب أحيانا، وقد تمكنت قبائل الأرباع من السيطرة على خط يمتد من واحات تقرت جنوبا إلى غاية سهول ثنية الحد شمالا، حتى سمي هذا الطريق باسمها: "**مجبد لرباع**"، وقد أورثت الصراعات والمناوشات المستمرة أحقادا وثارات طبعت العلاقات بين هذه القبائل وتحكمت في سياساتها وفي تحالفاتها وعداواتها، وكان للعثمانيين في الفترة الحديثة والفرنسيين بعد ذلك دور في بعض هذه الصراعات.[1]

[1]– دو فيلاري، مصدر سابق، ص179. مازالت بعض المصطلحات الشعبية مثل مجبد لرباع منتشرة في المنطقة إلى حد الساعة ويستعملها سكان المنطقة وخصوصا البدو الرحل للتدليل على طريق وحيز جغرافي معروف لديهم.

عدد الأستاذ (J.HUGUET) أهم الأحلاف التي تواجدت بالصحراء عموما وبالجنوب الشرقي خصوصا: صفوف قصر الأغواط وقصور وادي مزي، صفوف كونفدرالية الأرباع، صفوف الشعانبة ، صفوف ورقلة ، صفوف الصحراء الغربية ، صفوف قورارة توات و تيديكلت [1].

وقد انقسمت الصفوف في منطقة الأغواط على غرار باقي جهات الصحراء إلى :

الصف الشرقي: أو الشراقة ، ويضم كل من النصف الشرقي من قصر الأغواط (أولاد سرغين) ، الأرباع الشراقة (الحجاج ، الزكازكة، المعامرة ، الحرازلية، المخاليف الزرق والجرب)، قصر الحيران، وهذا الصف كان يحالف سلاطين بني جلاب في تقرت وقبيلة سعيد عتبة وأحلافهم من بني واقين في ورقلة،[2] كما يحالفون الصف الشرقي في بلاد الشبكة ووادي ميزاب، فكان من أحلافهم أهل بريان عربا وميزابيين وأهل بني يزقن كافة، وأولاد سي امُحَّد العطاطشة بالقرارة، وأولاد كاسي بن بهون وهم من ميزابيي القرارة، وأولاد باسليمان بغرداية.[3]

الصف الغربي : أو الغرابة ، ويضم النصف الثاني من قصر الاغواط (الأحلاف) ، قصر عين ماضي ، قصر تاجموت ، قصر العسافية ، قصر الحويطة، الأرباع الغرابة: أولاد سيدي عطا الله، أولاد صالح وفروعهم (العبابدة، أولاد زيان، أولاد داود، أولاد عطية، الزناقحة...الخ)، ويحالفهم في الجنوب الشعانبة والمخادمة وبني ثور ويعاضدهم بورقلة بنو سيسين، بينما يساندهم في منطقة وادي ميزاب بلدة مليكة والمذابيح العرب في ضاية بن ضحوة وغرداية، وبعض أهل بنورة الميزابيين، وأولاد سي عيسى العطاطشة بالقرارة، وقد أقامت بعض فروع قبائل الأرباع تحالفات دفاعية مع قبائل في الشمال والجنوب لحماية القوافل والأموال من قطاع الطرق بين الصحراء والتل مقابل إتاوات يدفعها من يستفيد من الخدمة من الطرفين.[4]

---

[1]-J.HUGUET,**LES SOFFS DU TELL,DU SUD ET DU SAHARA**, Revue de l'école d'anthropologie, Novembre 1907,p 372.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2000، ص490.

[3]- يوسف بن بكير ، مرجع سابق، ص47.

[4]- المرجع نفسه، ص47. حمو النوري، مرجع سابق، ج1، ص75.

ثالثا: محاولات الالحاق السياسية:

1/ العلاقة مع السلطة العثمانية: لم تصل الحملات العسكرية والنفوذ السياسي في بداية الحكم العثماني للجزائر إلى المنطقة، وقد يعود سبب ذلك إلى عدم أهمية المنطقة اقتصاديا وبشريا، بخلاف الجنوب الشرقي الذي شن عليه صالح رايس حملة عسكرية لضمه مبكرا،[1] وبتطور المنطقة العمراني وتزايد النشاط البشري، وبروز الوظيفة الاقتصادية وظهور الأطماع العلوية المغربية، سيتزايد الاهتمام العثماني المركزي بمنطقة الأغواط وستجلى هذا الاهتمام في حملات عسكرية منظمة لإخضاع المنطقة بقصورها وقبائلها.

بالنسبة للسلطة المركزية العثمانية في الجزائر فالمنطقة كانت تتبع نظريا إلى بايلك التيطري[2] الذي نظمه حسن باشا ابن خير الدين وعين عليه سنة 1548 رجب كأول "باي" على" التيطري" وعاصمته المدية، والذي ضم دائرة الجنوب: والتي تشمل قبائل رحمان، الزناخرة، العبادلية، المويعدات الشراقة والغرابة، أولاد مختار الشراقة والغرابة، العبازيز، أولاد أحمد الرشايدة، أولاد سيدي عيسى، السحاري، البواعيش، أولاد نايل، الحرازلية، والأرباع، وهذه القبائل تسكن الخيام وهي بدوية، وقصور الأغواط ولم تكن هذه القبائل تخضع كلها للبايلك في أواخر العهد العثماني، لأن الحدود الجنوبية للجزائر في هذه الفترة لم تكون واضحة.[3]

---

[1]- للمزيد من التفصيل حول حملة صالح رايس على الجنوب الشرقي أنظر: سليمان بن مُحَّد حكوم، **ورقلة المجاهدة مع موجز لتاريخ ورقلة من سقوط سدراته إلى الاستقلال على ضوء الوثائق وذاكرة المجاهدين**، دار صبحي للطباعة والنشر، الجزائر، 2016، ص 46-47.

2- بايليك التيطري: هو أحد بايليكات إيالة الجزائر يحده شمالا الأطلس البليدي ومن الجنوب الأطلس الصحراوي ومن الغرب الشلف ومن الشرق جبال ونوغه، للمزيد ينظر صالح عباد: مرجع سابق، ص292. حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص147.

[3]- دوفيلاري، مصدر سابق، ص181.صالح عباد، مرجع سابق، ص458. هلايلي، مرجع سابق، ص 147. مُحَّد دراج، **لمحة عن بايلك التيطري في العهد العثماني**، الملتقى الأول حول تاريخ تابلاط وما جاورها، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، -2-، 2010، ص72.

ولم تعرف منطقة الاغواط الخضوع الإرادي التام والدائم لأي من سلطة مرت عليهم في الفترة الحديثة ، فالأتراك العثمانيين كانت علاقتهم بسكان المنطقة غير وطيدة ، لأن تدخل السلطة المركزية في المناطق النائية كان ضعيفا، وبقي حكام الإيالات يتناوبون على السيطرة على الاغواط ويتنافسون من جهة أخرى مع السلطة المغربية.[1]

ففي عهد الداي يوسف باشا(1647-1650)، قام السلطان المغربي "مولاي مُحَمَّد" بالسيطرة على تلمسان ووجدة ، ووصلت سيطرته حتى عين ماضي والاغواط، ولكن سيطرته كانت مؤقتة ولحظية كما سنرى لاحقا.

لقد استغل بعض الطرقيين تذمر سكان الأرياف من الإدارة العثمانية التي أثقلت كاهلهم بالضرائب لنشر دعوتهم وإعلان الحرب ضدهم، ومن أبرز تلك الثورات التي قادها الطرقيون في مطلع القرن التاسع عشر، ثورة التيجانيين في عين ماضي بالقرب من الأغواط، والتي اندلعت نتيجة للحملات المتكررة التي كان يشنها بايات الغرب ضد المنطقة لإرغامها على دفع الضرائب، [2] فقد كانت عين ماضي في نهاية القرن الثامن عشر مقصدا للعديد من الحملات العثمانية على المنطقة، حيث كانت عين ماضي عرضة لخطرين خطر القبائل المجاورة لها التي كانت تستولي على قطعان ماشيتها وتهدد طرق التجارة، والخطر الثاني الذي ظهر في بداية القرن الثامن عشر ويتمثل في وصول القوات النظامية المغربية إليها بقيادة المولى إسماعيل، لتفرض ضريبة على كل بيت من بيوتها، وأضاف إليها مولاي إسماعيل ضريبة تمسى الخدمة.[3]

ومع نهاية القرن الثامن عشر كان لظهور الطريقة التيجانية أبلغ الأثر في شن العثمانيين حملات على المنطقة إذ أن هذه الطريقة استطاعت في ظرف قصير أن تنظم المجتمع الماضوي خاصة وكثيرا من قبائل الأغواط والصحراء عامة وتجمع ثروة هائلة بفضل تحكمها في التجارة الصحراوية وحمايتها للقوافل إضافة إلى ما يجمع من الزيارات هذه الثروة أثارت طمع البايات، فشنوا عليها الحملات وضربوا عليها

[1] - Odette petit. Op.cit, p168.

[2]- أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص252. أرنو، مُحَمَّد دراج مرجع سابق، ص 68.

[3]-S. Arnaud , **Siege d'Ain Madi**, **par El HADJ-ABDELKADER Ben Mahdine**. Revue Africaine, , n 47, Mars 1864, p355.

الضرائب الباهظة واستحوذوا على خيراتها كلما تمكنوا منها، دون أن ننسى التقارب الذي حدث بين التجانية والحكام في كل من المغرب الأقصى وتونس إضافة إلى الزيارات المستمرة التي كان يقوم بها الشيخ أحمد التجاني بين عين ماضي – تلمسان – فاس – في الوقت الذي كانت فيه العلاقات على غير ما يرام بين هذين القطرين والسلطة العثمانية في الجزائر، أثار مخاوفي العثمانيين واعتبروه بمثابة مؤامرة سياسية تحاك ضدهم بالتنسيق مع سلطان المغرب مما دفعهم إلى شن حملات أخرى على عين ماضي.[1]

إضافة إلى هذه العوامل مجتمعة نجد عامل الوشاية الذي اتخذه أعداء التجاني وسيلة لتأليب البايات، على الطريقة التجانية مستغلين الهاجس الذي أحدثته الثورة الدرقاوية في نفوس البايات ويبدو أن كثرة الوشاة و السعاة كان سببا في توجس البايات خيفة من هذه العائلة (التيجانية) إذ أن الغرب الوهراني كان يعج بأحداث درقاوة التي ذهبت بالأخضر واليابس.

-**حملة شعبان الزناغي**: بحلول عام 1727م تدخلت جيوش باي المدية شعبان الزناغي لفرض سلطة العثمانيين على الاغواط الذي فرض على المدينة ضريبة سنوية قدرت ب 700 ريال.[2]

-حملة الباي مصطفى الوزناجي: باي التيطري سنة 1775 على قبائل الجنوب.[3]

– حملة الباي مصطفى: باي التيطري في سنة 1784 حينما قدم" مصطفى" باي المدية لجمع تلك الضرائب إلا أنه انهزم تحت أسوار مدينة الاغواط ومن خلال الحملات نستنتج أن منطقة الأغواط كانت مستهدفة من قبل البيالك الثلاثة.[4]

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2007، ج1، ص 519.

[2] – دوفيلاري، مصدر سابق، ص181. مياسي إبراهيم، مرجع سابق، ص89.

[3] – محمد دراج، مرجع سابق، ص69.

[4] – MANGIN , OP.CIT, P 383. Odette petit. Op.cit, p22

أنظر أيضا: مياسي إبراهيم، مرجع سابق، ص90.

-حملة الباي مُحَمَّد الكبير: 1785م: [1] قاد الباي مُحَمَّد الكبير-باي الغرب الجزائري – في التاسع من ربيع الأول عام 1199هـ/1785/84م [2]، كان الهدف منها إخضاع عين ماضي والأغواط السلطة بايليك الغرب و في هذا يقول أحمد بن هطال التلمساني "... في جهة القبلة رأى (الباي) أنها ذات بلدان كثيرة و أعراب راحلة و مقيمة إلا أنها لم تنلها أيدي السلطنة و لم يكن منها لملك مصلحة و لا منفعة كأنها أمة أبقت من أهلها أو حرة نشرت من بعلها فشمر لها عن ساعد الجد..."[3]، و أثناء سير الباي إلى عين ماضي و الأغواط، كان لا يمر على قرية إلا و أجبرها على دفع ما يحدده لها من لزمة إلى أن وصل إلى بلدة عين ماضي التي لم يكن لها شأن كبير، خاصة و أن الطريقة كانت في مهدها ، و كان الشيخ أحمد التجاني وقتها مقيما في قرية أبي سمغون بعد أن كان الباي مُحَمَّد قد طرده من تلمسان [4].

فنزل الباي مُحَمَّد قرب عين ماضي، التي لم تكن محصنة إلى درجة مواجهة الباي فلما رأوا أهلها خيلة قد طلعت وبنوده قد أقبلت، فزعت قلوبهم و طاشت عقولهم و غلقوا الديار وعلوا الأسوار وهم مصرخون بالطاعة و طلب الشريعة معلنون فتقدموا وسلموا عليه، وسألوه أن يرفق و يشفق من حالهم و أن يعفيهم من القطيعة الأولى التي فرضها عليهم، فإنهم لم يقدروا عليها ولا طاقة لهم بدفعها، فلما سمع كلامهم و استقص خبرهم أدركته الحنانة و الشفقة عليهم و جعل لهم لزمة اقل من الأولى... و بالغد أصبح أهل "عين ماضي" يدفعون قطيعتهم من الخيل و الخدام و الدراهم، فدفعوا جزءا و أكملوا الباقي في اليوم الذي بعده...»[5].

---

[1]-لمزيد من التفاصيل حول الباي مُحَمَّد الكبير وحملته على عين ماضي ومنطقة الأغواط أنظر: أحمد ابن هطال التلمساني ،مصدر سابق، ص 86-105.أنظر أيضا: مسلم بن عبد القادر الوهراني، **تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنس الغريب والمسافر**، تح وتق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.أحمد بن مُحَمَّد بن علي بن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح: المهدي بوعبدلي، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019، ص 146-147.الآغا ابن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى آخر القرن 18**، تحقيق يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 ، ج1، ص290-299.

[2]- ابن هطال التلمساني، مرجع سابق، ص 37.

[3]- المصدر نفسه، ص 36.

[4]- الوهراني، مصدر سابق، ص63. حمو النوري، مرجع سابق، ج1، ص227-228.

[5]- ابن هطال التلمساني ، مصدر سابق، ص 74.

و لم يبرح مُحَّد الكبير عين ماضي حتى فرض عليهم ضريبة سنوية قدرها ثمانية و ثمانون و مائة ريال، و يذكر أحمد بن سحنون الراشدى حملة مُحَّد الكبير قائلا «... و كذلك أهل عين ماضي فإنه مر بهم في طريقه لبني الأغواط فاتقوه بالطاعة ثم بلغه بعد ذلك أنهم نقضوا الطاعة و خافوا الجماعة فغزاهم أيضا غزاته المشهورة فقاتلوه قتالا شديدا حتي نفذ الرصاص على جسده و احتاج إلى أن دفع لهم ما في كنانته وضاق عليه الأمر بذلك فلم يشعر إلا و بغال قادمة عليه فسأل ما عليها فقيل رصاص اتاك من الجزائر ففرقها على الجيش و كان ذلك من الاتفاق الغريب الذي لم يسبق مثله في مثل ذلك الحال، ما غربت الشمس حتى ملك القرية وجمع نسائها و أولادها ثم من على أهلها بها و ارتحل عنهم بعد أن عادوا إلى الحكمة و التزموا له بما يؤدونه كل سنة...»[1].

-حملة صالح باي 1785: في سنة 1785 لما جهر أولاد عمور بالعداء للأتراك سار إليهم صالح باي فانتهى إلى زنينة وآفلو وتاجموت والأغواط وأوقع عقابا شديدا بدشرة النميلة، فقتل من رجالها 100 رجل [2]، حيث يقول أحمد توفيق المدني في كتابه " مُحَّد عثمان باشا"" ... تحركت جماعة في جبال عمور و أعلنت التمرد و العصيان، فجهز صالح باي حملة عتيدة و سار على رأسها سالكا طريق عين البيضاء و زنينة و آفلو، تاجموت، و بعد أن أرجع جبال عمور الى الطاعة لوى عنانه نحو بلاد الأغواط فهاجمها و احتلها عنوة و أدخلوها في حظيرة المملكة "[3].

-حملة الباي مُحَّد الكبير الثانية 1786: رجع مُحَّد الكبير إلى الأغواط بعد تمردها على ممثل الباي ولم يستطع دخول عين ماضي بسبب تحصيناتها فانتقل إلى الأغواط بعد أن مهد له الأمر السايح بن زعنون.[4]

[1]-ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق، ص 147.

[2]- صالح عباد، مرجع سابق، ص 278.

[3]- أحمد توفيق المدني، **مُحَّد عثمان باشا دار الجزائر 1766-1791 سيرته حروبه أعماله نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 137. حمو النوري، مرجع سابق، ج1، ص227-228.

[4]- عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص 21.

-حملة الباي عثمان بن مُحَّد الكبير عام 1787م : بدأت فكرة الثورة تراود سكان أهل عين ماضي، فبعثوا إلى الشيخ أحمد التجاني و هو في قرية أبي سمغون يطلبون منه تزويدهم بالبارود و الرصاص استعدادا لمجابهة جيش الباي، إلا أن الشيخ التجاني حذرهم من مغبة القدوم على مثل هذا العمل بل نصحهم بدفع الضريبة التي فيها مايهم الباي و حثهم على مسالمته.[1].

غير أن تحذيرات الشيخ التجاني، لم تجد صداها لدى أهل عين ماضي ولم يدفعوا إلى الباي ما عليهم، فخرج الباي عثمان بن مُحَّد في حملة على عين ماضي على رأس جيش مشكل من خمسين خيمة من جند الانكشارية و جيش المخزن سنة 1787 [2].

استطاع الباي عثمان بن مُحَّد اقتحام عين ماضي دون مقاومة تذكر إلا أنه لم يعثر على الشيخ التجاني هناك، ففرض على أهلها غرامة مالية قدرها سبعة عشر ألف ريال بوجو أي ما يعادل (31.320 فرنك) و أجبرهم على دفع كمية كبيرة من البرانس و الحياك، غير أن الواحة لم تخضع بالشكل الذي كان يرغب فيه ،وكان ضغط الأتراك سببا في انتقال سيدي أحمد التيجاني إلى فاس، بينما عرج "الباي عثمان" على الأغواط لينتقم من الذين ناصروا "الشيخ أحمد التيجاني" خاصة" أولاد الأحلاف".[3]

-حملة الباي إبراهيم باي التيطري على أولاد نايل سنة 1814.[4]

-حملة الباي مصطفى قسنطيني على أولاد نايل وقبائل الجنوب سنة 1817.[5]

-حملة الباي مصطفى بومزراق باي التيطري على الجنوب سنة 1819.[6]

---

[1]- أحمد سكيرج، **كشف الحجاب من تلاقي مع الشيخ التجاني من الأصحاب**، ب د ن ، القاهرة ، مصر ، ط3، 1962، ص 404.

[2]-علالي، مرجع سابق، ص36. عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص22.

[3]- صالح عباد، مرجع، سابق، ص 273-274، ص 276. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص91.علالي، مرجع سابق، ص36.

[4]- مُحَّد دراج، مرجع سابق، ص70.

[5]- المرجع نفسه، ص70.

[6]- نفسه، ص70.

-حملة الباي حسن الأولى عام 1820: إن نمو نفوذ التجانية أصبح يزعج السلطة لاسيما و أن قبائل الغرب بات الكثير منها يدفع الزيارة لابني التجاني بعين ماضي، بل حتى القبائل القاطنة في ضواحي وهران أخذت تبعث وفودها إلى عين ماضي، مما أقلق السلطة، و أمر الداي حسين الباي حسن باي بايليك الغرب بشن حملة على عين ماضي و إلقاء القبض على إبني التجاني، وقد اغتنم الباي فرصة استنجاد مجموعة التجاجنة المعارضين للتجاني، الذين طردوا من بلدتهم عين ماضي، بعد أن عاد اليها ابنا الشيخ التجاني، فخرج الباي على رأس جيش مشكل من 700 جندي و 4000 من فرسان المخزن بالإضافة إلى قافلة من الجمال المحملة بالمؤونة و الذخيرة و اثنين من المدفعية.

غير أن ابني التجاني لم ينتظرا وصول الباي حسن، فبعد تشاور بين ابني التجاني و الخليفة الأكبر الشيخ الحاج علي التماسيني و بناء على رؤيا تم الاتفاق على أن يرسل مُحَمَّد الحبيب الى قرية أبي سمغون و مُحَمَّد الكبير الى تماسين، مما دفع الباي إلى محاصرة البلدة مدة شهر كامل إلى أن يئس، فطلب من أهلها دفع مبلغ قدره 100 ألف بوجو أي ما يعادل (350 ألف فرنك) و كمية من البرانس السوداء و البيضاء و الحياك، و استولى على كمية من المخطوطات قيمة ضعفي ما دفع نقدا.

وفي ظرف عشرة أيام تمكن أهل البلدة من جمع ما فرض عليهم و قدموه للباي مقابل انسحابه، و رغم ذلك لم ينسحب الباي حتى قصف البلدة مدة 14 ساعة محاولا اقتحامها، إلا أن صلابة أسوارها و استماتة أهلها في الدفاع عنها حال دون تحقيق مسعاه، فاضطر إلى سحب الجيش بعد أن سقط له 30 جنديا و15 جريحا.[1]

-حملة الباي مصطفى بومزراق 1822م: شن مصطفى بومزراق باي التيطري عام 37-1238هـ/1822م حملة أخرى إلا أنه فشل أمام أسوار عين ماضي ومقاومة أهلها[2].

-حملة الباي حسن الثانية عام 1825م: قام الباي حسن مرة أخرى بمجابهة عين ماضي، حتى لا يتيح الفرصة للتيجانيين في أن يحذوا حذو الدرقاويين، وفي هذا السياق يذكر المزاري في طلوع سعد السعود " أن الباي حسن قد دخله التخمين بأن التجيني سيقوم عليه كقيام ابن الشريف الدرقاوي

[1]- عن هذه الحملة أنظر: الزهار، مصدر سابق، ص159. المزاري، مصدر سابق، ج1، ص354.

[2]- مُحَمَّد دراج، مرجع سابق، ص 70.

على الباي مصطفى لإقبال الناس عليه في كل ناحية وانتشار صيته في كل ضاحية فرأى كسر شوكته قبل تزايدها وهدم قوته قبل تعاهدها فجمع له جيشا عظيما وعددا كثيرا جسيما...»[1].

لم يستطع الباي حسن أكثر من محاصرة البلدة لمدة شهر كامل، حتى اضطر أهلها طلب الصلح، فتوسط لهم لدى الباي كاتبه مُحَّد بلخروبي القلعي، فقبل الباي صلحهم وفرض عليهم ضريبة سنوية قدرها خمسمائة ريال بالإضافة إلى ألفي ريال تدفع له حينا[2]، وبتولي يحي آغا قيادة الجيش الانكشاري من 1818 إلى 1828 فقد تدخل بحكمة في المنطقة وكسب ثقة وصداقة بعض الزعماء المحليين وأصبحت المنطقة جنوب التيطري تابعة مباشرة للجزائر العاصمة وليس لبايلك التيطري.[3]

وبالموازاة مع الحملات العسكرية كان السلطة العثمانية تعمل على إخضاع المنطقة مستغلة في ذلك الصراعات بين قبائلها وعروشها، والتي تعددت اتجاهاتها: **أحلاف– أولاد سرغين ، بدو–حضر، أرباع شراقة–أرباع غرابة، أرباع– أولاد نايل– عمور**، ومن أمثلة ذلك الصراع الحاد داخل عشائر قبيلة الأرباع حول القيادة، وقد انتهى هذا الصراع إلى سيطرة بني شهرة على القبيلة، ويعود أصل بني شهرة إلى جدهم علي وهو من أشراف المغرب الأقصى جاء حوالي نهاية القرن 16 ليستقر لدى عشيرة المعامرة من قبيلة الأرباع التي مقيمة في هذا الوقت في الزاب بالقرب من بسكرة، ظهر المسمى قندوز بن علي خلال الصراعات التي نشبت من جراء استقرار الأرباع جنوب الأغواط، بعد الاستقرار شكلت القبيلة نوعا من الجمهورية الأوليغارشية الصغيرة تقودها العائلات الرئيسية في كل عشيرة، عين الأتراك قندوز بن علي قائدا للقبيلة ومنحوه حرية تعيين شؤون العشائر، خلفه ابنه الشاوي في هذه المسؤولية وانقسم أبناء هذا الأخير على أنفسهم فتشكل في الأرباع صفان متصارعان، وبعد معارك عديدة أصبح بن شهرة سيد الموقف، بعد وفاة خصمه ظل كذلك إلى غاية الغزو الفرنسي للجزائر، وقد أقره الفرنسيون على رأس القبيلة وهو والد بن ناصر الذي عمل قائدا للقبيلة ثم انقلب عليهم والتحق بالشريف مُحَّد بن عبد الله.[4]

---

[1]– ابن عودة المزاري، مصدر سابق، ج1، ص 354.

[2]– مُحَّد بن يوسف الزياني، مصدر سابق، ص 243. ابن عودة المزاري، مصدر سابق، ج1، ص 354.حنيفي هلايلي، مرجع سابق، ص 25.

[3]– دو فيلاري، مصدر سابق، ص189.

[4]-- MANGIN , OP.CIT, P97-98.

في عهد جعفر باي التيطري الذي خلف الباي إسماعيل 1813 احتدم الصراع من جديد بين بن شهرة ومنافس آخر اسمه سليمان بن أحمد وهو من عشيرة المعامرة إلا أن ابن شهرة ظل هو القائد الرسمي بهذه الصفة كان يتلقى الدعم من الأتراك، في نهاية صيف 1813 جاء ابن شهرة إلى التل كي يتمون بالحبوب فعسكر في زغوان لدى الدوابر ومعه قافلة وعدد كبير من بني الأغواط وحلفاء الأرباع مثل الحرازلية وأولاد سيدي عطاء الله، قرر سليمان بن أحمد الذي كان يتجه نحو الغرب مع الصف المعادي أن يهاجم قافلة بن شهرة حين تعود من الشمال، جمع في تاجموت والبيضاء مقاتلين من أولاد الشايب وأولاد نايل وأولاد خليف وهم لا يريدون سوى الغنيمة قطعوا كل الطرق من التل بين و الجنوب أمام هذه الوضعية لجأ بن شهرة إلى الباي جعفر الذي كان في زغوان يجمع الحصة وهو رسم يدفعه البدو الرحل في التل، ليطلب منه حراسة ترافقه إلى الأغواط ففعل لكن ما إن وصل الباي إلى الأغواط حتى استولى كل إبل القافلة، لكي يبتز ضريبة كبيرة من سكان القصر، غير أن سكان القصر بدل الاشتباك استقبلوه هو وجنوده ضيوفا، وما إن دخل هؤلاء إلى القصر حتى أغلقت أبوابه، واضطر الباي إلى التخلي عن الجمال ومنحته جماعة القصر 10 آلاف بوجو (ضيفة الباي)[1]

مع اشتداد ثورات درقاوة[2] على الحكم العثماني كان للمنطقة نصيبها من نيران الثورة التي أشعلها التيجانيون بقيادة مُحَّد الكبير بن الشيخ أحمد التيجاني، وقد كانت قبيلة الأرباع خصوصا صفها الغربي متهمة بدعم التيجاني في تمرده وهجومه على بايلك الغرب، جمع باي التيطري قوم بني سليمان وعريب وجندل وكل القبائل التي كانت تابعة للآغا وشكلت حملة على القبيلة المتهمة وذلك غداة ترحالها إلى التل، وألقي القبض على 24 من شخصياتها منهم الشيخ سليمان بن أحمد الصوفا–طايرة اقتيد هؤلاء إلى الجزائر أين حيث حكم بعام من الأشغال الشاقة، وتوفي الشيخ سليمان بعد عام، هذا وقد استولى الباي على 10 آلاف جمل من ثروة القبيلة، وفي 1826 وبأمر من الباي غزا دهيليس أولاد مختار الشراقة في قصر بن عزوز غرب أفلو واستولى على 500 رأس جمل و4000 رأس غنم.[3]

[1]– صالح عباد، مرجع سابق، ص328–329.

[2]– حاول ابن الشريف الدرقاوي اللجوء إلى الأغواط وعين ماضي بعد هزيمته ولكنه طرد منها. أنظر: مُحَّد بن يوسف الزياني، مصدر سابق، ص227. الوهراني، مصدر سابق، ص 98. المزاري، مصدر سابق، ج1، ص330. عن ثورات درقاوة أنظر: المزاري، مصدر سابق، ج1، ص301–331.

[3]– صالح عباد، مرجع سابق، ص346.

2/ المحاولات العلوية المغربية: تعود أولى المحاولات العلوية المغربية لضم منطقة الأغواط إلى مؤسس الأسرة الأول المولى مُحَمَّد نفسه، حيث أن ضمه للمناطق الشرقية من المغرب وصولا إلى وجدة وانضمام بعض القبائل الجزائرية له، جعله يعتقد بإمكانية مواجهة وتحدي السلطة العثمانية هناك، لذا قام بشن مجموعة من الغارات وصل بها حتى عين ماضي والأغواط، وهو ما وضع أساس العلاقة المتوترة بين العثمانيين في الجزائر والعلويين في المغرب الأقصى لفترة طويلة بعد ذلك. [1]

فقد نظم الشريف مولاي مُحَمَّد انطلاقا من سلجلماسة حملة على الغرب الجزائري، في سنة 1648 بعد أن فشل أمام فاس، لقد قدم الناصري وصفا لتلك الحملة التي نظمها المولى مُحَمَّد على الغرب الجزائري، في كتاب " الاستقصاء نلخصه كالاتي: بعد أن هاجم سلطان سجلماسة قبائل بني سناسن التابعة للأتراك بالقرب من الحدود المغربية، وجمع غنائم كبيرة، ثم هاجم وجدة وأولاد علي و أولاد زكري وبني سنوس، وتوجه بعدها إلى تلمسان وخرب بواديها وقتل من سكانها وحاميتها العثمانية، ثم خرج إلى الصحراء مغيرا على الجعافرة فنهبهم ثم سار إلى الأغواط وعين ماضي والغاسول فنهب واستولى على المال وفرت منه قبائل الحارث وسويد وحصين من بني مالك بن زغبة إلى جبل راشد واعتصمت به، ولكن المولى مُحَمَّد لم يبق على أي نفوذ في المنطقة بسبب ردة الفعل العثمانية السريعة، وبسبب الحل الدبلوماسي الذي وصل له الطرفان. [2]

ويطالعنا أحد المصادر العلوية بوصول نفوذ وسلطة المولى الرشيد وهو ثاني حاكم في الدولة العلوية المغربية إلى منطقة الأغواط، حيث يقول ابن زيدان عبد الرحمن بن مُحَمَّد السجلماسي أن المولى رشيد

---

[1]- مُحَمَّد علي داهش، **الدولة العثمانية والمغرب إشكالية الصراع والتحالف**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2011، ص71. أنظر أيضا: بن قايد عمر، **أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع17، ديسمبر 2012، جامعة غرداية، ص141.

[2]- أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي الناصري، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، ج7، ص21. مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى المشرفي، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وبعض مفاخرها غير المتناهية**، در و تح: إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب، ط 1، 2005، ج 1، ص 199-201. أنظر أيضا: صالح عباد، مرجع سابق، ص195-196. أمين محرز، مرجع سابق، 2013، ص69. خليفة بن عمارة، مرجع سابق، ص 90.

قد : "...ملك المغرب بأسره قطرا بعد قطر إلى وادي نون من السوس الأقصى وإلى قرب الأغواط من ناحية الجريد فكان مجدد للملك بالمغرب".[1]

من جهته قام السلطان مولاي إسماعيل بمحاولات من أجل الاستعانة بإيالة تونس لشغل أذهان أتراك الجزائر من الشرق، وكان "المولى زيدان" ابن السلطان واليا على تازة ويترأس قيادة جيشه لمواجهة الجزائر من الغرب، فتجرأ على مهاجمة مدينة تلمسان وأخذها حتى وقف عندها، ولم يكتفي بذلك بل دفع بقوته حتى "نهر شلف"، وهناك دارت معركة عنيفة بين الجيش السلطاني والجيش العثماني كاد أن يصاب فيها "المولى زيدان" وانتهت بهزيمة المولى اسماعيل وعقد الصلح ،[2] فكان السلطان إسماعيل مطمئنا على بلاده من الجهة الشرقية بفضل سلسلة من الحصون، و من ثم لم يجد بأسا في محاولة تمديد المجال العلوي نحو الشرق، فترك فكرة التوسع شرقا عن طريق تلمسان وأخذ الطريق للجنوب فقام أحد أبنائه وهو عبد الملك باحتلال منطقة "عين ماضي" غربي الأغواط، كما استطاع أحد أبناء إخوته أن يضع حامية بأبي سمغون في منتصف الطريق إلى عين الصفراء (1710-1713م)، وساد الاضطراب في المنطقة وأصبحت الفرصة سانحة في ذلك الحين لضمها، لكن السلطان مولاي إسماعيل لم يتمكن من ذلك بسبب انشغاله بثورات داخلية[3].

وجدير بالذكر أن أبا العباس أحمد بن ناصر الدرعي قد زار عين ماضي بعيد حملة المولى عبد المالك ووصف نتائجها المدمرة على المدينة وسكانها، [4] ويبدو نفوذ المولى إسماعيل في المنطقة حقيقيا حيث عبر عنه الرحالة مُحَمَّد بن الحسن اليوسي عند مروره بعين ماضي بقوله: وجدنا بها عاملا للمولى

---

[1]- ابن زيدان عبد الرحمن بن مُحَمَّد السجلماسي، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تح: علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر ، 2008 م، ج3، ص44**.. بالنسبة لي يبدو الأمر مبالغا فيه إذ أن المولى الرشيد لم يستقر له الملك في المغرب إلا بعد جهود كبيرة ومن المستبعد أن يكون قد ركز وجودا كاملا وثابتا في منطقة الأغواط، ولا ننسى أن منطقة الأغواط كسال في نواحي البيض أقرب للمغرب الأقصى وربما هي المقصودة.

[2]- مُحَمَّد المشرفي، **مصدر سابق**، ج 1، ص292. إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1984، ج2، ص257.

[3]- حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الأوربي**، دار العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1992 م، ج2، ص273. حنيفي هلايلي، مرجع سابق، ص64. بن قايد عمر، مرجع سابق، ص146.

[4]- أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعي، مصدر سابق، ص130.

إسماعيل،[1] ويبدو أن القوات العلوية النظامية قد وصلت إلى المنطقة وفرضت الضرائب على كل بيت من بيوتها، وأضاف إليها مولاي إسماعيل ضريبة تسمى الخدمة،[2] ويقول المشرفي في كتابه الحلل البهية أن ملك المولى إسماعيل: " ..وانتشرت دولته في أراضي السودان، وبلغ ما لم يبلغه .. أحمد الذهبي السعدي... ومن المشرق إلى قرب بلاد باسكرة (كذا) من بلاد الجريد ونواحي تلمسان.." و بهذا فمنطقة الأغواط تقع ضمن حدود مملكة المولى إسماعيل.[3]

3/ وضع الأغواطيين في دار السلطان: تعتبر فئة الأغواطيين في دار السلطان وهي مدينة الجزائر فئة مهمة ورد ذكرها في المصادر الأجنبية خصوصا الرحالة والأسرى، وهي جزء من جماعة البرانية ضمن النسيج السكاني لمدينة الجزائر.

كانت جماعات البرانية بصفة عامة تحتل الرتبة الأخيرة في السلم الاجتماعي، فكان معظم أفرادها يعيشون في أكواخ خارج المدينة وهناك من كان يستأجر غرفا داخل المدينة وكان عدد كبير منهم يعيشون بمفردهم ما عدا قلة قليلة كانت تستقدم أسرها فكان هم البرانية الوحيد هو البحث على لقمة العيش والبحث عن العمل، والعودة بعد ذلك إلى مواطنهم ولم يحاول هؤلاء الانصهار في المجتمع الحضري، إن المكانة التي كانت تحتلها هذه الجماعات لم تكن تسمح لأفرادها بالبروز على ساحة الأحداث والقيام بأي دور مهم على الجانب السياسي،[4] بحيث لم يكن يسمح لجماعة البرانية في مدينة الجزائر بتولي المناصب العليا في الإيالة ,ولقد انفرد سكان الحضر في توليها, واقتصرت مهامهم على النشاطات الشاقة التي ترفّع عن القيام بها هؤلاء , ولهذا أوكلت لفئة البرانية الذين وزعوا المهام بينهم، فاختصت كل فئة بنشاط معين.[5]

---

[1] – مُحَمَّد العياشي بن الحسن اليوسي، **رحلة اليوسي**، تح: أحمد الباهي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2018، ص188.

[2] – Odette petit,op.cit, p33. S. Arnaud , **Siege d'Ain Madi**, op cit, p355.

[3] – مُحَمَّد المشرفي، **مصدر سابق**، ج 1، ص300.

[4] – أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني1519–1830**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2003، ص142. حنيفي هلايلي، مرجع سابق، ص 168-169.

[5] – مختار حساني، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية (مدن الوسط)**, دار الحكمة ,الجزائر، 2007م , ص21. أنظر أيضا: أرزقي شويتام، ص98.

يطلق "سيمون بفايفر"اسم الأغواطيين" على كل الوافدين من المنطقة الجغرافية المحاذية إلى الصحراء الجزائرية والتي تشمل جبال العمور وجبال الأغواط[1] ، وقد شكل الأغواطيون جماعة صغيرة نسبيا وأقل أهمية قارنة مع الجماعات الأخرى، فقد كانت أصولهم تعود إلى قبيلة الزناخرة وأولاد نايل بمنطقة التل الصحراوي جنوب التيطري، وقد نظمهم الأتراك في مجموعات يسيرها أمناء مسؤولون أمام البايلك، وبهذه الطريقة أمكن للسلطة التركية مراقبتهم وتسييرهم.[2]

كان عدد من أفراد هذه الجماعة يشتغل حمالا في قوافل التجارة، أو حلفاويا أي في صناعة الحصير، إلا أن نشاط العنصر الأغواطي في مدينة الجزائر بالدرجة الأولى كان تصفية الزيت و المتاجرة به، إضافة إلى تنظيف الشوارع ومنهم من كان يشتغل في الحمامات العمومية،[3] ومنهم من كان مسؤولا على الكيل والميزان في الأسواق , أو فلاحا يحرث الأراضي الزراعية[4]ويعود قبول فئة البرانية بما فيهم الأغواطيون لامتهان هذه المهن، هي البحث عن الرزق للنفقة على عوائلهم ونسائهم وأطفالهم [5].

يصف سيمون بفايفر الأغواطيين كما يلي :"....يتميزون بالمهارة والنشاط ....وهم يدينون بالإسلام، ويتكلمون بنفس اللغة التي يتكلمها العرب الرعاة، ويرتدون نفس اللباس أيضا...ويمتازون على العموم بصحة الجسم وقوة البنيان، وحسن المظهر ونعومة الملامح ، التي تجعلهم أشبه بالقبائل منهم بالعرب الرعاة ، وليس من النادر أن تكون لهم عيون زرق ، وهم يختلفون به عن العرب أيضا، وكان الأغواطيون الذين أتيح لي أن أتعرف عليهم عن قرب سريعي الفهم طيبي القلب مخلصين نزهاء, وقد اشتغل عندي أحدهم ثلاث سنوات.. "[6].

---

[1]- سيمون بفايفر، **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال**، تر: أبو العيد دودو, دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009 ,، ص154.

[2]- صالح عباد، مرجع سابق، ص 473.

[3]- أمين محرز، مرجع سابق، ص 156. علي عبد القادر حليمي، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830**، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص267. حنيفي هلايلي، مرجع سابق، ص 170.

[4]- سيمون بفايفر، مصدر سابق, ص154. أنظر أيضا: أرزقي شويتام: مرجع سابق, ص 101-102، وينظر صالح عباد: مرجع سابق، ص359.

[5]- سيمون بفايفر، مصدر سابق، ص154. أنظر: أرزقي شويتام ، مرجع سابق، ص102.

[6]- سيمون بفايفر، مصدر سابق، ص154.

وبالعودة إلى الدكتورة عائشة غطاس فإن هذه الجماعة كانت أقل الفئات تواجدا على عكس الجماعات الأخرى ، ولكن نجد أنه في الفترة الممتدة من سنة 1817م-1826م كان هناك تزايدا ملحوظا مقارنة بالفترات السابقة لها[1].

أما عن أوضاعهم الاجتماعية فإنهم كانوا يخضعون لحكم الأمين الذي يعين للإشراف عليهم والنظر في شؤونهم وقضاياهم ، وهو المسؤول عنهم أما السلطة المحلية عن كل تصرفات طائفته، إضافة إلى تقديم المساعدة لهم عند الحاجة، كما هو المسؤول على جمع الضرائب عنهم، والتي كانت في الغالب تتميز بثقلها حتى أرهقت كاهلهم بالغرامة [2]، ويبدو أنه لم يحدث تزاوج بين هذه الفئة وبقية الفئات، نتيجة لتفضيلهم سياسة الانطواء وعدم الذوبان في بقية المجتمع لأن الأساس الذي قدمت لأجله هذه الفئة تمثل في لقمة العيش ثم الرحيل [3]، ولم يتسنى لهم امتلاك مساكن خاصة بهم في مدينة الجزائر ،ربما هذا يعود إلى رفضهم للاستقرار كلية بها ، وهذا ما جعلهم يتخذوا من مقر عملهم سكنى لهم، أو سكنوا في الفنادق[4].

أما بالنسبة للثروة التي جمعها الأغواطيون بدار السلطان ،فقد كانت في بادئ الأمر كانت ضئيلة مقارنة بجماعات البرانية الأخرى، ويعود هذا الأمر إلى نوعية الأعمال التي كانوا يتعاطونها ولا تجلب أرباحا كبيرة مثل التجارة أو الحرف أو الزراعة، حيث بلغت ثروتهم في أواخر القرن 18 (1787م-1792م) حوالي 39 ريال، ولكن ما لبثت وإن ارتفعت لتبلغ 223 ريال في الفترة الممتدة 1807م إلى غاية 1817م ، بنما ارتفعت إلى 831 ريال في الفترة التي تلت هذه الاخيرة (1817م-1826م)[5].

---

[1]- عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م مقاربة اجتماعية اقتصادية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف مولاي بلحميسي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 200-2001، ص 25، 40.

[2]- سيمون بفايفر، مصدر سابق، ص154.أنظر أيضا: حنيفي هلايلي، مرجع سابق، ص 169.

[3]- أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص102.

[4]- عائشة غطاس، مرجع سابق، ص407-410.

[5]- المرجع نفسه، ص 355.

أما بالنسبة لعدد الوفيات لهذه الجماعة بدار السلطان فقد كان متباينا، ففي الفترة الممتدة من سنة1787م إلى غاية 1792م لم يكن هناك ذكورا موتى في حين نجد أن هناك مرأتان متوفيتان، أما في الفترة الممتدة من سنة 1807م إلى غاية سنة 1817م، فنجد الموت قد أصاب فئة الذكور ، والذين بلغ عددهم 3 موتى، ليرتفع عدد الموتى بدار السلطان بالنسبة لفئة الذكور 11 ميت في الفترة الممتدة من سنة 1817م إلى غاية 1826م.[1]

وفي ختام هذا الفصل، فإننا نخلص إلى أن تاريخ منطقة الأغواط ضارب في القدم، ورغم غموض البدايات وأساطير النشوء، إلا أن الصورة تتضح تدريجيا لتتصل حلقات السيرورة التاريخية مع بعضها وتضاء الزوايا المظلمة في تاريخها، خصوصا مع الفترة الحديثة والتي برزت فيها منطقة الأغواط اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، وتبعا لتعاظم أهميتها الاستراتيجية بدأت تأخذ مكانة لابأس بها سياق الأحداث، ويتكرر ذكرها في مؤلفات الرحالة مغاربة وجزائريين، كما بدأت عمليات التوطن والتفاعلات الاجتماعية والاقتصادية بين سكانها تأخذ طابعا مستقرا ورتابة ستطبع الحياة العامة لساكنة المنطقة، إلى غاية الهزة العنيفة التي سيتعرض لها المجتمع الأغواطي بسبب الاحتلال الفرنسي للمدينة وضواحيها، والذي تم على مراحل تسببت أحداثها في زلزال مس الوضع السياسي والبنية الاجتماعية والعلاقات الاقتصادية والأنشطة الثقافية لمنطقة الأغواط خاصة وللمجتمع الجزائري بالعموم.

[1]- عائشة غطاس، مرجع سابق، ص ، ص35.

الفصل الأول:

منطقة الأغواط بين المقاومة والاحتلال 1830-1852

المبحث الأول: أثر الاحتلال الفرنسي للجزائر على منطقة الأغواط واهتمام الأمير عبد القادر بالمنطقة ومعارضته

المبحث الثاني: منطقة الأغواط بين الاحتلال والمقاومة 1844-1852

المبحث الثالث: سقوط مدينة الأغواط 1852 ونتائجه

المبحث الأول أثر الاحتلال الفرنسي للجزائر على منطقة الأغواط واهتمام الأمير عبد القادر بالمنطقة ومعارضته:

كان لاحتلال مدينة الجزائر سنة 1830 أبلغ الأثر على منطقة الأغواط، وذلك لعدة عوالم أهمها: ارتباط الحاضرتين سياسيا كما رأينا في الفصل السابق ، حيث شهدت نهايات الحكم العثماني نزوعا من طرف الحكام إلى دواخل البلاد بغية مزيد من التحكم، واقتصاديا بحكم قوافل التجارة التي كانت تمر بمنطقة الأغواط وتشارك فيها قبائلها لتصل إلى أسواق التيطري وحتى دار السلطان ونواحي ثنية الحد وغيرها، واجتماعيا بسبب وجود طائفة الأغواطيين ضمن ما يسمى بالبرانية في مدينة الجزائر، وارتباطهم بأصولهم القبلية والاجتماعية، إضافة إلى أن انهيار نظام الحكم في الجزائر قد تسبب في فوضى سياسية واجتماعية واقتصادية لاشك أن تأثيراتها السلبية قد وصلت إلى منطقة الأغواط.

أولا: أثر احتلال الجزائر على الأغواط وحملة الحاج موسى بن حسن: كان لخبر احتلال مدينة الجزائر سنة 1830 ومحاولة توسع الفرنسيين في ضواحيها وقع شديد على جميع الجزائريين و من بينهم سكان الأغواط الذين هبوا للدفاع عن الوطن و أرسلوا جيشا كان هدفه الوصول إلى العاصمة بقيادة سيدي موسى بن حسن[1] سنة 1835 وتعتبر هذه المحاولة من أولى الاستجابات لساكنة المنطقة وقبائل هذه الجهة من الجزائر لتحدي الاحتلال والغزو الفرنسي، ولكن قبل الحديث عن حملة الدرقاوي الأغواطي وجب تعريف هذه الشخصية وتتبع مسار حياتها وصولا إلى قيادتها لقبائل الأغواط وأولاد نايل وغيرهم في هذه الحملة.

[1]- **الحاج سي موسى بن حسن الدرقاوي الأغواطي المصري:** ولد موسى بن الحسن المصري بالقرب من مدينة دمياط بمصر، توفي أبوه و هو طفل صغير، و في سنة 1822 أصابه مرض خبيث في الرأس أجبره للذهاب لسوريا للعلاج الذي استغرق سنة كاملة، توجه بعدها إلى القسطنطينية بتركيا و منها إلى غرب الجزائر مجنداً ضمن الفرق العسكرية العثمانية، التي ما لبث أن فرّ منها نحو قسنطينة ثم تونس،انتقل بن الحسن إلى طرابلس الغرب سنة 1826 أين التقى بالشيخ سيدي مُحَمَّد بن حمزة ظافر المدني شيخ الطريقة الشاذلية (1780 – 1847)، أين تعلم العلوم الشرعية من حديث، و قرآن، و بلاغة و فقه و كذا المبادئ الأساسية للطريقة، من ذكر وورد، إلى أن انتهى به الأمر بإتباع طريقته مريداً لها. أنظر: سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص115.

لقد طغت على حياة الشيخ سيدي موسى بن الحسن المصري الدرقاوي روح المغامرة و السفر،[1] و الزعامة الدينية و العسكرية، وقد استقر موسى بن الحسن المصري بمدينة الأغواط سنة 1829، في محاولة منه للترويج للطريقة المدنية (نسبة للشيخ سيدي مُحَّد بن حمزة المدني) و استقبل سكان الأغواط الشيخ موسى استقبال الفاتحين متعطشين لرجال الدين على اختلاف أطيافهم، احترف إقامة الآذان بالطريقة الشرقية، ما أعجب به الأهالي فسمحوا له بالإقامة، وأصبح له صديقين من الأحلاف، وهما "بن علال" و "عبد الرحمن بن علي"، واللذان صارا من مؤيديه في الأغواط، ونظم نواة لطريقته الدرقاوية/ المدنية، وعين خليفتين له أحدهما مُحَّد بلحاج، على الجنوب، وقويدر بن مُحَّد، على الشمال، واعتقد السكان بكراماته إضافة للعلم الذي يحمله، أين انضم له عرش "الأحلاف" و بنوا له زاوية و منحوه أراض و حدائق (تعرف الآن بزقاق الحجاج) و مكث بها سنتين التف الناس خلالها بالشيخ موسى بن الحسن، و تفاقم امتعاض الزاوية التيجانية بـ "عين ماضي" التي رأت فيه المنافس الكبير.[2]

وقد انتقل بعدها لمدينة مسعد أين رحب به سكانها من عرش أولاد نائل و أسّسوا له زاوية و أصبح له الكثير من مريدي الطريقة الدرقاوية، امتد نشاطها لمدينة قصر البخاري و المدية شمالا، أين قام الشيخ موسى بن الحسن بتعيين مقاديم (جمع مقدم) بمنطقة التيطري منهم الشيخ بولنوار (من قبيلة هوارة)، الشيخ قويدر بن مُحَّد، الحاج مُحَّد بن عبد القادر(ذي الحجتين)، سي الطيب الكربوبي، عائلة بني حسن و الحاج البشير بالبرواقية، و كذا الشيخ أحمد بن الوارث شيخ المدنية بتونس، وقد التقى سي موسى بن حسن مع الحاج الصغير بن سيدي علي بن مبارك و البركاني و بن سيدي الكبير بن يوسف وهم من زعماء مقاومة متيجة وذلك سنتي 1833-1834 ، وطلبوا منه إثارة عرب

[1]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص115. البشير بديار، **أعلام الثقافة بمنطقة الأغواط خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين**، أعمال الملتقى الأول الاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة لأغواط ، 14-16افريل 1998، ص 110 . أنظر أيضا:

Mangin, op.cit.p97.

[2]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص115.عطاء الله طالبي، مرجع سابق، ص22، البشير بديار، **أعلام**..، مرجع سابق، ص110. للمزيد حول مقدم سي موسى بن حسن إلى الأغواط أنظر: أحمد بن الحاج بن أبي القاسم، **مواهب المنن بملاقاة الشيخ موسى بن حسن**، مخطوط محفوظ بالخزانة العائلية لسيدي بن شاعة بن الصغير الحرزلي الأغواطي. أنظر الملحق رقم: 15.

الصحراء، وقد اتخذ الحاج موسى بن حسن الدرقاوي منطقة الأغواط وما جاورها قاعدة خلفية الانطلاق حركته المسلحة نحو الشمال لتحرير الجزائر.[1]

أقام موسى الدرقاوي سنة 1834 في عين الخضرة، بين مدينتي زنينة (الإدريسية) و الشارف وقتا تمكن فيه من الدعوة إلى طريقته الدرقاوية التي لاقت تجاوباً كبيراً من عرش العبازيز (أولاد سيدي عبد العزيز الحاج) مستغلا الوضعية السياسية المناسبة إثر توقيع الأمير عبد القادر الجزائري معاهدة ديمشال في 26 فيفري 1834 ليقنع الناس بالجهاد ضد فرنسا و الأمير عبد القادر زاعما أن هذا الأخير قد خان الدين و الوطن، والظاهر أن نية ابن الحسن لم تكن سيئة تجاه الأمير، لكنه كان ربما مفتقرا للتفكير الاستراتيجي الحربي الذي يسمح بتوقيف الحرب مدة معينة، فاعتبر أن معاهدة ديمشال بين الأمير وفرنسا تحالفا مع الكفار .[2]

وفي طريقه إلى العاصمة لخوض غمار الجهاد ضد الفرنسيين وإسقاط الأمير عبد القادر، كان أتباعه يزدادون شيئا فشيئا، و استطاع الحاج موسى تعبئة بعض قبائل جنوب التيطري إضافة لبعض من عروش الأغواط والجلفة و سار بهم صوب المدية حيث أعلن النفير من أجل طرد الفرنسيين ، بجيش وصل تعداده حوالي 3000 فارس و 2000 من المشاة، متكون من حشد من فرسان و رجال دين و رجال بارود و رعاة و جمّالة، وقد وصفه المزاري بقوله: " وكان ذلك الجيش كالجراد المنتشر بحيث غطى بكثرته السهل والوعر"[3] وقدم إلى المدية في أفريل 1835 راكباً حماره فسمي "بوحمار"، وطلب من سكانها أن يسلموا له يهود المدية وأباضييها فامتنع السكان.

وتذكر بعض المصادر أن مدينة المدية لم تصمد أمام حصار الدرقاوي لها كما أن المدفع الوحيد الذي توفر للمدافعين عليها قد انفجر منذ الطلقة الأولى، أما الحامية الفرنسية فانسحبت لعدم قدرتها على

[1]- سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص130-131. مدني لبتر، مرجع سابق، ص65.

[2]- البشير بديار، **أعلام**..، مرجع سابق، ص110. أنظر أيضا:

Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat et ses merveilles A traver les tempes** , Imprimerie Rouighi, Laghouat, Algerie, 2017, p538.

[3]- المزاري، مصدر سابق، ج2، ص 125.

المواجهة ، فظن أهل المدينة أن ذلك كرامة من الله لنصرة القائد الجديد فأدخلوه المدينة و جهروا له بالطاعة و الولاء.

وقد كان الأمير عبد القادر الجزائري بعد معاهدة ديمشال مع الفرنسيين يفكر في ضرورة توسيع دولته من الناحية الشرقية بضم التيطري والمدية وبالاستيلاء على مليانة حتى يتمكن من محاربة المحتلين، وفي سنة 1835 دخل الأمير مليانة ونصب أخاه الحاج محي الدين الصغير على رأسها ثم فكر في المدية وكان عالما بأهميتها الجغرافية والاستراتيجية، فأراد ضمها لدولته بتنصيب مُحَمَّد بن عيسى البركاني خليفة له، لكن نواحي المدية كانت خاضعة لنفوذ موسى بن الحسن الدرقاوي، فاستنجد السكان بالأمير عبد القادر (الغرب) و بأحمد باي (الشرق)، ونزل الأمير عبد القادر من مليانة في 20 أفريل 1835م، و حدثت المعركة بين الرجلين بالقرب من منطقة "عوامري"، دامت حوالي أربع ساعات انهزم فيها ابن الحسن، واستطاع الفرار مع فلوله مخلفاً 90 قتيلاً و عدد كبير من الجرحى، فيما كانت خسائر قوات الأمير بسيطة جداً، ولجأ موسى بن الحسن لجبل موزاية رفقة 05 أو ستة من أتباعه، ثم بعد صعوبات جمّة وصل لمدينة مسعد حيث بدأ تنظيم صفوفه من جديد[1].

وقد تمت مطاردته من قبل الجنرال الفرنسي "ماري مونج" من مدينة مسعد، فلجأ لقبيلة بني لالة بالقبائل، حيث مكث هناك 03 سنوات، ثم توجه هارباً جنوباً نحو متليلي الشعانبة سنة 1847، أين تم الترحيب به لكثرة ما سمع الناس به و اعتبروه منحة من السماء، و حاول الشيخ موسى توحيد الطرق الصوفية، و جمع أكبر عدد من الأتباع الذين كان أغلبهم من الفقراء و المعدمين حيث لم يلتحق به الميسورين أين كان يفرض نظاماً قاسياً لمريديه حيث كانت مهمته الأولى التربية على منهاج المتصوفين، بتربية الأميين على التقشف ولبس المرقعة[2].

وقد عاد إلى الأغواط في ربيع سنة 1949 مع بعض مريديه من أولاد نايل والشعانبة وحاول تنظيم المقاومة من هناك، و بهدف اعطاء ثورته المسلحة بعدها الديني حاول الشيخ بوزيان (أحد أعوان الأمير عبد القادر) الاتصال بشيوخ الطرق و الزوايا و العروش لتحضير ثورة الزعاطشة (واحات

[1]- لمزيد من التفصيل حول واقعة الأمير عبد القادر مع الحاج موس بن حسن الأغواطي أنظر : المزاري، مصدر سابق، ج2، ص125-128. البشير بديار، **أعلام**..، مرجع سابق، ص111.

[2]- البشير بديار، **أعلام**..، مرجع سابق، ص111-112.

بسكرة)، من بينها الاتصال بالشيخ موسى بن الحسن المصري الدرقاوي، الذي رحب بالجهاد، فعرج على مدينة مسعد و اصطحب معه حوالي 80 مقاتل من أولاد نائل والأغواط، وقد قاوم الشيخ الدرقاوي ببسالة الحصار المفروض عليهم بالواحات رفقة مجاهدي أولاد نائل وبوسعادة و المسيلة ممن التحقوا بإخوانهم في الزعاطشة، و أعطيت الأوامر بإبادة سكان الواحة بما فيهم الأطفال ،النساء والشيوخ وقطع أشجار النخيل، وحرق المنازل، و بتاريخ 26 نوفمبر 1849 نسفت دار الشيخ بوزيان فسقط شهيدا، و أمر السفاح "هيربيون" بقطع رأس زعيم الثورة الشيخ بوزيان و رأسي ابنه و الشيخ الحاج موسى الدرقاوي وتعليقهم على أحد أبواب بسكرة.[1]

ثانيا: نفوذ الأمير عبد القادر ومعارضته في المنطقة: لما بدأ الأمير عبد القادر المقاومة سنة 1832 عمل على استقطاب جميع القبائل لتدعيم نفوذه و حرص على استمالة القبائل الصحراوية قبل وصول النفوذ الفرنسي لها،[2] قام الأمير عبد القادر بتقسيم المناطق الواقعة تحت سيطرته إلى ثماني ولايات من بينها الأغواط،[3] وعين على رأس كل ولاية حاكما سماه الخليفة ، و قد بدأ سياسته الصحراوية منذ سنة 1836 فعين الحاج العربي بن الحاج عيسى خليفة له على إقليم الأغواط،[4] فبالنسبة للأمير عبد القادر فمدينة الأغواط كانت تكتسي أهمية تجارية وسياسية إلى جانب أهمية مدينة عين ماضي الروحية.[5]

---

[1]- الشيخ لكحل، **مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين (1851-1908)**، دار صبحي للطباعة والنشر والتويع، غرداية، الجزائر، 2019، ص107. طالبي، مرجع سابق، ص22-23.

[2]- يوهان كارل بيرنت، **الأمير عبد القادر**، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2005، ص143-145. مدني لبتر، مرجع سابق، ص65. علالي، مرجع سابق، ص35.

[3]- بلغ عدد مقاطعات الأمير عبد القادر في أوج قوته 8 مقاطعات، وقد كان يعين على رأس كل مقاطعة حاكما باسم " الخليفة" وعادة ما يكون ذا مركز اجتماعي قوي في منطقته، وكان ذا اختصاصات عديدة في حدود مقاطعته وهو المسؤول عن جمع الضرائب والزكاة كما يحتفظ بجيش في ولايته. أنظر: إسماعيل العربي، **حكومة الأمير عبد القادر إدارتها ومهامها**، مجلة الثقافة، ع75، س1983، ص224.

[4]- مُحَمَّد العربي سعودي، **المؤسسات المحلية في الجزائر الولاية والبلدية 1516-1962**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2011، ص101. فون مالتسان، مصدر سابق، ص209-210.

[5]- سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، ص202.

1/ تعيين الأمير للعربي بن الحاج عيسى كخليفة على الأغواط: ينتمي الحاج العربي إلى أولاد سرغين وهو ينحدر من سلالة المرابط سي الحاج عيسى وكان على خلاف مع أحمد بن سالم زعيم الأحلاف وحاكم الأغواط حول بعض الممتلكات مما جعله يُطرد بإذلال من الأغواط، فاتجه نحو زنينة (الإدريسية حاليا)، صادف ذلك زيارة الأمير إلى النواحي الجنوبية لتنظيم دولته ،ومنها اقترح على الأمير عبد القادر أن يساعده في أن يصبح خليفة على الصحراء ، وقد ضمن له الحاج العربي مقابل ذلك أن يكون له يدا على خصومه في المنطقة، مع ضمان وفاء أهل المنطقة ومساندتهم له في قضيته وذلك أنهم يثقون في طبقة المرابطين الموجودة في الجنوب بالإضافة إلى تقوية جيشه بمقاتلين جدد منهم، و قد أقبل على الأمير وفود الاغواط و طلبوا منه أن يولي عليهم من يقودهم و يضبط أمور بلادهم، فعين الأمير الحاج العربي خليفة عليهم ، وبدأ الأمير بحجز القوافل التابعة لبني الأغواط والأرباع، ولا يقوم بتحريرها إلا بعد دفع فدية عالية.[1]

وقد أصدر الأمير مرسوما مؤرخا بتاريخ 1254 هـ الموافق ل 1838م يؤكد ماسبق، حيث جاء في " تحفة الزائر "ما نصه : "..فوفدت عليه وفود الأغواط و قدموا طاعتهم، فتقبلهم، و أكرم وفادتهم و أفاض عليهم من إحساسه – ما استعبدهم، ثم إنهم أخبروه بأحوال بلادهم و أوقفوه على ما عليه عشائرهم و بطونهم من الطاعة له، و طلبوا منه أن يولي عليهم من يسوسهم و يضبط بلادهم، فأجابهم إلى ما طلبوه و ولي عليهم السيد الحاج العربي بن السيد الحاج عيسى اللغواطي المشهور فيهم..."[2] و عينه كخليفة له على كل من الأغواط بمقتضى المرسوم التالي:

"هذا ظهير شريف، يتضمن الترغيب في جمع كلمة الرعية، و الترهيب من السعي في تفريق الجماعة و الدعاء إلى التمسك بأوامرنا المطاعة، أصدرناه للمكرم المحترم، السيد الحاج العربي اللغواطي و ذلك أنه لما تقرر لدينا فضله و عدله، رأينا أنه أحق من نقلده الأمر الأكيد، و نرمي به الغرض

---

[1]- شارلز هنري تشرتشل، **حياة الأمير عبدالقادر**، تر و تح وتع: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009. إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي...**، مصدر سابق، ص92. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، ص202-203. طالبي، مرجع سابق، ص23. أنظر أيضا:

MANGIN, Op cit, p79-80.

[2]- مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، تع محمود حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1964م، ج1، ص291.

البعيد و نستفسر به أحوال الرعية حتى أنه لا يغيب عنا شيء من أحوالها و لا يخفى علينا ما يتجسمها من طارق أهواها و ينهي إلينا جميع ما يحدث فيها إنهاءا يتكفل بجلائها و دقائقها، و جعلناه نائبا عنا و خليفة لنا، في قبائل الأغواط: الغرابة و الشراقة، و من إليهم من القبائل الصحراوية في الجهات الجنوبية، فيجمع سائر وجودها و أعيانها، و يخبرهم بأمرنا هذا، و يتلو عليهم ما قلدناه به. ويقرر لديهم: وجوب طاعته – و لزوم أتباعه، و الإذعان لأوامره ونواهيه و قد عينا له من العسكر النظامي، ما يتوصل به إلى تقرير الأحكام و جباية الأموال و قهر الظالم و الأخذ بيد المظلوم، هذا، مع ما نعتمد عليه، من انقياد رعيتنا للأحكام الشرعية، و الأوامر المرعية، و لذلك لم نبالغ بالاستنكار من العسكر، لخدمة خليفتنا المذكور فكونوا أيها الناس – لأمره، السالك فيه على جادة الحق و العدل، سامعين و لكلمته مطيعين، و اعلموا أن من نكت فإنما ينكت على نفسه، والله ولي المتقين. حرر عن إذن مولانا، ناصر الدين، عبد القادر بن محي الدين، في سنة أربع و حسين ومائتين 1254هـ و ثمان و ثلاثين وثمانمائة 1838م " [1].

وفور صدور هذا المرسوم وصل الولاء من عدة قبائل للحاج العربي من قوم الأحرار و أولاد خليف و أولاد شايب و الأغا جلول أغا جبال العمور وقد اجتمع بهم في قرية سيدي بوزيد، كما وصله كذلك ولاء شيخ الزاوية التجانية بعين ماضي سيدي مُحَّد الصغير .[2]

إن هذا المرسوم وما يحمله من أومر صارمة بوجوب الطاعة لخليفة الأمير اعتبره أحمد بن سالم و مُحَّد الصغير التجاني موقفا استفزازية معاديا لهما بل تدخل في مجال نفوذها واعتباره إهانة لهما، ويكمن جوهر الخلاف في تعيين الحاج العربي خليفة على الأغواط بدلا من أحمد بن معمر المعروف بأحمد بن سالم بعد أن نصبه أهل الأغواط خليفة عليهم، بعد أن استطاع توحيد الصفين المتنازعين بالمدينة الأحلاف وأولاد سرغين، وكان أحمد بن سالم مقدما في الطريقة التيجانية وحليفا لمحمد الحبيب التيجاني، وصار خليفة بعدما تزوج بنت الشيخ أحمد بن لخضر شيخ أولاد سرغين كما أسلفنا، والأغواط كانت منقسمة بين النفوذ السياسي لأحمد بن سالم والنفوذ الروحي للحاج العربي،[3] وبهذا

[1]-المصدر نفسه، ص 292.

[2]- تشرتشل، مصدر سابق، ص173. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص92.

[3]- بنيامين كلود بروور، **صحراء اسمها السلام عنف الامبراطورية الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1902**، تر: أمين الأيوبي، ابن النديم للنشر والتوزيع، 2020، ص81. العروسي، مصدر سابق، ص 62-63. سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص202-203.

وجد الحاج العربي في هذا المنصب مطية للانتقام من خصومه، لاسيما التيجانية التي تقف في وصف قبائل الأغواط الغرابة و تقدم الدعم المعنوي لمنافسه أحمد بن سالم، و من ثمة يمكننا القول أن الحاج العربي لم يعلن طاعته حبا في الجهاد، بقدر ما كان يهدف إلى استرجاع نفوذه الضائع[1].

وقد أمد الأمير خليفته بالسلاح والذخيرة ، مع سبعين جنديا من جنود الأمير ليكونوا حرسا عليه حيث سار إلى الأغواط وخيم على الضفة اليمنى لواد مزي ما بين رأس العيون و البساتين، فانحاز اليه اولاد سرغين ثم تبعهم الأرباع،[2] بينما رفض الأحلاف الاعتراف به إلا أنهم بعد الضغط استسلموا للأمر الواقع و منهم أحمد ابن سالم الذي فضل الانسحاب مع جماعته إلى قصر الحيران بعض الوقت واتجهوا نحو زوج ابنته بن ناصر بن شهرة قائد الأرباع، إلا أن شعر بانعدام الأمن فخاف على نفسه وفر إلى بني يزقن (عند بني ميزاب). [3]

و خلال هذه الفترة كان بن ناصر بن شهرة جنديا في صفوف جيش الأمير عبد القادر وقد حظي بثقة الأمير فعينه نائبا مكلفا بقيادة الجند ، وشارك معه في الكثير من المعارك ، إضافة إلى استقباله لرسائل الأمير السرية التي كان يبعث بها إلى القبائل و منها قبيلة الأرباع التي ترتحل صيفا إلى المناطق الشمالية يحضهم فيها على رفع لواء الجهاد و تعزيز جيشه بالفرسان و من بين هذه الرسائل رسالة يقول فيها الأمير:" نريد معلومات عن نجعكم و خيامكم و وضعية الأمن بها ، وقد كان ابن ناصر ابن شهرة يسير القوافل لجلب الدعم و التأييد من مختلف القبائل.[4]

2/ حملة الامير عبد القادر على عين ماضي:

أ) **أسبابها:** خلال سنة 1838 م عزم الأمير على تنظيم الدولة لمواصلة الجهاد وذلك بتنظيم صفوفه و توسيع مجال سلطته و نفوذه وإدراكا منه لأهمية الصحراء باعتبارها نقطة ارتكاز هامة للمقاومة فضلا عن كونها موردا هاما من الذخيرة و الرجال لذا حرص على إدخالها تحت نفوذه و دعم خليفته الحاج العربي و عزم على جعل عين ماضي مخزنا لذخيرته وكنوزه و نقطة دفاع متأخرة، وقد راسل الأمير الشيخ مُحَّد التيجاني أثناء وجود الأول بالمدية وبرج حمزة وأخبره أنه قادم للقيام بنفس

[1]- L. Roches ,OP, CIT.P 290.

[2] - MANGIN, Op. cit, p 79-80. Eugene fromentin, Op.Cit, p 83

[3]- سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، ص202-203. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص93.

[4] -عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص31.

التنظيمات التي أجراها هناك ولكنه وجد معارضة من طرف بعض أعيان الأغواط وعلى رأسهم أحمد بن سالم و الشيخ مُحَّد الصغير التجاني[1].

فالشيخ التجاني في نظر الأمير قد رفض الخضوع و امتنع عن أداء الطاعة و جاهر بالعصيان و لم يقدم المساعدة الشرعية للجهاد المقدس، بل أكثر من ذلك تحالف مع أحمد بن سالم على محاربة الأمير و خاصة بعد أن اتصل به هذا الأخير أي الأمير سنة 1836 و ربما قبل ذلك محاولا ضم الطريقة التيجانية لسلطته، وقد لقد لعب العامل الطرقي دورا كبيرا في هذا الخلاف فكل طرف يرى في الأخر على أنه زعيم طريقة يريد نشرها و توسيع نفوذها ، كما اعتقد الأمير بأن القوة وحدها كفيلة بحل هذا الخلاف ، في حين أن التجاني لم يجب على رسائل و دعوات الأمير باعتبارها حطا من قيمته ، وقد ذكر الأمير أنه قد اطلع على رسائل بخط التيجاني إلى بعض أهل الأغواط يذكر فيها أنه خليفة الله في أرضه، وأخرى إلى حاكم الجزائر يقترح عليه أن يشغل الأمير من جهة البحر وهو يكفيه منه من جهة البر.[2]

وقد علق الأمير في رسالة عن تظاهر التجاني بالولاء، قائلا: "... كيف لا يسوغ لي قتاله و قد كاتبته مرتين على أداة الزكاة فأبى حتى من رد الكتاب... و إن بلغت توبته حيث كنت بالمدية – فإنما ذلك من دسائسه الردية (كذا)..."[3]، وهذا ما يدل أن الأمير لم يكن يثق في مُحَّد الصغير التجاني، خاصة بعد أن بلغه أن هذا الأخير، يقوم باستعدادات تحسبا لأي هجوم من قبل الأمير مما أثار غضب الأمير ولاشك أن الوشاة كان لهم نصيب في زرع الشكوك بين الأمير و التجاني إلى درجة أن أصبح كل واحد يتوعد الأخر، حيث راح الحاج العربي يحث الأمير على وجوب تأديب و إخضاع مُحَّد الصغير بالقوة ، بل أوهم الأمير بأنه يكفي حضوره الشخصي لتسلم له المدينة، و أن قبائل المنطقة ستكون موالية له.[4]

---

[1]- المزاري، مصدر سابق، ج2، ص173. مياسي ، **الاحتلال الفرنسي**...، نفس المرجع ،ص94. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، ص203. حمو النوري، ج1، ص259. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص94. أنظر أيضا:

[2]- سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، ص 204. تشرتشل، مصدر سابق، ص172.

[3]- يحي بوعزيز ، **وثائق جديدة حول محاربة الأمير عبد القادر للشيخ التجاني** ، المجلة التاريخية المغربية، ع 55-56 ، س 16، تونس 1989، ص 237.

[4]- Arnaud, **Siege d'Ain Madi**, Op.cit, p 364.

ولكن ظهر فيما بعد أن هذا الخليفة لم يف بكلامه و التزاماته، فهو لم يستطع أن يوفر للأمير سوى 120 فارسا، كما اتضح جليا أن قبائل الأغواط لم تكن موالية للأمير وعن موقفه هذا يقول تشرتشل: ".. و لم يفد الحاج عيسى بأي شيء و تبين أنه لم يكن أكثر من محتال.."[1] .

وقد برر الأمير من خلال رسالة منسوبة إليه [2] حملته على عين ماضي بمجموعة من الأسباب من بينها: أن التجاني كاتبه إلى تاكدمت و حذره من القدوم إلى الصحراء و هدده بمحاربته ان هو فعل ذلك، إلى جانب رفضه أن يدفع الزكاة له رغم أنه كاتبه على ذلك مرتين إلى عين ماضي و رفض حتى الإجابة على رساله، كما ذكر الأمير واقعة قتل تسعة عشر شخصا في عين ماضي من طرف الشيخ مُحَّد التيجاني، ومصادرة أملاكهم و ديارهم و قد حضر أهاليهم إلى الأمير في تاكدمت، شاكين وطالبي النجدة و الإنصاف ، كما خرب تاويالة وأسر أهلها وقتل خمسة وعشرين رجلا منهم وهو غير مأمور وغير مكلف بذلك من أحد، كما اتهم الأمير الشيخ التيجاني بأنه اتخذ عشرين محضية له هربن من أزواجهن وحضر بعضهم إليه في تاكدمت للمطالبة بتطبيق أوامر الشريعة الإسلامية عليهم، وبهذا فهو يمارس عقاب جميع أهل الصحراء بالنفي وأخذ أموالهم منهم، ارتكب هو وأصحابه من البدع في الدين، ما كاد يفوق ما ارتكبه الملحدون، وتخلف التيجاني عن البيعة "اللازمة " له شرعا حسب قول الأمير.[3]

كما بعث برسائل أخرى لخلفائه ووكلائه أطلعهم فيها على مبررات الحصار ونتائجه منا تلك الرسالة التي بعثها إلى وكيله بوهران الحاج الطيب: استهلها بقوله: " إن الله تعالى قد حملنا مسؤولية النظر في صلاح المسلمين وتوجيه أهل هذه البلاد إلى شريعة سيدنا مُحَّد ، لقد توجهنا إلى الصحراء لا للإضرار بالمسلمين الحقيقين ولا لإخضاعهم وتخريبهم ولكن لإيقاظ إيمانهم وجمع شملهم وإقامة النظام بينهم ... " .[4]

[1]- تشرتشل ، مصدر سابق، ص 174.

[2]- يحي بوعزيز ، **وثائق جديدة**، مرجع سابق، ص 288-237.

[3]- الأمير عبد القادر ، **مذكرات الأمير عبد القادر**، دار الأمة، الجزائر، 2004، ص18.

[4]- تشرشل ، مصدر سابق ، ص 175.

من جهته حاول التجاني انتهاج سياسة الحفاظ على الوضع القائم الموروث عن العهد العثماني، وهو الحفاظ على نفوذه و استقلاله في منطقة الجنوب، وإبعاد السلطة المركزية ومتطلباتها عن مناطقه، و في نفس الوقت تحاشي الصراع مع الأمير، ومساعدته بما يحتاجه من مال ورجال في قتاله للفرنسيين، و هذه السياسة تتماشى و وصية أبيه التي تنص على تجنب ملاقاة السلاطين و رجال المخزن، ولتنفيذ هذه السياسة نجد مُحَّد الصغير لا يمانع في إرسال الهدايا والإعلانات للأمير، ويحرص على المسالمة، ولكن في نفس الوقت يسعى إلى تجنب لقاء الأمير.[1]

ويذكر أحمد بن عاشور الصمغوني أن أهل عين ماضي قدموا بعض الإعلانات منها: مائة و إحدى و ثلاثين ناقة و ألف دورو و مائتي حمل من الخرو، و حصانا و خادما من عند الأرباع، كما قدم أولاد زيان، وهم العائلة الثانية في عين ماضي، مائة ناقة و ألف دورو و رأسين من الغنم و مائة جمل من الخرو، في حين دفع أولاد سيدي ابراهيم كلهم من عين ماضي ستين ناقة، كما أخرج مُحَّد الصغير على أهل عين ماضي 12 ألف ريال و فرس و خادمين سنة 1839م، وهذه المساعدة التي قدمها الشيخ التجاني للأمير و المقدرة ب 11 ألف بودجو و هي أكبر قيمة من كل تلك التي ساهمت بها كل قبائل الأغواط.[2]

و حدث في أفريل 1838م، أن استولى رجال الأمير على قطيع إبل للتيجاني المقدر ب 300 رأس، فاغتنم التجاني هذه الحادثة ليرسل وفدا للأمير وهو بالمدية بعلن له الولاء و يحمل له الهدايا و يناشده الأمان، ويبرر له عدم قدرته على تقديم الدعم البشري و السياسي، وطالبه بإعادة قطيعه، لكن الأمير رفض إعادة قطيع الإبل، حيث اعتبره دعما للجهاد، و في مقابل ذلك أعطاه الأمان [3].

---

[1]- مُحَّد الحافظ المصري التيجاني، **الانتصاف في رد الافتراء على السادة التيجانية**، منشورات الزاوية التيجانية بتماسين ، الوادي، الجزائر، 2007، ص 30-31 .بن يوسف تلمساني، **الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر "1782-1900"**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997-1998، ص168.

[2]- بن يوسف تلمساني، مرجع سابق، ص168-169. عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص38.

[3]- Arnaud, **Siege d'Ain Madi**, OP.CIT, p 365.

وبالإضافة إلى هذه الأسباب الذاتية للصدام بين الطرفين، توجد أسباب موضوعية لعل من أهمها طبيعة المجتمع الجزائري نفسه في تلك الفترة، حيث تقاسمته وحدات نفوذية قائمة على القبلية والطرقية والعائلات الأرستقراطية، حيث نجد على رأس كل وحدة شيخا عادة ما يستمد نفوذه من قوة وحجم تلك القبيلة، أو من مكانته الدينية كمرابط أو شيخ زاوية ما.

إلى جانب ذلك نجد أن الصراع الطرقي على مجالات النفوذ يتجدر أكثر من أي وقت مضى، حيث كانت الطرقية تسيطر على الحياة اليومية للأفراد و الجماعات و يمتد في معظم الأحيان نفوذها إلى خارج إطار القبيلة، ولهذا فقد جاءت مقاومتها للاحتلال الفرنسي على هذا النسق، متناقضة و متعاكسة الاتجاه و مستقلة من حيث الزمان و المكان فيما بينها، فهي لا تتحرك إلا إذا طرق العدو حدود نفوذها و مست مصالحها.[1]

فقد كان الأمير و منذ مبايعته في الجهة الغربية، يطمح إلى بناء دولة حديثة قائمة على مؤسسات شرعية تنصهر فيها جميع الوحدات القبلية و الدينية على غرار ما هي عليه الدول الحديثة، وكان أمام الأمير كان تحديان هما: إقناع بقية الجهات الأخرى من الوطن للحصول على الشرعية، و إيقاف زحف الاحتلال الفرنسي نحو المناطق الداخلية، ، في حين أن الكيانات القبلية والطرقية تمتعت منذ زمن بعيد باستقلالية تجعلها تمتنع عن الخضوع لهذا السلطان الجديد وهي التي حاربت السلطة العثمانية طويلا لأجل تثبيت نفوذها وكيانها، ومن هنا وجد الاستعمار الفرنسي المدخل لتوسيع الهوة بين الطرفين.[2]

ب)ميزان القوة بين الأمير والشيخ مُحَمَّد الصغير التيجاني: بعد أن يئس الأمير عبد القادر في إمكانية التفاهم مع التجاني تحركت قواته يوم 27 ماي 1838م إلى تاقدامت التي كانت تمثل مركزا من مراكزه العسكرية حيث التقى برؤساء الفرق والقبائل التي ستشارك في هذه الحملة من بينهم أولاد مختار تحت قيادة الآغا بن عودة، أولاد شايب تحت قيادة الآغا جديد بن يوسف، أولاد خليف بزعامة الأغا الخروبي والأحرار يقودهم الآغا جلول، بالإضافة إلى قبيلة الحشم، على أن تنظم قبائل أخرى أثناء المسير إلى عين ماضي.[3]

[1]- بن يوسف تلمساني، مرجع سابق، ص 166-168.

[2]- سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص203.

[3] ARNAUD , OP.CIT T7, p 366.

تحرك الأمير نحو عين ماضي في 18 ربيع الأول 1254هـ الموافق 12 جوان 1838م نحو قصر عين ماضي مقر الطريقة التجانية على رأس جيش بلغ تعداده ستة ألاف من الخيالة و ثلاثة ألاف من المشاة و ثلاث مدافع ميدان و ستة مدافع هاون ، [1]وقد تضاربت حوله الروايات من حيث العدد و العدة، ففي حين جاء في " تحفة الزائر " أن هذا الجيش شكل من 6000 خيالة، 3000 مشاة، 3 مدافع، 6 مدافع هاون [2] أما سانت أرنو (Arnaud .St)، فقد ذكر أن 2000 فارس جاءوا مع الأمير منهم 200 نظامي و مدفعين و 30 مدفعي و 110 قذيفة، 60 قنبلة، و 1000 مشاة كانوا تحت قيادة 04 أغوات، بالإضافة إلى مشاركة 04 قبائل من اولاد نايل :(أولاد سيدي مُحَمَّد ب 100 فارس، أولاد يحي بن سالم ب 15 فارس، أولاد عيسى با 30 فارس،أولاد ساعد بن سالم بـ 10 فارس) إلى جانب مشاركة أولاد سيدي الشيخ بن الدين بـ 80 فارس و قبائل جبل عمور بـ 60 فارس و أولاد فراج (بوسعادة) بـ 20 فارس وحجاج (الأغواط) بـ 40 فارس، بمجموع كلي يقدر ب 3585 فارسا ومدفعين إلا أن هذا العدد ارتفع فيما بعد إلى 8000 رجل [3]، ولعل هذا الاختلاف في تقدير قوة الأمير، مرده في نظرنا إلى كون المصدر الثاني قد ذكر العدد الإجمالي بما فيه الإمدادات التي وصلت إلى الأمير أثناء الحصار.

وصل الأمير إلى عين ماضي بتاريخ 22 جوان مفاجئا الشيخ التجاني الذي اندهش لضخامة هذه القوة و لم يكن مستعدا للمواجهة و لم تبلغ قواته سوى 166 رجلا من الأحلاف و أولاد سرغين تحت قيادة يحي بن سالم و 170 من أولاد صالح (الأرباع) و 17 من سكان الغيشة و 20 من قصر تاجموت (3) و 22من قصر الحويطة و 15 من الأجانب كاليهود و الزنوج و قدرت قواته بحوالي 710 رجل . [4]

[1]- تشرتشل، مصدر سابق، ص173. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص94.

[2]- مُحَمَّد ابن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ج1، ص 301.

[3]-ARNAUD , OP.CIT T7, p 368

[4]-ARNAUD , OP.CIT.p 368. 204 إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص94. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1،

بدأ الأمير حصاره في شهر جوان و كانت عين ماضي محصنة في غاية التحصين وقد عانى الأمير بسبب ذلك بالإضافة إلى أن الشيخ التجاني قد جاءته نجدة من أحمد بن سالم إذ بعث هذا الأخير بأخيه يحي بن على رأس قوة من بني الأغواط والارباع لمساندته مع وصول مساندين من ورقلة وبني ميزاب.[1]

ج) حصار عين ماضي: واصل الامير سيره إلى عين ماضي، عبر مراحل، وأرسل كاتبه ليون روش المدعو عمر[2] على رأس عشرين فارسا، لإبلاغ التجاني، على أن الأمير لا ينوي من هذه الحملة سوى جمع الكلمة وتوحيد صفوف المسلمين، وأنه لا يستمر في الرحلة إذا ما قبل التجاني المجيء لمقابلته، و في الوقت نفسه كان التجاني قد بعث بوفد الى الأمير عند وصوله إلى سيدي بوزيد، يستفسرونه عن وجهته، و إن كانت عين ماضي، فما الجدوى من محاربة التجاني و أهل عين ماضي لا يملكون سوى الحجارة و الرمال، و ذكروه بالأمان الذي منحه أهل عين ماضي، لما قابلوه في المدية. [3]

لم يعبأ الأمير بوفدي التجاني، ورد عليهم بأنه في جولة إلى البلاد التي منحه الله ملكها، وراح روش مبعوث الأمير يتباهى بحصانة قصر عين ماضي و يندهش أمام أسواره، و حتى يوهم التجاني بقوته و يزيده إصرارا، قال له " أن قصرك صعب المنال و سيكون قوة رهيبة أمام الأمير " و في نفس الوقت تراه يستفز التجاني على لسان الأمير ويحذره بأن هذا الأخير سيحاصر القصر و لوحدة عشر سنوات، ثم عاد إلى الأمير و أخبره عن إصرار التجاني على المقاومة و أنه لا أمل في الاتفاق معه إلا بالقوة، وقد برر مُحَمَّد الصغير رفضه مقابلة الأمير وعدم السماح له بدخول عين ماضي بقوله : " ليعلم سيدكم أنني لست ثائرا، ولا عدوا لكن صاحب طريقة لا تهتم إلا بالأمور الأخروية، و أريد تفادي

---

[1] – العروسي، مصدر سابق، ص63.سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص205.

[2] – **ليون روش** : ولد ب غرونبل بفرنسا في 27 سبتمبر 1809، من أبوين فرنسيين، درس في مسقط رأسه و اتجها في تورين، كان واسع الطموح، ميالا للمغامرة، انقطع عن الدراسة و اتصل بأحد التجار بمدينة مرسيليا و كان أبوه ملحقا بخدمات العتاد العسكري بالجزائر منذ الحملة الفرنسية 1830م. و نظرا لتعدد مهامه أرسل الى ابنه لمساعدته، فلبى هذا الأخير طلبه و وصل الى الجزائر عام 1832م/1248هـ. تعلم اللغة العربية و التحق بالأمير بعد أن تظاهر باعتناق الإسلام، و انتحل إسم عمر، فامن الأمير جانبه و قربه منه، عينه في منصب كاتب سر، تخلى عن اسلامه، بعد أن أتم مهمته الجوسسية التي انتدب من أجلها و التحق بالجيش الفرنسي بوهران في نوفمبر 1839م توفي في 26 جوان 1901 بغرونبل – له كتاب عنوانه :" trente-deux ans à travers l'Islam " **أنظر** : يوسف مناصرية : **مهمة ليـــون روش في الجزائر و المغرب (1822-1847)**، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990، ص13 وما بعدها.

[3] – ARNAUD , OP.CIT , P 366.

كل علاقة مع أمراء الأرض، و أؤكد من جديد نوايانا السلمية، لكن إذا ما أراد السلطان مقابلتي عليه أن يخترق جدران مدينتي و يشق صدور خدمي".[1]

وبهذا فقد اعتبر التيجاني مقابلته للأمير مخالفة لوصية أبيه، وعليه فقد زحف الأمير على عين ماضي بعد أن أخذ استراحة يوميين في جبل عمور، ووصل إلى مقربة من عين ماضي في 26 جوان 1837.

ويذكر "أرنو" أن التجاني خصص للأمير عند وصوله، استقبالا خاصا بالضيافة و إن لم يخرج شخصيا لاستقباله، فأوفد إليه الأمير بعض الفرسان من الأحرار يطلبون منه الخروج للأمير للتحدث عن أمور الدين و الجهاد، فرد عليهم أن كل ما يمكن أن يقدمه فقد أعطاه و ليس شيء آخر، أما مسألة المقابلة، و قرار لا رجعة فيه، بل أصبحت مسألة نيف ، وقد اعتبر الأمير هذا الرفض إهانة و تمردا، وفهم أن تراجعه سيشكل سابقة أما القبائل الصحراوية.[2]

قام الأمير بقطع المياه على السكان كوسيلة ضغط، إلا أنه اكتشف فيما بعد أن قصر عين ماضي مزود بآبار داخلية، حينها أمر بالهجوم على أسوار الحدائق، مما أدى إلى وقوع اشتباكات، أسفرت عن قتل ستة أشخاص في صفوف أتباع التجاني و عدد كبير من جند الأمير، قدره ليون روش بـ 80 قتيلا و مائة و خمسة وثمانين جريحا[3]، تمكن على إثر ذلك جيش الأمير من الاستيلاء على الحدائق بعد أن أحرقت و قطعت أشجارها، عندما حاول أهل عين ماضي توقيف القتال وبادروا بتقديم الهدايا إلى الأمير (بغلتين و 2 من العبيد)، و أعلنوا له استعدادهم لقبول شروطه باستثناء تسليم التجاني، فرفض الأمير عرضهم و أصر على مواصلة الهجوم ما لم يخرج إليه التجاني بنفسه، فتجددت الاشتباكات خلال شهري أوت و سبتمبر، أودت بحياة 8 أشخاص من سكان عين ماضي بينما أشار ليون روش إلى أن الخسائر البشرية كانت محسوسة.

---

[1]- ROCHES : OP.CIT. p 302.

[2]-ibid .p 367. تشرتشل، مرجع سابق، ص173-174 .

[3]-ROCHES : OP.CIT. p 306. ARNAUD : OP.CIT. p 367.

وقد بادر التجاني – بسبب ارتفاع القتلى- بعرض مالي قدره عشرون ألف ريال أي ما يعادل (37.200 فرنك) كمساهمة في الجهاد، مقابل رفع الحصار على أن يدفع نصف المبلغ مباشرة و الجزء المتبقي تعطى لهم مهلة لتوفيره و كضمان على حسن النية قدم سكان عين ماضي ما قيمته ألف ريال كخدمات لجيش الأمير، مع عشر رهائن من أبناء أعيان عين ماضي[1].

وعلى ضوء هذه المستجدات وافق الأمير على عرض التجاني، خصوصا وإن الذخيرة قد نفذت، و لم يعد باستطاعة الأمير مواصلة القتال حتى قوافل الإمدادات و المؤن الغذائية كانت عرضة للنهب من قبل إحدى قبائل الأرباع الموالية للتجاني، الأمر الذي دفع الأمير إلى تخصيص حوالي ألفي رجل من قواته لحماية قوافله[2]، وخاض معارك دموية قرب تاجموت ضد الأرباع لاسترداد قوافله المنهوبة مما يبين أن الأمير كان في وضعية لا يحسد عليها، بل كاد يتراجع لولا الإمدادات التي وصلته من المغرب و المتمثلة في أربعة مدافع و بعض الذخيرة منها 150 قنبلة، إلى جانب امدادات أخرى بعث بها الحاكم العام المارشال فالي و المتضمنة ثلاثة مدافع حصار و أربعمائة قنبلة[3].

بدأت الأزمة تسير نحو الانفراج، و خيم الهدوء مدة عشرين يوما، تبادل خلالها الطرفان المبيعات، ولكن الهدنة لم تعمر بين الطرفين أكثر من ذلك، حتى عاد الاقتتال من جديد، حيث طلب الأمير، السماح له رفقة جنده أداء صلاة الجمعة داخل مسجد الزاوية، غير أن التجاني تخوف من هذا الطلب المحرج واعتذر بحجة أن مسجد الزاوية لا يتسع لعدد كبير، وقد اعتبر الأمير هذا الرفض بمثابة تراجع عن النتائج المتوصل إليها، و أمر باستئناف مهاجمة القصر و تضييق الخناق على أهله، لاسيما بعد وصول الإمدادات النوعية المذكورة آنفا، و ارتفاع عدد جنده بوصول 150 فارسا و 3000 متطوعا من مختلف القبائل، ليصل هذا العدد إلى أكثر من 8000، وهكذا فقد أصبح ميزان القوة كفيلا بحسم المعركة لصالح الأمير، ونشط روش بمساعدة أحد الفارين من الجيش الفرنسي

[1]-ARNAUD , OP.CIT ,p 370.

[2]-تشرتشل، مصدر سابق ، ص 174.

[3]- تشرتشل: مصدر سابق، ، ص 174. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص96. أنظر أيضا:

-ROCHES , OP.CIT, p 312.

في لتلغيم أسوار القصر مستغلين الذخيرة التي وصلت إلى الأمير، في الوقت الذي كانت فيه الاشتباكات مستمرة[1].

وفي المقابل كانت الذخيرة تتسرب إلى أهل عين ماضي ليلا عن طريق الموالين هم من سكان قرى بني ميزاب إلا أنها لم تكن كافية، ولهذا أوفد التجاني مفاوضه " الريان " إلى الأمير حاملا إليه بعض الهدايا، و معلنا رغبة التجاني في التوصل إلى حل لفض النزاع، وفي هذه الأثناء كان مُحَمَّد السعيد قد جاء من معسكر، بعد أن أقلقه غياب الأمير و تورطه في نزاع أنهك قوى جيشه، و لما استمع سيدي مُحَمَّد السعيد لتقرير روش حول تلغيم القصر، خشي من سقوط أرواح الأبرياء، فأقنع الامير بضرورة تأجيل تنفيذ العملية، و إعطائه فرصة التفاوض مع مُحَمَّد الصغير التجاني.[2]

د) استسلام مُحَمَّد الصغير التيجاني ونهاية الحصار وتخريب قصر عين ماضي: يذكر المزاري في " طلوع سعد السعود " أن الأمير بعث من العلماء و المرابطين و معهم صهره و خليفته الحاج مصطفى بن التهامي ... فدخلوها بالإذن من صاحبها و قالوا له أن الأمير المجاهد في سبيل الله لم يرد مقاتلتك و لا العتو عليك، و إنما أنت أبيت من دخوله عليك، لأن النصارى إذا سمعوا بمقاتلتكما يضحكون عليه و عليك... و أراد الدخول إلى المدينة بجيشه و يمكث بها أياما للتعبد و الصلاة بمسجدها، و تأمين جيشك و جيشه ثم يذهب لمقاتلة العدو الذي بغى عليه، فرضي التجاني بذلك»[3]، وكان اللقاء بين شقيق الأمير والتيجاني بتاريخ: بتاريخ 02 رمضان 1254هـ الموافق لـ 19 نوفمبر 1838.[4]

و قد عبر " تشرتشل " عن هذا الخيار و الظرف الذي كان فيه الأمير بقوله: "و كان قلق عبد القادر شديدا. لقد سبق له في كثير من المناسبات أن واجه الصعوبات و المشاكل و لكن لم يسبق له أبدا أن دخل في صراع، له عواقب هامة كهذا الصراع، إنه يعلم أنه إذا اعترف بفشله برفع الحصار فإن جميع الصحراء ستبقى خارجة عنه لذلك أعلن أنه يفضل الموت حيث هو على

---

[1]-ARNAUD , OP.CIT. T8. p 425.

[2] - ARNAUD , Ibid, T8 p338-340. ROCHES , OP. CIT : p 324-324

[3]- المزاري، مصدر سابق، ج2، ص173.

[4]-مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ج1، ص 302 . أنظر أيضا:

L. ROCHES : OP.CIT. p 325.

الاستسلام" [1]، و الأمير نفسه يعبر عن هذا الخيار، فيقول: "... فخفنا إن أهملنا أمرهم، من سريان هذا الفساد (شق عصا المسامين) إلى غيرهم، فيفوت المقصود..." [2].

فتحت المفاوضات بين الأمير والتجاني، حيث دامت بضعة أيام لعب فيها مُحَمَّد السعيد شقيق الأمير ومصطفى بن التهامي صهر وخليفة الأمير على معسكر دورا واستطاع أن يقنعا كل من التجاني والأمير على ضرورة التوصل إلى حل وسط يرضي الجميع، فالتجاني من جهته تنازل على فكرة عدم السماح للأمير وجنده بدخول قصره وفي نفس الوقت اعترف له بحقه في رفض مقابلة الأمير، وتنازل الأمير عن شرطة القاضي بمجيء التجاني إلى خيمته لإعلان الولاء، وتوصل الطرفان إلى عقد اتفاقية نهائية وذلك يوم5 رمضان 1234هـ الموافق ل 22 نوفمبر 1838م [3] على ما يأتي:

- يخلي التيجاني قصر عين ماضي في مدة أقصاها 40 يوما من تاريخ رفع الحصار.
- يرفع الأمير الحصار وينسحب مسافة 8 أميال عن عين ماضي، لتمكين التجاني واتباعه من إخلاء القصر.
- يدفع التجاني مصاريف الحصار للأمير عبد القادر.
- للتيجاني الحق في حمل كل ما يريد، من أملاكه المنقولة دون استثناء.
- لأهل عين ماضي حرية البقاء أو مرافقة التجاني وأخذ أموالهم وأسلحتهم دون اعتراض.
- يقدم التجاني ابنه رهينة كضمان لتنفيذ بنود الاتفاقية.[4]

وهكذا أجبر الشيخ التجاني على الاستسلام بتاريخ 02رمضان1254 هـ الموافق ل 22نوفمبر 1838م التزم الطرفان بتنفيذ بنود الاتفاقية، ففي الآجال المحددة أخلى التجاني عين ماضي واختار الإقامة في الأغواط وخرج معه أتباعه فلم يبق إلا المستضعفون1) [5]، في حين كان الأمير قد رفع

[1]- تشرتشل، مصدر سابق، ص 174. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص95.

[2]- مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق ،ج1، ص 303.

[3]- ROCHES, ROCHES , OP. CIT , p 328.

[4]- مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق ، ج1، ص 302. تشرتشل، مصدر سابق، ص175-176إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص96. .أيضا : L. ROCHES : OP. CIT. P 327-328.

[5]- مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق ،ج1، ص 302. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص96.

حصاره عن عين ماضي في 2 ديسمبر 1838م، ووفر كل الأجواء لتمكين التجاني وأتباعه من الرحيل في سلام، ويذكر " أرنو " أن الأمير قد وفر 250جملا و40 هودجا وحصانين وبغلين لحمل عائلته وأملاكه [1]، وقد لجأ مُحَّد الحبيب إلى القرارة في وادي ميزاب.[2]

دخل الأمير إلى قصر عين ماضي دون مقاومة يوم 13 جانفي 1839 ، و بعد معاينة القصر أمر الأمير ليون روش بنسف أسواره و قد تم ذلك أمام مرأى من الأمير و آلاف الأشخاص [3]لكن دون أن يلحق الضرر بالزاوية التيجانية[4] وهو ما يعد إخلالا بالاتفاقية المبرمة بين الطرفين ، كما أرسل خلفاؤه ووكلاءه في الجزائر وهران أطلعهم على نتائج الحصار وهذا نصها:

«الحمد لله وصلى الله على من لا نبي بعده، وبعد، فإن الله تعالى، منذ ولانا أمر المسلمين، والنظر في مصالحهم، لم نزل نجتهد، ونسعى في تأليف قلوبهم، على الاتحاد والخضوع لشريعة سيدنا مُحَّد (ﷺ) لقوله عز وجل: «ولا تنازعوا فتفشلوا، وتذهب ريحكم به»، وقد توجهنا هذه المرة، إلى بلاد الأغواط، لجمع كلمتهم، وإصلاح فسادهم، فأظهر عامة أهلها، غاية الطاعة والانقياد، إلا ما كان من التجاني، ومن انتهى إليه تجاهروا بالشقاق، وتظاهروا بالتصدي عن الوفاق فأمرناهم بالرجوع الى الحق وحذرناهم من شق عصا المسلمين، غير مرة، وناشدناهم الله، في صون دمائهم وأعراضهم فلم يرجعوا عن غيهم، فيفوت المقصود، الذي هو جمع الأمة، على كلمة واحدة وطريقة متحدة، فأخذنا في حصار حصنهم، والتضييق عليهم، ولما استشرفوا على الردى وكادت أن تعمل فيهم المدي، طلبوا منا الأمان – مع أنهم خدعونا مرات عديدة. فمنحناهم الصفح الجميل، صونا لدمائهم، وحفاظا لأعراضهم لقوله تعالى:".. فاعفوا و اصفحوا " و أمناهم على أن يخرجوا من الحصن، و يتوجهوا حيث شاءوا، فخرجوا كلهم منه إلا المستضعفين منهم، و ذهب التيجاني و حريمه و أولاده الى

[1]-ARNAUD : OP.CIT T8. P447.

[2]- العروسي، مصدر سابق، ص93.

[3]- المزاري، مصدر سابق، ج2، ص 173. فون مالتسان، مصدر سابق، ص228. العروسي، مصدر سابق، ص65-66. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص97.

[4]-ROCHES : OP.CIT. P 361 .

الأغواط الغرابة، و بقي ابنه الكبير رهنا عندنا فالحمد لله، الذي أيدنا بنصره، على من عصى أمره و نأواه، لا رب غيره و لا معبود سواه [1].

و فور صدور هذا الكتاب أرسلت بعض القبائل المجاورة لحصن عين ماضي بالزكاة و العشور للأمير ، بينما رفضت قبائل أخرى ،[2] ويبدو أن الأمير كان ينوي الاحتفاظ بعين ماضي و يترك بها حامية إلا أنه تراجع عن هذا المشروع [3]وذلك بسبب علم الأمير بأن التجاني لن يهدأ له بال، إلا إذا استرجع قصر أبيه وأجداده، وبالتالي سيستعملها مجددا في الثورة على الأمير، كما أن هدم قصر عين ماضي فيه عبرة للقبائل الصحراوية.

هـ) الموقف الفرنسي من صراع الأمير عبد القادر ومُحَّد الصغير التيجاني: اهتمت فرنسا منذ البداية بالصراع الذي دار بين الأمير ومُحَّد الصغير التجاني وبقيت تترقب نتائجه، فقد حاولت إذكاء نار الفتنة بين الطرفين، كما استغلت هذه الفرصة لكي تلين من موقف الأمير اتجاه معاهدة التافنة و لذلك أهداه الحاكم العام الجنرال فالي Valee ثلاث مدافع بذخيرتها، و بالتالي هي فرصة فرنسا لضرب إمكانيات المقاومة بعضها البعض ، الأمير الذي يعتبر عدو لهم و إجباره على التنازل عن بعض بنود معاهدة التافنة و القضاء على مرابط قوي يمكن أن يكون خصما عنيدا و ثائرا في المستقبل[4] .

حاولت فرنسا الاستعلام من خلال رسالة بعثها أمُحَّد المزاري ردا على طلب المارشال كلوزيل، هذا نصها: الحمد الله وحده المعظم الأرفع والهمام الأنفع، محبنا وأعز ما لدينا الماريشال كلوزيل السلام عليك وعلى كافة من أنضم إليك، ألا أنه ورد علينا كتابك الأعز وخطابك الأوجز فاستفدنا منه صحتك وسلامتك، فالحمد لله على ذلك ونخبرك على الحاج عبد القادر مازال في عين ماضي، وعسكر الحاج عبد القادر مدور بالبلاد بالعسة إلا من جهة (كذا) القبلة لم يكن عليها عسة وأهل عين ماضي لم يضرهم شي (كذا) ولم يخصهم إلا الحطب والملح فقط ونحو أربعة مائة من عسكر الأرباع عند التجاني يحاربون معه وأما الأعراش الذين كانوا مع الحاج عبد القادر كلهم افترقوا عليه ما

[1]- مُحَّد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق ،ج1، ص 303 . تشرتشل، مصدر سابق، ص175-176.

[2]- إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص97.

[3]-ROCHES , OP. CIT , p 360,

[4]- تشرتشل، مصدر سابق، ص174. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص96.

بقي إلا شيخ أولاد خليف، و شيخ أولاد شعيب وزوج أشيخ (كذا) أنتاع الأحرار وشيخ أولاد شريف، باقين مع الحاج عبد القادر بخيولهم فقط لم يكن معهم الجيش هذا الخبر صحيح والسلام، في 10 من شهر الله المعظم رمضان عام 1254هـ بأمر مُحَّد المزاري"[1]

إلى جانب ذلك اهتم الفرنسيون بجمع الأخبار والمعلومات عن عين ماضي، منها تلك التقارير التي سجلوها على لسان مصطفى بن إسماعيل، تضمنت نبذة تاريخية عن مؤسس الطريقة وصمود عين ماضي في وجه البايات العثمانيين، وقد تناولت الصحف الفرنسية موضوع حصار عين ماضي بكثير من التحامل والمبالغة والتشكيك في سلطة الأمير، وأطلقت العنان للأكاذيب دون تقصي للحقائق وهي في ذلك تعبر عن وجهة نظر السلطة الاستعمارية، التي كانت تتحين الفرص لنقض معاهدة التانية، في حين كان الأمير كلما اطلع على هذه الجرائد إلا وتأسف عن تلك الأكاذيب، خاصة لما أطلع على البعض منها وهو في عين ماضي. [2]

و في الحقيقة فإن كل ذلك الصراع و النزاع الذي كان بين الأمير عبد القادر و الشيخ التجاني ما هو سوى مؤامرة أحبك خيوطها" ليون روش ، وقد اعترف الأمير عبد القادر بذلك و الدليل على ذلك تلك الرسالة التي بعثها الأمير عبد القادر إلى الشيخ التجاني ، و بها هدية ممثلة في سيف الأمير و علمين كعربون للصداقة و الأخوة ، و قد حملها إليه ابنه (ابن التجاني) الذي كان رهينة عند الأمير حيث أبدى الأمير اعتذاره و تأسفه لما حصل: " الحمد لله وصلى الله على سيدنا مُحَّد و آله وصحبه وسلم، وبعد إلى السيد مُحَّد الحبيب ابن العلامة من السيد أحمد التجاني، لقد وصلني جوابك الذي لا إماء (كذا) وبعد أن عجزت عن الولوج داخل حصنكم وبعد أن أدركت حقيقتكم وعلمت أن ما دار بيننا هو وشاية فقط وتدخل الفتانيين بينا ولهذا فإني أرجوا عفو كم عنا، وهذه هدية تصلكم وهي متواضعة مع ابنكم أحمد عساها تجدد الروابط الأخوية بينا. من الفقير إلى

[1]- **جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية في القرن 19 عشر (1830-1914)**، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط5، 2016، ص 104. يحي بوعزيز ، **وثائق جديدة** ، مرجع سابق، ص 228.

[2]- بن يوسف تلمساني، مرجع سابق، ص190-192.

مولاه (كذا) كثير الذنوب والأوزار عبد القادر محي الدين بن المصطفى بن المختار عامله بلطفه في الدنيا ودار الموتى، ثلاث وعشرين من ذي القعدة عام أربع وخمسين ومائتين وألف السلام".[1]

ثالثا: نتائج الصراع بين الأمير والتيجاني:

1/ هدر الإمكانيات وتشتت المقاومة: عرفت الأغواط اضطرابات عنيفة خلال الفترة الممتدة بين"1838-1842"بسبب علاقتها المتذبذبة مع الأمير عبد القادر بعد حصاره لقصر عين ماضي وتخريبه لمدينة التيجانيين والذي كانت نتائجه المستقبلية وخيمة على المنطقة فلم تتوقف على هدر الامكانيات المادية والبشرية فحسب، بل جعل المنطقة مهيئة لما يعرف بالقابلية للاستعمار، وسانت أرنو حيث أكد هذه الحقيقة في قوله:" إن ما تعرضت له المنطقة من حصار ضد عين ماضي، كان سببا في تمرد القبائل وجعلها تعترف بسيطرتنا بسهولة"، كما يقول " لو نجح الأمير في إقناع التجاني الذي لديه قوة معنوية كبيرة إلى صفه ، لاشك أنه سيخلق لنا مشاكل جدية ..." [2].

لقد أهدر هذا الصراع الذي دام من 12 جوان إلى غاية 12 جانفي الموالي إمكانات هامة يتحمل مسؤوليتها طرفا النزاع، فالتجاني بقي حبيس الذهنية الخاصة بطريقته و لا ينظر لعامله الخارجي إلا بمنظارها، في حين انبهر الأمير بانتصاراته، السابقة و لم يراع خصوصيات المنطقة عند تعيينه للحاج العربي، وعليه يمكن القول إن الأمير لم يحسن الاختيار، إضافة إلى اعتماده على ليون روش – هذا الجاسوس الذي استطاع أن يتسرب إلى صفوف الأمير مما مكنه من التأثير في صنع القرار، وقد استثمر لقاءه بالتيجاني في نسج علاقة ودية فيما بعد لكي يحصل على فتوى تخدم مصالح بلاده، كما أن وضع الأمير في المنطقة بدأ يسوء بسبب الهزائم المتتابعة لحلفائه أمام بن سالم والتيجاني[3].

لا شك أن النتائج التي آل إليها هذا الصراع، تبين لنا أن المستفيد الوحيد هو العدو الفرنسي ففي الوقت الذي انشغل فيه الأمير بعين ماضي، انتهز الفرنسيون الفرصة وشيدوا مركزا لهم في عنابة

[1]- رسالة موجودة بزاوية عين ماضي، ولا زالت النسخة الأصلية محفوظة في زاوية عين ماضي تحمل في أعلاها ختم الأمير عبد القادر بن محي الدين، أما الهدية المشار إليها في الرسالة: عبارة عن سيف وعلمين لا يزالان إلى اليوم في زاوية عين ماضي. أنظر: بن يوسف تلمساني، مرجع سابق، ص194.

[2]-Arnaud , OP.CIT, P 364.

[3]-فون مالتسان، مصدر سابق، ص210.

وقالمة وميلة وامتدت يدهم إلى جيجل والقل وسكيكدة، وبينما كان القتال في الصحراء على أشده كانت الجيوش الفرنسية تتقدم شيئا فشيئا.[1]

كان التيجانيون يسعون إلى بناء منطقة نفوذ في الجنوب دون اللجوء إلى تحالف مع أي كان، غير أن الحصار العسكري الذي ضربة الأمير عبد القادر على عين ماضي ثم تخريبه لها، جعل التيجانيين يقتنعون أنه لا يمكنهم تحقيق أمنيتهم إلا في إطار تحالف بل إن الإمدادات التي تحصل عليها الأمير من الحاكم العام الفرنسي فالي بمقتضى معاهدة التافنة، اتخذها التيجانيون حجة محاولة الاستفادة هم أيضا من سلطة الاحتلال ويمكن ترجمة هذا التوجه في تلك الاتصالات التي تمت بين مُحَمَّد الصغير التجاني شيخ زاوية عين ماضي ما بين (1827-1853) والحاكم العام فالي مباشرة بعد سقوط عين ماضي في يد الأمير، إبان شهر جانفي 1839،[2] كما سيتبين لنا لاحقا.

2/ هجوم الأمير على قبائل الأغواط: بقيت سلطة الأمير عبد القادر في هذه المناطق مهلهلة و ذلك لأن الثقة قد فقدت بين الشيخ التجاني و الأمير عبد القادر خاصة بعد تهديم هذا الأخير لحصون عين ماضي ، بالإضافة إلى دور أحمد ابن سالم و سياسته اتجاه أهل الأغواط و عدم تفاهمه مع خليفة الأمير الحاج العربي ، و كذا استئناف الأمير عبد القادر الحرب ضد فرنسا، و ذلك ما ساعد خصوم الأمير على التحرك ضده فما كان من الأمير إلا أن ينفذ وعده لتهدئة الأوضاع و يمنح سلطة الأغواط إلى أحمد بن سالم ، غير أن ذلك كان مؤقتا.

حيث لم يبق الأمير عبد القادر إلا أربعة أيام من بعد نسفه لأسوار عين ماضي ثم انتقل إلى تاقدامت ومنها إلى معسكر للوقوف على شؤون دولته، لكن بعد أسابيع قليلة قرر مباغتة قبائل الأغواط الغرابة لعدم امتثالهم لطاعته، بالإضافة إلى امتناعهم عن دفع الزكاة والعشور ومهاجمتهم لقوافله بالنهب والسطو اتصالهم بالفرنسيين ومساندتهم للتجاني أثناء الحصار.

خرج الأمير على رأس خمسة ألاف فارس، دون أن يعلم أحد منهم بوجهته، فسار بهم مدة أربعة أيام وليالي، لا يتوقف إلا لأخذ الراحة، وفي فجر اليوم الخامس وصل الأمير إلى قبائل الأغواط المرتحلة و كانت من حوالي عشرة آلاف خيمة فلم يستيقظوا إلا تحت دوي الفرسان، فنشر في وسطهم الفوضى

[1] - سليمان بن مُحَمَّد حكوم، مرجع سابق، ص81.

[2] - بن يوسف تلمساني، مرجع سابق، ص200.

و الذعر مندهشين من شدة الفزع و الهول، و كان الأمير ينبه و يحث فرسانه بأن لا يعرضوا للحريم، أما الرجال فيعاملون بما يستحقون [1]، حيث تمكن فرسان الأمير بسرعة فائقة النيل من رجال القبائل، و جمعوا شيوخهم بين أيدي الأمير وهم في حالة من الذلة و الهون معلنين الطاعة و الولاء، آملين الصفح الجميل، فعفى و أصفح عنهم الأمير و دفعوا له زكاة و عشور خمس سنوات المتأخرة، حيث قدموا له أربعة آلاف جمل و ثلاثين ألف رأس غنم.، عندها عاد الأمير إلى الشمال، يؤكد صاحب " تحفة الزائر " أن هذه القبائل : « ..كانوا بعد ذلك من أشد القوم تمسكا بالأمير و أكملهم طاعة له.» [2] أو كما عبر عن ذلك " تشرتشل" في كتابه " حياة الأمير عبد القادر ": « فأصبحوا منذئذ أكثر أتباع عبد القادر إخلاصا له و ظلوا كذلك إلى آخر لحظة"[3]،

ونجد في كتاب وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب لقدور بن مُحَّد بن أرويلة ذكرا لأسماء أغواطيين بنسبتهم (الأغواطي) في جيش الأمير عبد القادر وضمن 800 شخص التي ذكرها قدور بن أرويلة في ديوان العسكر المحمدي المليانى، مثل صالح بن مُحَّد البغايلي الأغواطي و علي بن أحمد الأغواطي وجلول بلخير الأغواطي.[4]

3/ محاولة التحالف الفرنسية التيجانية ضد الأمير عبد القادر: بعد تخريب عين ماضي المكان المقدس لدى التجانيين، لم يتردد هؤلاء في عرض تحالفهم على الفرنسيين و الانتقام من الأمير عبد القادر، حيث اتصل مُحَّد الصغير التجاني رسميا بالحاكم العام قالي في بداية شهر جويلية 1839م، وذلك في الوقت الذي بدأت فيه علاقة الأمير بالفرنسيين تسيير نحو التدهور، حيث بعث برسالة عبر فيها بوضوح عن نيته حيث: يقترح عليه التعاون ضد الأمير لأن أعيان العرب طلبوا منه – هو التجاني – أن يكون أميرا عليهم فأجابهم أن الإمارة تقتضي وسائل حرب وهم لا يجيدونها في الصحراء و قال للماريشال فالي أيضا أنه يجب تعيين فرنسا لباي على المدية على أن يكون هو التجاني كبير أهل البادية و يكون الباي المذكور هو الواسطة بينه و بين فالي و يتعهد بطاعته و

[1]- مُحَّد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق ،ج1، ص 305 . تشرتشل، مصدر سابق، ص177-178.

[2]- مُحَّد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق ،ج1، ص 305.

[3]- تشرتشل، مصدر سابق، ص178.

[4]- قدور بن مُحَّد بن أرويلة، **وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب**، تح مُحَّد بن عبد الكريم، دار الوعي، الجزائر، 2017، ص 104، ص 110، ص 132.

الدخول تحت إمرته و يدفع إليه الزكاة و العشور وتعويد أهالي المنطقة على الحكم الفرنسي وإبعاد المناوئين لفرنسا من المنطقة، وتمكين فرنسا من فرض سلطتها على العرب وشؤونهم.

و بذلك " نبعد من كان غريبا عنك أو عدوا لك " و إن العرب غاضبون من الأمير لأنه " قدم الصغير و أبعد الكبير " ثم أنه " رجل يجهل قواعد العلاقات التي توجد بين الناس" ،" وهو بدوي و البدو لا يعرفون شيئا من ذلك .[1].

ورغم أن مُحَّد الصغير التجاني لم يتلق الرد الشافي حول الاقتراحات التي تقدم بها للسلطة الفرنسية، فإنه شرع في تنفيذ مشروع ذلك التحالف من جهة واحدة ، فبالإضافة إلى محاصرته للأمير من الجهة الجنوبية ، لم يتردد في تقديم المساعدة للجنرال بيجو ، الذي تولى منصب الحاكم العام منذ (22 فيفري1841 م إلى غاية 5 جوان 1847) للحصول على فتوى دينية، وقد اهتدى روش إلى الفكرة الجهنمية من رصيده المعرفي الذي اكتسبه خلال انضمامه إلى الأمير عبد القادر بين عامي (1837-1839) هذه المعارف مكنت بيجو من إلحاق عدة هزائم بالأمير عبد القادر خصوصا بعد ضرب مصادر استلهام قوته، وعلى رأسها المصدر الروحي وذلك بمحاولة زعزعة عقيدة الجزائريين وإدخالهم في جدال حول إمكانية إبطال الجهاد ومهادنة أهل الكتاب عن طريق استصدار فتوى. [2]

ولغرض استصدار فتوى في هذا الشأن، كلف بيجو روش بالقيام بمهمة لدي مُحَّد الصغير التجاني مستغلا العرض السابق لهذا الأخير، وحتى يكون لهذه الفتوى مصداقية وتأثير أكثر في نظر روش، ينبغي أن تصدر عن جهات متخصصة لها مكانتها عند عامة المسلمين كالأزهر ومكة و أن لا تصدر من أراضي خاضعة للسيطرة الفرنسية حتى لا تعطي الفتوى تأويلات أخرى ، ونظرا لوزن الطريقة التجانية، وتفتحها المبكر على السلطة الفرنسية ارتأى روش استغلال نفوذها في تونس ومصر لتحقيق غايته، وقد اتصل روش بمحمد الصغير التجاني شيخ زاوية عين ماضي عن طريق مبعوث، لعلمه أن التجاني ناقم على الأمير، وأن مثل هذه الفتوى ستسحب البساط من تحت أقدام الأمير وتنزع عنه غطاء الجهاد، وبمقابل تقديم العون للحصول على الفتوى يتم الاعتراف بالتجاني كقائد للصحراء ضمن الإدارة الفرنسية، ويزود بالأموال والسلاح، وينتظر منه أن يوفر ما بين 500 إلى 600 حصان وعددا من الجمال، وأن يساعد في الحرب ضد الأمير، وفي هذا الصدد يقول روش «

[1]- سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص206.

[2]- يوسف مناصرية، مرجع سابق، ص 40.

بعثت مبعوثي إلى سيدي مُحَمَّد الصغير التجاني في الأغواط يحمل إليه رسالة ويشرح له شفويا المشروع، وبعد شهر عاد المبعوث بعد أن التقى بالتجاني في الأغواط، حاملا إلي رسالة من صديقي القديم الذي هنأني على الفكرة، حيث قال لي إنها ستفتح عهدا يسود فيه الهدوء» [1] وقد ونصحه بعدم الذهاب إلى الأغواط حتى لا يثار الشك حول هذه المهمة لدى الأمير، خاصة وأن مثل هذه المهمة نجاحها يكمن في مدى سريتها [2].

وحسب روش فإن مُحَمَّد الصغير قام بجميع الترتيبات، حيث استدعى مقدمي الطرق الصوفية القريبة من الأغواط ، وأقنعهم بأهمية الفتوى واتفقوا جميعا على عقد اجتماع في القيروان (تونس) في أول رجب 19/1257 أوت 1841 ، يحضره ممثلون عن هذه الطرق بالإضافة إلى ليون روش شخصيا وحتى لا يكشف أمره، سيلجأ كعادته إلى تقمص شخصية إسلامية بتستره وراء الزي الإسلامي بنفس الطريقة التي تسرب بها إلى صفوف الأمير، لقد تحصل روش على عدة تسهيلات ودعم برسائل تزكية من قبل التجاني تفرض على الأحباب التجانيين تسهيل مأموريته، إضافة إلى ذلك يقول روش « كنت من جهة أخرى أحمل رسالة التجاني التي تحدد هدف مهمتي وتزكيني لدى مختلف أعضاء هيئة علماء القيروان [3]، بل يسعى إلى تزكيتها ومصادقتها من قبل علماء الأزهر والحرم المكي حتى تكون أكثر مصداقية، [4] ولما أكمل روش تحضيراته، غادر الجزائر في نهاية جويلية 1841 متجها إلى تونس والأرجح أن لقاء روش بالوفد في القيروان تم في 13 أوت 1841.[5]

استطاع روش أن يتحصل على الفتوى من مجلس علماء القيروان بمساعدة الوفد الذي بعثه مُحَمَّد الصغير التجاني، ثم ذهب روش إلى مصر حيث تمكن من تصديقها من قبل بعض علماء الأزهر، بعدها رحل إلى مكة متسترا دائما في الزي الإسلامي وهذا كله بدعم من رجالات بعض الطرق الصوفية الذين كانوا يؤمنون أن الاحتلال قضاء وقدر ولا قبل لهم بمقاومته، ومضمون الفتوى التي استصدرها علماء القيروان هو : « يجب على المسلمين مهادنة الكفار الذين غزوا بلاد، هم بالقوة

[1]-L, Roches : OP, CITP 442.

[2]-Ibid, P 442.

[3]-Ibid, P 443-444.

[4]- يوسف مناصرية، مرجع سابق، ص 41.

[5] L. Roches : OP. CIT. P 444.

وذلك إذا لم يؤذ هؤلاء نساءهم وأطفالهم وسمحوا لهم بممارسة دينهم وتركوا لهم حرية إيمانهم » [1]كما أنه يجوز للمسلم وقف الجهاد إذا كان يعرف أنه لا قبل له بالعدو، وأن الجهاد في هذه الحالة ضرب من الانتحار الذي لا يجوز الإقدام عليه، وأن الرضى بقدر الله وقضائه واجب .

وما أن أتم روش مهمته بنجاح حتى بعث بنصها إلى الجنرال بيجو في أواخر سنة 1841م فنشطت الإدارة الاستعمارية في توزيعها على مختلف القبائل، وانتشرت أخبارها عبر الوطن، وبدا للسطلة الاستعمارية أن الفتوى بدأت تعطي ثمارها، حيث كتب الجنرال لامورسير Lamoriciere من إقليم وهران يعلم الجنرال بيجو بتأثير الفتوى في نفوس المسلمين إلى درجة أنهم توقفوا عن القتال [2].

لم تجد اقتراحات مُحَمَّد الصغير التجاني تجاوبا كاملا رغم تظاهر الإدارة الفرنسية بتقبلها ورغم ما قدمه من خدمات سواء مباشرة أو غير مباشرة منذ تعيين الجنرال بيجو، هذا الحاكم العام الذي دشن سياسة جديدة تلغي فكرة الاحتلال المحدود، كما أن الجنرال بيجو صرح منذ وصوله إلى الجزائر على أن أراءه عن الشؤون الجزائرية قد تغيرت ونادى بتوسيع الاحتلال، بل صرح أن كل قوة تعترض ذلك يجب سحقها. [3]

أما عن المناطق الصحراوية الآهلة بالسكان والتي يعتبرها التجاني مناطق نفوذ، كان موقف الجنرال صريحا منذ 1844م حين قال: « فضلا عن ما تقدم لنا من ثروات، فإن المناطق الآهلة في الصحراء هي ضرورية لسياستنا وتجارتنا، كما يجب أن نسود في كل مكان ساد فيه عبد القادر، وسيطرتنا على هذه المناطق تفتح لنا آفاق واسعة لازدهار تجارتنا وربطها بإفريقيا الداخلية، ونعمل على حرمان عبد القادر من مصادره في هذه الأماكن. [4]

[1]-يوسف مناصرية ، مرجع سابق، ص 41.

[2]- المرجع نفسه ، ص 42

[3]- تشرشل، مصدر سابق ، ص 191.

[4]-E Mangin , OP.CIT. P 87.

رابعا: محاولات الأمير عبد القادر الأخيرة لضم المنطقة:

1/ تعيين قدور بن عبد الباقي على الأغواط: ما أن انشغل الأمير عبد القادر باستئناف المقاومة ضد الفرنسيين في نوفمبر 1839 حتى لحق التيجاني بالأغواط و تحالف مع أحمد بن سالم و بدأ في تحطيم نفوذ الحاج العربي الذي لم يصمد أمام الدسائس و المكائد [1] ، ووصف مونجان تسيير الحاج العربي خليفة الأمير بالعدائي ضد التيجاني وأحمد بن سالم الذي عاد إلى الأغواط،[2] مما جعل الخليفة الحاج العربي يضطر إلى مغادرة الأغواط على رأس 200 من رجاله، و اتخذ قصر العسافية مركزا له، ومن هناك أخبر الأمير و طلب النجدة، إلا أن الأمير أقاله و عين مكانه خليفة جديدا يدعى قدور بن عبد الباقي وهو من أولاد خليف من نواحي تاقدامت[3] و لربما اختاره الأمير من خارج المنطقة ليكون أكثر حيادا مما يؤهله لإيجاد نوع من الوفاق بين الأطراف التقليدية المتصارعة، بعد أن أدرك الأمير أن الزعامات المحلية كانت سببا في ما وقع بالمنطقة. ذلك أن الأمير توسم فيه قوة الشخصية و ذلك سنة 1839 .[4]

وكان بن عبد الباقي قد خيم في تاجموت ، وبذلك ابتعد عن مركز أحمد بن سالم، وأجبر التيجاني على اللجوء إلى ميزاب ، وقد واجه مشاكل كثيرة و لم يلق التأييد من سكان الأغواط، حيث دخلها على رأس (700) جندي نظامي وقطعة مدفعية لكن المدينة رفضت استقباله فاستولى على باب المدينة، وتمكن من إدخال قواته التي وزعها على مختلف الأحياء، و قد وصلته أوامر الأمير بإعدام جميع أعيان الأغواط أو يبعث بهم إلى عاصمة الأمير تاقدامت للاقتصاص منهم بما فيهم أحمد بن سالم، ثم يحطم المدينة و أجنتها و يستقر بتاجموت [5]و قد عزم قدور ابن عبد الباقي على تنفيذ هذه الأوامر بالرغم من نصائح مساعديه الأغا جديد بن يوسف من أولاد الشايب و الخروبي من أولاد خليف بعدم تنفيذها نظرا للنتائج الوخيمة التي قد تترتب عنها و هو ما حصل بالفعل ، فقد استدعى أحمد ابن سالم و يحي ابن معمر وعشرة شخصيات أخرى من أعيان الأغواط تحت حجج مختلفة حتى لا

---

[1]- E Mangin , OP.CIT. P 82. .98إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص

2 -ibid, p 81.

[3]-Ibid, p 82,

[4]- سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، ص205. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص99.

[5]-E Mangin , OP.CIT. p 82.

يشعروا بما كان يضمره لهم، حيث استدعاهم بحجة الاستشارة و النظر في شؤون السكان و تحديد الضريبة، و لما حضروا بين يديه ألقى عليهم القبض، و كبلهم بالحديد بعد أن اتهمهم بالعمل على تأليب السكان ضد الأمير وقرر إرسالهم في الحال مقيدين إلى تاقدامت [1].

أنتج هذا الفعل هياجا شعبيا اكتسح جنود بن عبد الباقي وشتتهم، فما كان من الخليفة قدور بن عبد الباقي إلا أن يطلق سراح مساجينه لعله يخفف من غضب السكان و لم يستطع أن ينجو بنفسه رفقة بعض الجنود إلا بعد تدخل مساعديه الآغا جديد بن يوسف و الآغا الخروبي ، وصادر السكان مدفع الأمير عبد القادر وكل محتويات معسكر، و استقر بنعبد الباقي في سيدي بوزيد بجبل عمور، ومن هناك طلب المدد من الأمير عبد القادر قصد استرجاع الأغواط إلا أن مسعاه باء بالفشل.[2]

2/ تعيين الحاج العربي مجددا على الأغواط ومقتله: ونظرا لأن الأمير كان منشغلا بالحرب ضد الفرنسيين لم يتمكن من نصرة خليفته عبد الباقي و أسند الخلافة إلى الحاج العربي مرة أخرى بحكم نفوذه في الجنوب،[3] وأرسل له في سيدي بوزيد (300) رجل وبعض الفرسان والمعدات، وجمع الخليفة أنصاره و بقايا جيش الخليفة السابق واتخذ قصر تاجموت مركزا له، لاسيما وأن هذا قصر محصن بالأسوار و انطلاقا من هذا القصر قرر شن حملات على خصومه[4].

وفي 16 ماي 1843 هاجم الدوق دومال (Duc d'Aumale) عاصمة الأمير المتنقلة الزمالة (طاقين) واستولى على ما فيها من سلاح وأموال وأسر (3000) شخص مما أثر سلبا على خلفائه في مختلف الأغاليك والمناطق ومنهم الحاج العربي، وفي إطار مقاومة نفوذ الأمير، بايع شيوخ الأغواط الغرابة مُحَّد الصغير التجاني أميرا عليهم، وحرضوا القبائل الموالية لمجابهة الخليفة الحاج العربي، وقد وجد مُحَّد الصغير في هذه الظروف فرصة لاسترجاع نفوذه الضائع، حيث خاض عدة معارك ضد خليفة الأمير، لاسيما لما حاول هذا الأخير الاستيلاء على عين ماضي نكاية في صاحبها. [5]

---

[1]-Arnaud , OP.CIT, p 450.

[2]- إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، د د ن، الجزائر، 1999، ص121.

[3]- المرجع نفسه، ص100.

[4] -E. Mangin , OP.CIT ,p 83.

[5]- Arnaud , OP.CIT, p 450.

أ) **معركة عين ماضي:** رأى الحاج العربي أن السبب الرئيسي لهذا التمرد، هو مُحَمَّد الصغير التجاني، فعزم على الانتقام منه بالاستيلاء على قصر عين ماضي المهدم الأسوار، بعد أن أدرك صعوبة استرجاع الأغواط، وافتكاكها من يد أحمد بن سالم، فهاجم عين ماضي التي تبعد عن قصر تاجموت بحوالي خمسة وعشرين (كلم)، إلا أن مُحَمَّد الصغير التجاني و أحمد بن سالم تصديا له، حيث دارت معركة حامية الوطيس دامت يومين كاملين مكنت مُحَمَّد الصغير من استرجاع قصر عين ماضي، بعد أن خسر اثنين وعشرين رجلا وعددا من الجرحى، في حين فقد الحاج العربي 16 قتيلا و عددا هاما من الجرحى، في أواخر سنة 1839م، وعلى إثر هزيمته انسحب الخليفة إلى قصر تاجموت، حيث بقي متحصنا إلى أن تجدد القتال مع مطلع 1840م. [1]

ب) **معركة تاجموت:** بعد أن تأكد التجاني و بن سالم من أن الأمير قد انشغل بالجهاد ضد فرنسا، قاما بمهاجمة خليفته الحاج العربي بقصر تاجموت، و كادا يفشلان لولا تواطؤ أتباع التجاني من داخل القصر، حيث استطاعوا كسب عدد كبير، و نسقوا الجهود مع زعيمهم الروحي فبدأت المعركة من داخل القصر، مما مكن التجاني و قواته من اقتحام القصر و النيل من جند الحاج العربي، الذي لاذ بالفرار رفقة بعض جنده، مخلفا وراءه خمسين قتيلا و عددا من الجرحى و الأسرى. [2]

ج) **معركة قصر العسافية:** بعد الهزيمة التي تلقاها الخليفة الحاج العربي في قصر تاجموت، فر مع عدد من جنده إلى العسافية، حيث أعاد تنظيم صفوف جيشه، وحتى لا يقع له تواطؤ من الداخل انتقم مسبقا من أتباع التجاني و أحمد بن سالم المقيمين بالقصر حيث خرب دورهم وشردهم.

وفي الوقت الذي كان الحاج العربي ينتظر فيه بعض الامدادات من الأمير عبد القادر نجد هذا الأخير و بحكم اشتداد المقاومة و تراجعه في عدة مناطق كالمدية ومعسكر وسعيدة اضطر إلى سحب ما تبقى من جنده النظاميين الموجودين لدى خليفته الحاج العربي مما صعب من موقف هذا الأخير، في حين اغتنم الفرصة خصمه أحمد بن سالم و شن هجوما خاطفاً على قصر العسافية، استطاع بسهولة تفريق أنصار الخليفة بعد أن ألحق بهم الهزيمة، وإن لم يظفر بالخليفة، الذي فر إلى قصر الحيران المحصن هو الآخر بأسوار، و هناك جمع اتباعه و أنصاره من جديد. [3]

---

[1]- Arnaud , OP.CIT, p 450.

[2] -E. Mangin , OP.CIT, p 83.

3- Ibid, p 82-83.

د) معركة قصر الحيران: لقد صمم أحمد بن سالم على التخلص نهائيا من خصمه التقليدي ليستعيد زعامته على الأغواط وقصورها، كان همه الوحيد تولي الخلافة على المنطقة، تحت الغطاء الروحي للتيجانية، و لتحقيق ذلك هاجم بقواته قصر الحيران، وشدد الحصار على الحاج العربي إلى أن تمكن من الولوج داخل القصر، حيث جرت معركة دامت ثلاثة أيام، مكنت أحمد بن سالم من قتل الحاج العربي وبذلك وضع حدا لخصمه من جهة وقضى على نفوذ الأمير في المنطقة من جهة ثانية،[1] وتمكن بن سالم من العودة لحكم الأغواط، بينما كان الحاج العربي هو الخليفة الرابع الذي يفقده الأمير في نفس السنة بعد كل من ابن علال والبركاني والحاج السعدي.[2]

1- E. Mangin , OP.CIT, p 84-85 . إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص100 .

[2]- فون مالتسان، مصدر سابق، ص210. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، ص280. بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص81.

المبحث الثاني: منطقة الأغواط بين الاحتلال والمقاومة 1844-1852:

تعرف منطقة الأغواط بأنها بوابة للصحراء، و لا تخفى هذه الأهمية على الجيش الفرنسي الغازي الذي كانت نيته منذ البداية بعد احتلال الجزائر السيطرة على جيرانها، و منها الانطلاق نحو إفريقيا لفرنستها و تمسيحها، خاصة المناطق الصحراوية التي لا تطل على البحر، هذه الصحراء الشاسعة المترامية الأطراف تنام على كنوز مختلفة من أراض زراعية خصبة وغابات النخيل والثروة الحيوانية والمياه الجوفية ومختلف الثروات الباطنية بالإضافة دورها التجاري ، فإذا تمكن الاحتلال من السيطرة على الصحراء جعل منها قاعدة تجمع فيها المواد وتمر معها قوافل الصادرات الإفريقية نحو أوربا.

أولا: الاهتمام الفرنسي بمنطقة الأغواط وأسبابه: رغم أن طبيعة الصحراء المقفرة و البيئة الطاردة الموحشة، إلا أن الاستعمار الفرنسي لم يهملها في استراتيجيته العسكرية، حيث كان يصبو منذ البداية إلى التوغل في أعماق البلاد، فلم تكد تمض أربعة عشر سنة على سقوط مدينة الجزائر حتى احتلت قوات الاستعمار بسكرة سنة 1844 ثم توسعت نحو المناطق الداخلية مثل الأغواط و تقرت و الوادي، فالأغواط كانت ولا زالت تمثل منطقة عبور بين المناطق التلية الشمالية و المناطق الصحراوية الجنوبية، و لذلك استماتت القوات الفرنسية و دفعت الكثير من جنودها للسيطرة على المنطقة.[1]

تعتبر الأغواط بحكم موقعها الجغرافي الرابط بين التل والصحراء منطقة حيوية ومركز تبادل تجاري رئيس وعامر يستقطب الكثير من القوافل التلية والصحراوية للتبادل فيما بينها، وكان هذا الموقع سبب لفت الأنظار إليها كمنطقة حيوية في استراتيجيات التوغل داخل الصحراء،[2] فقد كانت تُوصف بأنها "جزائر الجنوب" (Alger de sud) أو رأس الصحراء. وكان الأمير عبد القادر قد حاول بعد معاهدة التافنة جعل الأغواط وخاصة عين ماضي مجالا حيويا ونقطةً دفاعية ومستودعا لثرواته وعتاده يمكنه اللجوء إليها في حالة التضييق عليه في التل، وهذا ما أثار حفيظة السلطات الاستعمارية الفرنسية التي بدأت تخطط لبسط نفوذها على منطقة الأغواط.

[1] – عميراوي حميدة، مرجع سابق، ص17 وما بعدها.

[2] -Paul solleilet, **Note sur un projet pour l'établissement de docks a laghouat**, Paris,avril 1872, pp 8-11.

وتكاد تجمع الكتابات التاريخية على كون فرنسا سباقة في الاهتمام بالصحراء، عن طريق سفرائها وقناصلها بإفريقيا وسعت إلى الحصول على معلومات وافية عن الإقليم، وتنافست مع بريطانيا في هذا الموضوع، وقد استطاع نائب القنصل الفرنسي في طرابلس "فرومونت دي لاقارد" Froment de La Garde إنجاز مؤلف ضخم حول الصحراء عنوانه "مذكرات حول الطرق التجارية العربية والسودانية عبر الصحراء"، طبع سنة 1802 في باريس.

وبعد وقوع الاحتلال ألفت فرنسا لجنة دراسة تاريخ وجغرافية الجزائر سنة 1837 كان من بين أعضائها "كاريت" Carettes ، الذي قدم مؤلفا بعنوان بحوث حول الجغرافيا والتجارة في إفريقيا الوسطى،[1] تلاه الضابط دوماس بكتابه الصحراء الجزائرية الذي ضمنه ملاحظات قيمة عن الصحراء من الناحية المادية والبشرية، تهدف تحقيق السيطرة عليها، بشق الطرقات وفرض الأمن وحفر الآبار، وكان الهدف حماية الاحتلال الفرنسي واستغلال موارد الصحراء[2].

وكان الواقع السياسي بعد احتلال الجزائر في المناطق الداخلية سيئا، يتميز بالتشتت وتعدد الكيانات السياسية والقبلية وتصارعها من أجل مناطق النفوذ، وقد كان الجنوب القسنطيني حتى بسكرة والزاب الشمالي بيد شيوخ العرب من بن قانة، وكانت منطقة توقرت تحت حكم أسرة بني جلاب المحلية وبقيت منطقة غرب الزيبان حتى جبال العمور تحت حكم قبائل أولاد نايل وغيرها، وأم جنوبا فقد كانت منطقة ميزاب تمثل كيانا مستقلا فكريا وبشريا عمن حوله من الجهات.[3]

وبعد سقوط قسنطينة توالى سقوط مدن الشرق والجنوب مثل باتنة وبسكرة وواحة الزعاطشة سنة 1849، وكل ذلك يمثل بداية تنفيذ المخطط الفرنسي للاستيلاء على شمال إفريقيا لتحقيق الحلم الفرنسي[4].

---

[1]- مياسي إبراهيم، **مقاربات**، مرجع سابق، ص33-34.

[2]- عميراوي حميدة، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)**، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة الجزائر، 2004، ص33. إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص16-18. عن مشاريع دوماس وكاريت أنظر: . بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص124-129.

[3]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص27 وما بعدها.

[4]- عميراوي حميدة، مرجع سابق، ص27.

وقد حاولت فرنسا فرض الأمن والاستقرار الذي هي بحاجة إليه، بإعادة الأمور إلى طبيعتها خاصة تنقل القوافل التجارية، وشاركت فرنسا نفسها في قافلتين منها انطلقتا بعد احتلال بسكرة سنة 1844، اتجهت إحداها إلى توقرت مرورا ببسكرة، وكان من ضمنها التاجر "غارسيان" الذي ألف كتابا بعنوان "تجارة إفريقيا مع السودان ومكة" وطبع في باريس سنة 1849[1]،وقد ألف الضابط دوماس بتشجيع من الماريشال بيجو سنة 1845 كتاب الصحراء الجزائرية وهو دراسة إحصائية جغرافية وتاريخية للصحراء.[2]

بدأت الحكومة الفرنسية ترسل بعثات استطلاعية عسكرية في ثوب مدني كي لا يشعر السكان بأنها حملات عسكرية جاءت لاحتلال بلادهم، وكان الاحتلال في صراع مع الزمن للوصول إلى الجنوب والسيطرة على بعض العروش والبلدات لمنع السكان من تنظيم صفوفهم، بعد إخماد ثورة الزعاطشة واحتلال منطقة بسكرة التي تمثل البوابة الشرقية الجنوبية للصحراء، سارع الاحتلال إلى فتح طريق نحو مدينة الأغواط بوابة الصحراء من حيث الأهمية، هذه الواحة الجميلة التي تنتشر على ضفة وادي مزي الذي تتدفق مياهه نحو الشرق.[3]

وكانت الأغواط في الحسابات السياسية الفرنسية "تُكَوِّن مقدمة السيطرة على جنوب الجزائر، وتَّحول دون التعرض للخطر إذا ابتعدت القوات الفرنسية في العمق، وتُمَكِّن من مراقبة (الأعداء) والتجارة بين التل والجنوب، وتأمين التجارة الفرنسية في الصحراء"، بالإضافة قطع الدعم عن الأمير عبد القادر بتخويف السكان الداعمين له، ومن هنا تظهر الأهمية الاستراتيجية للأغواط في نجاح أو فشل مشروع التوسع الاستعماري الفرنسي، وقد استغلت سلطات الاحتلال فرصة النزاع الداخلي بين القبائل منذ سنة 1844 لتجعل منه مطية لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية المتمثلة في ضرب الوحدة الوطنية واحتواء حركة المقاومة التي قادها عدة زعماء في فترة متزامنة حاولوا من خلالها ربط الأغواط بحركة الجهاد الوطني.[4]

[1]– عميراوي حميدة، مرجع سابق، ص 30-31.

[2]- المرجع نفسه، ص32.

[3]- الشيخ لكحل، مرجع سابق، ص 81-82.

[4]- بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص81.

والملاحظ أنه كلما تقدم الاحتلال نحو الصحراء هيأ مبنى عسكريا وسماه كما يشاء باسم فندق أو حامية أو برج (Caravanserail) أو دار وتكون هذه المحطات غير بعيدة بعضها عن بعض، فقد تكون مسيرة يوم بين القلاع مثلا، كما هو الشأن مثلا بين مناطق: وسارة، حاسي بحبح، الجلفة، عين الابل، سيدي مخلوف، متليلي ثم الأغواط وبينهما 20كلم،[1] وكثيرا ما تبنى هذه الأبراج بجوار الزوايا والقبب والمساجد وأضرحة الأولياء والأشراف كزاوية الشيخ بوعمامة وضريح سيدي الحاج عيسى، وضريح سيدي مخلوف أين تم بناء برج كبير في سنة 1850م، حسب رسالة فرومنتان المؤرخة في 02 جوان 1853م، والمدونة بكتابه. [2]

إن موقع مدينة الأغواط الاستراتيجي والحساس، كبوابة للصحراء بأسوارها العالية وطبيعتها المتنوعة من البرودة الشديدة والثلوج والأمطار في الجهة الشمالية، بالإضافة إلى الجبال والأودية الكبيرة وشدة الرياح القادمة من الغرب والزوابع الرملية، وتضاريسها الصحراوية والحرارة الشديدة؛ فضلا عن عروشها الكثيرة المتمركزة على أطرافها بالقرى والمداشر، ناهيك عن البدو الرحل الذين يقضون فصول السنة في التنقل من أعماق الصحراء إلى أطراف التلال، هذه العروش كانت متواصلة فيما بينها في النسب، وبسبب التردد على الأسواق والمبادلات التجارية، وهناك أخطار أخرى متمثلة في الذهنيات المتشددة وفي الثائرين ضد أي تواجد غريب عن المنطقة على أراضيهم.[3]

و قد شرح الجنرال ماري مونج الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية للسيطرة على الأغواط بأنها تحد من نفوذ الأمير عبد القادر في المنطقة وتعوض السكان عن (فظاعته)، وتنظم حركة تجارة الحبوب بين سكان التل والصحراء، وتفتح الطريق نحو سوق مدينة الجزائر.[4]

كما تعتبر الأغواط على اتصال مباشر بالبحر عن طريق مدينة الجزائر، ومع توات عن طريق عين صالح، وهو اتصال طبيعي وسهل عامر في غالب الأحيان يمكن عبوره بالجمال، كما أن الأغواط تمثل عنصرا للأمن لا يوجد مثله في المستعمرة خاصة مع وجود زوايا صديقة للأوربيين ومخلصة للفرنسيين تسيطر على إفريقيا الوسطى مما يساعد على قيام علاقات تجارية واسعة بين الفرنسيين

[1]- ترومللي، مصدر سابق، ص 100-101.

[2] - Eugene fromentin, op.cit, p73.

[3]- عميراوي حميدة، مرجع سابق، ص 20

[4]- بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص 81. إبراهيم مياسي، **الاحتلال**...، مرجع سابق، ص101.

والسكان المستقلين في الجنوب،[1] حيث كانت بعض قبائل الجنوب تعيش باستقلالية ولم تنضم لمقاومة الأمير عبد القادر وتتحكم في تجارة القوافل تتوافد على أسواق الأغواط وقصورها.

كما رأت سلطات الاحتلال أن السيطرة على منطقة الأغواط تمكنها من جلب التجارة الداخلية نحو مدينة الجزائر والتي كانت تتجه نحو تونس والمغرب، بالإضافة إلى تحقيق المصالح التالية:

- وضع مركز متقدم للعمليات عسكرية (إداريا سياسيا لوجيستيكيا)، وتسهيل انتقال الجيش لقمع الثورات المختلفة في وقتها، وتجنب تضييع الوقت والوقوع في متاهات الصحراء.
- الغزو والتوسع واستكشاف منطقة "بحر الرمال" الممتد من المحيط الاطلنطي إلى السودان ورصد إمكانيتها المادية المتنوعة، النباتية والحيوانية.
- محاولة وضع خريطة للطرق والمواصلات لتسهيل الاتصال وانتقال السلع والبضائع التجارية وانتقال المغامرين السياحيين، مع قطع كل اتصال بين الشرق والغرب الجزائريين دون رعاية سلطات الاحتلال
- تأمين الجهات الجنوبية من المناطق التلية التي سيطرت عليه سلطات الاحتلال،[2] فهي نقطة استراتيجية متساوية البعد بين الجزائر و القليعة و ورقلة و قريبة من البيض و أولاد سيدي الشيخ و تسمح بأخذ جبال العمور من الخلف و هي أقرب نقطة استراتيجية صحراوية إلى مدينة الجزائر وهي نقطة مراقبة تجارة الميزاب والقبائل الصحراوية نحو التل و نقطة ارتكاز و حماية القوافل ، كما أن منتجات الأغواط الفلاحية و تجارتها تسمح لفرنسا أن تراقب كل حركات العرب الرحل و إرغام السكان على الاتصال بالنظام الاستعماري.[3]
- احتلال مدينة الأغواط وأحوازها اتخذ كمنطلق لاحتلال جهات الصحراء الوسطى كفجيج وتيدكيلت وعين صالح، ومن ثمة بسط النفوذ الاستعماري على الصحراء الكبرى الافريقية، وهذا ما تحقق نهاية القرن 19 ومطلع القرن 20م.[4]

---

[1] -Paul solleilet, op. cit , pp 8-11.

[2]- يقول ترومللي: "لنكون مالكين مطمئنين في التل يجب أن نكون سادة الصحراء ". أنظر: ترومللي ، مصدر سابق، ص561.

[3] -E. MANGIN , OP.CIT, p 95. Odette petit, op cit, p 43

[4]- مُحَمَّد برشان، **الاستعمار والمجتمع القبلي في الصحراء الجزائرية**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع11، ديسمبر 2011، ص 158. جمال خرشي، **الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830-1962**، تر: عبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر ، الجزائر، ص 193.

وقد وربطت الاستراتيجية الفرنسية نجاح سياستها التجارية مع الجنوب الجزائري خاصة إقليم توات بضرورة إقامة مخازن في الأغواط تمثل مركز عبور القوافل التجارية بين الشمال والجنوب بما في ذلك السودان وفرنسا، وحددت أهمية ذلك في أنها تسهل الحصول على تجارة طرابلس وغدامس وتيميمون نحو السوق الجزائرية والتي تفوق ثلاثة ملايين ونصف فرنك خاصة وأن إقامة تلك المخازن لا تكلف شيئا إذ يكفي تحويل بيتين عربيين لحظائر يُخصص أحدهما لبيع المنتوجات السودانية والآخر للسلع الأوربية مع تعيين مسير مسؤول ومفتش لمراقبة مليات المخزن ومقيمين للمنتوجات.[1]

وقد كانت الأغواط والصحراء عموما ضمن النقاشات التي دارت بين البرلمانيين والعسكريين حول توسيع وتمديد الاستعمار من عدمه، حيث برزت عدة أطروحات تتعلق بمصير الصحراء بين الاحتلال الكامل والشامل أو الاخضاع عن طريق واسطة من القيادات المحلية أو الاكتفاء باحتلال التل وإقامة مراكز دفاعية عل الحدود بين التل والصحراء، وقد انتصر في النهاية أصحاب نظرية تمديد وتوسيع الاحتلال ليشمل الصحراء.[2]

ثانيا: حملة ماري مونج 1844 أسبابها ونتائجها: تعتبر حملة ماري مونج سنة 1844 على الأغواط أول حملة فرنسية جادة لاحتلال وضم منطقة الأغواط إلى سلطتها، وقد جاءت هذه الحملة وسط ظروف أملتها الصراعات الداخلية في المنطقة، خصوصا الصراع بين أنصار الأمير عبد القادر وأنصار أحمد بن سالم، والذي تعتبر دعوته للفرنسيين للحلول بالأغواط السبب المباشر لهذه الحملة .

1/ أحمد بن سالم وموالاته للفرنسيين: لقد كان للأحداث التي شهدتها منطقة الأغواط من صراعات قبلية وطرقية، أثرها المباشر على احتلال الأغواط واتخاذها قاعدة استراتيجية للتوسع الفرنسي في الجنوب.

فبعد أن أهدرت الإمكانات المحلية بفعل الصراع الأمير عبد القادر وأنصاره من جهة وأحمد بن سالم ومُحَّد الصغير التيجاني وأنصارهما من جهة أخرى الذي نشب ما بين (1838 - 1842)، والذي انتهى بتفوق حزب أحمد بن سالم وسيطرته النهائية على الأغواط بطرد قدور بن عبد الباقي وقتل الحاج العربي، والذي لم تتوقف خطورته على هدر الإمكانات البشرية والمادية فحسب، بل جعل

[1]- يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا**...، مرجع سابق، ص40.

[2]- بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص70-73. جمال خرشي، مرجع سابق، ص60-64. رضوان شافو، **أساليب الإدارة الاستعمارية في إخضاع مناطق الجنوب الجزائري**، مجلة عصور الجديدة، ع11-12، 2013-2014، ص283.

المنطقة مهيئة لما يعرف بالقابلية للاستعمار، وإن كان "سانت أرنو" يحمل الأمير وحده هذه النتائج وهو أمر طبيعي إن كان هذا الحكم صادرا عن أمثال أرنو : حيث انتهى إلى حد أن ما تعرضت له المنطقة من حصار ضد عين ماضي، كان سببا في تمرد القبائل وجعلها تعترف بسيطرتنا بسهولة".[1]

وقد بدا الجو خاليا لأحمد ابن سالم ليكون السيد المطلق على الأغواط ، لكنه كان خائفا من انتقام الأمير عبد القادر ، وفي ظل هذه الظروف بلغ صدى الانتصارات التي حققها الجيش الفرنسي على الأمير في تخوم الصحراء، مما جعله يقتنع بأنه اذا أراد أن يحمي نفسه من هجمات من طرف الأمير مستقبلا، وتبقيه على رأس السلطة، عليه أن يلجأ الى فرنسا ويحتمي بها. [2]

وإذا كان مُحَمَّد الصغير التجاني قد تخلى عن الدور السياسي والعسكري منذ استرجاعه قصور عين ماضي وتاجموت والعسافية وتفرغه للحياة الروحية إلى حد ما ، فإن أحمد بن سالم انفرد بالزعامة السياسية والعسكرية في المنطقة، ولم يتردد على طلب الحماية الفرنسية، وإن لم تكن المرة الأولى، حيث سبق له أن عرض خدماته على الاستعمار الفرنسي ، ففي رسالته إلى الوالي العام بتاريخ مارس 1834 أوضح أحمد بن سالم صراحة رغبته بالعمل مع الفرنسيين ضد الأمير عبد القادر: "..إن أردت ان يكون الأمر كما تبع (تبغي) ويتم الأمر على ما تحب وترضى أجعل قصور الصحراء على أيدنا (أيدينا) وكذلك أعرابها ، وأمر الحاج عبد القادر لا نحب ولا نحب من يحب ونفتيه (نفنيه أو ننفيه) من الوطن الذي بنواحنا (بنواحينا). [3]

وهكذا فقد أبدى استعداده للتعامل و التحالف مع الفرنسيين فاستجابت له السلطات الفرنسية لكونها تبحث عن مساعدة القوى المحلية هذه الأخيرة التي سهلت من مهمة التوغل الفرنسي في المنطقة ،[4] وتجسد ذلك في اغتنامه فرصة تواجد الجنرال ماري مونج قائد منطقة المدية العسكرية رفقة قوة مؤلفة من 1500 في قصر زكار في جبل الصحاري بجولة استكشافية خلال شهر مارس

---

[1]-Arnaud : OP.CIT.T8. P452 .100 إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص100.

[2]- فون مالتسان، مصدر سابق، ص201. بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص81.سعد الله، **الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ج1، ص279-280.

[3]- جمال قنان ، مرجع سابق، ص 92.

[4] -Général Du Barail, **Mes Souvenirs** , **T 2**, **1851- 1864** , Librairie plon, 4 éme éd. Paris , 1895 p. 27.

1844 ليبعث له بخيول الطاعة مع شقيقه يحي بن معمر طالبا منه الاعتراف به كخليفة على الأغواط وقصورها الخمس و على كل الأرباع و الحرازلية و بني ميزاب لحكمها باسم الإدارة الفرنسية[1]

أرسل الجنرال مونج تقريرا إلى الماريشال بوجو يتضمن هذا الطلب فكتب " بوجو " بدوره إلى وزير الحرب بفرنسا " الماريشال سولت " ما يلي " :إن المناطق الأهلة في الصحراء هي ضرورة لسياستنا و تجارتنا، كما يجب أن نسود في كل مكان ساد فيه عبد القادر ...و بسيطرتنا على هذه المناطق تنفتح لنا أفاق جديدة واسعة لازدهار تجارتنا و ربطها بإفريقيا الداخلية، و نعمل على حرمان عبد القادر من مصادره في هذه الأماكن." [2]

2/ سير الحملة: وجد الفرنسيون في ترحيب أحمد بن سالم عاملا مساعدا لمد نفوذهم الاستعماري انطلاقا من الأغواط التي تمثل رأس الجنوب الجزائري ومقدمة التوسع إليه من التل، ورأوا في ذلك مصلحة كبيرة لفرنسا تمكنهم من القضاء على حالة الفوضى الحاصلة في المنطقة في إشارة إلى الصراع بين أهل الأغواط على السلطة منذ 1822، وقد شرح الجنرال ماري مونج الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية للسيطرة على الأغواط كما ذكرنا سالفا.

وقد كتب سانت أرنو (Saint Arnaud) في 23 أفريل 1844 بعد تعيينه على رأس المشاة في قوات الجنرال ماري مونج المتجهة إلى الأغواط "أن الجيش الفرنسي سيقوم بأطول وربما أهم حملة عسكرية لجيش فرنسي على الإطلاق[3]، وتنفيذا لقانون البرلمان الفرنسي 1844 القاضي بمد منطقة الاحتلال نحو الجنوب، وتسهلا لعملية التوغل للسيطرة على التجارة الصحراوية التي تعود بالفائدة على الاقتصاد الفرنسي وذلك كونها مريحة وثرية والعناصر المكونة لها من ريش النعام والعاج والتمر خفيفة الوزن عظيمة القيمة، فهي سلع تدّر ربحا هائلا 300% بالنسبة للعاج و100% بالنسبة للتمر[4]، وافقت الحكومة على اتخاذ كل الإجراءات اللازمة، و أعطيت الأوامر لتحضير بعثة عسكرية استكشافية إلى الأغواط أوكلت قيادتها إلى الجنرال ماري مونج Marey Monge يوم 12 أبريل

---

[1]-E. MANGIN ,OP.CIT, p 86. إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص101.

[2] -E. MANGIN, OP.CIT,, p87.

[3]- سانت أرنو، مصدر سابق، ص168-169.

[4]-جمال قنان، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، الرويبة، 1994، ص 140،141.

1844م، و في الفاتح من ماي غادرت البعثة المدية، التي كانت تتكون ، ضمت ألفا وسبعمائة (1700) جندي ، من بينهم 140 من قناصة إفريقيا و400 فارس من القوم، و 1400 جمل، ومؤونة غذائية تكفي 21 يوما و 72000 خرطوش [1] و مائة من الأحصنة و البغال و ألف و أربع مائة جمل،[2] وقد اتجهت الحملة من المدية إلى طاقين التي وصلتها في 14 ماي، وبعد ثلاثة أيام قضتها في إتمام التنظيم والتحضير غادرت طاقين في اتجاه تاجموت التي وصلتها بوم 21 ماي حيث استقبلها أحمد بن سالم محاطا بأعيان سكان الأغواط،[3] وغاب عن هذا الاستقبال الشيخ التيجاني الذي أرسل ولاءه للجنرال، و أدركت السلطات الفرنسية قيمة هذا الشيخ المعنوية حيث كان له تأثير و نفوذ كبيرين على الأهالي، لذلك عاملته معاملة حسنة قصد إخضاعه نهائيا لسلطتها و يصبح صديقا للفرنسيين و تزيد الهوة بينه وبين الأمير عبد القادر عدو الفرنسيين، فبعث الجنرال مونج وفدا بقيادة العقيد سانت أرنوSaint Arnaud للاطلاع على المكان و أخذ ما فرض من الضرائب، وعن هذه المهمة يقول أرنو « انطلقنا على الساعة الثامنة صباحا رفقة عشرة ضباط ومائة وخمسة عشر رجلا يوفرون لنا الحماية، دخلنا عين ماضي، وشرحت لأعيان القصر أننا جئنا كأصدقاء وأننا نوفر لهم الحماية وأن الفرنسيين أصبحوا أسيادا ولا أحد يمنعهم من دخول أي مكان يرغبون دخوله.. دخلت عين ماضي مع عشرة ضباط وستة قناصة وبعض شيوخ القوم وتجولت في كل مكان ..أما بالنسبة للتجاني فقد بقي في زاويته لا يريد مقابلة أحد من المسيحيين، إلا بعد تدخل من أحمد بن سالم، قبل مقابلة النقيب دوريو Durrieu المكلف بشؤون العرب حيث طمأنه هذا الأخير بأن نوايا فرنسا سلمية، فرضي بعد تردد ودفع الضريبة ... » [4].

[1]-E. Mangin ,OP. CIT. P 88. Chettih Mohammed ,op.cit, p60.

إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص102.

[2]-George Hirtz,OP.CIT, P.148.

5 -E. MANGIN ,OP.CIT, p 88-89.

[4]- أرنو، مصدر سابق، ص176-177.

ويعلق ترومللي على هذه الزيارة بقوله: « لقد نجح أرنو في التعامل مع عين ماضي وأعطي صورة حسنة على بلاده، فهي تعد غزوة حقيقية، جعلت التجاني يدفع الضريبة ... فمنذ ذلك الوقت أخذ التجاني يستقبل كل مرة القادة العسكريين بحفاوة كلما مروا على قصره ..» [1].

ويقدر ترومللي الضريبة المدفوعة من قبل التجاني بألفين بيجو، هذا المبلغ الذي أعاده الجنرال للتيجاني في اليوم الموالي تعبيرا له عن الاحترام والصداقة، وبذلك يكون ماري قد دشن سياسة الاحتواء التي تقوم في البداية على تحييد الزاوية واكتساب صداقتها لتصل في آخر المطاف إلى توظيفها في خدمة العدو كلما وجدت في شيوخها استجابة، وهي السياسة التي طبقها الفرنسيون مع الزاوية التيجانية في عين ماضي، فبعد أن تقرر اعتبار عين ماضي مكانا مقدسا لا تجوبه العساكر الفرنسية أعفيت الزاوية من دفع الضرائب.[2]

وفي يوم 23ماي تحرك الطابور ليخيم في الحويطة و منها إلى الأغواط، ليقيم فيه يومين 26و27ماي، و في 28 ذهب الطابور ليخيم بقصر الحيران، و يوم 29 ببودرين، و كان يصطحبهم في هذه الرحلة أحمد بن سالم الذي عينته فرنسا خليفة على الأغواط وقصورها الخمسة وقبائل الأرباع والحرازلية في حفل أقيم خصيصا لهذا الغرض، حيث تم الاعتراف بأحمد بن سالم كخليفة من الضباط وزعماء الأهالي، وأصبح أخوه يحي بن معمر أغا الأغواط، وصهره بن ناصر بن شهرة أغا الأرباع، وعُين على قصر الحيران وتاجموت حاكم والقصور تُسير بالجماعة،[3] حضر هذا الحفل الضباط الفرنسيون والشيوخ المحليون وقرى مرسوم التعيين بالفرنسية والعربية وأطلقت طلقة بالمدفعية رفع على إثرها العلم الفرنسي، وسلم الخليفة أحمد بن سالم راية الأمير عبد القادر التي انتزعها من الخليفة السابق الحاج العربي، إعلانا منه بخروج المنطقة من سلطة الأمير ودخولها تحت الحكم الفرنسي ، [4] لأنه يمثل الضمان الكامل للنفوذ الفرنسي في الأغواط باعتباره شخصية مرموقة و عدو للأمير عبد القادر، وكانت تسانده قوة عسكرية تقدر بألف و مائتين جندي و خمسمائة فارس و قطعة مدفعية، وبقيت قوات الجنرال ماري مونج في الأغواط حتى يوم 28 ماي أين ذهبت إلى قصر الحيران ثم بودرين

[1] – سعد الله، **الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ج1، ص280.

[2] – علالي، مرجع سابق، ص46.

[3] -E. MANGIN , OP.CIT.p, p 94. Chettih Mohammed , OP.CIT.p 61.

[4] Trumelet : OP.CIT. P 75..82 بينيامين كلود بوور، مرجع سابق، ص

(Boudrine) في 29 ماي بمرافقة أحمد بن سالم وحظيت بترحيب وخضوع السكان لها لتعود أدراجها إلى الأغواط في الفاتح من جوان.[1] ، وكان الخليفة يتقاضى حوالي 18 ألف فرنك وكل آغا معه 2500 فرنك، وقد أرسلت السلطة الاستعمارية محافظا حكوميا ليكون مستشار للشيخ أحمد بن سالم، غير أنه في الحقيقة كان يمثل دور الحاكم.[2]

ويعدد ماري مونج فوائد احتلال الأغواط بما يلي: إمكانية إخضاع كل الأوطان الواقعة في الجنوب أو الغرب سواء تلك المحافظة على استقلالها أو المعادلة لنا، و تحويل التجارة الداخلية إلى المغرب وتونس نحو الشمال وترهيب الأهالي الموالين للأمير، وحماية الجهة الغربية والجنوبية من البلاد وجعلها تحت سيطرة الفرنسيين، إلى جانب الاهتمام بالتجارة الداخلية والخارجية التي تتوجه إلى الجزائر والمغرب وتونس، ولذلك يجب أن تكون الأغواط أكثر تنظيما وأمنا وذلك عن طريق: جعلها مركزا سياسيا وعسكريا وتجاريا، وقطع أن يقطعوا الاتصالات بين المنافسين في الشرق والغرب الجزائري، و وضع قبيلة أولاد سيد الشيخ الأكثر عدوانية للفرنسيين تحت إدارة خليفة القطاع الوهراني[3]، بالإضافة إلى ذلك يرى الجنرال ماري مونج أن أحمد بن سالم أقوى قائد في الجنوب خاصة عندما يكون مؤيدا من فرنسا زيادة عن دعم التجاني له، الذي هو على علاقة حسنة معه باعتبار هذا الأخير هو أيضا يمقت الأمير ويؤيد بلا شك هذه الحرب ما لديه من تأثير روحي[4].

بات أحمد ابن سالم السيد المطلق على المنطقة تحت حماية فرنسا تسانده قوة عسكرية مقدرة ب 1200 جندي و 500 فارس و قطعة مدفعية واحدة و بدأت فرنسا فعليا في تطبيق هذا المشروع لكن الأوضاع الخارجية لم تسمح لها باستكماله و عطلته عدة سنوات ، و تمثلت تلك الأوضاع في النزاع الفرنسي المغربي و معركة " إيسلي " سنة 1844 و آثارها لذلك اكتفت فرنسا بدفع رواتب المجندين و خليفة الأغواط ابن سالم و مساعديه هذا الأخير الذي بقي معزولا عن فرنسا ابتداء من

---

[1] -E. MANGIN , OP.CIT.p 93-94.

[2] – سانت أرنو، مصدر سابق، ص 178-180.سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج1، ص281. فون مالتسان، مصدر سابق، ص210. علالي، مرجع سابق، ص47.

[3] - E Mangin : OP.CIT. P 95-98.

[4]– سعد الله، **الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ج1، ص208-281.. إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص103-104.

سنة 1846 بعدما كسب الأمير عبد القادر تأييد أولاد نايل بالجلفة عن طريق سي الشريف بالأحرش و بالرغم من ذلك فإن أحمد ابن سالم بقي مخلصا لفرنسا [1]، حيث يقول في رسالته: "كل السلاطين المسلمين الذين وُكلت أمرهم خذلوني وخرجوا عن طواعيتي فربما أجد لدى فرنسا حكم عادلا ومنصفا[2]، مما يبين لنا أن أحمد بن سالم كان همه الوحيد الزعامة، كما أن موقفه من فرنسا لا يخرج عن النظرة العامة للتجانية باعتباره مقدما لها، حيث لعبت الزاوية التيجانية في هذا الوقت دورا كبيرا لصالح الفرنسيين من خلال المساعدات التي قدمتها لهم ففي يوم 3 ماي 1847 و خلال وجود طابور الجنرال يوسف بالقرب من عين ماضي توجهت بعثة بقيادة " النقيب فراي "مع أحمد بن سالم خليفة الأغواط إلى عين ماضي ، و هدفت هذه الزيارة إلى طمأنة الشيخ التجاني عن نوايا الحملة ، و تقديم الهدايا باسم الماريشال بيجو ، يبدو قد حققت هذه الزيارة نتائج طيبة ، حيث لما اقترب الوفد من عين ماضي بعث التجاني بمن يستقبلهم ثم خرج بنفسه و أدخلهم إلى بيته حيث أكد لهم عن إخلاصه للسلطة الفرنسية كما لقي الضباط معاملة جيدة أثناء تواجدهم في القصر ، مما جعل الوفد يمدد اقامته يوم إضافي مكنتهم من أخذ فكرة عن القصر و مخططاته و تحصيناته ، و عند مغادرة الوفد حملهم الشيخ التجاني بعض الهدايا للحاكم العام الماريشال بيجو[3].

نستشف الأثر الايجابي للزيارة من خلال الأوامر التي أعطاها الدوق دومال للجنرال يوسف [4] بتاريخ 6 ماي 1846 م أثناء تواجد هذا الأخير في منطقة جبل عمور مقتفيا أثر الأمير، ومنتقما من الأهالي الذين آزروا الأمير، حيث أمره بأن لا يقترب من قصر عين ماضي، وأن لا يظهر ما من شأنه أن يمس سمعة وحرمة هذه البلدة، ويأمره بأن يحسن إستقبال مبعوثي التجاني [5].

---

[1]– Mangin, Op. Cit. p. 105.

[2]-E. Mangin, OP. CIT. P 86. بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص81.

[3]-إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..،مرجع سابق، ص102-103. بوقرين، مرجع سابق، ص51.

[4]- **الجنرال يوسف** : إشتهر باسم يوسف العنابي، ويوسف المنتصر، إدعى أنه ولد في جزيرة ايلب) واختطفه جنود البحرية التونسية سنة 1815م، نشأ بقصر الباي، التحق بالجيش الفرنسي بالجزائر سنة 1830 وعين ترجمانا في جيش إفريقيا ثم قبطانا في جيش القناصة ثم رقي رتبه رائد سنة 1833 وفي سنة 1845 ارتقي إلى رتبة جنرال، وقائد فيلق سنة 1865، توفي سنة 1866م، عرف بقساوته على الأهالي الجزائريين وقد نسبه أحمد باي في مذكراته إلى أصل يهودي.

[5]- E. Mangin. OP.CIT, P 97

ثالثا: الاضطرابات في المنطقة بعد حملة ماري مونج: لم يجلب تعيين الفرنسيين لأحمد بن سالم خليفة على المنطقة الاستقرار المطلوب بل بالعكس ازدادت الاضطرابات في المنطقة وتعددت أسبابها وظروفها ولم تعد مرتبطة فقط بنشاط الأمير عبد القادر وأعوانه في المنطقة، لقد كان الجنوب يغلي كحرارة شمسه على حد تعبير أبو القاسم سعد الله.[1]

ففي سنة 1846م استطاع الأمير الأمير عبد القادر أن يكسب تأييد أولاد نائل بجنوب المدية، وقامت انتفاضة استجابت لها كل القبائل تقريبا، و استدعى القائد سي الشريف بن الأحرش من أولاد غويني[2]، لينقذ أولاد نايل في جنوب المدية، وكل هاته القبائل كانت تسخط على أحمد بن سالم لأنه كان تابعا للفرنسيين، ما جعله معزولا في منطقة الأغواط ورغم ذلك بقي مخلصا لسلطة الاحتلال الفرنسي التي استطاعت أن تخلق نوعا من التنافس و التناحر بين بعض الزعماء و القادة، و قد لعب كل من الجنرال يوسف و الجنرال ماري مونج الدور البارز في إذكاء سياسة فرق تسد،[3]وجلول بن يحي أغا جبل العمور لم يفعل شيئا للرد على هذه القبائل لأنها كانت تدعم الأمير عبد القادر، وهو كان تابعا للجنرال يوسف الذي كان مكلفا بالمنطقة الشمالية لجبل العمور[4].

عسكر أولاد يحي وأولاد ساعد بن سالم مع قبائل أولاد نايل في المناطق القريبة من الأغواط بالتعاون مع سيدي موسى بن حسن (بوحمارة) الذي ينتمي إلى الطريقة الدرقاوية ، وذلك تمردا على الأوامر التي أعطاها لهم الخليفة المتعاون مع الفرنسيين، تجددت الانتفاضة في الأغواط بقيادة سي موسى بوحمار شيخ الطريقة الدرقاوية التي لها أنصار في الأغواط وأولاد نايل لكن قدوم الجنرال ماري مونج جعله ينسحب نحو متليلي، وفي شهر فيفري1847م عاد الجنرال ماري مونج Mary إلى جنوب المدية، ، ودخل في صراع مع أولاد نايل وبني الأغواط[5].

وفي 3 ماي 1847 وخلال وجود طابور الجنرال يوسف في عين جدارة بالقرب من عين ماضي توجهت بعثة بقيادة النقيب فراي Feray صهر المارشال بيجو، مع بعض الضباط وأحمد بن

---

[1]- سعد الله، **الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ج1، ص354.. بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص83.

[2]- للتعريف بالشريف بالأحرش أنظر مُحَمَّد بن عبد الرحمن الديسي، مصدر سابق، ص95 وما بعدها.

[3]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال**...، مرجع سابق، ص104.

[4] - E Mangin , OP.CIT. P 96.

[5]- - ibid, p, p 97. .إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص105

سالم خليفة الأغواط إلى عين ماضي، تدخل هذه الزيارة في إطار طمأنة التجاني عن نوايا الحملة، وتقديم الهدايا باسم المارشال بيجو، وعندما اقترب الوفد من عين ماضي بعث التجاني بمن يستقبلهم ثم خرج بنفسه وأدخلهم إلى بيته حيث أكد لهم عن إخلاصه للسلطة الفرنسية، كما لقي الضباط معاملة خاصة أثناء تجوالهم في قصر عين ماضي، مما جعل الوفد يمدد إقامته من يوم 4 ماي إلى اليوم الذي يليه، مكنتهم من أخذ مخططات القصر وتحصيناته بكل حرية. وعند مغادرة الوفد لعين ماضي، حملهم التجاني بعض الهدايا للحاكم العام المارشال بيجو.[1]

و هكذا حاولت فرنسا و بالخصوص "الجنرال لادميرول "ثم" الجنرال يوسف "الذي خلفه على رأس شعبة المدية ثم " الجنرال مونج " إلى الاستعلام و إعداد التقارير لملاحقة القبائل الموالية للأمير عبد القادر في المنطقة الممتدة بين الجلفة إلى جبال عمور و حتى الأغواط جنوبا.

وعرفت هذه الفترة مناوشات بين أحمد بن سالم خليفة الأغواط و بن ناصر بن شهرة آغا الارباع، وذلك أن والد بن ناصر تعرض له بعض أتباع بن سالم بطلب من الطيب بن مقواس منافسه على حكم قبيلة المعامرة حيث قاموا بقتله، ولكن بن شهرة لم يصمت على ذلك وقرر الرد عليهم، وحدثت اضطرابات كبيرة في قبيلة الأرباع، فانقسموا الى قسمين أحدهما انحاز الى بن ناصر بن شهرة والآخر مع الطيب بن معمر وابنه مُحَّد، فتوجه بن ناصر مع بعض أتباعه الى الجنرال ماري مونج ودخل المدية في17ماي1847م، واشتكى له من ظلم خصمه أحمد بن سالم ، إلا أن الجنرال الذي سئم من هذه الشكاوى المستمرة، جعله يقيل بن ناصر بن شهرة من منصبه، بموافقة الجنرال يوسف.[2]

كما حدثت في ربيع 1849 ضجة كبيرة، بدأت تنتشر جنوب المدية، مفادها أن سي موسى الدرقاوي (بوحمار) قد دخل الى الأغواط واستقبل بحفاوة كبيرة من قبل السكان، وأن الخليفة أرسل له هدايا ثمينة، وتزامن ذلك مع اندلاع انتفاضة الزعاطشة بقيادة بوزيان، ولكي تعم المقاومة وتأخذ طابعا دينيا، أرسل هذا الأخير يطلب من الزوايا المدد للوقوف معه ضد الاحتلال الفرنسي الذي

[1]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..،مرجع سابق، ص102-103 . علالي، مرجع سابق، ص47.بوقرين، مرجع سابق، ص51.

[2] -ibid, p 97-98.

يستهدف المنطقة، فأخذ سي موسى بن حسن مجموعة من المتطوعين لمؤازرته،[1] وفي المقابل قام التلي بن لكحل (الذي كان أحد آغاوات الأمير) بإثارة بعض العشائر من أولاد نايل من بينهم أولاد سي أحمد، وسار بهم نحو مسعد، إلا أنهم لم يكن يوسعهم الالتحاق وتعذر عليهم الوصول[2].

وقد أضفت أنباء سقوط الزعاطشة على منطقة جنوب المدية نوعا من الهدوء والاستقرار، وتم في ذات الوقت إطلاق سراح سي الشريف بن لحرش الذي كان سجينا ببوغار، ليكون زعيما على عرش اولاد نايل والتخلص من غريمه التلي بن لكحل الذي كان يثير البلبلة ويحرض الجماهير ضد فرنسا، وهكذا تسلم بن لحرش زمام الأمور في ربيع 1850 وأصبح آغا على أولاد نايل بصفة رسمية. [3]
في شهر أفريل 1851م أعلن خليفة الأغواط أن أولاد يحي بن سالم و أولاد سعد بن سالم من القبائل المخزنية التابعة للحكومة الفرنسية في البلاد، وفي شهر جوان 1851م اتجه الأرباع إلى التل من أجل شراء القمح، وكان الآغا بن شهرة معهم دائما، لأنه يمثلهم أمام الإدارة العامة الفرنسية في المنطقة، ولكن الخليفة أحمد بن سالم قدم أخبارا الإدارة العامة أن بن شهرة يخونها.[4]

وفي ظل هذه الظروف والأحداث المتنامية في منطقة الجنوب، والتي كانت تنذر بخطر داهم بالنسبة لفرنسا، من بينها جملة من الاضطرابات التي سادت بين قبائل أولاد يحي بن سالم، وأولاد ساعد بن سالم وبقية فروع أولاد نايل وغيرهم من أهالي المنطقة، بسبب جمع الضرائب التي امتنع السكان عن دفعها، وأصبح الوضع ينذر بالخطر أمر الحاكم العام بتشكيل فرقة عسكرية أوكلت مهمتها للجنرال **دولادميرول** (De Ladmirault) لمتابعة الأحداث ومراقبة الوضع عن كثب، ووصلت هذه الفرقة إل الجلفة يوم 03 جوان 1851وجمعت كل شيوخ القبائل المنضوين تحت النفوذ الفرنسي مثل خليفة الأغواط والآغا سي الشريف بلحرش، في الوقت الذي أصبح فيه أحمد بن سالم فاقدا للسيطرة وكثر أعداؤه، ولم يصبح بوسعه السيطرة على مجريات الأمور، وهنا أجرى الجنرال تحقيقات أثبتت

[1]- الشيخ لكحل، مرجع سابق، ص107. بلغ عدد المتطوعين مع الحاج موسى الدرقاوي ممن استشهدوا في معركة الزعاطشة نحو ال 60، ولا شك أن العدد الاجمالي للمتطوعين أكبر بكثير وجلهم من قبائل المنطقة (أولاد نايل والأغواط)، مُحَمَّد العربي حرزالله، **منطقة الزاب مائة عام من المقاومة 1830-1930**، دار السبيل، الجزائر، 2009، ص287.

[2] - E Mangin , OP.CIT. P 98-99.

[3]-E Mangin , OP.CIT. P 101- 105.

[4] - ibid, p 102.

تجاوزات خطيرة للخليفة نتيجة جشعه من خلال جمعه للضرائب مما جعل الجنرال يؤنبه وينهاه عن ذلك، وكاد الفرنسيون يميلون إلى بن ناصر بن شهرة لتعيينه خليفة على الأغواط، الأمر الذي جعله يتوجه الى العاصمة والتقى بالعقيد دوريو Durrieu الذي طمأنه وجدد الثقة فيه وأمره بأن يُبقي على بن ناصر آغا على الأرباع[1].[2]

رابعا: ظهور مُحَمَّد بن عبد الله[3] وانتفاضة بن ناصر بن شهرة: في ماي 1850 أبلغ النقيب كاروس (Carrus) في الأغواط السلطات العليا بوصول مرابط إلى الجنوب اسمه مُحَمَّد بن عبد الله أصبح سلطانا على ورقلة بعد وفاة سلطانها بن بابية ،[4] ولُقب بشريف ورقلة، ولبسط نفوذه على الصحراء أدرك الشريف أنه لا بد له من الاعتماد على قبيلة عظمى وقوية، ويبدو أنه وجد ضالته في قبيلة الأرباع قرب الأغواط التي كان يقودها الثائر بن ناصر بن شهرة الذي كان مهتما بمحاربة الباشآغا الشريف بلحرش الذي عينته فرنسا على منطقة الجلفة،[5] وكذلك صهره السابق أحمد بن سالم خليفة الأغواط، وعلى إثر التحالف بين بن ناصر بن شهرة ومُحَمَّد بن عبد الله خرج الأخير من ورقلة أواخر سنة 1851 باتجاه أولاد سعد بن سالم في مناطق أولاد نايل، كمنطلق لعملياته حول الأغواط.[6]

كان ناصر بن شهرة يرفض كل تعامل أو اتفاق مع الاستعمار الفرنسي و ذلك بالرغم من العروض المغرية التي كان القائد العام لمنطقة المدية " الجنرال لادميرول " يعرضها عليه مقابل قبوله الانضواء تحت راية الفرنسيين،[7] وكان أخر هذه العروض تلك التي حملها إليه " الملازم كاروس بتاريخ 05

---

[1] -Idem, pp 105-108

[2]- مياسي إبراهيم، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص 106-105. صادقي، مرجع سابق، ص76-77.

[3]- **مُحَمَّد بن عبد الله السنوسي**: سلطان ورقلة والمقاوم المعروف . ترومللي، مصدر سابق، ص69-77.

4 -E. MANGIN ,OP.CIT,p 275-276.

ترومللي، مصدر سابق، ص 64-65. سليمان حكوم، مرجع سابق، ص93.عميراوي حميدة، **مرجع سابق**، ص43-44. الشيخ لكحل، مرجع سابق، ص110.

[5] - للمزيد حول المعارك بين الشريف بالأحرش والأرباع الثائرين أنظر: مُحَمَّد بن عبد الرحمن الديسي، مصدر سابق، ص02

6- ترومللي، مصدر سابق، ص 93-94.سعد الله، **الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ج1، ص 355. دحدي سعود، مرجع سابق، ص 138-139. حمو النوري، مرجع سابق، ج1، ص269-270. مُحَمَّد العربي حرزالله، مرجع سابق، ص309-311. . بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص149.

[7] - Du Barail , op. cit. p 27.

سبتمبر 1851 عندما كان رفقة قبائل الأرباع بالشهبونية قرب بوغار في إطار الرحلة المعتادة نحو المناطق التلية، و على غير العادة كانت في لهجة المبعوث "كاروس "وجنوده الصبايحية الثلاثين نبرة حادة تحمل في معانيها الكثير من التهديد و الوعيد إذا ما رفض القائد ابن ناصر الانصياع لهذا العرض ، فلم يكن أمامه هذه المرة إلا أن يعلن جهرة عن حقيقة شعوره تجاه الاستعمار ، فحضر هو و أخوه أبو بكر كمينا لهذه البعثة ليبرهن عن قدراته القتالية و يعلن بذلك قيام انتفاضته ، فجرد المبعوث" كاروس "و جنده من أسلحتهم و نزع عنهم ألبستهم عدا ما يستر عوراتهم ثم أطلق سراحهم و أمرهم بالعودة من حيث جاؤوا.[1]

و رجع ابن ناصر إلى الأغواط و استولى على قرية قصر الحيران و حصنها، فاتصل به السكان من كل جمة خاصة أعيان المدينة للتعاون معه لأنهم يئسوا من سياسة الاحتلال الفرنسي،كما التف حوله الحرازلية، أولاد سيدي عطاء الله و أولاد سعيد عتبة و المخادمة من ورقلة، و عزموا على الثورة للتخلص من نفوذ الاحتلال الفرنسي.[2]

لكن مونجان يُرجع ثورة بن ناصر بن شهرة إلى خلاف قديم بينه وبين صهره أحمد بن سالم يتعلق بمقتل والد بن ناصر في تصادم مع أنصار أحمد بن سالم بقيادة الطيب بن المقواس، ويذهب إلى أن بن ناصر لم ينس مقتل والده وانتظر فرصة الثأر التي وجدها حين قام الخليفة بتعيين ابن عدوه مُحَّد بن الطيب قايد على المعامرة فغضب لذلك واشتكى للجنرال ماري مونج من أحمد بن سالم، وانقسم الأرباع بين بن ناصر وخصومه، وقام أنصاره من الحَجاج والحرازلية بغزو أولاد سعد بن سالم الخاضعين للخليفة وانسحبوا للجنوب مطالبين بالاستقلال،[3] وهذا التفسير لا يخلو من محاولة تجريد ثورة بن ناصر من طابعها الوطني وضرب بعدها السياسي باختزالها في نزاع شخصي، وهذا دأب المدرسة الاستعمارية التي تعمل على تقزيم الأعمال الوطنية المعارضة لوجودها وسياساتها.

ولم تخلو أعداد المبشر المائتين في الفترة الممتدة بين1847-1855 من ذكر مجريات هذه المقاومة ووصف صاحبها بالمفسد ومدعي الشرف والمثير للفتنة بضواحي منطقة الأغواط، ورصد تنقلات الشريف مُحَّد بن عبد الله بين الأغواط ونواحي ميزاب والشعانبة وورقلة، وتفاصيل بعض المعارك التي

[1]- . إبراهيم مياسي، **الاحتلال**...، مرجع سابق، ص106.

[2]- عميراوي حميدة، مرجع سابق، ص44. صادقي ، مرجع سابق، ص78.

[3] -E. MANGIN ,OP.CIT,, p 98-99.

خاضها مع خليفة الأغواط أحمد بن سالم وقايد أولاد نايل سي الشريف بلحرش بضواحي جبل عمور سنة1852[1].

إن اتصال ابن ناصر بن شهرة بشريف ورقلة مُحَّد بن عبد الله في بداية شهر نوفمبر 1851 يعتبر نقطة تحول كبيرة في تاريخ المقاومة في الجنوب ذلك أنه توحدت صفوف المقاومين في منطقة واسعة جدا امتدت من جنوب الجلفة شمالا إلى غاية ورقلة في الجنوب و إلى تقرت و بسكرة شرقا و ضمنت ولاء الكثير من القبائل الكبيرة كالمخادمة و الأرباع و أولاد نايل و الشعانبة و غيرهم تحت قيادة موحدة هدفها وقف المد الاستعماري نحو الجنوب[2] .

في 11 ديسمبر 1851 وصل شريف ورقلة إلى عقلة مداقين (Oglet Medagguin) بالقرب من الأغواط وحصل على غالبية قطعان أولاد سعد بن سالم وكانوا في هذه الفترة خاضعين لسلطة سي بلحرش الموالي للفرنسيين، وقد انضم إليه بن ناصر بن شهرة مع قواته،[3] وبهذا سارت المخاوف و الشكوك من اندلاع مقاومة في الصحراء لذلك توجه " الجنرال لادميرول " Ladmirault" "على رأس قوة مؤلفة من 1300 من المشاة و 500 فارس نحو الأغواط بأمر من الوالي العام " الجنرال راندون " موقع بتاريخ 17 فيفري 1852 فتحركت هذه القوة بتاريخ 22 فيفري 1852 واتبعت الطريق الذي سلكه" الجنرال مونج "سنة1844 حيث وضع هذا الأخير الخرائط الطبوغرافية اللازمة، و في الفاتح مارس ، ولما كان الجنرال لادميرول معسكرا بقصر تاجموت القريب من عين ماضي أرسل إليه التجاني بعض الهدايا والتمور، مجددا نواياه الحسنة إتجاه الفرنسيين وقد صرح مبعوثه " الريان" أن سيده مُحَّد الصغير التجاني يسعى بفضل نصائحه إلى إبقاء العرب موالين للفرنسيين، لأنه يعتقد أن سيطرة هؤلاء ستدوم سنوات طويلة، ورد عليه الجنرال برسالة شكر وامتنان [4].

وصلت الحملة إلى الأغواط بتاريخ 09 مارس، و لما أبلغ" الجنرال لادميرول " بقوة و مناعة ابن ناصر في قصر الحيران اكتفى بمراسلته من تحت أسوار مدينة الأغواط ، و كانت تلك المراسلات

---

[1]- المبشر، ع 105، 16 جانفي 1852، ص 4 . ع 106، 31 جانفي 1852، ص 2. ع 109، 10 مارس 1852، ص 4. أنظر أيضا: حمو النوري، مرجع سابق، ج1، ص270.

[2]- مُحَّد العربي حرزالله، مرجع سابق، ص311-312.

[3]- ترومللي، مصدر سابق، ص 95. الشيخ لكحل، مرجع سابق، ص114.

[4]- بن يوسف تلمساني، مرجع سابق، ص244 . علالي، مرجع سابق، ص48.عيسى بوقرين مرجع سابق، ص60-61.

تحمل نوعا من التودد و العروض المغرية، لكن ابن ناصر رفض كل تلك المقترحات، فرجعت تلك الحملة بتاريخ 02 ماي إلى المدية و اعتبرت على أنها عملية جس نبض قوة المقاومة و اقترحت على الدوائر الاستعمارية تجهيز حملة أكثر قوة لاحتلال الأغواط التي تعتبر منطقة هامة و عتبة أساسية للتوسع في الصحراء .[1]

وفي 25 مارس 1852 مر الشريف مُحَمَّد بن عبد الله بالقرب من الأغواط وغزا أولاد يعقوب ثم نزل إلى واد زرقون، وخيم بالقرب من أولاد سيدي الشيخ،[2] وهناك وصله الخبر بانضمام الأغا حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ إلى ثورته في مارس 1852.[3]

وبسبب هذه التحركات أسرعت السلطات الفرنسية بتحشيد قواتها تحت قيادة الرائد ديليني Déligny من تيارت وسارت في مناطق البيض موازاة مع وجود طابور المدية سالف الذكر في الأغواط، وذلك لضمان ولاء حمزة ولد سيدي الشيخ للفرنسيين وهو ما حصل فعلا، ولكن الشريف مُحَمَّد بن عبد الله سار بقواته في المناطق بين الطابورين في وادي زرقون،[4] ثم انسحب الشريف إلى الجنوب وكان في أوج قوته حيث التف حوله الأرباع وبن ناصر بن شهرة، الحرازلية، أولاد سيدي عطا الله، سعيد عتبة، مخادمة ورقلة، شعانبة متليلي وأولاد عمار وغيرهم،[5] وقد شرح الشريف مُحَمَّد بن عبد الله جزءا من معاركه وإنجازاته في هذه الفترة في رسالته التي أوردها أحمد صدقي الدجاني في كتابة عن السنوسية.[6]

و من أبرز المعارك التي قادها ابن ناصر بن شهرة رفقة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله في هذه الفترة تلك التي وقعت بتاريخ 22 ماي 1852جنوب واد جدي ، و يسميها الفرنسيون بعملية " الكومندان كولينو حيث زحف الاثنان من ورقلة فسيطرا على نقوسه ودخلا تماسين دون مقاومة فانضمت لهما

---

[1]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص109-110.

2 -E. MANGIN ,OP.CIT, pp 278-281.

3- ترومللي، مصدر سابق، ص 97. إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص110. أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج 1، ص 358.. ولكن ما لبث أن انقلب عليه وقاتل ضده مع الفرنسيين. لكحل الشيخ، مرجع سابق، ص118

[4]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص111.

5 -E. MANGIN ,OP.CIT,p 278-285.

[6]- أحمد صدقي الدجاني، **السنوسية نشأتها الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر**، دار لبنان للطباعة والنشر، والنشر، بيروت ،1967 ، ص 295-296. أنظر الملحق رقم: 11.

أعداد من ثوار واد ريغ و الشعانبة و سعيد عتبة ، كما حاولا دخول تقرت بمساعدة سليمان الجلابي أحد منافسي سلطان تقرت عبد الرحمن الجلابي لكن هذه المحاولة باءت بالفشل فاتصلا مع ابن الأحرش في الجلفة للحصول على مساندته لكن هذه المفاوضات فشلت ، و بهذا كله أصبح الاثنان يهددان المركز الفرنسي في بسكرة الذي كان تحت قيادة " كولينو " فما كان من الأخير سوي توجيه ضربة إلى هؤلاء المقاومين فوجه قواته بشكل سريع في مساء يوم 20 ماي تتكون من أكثر من 200بين فارس و صبايحية و قناصين ، و في اليوم الثاني 21 ماي جمع حوالي 700 فارس من قوم تلك المناطق ، كما تلقى مساعدات من بوسعادة بقيادة " الكومندان بان " و من باتنة بقيادة " الكولونيل ديفو، وقوات سي الشريف بلحرش لقطع الطريق على قوات مُحَّد بن عبد الله.

و التقى الجمعان صبيحة 22 من ماي فحاول" الكومندان كولينو "توجيه ضربة جريئة وسريعة للثوار لكن حنكة ابن ناصر و مُحَّد بن عبد الله جعلته يفشل و يتكبد خسائر كبيرة في صفوفه و ذلك من خلال حرب الكر و الفر نظرا لقلة العدد و العدة مقارنة بالقوة الفرنسية ، وتذكر المصادر الفرنسية هنا أن الثوار خلفوا 150 قتيلا و الكثير من العتاد .[1]

بعد هذه المعركة انسحب كل من ابن ناصر ومُحَّد بن عبد الله جنوبا إلى ورقلة و بالضبط إلى الرويسات حيث تم عقد اجتماع بين شهري جوان و جويلية قصد تقييم الوضع و رسم خطة حرب جديدة تتلاءم مع الوضع ، فتم الاتفاق على جعل مدينة الأغواط منطلقا للعمليات ضد الاستعمار ، وقد شرع في تنفيذ هذه الخطة مع نهاية شهر جويلية حيث دخل ابن ناصر ابن شهرة قصر الحيران بتاريخ 31 جويلية 1852 و استقبل استقبال الأبطال من أهلها فأقام بها التحصينات و نظم التموين و كان هدفه من تحصين قصر الحيران هو جعلها مركز لجمع المجاهدين و الثوار من كل المناطق المجاورة[2]، وقد أصبحت الصحراء تموج تحت تأثير بن ناصر بن شهرة والشريف مُحَّد بن عبد الله. [3]

[1]- ترومللي، مصدر سابق، ص98. سليمان حكوم، مرجع سابق، ص99. حمو النوري، مرجع سابق، ج1، ص270. مُحَّد العربي حرزالله، مرجع سابق، ص320-321. إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص113.

[2]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص114.

[3]- فاطمة حباش، مرجع سابق، ص 300-301. عميراوي حميدة، مرجع سابق، ص46. سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج1، ص359. فون مالتسان، مصدر سابق، ص210.. بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص149.

خامسا: عزل الخليفة أحمد بن سالم ونهايته: أمام تصاعد المقاومة ضد التواجد الفرنسي بالمنطقة مع ظهور الثائر الشريف مُحَّد بن عبد الله وانضمام ابن ناصر بن شهرة إليه، قررت إدارة المستعمر توجيه حملة قوية ضد منطقة الأغواط بعد أن عزلت الخليفة أحمد بن سالم في يوم 06 أفريل 1852 ووجهت إليه تهمة عدم الكفاءة والتقاعس في أداء مهامه ووقوفه عائقا حقيقيا للتنظيم الحسن للمنطقة، ونقله إلى بوغار أين وافته المنية في شهر جوان من نفس السنة، و عين مكانه الشريف بالأحرش كخليفة بينما عين أخوه الناصر بن سالم لإدارة قصور الأغواط كأغا[1].

وقد أشرف التجاني شخصيا على مراسم تشييع الجنازة، وألقى كلمة حث فيها أبناء أحمد بن سالم وسكان الأغواط على مسالمة الفرنسيين غير أن هذه النصائح لم تلق صداها، إذ أن بعد أشهر قليلة شهدت الأغواط مقاومة عنيفة لاسيما بعد انضمام يحي بن معمر شقيق الخليفة السابق لمحمد بن عبد الله وناصر بن شهرة، مما شجع هذا الأخير على دخول قصر الحيران في 31 جويلية 1852 [2].

وهو ما دفع بالسلطة الفرنسية إلى التفكير في احتلال الأغواط نهائيا، فأرسل الحاكم العام راندون الجنرال يوسف للدفاع عن وجودهم في الأغواط، ولما علم هذا الأخير بانضمام يحي بن معمر إلى الثوار قرر مصادرة أملاكه، فشكل لجنة لغرض تحديد الأملاك والبحث عنها كوسيلة عقابية، وما أن سمع مُحَّد الصغير التجاني بهذه اللجنة حتى أبلغها بوجود ودائع يحي بن معمر التي هربها إلى زاوية عين ماضي في قصره، لما قرر الانضمام إلى الثوار باعتبار الزاوية مكان حياديا، قدرت هذه الودائع ب 8535 فرنك، وقد اعتبر الجنرال يوسف هذه اللفتة التلقائية التي قام بها مُحَّد الصغير التجاني في غاية الأهمية، خصوصا مع الخطط الفرنسية الجديدة للتعامل مع الوضع في منطقة الأغواط.[3]

---

[1] – بن يوسف تلمساني، **مرجع سابق**، ص 225. إبراهيم مياسي، الاحتلال..، مرجع سابق، ص112. فون مالتسان، مصدر سابق، ص210. ابتداء من 22 جويلية 1853 صدرت أمرية من الوالي ضبطت المجال الإداري لحكم خليفة الأغواط والتي حصرت في مدينة الأغواط وقصورها والأعراش الخاضعة لباشآغا أولاد نايل وجماعة بني ميزاب. المبشر، العدد 146. 203 ، 1853، ص 1.

[2] -E Mangin , OP CIT, P 284. عميراوي حميدة، مرجع سابق، ص44-45. إبراهيم مياسي، الاحتلال..، مرجع سابق، ص112.

[3] – E. Mangin ; OP CIT, P 284. إبراهيم مياسي، الاحتلال..، مرجع سابق، ص112.

المبحث الثالث: سقوط مدينة الأغواط 1852 ونتائجه:

في خضم الأحداث المتتالية التي شهدتها منطقة الأغواط وخصوصا ظهور الثائر مُحَّد بن عبد الله وانتفاضة بن ناصر بن شهرة ، قام الضباط الفرنسيون العاملون على حدود منطقة الأغواط بلفت انتباه الحاكم العام إلى خطورة هذه الوضع و مدى تأثيره على مستقبل السياسة الفرنسية، مما يستوجب إنشاء قوة عسكرية قادرة على مواجهة هذه القبائل الثائرة وفرض الهدوء والاستقرار، وهكذا بدأت فكرة احتلال الأغواط تتبلور، وتأكد لدى المارشال راندون (Randon) بأنها الوسيلة الوحيدة لقمع الانتفاضة في الجنوب وفرض السيطرة عليه، ومن ثم بدأ الفرنسيون في التحقيق فيما يحدث في المنطقة ومتابعة تطوراتها، التي اهتدى من خلالها الى التذمر الكبير من طرف الأهالي ضد التدخل الفرنسي في شؤونهم ومن من نصبتهم حلفاء لها، وتعاطفهم ومؤازرتهم للانتفاضات التي أعلنت مقاومتها للاحتلال، وهذا ما جعل الأمور تتعقد أكثر بالنسبة لفرنسا مما جعلها تفكر بجدية للسيطرة على الأغواط، وإنهاء حالة "اللاضبط" التي أصبحت تميز الأجواء السياسية للمنطقة بالنسبة للفرنسيين، ومن هنا بدأ التحضير للتوجه اليها بجيش كبير وعتاد حربي ضخم للقضاء على "المتمردين" و"المحرضين على العصيان" وفرض سيطرتها على المدينة واخضاعها للنفوذ الفرنسي بشكل مباشر.[1]

أولا: استيلاء المقاومة على الأغواط وردة الفعل الاستعمارية (الزحف والحصار):

1/ استيلاء المقاومة على الأغواط ونتائجه: بعد استيلاء مُحَّد بن عبد الله وحليفه بن ناصر بن شهرة على منطقة الأغواط في صيف 1852 أصبحت المنطقة تجمعا لعناصر المقاومة، وقد توافدت أعداد معتبرة من الثوار 09 سبتمبر 1852 و كان أول الوافدين الثائر " التلي بالأكحل[2] "و معه عدد كبير من سكان منطقة بوسعادة وأولاد نائل و بتاريخ 24 سبتمبر وصل "يحي بن معمر" (بن سالم) رفقة وفد عظيم من الأغواط و الذين رفضوا تواجد الحامية العسكرية الفرنسية بمنطقتهم وأيدوا سياسة ابن

[1]- ترومللي ، مصدر سابق، ص100-101. إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص114.. بنيامين كلود برووز، مرجع سابق، ص149-150.

[2]- **التلي بالأكحل**: بن لخضر بن قويدر ولد خلال 1790ونشأ في بيت علم وتقوى، ينتمي إلى عرش سيد أحمد بن مُحَّد وكان مثالا للحكمة وسداد الرأي، شارك في عدة مقاومات مثل مقاومة الأمير عبد القادر والشريف مُحَّد بن عبد الله وبن ناصر بن شهرة وكان أحد قادة المدافعين عن مدينة الأغواط. أنظر: برابح الشيخ، **نماذج من مقاومات أولاد نايل للتوسع الفرنسي في الهضاب الوسطى 1849-1854**، مجلة قضايا تاريخية، ع9، جوان 2018، ص162-166.

ناصر الثورية[1]، ثم التحق بهم شريف ورقلة، و بعد هذه الحملة أرسل ابن ناصر ابن شهرة سي النعيمي رفقة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله نحو المناطق الشمالية في اتجاه جبال العمور و ذلك الجمع أكبر عدد ممكن من الثوار تطبيقا للخطة المتفق عليها في تلك الصائفة حيث كانا على رأس قوة تتألف من 500فارس و 300 جندي مشاة و استطاعا من خلال هذه الحملة أن يحرضا كل قبائل منطقة جنوب وهران وخاصة سكان عمور ، و الأحرار، و الأغواط أكسل الذين انتفضوا في تلك المناطق.[2]

و كان سكان الأغواط و على رأسهم ابن ناصر بن شهرة مستعدين لتنفيذ هذه الخطة، فهم في انتظار وصول القوافل القادمة من التل و المحملة بالقمح و المؤون قبل القيام بأي عمل ضد الاستعمار و كان ذلك من القضايا ذات الطابع الاستراتيجي و التي اتسم بها تفكير ابن ناصر ابن شهرة .

لهذا كلف الجنرال يوسف بالقيام ببعض التحركات العسكرية بغية إرهاب السكان، وفي 04 أكتوبر 1852 خاض بن ناصر بن شهرة ومُحَمَّد بن عبد الله معركة كبيرة في عين الرق بجوار غدير مزي قريبا من الأغواط ضد الفرنسيين بقيادة الجنرال يوسف، وقد تطرقت جريدة المبشر إلى خروج حامية الجنرال يوسف من الجلفة لـ "إنقاذ مدينة الأغواط" من الشريف وأصحابه، ومحاصرتهم في الرق بين الأغواط وقصر الحيران، وتضيف أنه "قتل منهم ما ينيف عن المائتين وغنم ألفين بعير وعشرين ألف رأس غنم، فلما وقعت الهزيمة فرّ الشريف ودخل مدينة الأغواط وغلق أبوابها بعد مساندة أهلها، ولذلك لزمتهم عقوبة شديدة وصدر الأمر من سعادة والي الجزائر لمحاصرة المدينة وإصلاح الفساد والانتقام ممن تسبب فيه" [3].

ويبدو أن رواية الجريدة حول هذه الواقعة فيها من التغليط وعكس الوقائع وتحريفها لصناعة رأي عام مبني على انتصارات وهمية معاكسة تماما للحقيقة التاريخية، إذ أن الشريف بن عبد الله وأتباعه هم اللذين حققوا الانتصار في هذه المعركة على الفرنسيين وقتلوا مائتي جندي وحصلوا على 20 ألف

[1]- ترومللي ، مصدر سابق، ص99-100.

[2]- إبراهيم مياسي، الاحتلال..، مرجع سابق، ص115-116.

[3]- المبشر، ع 126، 30 نوفمبر 1852، ص 1.

رأس غنم وألفي جمل ، ولم يفر الشريف بل استقبله سكان مدينة الأغواط بحفاوة كبيرة واعتبر بمثابة الفاتح، مما جعل سلطات الاحتلال تهيء لطلب النجدات لاسترجاع الأغواط. [1]

ووسط هذه الأجواء المشحونة و بتاريخ 29 أكتوبر 1852 قام سكان المدينة بمحاصرة جنود الحامية الفرنسية بالمدينة، وقد فر الملازم ابن حميدة مع أعوانه من الصبايحية المكلفين بفرض الأمن بالأغواط، وفر معه من والاه من الأرباع مثل قائدهم مُحَمَّد بن الطيب (بن فرحات) وبن يحي بن عبو يوم 31 أكتوبر وتوجهوا إلى الجلفة، بينما استولى مؤيدوا الثورة على المدينة بعد معركة داخلها وطردوا الموالين لفرنسا ومن بينهم الشيخ علي بن أحمد بن سالم الذي توجه إلى الجنرال يوسف في الجلفة.[2]

2/ الزحف الفرنسي نحو المدينة ومحاصرتها: أدركت السلطات الفرنسية ضرورة السيطرة على المنطقة لذلك عزم " الجنرال يوسف " القائد العام لمنطقة المدية – و الذي خلف " الجنرال لادميرول – " على مراقبة الوضع عن قرب فشرع في بناء مركز قيادة جديد في مدينة الجلفة و قد اختار هذه المنطقة لكونها النقطة الرابطة بين بوغار و الأغواط و هي قريبة من هذه الأخيرة تسمح بمراقبة الثائرين بها .

في 17 نوفمبر 1852 غادرت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال يوسف الجلفة في قسمين، تشكل الأول من الفرسان والرماة الأهالي على الأحصنة والبغال والجمال باتجاه قصر الحيران، والثاني تشكل من الخيالة وسلاح الهندسة والمدفعية باتجاه العسافية التي انتصر فيها الفرنسيون، و في تلك الأثناء كانت وفود المقاومين تصل إلى مقر القائد ابن ناصر ابن شهرة في قصر الحيران، فحاول " الجنرال يوسف "قطع الطريق على هذه الوفود فعسكر على بعد 15 ميل من قوات ابن ناصر بتاريخ 18 نوفمبر و في اليوم الثاني واصل زحفه حتى لم يبق له سوى ميلين، وفي 21 نوفمبر قرر الجنرال يوسف السير نحو الأغواط حيث انسحبت قوات الشريف نحو الضفة اليمنى لواد مزي خلف جدران البساتين، كانت مدفع المدينة تصب قذائفها فوق رؤوس جيوش الاحتلال حيث أصابت بعض الجنود المتقدمين، إضافة إلى خسائر جد معتبرة في العتاد أرعبت عساكرهم، وتم على إثرها انسحاب

[1]- يقول ترومللي أن الجنرال يوسف هو من انتصر في المعركة ولكن تسلسل الأحداث يؤكد العكس أنظر: ترومللي ، مصدر سابق، ص101. دحدي سعود، **ثورة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية ومواجهة التحديات الاستعمارية الفرنسية 1845-1895**،مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي، البيض، ع 1، جوان 2010، ص 140. إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص114.

[2]- إبراهيم مياسي، الاحتلال..، مرجع سابق، ص115. ترومللي ، مصدر سابق، ص101.

Général Du Barail , Op. cit.p,30-31

القوات الفرنسية بعيدا عن طلقات مدفعية المدينة، وبقي رجال المقاومة يراقبون الضفة اليسرى للوادي والاماكن العالية والمراكز الأولية للاحتلال وجميع نقاط الجبل التي تحيط بالموقع الأول الذي هاجمته القوات الفرنسية في أول يوم،[1] وأمام هذا التصعيد قرر ابن ناصر ابن شهرة و مُحَّد بن عبد الله الزحف بقوة على موقع العدو حيث جرت معركة من أكبر المعارك التي شهدتها المنطقة آنذاك يوم 21 نوفمبر تكبد فيها العدو الفرنسي خسائر كبيرة إضافة إلى بعض قادته كالنقيب "أشطايل "، و هو الأمر الذي جعل" الجنرال يوسف "ينسحب إلى قصر العسافية.[2]

وفي المساء تقدمت كتيبة المساعدة ومجموعة الهندسة فحطمت سدود الوادي وقنوات السقي التي تزود المدينة بالمياه، وهذا كي لا يجد رجال المقاومة والسكان الماء الصالح للشرب، وكذلك من أجل منع الفلاحين من سقي بساتينهم حتى تتلف المحاصيل الزراعية ويخرج السكان لجلب الماء فيستسلمون أو يهاجمونهم، في حين دخل الثوار إلى مدينة الأغواط تحت تكبيرات و تهليل السكان ، وقد كانت الصيحات والهتافات تتعالى من وراء الأسوار وفوق جدران المدينة مع الهتافات بالنصر على الأعداء، وكانت الطلقات النارية مصوبة نحو العدو في جميع الاتجاهات لتبرهن على أن المقاومة على استعداد تام لخوض المعركة حتى النصر أو الاستشهاد، وقد بدأ المقاومون على الفور في عمليات التحصين و التحضير للمواجهة الحاسمة مع العدو. [3]

كان قرارا الجنرال يوسف بالتراجع إلى العسافية بسبب تأخر الإمدادات الفرنسية الآتية من القطاع الوهراني بقيادة بيليسيي[4]،في يوم 23 عادت القوات الفرنسية من جديد في جولة استطلاعية لاستدراج المقاومين لكنها تلقت ضربات مدفعية المقاومة التي كانت في أتم اليقظة والاستعداد، وفي يوم 24 نوفمبر عسكر الاحتلال على بعد كيلومترين من مشارف المدينة خوفا من ضربات المقاومة

[1]- بن عتو بلبراوات، مرجع سابق، ص45. مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص101.

[2] - Général Du Barail , op. Cit, p. 32-33.

[3]- يقول ترومللي أن سكان المدينة أقسموا على الدفاع عنها إل آخر رمق أو سيردمون تحت أسوارها. ترومللي ، مصدر سابق، ص101. مخلوف صادقي، **مراحل وأشواط**..، مرجع سابق، ص102.. بنيامين كلود برووز، مرجع سابق، ص150.

4- غادر بيليسيي وهران في 06 نوفمبر 1852 بجيش يتون من فيلق للزواف، مجموعة مدفعية، سريتان للقناصة الأفارقة، 8 إطفائيين، كتيبة للرماة الأهالي، و(400) رجل من الفيلق الإفريقي من معسكر. في 19 نوفمبر خيم في البيض وقام بمتابعة الأرباع في واد النسا والتضييق على عليهم في تاجرونة وواد زرقون ثم انتقل إلى ستيتن ليصل إلى خنق المالح في 29 نوفمبر. أنظر:
MANGIN,op.cit, p 303-305.

ومن هذه المسافة بدأت العمليات العسكرية الفرنسية بقصف المدينة طوال يوم 25 نوفمبر من طلوع الفجر إلى غاية الساعة الرابعة مساء، وخلال هذا القصف العنيف كان قادة الاحتلال يدرسون الخطط العسكرية وطرق الزحف نحو المدينة.[1]

وفي يوم 26 نوفمبر على الساعة الخامسة مساء قام عساكر الاحتلال بجولة استطلاعية من حول الأسوار أين ردت عليهما المقاومة بكل قوة حتى عادوا لخطوطهم الخلفية وبقيت العمليات العسكرية متواصلة، وفي يوم 27 نوفمبر على الساعة الحادية عشرة ليلا عادت الكتيبة الخاصة إلى العسافية من أجل استقبال قافلة عسكرية كبيرة جاءت من الجلفة، وكانت قد وصلت في تمام الساعة الرابعة مساء من اليوم السابق، وفي يوم 28 نوفمبر تجمعت القوات الجديدة التي كانت في العسافية والتي كانت قد وصلتها يومي 26و27 إضافة إلى طابور الرائد بان (Pin) الذي وصل هو كذلك في نفس اليوم،[2]، وتعكس الإجراءات الفرنسية وقوة التعبئة العسكرية ضد الأغواط صلابة وتمسك سكانها بفكرة الجهاد التي تعد استمرارا لحركة الجهاد والمقاومة الوطنية التي انتشرت في كل مناطق الوطن.

3/ الحصار: عين الحاكم العام " الماريشال راندون" الجنرال بيليسي (Pellessier) قائدا عاما لجميع القوات العسكرية العاملة في الجنوب ، ولإنجاح حملتها على الأغواط وتفادي هزيمة أخرى أمام قوات الشريف وسكان الأغواط انتظرت قوات الجنرال يوسف وصول الجنرال بيليسيي في يوم 01 ديسمبر إلى الحويطة[3] ومنها انطلق بقيادة أركانه نحو المدينة المحاصرة، ومن ثم تمركز على أطراف المكان المسمى رأس العيون[4] على حافة وادي مزي، على بعد حوالي كيلومترين خوفا من مدفعية المقاومة، وكان مكان تمركزه مقابل معسكر الجنرال (يوسيف) وطوال تمركز عساكر الاحتلال لم تنقطع طلقات مدفعية المقاومة، أما الطابور الآخر فتوقف يوم 02 من الشهر على بعد ثلاثة كلم من المدينة لتلقي قافلة تحمل الماء، أرسلها الجنرال يوسيف (Yussuf) للتموين والتمويه؛ ليتم التوجه بعدها إلى

[1]- ترومللي ، مصدر سابق، ص102. مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص102.

2 -E. MANGIN,op.cit, p 301.

[3] - المزاري، مصدر سابق، ج2، ص257.

[4]- **راس العيون، أو روس العيون:** هذا المصطلح يطلق عند أهل المنطقة قديما، ولا يزال، على المكان المحيط بالجسر الواقع في مدخل المدينة بوادي مزي من الجهة الشرقية الشمالية (Le Pont)، لأن هذه المنطقة كانت مليئة بالعيون المتفجرة ذات الماء العذب، كثير المياه يستغل في السقي وغيره أنظر: مبارك الميلي، مرجع سابق، ج1، ص51.

جنوب الأغواط مرورا بثنايا الرمل، حيث وصلت القافلة في الساعة الثالثة مساء، وتمركزت على يسار المدينة،[1] وبلغ عدد الطوابير الفرنسية خمسة طوابير كبيرة، بأعداد كثيرة مجهزة بأسلحة مختلفة.[2]

فقد أحاطت القوات الغازية بالمدينة من كل جوانبها و كانت موزعة كما يلي : من الشمال الجنرال يوسف * من الشمال الغربي العقيد ترومليي * من الغرب الجنرال بيليسي * من الجنوب الغربي الجنرال بوسكارين * من الجنوب الشرقي العقيد بان *من الشرق الرائد موران ،[3] وهذا تفصيل لأهم القوات التي حاولت القضاء على انتفاضة ابن ناصر ابن شهرة و احتلال مدينة الأغواط :

- الطابور الأول: إقليم الجزائر المرابط بالجلفة تحت قيادة الجنرال يوسيف، يتكون على الخصوص من: فيلق الرماة الأهالي بالجزائر تحت قيادة العقيد روز (commandant Rose)، والفيلق الثالث من زواف تحت قيادة العقيد باروا (Commandant Barrois)، والفيلق الستون لخط الدفاع للطابور الرئيسي، وثلاث سرايا متكونة من 300 رجل من الفيلق الثاني لمشاة إفريقيا، للكوكبة الثانية والرابعة من الفوج الأول لقناصة إفريقيا تحت قيادة الرائد ليشتلان (Litchtlin) ، ثم كوكبة حربية من السبايس الأول التابعة للنقيبين دي باراي ومارتن (Dubarail et Martin) تحت قيادة رئيس الكوكبة فرانك (Francq)، ومجموعة تابعة لبطارية المدفعية المقبلة للجبال، ووحدة من عشرين نقابا تابعة للهندسة، وفصيلة محاربين تابعة لزمرة القاطرة العسكرية المجرورة، مجموعة فرسان متخصصين في العمليات القتالية (قوم) من الدائرة العسكرية بوغار والمدية، وهو ما مجموعه ألفين ومائتي جندي مشاة (2200) و خمسمائة فارس نظامي (500) وألف ومائتي فارس من القوم (1200).[4]

- الطابور الثاني: مقاطعة قسنطينة المتواجد في بوسعادة تحت أوامر العقيد بين (Pen)، وهذه القوات متكونة من: ثلاث سرايا للفيلق الثالث بإفريقيا وعددها 300 رجل، مع مفرزة من الرماة المحترفين القادمين من قسنطينة بالإضافة إلى 50 جنديا مختصا، 125 فارسا نظاميا (Cavaliers

[1]- ترومليي ، مصدر سابق، ص 102. المزاري، مصدر سابق، ج2، ص 257.

[2]-MANGIN,op.cit, p 309. Chettih Mohammed ,op.cit, p94.

[3] - Chettih Mohammed ,op.cit, p101.

[4]- إبراهيم مياسي، الاحتلال..، مرجع سابق، ص116-117.

de Guerres) من القوات الإضافية الأخرى حيث تم ارسالها عاجلا لتجتمع في مدة أقصاها ثلاثة أيام بمركز القيادة، ثم التوجه نحو المدينة، وقد وصل إلى العسافية يوم 28 نوفمبر 1852.[1]

- ثلاثة طوابير أخرى قدمت من مقاطعة وهران ومنطقة الغرب تتشكل من كتائب وهران ومعسكر وسعيدة، تحت قيادة الجنرال بيليسي، وكانت قوات بيليسي المنطلقة من وهران مكونة من فيلقين اثنين من عساكر زواف، ومن فصيلة الرماة المضادة للمدفعية وأخرى مرافقة، وفصيلة متخصصة من سلاح المدفعية (رماة الجبال)، وسريتان من القناصة الثانية لأفريقيا، وسرية من قناصة أهالي وهران، ومفرزة للأشغال المدنية، أما طابور الجنرال بوسكارين المنطلق من معسكر فهو مكون من فيلق من الصف الخمسين للمقاتلين المشاة، وفصيلة من رماة مدفعية الجبال الخاصة، ومن 400 جندي من الفيلق الإفريقي تمثل ثلاث كتائب متخصصة، ومن خمسة وثلاثين من رجال الإنقاذ ومفرزة للأشغال المدنية، وقد التحم الطابوران في البيض وهو يوازي في قوته وعدده طابور الجلفة.[2]

ومن الجانب الآخر كان رجال المقاومة يتابعون ويترصدون تحركات العدو ويدرسون خططه ويراقبون حشوده العسكرية، معتمدين على الأبراج وأبواب المدينة والأسطح، وعلى أشجار النخيل الباسقات ومن فوق الأسوار وعلى قمة الجبل.

وفي 03 ديسمبر لم يترك بيليسيي في مخيمه إلا الحراسة الضرورية وأخذ كل القوات لتحديد نقطة الهجوم، وتقدم للسيطرة على المناطق الرئيسية رغم إعاقة السكان المدافعين لحركته إذ خسر أكثر من (100) رجل بين قتيل وجريح،[3] وبدأ بضرب المدينة بالمدافع التي أربكت العرب، واستولت كتائبه من الزواف على التلال القريبة من المدينة.[4]

---

[1]- Du Barail , op. Cit. p. 47. Chettih Mohammed ,op.cit, p89.

[2]- إبراهيم مياسي، الاحتلال..، مرجع سابق، ص116-117. عتو بلبراوات، مرجع سابق، ص46. لبتر، مرجع سابق، ص69-70.

3 -Barail, op-cit, p36.

4 -E. MANGIN ,op.cit, p 305-306.

ثانيا: اقتحام المدينة يوم 04 ديسمبر 1852 ومقاومتها العنيفة: عملت الاستراتيجية الفرنسية على تكثيف القصف والتقدم نحو المدينة للضغط على العرب لمغادرة مخابئهم ودفعهم إلى المعارك المباشرة التي يميزها التفوق العددي الفرنسي، بينما هبت البلدة عن بكرة أبيها في وجه الغزاة المحتلين ومعها المقاومون الذين انضموا لهذه الملحمة من كل مناطق الصحراء تقريبا، وتمكنوا من قتل عدد كبير من الفرنسيين منهم ضباط كبار في الجيش الفرنسي على يد المقاومة التي ظلت تدافع بشجاعة فائقة رغم الاختلاف في العدة و العدد، و اعترف الفرنسيون أنفسهم بشراسة المقاومة و قوتها التي انتقلت إلى شوارع المدينة و بساتينها.

1/معارك يوم 03 ديسمبر1852: في صباح 03 ديسمبر بدأت المعركة النهائية بين الطرفين حول احتلال المواقع الاستراتيجية كالتلال المحيطة بالمدينة، ، ثم قرر بيليسيي الهجوم على المحاصرين في التلة الشرقية (كاف الضلعة) مما أجبر المدافعين على تقسيم قواتهم والتراجع نحو الجزء السفلي للمدينة ليبدأ قصفهم بفعالية بسبب الانحدار، كلف بيليسيي العقيد كليرك (Clerc) بالهجوم على المدينة وإنهاء الحصار فعسكر بقواته على سفح الجبال على بعد (600 م) من البساتين والمرابط سيدي الحاج عيسى، وقصفت الأبراج فأطفأت أضواءها على الساعة السابعة مساء، وكلف هذا الهجوم قتيلا و(35) جريحا من الزواف.[1]

أمر الجنرال قواته بمرافقته، للقيام بجولة استطلاعية إلى موقع الهجوم، وفي نفس اليوم تمركزت قوات المقاومة الشعبية على طول السهل بين المدينة ومعسكر قوات الاحتلال، حيث أفزعت الجنرال يوسيف الذي قدم تقريرا مستعجلا للجنرال بيليسي، وفي نفس الوقت أيضا سمع دوي المدفعية وطلقات البنادق فهرع مناديا أنها اشتباكات وقعت عند الباب الغربي للمدينة، حيث كان السكان يطلقون النار على قوات الاحتلال المتواجدة على مقربة من البساتين والمداخل الأخرى، هذه الطلقات أوقفت زحف قوات الجنرال بيليسي فلم يبق للجنرال قائد الحملة الهجومية إلا أن يأمر البطاريات والمدفعية الجبلية بقصف البساتين وأسوار المدينة وتكررت العملية نفسها حول مداخل المدينة، من أجل السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من البساتين المجاورة لحائط المدينة، حتى يتسنى لجيوش الاحتلال تسلق الجدران المحصنة لكي يقتربوا أكثر من الجبل الموجود أمام باب المدينة ثم

[1]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص119.

الاتجاه إلى ناحية السد الكائن بين الأكمه الثانية والثالثة، في اتجاه المدينة التي كانت محروسة من قبل السكان الذين يحسنون التمويه والتمركز وراء الصخور من أجل منع كتيبة الاستطلاع من الاقتراب.[1]

بعد وصول التقارير واطلاع قائد الهجومات على الأوضاع، أرسل الجنرال المكلف بالعمليات كتيبة من الرماة المختصة، لكي تمنع المقاومين من اعتراضهم وتقضي على هؤلاء السكان الثائرين، عند وصول الفوج الأول من جنود الاحتلال تم القضاء عليهم من قبل السكان، أما في الجهة الأخرى فكان الرماة المدعومون بالمدفعية يتسللون ويتسلقون الجدران في محاولة للدخول، وفجأة هجم عليهم رجال المقاومة من الخلف، حيث كان هجوما قويا وغير متوقع تراجع على إثره عساكر الاحتلال مخلفين وراءهم القتلى، حاملين جرحاهم هاربين تاركين للعتاد، أما بالنسبة إلى السكان والمقاومة فقط سقط عدد من الشهداء وسجلت خسائر كبيرة في الممتلكات، ومن الناحية الأخرى كانت المعركة طاحنة بين المقاومة وفصائل الاحتلال التي طلبت المزيد من التعزيزات، إذ تدخلت كتيبة في أعلى الجبل الذي يحوي ضريح الولي سيدي الحاج عيسى، متكونة من زواف (Zouafs) تحت قيادة النقيب بيسيار Bessieres أين التقت بكتيبتين أخريين كانتا قد جاء تا لدعم الهجوم المفاجئ على سكان المدينة الذين كانوا متمركزين وراء الصخور يراقبون تحركات طوابير الاحتلال وفصائل التدخل السريع ودراسة التكتيكات والخطط المستعملة، فقد كانت وراء كل كتيبة فرنسية مهاجمة كتيبة أخرى لحمايتها من الخلف، لتنسحب الأولى تاركة المكان للثانية؛ وعند عودة الكتائب الأولى تراجعت القوات الفرنسية الخلفية إلى الوراء لإعادة التنسيق، وعاد رجال المقاومة بقوة للهجوم على الكتائب المتقدمة واشتد القتال وتعالت الأصوات هاتفين بالنصر أو الشهادة.[2]

عندما أحس الجنرال الأعلى للقوات الفرنسية بالفشل من خلال المحاولات المتتالية، أرسل كتيبة ثانية من جنود زواف وكتيبة أخرى للرماة القنابل اليدوية من الصف الستين، لكي ترعب السكان وتفرقهم وتستهدف رجال المقاومة المتمركزين فوق الجل ووراء الصخور من الناحية اليمني؛ وعلى الرغم من المقاومة الشديدة والاقتتال العنيف وصمود السكان الذي دام عدة ساعات استطاعت قوات الاحتلال اقتحام الموقع والتمركز فوق ضفة الجبل لبضع ساعات، ونظرا لاستمرار المقاومة في الدفاع

[1]- ترومللي ، مصدر سابق، ص102. مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص106.

[2]- المزاري، مصدر سابق، ج2، ص257. مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص107.

عن الموقع، حيث شكلت خطرا كبيرا على الاحتلال الذي يئس في هذه المحاولة، أعطى القائد العام للقوات الفرنسية تعليمات بالتراجع بحذر والانسحاب الفوري إلى الوراء خوفا من هجوم قد يقع من قبل المقاومة؛ ودامت عملية الانسحاب طوال الليل ، إذ خلفت هذه المعركة خسائر معتبرة في صفوف عساكر الاحتلال تمثلت في وفاة ضابط سام، وجرح سبعة ضباط صغار، وقتل ثمانية جنود، وجرح 60 آخرين، حسب تصريح قائد الهجوم.[1]

وصلت طوابير الجنرال بوسكارين (Bouscarin) في نفس اليوم بعد منتصف النهار بثلاثين دقيقة، ليجتمع القائد العام مع نقباء الهندسة ورماة القذائف والمدفعية لكي يستشيرهم ويبدوا آراءهم حول خطة الهجوم القادم، فأشار عليه نقيب الهندسة بأن يشن هجومه حينا وبسرعة، لأن رجال المقاومة لايزالون يسعفون جرحاهم وينقلون موتاهم، ويخرجون أهاليهم من تحت الأنقاض (الردم) وأشار بأن تكون هذه الضربات متتالية وبقوة فاعلة على مستوى الربوتين اللتين تطلان على المدينة من الجهتين الشرقية والغربية، لأن الأرضية المجاورة كانت محاطة ببساتين تصل إلى غاية الجدران الخارجية للمدينة، وكان يستحيل على الاحتلال اقتحام المكان؛ هذا ما اجتمع عليه قادة العدو من أجل رسم خطتهم الجديدة وقطع أنفاس السكان وئم يبق لهم سوى الهجوم من الناحية الشرقية.[2]

كان هجوم الطابور الأول بقيادة بوسكارين ونائبه العقيد كلير (Cler) والنقيب بيرنو (Burnon)، في الساعة الرابعة كانت كتائب المشاة تعمل في جنوب المدينة، تحفر الخنادق وتضع الحواجز مدعومة بالفيلق الثاني وبحوالي 600 عنصر من السبايس.

وفي الساعة السادسة تقدمت الكتيبة الثانية لزواف نحو الربوة المطلة على المدينة، وبعد ساعة التحقت بها الفصيلة العسكرية الثانية المدفعية الجبال لتتموقع على بعد حوالي خمسين مترا ليبدأ القصف العنيف على المدينة.

وفي الساعة الثامنة أوشك طابور الاحتلال أن يستولي على ساحة ضريح الولي سيدي الحاج عيسى فتصدت له المقاومة بكل قوة حتى تقهقر وفشلت الهجومات العنيفة، فجاءها المدد بأربع كتائب من زواف: كانت اثنتان من فوج النقيب فرانتزا (Frantz) وبيسيار (Bissierre) والثالثة والرابعة من

[1]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص119. مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص108.

[2]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص119. مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص108.

كتيبة الفيلق الثاني – الفوج الثاني من زواف للنقيبان بانون (Banon) ولوير (Louir) اللذين وضعا تحت قيادة العقيد موران (Morand). أما كتيبة العاملين في الفيلق الأول الافريقي وفصيلتان من نقابي الهندسة ونقابان أخران مساعدان فقد ضم هؤلاء إلى النقيب بيرنو (Burnou)؛ وأما النقابون المهنيون المتخصصون فيعمل كل واحد منهما بلوازمه الخاصة وكيس من التراب، أما فصيلة الاقتحام الجبلية فكانت تتبع تحركات رجال المقاومة القائمين بالحراسة على مستوى الجبل ووراء الضريح؛ كما أعطى القائد الفرنسي تعليمات في جدول الأعمال اليومي بأن لا يردوا على نيران المقاومة، وكانت هذه خطة مدروسة بإحكام حتى يخرج المقاومون ويتركوا أماكنهم شاغرة، وكانت هذه هي التعليمات الصادرة عن العقيد كلير (Cler).[1]

وقد خلف هذا الهجوم قتيلا وثلاثة جرحى في صفوف كتيبة الزواف الثانية؛ أما كتيبة الزواف الأولى فسجلت بها خسائر معتبرة في العتاد؛ بالإضافة إلى ثلاثة قتلى من بينهم النقيب فرانتز (Frantz) و32 جريحا من بينهم النقيب بيسيار (Bissiere) وملازم القيادة العليا بوكي (Boquet) والملازم الأول وميار (Romiere). وقد جاءت هذه الاحصائيات على لسان قادة الفصائل الذين نظموا هذا الهجوم الخاص.

بعدها تم فتح جبهة ثانية باتجاه ضريح الولي سيدي الحاج عيسى من قبل نقيب الهندسة برينو (Brunon)، ثم تدخلت كتيبة أخرى بجوار الضريح متكونة من عساكر مهنيين متخصصين ونقابين من فصيلة الهندسة؛ وبعدها مباشرة تدخلت فصيلة القوات الجبلية للمشاة الخاصة ضمن الكتائب الأخرى التي كانت قد نصبت كمينا لرجال المقاومة من وراء الصخور.. كل هذه الاجراءات الاستثنائية اتخذت من قبل نقيب الهندسة الذي ظهر مكشوفا تحت نيران أسلحة المقاومة الشعبية الصامدة في كل جهات المدينة، والتي كانت ترصد تحركات العدو الذي كان يصدر في كل مرة تعليمات موازية ومضادة؛ فكانت تكشف خططه وتسقط محاولته، واستمرت العمليات والمعارك حتى الساعة الثانية صباحا من دون انقطاع، إذ كانت ليلة مرعبة بالنسبة إلى سكان المدينة. وفي نفس الوقت كانت ليلة سوداء وهزيمة نكراء لعساكر الاحتلال، وشل من خلاله الطابور الأول.[2]

[1] - Chettih Mohammed ,op.cit, p102-105.

[2] - إبراهيم مياسي، الاحتلال..، مرجع سابق، ص 119-120. مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص109-113.

ثم نظم العدو هجوما ثانيا من الناحية الشرقية لكاف الضلعة وآخر بالجهة اليمنى التي كانت محاطة محصنة ومبنية بالصخور الحادة والمقطعة كالسكاكين، لمنع العدو من التسلق، وهي كذلك صعبة وجد مرتفعة بحيث يستحيل تسلقها أو اجتيازها .. وفي هذا الهجوم استعمل قائد العمليات العسكرية المتقدمة المدفعية الثقيلة التحطيم الحواجز وأرسل على إثرها قوات التدخل السريع تحت غطاء الرماة المتخصصين المكلفين بتمشيط البساتين وحرقها، وكان يظن أن هذا الاقتحام المفاجئ سيؤثر على المقاومة ويدفعها إلى ترك مواقعها في أعلى الجبل ويؤدي إلى انسحاب صفوفها المتقدمة إلى الأسفل؛ لكن قادة المقاومة كانوا على يقظة تامة ودراية بمكائد العدو وخططه، فثبتوا في أماكنهم، ودعموا صفوفهم متوكلين على الله هاتفين بالنصر أو الشهادة.[1]

كانت المحاولة الأولى للقائد العام الفرنسي فاشلة وخاسرة، بعدها كلف نقيب الهندسة برينو (Brunon) بالهجوم من الجهة الغربية تحت قيادة نقيب الهندسة الثاني سونجال (Sandjal)، وكلف الجنرال يوسيف (Yussuf) بهجوم مماثل من الجهة الشرقية في نفس الوقت، ليكون الضغط على المقاومة، وعندما سئل نقيب المدفعية عن رأيه في هذا الهجوم صرح بأنه من الأحسن أن يكون مكان المدفعية فوق الربوة الشمالية وراء ضريح الولي الحاج عيسى، لكي يستطيع قصف الجهة الجنوبية، لكن القائد العام فضل تمركز المدفعية فوق أرضية ضريح الولي سيدي الحاج عيسى لكي يقصف الجهتين: الربوة والبساتين.[2]

في الصباح الباكر أعد النقيب "بيرنو" تقريرا مفصلا وقدمه للجنرال "بوسكارين" الذي أمر بتزويده بكتيبة لربط الجبهات الأخرى، فوضعت قطعة المدفعية رقم 08 فوق ضريح الولي سيدي الحاج عيسى، وقطعة المدفعية رقم 15 وراءها. وفي الساعة السادسة صباحا كانت قوات الاحتلال تحاصر كل الأماكن المجاورة لمداخل المدينة، وبدأ الجنود في حفر الجدران للتوغل إلى الداخل حتى تمكنوا من الدخول إلى المدينة في السادسة صباحا من الرابع ديسمبر.[3]

---

[1] - Chettih Mohammed ,op.cit, p107-109.

[2] - مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص118-119.

3 -E. MANGIN ,op.cit, p 307-312.

معارك يوم 04 ديسمبر 1852م: في يوم 04 ديسمبر سارت كل الحشود العسكرية الإضافية المخصصة لهذا الهجوم في اتجاه المدينة، لكي تتوغل على الضفة اليمني الوادي مزي أمام البساتين التي تغطي السهل الجنوبي للمدينة، في مكان تستطيع منه أن تدافع عن نفسها،كان لهجوم كاف الضلعة أهمية كبرى، لكونه ترتكز عليه كل العمليات الأخرى، نظرا لأهمية المكان لعدة أسباب، منها: قربه من باب المدينة، وكونه مكانا عاليا مطلا على المنازل، و كونه مكانا متسعا للعساكر، فلهذه الأسباب كلفت به وحدات متخصصة ذات أسلحة متطورة ومتنوعة، لكن المقاومة الشعبية كانت قد أخذت كل التدابير والاحتياطات اللازمة لمواجهة هذا الهجوم المباغت والسريع، فكانت عساكر الاحتلال كلما تقدمت فوجئت برد عنيف من المقاومة، لتعيد على إثره عساكر الاحتلال انسحابها إلى الوراء من أجل استدراج المقاومين ومباغتتهم، وقد دامت العملية عدة ساعات في تقدم وتأخر وكر وفر، وعند كل انسحاب تستنجد بقوات أخرى من الفيالق الإضافية مخلفة وراءها الكثير من الخسائر.[1]

بدأت عملية القصف بمدفعيات الجنرال "بيليسي" متزامنة مع انطلاق القوات المخصصة للهجوم من الضفة اليمنى لوادي مزي؛ وكان الجنرال قد خطب في القوات المهاجمة وبين لهم بأن المهمة صعبة، وأنهم سيواجهون أكبر قوة وقفت في وجه الدولة الفرنسية، وأبلغهم بأن منازل المدينة وأسوارها صعبة الاقتحام والتسلق، وأن الدوائر مسننة ذات شفرات حادة، والجدران مرتفعة، ولكن لابد من التسلق لاحتلال المدينة فقد كانت ربوة كاف الضلعة الدائرية الشكل، والأماكن العالية والبساتين المحيطة بها عليها حراسة مشددة من قبل السكان الذين التزموا الصمود حتى الموت.

ومنذ الفجر وإلى غاية الساعة العاشرة صباحا أسفر هجوم الجنرال "بيليسي" على انهيار الحائط المجاور للثغرة التي خلفتها المدفعية خلال الهجوم السابق،[2] ومن ثم تسللت القوات الخاصة إلى أعلى كاف سيدي الحاج عيسى؛ وعند الإشارة الثانية تقدمت قوات الجنرال "يوسيف" إلى كاف الضلعة، وفي هذه الأثناء تلقت القوات الفرنسية الأمامية أقوى رد جاء من داخل البساتين ومن زاوية الربوة ومن كاف الضلعة، واندفع فيه السكان واشتدت المعركة وزادت الهجمات ورد المقاومة عليها.[3]

---

[1]- عتو بلبراوات، مرجع سابق، ص46.

[2]- ترومللي ، مصدر سابق، ص103.

[3]- المزاري، مصدر سابق، ج2، ص 257. إبراهيم مياسي، الاحتلال..، مرجع سابق، ص121.

في الساعة السابعة صباحا وأثناء الاقتحام دفع القائد العام بقوات أخرى خاصة من أجل حماية القوات الأمامية من نيران المقاومة التي لم تنقطع وازدادت كثافة مع طلوع الفجر، وفي تلك اللحظة كان الجنرال بوسكارين وأعضاء القيادة العامة فوق الجبل أين تلقوا هجوما دفاعيا عنيفا هز أركان المدينة، حيث كانت طلقة موحدة ومنسجمة من بنادق المقاومين أصابت إحداها فخذ الجنرال بوسكارين فكانت الضربة التي تسببت بوفاته بعد ذلك،[1] وقد كثف الفرنسيون من هجوماته على الدائرة الأفقية، وعلى الجهتين اليمنى واليسرى، وبين الدائرتين أين ردت المقاومة بشدة كالصاعقة؛ وكان هدف هذا الرد دفاعيا وهجوميا في نفس الوقت لتكسير تمركز مدفعية العدو وتصويب طلقاته نحو الدائرة اليسرى حتى يتسنى لمدفعية المقاومة تصويب طلقاتها فوق الدائرة الأفقية لصد هجوم عساكر الاحتلال، وفي هذه المحاولة الأولى جرح الملازم أرنو (Arnaud) وقتل عدة جنود فرنسيين بالإضافة إلى الخسائر المادية مع إحباط معنويات قادة الحملة، وعندها استخلف العقيد كلير الجنرال بوسكارين وأعاد تنظيم الهجوم مرة أخرى بطريقة جديدة على حافة الجبل لكي يتجنب رد المقاومة المكثف، بعد أن كادت أن تقضي عليه في تلك اللحظة لولا تدخل المدفعية لحمايته.[2]

أثناء المواجهات دعمت القوات الفرنسية هجوماتها بكتائب أخرى إضافية من الفيلق الثاني وزودت بوحدات من الرماة المتخصصين بالإضافة إلى زمرة من السبايس، فضلا عن قوات أخرى إضافية للتدخل السريع الترد على هجومات السكان، وعلى إثرها تدخلت كتيبة أخرى خاصة تحت قيادة العريف لافيت (Lavite) لتدخل البساتين وتحطم الحواجز لفتح الطريق أمام المدفعية، ولم تلبث هذه القوات طويلا حتى تلقت ردا سريعا وعنيفا من المقاومين المتمركزين على مستوى البساتين، ومن داخل الخنادق ووراء الحواجز، حيث لم يستطع الاحتلال رصد مواقعهم ولا معرفة عددهم ولا عدتهم ولا حتى اتجاههم، وقد سقط على إثره عدد كبير من جنود الاحتلال من قتلى وجرحى وسجلت خسائر أخرى في العتاد، كما كانت خسائر المقاومة بليغة تتمثل في سقوط عدد من الشهداء بالإضافة إلى الجرحى والأسرى وتدمير البساتين والسكنات حيث كان العدو قد استعمل المدفعية الرد هجوم المقاومة وحرق كل ما وجده في طريقه، لذا أمر قائد الهجوم بتدخل قوات أخرى، بينما انسحب

1 -E. MANGIN ,op.cit, p 313. دحدي سعود، مرجع سابق، ص ص 140. ترومللي ، مصدر سابق، ص102-103. عتو بلبراوات، مرجع سابق، ص46.

[2]- إبراهيم مياسي، الاحتلال..، مرجع سابق، ص121. مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص122-123.

رجال المقاومة من الباب الشرقي إلى وسط المدينة للالتقاء بقادتهم وتقديم تقاريرهم حول العمليات العسكرية الأخيرة وكيفية التصدي للعدو، أما طوابير العدو فتجمعت على طول الحائط المحاذي لدائرة سي عبد الله عند الباب الشرقي، أين فوجئوا من جديد بهجوم دفاعي نظمته المقاومة، وهجوم آخر من داخل البساتين ومن الدائرة الأخرى، وكذلك من المنازل الخارجية وكان رد عساكر الاحتلال أعمى وانتقاميا في كل مرة، فسقط الشهداء من رجال ونساء وأطفال،[1] وأثناء المعركة كان الملازم الفرنسي فيرسيني (Vercinni) مسؤول فصيلة عمال الخط الستين المختصة يحاول اقتحام الباب الشرقي. ومن جهة أخرى كان الملازم (سونجال) من قوات الهندسة يعمل تحت نيران البنادق لفتح ثلاث ثغرات على مستوى حائط المدينة الموالي له، أي ثغرة قرب دائرة سي عبد الله، وكان الأخرون في الجهات الأخرى، واستمرت المدفعية في القصف وعساكر الاحتلال في تحطيم الجدران بالفؤوس لفتح ثغرات وممرات كبيرة تساعدهم على دخول المدفعية والآليات للمدينة، كما استعملت السلالم للصعود فوق سطوح المنازل المتواجدة فوق الجبل والسطو على الأماكن الأشد حراسة حيث كانت عائقا وحاجزا منيعا في وجه الاحتلال.[2]

وفي الساعة الحادية عشرة كانت الثغرة التي خلفتها ضربات المدفعية داخل السور تتسع لحوالي 35 مترا، حيث أمر نقيب الهندسة ببناء محطة متعددة الخدمات اختصاصها إعطاء الضوء الأخضر للهجوم وتزويد القيادة بآخر التطورات، وعند تقدم الجنديين الأولين اللذين كلفا بالبناء قتلا على الفور، وجرح عدد كبير ممن كانوا خلفهم، وفي هذه اللحظة قدم الجنرال "يوسيف" طابورا آخر قويا للهجوم يتكون من اثنتي عشرة كتيبة من زواف ، ثم قام بنشر الفوج الثاني وهو فصيلة عمل تحت قيادة النقيب بيرنو من مجموعة الهندسة التي كانت تسير مع الطابور، وفي هذه الأثناء كان الجنرال يوسيف في معركة طاحنة شمال المدينة والتي كانت قد بدأت في نفس التوقيت مع المعركة الجنوبية، أما طابور الجهة اليمنى فقد دخل المعركة في نفس التوقيت متسللا داخل الواحة والبساتين الملتصقة بالمدينة، وكانت هذه خطة هجومية شاملة من الجهات الأربع، ومن فوق الجبل لكي تشل صمود المقاومين، لكن رجال المقاومة كانوا على علم ويقظة تامة بخطط الاحتلال فكان الرد قويا على

[1] - Chettih Mohammed ,op.cit, p113-114.

[2] - عتو بلبراوات، مرجع سابق، ص46. مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص123.

مستوى الجهتين واستمرت المقاومة تطلق نيرانها في جميع الاتجاهات، مخلفة خسائر في صفوف طوابير الاحتلال التي كانت تتراجع وتسقط بالعشرات بين قتلى وجرحى.[1]

وأعادت عساكر الاحتلال هجوماتها من جديد زاحفة إلى الأمام مدججة بالأسلحة الثقيلة والمدفعية والقنابل اليدوية وغيرها ، حتى وصلت سور المدينة، وكان هذا الزحف بقيادة الجنرال "بيليسي" متبوعا بالقيادة العليا ؛ ثم تدخلت قوات أخرى من 12 كتيبة مصحوبة بقوات أخرى السطو مستعملة السلالم في الأماكن العالية والتسلل بداخل الثغرات التي خلفتها قذائف المدفعية على مستوى الجدران، حتى يتمكنوا من الوصول إلى أعلى الجبل،[2] بينما كان توغل عساكر الاحتلال على قمة الجبل المطل على المدينة والساحات المحيطة بها قد كلف الغزاة الفرنسيين ثمنا باهظا في الأرواح والعتاد، وهذه الضربات كلها لم تخف السكان ولا رجال المقاومة الذين بقوا متمركزين على مستوى الأحياء وفي البساتين وعلى مستوى واحات النخيل يدافعون بكل شجاعة وقوة، وجها لوجه مع عساكر الاحتلال، وفي هذه الأثناء تلقى قائد الهجوم الفرنسي حشودا عسكرية إضافية تلت الأخرى، وازدادت الخسائر في صفوفه.[3]

كان رجال المقاومة يتلقون تعليمات صارمة من أجل تشديد الحراسة والمكوث بأماكنهم وتوجيه الضربات المعاكسة ومباغتة خطوط العدو الأمامية لمنعه من التمركز وأخذ مواقع متقدمة وكان قادة المقاومة يلحون على السكان أن لا ينظموا الهجومات إلا بأمر من قادتهم وأن يلزموا أماكنهم حتى تأتي اللحظة المناسبة ليكون الرد قويا ومتناسقا، أما عساكر مجموعة المطاردين والسبايس والقومية التابعين الطوابير الاحتلال المتكونة من الفصائل المجتمعة حول المدينة والبساتين الحماية مؤخرة القوات الفرنسية المتقدمة وصد هجومات المقاومة المباغتة وإفشال تسلل بعض السكان الذين كانوا يقومون بعمليات فدائية، فلم تستطع هذه القوات تخويف السكان ولا رد هجومات المقاومة ولا حتى إسكات هتافات النساء وزغاريدهن التي كانت تعلو فوق رؤوس الزعماء أمثال سي الشريف وابن الناصر بن شهرة ويحي والتلي بن لكحل وهم ينتقلون في وسط المدينة من جهة إلى أخرى،[4]وقد كلف دخول

[1]- إبراهيم مياسي، الاحتلال..، مرجع سابق، ص122.. بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص150.

[2]- E. MANGIN ,op.cit, p 313-315.

[3]- مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص123.

[4]- إبراهيم مياسي، الاحتلال..، مرجع سابق، ص122.

القصبة لوحدها كلف العدو 60 قتيلا ومئات الجرحى وإصابة العقيد موران بجروح خطيرة مات على إثرها فخلفه أخوه لويس برتبة ملازم في نفس المجموعة الذي أصيب هو كذلك بجروح في نفس اليوم، علما بأن مدفعية الاحتلال كانت تصب قذائفها على منارات المساجد الشامخة حيث تم تحطيمها عن آخرها؛ ومن بين هذه المساجد المسجد العتيق في أعلى الجبل ومسجد الخليفة.[1]

وبعد احتلال قصبة بن سالم بقليل وصل الجنرال بيليسيي وأعطى تعليمات صارمة لإنهاء الاحتلال وتمشيط وسط المدينة، وتكبد الاحتلال الفرنسي خسائر جد معتبرة في الأرواح، أما التعليمات الجديدة التي أصدرها القائد في ذلك اليوم فهي اجتياز جدران المدينة الشمالية واحتلال الساحة، والهجوم على البساتين، والقضاء على كل رجل أو امرأة من المقاومة، وكل من يساعدهم من السكان حتى الأطفال، فكانت تعليمات القائد العام الفرنسي صارمة وهي البدء بالسيطرة على رحبة الحمامات الواقعة وسط المدينة، في تلك اللحظات كانت المقاومة في دفاع وصمود حرب الشوارع والصرخات تعلو من السكنات المجاورة، والجثث تحت الأنقاض؛ فكان المشهد رهيبا من جراء القصف والحرائق ووحشية عساكر الاحتلال؛ في حين تجمع الخيالة حول الواحة للقبض على الفارين ، وقد تحول القتال إلى الشوارع وسط المدينة وظهر رجال المقاومة من جديد في الساحات واستمرت المعركة إلى غاية الساعة الثانية زوالا[2]، وتمت السيطرة على الوضع بعد أن دُكت دار الخليفة القديم (دار الصفاح) التي كانت آخر ملجأ محصن للعرب، وعلى بابها التقت فرقة المدية بفرقة وهران، والتقى الجنرال يوسف بالجنرال بيليسيي على سطحها في منتصف النهار،[3] وجرح الشريف مُحَمَّد بن عبد الله و أخرجه ابن ناصر ابن شهرة من الحصار المفروض على المدينة دون أن يعلم الجيش الفرنسي.[4]

[1]- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[2] - E. MANGIN ,op.cit, p 318.

3 -Barail , op-cit, p 37-38. . بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص150. .

[4]- إبراهيم مياسي، الاحتلال..، مرجع سابق، ص123.

ثالثا: أبعاد الجريمة الفرنسية في المدينة: إن سقوط مدينة الأغواط في أيدي الاحتلال الفرنسي خلف صدى كبيرا على مستوى الصحراء، وأصبح يقال لدى القبائل الصحراوية بأن فرنسا احتلت أو ربحت جزائر ثانية في الجنوب، [1] بينما يصفها ترومللي بقوله: " العاصمة القديمة للصحراء الجزائرية.."[2]

و قد ارتكبت فرنسا أبشع الجرائم عند احتلالها للمدينة، فقد عاث الجنود الفرنسيون بالمدينة لأكثر من أسبوع كانوا ينتقلون من بيت إلى بيت و يطلقون النار دون أي تمييز و ينهبون و يسلبون الأثاث و النقود و الحلي[3] و يحرقون المؤونة و لم تسلم حتى الكتب التي في الدور أو المساجد التي دمر اثنان منها و حول الثالث إلى إسطبل للحيوانات أما الرابع فقد حول إلى كنيسة أما من بقي حيا من السكان فقد وضع لهم محتشد كبير عانوا فيه الجوع و المرض و المهانة كأنهم حيوانات ، و منهم من استطاع الفرار إلى خارج الحصار ، أما أكبر جريمة ارتكبتها القوات الفرنسية فهي جمعها لأعيان المدينة وبعض الأسرى و وضعتهم في أكياس أغلقت عليهم ثم أحرقتهم قرب وادي مزي ورمت ما يقارب 256 جثة في آبار المدينة، لقد كانت المجزرة رهيبة جدا في أوساط السكان داخل المنازل وفي الشوارع وعلى مستوى خيم رجال المقاومة والمتطوعين القادمين من العروش والمناطق المجاورة، إذ اكتظت بها الساحات والشوارع، وقد دمرتها قذائف مدفعية الاحتلال، أما الأفنية والبيوت فهي كذلك مغطاة بالقتلى.[4]

هذه الجرائم المرتكبة يشهد بها الفرنسيون أنفسهم ، فأحد الضباط المشاركين في الحملة يقول " : حمل جنودنا على البلدة من كل صوب ... لا يخامرهم أدنى تردد في الفتك بكل من يعترض سبيلهم أو يحاول مقاومتهم مستخدمين كل ما لديهم ... و تم القضاء بالسلاح الأبيض على من تبقى من المقاومين " .. و يقول مرة ثانية ..." : المجزرة كانت رهيبة و الأزقة مغطاة بالجثث ... كان الجنرال بيليسي في أتم الابتهاج و الفرح و على جماجم هؤلاء احتفل بالنصر حيث فرشت الزرابي الفاخرة

---

1 -E. MANGIN ,op.cit, p 323-325، مرجع سابق، ص**الاحتلال**..، إبراهيم مياسي،

[2]- ترومللي ، مصدر سابق، ص554.

[3]- بنيامين كلود برووز، مرجع سابق، ص 151. حمد عيساوي و نبيل شريخي، **الجرائم الفرنسية في الجزائر 1830-1871**، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص130.

[4] - Dermengham, ,op.cit, p.148. Du Barail , op. Cit. p.51. E. MANGIN ,op.cit, p323. . .152بنيامين كلود برووز، مرجع سابق، ص

وسط المدينة و تناول عليها غداءه و هنأ ضباطه على انجاز المهمة ، ومما جاء في مذكرات " النقيب دوباراي : " إن الجنرال بيليسي اتخذ بعد المجزرة قرارا بهدم المدينة و اقتلاع نخيلها و ترحيل من بقي من السكان إلى منطقة أخرى في الجزائر[1]، كما يصف الكاتب الفرنسي فرومنتان عند زيارته للأغواط بعد ستة أشهر من المعركة بأنه وجد المدينة ما زالت تفوح في جنباتها رائحة الجثث المتعفنة ، وأن الكلاب تأتي ليلا لنهش أشلائها و يواصل قائلا ": جميع الأملاك المصادرة وضعت مؤقتا في عهدة حارس قضائي أما فيما يخص تلك الغنائم العظيمة من السجاد و الأسلحة و الحلي فيمكن القول أنه لم يبقى منها شيء في الأغواط...كل البيوت فارغة ، من أفقرها إلى أغناها" .[2]

وجاء في أحد المقالات العسكرية أن الغربان شوهدت وهي تحوم في سماء المدينة تترصد الجثث، لقد قام عساكر الاحتلال بقتل كل من وجدوه في طريقهم من أطفال ورجال وشيوخ، وقاموا بطعن النساء بالحراب، أما من نجوا من الموت من السكان فهربوا واختبأوا داخل البساتين وبقوا هنالك يعانون الشدائد لعدة أيام، وبعد تفاوض و تعهدات من السلطات الاستعمارية الفرنسية سمح لهم بالعودة.. وفي ظل كل هذه الأحداث والمعاناة لم يستطع النسوة الصراخ والبكاء أمام المجرمين خوفا من تعذيبهم وتقطيعهم أحياء.[3]

ذهب ضحية هذه المواجهة ضد الفرنسيين 2500 شهيد من أهل البلدة والمقاومين من مجموع 3600ساكن أي أكثر من ثلثي السكان، بالإضافة إلى العدد غير المحدود من الجرحى، بالإضافة إلى عدد المنكوبين والمفقودين، في حين أن ترومللي يورد رقما مهولا ويبدو أنه مبالغ فيه ولكنه يعبر كثرة الشهداء حتى بحسب التقديرات الفرنسية، يقول ترومللي: " اثني عشر ألف عدوا ماتوا في هذه المعركة التي أفزعت نتائجها الصحراء.." [4]و دامت الهمجية الاستعمارية تعيث قتلا و فسادا في المدينة أكثر من ثمانية أيام بعد سقوط الأغواط يوم04 ديسمبر1852 م، و بالفعل أصبحت المدينة مخربة

1 -Barail , op-cit, p38 .

[2] - Fromentin , op. Cit. p.87,

[3]- بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص 151. مُحَّد علي دبوز، مصدر سابق، ص235. إبراهيم مياسي، الاحتلال..، مرجع سابق، ص124.

[4]- ترومللي ، مصدر سابق، ص103.

و محطمة، لقد هربت الكلاب من المدينة بسبب الخراب الذي أصابها، والتجأت إلى تلة قريبة أصبحت تسمى منذ ذلك الوقت ب "كاف الكلاب. [1]

لقد خطط الجنرالات الفرنسيون لتحطيم المدينة وكان برنامج الجنرال بيليسي وخطته هي أن يحطم معنويات بني الأغواط بهدم المنازل عن آخرها باستعمال المتفجرات وقطع الأشجار وتحويل السكان المناطق أخرى من الجزائر. وكان كل صباح يرسل عمالا مسخرين لقطع النخيل وتهديم أسوار البساتين، ومن ثم يتم بناء ثكنة بالأراضي الفلاحية وتخصيص أماكن للعسكرة بجوارها وإنشاء محتشدات ومعتقلات أولا، وأثناء الأشغال تدخل الجنرال روندن (Rondon) مراسلا الجنرال ريفي (Rivet) مسؤول القوات العليا المكلف بالقوات الإفريقية ليطلب منه أن يأتي ويلاحظ بنفسه طبيعة الأشغال وما يفعلونه في المدينة، وبعد وصول هذا الأخير وبعد معاينة الأماكن أعطى أمرا بإلغاء كل الأعمال وأن يكتفي بإعلان الأغواط مدينة محتلة نهائيا؛ وعين الجنرال دي باراي حاكما للمنطقة.

بعد السيطرة على المدينة بدأت عملية تنظيف الشوارع وجمع رفات الشهداء ودفنهم، وقد استغرقت العملية وقتا طويلا، فلقد كان المشهد مروعا وكانت المعارك دامية استعملت فيها قوات الاحتلال عدة فيالق خاصة ومتخصصة، مع الالاف من الأفراد وقذائف المدفعية في اليوم الواحد. ويذكران قادة الاحتلال اعترفوا بأنهم استعملوا كل الوسائل المدمرة الخانقة والحارقة للاستيلاء على المدينة.[2]

---

[1]- فون مالتسان، مصدر سابق، ص211. إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص124. علالي، مرجع سابق، ص49- 50. أنظر أيضا:

Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat et ses merveilles**.., Op.Cit, p 135.

[2]- يثار جدل بين الأساتذة والباحثين في الأغواط حول قضية استعمال غاز الكلور في الأغواط، وهذه القضية تثير جدلا حادا كل ما حلت ذكرى الرابع من ديسمبر بين مؤيد ومعارض، ولأن التقارير الفرنسية لا تشير صراحة إلى استعمال الكلور بل تلمح لإمكانية من هذا القبيل، إضافة إلى ثبوت وجوده ضمن الكتائب المقتحمة للأغواط وذلك للاستعمالات الطبية، وقد حضرت وخضت جانبا من هذه النقاشات بصفتي رئيس المجلس العلمي لمتحف المجاهد بالأغواط، وأنا من أنصار استعمال التقنيات الحديثة لإثبات النظرية وهذا بعد استفساري لبعض أساتذة الكيمياء حول مدى إمكانية بقاء أثر للكلور بعد مرور هذه السنوات، فكانت إجابتهم بأن استخراج رفات الشهداء من مقبرة شهداء 1852، وأخذ عينات مخبرية منها يمكن أن تثبت أو تنفي فرضية استعمال الكلوروفور، ولكن عملية مثل هذه تحتاج إلى قرار سياسي لأن المس بمقابر الشهداء يحتاج إلى موافقة من وكيل الجمهورية حسبما يوضح أساتذة القانون.

يشير أحد القادة الفرنسيين أن عملية دفن رفات الشهداء والموتى استغرقت أكثر من سبعة أيام، وعندما وبخ بيليسي جنوده بسبب البطء في عملية الدفن أجابه أحد ضباطه بالقول: "لا يمكننا دفن الموتى بمثل السرعة التي قتلتهم بها"[1]، وجاء في إحدى المقالات أن خسائر الاحتلال الفرنسي بلغت 1200 بين جريح وقتيل، من بينهم عشرة من كبار الضباط الفرنسيين من مختلف التشكيلات والفصائل والفيالق والأسلحة والأعمار، من بين حوالي 7375 عسكري حشدها الاحتلال لمواجهة المقاومة بالمدينة[2].

وتذكر الروايات الشعبية أنه بعد احتلال المدينة مباشرة بدأت عملية التصفيات من قبل الاحتلال وذلك بقتل الأطفال الذكور، فاهتدى السكان إلى فكرة لإنقاذ أبنائهم، وهي ثقب آذان الأطفال وجعل (حلقة، علاقة) بها وألبسوهم فساتين (روبة) ووضعوا عليهم الوشم، وقاموا بتغطية رؤوسهم (وضع محرمة)، ووضعوا لهم الكحل في العينين حتى لا يشك فيهم عساكر الاحتلال، ومن هنا جاءت فكرة العياشة حسب الروايات.[3]

رابعا: محاولة استرجاع المدينة بعد هذه المأساة الكبيرة تمكن المقاومون من الانسحاب إلى ورقلة مركز القائد الشريف مُحَّد بن عبد الله و أثناء عودتهم إلى هناك لحق بهم العميل حمزة على رأس بعض القومية ، فتصدى له ابن ناصر و هزمه في أكثر من موقعة. [4]

وبعد أن شفي من جروحه استأنف مُحَّد بن عبد الله نشاطه الثوري، و في ورقلة عقد المجاهدون بتاريخ 23جانفي 1853 مجلس حرب بالرويسات وذلك بعد التطورات التي حصلت ، وتم إعداد خطة جديدة تهدف إلى استعادة مدينة الأغواط بعد جمع وتجنيد المجاهدين من المناطق المجاورة و بذلك تم تشكيل ثلاث فصائل كما يلي :

---

[1]- . بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص152.

[2]- جمال خرشي، مرجع سابق، ص190-191. عتو بلبراوات، مرجع سابق، ص47-49.

[3]**– العياشة:** هي عادة شعبية في منطقة الأغواط يقصد بها ثقب أذن المولود الذكر أسوة بالأنثى، وهناك اختلاف حول أصل هذه العادة، بحيث يرجعها البعض إلى عام الخلية.

Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat dignité**.. , Op.Cit, p109.

[4]- بوقرين، مرجع سابق، ص76.

*الأولى بقيادة الشيخ ابن ناصر بن شهرة و انطلقت بتاريخ 13 مارس باتجاه جبل بوكحيل لكسب تأييد قبائل المنطقة و معاقبة الموالين لفرنسا .

*الثانية بقيادة الشيخ الشريف مُحَمَّد بن عبد الله و التي اتجهت نحو قصر للماية غرب الأغواط قصد جمع كلمة سكان المنطقة و الدعوة إلى الجهاد، حيث خرج في مطلع 1853 على رأس قبائل الشعانبة والأرباع والحرازلية واستولى على مواشي في جنوب الزيبان الخاضعة للقائد الحاج أحمد بن قانة المتعاون مع فرنسا، كما قام بهجمات برفقة سي النعيمي ولد سيدي الشيخ على المنطقة المحصورة بين الأغواط والبيض والاستيلاء على مواشي أولاد سعد ابن سالم التابعة لأولاد نايل.[1]

*الثالثة كانت بقيادة الشيخ التلي بالأكحل و قصدت مسعد (جنوب الجلفة) أين تمت الإغارة هناك على القبائل الموالية لفرنسا و الدعوة إلى الجهاد في المقابل لما أحس الفرنسيون بهذه التحركات المكثفة بدأو في جمع أعوانهم من القومية لتكون الحرب هذه المرة (حرب البرانس) و كان على رأس القومية العميل حمزة ، و كان بالأحرش أغا الجلفة على رأس بعض قبائل الوسط ، و من الشرق مجموعة قيادة مع متابعة و مساندة قريبة من قادة عسكريين أمثال " دوباراي و" دوريو" وفي تلك الأثناء كانت خطة المقاومين تسير على أحسن حال و كان الإقبال على نداء الوحدة و الجهاد كبيرا حيث التقى الجميع في تاجرونة بتاريخ 14 سبتمبر المصادف لعيد النحر في محاولة ثانية لدخول مدينة الأغواط ، و في طريقهم هاجموا عدة مناطق و خاضوا عدة معارك وقد استطاع المقاومون في بداية الأمر الانتصار على العدد الهائل من القوات الفرنسية و كادوا أن يدخلوا المدينة لولا وصول نجدات من القوات الفرنسية المتواجدة في حدود المنطقة[2]، و أمام هذه الحشود الهائلة اضطر القائد ابن ناصر ومن معه الانسحاب إلى ورقلة مرة أخرى حيث تحصنوا بواحة نقوسه و الرويسات و لحق بهم العميل حمزة في محاولة ثانية للقضاء عليهم ، حيث دارت بينهما عدة معارك انتهت بإصابة العميل حمزة الموالي لفرنسا كما أصيب القائد ابن ناصر ابن شهرة و على اثر ذلك انسحب إلى واد ريغ ثم إلى نفطه بتونس أين حظي برعاية الزاوية الرحمانية. [3]

1- دحدي سعود، مرجع سابق، ص 141.

2- ترومللي، مصدر سابق، ص105. دحدي سعود ، مرجع سابق، ص ص 141.

3- ترومللي ، مصدر سابق، ص153.

وفي سنة 1859عاد الشريف مُحَّد بن عبد الله رفقة بن ناصر بن شهرة إلى الجزائر واتجها إلى منطقة توات قرب أدرار، ثم نحو الأغواط في محاولة لتحريرها من الفرنسيين، لكنهما فشلا ، وانتهى الأمر بالشريف بالاعتقال في أواخر سنة 1861 والنفي إلى فرنسا أين فرضت عليه الإقامة الجبرية في سجن عسكري في جزيرة كورسيكا، في حين لجأ بن ناصر بن شهرة إلى تونس حيث بدأ يشن عملياته على الفرنسيين .[1]

لقد تمكنت فرنسا من احتلال الأغواط في ظل ظروف عدم التكافئ بين المستعمرين والمقاومين، ولكن وجب التذكير أن عملية الاحتلال قد استمرت عبر مراحل من سنة 1844 إلى غاية سنة 1852، وهو ما يعني أن حالة الشد والجذب، وعمليات المقاومة قد أدت إلى تأخير سقوط منطقة الأغواط، وقد انخرط جزء كبير من سكان المنطقة في مشاريع مقاومة برغم اختلاف القيادات والغايات، فساروا تحت قيادة سي موسى بن حسن مرات عديدة، ووالى بعضهم الأمير عبد القادر وخلفاءه، وثاروا مع بن ناصر بن شهرة والتلي بالأكحل، وساندوا مقاومة الشريف مُحَّد بن عبد الله السنوسي.

وقد واصلت قبائل الأغواط وفي القلب منها قبيلة الأرباع وحلفاؤها مسيرة الكفاح المرير حتى بعد سقوط منطقة الأغواط رهينة الاحتلال، وتشهد لهم فيافي الصحراء ووديانها وشعابها بمآثر بطولية في ظل مقاومات السنوسي وأولاد سيدي الشيخ وبوشوشة وحتى مساندة الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر والمقرانيين، وسجلوا دعمهم لمقاومة بوعمامة التي استكملت انتفاضة أولاد سيدي الشيخ في الجنوب الغربي.

في حين أن الآلة الاستعمارية قد استفادت من سياسة فرق تسد وذلك عن طريق ضرب قيادات وزعامات المنطقة ببعضها، واستعداء أحدها على الآخر، حتى بالنسبة لمؤيديها حيث كانت ترفض رفضا قاطعا وصولهم إلى مستوى من القوة يمكنهم من الاستقلال بقراراتهم عن السلطة الاستعمارية، حيث تعمد هذه الأخيرة إلى التخلص منهم بمجرد الشك في تصرفاتهم، وقد استغل المكر الاستعماري نوازع الطموح الشخصي والأنانية، والنزاعات العروشية والثارات القبلية، وسذاجة بعض المقاومين ومحدودية أفقهم في استنزاف مجمود القبائل المقاومة.

1- دحدي مسعود، مرجع سابق، ص 142. . ترومللي ، مصدر سابق، ص153.

إن احتلال منطقة الأغواط كان حدثا مهما في تارخ الحركة الاستعمارية للجزائر، حيث يعتبر خطوة كبيرة في سبيل السيطرة الكلية على القطر الجزائري، وذلك لما تشكله المنطقة من أهمية جيواستراتيجية واقتصادية واجتماعية وحتى دينية، وقد بدأ الاستعمار الفرنسي بمجرد استيلائه على المدينة في تنفيذ سياسات محددة بهدف استثمار نجاحة في السيطرة المكانية وتحويلها إلى مكتسبات سياسية وعسكرية واقتصادية ودينية وحضارية، وهو ما نتج عنه تأثيرات واضحة على المنطقة وسكانها.

الفصل الثاني:

التأثيرات الاستعمارية على أوضاع منطقة الأغواط

المبحث الأول: الوضعية الإدارية للأغواط بعد الاحتلال

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية وأثر السياسات الاقتصادية الاستعمارية على المنطقة

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية في منطقة الأغواط في ظل الاحتلال

المبحث الرابع: السياسة الثقافية الفرنسية في منطقة الأغواط

قامت السياسات الاستعمارية في منطقة الأغواط على مجموعة من المحاور، مستهدفة مجموعة محددة من النتائج، ولكن التأثيرات الاستعمارية كانت مختلفة العمق بحسب نوعية السياسة ومدى تقبل الأغواطيين وتفاعلهم معها، حيث تباينت ردود أفاعلهم وتنوعت أساليب التفاعل المحلي مع السياسات الاستعمارية بين الرفض المصحوب بالمقاومة، والرفض السلبي، والقبول المشوب بالحذر.

المبحث الأول: الوضعية الإدارية للأغواط بعد الاحتلال:

أولا: الأغواط في الاستراتيجية الفرنسية بعد الاحتلال: أوقف الماريشال راندون Randon خطة الجنرال بيليسيه Pelissier القاضية بجعل الأغواط عبرة للمدن الصحراوية الأخرى، حيث أراد تحطيم جميع المنازل و إتلاف جميع أشجار النخيل و من ثم نقل جميع السكان الأحياء إلى جهة أخرى من الجزائر، و بالفعل بدأ في مشروعه التخريبي هذا، ولكن الماريشال راندون بعث ببرنامج من خمس نقاط إلى الجنرال مارغريت Margueritte القائد الأعلى المدينة الأغواط، تضمن ما يلي :

-توفير الإمكانيات اللازمة من أجل ملاحقة المتمردين وإتمام السيطرة على كامل البلاد (الجزائر).

-جعل من الأغواط مدينة كبيرة و جميلة (مركز سياسي و تجاري)حتى تثبت لسكان الصحراء مدى القوة الفرنسية، التي تستطيع أن تحطم ثم تبني.

-تطوير الثقافة الفرنسية، و ربط الأهالي بالأرض و جعل القصور المحيطة بالأغواط مزدهرة و غنية.

-تطوير تجارة الأصواف (الصوف)، و من ثم تحسين السلالة الغنمية.

- تمتين العلاقات مع أقصى جنوب الجزائر.[1]

قامت السياسة الفرنسية في الأغواط خاصة والجنوب بصفة عامة على ثلاثة محاور أساسية :

1/المحور العسكري: حيث كانت قامت فرنسا بجعل الأغواط قاعدة متقدمة للمشاريع و المنشآت العسكرية التي انطلقت نحو الصحراء و التي أملتها ضرورة التوسع و الدفاع الاستراتيجي، فقد كانت فرنسا تعتبر الأغواط جزائر ثانية و تشبها برأس المطرقة لضرب المقاومات الشعبية في أي مكان في الصحراء، حيث تم توجيه حملات عسكرية انطلاقا من الأغواط ضد عدة مدن صحراوية، منها

[1] - عميراوي احميدة، مرجع سابق، ص45-46. سليمان حكوم، مرجع سابق، ص101. إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص126-127. علالي، مرجع سابق، ص50.

غرداية سنة 1853م،[1] ثم توقرت و ورقلة في 1854م، ثم المنيعة في 1891م، و من سنة 1892م إلى 1895م وطد الفرنسيون خط توسعهم في الصحراء، ففي سنة 1889 احتلت عين صالح ثم إجلي و تيمون و أولف و أدرار سنة 1900، و أخيرا حصن فلاتيرز في أقصى الجنوب الجزائري.[2]

2/المحور الاقتصادي : هدفت سياسة المشاريع الاقتصادية الفرنسية في الأغواط إلى تحقيق الاستغلال الاقتصادي، سيما فيما يخص مصادر الطاقة و بناء قاعدة لاستثمار واسع لثروات الصحراء والتحكم في التجارة بين الشمال والجنوب، إضافة إلى خلق استثمارات للمعمرين الأوربيين في المدينة وضواحيها.

3/المحور الثقافي والاجتماعي: هدفت المشاريع الثقافية الاستعمارية إلى فرنسة الشعب الجزائري عموما و منهم سكان الصحراء، و تحويلهم من وضعهم الثقافي و الاجتماعي الاصيل إلى توجهات تربوية و إدارية و اجتماعية غريبة عنهم و لا تمت بواقعهم بأية صلة، إضافة إلى التحكم والسيطرة في المجتمع عبر تقسيم الوحدات الاجتماعية التقليدية وتدميرها، وحقن المجتمع بعناصر جديدة غريبة وتمكينها من الوجاهة والتأثير الاجتماعي.

إن هذه المحاور التي بنيت عليها السياسة الفرنسية في الصحراء، لقيت تحفظا حذرا من أغلب سكان الصحراء و خاصة في منطقة الأغواط، و تحول إلى عداء عندما عزمت السلطات الاستعمارية على إقحامهم في دواليب مشاريعها قصد إبعادهم من بيئتهم الطبيعية و استغلالهم لإنجاح مخططاتها.[3]

---

[1]- أوفد مجلس الشيخ أبي عبدد الكرثي (وهو مجلس العزابة) وفدا إلى الاغواط مؤلفا من 11 عشر شخصا من أعيان القرى السبع، وذلك يوم 22 أبريل 1953، إلى الأغواط وبناء عليه تم توقيع معاهدة الحماية في يوم 29 أبريل 1953 مع الكومندان دي باراي باسم الماريشال راندون الحاكم العام للجزائر، بحيث تقوم فرنسا باحترام عادات وتقاليد الميزابيين وعدم التدخل في أمورهم الداخلية في حين تدفع قرى ميزاب 45 ألف فرنك سنويا للسلطة الفرنسية التي تقوم كذلك بحفظ النظام العام. حمو النوري، مرجع سابق، ص271-272. سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص359-360. يوسف بن بكير، مرجع سابق، ص98-99. إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص125. الشيخ لكحل، مرجع سابق، ص243-245.

[2]- بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص 153. علالي، مرجع سابق، ص51.

[3]- محمود علالي، مرجع سابق، ص52. أحمد الأمين، **مدينة الأغواط الحياة الثقافية خلال فترة الاحتلال**، أعمال الملتقى الأول لاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الاغواط ، 14-16افريل 1998، ص49. شرفي، مرجع سابق، ص90.

ثانيا: التنظيم الاداري الخاص بمنطقة الأغواط بعد احتلالها: ما إن احتلت فرنسا الأغواط احتلالا شاملا حتى قامت بإعادة هيكلتها الإدارية، ففي 26 جانفي 1853 أصدرت القرار الوزاري لإنشاء القطاع العسكري بالأغواط بصفة مؤقتة الذي يتكون من ملحق للمكتب العربي التابع إلى المدية، و في 22 جويلية 1853 تم إصدار القرار النهائي لإنشاء هذا القطاع الذي أصبح تابعا مباشرة إلى الجزائر لغاية 1907، وبذلك أصبحت دائرة مؤقتة تحت سيطرة الحكومة العامة[1]، وهي دائرة تتكون من: -القصور: الأغواط- عين ماضي-تاجموت- الحويطة- العسافية- المخاليف (لزرق الجرب) – قصر الحيران، بالإضافة إلى القبائل المحيطة بالأغواط مثل وتمثل آغوية الأرباع: المخاليف و المعامرة و الحرازلية وأولاد صالح ، وفروع أولاد نايل التي تتبع باشا أغا أولاد نايل مثل: أولاد سي أحمد وأولاد غويني وأولاد أم هاني و العبازيز في الشارف وأولاد ضيا و أولاد لعور و أولاد عيسى و أولاد سيدي يونس، إضافة إلى قصور: زنينة و دمد و مسعد و زكار و حميرة و موجبارة، وقيادات فروع أخرى من قبيلة أولاد نايل مثل : أولاد سعد بن سالم و أولاد خناتة وأولاد رقاد وأولاد يحي بن سالم، إضافة إلى قصور بني ميزاب: بني يزقن وبريان ومليكة والعطف والقرارة وبونورة وهذه المدن ليست تابعة بصفة مباشرة إلى السلطة السياسية في الأغواط.[2]

في 27 أكتوبر 1853م ، جاء في قرار لمركز القيادة في الجزائر ينص على: لقد أصبحت الأغواط مدينة منظمة بفضل جهود الحكومة التي بدأتها في 22جويلية، وهي الآن تحت سيطرة 5كتائب معينة من طرف الضابط العام، وهكذا تم إنشاء القطاع (دائرة)بشكل رسمي.[3]

[1]-(E.) MANGIN ,**Notes sur l'histoire de Laghouat** (**Suite et fin**), R A , Vol 39, 1895, p 16 .

[2]-(E.) MANGIN Op-Cit, p 17.

إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص 131.

[3]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص131-132. علالي، مرجع سابق، ص51.

وفي زيارة الماريشال راندون إلى الأغواط في فيفري 1854 أوضح أفكار ومشاريع الإدارة الاستعمارية بخصوص الأغواط، وذلك في خطاب يوم 8فيفري عند الباب الشمالي للمدينة[1]، حيث جعل بعض المستوطنين يحرسون بعض الأبواب إلى جانب الوحدات العسكرية طوال فترة زيارته للمدينة، وقد وجه الحاكم العام شكرا لمستوطني الجنوب على دعوتهم إياه وترحيبهم به ، وأن زيارته جاءت وقوفا عند طلبهم، وذكرهم أن الاستيلاء على مدن واد ميزاب هو فوز لهم ، ودعاهم إلى عدم الخوف والفشل في مهمتهم فهم يمثلون ويرفعون العلم الفرنسي في هذه المدن، وأنه سيبعث كتيبة للاستيلاء على ورقلة وإعادتها لفرنسا، وأن نتيجة ذلك ستظهر عن قريب جدا، وسيكونون فخورين بذلك، وأنه عين بعض الأعيان من الأهالي لخدمتهم وحمايتهم، وأنه فخور بهم، وذكرهم أن من يقف بجانب فرنسا من فرسان القوم في الشرق والغرب، سيكونون تحت أمرهم ولتلبية رغباتهم. وأنه يرى ساعات من الفرح نتيجة لتلك الزيارة، التي كانت من أجل خدمتهم، وأنهم لابد أن يتحلوا ببعض الصبر على السيطرة على الجزائر، ويذكرهم أنهم يمثلون جزءا جديدا من الإمبراطورية الفرنسية، [2] وقد وصف ترومليي زيارة الحاكم العام راندون وأورد خطاباته.[3]

كان الرائد دي باراي Dubarail أول قائد عين على رأس هذا القطاع ، وقد قرر دي باراي إطلاق اكبر مشروع للأشغال التي تجعل من المدينة على طراز أوربي، وقد قام بترميم السور وبناء وسد الثغرات، كما عزم على إعادة ترتيب الأمور وإعادة القبائل الفارة ومنحهم الأمان، وحتى محاولة التفاوض مع زعماء المقاومة. [4]

في شهر مارس1855م، تم استدعاء الجنرال مارغريت commandant Margueritte من ثنية الأحد إلى الأغواط، من طرف الماريشال راندون لاستخلاف دي باراي ، وقد كلفه بشؤون الأغواط، والتي كانت تحتاج إلى ضابط نشيط وحيوي، ويتقن اللغة العربية، ولن يجد غير مارغريت

[1] - (E.) MANGIN Op-Cit, p 23 .

[2] - ibid, p 24 .

[3] - ترومليي ، مصدر سابق، ص554-555. علالي، مرجع سابق، ص51-52.

[4] - بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص153.

الذي استطاع أن يفرض الأمن لعدة سنوات وقد اعتبر مارغريت الأغواط مدينة مهمة، وأنها تمثل الوجه السلمي للبلاد.[1]

وعند وصوله الأغواط قام الضابط الجديد بتوقيف النظام العسكري الذي كان يحكم المدينة، ورأت أن تشجع على البناء العصري، وأطلقت اسم سي عبد الله على المستشفى العسكري، وقامت بإنشاء مخزن ثابت وبعض القطع الخاصة بالمدافع والبنادق، وفرضت على الكولون في المنطقة باحترام الواحات عند خروجهم إليها، وكما هو الحال في المدن الهامة نجد وسائل النقل لها أهمية كبيرة، إلى جانب وجوب توفر الماء فيها، فقد كانت الجمال حكرا على الكولون، فقد عين مارغريت أفرادا من كل من قبيلتي الارباع وأولاد نايل لتوفير الحيوانات للمدينة، وكان هناك ما يسمى بخيام المراقبة[2] .

لكن منذ سنة 1860 تجددت الاضطرابات التي امتدت كذلك إلى عهد دي سونيسDe Soni الذي شارك في إخادها منها أحداث وادي ميزاب سنتي 1867و1870، و أحداث في عين ماضي سنة 1869 ،وثورة الطيب بوشندوقة ،[3] ما جعل الحاكم العام يأخذ بتحذيرات الجنرال مارغريت، فأصدر مجموعة من الإصلاحات الإدارية بما في ذلك في إطار البلديات المختلطة و تجديد المدينة.[4]

كانت الأغواط تنقسم إلى بلديتين، بلدية مختلطة، وأخرى خاصة بالأهالي، وقائد المنطقة هو الذي يدير شؤون البلديتين بمعية مجلس بلدي مكون من البلديتين،كان يقطن في بلدية الأغواط المختلطة في سنة 1889م حوالي 3839 ساكن و519 أوروبي بما في ذلك فئة اليهود و 3320 مسلم، أما مساحتها فقد بلغت 262 هـ، أما البلدية الأهلية وهي للسكان البدو الرحل المعروفين

[1]- محمود علالي، مرجع سابق، ص 56.

[2]-(E.) MANGIN , Op-Cit, p32- 33.

[3]- **العقيد لويس غاستون ديسونيس**: مواليد عام 1825 في جزر الانتيل الفرنسية تدرج في المدارس العسكرية الفرنسية، وعرف بتدينه الشديد وكاثوليكيته المتعصبة، انضم إلى الماسونية ثم انقلب عليها بسبب معاداتها للكاثوليكية، حيث عرف عنه حمله للصليب في كل معاركه، شارك في الحملات عل بلاد القبائل في الخمسينات، رقي إلى قائد أعلى لتنس ثم الأغواط سنة 1960 ، قاد حملة احتلال متليلي سنة 1866، ومعركة 1869 ضد أولاد سيدي الشيخ وحلفائهم، شارك في الحرب البروسية-الفرنسية سنة 1870، وتوفي سنة 1887. الشيخ لكحل، مرجع سابق، ص151-154. عن ثورة الطيب بوشندوقة أنظر: بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص وما بعدها.

[4] - odette petit, Op-Cit, p, 38-40.

بالأرباع فكان يقطنها 13463 مواطن (مسلم)، ومساحتها تقدر بـ: 3.415.000 هـ مقسمة الى 18 ملحقة مكونة من مصالح خاصة.[1]

و بمقتضى قرار 04 أفريل 1907 أصبحت الأغواط تابعة إلى قطاع الجنوب، حيث لجأت السلطة الاستعمارية إلى تطبيق النظام العسكري في الصحراء بموجب مرسوم 04 أوت 1904 ليضع الهيكل والشكل الإداريين لهذه المناطق، وهو ما دعمه مرسوم 14 أوت 1905 الموضح للتنظيم الاداري والعسكري لأقاليم الجنوب التي تتأقلم وطبيعتها الأمنية، حيث كانت الادارة تجمع بين السلطات المدنية والعسكرية والقضائية، وهذه الادارة كانت تحت إشراف عسكريين يخضعون مباشرة لسلطة الحاكم العام.[2]

وتبعا لذلك تم تقسيم الجنوب إلى أربعة أقاليم وهي الإقليم العسكري للعين الصفراء ومقره عين الصفراء والاقليم العسكري لغرداية ومقره بالأغواط، والاقليم العسكري لتقرت ومقره تقرت، والاقليم العسكري للواحات ومقره الإداري ورقلة، وعين على رأس كل واحد منها قائد أعلى برتبة رائد، وكل ملحقة جزئت إلى مراكز عسكرية يسيرها ضابط عسكري،و في 29 أوت 1922م أعيدت هيكلة الأغواط، فتم دمج الأغواط بقصورها.[3]

وقد أدخل على النظام العسكري لمناطق الجنوب بعض التعديلات لتحقيق التجانس الادراي على كافة القطر الجزائري وفي هذا الاطار اتخذ الحاكم العام جول كارد (1930) Jules Card عددا من القرارات التي انتقلت بمقتضاه السلطات البلدية إلى من ضباط الشؤون الأهلية في المناطق الصحراوية إلى أيدي متصرفين إداريين منذ 01 مارس1933 م ، وهم حكام مدنيون في البلديات المختلطة بعد أن كان يتولاها ضباط عسكريون مثل الأغواط والجلفة وبسكرة وتقرت والمشرية وعين الصفراء.[4]

---

[1] - (E.) MANGIN,**notes**.., Revue Africaine, N° 37 , Op.Cit , pp 364-366.

[2]- محمد برشان، **الاستعمار والمجتمع القبلي** ، مرجع سابق، ص157.

[3]- محمد برشان، **التنظيم الإداري الاستعماري في الجنوب الجزائري (1902 – 1960)**، مجلة الخلدونية، ع1، مج 9، 01-06-2016، ص182. محمد مبارك كديدة، **الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل الجدية وطاولة المفاوضات النهائية**، دار المعرفة، الجزائر، 2013، ص 18-19. محمود علالي، مرجع سابق، ص57.

[4]- محمد برشان، **التنظيم**، مرجع سابق، ص187. جمال خرشي، مرجع سابق، ص324-325.

وقد كانت الأغواط عاصمة لأحد "الأقاليم الجنوبية" الأربعة التي تشكل إقليم الحكم العسكري في الجزائر ، حتى الإصلاح الذي أرساه قانون 20 سبتمبر 1947 (النظام الأساسي للجزائر)، ورغم إلغائه في هذه السنة إلا أن بقي ساري المفعول وبقيت الإدارة تحت إشراف ضباط عسكريين إلى غاية 1957،[1] وقد استمرت الأغواط كقاعدة إدارية كبرى للإدارة الاستعمارية إلى غاية الثورة التحريرية حيث نقلت عاصمة الواحات إلى ورقلة بسبب ضغط الثورة التحريرية من جهة واكتشاف البترول في حاسي مسعود من جهة أخرى.[2]

تمتلك البلديات المختلطة بأقاليم الجنوب مثل الأغواط خصوصية تميزها عبن البلديات الكاملة في الشمال الجزائري، حيث يترأسها إما ضابط أو إداري للشؤون المدنية، ومستشارو البلدية ينتخبون لمدة ستة سنوات والأعضاء الآخرون يتشكلون من رؤساء الجماعة والقياد، وأما في البلديات الأهلية (مثل بلدية الأرباع) فقد كان يترأس اللجنة البلدية قائد الملحقة وهو عسكري، أما بالنسبة للمسلمين فقد كانوا يمثلون من قبل قياد وأعوان القبائل المكونة لإقليم البلدية.[3]

وصف الأمير خالد هذا النظام سنة 1924 بقوله: " إن أهالي مناطق الجنوب هم تحت رحمة حكامهم الطغاة في دوائرهم فهؤلاء الضباط لهم صلاحيات مطلقة يمددونها ويقلصونها حسب هواهم، إن هذا النظام لهو أشنع من قانون الأهالي، لا يخضع لرقابة ولا حدود له"،[4]ويواصل الأمير خالد وصف هذا النظام بقوله: "..إن فضائح الأغواط تبين بكيفية ساطعة كالشمس أنه عندما يتعلق الأمر بمصالح الأهالي، فإن الرئيس بالرغم من كونه مجرما فإنه يتم العفو عنه، لأنه يمثل السيادة الفرنسية التي يجب إبقاؤها عالية ومتينة، وبالفعل فإن أحد المتهمين بعد أن برئت ذمته صرح: كانت هناك مخالفات وتحويلات ولكن ليس هناك شيء مدهش لأن هذه الممارسات كانت سارية المفعول في الأغواط منذ زمن بعيد، والمقصود هنا هو الكلام عن اختلاسات لمبالغ هامة كانت في الأصل مخصصة لإطعام المساكين الذين كانوا يموتون بالمئات في اليوم في محتشد قرب الأغواط سنة 1920". [5]

---

[1]- برشان، **الاستعمار..**، مرجع سابق، ص159. كديدة، مرجع سابق، ص ص18.

[2]- عاشور شرفي، مرجع سابق،ص 90. مُحَمَّد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص231.

[3]- الأمير خالد، **رسالة إلى الرئيس ويلسون ونصوص أخرى**، تر: مُحَمَّد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2006، ص51-52.برشان، **التنظيم**، ص188. جمال خرشي، 325-326.

[4]- الأمير خالد، مصدر سابق، ص53.

[5]- الأمير خالد، مصدر سابق، ص53. وهو يقصد محتشد تاعظميت.

ويضيف الأمير:" ولنستشهد ببعض المقالات التي وردت في الإقدام بإمضاء السيد خروبي وهو ملازم قديم للسبايس وهو مواطن فرنسي ومستشار بلدي وتاجر بالأغواط: إن فتح الجنوب تم منذ 1852، وإن نظام الساعة الأولى مازال ساري المفعول"[1].

إن المنطقة العسكرية ثكنة كبيرة حيث يكون الساكن فيها وكل ما يكسب ملكا لرئيس المكتب العربي يتصرف فيه وكأنه ملك في حوته ليس هناك أي تمثيل وليس هناك حتى لجنة خاصة منتظمة، ليس هناك أي مراقبة ولا أي تحقيق في المحاسبة، وبعبارة أخرى إن رئيس المكتب العربي سيد بلا منازع إن الحكومة العامة لا تفعل أي شيء غير المصادقة على الطلبات التي تسلم إليها من طرف رئيس الملحقة".[2]

فلأسباب تافهة وأحيانا مفبركة توزع الأشغال العقابية والحراسات الليلية والغرامات والحجز والغصب الذي لا مبرر له والسجن، فويل للأهلي الذي لا يحي الحاكم فكل صواعق العالم ستسقط على رأسه وبعبارة أخرى يتم التعامل في هذه المناطق وكأنها بلد فتح جديد .[3]

ثالثا: التنظيم الخاص بقبائل الأرباع: من المعروف اليوم أن الأرباع عبارة عن تجمع أو كونفدرالية مكونة من عشرة عروش كبيرة وكل عرش مقسم إلى فرق وعروش أصغر، غير أنه حين وفد هؤلاء الأرباع إلى منطقة الأغواط كانوا يشكلون قبيلة واحدة تضم أربعة فرق حسب التصنيف الاجتماعي التقليدي للقبائل (العروش) المعروف بالجزائر وهم :

- المعامرة (أولاد سي عيسى + زكازكة)

- الحجاج (أولاد اونيس + أولاد ورقلة)

- أولاد صالح: (العبابدة –صفران+ أولاد زيان+ أولاد سي موسى +الجوادات +الزناقحة +أولاد عطية +أولاد داود)

[1]- الأمير خالد، مصدر سابق، ص54.

[2]- المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[3]- نفسه، ص53.

- أولاد زيد ، ومع مرور الزمن كبرت القبيلة وانظم إليها عناصر جديدة بمنطقة الأغواط مثل:

- رحمان (أولاد ابراهيم + أولاد خليفة+ مطالية + نويرات)
- الحرازلية أولاد سيدي أحمد بن حرزالله (أولاد بن شاعة+ أولاد بلقاسم+ أولاد سليمان)
- المخاليف أولاد سيدي أحمد بن مخلوف (مخاليف لزرق+ مخاليف الجرب)
- أولاد سيدي عطاء الله .[1]

بالإضافة إلى استقلال بعض الفرق مثل الزكازكة والعبابدة وصفران وأولاد زيان عن القبيلة الأم ليشكلوا عروش قائمة بذاتها خصوصا مع توزع فرق من رحمان على الزكازكة والمعامرة والحجاج ، وهكذا تشكل الاتحاد القبلي للأرباع Confédération des Larbaa الذي رسمته فرنسا الاستعمارية عام 1875،حيث أقرت بذلك التشكيلة الرسمية للأرباع والمعروفة إلى اليوم وهي : أولاد سيدي سليمان(الحرازلية)، أولاد بن شاعة (الحرازلية)، الحجاج، الزكازكة، المعامرة، المخاليف، العبابدة–صفران، أولاد صالح ، وأولاد زيان، أولاد سيدي عطاء الله،[2] وهو ما يشبه " الجمهورية الأوليغارشية" حسب تعبير غولدزيغار[3].

والملاحظ في التقسيم الفرنسي أنه عبث بقبائل الأرباع، حيث شتت البعض وقسم البعض الاخر وأنهى وجود بعض الفروع، ومثال ذلك تقسيم عرش الحرازلية إلى قسمين أولاد سيدي سليمان وأولاد سيدي بن شاعة بينما ألغي وجود الفرع الثالث (أولاد سيدي بلقاسم) حيث قامت بتوزيع عوائله على الفرعين سابقي الذكر، وأصبحت تسمية الحرازلية مقتصرة على أولاد بن شاعة في حين حمل أولاد سيدي سليمان اسما مستقلا ، كما فصلت قبائل الأرباع الأصلية عن بعضها وأصبحت قبائل

[1]– للتفصيل أكثر في هذا الموضوع يرجى العودة إلى المبحث الرابع في الفصل التمهيدي. أنظر أيضا: صادقي، مرجع سابق، ص230 وما بعدها. أنظر أيضا: Yves Bonète, OP.CIT. p 16-20.

[2]– محمد سويدي، مرجع سابق، ص 167. أنظر الملحق رقم: 07.

[3]– أني راي غولدزيغار، **المملكة العربية السياسة الجزائرية لنابليون الثالث 1861–1870**، موفم للنشر ، الجزائر، 2014، ص292.

منفصلة (الحجاج+ الزكازكة+ المعامرة) وألغت وجود قبيلة رحمان، حيث فرقت عوائلها على الفرق الثلاث السابق.[1]

ولا تخفى على أحد أهداف سياسة التفتيت والتشتيت وإعادة التركيب التي انتهجتها السياسة الاستعمارية ضد حلف صحراوي قوي مثل حلف الأرباع، ذو القوة البشرية والسيطرة على طرق التجارة الصحراوية، والعقلية القتالية التي جعلت جزء من هذه القبيلة يحارب الفرنسيين منذ السنوات الأولى للاحتلال برفقة الحاج موسى بن حسن والأمير عبد القادر وانتهاء بمنتصف سبعينات القرن التاسع عشر حيث وضع بن ناصر بن شهرة زعيم الأرباع وحلفائها سلاحه وغادر إلى بلاد الشام، مرورا بأهم المقاومات الشعبية التي شهدتها تلك الفترة، الزعاطشة وثورة مُحَمَّد بن عبد الله السنوسي وأولاد سيدي الشيخ والأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر وبوشوشة والمقرانيين، وبوعمامة، وقد تم تنظيم الأرباع تحت سلطة واحدة بقيادة آل فرحات وتم تسليحهم والاستفادة من مهاراتهم القتالية ومعرفتهم بالصحراء الجزائرية.[2]

وبغية السيطرة والتحكم زودت السلطة الاستعمارية هذا التنظيم بحكم الآغا (أو الخليفة أو البآشاغا على حسب الفترة) الذي ينوبه القياد العشرة في إدارة شؤون أعراش الأرباع وقد تحول هذا النظام إلى باشآغاليك يرأسه باشآغا الأرباع وذلك إلى غاية 1959، حيث ظهرت بلدية الأرباع الغرابه وبلدية الأرباع الشراقه كنظام جديد وعصري لإدارة شؤون هؤلاء البدو غير أن المثير هنا الحفاظ على التركيبة

[1]- تعتبر الدراسة التي قام بها الأستاذ **Yves Bonète** سنة : **1962 والمعنونة بـ:**

Contribution à l'étude des pasteurs nomades Arba'a, étude de géographie humaine, أحسن ما كتب في هذا الباب بل يمكن وضعه في المرتبة الأولى فيما يخص الأبحاث المتعلقة بقبيلة الأرباع سواء كانت جزائرية أو فرنسية، ويخطئ الكثير من الدارسين لتاريخ المنطقة عندما يعتمدون على ما كتبه الفرنسيون فقط أو على الوثائق الادارية الفرنسية أو الجزائرية لتحديد التركيبة البشرية لمنطقة الأغواط، ومن خلال دراستي لاحظت أنه حتى بعض الأساتذة والباحثين من منطقة الأغواط يقعون في أخطاء كبيرة في عملية التقسيم والتسمية الصحيحة للعوائل والعروش والقبائل، حيث يعتمدون فقط على ما هو مكتوب دون تكليف أنفسهم عناء طرح الأسئلة على المعنيين أنفسهم وهم ما زالوا موجودين بين أظهرهم، ومثال ذلك الموضة الجديدة المتعلقة بالكتابة في الأنساب والعروش والقبائل، حيث تجاسر الكثيرون على خوض غماره دون زاد معرفي كاف ودون التحقق بالسؤال والتمحيص، وقد وقفت على أخطاء كارثية تتعلق حتى بالعائلة التي أنتمي إليها فضلا عن القبيلة كوني من هذه المنطقة.

[2]- صادقي، مرجع سابق، ص 232.

الاجتماعية كما هي وتطبيق أسلوب الإدارة المدني عليها دون إدماجها في البلدية الحضرية وهي الأغواط قصد الحفاظ على الشخصية الاجتماعية للقبيلة، وقد كان كل من "البآشاغا" و "القايد" الذين يعينون من طرف الإدارة يضمنون متابعة نصوص القوانين المسنونة، و بهذا فقد كانت قبيلة "لرباع" تعيش تحت الخيمة و كانت تربي الماشية التي تصطحبها لترعى صيفا في الهضاب العليا الواقعة في الشمال و القسم الجنوبي للتل نظرا لانتماء منطقة الأغواط، لمناخ شبه صحراوي بنسبة تساقط أمطار قليلة، و قد دفع تراجع عدد القطعان بسبب الجفاف و المرض بعض البدو الرحّل إلى الاستقرار في أطراف مدينة الأغواط (حي "قصر الفروج" بجنوب المدينة)، أما فيما يخصّ الماء، كما تمّ حفر الكثير من الآبار للمساعدة في عملية توطين البدو. [1]

وقد وظفت الادارة الاستعمارية التناقضات القبلية لصالحها حيث عملت على دمج أفراد هذه القبائل ضمن مؤسسات شبه عسكرية عرفت بالكتائب الصحراوية compagnies sahariennes أو المخزن " المخازنية"، أو القوم، وذلك لاستغلال المزايا العسكرية التي يتمتع بها أبناء هذه القبائل، وقد استعملها القادة العسكريون في ملاحقة رجال المقاومة،[2] وقد استعمل ضباط المكاتب العربية هذه القوة الأهلية غير المنتظمة في مهام استعمارية كثيرة ساعدت القوات الفرنسية على فرض هيمنها على البلاد حيث كانت تقوم بعمليات التفتيش إلى جانب الجيش الفرنسي خاصة بالمناطق التي تكثر بها الثورات والانتفاضات واستخلاص الضرائب من القبائل التي تمتنع عن الدفع والرافضة للاحتلال وكذا مراقبة تحركات بعضها.[3]

فقد قاد بوديسة المختار قوم الأرباع الموالين لفرنسا إبان ثورة أولاد سيدي الشيخ لكنه انضم إلى الثورة مع قومه وقتل سنة 1865،[4]ومن بين الثورات التي هاجمها قوم الأرباع بقيادة لخضر بن مُحَمَّد بن

[1]- مُحَمَّد سويدي، مرجع سابق، ص 167.

[2]- مُحَمَّد برشان، **الاستعمار والمجتمع القبلي**، مرجع سابق، ص164. أني راي غولدزيغار، مرجع سابق، ص 641.

[3]- صالح فركوس، **إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص30.

[4]- سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، مرجع سابق، ص190.

فرحات هي ثورة بوشوشة سنة 1870، كما شاركوا في التصدي لمقاومة بوعمامة وجندت فرنسا بعضهم للقتال في حرب الريف المغربي.[1]

رابعا: خلفاء وباشآغاوات وقياد ومواقف ملتبسة : لجأت السلطة الاستعمارية إلى توظيف العائلات والشخصيات التي حظيت بمكانة بين قبائلها والتي توفرت فيها مجموعة من صفات القيادة والطموح والمهارة لتتشكل واسطة بينها وبين القبائل وأوكلت لها مهمة جباية الضرائب مقابل حصولهم على جملة من الامتيازات والألقاب " خليفة" "باشآغا" "آغا" "قايد".[2]

وقد رأينا كيف استخدمت فرنسا أحمد بن سالم وسي الشريف بلحرش آغا أولاد نايل من أجل احتلال الأغواط وإخضاع قبائل الأرباع وأولاد نايل وقد نجح ماري مونج، في اتباع سياسة فرق تسد حين أوقع الخلاف بين أحمد بن سالم وصهره بن ناصر بن شهرة، كما استغل قبل ذلك الخلاف بين أحمد بن سالم ومُحَّد الحبيب التيجاني من جهة والأمير عبد القادر وخليفته الحاج العربي بوحفص من جهة أخرى، وساعدت الأمير في حصاره لعين ماضي بغية استجلاب دعم التيجاني وحلفائه،[3]ولكن في المقابل حفظت أسطر التاريخ مواقف مشرفة لبعض هؤلاء القياد سواء في الجانب الاجتماعي أو الثقافي.

1/ آل بن سالم (قادة الحضر): يصف علي مراد تجذر هذه الأسرة بقوله: "..كان للساكنة الإسلامية للأغواط باشاغا ينحدر من أسرة احتفظت بمهمة القايد منذ فترة الاحتلال (1852-1853)، ورغم أن هذه الأسرة القايدية (آل بن سالم) كانت ذات تأثير جم في الأغواط، فإنها لم تكن قوية جدا.... فقد كانت من أصل حضري وحليفة للطريقة التيجانية.[4]

---

[1]- الشيخ لكحل، مرجع سابق، ص183-184. عواريب لخضر، **بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة من خلال بعض المصادر المحلية ومنها الشهادة التي أملاها على سجانه**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع17، ديسمبر 2014، ص298. يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ج2، ص242.

[2]- عميراوي، ص137. برشان مُحَّد، **الاستعمار والمجتمع القبلي**، ص166. رضوان شافو، أساليب، ص292،285-293. صالح فركوس، مرجع سابق، ص33.

[3]- رضوان شافو، **أساليب**....، مرجع سابق، ص286.

[4]- علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940**، تر: مُحَّد يحياتن، دار الحكمة، 2007، ص244، 247.

أ)أحمد بن معمر المدعو أحمد بن سالم : سبق الحديث عنه ضمن الأحداث التي ألمت بمنطقة الأغواط بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر حيث كان له دور بارز في تلك الأحداث.

ب) يحي بن معمر : وهو أخو أحمد بن سالم سابق الذكر، وقد عين كآغا على مدينة الأغواط عندما عين أخوه أحمد خليفة على منطقة الأغواط بكاملها من طرف الفرنسيين، انضم إلى المقاومة في 15 سبتمبر 1952 ولما علمت الاحتلال الفرنسي بانضمام يحي بن سالم إلى الثوار قرر مصادرة أملاكه، فشكل لجنة لغرض تحديد الأملاك والبحث عنها كوسيلة عقابية، وتم تصفية أملاكه في الأغواط والاستيلاء عليها،[1] وقد كان أحد القادة الأربع الذين قادوا مقاومة مدينة الأغواط، وقد واصل المقاومة إلى غاية وفاته .

ج) الناصر بن أحمد (بن سالم) بن معمر : بعد اتهام أحمد بن سالم بالعجز تم عزله في أفريل 1852 وتعيين ابنه الناصر آغا على منطقة الأغواط وقصورها، من طرف الجنرال لادميرول.[2]

ج) الشيخ علي بن أحمد بن سالم: ت1897 كان آغا على الأغواط خلفا لوالده وأخيه، حيث عين سنة 1853 بعد خراب المدينة، ومما يؤثر عنه أن له مواقف مشرفة تجاه سكانها حيث حاول إعادة إعمارها وطمأنة الفارين منها واستعادتهم،[3] وقد كان له دور في المراسلات بين فرنسا والثائرين من أولاد سيدي الشيخ، بل وكان ضامنا للوعود الفرنسية تجاه سي الزوبير بن بوبكر أحد قادة الثورة، وتمثلت هذه الوعود بتحقيق كل طلباته خصوصا توليته على كل الجنوب، ولكن هذه المفاوضات انتهت إلى الفشل،[4] وقد ورد ذكره في رحلة فون مالتسان إلى الأغواط حيث استضافه في قصره وقد أورد الكاتب المذكور جوانبا من شخصية الشيخ علي بن سالم رغم أن مالتسان تحامل على الرجل كدأب الكتاب الأوربيين العنصريين.[5]

---

[1]-E Mangin , OP CIT, P 284.

[2]- بن يوسف تلمساني، مرجع سابق، ص225.

[3]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص127.

[4]- الشيخ لكحل، مرجع سابق، ص187.

[5]- فون مالتسان، مصدر سابق، ج3، ص211 وما بعدها.

د)مُحَمَّد بن الشيخ علي بن سالم: ت1951 ورد ذكره في رحلة الحسن الطولقي إلى الأغواط بوصفه باشآغا الأغواط.[1]

2/ آل فرحات (قادة البدو): يصف علي مراد هذه الأسرة بهذه العبارة: "..هناك أسرة قايدية (آل فرحات) مكلفة بتسيير فيدرالية قبائل الأرباع كانت من أصل قبلي، قد لعبت دورا لا يستهان به في حياة المدينة رغم الطابع غير الحضري لصلاحياتها، ذلك أن هذه الأسرة كانت في أوج قوتها، وقد وهبت الجزائر الخليفة جلول نائب شيخ العرب لبسكرة، الأمر الذي كان يمثل في تلك الفترة، إحدى أعلى الرتب التي يتطلع إليها كل قائد أهلي"[2].[3]

أ)بن شهرة بن فرحات بن الشاوي: والد بن ناصر بن شهرة وهو قائد الأرباع، خلفا لوالده فرحات، ويعود تزعم آل فرحات للقبيلة في الفترة العثمانية إلى مؤهلات هذه الأسرة إضافة إلى اعتراف السلطة العثمانية بهم، توفي سنة 1946، وخلفه ابنه بن ناصر على قيادة آغوية الارباع.

ب)بن ناصر بن شهرة: سبق التطرق إليه ضمن الحديث عن التطورات التي وقعت بمنطقة الأغواط، والتي كان لبن ناصر بن شهرة دور رئيسي فيها، وقد قد صهرا لأحمد بن سالم خليفة الأغواط، وقد كان قائدا للأرباع ابتداء من سنة 1839، وقد حاولت فرنسا استمالة الرجل عن طريق تعيينه آغا على قبائل الأرباع وقبل لفترة معينة بسبب الضغوط التي ترتبت عن هزيمة الأمير عبد القادر وخليفته الحاج العربي وتعيين صهره أحمد بن سالم كخليفة على منطقة الأغواط، ولكن سياسة الاحتواء الفرنسية للرجل قد فشلت في النهاية، وبمجرد ظهور بوادر ثورة مُحَمَّد بن عبد الله السنوسي حتى ثار بن ناصر بن شهرة ، وفضل الرجل محاربة فرنسا، في كل مكان استطاع الوصول إليه.

---

[1]- الحسن الطولقي، **سوانح متجول**، جريدة لسان الدين ، ع 50، س 02 ، 16 أفريل 1938م، ص2.

[2]- علي مراد، مرجع سابق، ص244. كانت الساكنة الحضرية لمدينة الأغواط نفسها منقسمة بين هاتين الأسرتين بنو سالم وفرحات بسبب الاعتبارات الدينية والسياسية المحلية. أنظر : نفسه، ص245، 247، 258.

[3]- يعتبر سعد الله أن هذه الأسرة فرع من أولاد عياد، ترجع إلى جلول بن فرحات الذي انحدر من نسل ابنته بدرة الفرع الذي حكم قبيلة الأرباع ومنهم لخضر بن مُحَمَّد باشاغا الأرباع إلى غاية 1915، والخليفة جلول المعروف .سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص134. عن أولاد عياد أنظر: سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، مرجع سابق، ص131-134.

ج)مُحَّد بن الطيب بن مقواس: وهو منافس والد بن شهرة والد بن ناصر ثم منافس بن ناصر نفسه على حكم قبيلة المعامرة، وقد تولى القيادة على المعامرة في الفترة من 1847 إلى غاية 1870.[1]

د)الحاج لخضر بن مُحَّد بن الطيب: (1836– 1914): كان قائدا لقبيلته المعامرة في الفترة ما بين 1870 إلى غاية 1875، حيث عينته فرنسا باشاغا على كل قبائل الأرباع (حلف أو كونفدرالية الأرباع) حيث استمر في هذا المنصب إلى غاية سنة1913،[2] وقد شارك بفعالية في قمع ثورة بوشوشة وحلفائه والتقى الرجلان في معركة سبسب جنوب متليلي بحوالي 15 كلم، وذلك يوم 12 ماي 1870 ، ولم تنته هذه المعركة إلى نتيجة حاسمة بين الطرفين،[3] كما ساهم في الهجوم الذي وقع على متليلي والشعانبة في شهر جانفي 1872.[4]

وقد حضر الباشآغا لخضر بن فرحات في استعراض باريس المقام على شرف الاسكندر الثالث قيصر روسيا[5]، وقد كان أحد أعضاء الوفد الجزائري المكون من باشآغاوات وقياد قاموا بزيارة فرنسا.[6]

دخل الحاج الأخضر مجلس الوفود المالية الجزائرية عن عمر يناهز 62 عامً، من ديسمبر 1898 إلى ديسمبر 1904، وفي 7 مارس 1904 على سبيل المثال ، ترأس اجتماعا بصفته أقدم عضو، حيث كان ممثل القسم العربي وكان جزءًا من لجنة "الزراعة ، التجارة والصناعة ، النشرات والبرقيات ، الاستعمار والغابات"، وقد انضم إلى هذا البرلمان "شبه الأول" بفضل الوظائف الإدارية التي كان يحوزها، كونه رئيس كونفدرالية الأرباع، ثم بانتمائه إلى عائلة من "النبلاء" العسكريين الجزائريين، ولا بد من القول إنه في هذا البرلمان الجنيني ، لم يقترح المندوبون قوانين ، كما هي العادة في التقليد البرلماني ، لأن الحكومة الاستعمارية حدت من تدخلاتها ، لقد استخدموا وبشكل خاص في تقديم الوعود، عندما يتعلق الأمر بالدين الإسلامي (إنشاء المساجد ، المدارس الدينية ، التعليم القرآني ، تعيين

---

[1] - Yves Bonète, OP.CIT. p 21.

[2] -ibid, p21.

[3]- الشيخ لكحل، مرجع سابق، ص183-185.

[4]- المرجع نفسه، ص194-195.

[5] سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص167.

[6]- عن هذه الرحلة، أنظر: مُحَّد بن الحسن بن الشيخ الفغون القسنطيني، **الوفد الجزائري من رؤساء العرب ورحلتهم إلى محروسة باريز**، ضمن كتاب: **جمهرة الرحلات الجزائرية الحديثة في الفترة الاستعمارية 1830–1962 الرحلة إلى أوربا**، تح و تق: عيسى بختي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات، 2017، ج1، ص87 وما بعدها.

الأئمة والمدرسة ...) أو حتى المصالح الاقتصادية (تطوير السكك الحديدية ، الملكية الجماعية)، حيث تم إنشاء الوفود الجزائرية بموجب مرسوم صادر في 23 أغسطس 1898 ، وكان الغرض منه هو تزويد حكومته "بآراء مجانية" في شكل رغبات مباشرة من ممثلي دافعي الضرائب الجزائريين[1].

هـ)الخليفة جلول بن لخضر: المولود في سنة 1856 : وقد تولى قيادة الأرباع بصفته خليفة منذ سنة 1913 إلى غاية 1940، كان أحد الحاضرين في الاحتفال بافتتاح مسجد باريس سنة 1926، ووصفه إسماعيل مامي ب: "الفاضل الزكي"،[2] وكان حاضرا في مؤتمرين من مؤتمرات جمعية أحباس الحرمين الشريفين، الأول انعقد في المغرب الأقصى في يناير من سنة 1937،[3] والمؤتمر الثاني في الجزائر في ديسمبر من سنة 1937، [4] وقد قام بدعوة الوفد إلى وليمة كبيرة تبين مدى قدرته المالية ووجاهته ، وقد ذكر إسماعيل مامي الوليمة بقوله: " وفي الغد أجابوا دعوة الماجد الخير عين الأعيان وكبير الأقوام أسد الجنوب الذي أقام للضيوف الكرام مأدبة غذاء فاخرة، من أعلى طراز كما هي عادة الخليفة في مآدبه للعظماء والأعيان وازدهر سوق الأدب وتدخل الشيخ سكيرج بعريضة شعرية..."[5]

ومما يؤثر على الخليفة جلول استعادته لمسجد الأحلاف بعد الاستيلاء عليه من طرف السلطة الاستعمارية وفي ذلك يقول قويدر بن مناد في جريدة البلاغ الجزائري بعد زيارته لمدينة الأغواط سنة 1928: " ومن عجيب ما رأيت وما سمعت أن مسجدا من المساجد أخذته الدولة من نحو الستين سنة فجعلته كنيسة وحذفوا من المنار للناقوس فبالتوفيق الإلهي والعناية الربانية جد باش آغا جلول في

---

[1]- Bachir Rouighi, **Un « Chef de tribu » Parlementaire**, blog : Mémoire, Documentation et Archives de Laghouat, Publié le 31 Juillet 2017, http://rouighibachir.over-blog.com /2017/07/un-chef-de-tribu-parlementaire.html. 21-10-2118. Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat dignité fierté pour l' éternité**, IMPRIMERIE Rouighi, laghouat, 2014, p 385-390.

[2]- إسماعيل مامي، **حول الاحتفال بالجامع**، ضمن كتاب: **جمهرة الرحلات** ..، مصدر سابق، ج5، ص110، ص118.

[3]- إسماعيل مامي، **مؤتمر جمعية أحباس الحرمين الشريفين سفر الوفدين التونسي والجزائري لرباط المغرب**، ضمن كتاب: **جمهرة الرحلات** ..، مصدر سابق، ج7، ص 153-154.

[4]- إسماعيل مامي، **مؤتمر جمعية أحباس الحرمين الشريفين** ..، ج1، ص257.

[5]- المصدر نفسه، ص269.

تخليصه للاسلام وبذل جهده وماله في إكرام وتعظيم الوافدين عليه من الحكام على اختلاف طبقاتهم وهو يتلطف بهم بالسياسة والاحسان ويطلب منهم إرجاع المسجد للمسلمين فقبلوا طلبه ولبوا دعوته، فرجع المسجد إلى أصله والله يجازي كلا بفعله، وصار محل الناقوس آذانا ومحل الكفر إيمانا والحمد لله، فلله دره من باش آغا فقد نال في الدنيا فخرا وفي الآخرة أجرا".[1]

ولكن أهم ما يؤثر عن الخليفة جلول هو دعمه للحركة الإصلاحية وحمايته للشيخ مبارك الميلي بالذات، وهو الأمر الذي اختلف الكثير حول دوافعه الحقيقية، كما سنرى لاحقا في فصل التعليم الإصلاحي.

و)الباشاغا دهيليس بن جلول: تولى سنة خلافة أبيه سنة 1940 إلى غاية سنة 1945.[2]

ز)الباشاغا المرهون بن دهيليس: تولى قيادة الأرباع من سنة 1945 إلى غاية 1959، حيث أنشئت البلدية الأهلية للأرباع، كان يملك قصرا بالمكان المسمى الميلق شمالي الأغواط يستقبل فيه ضيوفه من الفرنسيين والجزائريين، كما كان يملك حافلات وشاحنات لنقل الركاب والبضائع، وتتفق المصادر على مساهمته الفعالة في دعم الحركة الوطنية بمختلف تياراتها، والنهضة الثقافية والثورة التحريرية،[3] حيث وجهت له جريدة الشهاب الشكر بسبب تدخله لصالح وكيلها في الأغواط.[4]

[1]- قويدر بن مناد، **الجولان وفوائده**، جريدة البلاغ الجزائري، س 2، ع 69، الجمعة 21 ذو القعدة سنة 1346، الموافق ل 11 ماي 1928، ص2.

[2]- صادقي، مرجع سابق، ص231.

[3]- صادقي، مرجع سابق، ص231.

[4]- جريدة الشهاب، **من الأغواط متى تنقشع سحب الاستبداد**، مج 12، ج6، أوت –سبتمبر 1936، ص284.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية وأثر السياسات الاقتصادية الاستعمارية على المنطقة:

تميزت قبائل منطقة الأغواط (البدوية) بممارستها لمجموعة من النشاطات الاقتصادية أسوة ببقية الواحات المنتشرة في الصحراء الجزائرية، أبرزها الزراعة الموسمية ورعي الماشية وتجارة القوافل وصيد الطرائد البرية، التي كانت تمارس على نطاق واسع من أهل البادية، أما سكان واحات وقصور الأغواط (الحضر) فقد عرفوا ممارسة الزراعة كنشاط رئيسي للسكان حيث تغرس الخضر والفواكه والحبوب خاصة مع وجود سد "واد مزي" الذي ساعد على إقامة الزراعة بالمناطق القريبة منه ، كما تواجد بمدينة الأغواط وحدها ما يزيد عن 60 ألف نخلة، تنتشر على مساحة 500 هكتار مقسمة على عدة أقسام كل قسم منها يحيط بها سور، بالإضافة إلى رعي الماشية في المراعي القريبة من الواحات للتواجد النسبي للأعشاب الفصلية، مع ممارسة أنشطة اقتصادية عدة مثل التجارة والحرف.[1]

لم تكن السياسة الاقتصادية التي اتبعتها السلطات الاستعمارية الفرنسية في منطقة الأغواط مختلفة عما كانت تتبعه في بقية مناطق القطر الجزائري ، وهي سياسة قائمة على أساس استثمار واحتكار كل ما هو مفيد لديمومة الاقتصاد الاستعماري في الجزائر ، وقد اتبعت تلك السلطات شتى السبل لتحقيق ما كانت تصبو إليه على حساب حقوق أصحاب الأرض، ولم تتوان السلطات الاستعمارية في تغيير أنماط النشاط الاقتصادي في المنطقة ، وتدخلت في مختلف النشاطات الاقتصادية التي ينفرد بها الإقليم وفي مقدمتها النشاط الرعوي وتربية الماشية ، و كل ما يرتبط بحياة المجتمع الأغواطي فضلا عن سياستها المالية التي كرستها في توجيه مسارات الاستثمار لصالح مشروعها الاقتصادي.

أولا: الفلاحة:

1/ الزراعة: نشطت أنواع من الزراعات في المنطقة، حتى أصبح اسم الأغواط مقرونا بالبساتين الخضراء والحدائق الغناء، كما اشتهرت سكان منطقة الأغواط بأنظمة السقي التقليدية التي ساهمت في رفد النشاط الفلاحي.

أ) **طرق السقي:** تتلقى الأغواط مياهها من وادي مزي عبر سد يؤدي بالمياه الى الواحات، وقد انتعشت بعد الاحتلال زراعة البساتين التي بيع معظمها للملاك الذين انتزعت منهم ملكياتهم في

[1] – هناك تضارب في عدد النخيل الذي كان يوجد بمدينة الأغواط، وقد اعتمدت الرقم الذي أورده فون مالتسان. أنظر، فون مالتسان، مصدر سابق، ص198.

الماضي ، كما تحسنت قنوات مياه الشرب في المدينة والسقي في البساتين حسب التقارير الفرنسية، وإن كان الأمير خالد يخالف هذا الرأي في تقريره حول وضع الأغواط.[1]

وقد أقام أهل الأغواط نظاما للري الذي كان من أسباب نشأته وجود وادي مزي كرافد مائي غزير، و هو ينطلق من السفوح الجنوبية لجبال العمور في فيضانات عارمة عند نزول الأمطار الغزيرة إلا أنه يختزن كذلك مياها جوفية تظهر هنا و هناك و خاصة قرب مدينة الأغواط حيث تنبجس ينابيعه، و يقوم الفلاحون بتجميعها في شبه سد صغير يبنونه من رمال الوادي و جذوع الطرفاء و الديس، و من ثم تتدفق مياهه نحو بساتين الواحة في ساقية كبيرة حتى تصل إلى مفترق توزيع المياه عند مدخل الواحة الشمالية أطلقوا عليه اسم " القسمة " لأن عندها تتفرع المياه إلى ساقيتن كبيرتين تمون الساقية الأولى الجهات الشمالية الغربية، و الغربية و الجنوبية من المدينة و بساتينها و حقولها، بينما تؤدي الساقية الثانية نفس المفعول في الجهات الشمالية الشرقية، و الشرقية و الجنوبية الشرقية بما في ذلك الضايتين القبلية و الغربية و تتمكن المياه من الانسياب بسلاسة ودقة بفضل مهارة و خبرة المنشئين لها لتصل إلى أقصى نقطة فلاحية في المدينة و حتى خارجها. [2]

وقد كانت المياه تقسم بدقة وانتظام كبيرين[3]، و نجد أن كل ساقية منها تتفرع إلى فروع لتصل المياه كل بستان و حديقة وفق توقيتات دقيقة منتظمة يحرص الفلاحون على التقيد بها حتى ينال كل واحد منهم " الدور" المخصص له كما كانوا يسمون الشخص المراقب لتوزيع المياه و الأدوار " الوقاف " لوقوفه على هذا الأمر و توقيف أي شخص يحاول تجاوز نصيبه أو التحايل في الحصول على المياه و كان لمجموع " الوقافين" في المدينة رئيس عليهم و يراقب أعمالهم، وكانت الأولوية لملاك الآبار والذين تقع في ممتلكاتهم.[4]

---

[1]- الأمير خالد، مصدر سابق، ص54. عن السقي وطرقه ووسائله أنظر: مدني لبتر، مرجع سابق، ص47.

[2]- لبتر، مرجع سابق، ص 47 . قادة دين، **أنماط تواجد الماء في الصحراء الجزائرية وطرق استغلاله من خلال المصادر التاريخية**، مجلة قضايا تاريخية، ع 07، 2017، ص78. مُحَمَّد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص230. صادقس، مصدر سابق، ص253.

[3]- فون مالتسان، مصدر سابق، ج3، ص198.سعد الله، **الحركة الوطنية**..، ج1، ص87.

[4]- لبتر ، مرجع سابق، ص49. أنظر أيضا: قادة دين، مرجع سابق، ص78. صادقي، مرجع سابق، ص253.

و على غرار " القسمة " الموجودة في شمال المدينة استحدث في مدخل الواحة الجنوبية مجمع للمياه بجوار موقع مدرسة مبارك الميلي حاليا كان يطلق عليه تسمية " السفريج" أي " الصهريج"[1] تتفرع منه سواقي لري الغابة الجنوبية، كما كان السكان يلجؤون إليه لغسل الثياب و الصوف و يتمون منه البدو كذلك بالمياه، كما كان يحدث أيضا بالنسبة " للقسمة" و الجدير ذكره أن السكان كانوا يعتمدون في التموين بمياه الشرب كلية على السواقي، و لم ينقطع التموين من السواقي بالنسبة لغالبية السكان حتى نهاية الخمسينات من القرن العشرين حيث تدهورت السواقي و تلوثت مياهها بفعل مجاري المياه المستعملة و انتشار استعمال المنظفات الكيميائية الملوثة السامة الأخرى.[2]

-الانشاءات الاستعمارية في مجال الري:[3] أنشئت في العهد الاستعماري شبكة محدودة لأنابيب مياه الشرب كان المستفيدون الرئيسون منها في بداية الأمر الأوروبيين و عددا محدودا من أهالي المدينة، مع وجود حنفيات عمومية (سبالات) في بعض النقاط و الساحات.[4]

وقد أقام السكان في الأصل سدين على واد مزي، وأضافت سلطات الاحتلال سدا ثالثا وأنشئت قناة عبر وادي الخير،[5] وقد ارتبط القطاع الحيواني والفلاحي بالري، فشرعت الإدارة الاستعمارية في جملة من الإجراءات المرتبطة بالري، فعملت على جلب المياه خلال الفترة (1861-1878) ، وحفر ستة عشر بئرا في أحياء مدينة الأغواط، ولضمان نجاح الغراسة والزراعة، والتي تدخل في إطار إنجاح مشروعها الاقتصادي الرأسمالي الكولونيالي، أشرفت مصلحة الري الفلاحي التابعة لوزارة الفلاحة على عمليات البحث عن المياه قصد استغلالها استغلالا حسنا طالت ضواحي وادي مزي بالقرب من الأغواط كلفها مبلغ 1165534 فرنك.

وفي مطلع القرن العشرين ، وضع شارل جونار الحاكم العام سنة 1907 برنامجا خاص لإنشاء عدة مواقع لتجميع المياه بملحقة الأغواط في كل من عين الحامية، وحاسي الذيبة بقيمة مالية حددت ب

[1] - Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat dignité**.. , Op.Cit, p 47.

[2]- لبتر، مرجع سابق، ص50.

[3]- يوجد أرشيف مهم جدا في مديرية الموارد المائية بالأغواط يوضح طبيعة الكثير من المنشآت المائية في الأغواط وقد كان في حالة سيئة قبل أن يتم الاهتمام به مؤخرا.

[4]- لبتر، مرجع سابق، ص50.

[5]- قادة دين، مرجع سابق، ص78.

6500 فرنك وإنشاء خمس خزانات بسعة كبيرة مخصصة لاستقبال المياه الجارية بضاية تينصافين ومقدر (مغدر) بوسندة ومقدر التين تطلب كل منها 13000 فرنك[1].

تواصل هذا البرنامج ما بين (1907- 1909) حين تمت تهيئة السدود في التراب التابع للبلدية الأهلية للأغواط مثل العسافية، وفي تراب البلدية المختلطة حيث خصصت ميزانية البلدية إعانة قدرها 15000 فرنك ، وفي خلال فترة إدارة الحاكم العام ليتو (luteaud) استكملت أشغال الري بإنشاء سد الفاتح على طرف وادي مزي وبقبيلة مخاليف الأزرق، وتواصلت أيضا أثناء الحرب العالمية الأولى (1914-1918) لكن بأموال البلدية ومواردها ، ويبدو بأن ذلك ارتبط بالظروف الجديدة ألا وهي الحرب ومتطلباتها فشقت قناة بتاجموت طولها 380 م وبئر بالباردة وأخرى بوادي الحمار.[2]

ب)أنواع المنتجات الزراعية: مارس الأغواطيون الفلاحة ضمن قطع أرضية يسمونها من الصغيرة إلى الكبيرة : الجنين – الجنان – البحيرة.[3]

لقد كان القصوريون يتعهدون أراضيهم بالسقي المنتظم، ويغرسونها بأشجار مثمرة تختلف في كثير من الأحيان عن تلك المزروعة الشمال، مثل النخيل في جنوب الأطلس الصحراوي، كما كان مناخ هذه المنطقة يسمح لهم بالزراعة البعلية (الزراعة المعتمدة على المطر) للشعير والقمح في أراضي العرش. [4]

- **الخضر والفواكه:** لقد كانت منتجات هذه البساتين تمثل موردا هاما ، وكانت توفر الخضر بكميات معتبرة ، مثل الجزر واللفت والبصل والبطيخ والباذنجال وغيرها ، كما كانت أشجار الفواكه تشكل غابة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، إذ كان الاخضرار يكسوها من الأعلى و كانت والنخيل والمشمش والخوخ والتين والسفرجل و أشجار الرمان ، هذه الأخيرة ، كانت بكميات معتبرة والتي لم يكن فيها أحدا مستثنى في أخذ حصته منها ، وكانت أشجار الكروم تنمو في شكل سلسلة تلتف على الأشجار من واحدة إلى أخرى ، وكان بنو الاغواط يصدرون كميات معتبرة من الهرماس

---

[1]-C. JONNART, **Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie**, imprimerie Adolphe JOURDAN, Alger, 1910, p.121

[2]-CH. LUTEAUD, **Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie**, imprimerie Adolphe JOURDAN, Alger (1914-1915), p.152

[3]- لبتر ، مرجع سابق، ص51.

[4]- أندري نوش وآخرون، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: رابح اسطمبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص382.

(هو مشمش مجفف تحت أشعة الشمس ويستعمل في غذاء العرب على نطاق واسع) ويسوق في منطقة التل .

أهم الأشجار المثمرة أنواع العنب و الرمان، و المشمش و الخوخ و التفاح، و الإجاص، و البرقوق و هي من الأنواع الأصيلة محليا، و منذ نهاية الأربعينات أخذ الفلاحون يستجلبون أنوعا أخرى من الشمال و توسعوا في عمليات التطعيم " اللقم" و رغم أهمية ذلك كانت له أثار سلبية حيث جلب معه بعض الأمراض و الآفات التي لم تكن معهودة.[1]

قد حاول الفلاحون استجلاب أنواع لم تكن منتشرة إلا أنها لم تلاق نجاحا كبيرا لعوامل مناخية، كما نذكر من بين أسباب تدهور الفلاحة في هذه الواحة شيخوخة الفلاحين المؤهلين و عدم اهتمام الأجيال الجديدة بهذا النشاط الشاق و غير المجزي ماديا بالنظر إلى غزو المنتجات المستوردة من مناطق الشمال، كما أن تجزئة البساتين على الورثة جعلها غير قابلة للاستغلال و بالتالي مهملة قاعا صفصفا و الكثير منها غزتها المباني.[2]

وقد عدد ترواملي أنواع الفواكه التي تزرع في الأغواط ومن بينها: الكرم والخوخ والرمان والبرقوق واللوز وغيرها، [3]كما أشار بول صوليه أن أراضي الأغواط تزرع فيها الخضر والقمح والشعير.[4]

حيث تمكن مزارعوها من تموين المناطق التلية بكميات كبيرة من الثمار بلغت 450 قنطار جلبت 40000 فرنك وشملت فاكهة المشمش، والخوخ، والتمور المتواجدة بواحات العسافية، والحويطة، وقصر الحيران، وتاجموت، والأغواط بسبب طبيعة التربة والمياه.[5]

[1]- لبتر، مرجع سابق، ص51. مُحَمَّد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص230.

[2]- لبتر، مرجع سابق، ص51.

[3]- ترواملي، مصدر سابق، ص562.

[4]- Paul soleillet, **l' Afrique Occidental Algerie Mzab Tidikelt**, ed: el kaima , algerie.2013 , P33.

[5]- Ibid, p.34.

- **النخيل والتمور:** بسبب وقوع منطقة الأغواط في مجال مناخي (شبه قاري) وحيز جغرافي مرتفع كانت زراعة النخيل تتأثر بفارق درجة الحرارة، [1]كان السكان يمنحون أكبر اهتمامهم لزراعة النخيل على الرغم من تواضع نوعيته التي كانت اقل جودة ،[2] ولم يكن ممكنا الاحتفاظ بها لوقت طويل مما يعرف في الأغواط بتمور "العولة"، لذلك كان التمر يستعمل في مختلف أنواع الأطعمة، كما كان إنتاجه الوفير من وقت إلى أخر يمنح فرصة للسكان لشراء المقتنيات، ويمنحهم أفضلية تؤهلهم لاستفادة من جلب الصوف والزبدة التي يحتاجونها، كانت الواحة تتوفر على 20.000 نخلة منتجة ، وملقحة ب 500 ذكر ، وقت جني التمر الذي يبدأ في النضج منذ شهر أكتوبر، حيث تكون الأمطار في هذا الفصل مهلكة لمحصول جيد ، إذ كان المثل الشعبي الشائع عند الأهالي يقول« يجب إن تكون أرجل النخلة في الأرض ورأسها إلى الشمس » ،كانت الرياح الشرقية و الشمالية خلال شهر مارس و أفريل في فترة اللقاح مرعبة ، وكانت النخيل التي نمت بفعل الزرع تمثل أحسن الأنواع ، بينما لم تكن المتوسطة منها تعطي سوى فاكهة رديئة ، بل يمكن اعتبارها غير منتجة ، وعندما يوضع الغرس في الأرض ، فيجب العناية به جيدا في السقي اليومي خلال شهر ونصف على الأقل، ثم يتعين سقيه بعد ذلك مرة واحدة كل يومين خلال نفس فترة السقي الأولى ، وبعد ذلك مرة في الأسبوع أثناء فصل الصيف ، و كل 20 يوما في فصل الشتاء ، لان ذلك كان يمثل الشرط الضروري لتكاثر جيد، ويبدأ النخيل في الإنتاج ابتداء من السن 8 إلى 10 سنوات ، لكننا نادرا ما نجده يتجاوز 100 سنة ، ذلك إن إنتاج النخلة بعد هذا السن لا يكون ذا قيمة ، لذلك يتم قطعها لاستعمالها كحطب لسقف المنازل ، ومع إن هذه الجذوع غير جيدة إلا أنها كانت مفيدة لبلد لم يكن يتوفر على موارد بديلة .[3]

تعتبر التمور من بين أهم منتجات واحات الأغواط ، وبمعدل إنتاج يتراوح ما بين 6 إلى 10 كلغ للنخلة الواحدة، و استنادا لهذه الأرقام ، كان يمكن حساب كميات الإنتاج التي تستخلصها الواحة ، ويوجد بالمنطقة أكثر من عشرين نوعا مختلفا، وهي ذات أصول عديدة فبعضها أصله من الأغواط مثل: تادلة (تاهدلت) وهي أحسن الأنواع، وكزيزة، وزرزة، وتبزاووت، وتيمبوكرت، وغرس أمبيتي، في

[1]- كاريت، مصدر سابق، ج6، ص191.

[2]- سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، مرجع سابق، ص87.

[3] - Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat dignité**.. , Op.Cit, p138-139.

حين أن بعض الأصناف أصلها من توات وقورارة مثل: تيمجوهرت (صنف ممتاز)، تادماما ، تين ناصر، أزارة، بينما نجد من أصناف منطقة الزيبان: سبعة بذراع، صبع لوصيف، زريقة، الحلوة، كنته، كسبة، كربوشت، بيض الحمام، دقلة نور التي لم تكن تتوفر إلا بكميات قليلة ، ذلك أنها كانت مطلوبة بكثرة بحكم جودتها وإمكانية تخزينها ، في حين أن التمور ذات الأصل الورقلي هي: عجينة ، والغرس، بينما نجد نوعا من المغرب الأقصى ألا وهو : بوفقوس،[1] وفي ظل النخيل تنمو العديد من الأشجار المثمرة مثل الكرم والخوخ والرمان وشجر العينة(البرقوق) وشجر اللوز والدالية (العنب).[2]

كان شراب اللقمي يستخرج من نسغ النخيل ،وقد كان مشتهى عند العرب ، بينما كان من يأخذ قيمة فاخرة منه يزخرف باحتشام قصور الأوروبيين ، وكان يكفى قطع رأس النخلة للحصول على شراب اللقمي ، مع العناية بوضع شق في القلب ، ثم يوضع الإناء في أسفل مكان التقطير ، حيث يبدأ الشراب في الانسياب ليصل إلى 10 لتر كل صباح ، وكان يمكن الحصول على الكمية المطلوبة خلال شهرين ، شريطة تبريد رأس النخلة كل يوم ، وهذا ما كان يمنع الشق من الانغلاق ومن الجفاف، غير أن هذه العملية إذا استمرت ولم تحظ بالعناية ،فاتها ستكون مضرة للنخلة ، بينما إذا كانت محدودة في الزمن ، فإنها تقدم أحسن النتائج ، وتجدد حياة الأشجار المريضة ، وحينما كان يراد قطع انسياب الشراب ، كان يتم غلق قلب الشق بالرمال المبللة ، وكان يمكن استهلاك قلب النخلة في المقابل ، فمذاقه كان يقترب من القسطل أو قل من البطاطا الطازجة .[3]

ج) المشاريع الزراعية الفرنسية: اختلفت آراء العسكريين عند احتلالهم للأغواط حول أهميتها الزراعية، لكن فيما بعد اقتنع الكثير من أعضاء الحكومة العامة والكولون بإمكانية تطوير الإقليم زراعيا، فأشارت المصادر الأجنبية بأن واحة الأغواط تمتلك أغنى أشجار الثمار مثل: الكروم، التين، الرمان، والنخيل، وتضيف المصادر الأجنبية أيضا بأن واحات الأغواط تزدهر بها الأصناف المتوسطية كأشجار التين، والزياتين، والبرتقال، واليوسفية، والليمون بما في ذلك الأعناب.

---

[1] _ صيقع، مرجع سابق، 112.

[2] _ ترومللي، مصدر سابق، ص 562. وصف الرحالة ابن الدين الأغواطي وغيره من الرحالة منتجات الأغواط الفلاحية. أنظر : ابن الدين الأغواطي، مصدر سابق، ص87.

[3] – كاريت، مصدر سابق، ج6، ص 194-195. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، مرجع سابق، ص87. الطيب العماري، **النخلة في البيئة الصحراوية قيمة اقتصادية ورمزية سوسيوثقافية**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، نوفمبر 2011، جامعة غرداية، ص51.

بعد الاحتلال مباشرة قامت السلطات الفرنسية بعدة إجراءات لتفتيت الوحدة الاجتماعية والاقتصادية للسكان ، حيث استهدف الفكر الكولينيالي تحطيم البنية الاجتماعية وتفكيك الشبكة التقليدية للمجتمع ، خاصة على مستوى الملكية الجماعية ذات الطابع المشاعي(الزراعي والرعوي)،[1] وفي هذا الصدد قامت إدارة الاحتلال ما بين سنتي 1865و 1880 بتوزيع مساحات صغيرة من الضاية التي تقع في الواحات الجنوبية عشرين فرنسي حيث أسست فيها ضيعات زراعية ، كما استولى البعض من المستوطنين على العديد من الهكتارات الصالحة للزراعة، بالإضافة إلى المساحات المهيأة للإسكان والتنشئة العمرانية.[2]

وتحليلا لهذه الوضعية التي كانت تتمتع بها المنطقة من خلال المصادر الفرنسية، تحمس رجال الحكومة العامة للمشروع الرأسمالي الاقتصادي الاستعماري لإنشاء محطة تجريبية لزراعة الخضار والفواكه وتربية الابقار،[3] ويستند هؤلاء على تقرير بول صولييه الذي يذكر بأنه وجدت في إحدى الحدائق التي يمتلكها نائب رئيس البلدية دوكلير (DECLAIR) مجموعة هائلة من الأشجار المثمرة الأوروبية منتقاة من منطقة بيرتوي(PERTUIS) تنتج ثمارا بإنتاجية معتبرة كالكروم، والكرز، والخوخ، والبرقوق، والتفاح وتتكيف كل هذه الثمار مع مناخ الصحراء.[4]

أما الحبوب، فيسيطر عليها القمح والشعير اللذان يتباين إنتاجهما تحت تأثير مجموعة من العوامل و للإشارة أن المنطقة كانت تعتمد على 4000 طن من الحبوب على اختلافها سنويا من الأسواق الجزائرية.[5]

إلى جانب ذلك، يذكر بأن المنطقة كانت تحتل الصدارة إنتاجا للهليون (Les Asperges) الذي يباع بكميات كبيرة في أسواق الأغواط والجلفة، بالإضافة إلى البرسيم الذي تنتج منه منطقة الأغواط 1000 قنطار سنويا والذي يستعمل كعلف للأنعام في حال سقوط الثلوج.[6]

---

[1]- برشان مُحَمَّد، **الاستعمار والمجتمع القبلي**، مرجع سابق، ص155. رضوان شافو، **أساليب**، مرجع سابق، ص290.

[2]- George Hirts, opcit, p137

[3]. Ibid, p.84

[4]- Paul SOLEILLET, **l'Afrique occidentale**, **avenir de la France en Algérie**, Callamel AINE, Paris, 1876, p.12

[5]- Paul SOLEILLET, Ibid, p.129

[6]- M.C JONNART, OP.CIT, p.158

2/ تربية الحيوانات: اشتهرت منطقة الأغواط بتربية المواشي سواء تعلق الأمر بسكان القصور أو بالقبائل البدوية القاطنة في ضواحيها.

وقد كانت قبيلة "لرباع" تعيش تحت الخيمة و كانت تربي الماشية التي تصطحبها لترعى صيفا في الهضاب العليا الواقعة في الشمال و القسم الجنوبي للتل نظرا لانتماء منطقة الأغواط، لمناخ شبه صحراوي بنسبة تساقط أمطار قليلة، و تتكون المراعي من أعلاف ذات دورة حياة قصيرة (الشيح، و نبات القندول و الرغل الملحي) تستطيع الضايات الحفاظ على المراعي النادرة للعديد من الأشهر، أثناء 'لعشابة' أظهر 'لارباع' التزاما منتظما بالانتجاع مقارنة بالقبائل الأخرى، غير أنّه مع مرور السنوات تحوّلت المراعي القديمة إلى حقول للحبوب ممّا أدّى إلى تقليص مناطق الكلأ ، و قد دفع تراجع عدد القطعان بسبب الجفاف و المرض بعض البدو الرحّل إلى الاستقرار في مكان واحد (حي 'قصر الفروج' بجنوب مدينة الأغواط)، أما فيما يخصّ الماء، فقد تمّ حفر الكثير من الآبار فكفى ذلك عددا كبيرا من القطعان كذلك، ، إنّ تربية الخروف ثروة لا يضمن بقائها سوى حياة البدو و التي إن تخلى عنها المرء فسيتعرض لمخاطر اقتصادية و اجتماعية رغم أنّ البعض رأى في حياة الترحال شكلا من الأشكال التي عفا عنها الزمن و من الضروري وضع حدّ لها، واجه بدو 'لارباع' أزمة نمو وضعت أسس وحدتهم القبلية على المحك.[1]

-المشاريع الفرنسية ذات العلاقة بالقطاع الحيواني: منذ أواخر القرن التاسع عشر ، كان لجهود الكومندان مارغريت في منطقة الضايات أثره في إنشاء السدود والخزانات لتجميع مياه الأمطار لعدة أشهر وحثه الأهالي على تهيئة الهضاب المحيطة بغرض الوقوف في وجه حياة الترحال التي يعرف بها سكان الإقليم.

بعد أن أدركت الإدارة الاستعمارية أهمية المنطقة في هذا النوع من الأنشطة التي أشاد بها العديد من المختصين، انفقت الحكومة سنة 1905 قيمة 6531 فرنك وزادت في السنة الموالية حتى أصبحت 10260 فرنك ووصلت في 1907 نحو 14450 فرنك،[2] وفي إطار التحفيزات والمغريات المالية المقدمة من السلطة الاستعمارية العليا خصصت الحكومة العامة أغلفة مالية جيء بها لتشجيع تربية

[1]- محمّد سويدي، مرجع سابق، ص169 وما بعدها.

[2]- M. C. JONNART, **Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie**, imprimerie administrative, Alger1909, p.73,

الماشية واتباع الطرق العلمية تتراوح بين 200-700/ف مخصصة لأحسن قطيع منتقى وأحسن مربي وأفضل قائم على الخصي، و الذي كشف عنها تقرير (جاري) البيطري بالأغواط حول المحفزات المالية لتشجيع تربية الأغنام[1]، ومن نتائج ذلك، احتلال الأغواط المركز الرابع في تربية الأغنام بعد كل من الجلفة، المشرية، سعيدة وذلك بفضل التحسينات التي جيء بها والخاصة بالقطعان بسبب المغريات المالية التي سبق وأن أشير إليها وتخليص الأهالي من عملية الجز التقليدي بواسطة المقص الذي يؤدي غالبا إلى جرح الماشية.

ويبدو أن ظروف الحرب العالمية الأولى (1914-1918) وحاجة المتروبول إلى الموارد الحيوانية كانت وراء تحفيزات جديدة بينتها المصادر التي ذكرت أن قيمها تراوحت ما بين 100 الى 500 /ف توزع كالآتي:.

- 500/ف للمنتقين لأحسن السلالات.
- 500/ ف للمنتقين لأحسن النعاج .
- 400 /ف لأحسن الرعاة.
- 100 /ف لأفضل راع يحسن عملية الجز.[2]

وبسبب الجفاف والفترات العصيبة التي مرت بها البلاد سنة 1920، وانتشار داء التيفوس في أوساط الأهالي، حدث اختلال عميق بين أسعار الماشية وأصوافها أدى إلى تدخل السلطات الاستعمارية بغرض دفع المشروع الاقتصادي الكولونيالي، وسخائها المغلوط عبر بنك الجزائر لتقديم القروض لمدة تسع أشهر. فكان نصيب المنطقة محل الدراسة غلاف مالي بقيمة 700000/ف مخصصة لشراء البذور، فإلى غاية نهاية ديسمبر 1921 كانت ديون الأهالي بملحقة الأغواط بمفردها تبلغ 2.220.730/ ف[3]

[1] - M. C. JONNART, op.cit , p.150

[2]-CH LUTEAUD, **Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie1916**,**1917 et**, **1918**, imprimerie administrative, Alger ,1918 , p 74

[3]- Ibid, p.111-112

أبدت السلطات الاستعمارية اهتماما واضحا في الارتقاء بالنشاط الرعوي وتطوير الثروة الحيوانية في منطقة الأغواط لا سيما وإن الإقليم كان يتوفر على كل الإمكانيات التي تجعلها قادرة على توفير منتجات عالية الجودة ورفيعة المستوى، إلى جانب أهمية إدخال تحسينات وتطوير على حرفة الرعي وتربية الماشية عبر انتهاج أساليب عملية وعلمية من أجل رفع المردود الاقتصادي لهذه الثروة.

وقد اقتنعت الإدارة الاستعمارية بضرورة إنشاء الحضيرة التجريبية لتربية الماشية بتاعضميت وذلك بعد نصائح قدمها متخصصان وهما المهندس الفلاحي كوستون (COUSTON)، والمفتش بمصلحة تربية الماشية ترويت (TROUETTE) إذ نصح كل منهما باختيار العقار الذي توجد به المؤسسة العقابية لاعتبارات طبيعية كالموقع وتوفر المياه والعشب الملائم وامتدادها الترابي[1]، حيث تقع هذه المؤسسة التجريبية بوادي تاعضميت على بعد 14 كلم من الطريق الرابط بين الجزائر – الأغواط تتوسط الهضاب العليا وأطراف الصحراء تمتد على مساحة قدرها 3000 هكتار تتخللها الحلفاء ونبتة الأرطمازية (ARMOISEL') ومراعي مساحتها نحو 20 هكتار، وأراضي ذات جودة عالية قابلة للري تمثل 40 هكتار ، كل هذه الشروط كانت سببا في اختيارها.[2]

وأخذا بالتجارب التي أقيمت بالمنطقة من طرف جيسلين (GESLIN) مدير المؤسسة العقابية والبيطري دوران (DURAND) اتضحت إمكانية نجاح التجربة حيث بيع في الفترة (1923-1928) نحو 1780 خروف ، ووزعت على نقابات تربية الماشية واللجان الرعوية والخواص نحو 783 من الكباش المنتقاة و التي تنتمي إلى ثلاثة أصناف : الصنف الأول وهو صنف تاعضميت ويتميز بنعومة أصوافه، والثاني صنف أولاد عيسى المعروف عند الأهالي بالرامبي والذي يتميز بلونه الأسمر الفاتح، أما الصنف الثالث والأخير وهو صنف زاغر الذي يعتبر من أهم الصنوف لدى قبيلة أولاد نايل.[3]

---

[1]- ضيف الله شلالي، **دور سكة الحديد الفرنسية في استغلال المناطق الداخلية للجزائر الجلفة أنموذجا1962-1857**، ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تخصص المقاومة و الثورة، إشراف: بوعزة بوضرساية، جامعة الجزائر 2، 2011- 2012، ص118 . صادقي، مرجع سابق، ص213.

[2]- LUTEAUD, Op.Cit, p.220

[3]- ضيف الله شلالي ، مرجع سابق، ص119.

وقد حققت هذه المحطة التجريبية عدة إنجازات باتباعها الأساليب الحديثة التي أوصى بها وكرسها الأخصائيون في البيطرة والفلاحة فارتفع عدد رؤوس المواشي وزاد وزنها إذ وصل وزن الكبش الواحد 58 كلغ.

ونظرا للنجاحات التي حققها المشروع الاقتصادي الكولونيالي في هذا الصدد، صدر قرارا من الحاكم العام في نوفمبر 1928 يقضي بتقديم دروس الإتقان وتحسين تربية الماشية بحضور عناصر مختارة من خريجي المدارس الفرنسية وقدماء الجنود، والملاك، والراغبين في الاستفادة من التجربة والخبرة والطرق الحديثة لمدة أربعة أشهر، يقضي فيه المستفيد شهرا واحد بالمعهد الفلاحي بمدينة الجزائر أما الأشهر الثلاثة يقضيها في المحطة التجريبية وعند إتمام فترة التعلم والدراسة تسلم للمتفوقين تحفيزات مالية ينال فيها صاحب المرتبة الأولى 500 فرنك ويتبعه صاحب الرتبة الثانية بقيمة مالية قدرت ب 300 فرنك، ونتيجة لذلك بيعت أصواف هذه المحطة من طرف شركة شمال افريقيا للمبيعات العمومية في 19 جوان 1928 بأسعار كبيرة بلغت فيها أسعار الأصواف الدقيقة 1610 فرنك للقنطار و 1510 فرنك للأصواف الرقيقة وبسعر 1400 للأصواف العادية.[1]

تحليلا لنتائج التحسينات التي عرفها قطاع الماشية بالمحطة التجريبية بتاعضميت ، خلص رجال الحكومة إلى الأخذ بالتجربة بهذه المحطة من خلال تسطير برنامج عمل اقتصادي لمدة عشر سنوات من خلال مطبوع المفتش ترويت الموسوم " تربية الضأن بمنطقة التراب العسكري " ، وخلال الفترة الممتدة بين (1930-1940) زادت اهتمامات الحكومة العامة بهذه المؤسسة تدخل في إيطار البرنامج التكميلي للدراسات والتجارب ترتكز بالدرجة الأساس على:

- إنشاء بنايات جديدة بالمحطة ذات مرافق تتلائم وحاجاتها .
- بناء محطة ميكانيكية لطحن الحلفاء.
- إنشاء جناح خاص بالآليات البيولوجية الخاصة بالماشية.

إن كل هذه المشاريع التي تدخل في هذا البرنامج تعتمد على الميزانية المخصصة لمنطقة التراب العسكري، الشيء الذي يعكس الاهتمام الواسع والكبير لإنجاح هذا المشروع.[2]

[1]- ضيف الله شلالي، مرجع سابق، ص118-119.

[2]- المرجع نفسه، ص119 ،129.

أشارت المصادر الأجنبية الى النجاحات التي شهدتها المحطة التجريبية لتعضميت من وراء جهود المفتش ترويت وإمرة الضابط السابق للشؤون الأهلية كوتانصو (COTTANCEAU) حيث نجح في إدماج خمسين من الأهالي في هذا الأسلوب الحديث التي لم تكن تعرفه المنطقة ببناء نادي خاص بأهالي الأغواط بسبب التعليمة التي أصدرها الحاكم العام بيير باردیس (Pierre BARDES) كما ساهم أيضا بإعانة مالية قدرها 6000 فرنك وأكدت نفس الفكرة كل من صحيفتي " الجزائر الجديدة " و صحيفة (LE MUTILE).

ومن بين الدلائل التي نستدل بها ، دور الآغا دهيليس وعدد من مربي الماشية بهذه القبيلة في التأسيس لتعاونية الأصواف بالأغواط التي تتولى بيع هذه المادة الذي كان الهدف منها مواصلة تحسين قطاع الضأن عن طريق الإنتقاء فبلغ إنتاج الأصواف 100000 كلغ بيعت كلها من طرف هذه التعاونية،[1] والملاحظ أن أغلبية المواشي التي كانت تربى في منطقة السهوب، كانت تعود للأهالي وليس للمعمرين، حيث لم تتجاوز نسبة ملكيتهم 1,5 بالمائة ، في حين كان ساكنة إقليم الجلفة يملكون 386 ألف رأس بينما تملك قبائل الأغواط 200 ألف في حين تملك قبائل غرداية 66 ألف رأس. [2]

ويعطينا الأمير خالد صورة سوداوية على وضعية مربي المواشي في منطقة الأغواط حيث يقول :" ولنتفحص حصيلة سبعين سنة من التجربة: وداعا للغنم التي كانت ثروة لا تحصى بالبلاد، وداعا للبعير وهو الحيوان الملازم للجنوب الماء: إن نظام المياه مازال كما كان سنة 1852، [3]، "طرق الاتصال: ليس هناك أي طريق ماذا فعلوا بال: 110 الاف إلى 160 ألف فرنك من الخدمات سنويا ومن التدعيم، [4]ويضيف: "إن البدوي قد أفلس وبلغ به الأمر إلى التسول وإلى السرقة وفي المقابل فإننا نرى الرؤساء غارقين في الملذات والرخاء: فيلات وأثاث وحدائق ومساعدين وطباخين وأحصنة ورواتب وتعويضات وكل هذا على حساب البدويين". [5]

[1]- ضيف الله شلالي، مرجع سابق، ص 124-125.

[2]- المرجع نفسه، ص119-120.

[3]- الأمير خالد، مصدر سابق، ص55.

[4]- المصدر نفسه، ص55.

[5]- نفسه، ص55.

يتضح لنا انعكاس استغلال الماشية من خلال محاصرة المربين الجزائريين في المنطقة بجملة من الممنوعات مثل منع خروج الأغنام من مناطق الجنوب ذات الحكم العسكري، إلا بإذن ورخصة يمنحها القائد العسكري، وكان يشترط في طلب الرخصة أن يرسل إلى القائد العسكري عن طريق وسيط رؤساء الملحقات المهتمة، ويجب تحديد اسم المرسل وعدد رؤوس الأغنام، و وكذا طبيعة الاستعمالات للذبح، أو للرعي، واسم المرسل إليه، و كان التصريح يطلب أيضا من مصالح الأمن، وأعوان مصالح سكك الحديد قبل النقل إذا كان في السكة الحديدية[1].

كما صدرت قرارات سحبت من مربي الأغنام الحق في التسويق، وسخرتها في إطار التموين العام الداخلي والعسكري، لتموين فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، مما عرض القطعان الجزائرية في المناطق الجنوبية إلى استنزاف منظم، فعلى سبيل المثال أخذ من مناطق الجلفة وما جاورها في ظرف ستة أيام من 26 إلى 31 أوت سنة 1944 نحو 44.000 رأس من الأغنام.[2]

ثانيا: الصناعة: لقد كانت الصناعات التقليدية منتشرة في القصور في شوارع وأحياء كثيرة كالحدادين وباعة الأسلحة وتجار المصوغ من يهود والصباغين والنجارين.[3]

إن كون منطقة الأغواط منذ نشأتها الأولى كمركز حضاري واقع في قلب السهوب و قائم في أرض فلاحية جعلها تجمع ما بين الحضارة و البداوة، و بالنظر إلى أن الإنسان منذ القدم يسعى إلى التلاؤم و التكيف و التفاعل مع بيئته أخذا وعطاء يستمد منها المواد الأولية يصوغها وفق أشكال هندسية و فنية ليحقق بها أعراضا علمية، و يعبر بها عن مشاعره الإنسانية و تطلعاته الفنية و الروحانية فسكان مدينة الأغواط بالطبع لا يخرجون عن هذه القاعدة الحضارية، إذ نجدهم في مختلف إنتاجهم و مصنوعاتهم الأصلية يعتمدون في الأساس على الخامات المحلية التي توفرها لهم بيئتهم و أرضهم، سواء تعلق الأمر بالمواد الفلاحية أو الحيوانية فقد كانت أشجارهم و نخيلهم تمدهم بخامات يصنعونها لسد حاجاتهم في أشكال و أدوات متنوعة، فمنها يصنعون سقوف البيوت و ألواح الأبواب و معدات النسيج كأجزاء الأنوال (المناسج) على اختلافها و أدوات الفلاحة، ومن جريد النخل يصنعون مكانسهم وأسرتهم التي يطلقون عليها "السدة" ومن سعفها تصنع الحصر والحقائب اليدوية والقفاف

[1]- ضيف الله شلالي، مرجع سابق، 163-164.

[2]- المرجع نفسه، ص164.

[3]- أندري نوش وآخرون، مرجع سابق، ص404.

وأغطية الرأس " المظل" والمروحيات اليدوية، ومن ليفها يصنعون الحبال وأدوات التنظيف، كما يستعملون عراجينها لصناعة السلال والأطباق[1]، كما كانت تربة أرضهم و حجارتها تمدهم بالخدمات الأولية لصناعة قوالب البناء و الآجر و لصناعة الجبس و الجير بواسطة أفران كانت مقامة على أطراف المدينة، أما الحيوانات التي تحفل بها السهوب المحيطة فتوفر لهم خامات الصناعات الجلدية و النسيجية المختلفة، و أما الصناعات المعدنية فإن موادها الأولية تجلب من مناطق توفرها لصناعة المواد الحديدية و النحاسية و الحلي.

– أنواع الصناعات في المنطقة:

1/**المنسوجات**: و تنقسم إلى:

أ) المنسوجات الخاصة باللباس: و من أهمها البرانيس التي تصنع من الصوف أو الوبر، كما أن أنواعا منها تجمع ما بين الصوف و الحرير أو من الحرير فقط و هو ما يسمى (البرنوس الجريدي) بتشكيلات مختلفة تتفنن فيها النساجة الأغواطية، و كذلك القندورة التي تصنع من نفس الخامات، و هناك القشابية (الجلابة) التي تصنع من الصوف غالبا، و يخص الأطفال بألبسة مزركشة كانت تدعى الزقدونة أو الزرقوطة، وكانت رائجة وتستبدل بالحبوب في أسواق التل.[2]

ب) منسوجات منزلية: و قد اشتهرت الأغواط قديما بنماذج منها:

–الحائك: الذي يستعمل كفراش أو غطاء و يكون عادة مخططا بالألوان و مرصعا ببعض الأشكال أحيانا.

–الجربي: و هو نوع شبيه بالسابق من حيث الحجم و لكن يختلف عنه بكثرة الزخارف و الأشكال و أكثر رقيا و فنية و سعرا، وهو من أصل تونسي نسبة إلى جزيرة جربة، حيث تم استقدام حرفيين من تونس ، وقد تخصص هؤلاء في حرفة الطلاء الضروري للجربي ، وتعتبر صناعة النسيج(الجربي)

[1]– سعد الله، **الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ج1، ص87. كاريت، مصدر سابق، ج6، ص195. الطيب العماري، مرجع سابق، ص51.، لبتر، مرجع سابق، ص59. صادقي، مرجع سابق، ص253.

[2]– لبتر، مرجع سابق، ص60 . كاريت، مصدر سابق، ج6، ص187. دبوز، مصدر سابق، ج3، ص234. صادقي، مرجع سابق، ص271. وصف سانت أرنو الأغطية المصنوعة من طرف نسوة الأغواط بالجودة حيث قال: ".. يمكن أن تمطر السماء شهورا دون أن يخترقها الماء". سانت أرنو، مصدر سابق، ص178.

واحدة من الصناعات الرئيسية الأكثر شهرة لبني الاغواط وهي الأغطية التي كانت تحيكها النساء والتي أخذت صناعتها انتعاشا جيدا. [1]

–الزرابي: و هي متنوعة و قد أبدعت أنامل النساجات الأغواطيات في هذا المجال و أظهرن براعة مشهودة في إنتاج الزرابي المرقومة أي المزينة بالأشكال و الصور المختلفة ذات الدلالات و الرموز الموحية في حاجة إلى دراسة تكشف عن أسرارها و رموزها،[2] وقد قدم حرفيون من جبل عمور لأجل حياكة السجاد المصنوع بالصوف ، والذي كان يحظى بطلب كبير، وكذا الجلال (وهي أغطية الأحصنة) ، و هناك أنوع أخرى من المنسوجات الأقل حجما من مخدرات و حقائب.[3]

2/ الصناعات المعدنية: أهم ما يذكر منها الحدادة التقليدية التي كانت تسد معظم حاجيات أهل المدينة و بواديها من الأدوات المختلفة سواء للاستعمال المنزلي كالسكاكين و السواطير أو للاستعمال الفلاحي بمختلف أصنافها أو الاستعمالات الحرفية و الصناعية الأخرى كأدوات النسيج و غيرها و قد كانت بالأغواط إلى عهد قريب عدة ورش للحدادة تعمل بطرق و وسائل تقليدية قبل ظهور الحدادين المعاصرين المعتمدين على الكهرباء و أدواتها و إنجاز مصنوعاتهم المختلفة عن المصنوعات الحرفية القديمة، كما نذكر أن بعض الصانعين امتهنوا صناعة بعض الأسلحة و إصلاحها بصفة أخص.[4]

3/ **الخياطة:** و قد كانت قبل انتشار الملابس الجاهزة حرفة رائجة لكثرة الطلب عليها سواء لخياطة الثياب المنسوجة يدويا أو المنسوجة صناعيا فقد كانت الشوارع و الرواقات تعج بدكاكين الخياطين الذين كانوا ذوي مهارة في تفصيل الملابس التقليدية المختلفة، و فيهم من مهر بعد الاحتلال الفرنسي في التفصيل و الخياطة وفق الطرز الأوربية، و لم يبق من هؤلاء إلا نفر قليل.[5]

---

[1]– دبوز، مصدر سابق، ج3، ص234. لبتر، مرجع سابق، ص 60. صادقي، مرجع سابق، ص271.

[2]– لبتر، مرجع سابق، ص60. سرقمة عاشور، **تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية في الصحراء الكبرى: الصحراء الجزائرية نموذجا**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، نوفمبر 2011، جامعة غرداية، ص 200.أحمد الأمين، **الحياة الثقافية**، مرجع سابق، ص50.

[3]– لبتر ، مرجع سابق، ص60. صادقي، مرجع سابق، ص272.

[4]– لبتر، مرجع سابق، ص60-61.

[5]– المرجع نفسه، ص61.

4/ **الصناعات الجلدية:** توارث الأغواطيون و إلى عهد قريب عدة صناعات في المجال نذكر منها:
أ-صناعة الأحذية للرجال و النساء منها ما كان يسمى الريحية و الصباط و النعالة و البلغة و الصنديلة و التزمة (الجزمة) و التماق و البست (جورب جلدي للفرسان)، والجبيرة (محفظة الفارس) والتزدام (حافظة الأوراق النقدية) و كانت تصنع بكفيات و مستويات مختلفة.
ب-و منها صناعة المجبود أي الجلد المطرز بالخيوط الذهبية و الفضية، و غالبا ما يستخدم في غطاء السروج و في علب البارود (العبار) و محافظ النقود و غيرها من تلك الصناعات الرفيعة التي اندثرت مع الأسف منذ أواخر الخمسينات، بعد أن كان بالأغواط شارع هام يسمى زقاق الشراكة (صناع المنتوجات الجلدية)، وكانت المدينة تتوفر على مصنع جلود، وهو معد لإنتاج الفيلالي(نوع من الجلد) الذي كانت جودته تضاهي وتنافس مثيله في المغرب الأقصى .[1]

5/ صناعات أخرى: وقد تم من جانب أخر استقدام مختلف الحرفيين من مناطق متعددة مثل العمور والجزائر العاصمة، وقد أنشأ سكان ميزاب بالمقابل صناعة خزفية إضافة إلى النسيج، وقد كانت مرغوبة على نطاق واسع، أما اليهود الذين سكنوا الاغواط قبل الاحتلال فقد احتكروا صناعة الجلود والمعادن الثمينة وصناعة الفتائل المزخرفة بالذهب والفضة [2]، ولكن فون مالتسان ذكر في رحلته إلى الأغواط وجود صائغ عربي يحترف صناعة مختلف أنواع الزينة الفضية والنحاسية.[3]
ولكون المنطقة تتوفر على الملح في جبل عمور[4]، يقوم سكان المنطقة بصناعة البارود؛ حيث يجمعون التراب من الأرض أو من الملاط في القرى المهدمة ، هذا التراب في الأصل يتكون من مادة مالحة يوضع في صحن ويصب عليه الماء، ثم يغلى ذلك الماء ثم يؤخذ رطل منه ويخلط مع أربعة أرطال من الكبريت و أربعة أرطال من الفحم المستخرج من شجرة الدفلى، هذه العناصر المختلفة تخلط جميعا في غضون أربعة ساعات فتصير بارودا[5].

---

[1]- لبتر، مرجع سابق، ص 61. صادقي، مرجع سابق، ص273.

[2]-Hirts George,Op.Cit , p137. Eugène Fromentin,Op.Cit, p 136

.أنظر أيضا: فون مالتسان، مصدر سابق، ج3، ص203. صادقي، مرجع سابق، ص241.

[3]- فون مالتسان، مصدر سابق، ج3، ص204.

[4] - الأغواطي، مصدر سابق ، ص 88

[5] - نفسه، ص 90-91. كاريت، مصدر سابق، ج6، ص198.

ثالثا: التجارة: تحتل منطقة الأغواط موقعا استراتيجيا هاما فهي نقطة اتصال بين التل والصحراء، ولذا تعد التجارة أحد أبرز الأنشطة الاقتصادية المتداولة بها منذ فترة طويلة حيث أشاد بها الرحالة في الفترة الحديثة مثل العياشي والحاج بن الدين و غيرهم.

1/ الطرق: لقد أولى الاستعماريون اهتماما بالغا بموضوع المواصلات التي تمثل العنصر الأساسي والفعال لتحقيق جملة من الأهداف من بينها:

- تسهيل نقل قواتهم العسكرية وتذليل صعوبات استقرارهم بالجنوب، عن طريق نقل المدد والعتاد:
-ربط مختلف المستعمرات ببعضها البعض.
-خدمة التجارة الفرنسية في الجنوب وكل الصحراء الإفريقية
-كسب التنافس الاستعماري مع انجلترا بالخصوص
- تسهيل عمليات التبشير.[1]

لم يكن اهتمام السلطات الاستعمارية الفرنسية بمسألة الخدمات العامة من باب اهتمامها في مساعدة مجتمع الأهالي على الخروج من عزلته ، لا سيما في المناطق النائية والبعيدة عن الساحل ، وإنما ارتبط هذا الاهتمام بمشروعها الاستعماري الذي يقوم على أساس الاستغلال الواسع لخيرات هذا البلد بصفة عامة، والمنطقة بصفة خاصة ، ومن هذا المنطلق، كان لا بد من الاهتمام بالأشغال العامة التي ترتبط بهذا التوجه إيمانا منها بأهمية منطقة الأغواط الاستراتيجية بتوسطها للقطر الجزائري عبر الهضاب وشمال الصحراء، ومنذ احتلالها شرع منذ سنة 1854 في فتح طريق ترابي يربط الجلفة بالأغواط لنقل قواتها العسكرية تبعتها تحسينات وبناء الجسور وإقامة خان القوافل بعين الإبل ووادي سدار وسيدي مخلوف وقلتة السطل خلال الفترة ما بين (1853-1855) وبعد ست سنوات وضع مخططا لتهيئة هذا الطريق[2].

[1]- سعيدي مزيان ، **النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري 1867_1892** ، درا الشروق للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2009، ص 360-361. جيلالي صاري، **انتفاضة 1881-1882 ملحمة الشيخ بوعمامة**، تر: بن تركي نصيرة، موفم للنشر، الجزائر، ص64. يقول كاريت:" أنشأنا الطرق لحاجياتنا البذخية والعسكرية". أنظر: كاريت، مصدر سابق، ج6، ص107.

[2]- ضيف الله شلالي، مرجع سابق، ص30-33.

ابتداء من ستينات القرن التاسع عشر حددت فرنسا كل من البيض (الأبيض سيدي الشيخ) والأغواط وبسكرة كمراكز انطلاق واستقبال للقوافل وذلك سنة 1860[1]، وما شجع نشاطها التجاري إنشاء عدد من الطرقات التي لم تكن موجودة قبل 1830م، مثل تعبيد طرق السيارات من سطافة ، غرداية ، الأغواط عبر وادي ميزاب ، ثم الطريق من غرداية نحو ورقلة[2].

وقد انتقد صولاييه(SOLEILLET) طرق منطقة الأغواط وتلك المؤدية إلى غات مرورا بورقلة والأبيض سيدي الشيخ ، ومن الأغواط عبر الميزاب و القليعة وعين صالح إلى تومبوكتو بمالي[3]، و ذكر المتاعب التي كان يصادفها سكان المنطقة أثناء تنقلاتهم المكلفة حيث كانت الجمال والإبل الوسيلة الأنجع ، فالمسافة بين الأغواط وغرداية والمقدرة ب 168 كلم كانت تكلف 20 فرنك[4]، وأمام هذه الوضعية أقدمت على وضع الحجارة وتهيئة الطريق على مسافة 220 كلم في سنة 1885، وقد أشارت المصادر الأجنبية بأن الميزانية المخصصة لمنطقة التراب العسكري انفقت خلال الفترة (1881-1884) قيمة 45000 فرنك لتهيئة الطريق الرابط بين الجزائر و الأغواط ، وارتبطت به أيضا أشغال تهيئة مست منطقة المصران بالقرب من خان القوافل بسيدي مخلوف، [5]وتعود ضرورة إنشاء الفنادق والأبراج وخانات القوافل Caravan sèrails إلى الاضطرابات التي كانت تشهدها الطرقات إلى الأغواط بسبب الثورات، وقد أوكلت حراسة بعض الخانات إلى قبائل محلية.[6]

وفي أواخر 1907 تم إنهاء الطريق الوطني رقم 01 الرابط بين مدينة الجزائر والأغواط في مسافته المتبقية وهي 54 كلم، وتعبيد الطريق الرابط بين هذه الأخيرة وغرداية في شهر أكتوبر من نفس السنة على امتداد 174 كلم بما فيها تهيئة الطرق الداخلية للبلدية الأهلية للأغواط بغلاف مالي قدره 26610 فرنك، دامت أشغاله سنتين كاملتين ما بين سنتي (1907-1909). [7]

---

[1]- أبو القاسم سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، ص 72.

[2]-الحاج سعيد بن بكير يوسف ، مرجع سابق، ص 151.

[3] - Paul SOLEILLET, **Avenir de la France en Afrique**, OP.CIT , p.7

[4]- Ibid, p 36

[5]- ضيف الله شلالي، مرجع سابق، ص31-32.

[6]- كاريت، مصدر سابق، ج6، ص109.

[7] -M. C. JONNART, **Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie 1908**, imprimerie administrative, Alger1908, p.115,

نشير إلى أن كبير المهندسين دوبون شيل Duponchel هو أول من خطرت له فكرة سكة حديدية عابرة للصحراء سنة 1875 حيث أرسل سنة 1878 من قبل الحكومة الفرنسية في مهمة دراسية للصحراء فوصل الأغواط وألف كتابا أسماه الوصل الاستعماري بين الجزائر والسودان رأى من خلاله وجوب إنشاء سكة حديدية تربط الأغواط بتوات والنيجر،[1] وفي هذا الإطار يدخل مشروع الرائد رين (Rinn) مستشار الحكومة، سنة 1887، والقاضي بالاسراع في إنجاز خطوط السكة الحديدة المتجهة جنوبا نحو الصحراء منها خط الوسط المتجه إلى الأغواط أولا ثم منها إلى متليلي.[2]
وقد تحمس أعضاء الحكومة لأهمية توسيع طريق السكة الحديدية الجلفة / الأغواط لأهداف اقتصادية وأمنية ومن المتحمسين لهذا المشروع أعضاء الوفد الوهراني الذين بدورهم أكدوا على دور السكة الحديدية بين تيارت والأغواط من بينهم ليسبون(LISBONNE) الذي أيد غودارد (GODARD) لضرورة المصلحة والمنفعة العامة وباركت اللجنة المالية بناء على اقتراح لجنة القروض فكرة استبدال خطي البويرة – سور الغزلان وخط الشلف – تيسمسيلت .[3]

وخلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918) صودق على المشروع أثناء الدورة العادية للحكومة العامة المنعقدة في 16 جوان 1915 الذي اعتبر من الخطوط الاستراتيجية بمنحه لشركة باريس- ليون-البحر المتوسط (P.L.M) ،[4] وقد تم التخلي عن الكثير من مشاريع السكة الحديدة الحديدة الخاصة بالجنوب بسبب التكاليف الباهضة ووعورة التضاريس الصحراوية وانشغال فرنسا بالحربين العالميتين[5].

---

[1]- سعيدي مزيان، مرجع سابق، ص360. عن بدايات السكك الحديدية والصعوبات التي اعترضتها أنظر: أني راي غولدزيغار، مرجع سابق، ص166-170. جيلالي، صاري، مرجع سابق، ص 65-69. مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص437.

[2]- الشيخ لكحل، مرجع سابق، ص246.

[3]- عميراوي، مرجع سابق، ص77-82.

[4]- أندري نوش وآخرون، مرجع سابق، ص390-400. جمال خرشي، مرجع سابق ، ص 282. محفوظ قداش وجيلالي صاري، **الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962**، تر: أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص 193.

[5]- الشيخ لكحل، مرجع سابق، ص 83.

2/ التجارة الداخلية والخارجية لمدينة الأغواط:

أ) على المستوى الداخلي: عُرفت مدينة الأغواط بأسواقها النشيطة وحركتها الدؤوبة، ودخول مختلف السلع إليها ووفود المسافرين إليها في كل الأوقات وهو ما أكدته المبشر: "وأنّ البيع والشراء بأسواقها لا ينقطع والتجار و الخطار (المسافرون) لا يخلون من الطرق بكل ناحية ليلا ونهارا"[1]

أشار فيرومنتين إلى الأنشطة التجارية في الأغواط أثناء رحلته فذكر لنا؛ بأنها تتوفر على شارع وحيد للباعة، حيث تفتح به دكاكين صغيرة لبيع الألبسة ولوازم الخياطة، والقماش ومحلات الخياطة يفتحها ميزابيون وورشات صغيرة يمارس فيها اليهود حرفة الحدادة وصناعة الحلي الفضية وهناك سوقان للأحلاف وآخر لأولاد سرقين لبيع الأغنام، الماعز، الدجاج، مختلف المنتجات الفلاحية والحاجيات الضرورية للسكان، كما أن حمام ابن سالم يكتسي طابعا تجاريا هاما يقصده الناس للاستحمام خاصة في المناسبات[2].

كما ذكر مالتسان بأنها كانت تحوي حوانيت عربية تباع فيها الحناء والكحل والتوابل ودكاكين تباع فيها الأقمشة وتعود ملكيتها لبني ميزاب، إضافة إلى دكاكين لإسكافيين جزائريين ومحلات حلاقة إضافة إلى مقهى فرنسي، وفنادق ودكان صغير للصباغة يملكها جزائري إضافة إلى المقاهي العربية التي ينطلق منها صوت الناي والطبل ليلا ونهارا.[3]

وقد جاء في بعض الرحلات من خلال تقرير للغرفة التجارية للجزائر سنة 1874 بأن الاغواط ،كانت بها مستودعات للرصاص والغذاء، فسكانها كانوا يمارسون تجارة المواد الغذائية وبعض المشروبات والتمر وتجارة البقالة واللحوم، فهي منطقة عبور للمغرب والسودان، حيث كانت التجارة تتم مع المغرب وورقلة ووهران وأنها منطقة مميزة رغم وجود الكثبان الرملية ، بها طريق جيد لا يستغرق أسبوع للوصل إلى العاصمة[4].

[1] – المبشر، ع 7، 15 ديسمبر1847، ص 1.

[4]. Fromentin, op cit, p 137

[3]– فون مالتسان، 203–204. عن التجار الميزابيين الأوائل في مدينة الأغواط أنظر:

Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat et ses merveilles**.., Op.Cit, p 555-556.

[4] . Paul soleillet , **Voyage de Paul Solleillet**, op. cit, P.33-34

ب)**على المستوى الخارجي**: ظلت القوافل التجارية تجوب المنطقة الممتدة بين الأغواط والتل من جهة والأغواط والصحراء من جهة ثانية وذلك لاقتناء ما تحتاجه عروش المنطقة (الأرباع، الحرازلية، سيدي عطاالله، الأغواطيون) من حبوب (بر وشعير) ومختلف الأمتعة من غير الحبوب في جهة التل، ويسوقون بضاعتهم سواء المنتجة محليا أو المستوردة من جنوب الصحراء والمتمثلة عموما في التمر والصوف والملابس الصوفية المنتجة بقصورهم وريش النعام وبيضه... وتتم عملية التبادل التجاري بالمقايضة أو نقدا أي الصوف مقابل الحبوب أو مواد أخرى،[1] وتؤكد هذه المبادلات التجارية النظرية القائلة أن هذه القبائل لا يمكن لها العيش بدون التل، ومن يسيطر على التل بإمكانه السيطرة على الصحراء الصغرى كما يسميها دي توكفيل.[2]

فمن قبائل منطقة الأغواط التي كانت تمارس تجارة القوافل الفصلية، قبيلة الأرباع بكل فروعها القديمة والحديثة، حيث كان مركزهم منطقة الأغواط، ويستعملون قصورها (الأغواط، الحويطة، العسافية، قصر الحيران، تاجموت، تاجرونة، عين ماضي) وقصور وادي ميزاب (القرارة وبريان وغرداية) وقصور جبل العمور (الغيشة وتاويالة) كمراكز للتخزين، ومحطات للراحة، ويتعاملون مع أسواق بسكرة وتقرت وتماسين وورقلة ووادي ميزاب جنوبا وأسواق الغرب وصولا إلى تيارت و ثنية الحد وتيسمسيلت (أولاد عياد وجندل ومشرة) في الشمال الغربي، وهم ينطلقون إلى الشمال في الربيع ويعودون إلى الجنوب في الخريف، ويتاجرون في الحبوب والتمور ومشتقات الحليب والأقمشة والأسلحة.[3]

بينما كان مخاليف الصحراء (الجرب)ينصبون خيامهم في ضواحي بريان ويرتحلون طيلة السنة ويتاجرون في الكمأ والنبق(ثمر السدر) والخضيري (أو الخثيري ثمر البطم)[4] في حين أن إخوانهم أولاد عيدة (مخاليف لزرق) كانوا يبيعون مشتقات الحليب والخشب وتغيير العملة، أما أولاد يعقوب زرارة فهم يتمركزون في الحويطة وجبل العمور ويتعاملون مع أسواق الغرب الجزائري ووادي ميزاب عبر وادي زرقون، ويتاجرون في الحبوب والتمور والألبسة.[5]

---

[1]- المبشر، ع 30، 30 نوفمبر1848، ص 3. كاريت، مصدر سابق، ج6، ص162-163. عاشور شرفي، مرجع سابق، ص948.

[2]- ألكسي دي توكفيل، مصدر سابق، ص118.

[3]- كاريت، مصدر سابق، ج6، ص240-241. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، ص85. أنظر الملحق رقم: 06.

[4]- كاريت، مصدر سابق، ج6، ص231.

[5]- المصدر نفسه، ج6، ص228.

أما بقية قبائل عمور فقد كانت تنتهج نفس النهج من التجارة وتقدم على أسواق الأغواط وقصورها (مثل أولاد ميمون، والعجالات وأولاد سيد الناصر، وكذلك الأحرار وأولاد سيدي عيسى الغرابة- شمالي العمور-) حيث تطرق أسواق ميزاب وتقرت وحد الصحاري، وهذه القبائل تتاجر في منتجات المغرب الأقصى والمنتجات الأوربية والأسلحة والحبوب والعبيد والسجاد و الخيول والإبل.[1]

وهناك من القبائل الصحراوية من تتخذ من قصور الأغواط محطات ومراكز تخزين وأسواق مثل: قبيلة سعيد عتبة من ورقلة، والشعانبة من متليلي، وهم يتاجرون في منتجات الصحراء،[2] أما قبائل القرارة فتتاجر في الأصواف والأغنام والحبوب، أما أولا عيسى (النوايل) فيتاجرون في الخيول والأسلحة والألبسة الصوفية والحبوب والتمور، في حين تقدم قبائل بوسعادة بالزيوت والأواني وخشب البنادق والقطران،[3] وقد كان باعة زواوة يطرقون المنطقة بصناعتهم التقليدية الفضية والخشبية إضافة إلى زيت الزيتون والعسل والفواكه المجففة.[4]

وقد أوردت جريدة المبشر بعض الأخبار عن هذه العمليات التجارية مثل:" إن الأسواق عامرة بالبر ولا زالت الأعراش القبلية تتسوق إليهم غاية وتبدل أرزاقها معهم مثل الصوف وريش النعام وبيضه وغير ذلك ومنذ سنتين لم يشاهدوا مبلغ عدد الصوف التي أتوا بها الأعراش المذكورة ..."[5]، و" ...قدمت قوافل من أولاد سيدي عطاالله لكيل الحبوب وبأيديهم بضائع بلادهم كالتمر والبراش وريش النعام ونحو ذلك..."[6] وأيضا" ورد عرش الحرازلية والأرباع وأولاد سيدي عطاالله إلى عمالة المدية ...بقصد اكتيال الحبوب وبيعها في بلادهم ، وقد أتو بكثير من التمر وكسوة الصوف المصنوعة بقصورهم..."[7].

إن قدوم تجار منطقة الأغواط بمختلف أعراشها إلى التل أحدث حيوية وزيادة في النشاط التجاري سواء كانوا بمعية السلطة المحلية (خليفة الأغواط) أو لوحدهم ويعود بالفائدة على سكان

[1]- المصدر نفسه، ج6، ص240-242. ناصر مجاهد، مرجع سابق، ص58-59.

[2]- كاريت، مصدر سابق، ج6، ص218. الشيخ لكحل، مرجع سابق، ص72.

[3]- كاريت، مصدر سابق، ج6، ص228-231، 234-235.

[4]- كاريت، مصدر سابق، ج3، ص385. الشيخ لكحل، مرجع سابق، ص72.

[5]- المبشر، ع 27، 15 أكتوبر 1848، ص 2.

[6]- المبشر، ع 37، 15 مارس 1849، ص 3.

[7] - المبشر، ع 95، 16 أوت 1851، ص 3.

المنطقة وحتى التجار الفرنسيين، وفي ذلك جاء في المبشر: " وبورودهم ازدادت التجارة والمعاملة بين أهل الصحراء وأهل التل..."[1]، و" ...ولا شك أن التجار الفرنساوية تحصل لهم هناك منافع جزيلة...."[2].

وفي سبيل تحسين ظروف إقامة تجار الأغواط شيد خليفة الأغواط أحمد بن سالم مبنى تجاريا ضخما بمدينة المدية من ماله الخاص، به فندق يحتوي على غرف عديدة للمبيت وحمام، ولأهمية هذا الصرح زاره والي الجزائر العام وافتتحه رسميا يوم 30 ماي 1850م، وفي ذلك قالت الجريدة: " ...البناء العظيم الذي شيده خليفة الأغواط بالمدية ولا شك تحصل منه فايدة لأهل القبلة وتزداد به أمور التجارة من أهل تلك البلاد وعمالة الجزائر..."[3]. و" ...مأوى للتجار والحمام مشهور افادته وأعظم نفعا الفندق المعلوم مصالحه وجميع المصاريف البالغة في هذا البناء من كيس الخليفة...."[4].

وقد أوردت جريدة المبشر أخبارا عن ظاهرة تعرض قوافل منطقة الأغواط للإغارة والسرقة بعد اكتيالهم الحبوب من التل، ونفس الفعل مارسته بعض عروش الأغواط مع القوافل التجارية والمدن مثل القرارة والزيبان وتقرت[5] وهذا الفعل مرده للكثافة والحاجة التي أصابت معظم مناطق الجزائر نتيجة السياسة الفرنسية المنتهجة.

رابعا : الجباية الاستعمارية: عملت الإدارة الاستعمارية على جعل جيوب المواطنين وممتلكاتهم هدفا لمشاريعها من أجل تحصيل أكبر قدر من الأموال بغرض خدمة الخزينة والاقتصاد الفرنسي، وفي هذا الإطار كثرت أنواع الجباية المالية سواء كانت غرامات جزافية أو عقوبات ضد الأشخاص والقبائل المعارضة للسياسة الاستعمارية أو في شكل ضرائب بأنواعها المختلفة.

ومن المؤكد أن منطقة الأغواط لم تسلم من هذه الإجراءات التعسفية في حق السكان، فقد شرع أهل الجهة الجنوبية كبقية الجزائريين الآخرين في دفع الضرائب العربية نقدا بدءا من سنة 1845 بموجب الأمر الملكي بتاريخ 17 جانفي 1845 المادة 2 وهي أنواع: مثل ضريبة الحكر(كراء أراضي العزل)،

[1] – المبشر، ع 49، 15 سبتمبر1849، ص 2.
[2] – المبشر، ع 95، 16 أوت 1851، ص 3.
[3] – المبشر، ع 67، 15 جوان 1850، ص 2.
[4] – المبشر، ع 68، 30 جوان 1850، ص 2.
[5] – المبشر، ع 9، 15 جانفي 1848، ص 2. المبشر، ع 86، 31 مارس 1851، ص 3.

والعشر(ضريبة الحبوب)، والزكاة (ضريبة الأنعام)، والأوسة المفروضة على قبائل الصحراء وألغيت سنة 1858، وضريبة اللزمة (ضريبة الرأس) والمفروضة على القبائل الكبرى من راندون في 18 جوان 1858.[1]

ولم تفصل جريدة المبشر في الضرائب المفروضة على سكان منطقة الأغواط إلاّ في بعض الإشارات القليلة، منها تقديم احصاءات حول ضريبة الزكاة لقصر الأغواط والمقدرة ب2219 فرنك، وقصر الأرباع والمحددة ب334 فرنك[2]، إلا أنها في المقابل ركزت على الغرامات العقابية والإتاوات المفروضة على العروش التي تنتقل إلى التل لاكتيال الحبوب وقضاء بعض حاجياتها، وعبرت عن النوع الأول(الغرامات) بالخطية والنوع الثاني(الإتاوات) بدفع الحاصة المفروضة عليهم .

ومن أمثلة ذلك فرض غرامة مالية ضخمة على الذين زوروا كلاما ضد خليفة الأغواط " أحمد بن سالم" الذي ثبتت براءته فقد" قبض على أحمد بن المخطار ووالده والحاج علي بن سالم وأحمد بلقاسم وبلخير بن زروف الذي كان على رأس الوشاة ثم أمروا بسجنهم في الجزاير مدة طويلة ودفعوا أربعة آلاف فرنك خطية"[3]، ومعاقبة الحجاج والحرازلية بعد اعتدائهم على أهل تقرت والزيبان وأولاد نايل بغرامة مقابل إفسادهم في هذه المناطق[4]، ونفس المصير لقيه سكان مدينة الأغواط بعد غزوها حيث عوقبت الأعراش المجاورة لسور المدينة بخطية[5]، وتعدتها إلى كل الأعراش التي ثبتت في حقها تقديم الدعم للثوار بخطية بليغة في حق أولاد سي أحمد والعبازيز الشارف وأولاد سيدي يونس وزنينة وأولاد عيسى والأحداب وأولاد عمران وزكار والزناخرة والمفاتحة[6].

---

[1] – عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر" 1830–1900**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، المجلد4، 2010. ص 125– 126.

[2] – المبشر، ع 68، 30 جوان 1858، ص 4.

[3] – المبشر، ع 26 ، 30 سبتمبر1848 ، ص 3.

[4] المبشر، ع 86، 31 مارس 1851، ص 4.

[5] – المبشر، ع 127، 15 ديسمبر 1852، ص 3.

[6] –المبشر، ع 128، 1 جانفي 1853،ص 3.

وأما الحاصة فقد دفعت قبائل الأغواط مبالغ سنوية ضخمة جدا مقابل السماح لها بممارسة التجارة في التل ومنها تقديم الأرباع 42 ألف فرنك مقابل السماح لهم بالتسوق[1]، حتى وصل بها الأمر إلى زف البشارة والفرح الشديد بقدوم عدد هائل من سكان الأغواط كون ذلك فيه دفع مبالغ ضخمة كلزمة الدخول:"... وقدم أيضا خليفة الأغواط إلى التل وقيل أن الزحفة أكثر من ثمانية عشر ألفا من الإبل، وأما اللزمة التي يعطونها ليحصل الإذن في الدخول إلى التل يكون مبلغه كبيرا ..."[2].

كما لجأت الإدارة الاستعمارية إلى مصادرة أملاك السكان، وبذلك توسعت أملاكها بفضل ممتلكات الأشخاص الذين أبعدوا أو نفوا خارج البلاد أو أراضي الأشخاص والقبائل التي حملت السلاح في وجه الغزو الفرنسي، وهو ما حدث في الأغواط بمجرد أن أعلن يحي بن معمر (بن سالم) التمرد على سلطة أخيه ومؤازرة الثائرين سارعت الإدارة الى مصادرة كل أملاكه المقدرة بثمانية آلاف فرنك[3]، ونفس المصير لقيته كل القبائل والعروش المعارضة والمتعاونة مع الثوار، فقد تم مصادرة عدد هائل من الثروة الحيوانية في كل مناسبة منها ما غنمه الجنرال بيليسي من الأرباع وأولاد نايل بضواحي واد النساء بعد فرارهم من هول غزو مدينة الأغواط، ومن جملة ما صادره منهم حوالي1200 بعير و6000 رأس غنم و12 جواد[4]، وتعد أكبر عملية سطو على ممتلكات أهل الأغواط جاءت بعد صدور أمر من والي الجزائر " راندون" يتضمن دخول كافة أملاك الذين وقفوا على 'النفاق ودخلوا في حزب المفسدين " على حد تعبير الجريدة اعتمادا على الأمر الصادر من الدولة والمقرر في الفصل العاشر بتاريخ 31 أكتوبر1853، وتعود جميع فوائد وأرباح هذه الأملاك إلى خزينة الدولة[5]، وقد نشرت أسماء المعنيين الذين شملهم هذا القرار بشكل مفصل ودقيق في أكثر من ثلاثة وعشرون صفحة[6].

[1] -المبشر، العدد 23، 14 أوت 1848، ص2.
[2] - المبشر، ع 23، 16 أوت 1848، ص 3.
[3] -المبشر، ع 124، 31 أكتوبر 1852، ص 4.
[4] -المبشر، ع 128، 30 جانفي 1853، ص 4.
[5] -المبشر، ع 130، 30 جانفي 1853، ص 2.
[6] -المبشر، ع 152، 1 جانفي 1854، ص 6-29.

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية في منطقة الأغواط في ظل الاحتلال:

عاشت منطقة الأغواط على غرار باقي مناطق الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية أوضاعا اجتماعية متردية بسبب سياسة الاحتلال القائمة على النهب والسلب والتفقير ومصادرة الأملاك والحجز والاستحواذ بكل الطرق، إضافة إلى تأثير العوامل الطبيعية كالجفاف والقحط وغزو الجراد والأمراض والأوبئة التي ضربت الجزائر بشدة منذ بدايات خمسينيات القرن التاسع عشر.

فقد تولى دي باراي قيادته للأغواط في ظروف صعبة جدا فقد كانت المدينة مخربة، والسكان تقلصوا إلى بضع وخمسمائة نفس، في أغلبيتهم نساء وأطفال وأغلبية الرجال كانوا قد ماتوا أو هربوا"[1]، وقامت السلطات الاستعمارية بسياسة استرضاء السكان وتعمير المدينة حتى تساعدها لمدَ نفوذها على باقي الأراضي الجزائرية، فقد أشارت تقارير تعود إلى السنوات الأولى للاحتلال إلى أن غير المغضوب عليهم من الأغواطيين كانوا على رجوع بالإضافة إلى الإسرائيليين" الذين قدموا من التل، والأوربيين تجارا وفنانين وعمالا وفلاحين، وحتى الموظفين في مختلف التقنيات[2].

قامت السلطات الفرنسية بعد الاحتلال مباشرة بعدة إجراءات لتفتيت الوحدة الاجتماعية للسكان و ذلك بالإبقاء على النظام القبلي و تنمية الروح العنصرية و الطائفية، و بذلك ضعفت من تماسك البنية الاجتماعية و توارى تلقائيا نظام الجماعة و القيادة الذي أدار شؤون المدينة قبل 1852 في كل المجالات، فقد جاء في التوصيات المؤرخة في الفاتح من جانفي 1853 للجنرال كامو مسؤول مقاطعة الجزائر الموجهة إلى النقيب دي باراي Dubarail حاكم مدينة الأغواط ما بين سنتي 1852 و1855 و المتضمنة وجوب السهر على اختيار عناصر جديدة من القصور المتاخمة لتعويضها بالعناصر الاجتماعية الأصلية لهذه المدينة، وبذلك تمكن إدارة الاحتلال من تكوين مجموعات من السكان غير متجانسة و غير موحدة و لا تشكل بالتالي ضدها أي خطر .[3]

---

[1] - George Hirtz, op.cit , , p15.

[2]- ibid, p15.

[3] - EUGENE Mangin , op.cit , p382. .53-52 علالي، مرجع سابق، ص

أولا: مجتمع الأغواط (بدو وحضر، أو قصورية ورحالة):

1/سكان القصور: يعتبر سكان واحات القصور حضريو الجنوب، وهم يمارسون الزراعة في الغالب،[1] وهناك من سكان القصور من يعيش بطريقة (نصف البدو-نصف الحضر) حيث يعيشون في قصورهم فترة من السنة، أما بقية السنة فيسكنون خياما ينصبونها على الأراضي التي يزرعونها في أسفل جبال الأطلس الصحراوي.[2]

يضطر البستاني إلى البقاء قرب بساتينه بطريقه مستمرة أو يكون له فيها على الأقل منزل دائم أو مستودع، ويقوم بتجميع المياه وجرها وتنظيم أقنية الري وصيانتها،[3] والملاحظ في قصور الأغواط سعي السكان إلى احترام البيئة المحيطة حيث قاموا بتنمية علاقة وطيدة مع الطبيعة فاعتنوا إلى جانب التعمير بالبساتين والمياه وأدمجوها في عمرانها فكانت قصورهم أحسن انسجام بين العمران البشري والطبيعة.[4]

يتكون القصر في العادة من عدة منازل تتموضع بشكل تتابعي ومتداخل تتميز بالبساطة فهي تخلو من مظاهر الزخرفة وتستجيب لمقتضيات البيئة الموجودة بها وتتكون البيوت من طابق أو طابقين على الأكثر كما يحتوي القصر على ساحة وسطى تعتبر نقطة التقاء الأزقة وتسيير المرور وهي المكان الذي يستلهم منه ضوء النهار، إضافة إلى مسالك وممرات يكون توجهها عادة من الشمال نحو الجنوب لتتفادى تعرضها وتعرض مداخل البيوت إلى أشعة الشمس،[5] وللترابط الكبير بين منشآت القصر كان من الضروري إيجاد متنفس لهؤلاء السكان بإجاد فضاء واسع تمثلت في مساحات تتوسط الأحياء

---

[1]- عدي الهواري، **الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830-1960**، تر: جوزيف عبد الله، دار الحداثة، لبنان، 1983، ص115.

[2]- المرجع نفسه، ص104.

[3]- ترومللي ، مصدر سابق، ص 331. عدي الهواري، مرجع سابق، ص111.

[4]- مُحَمَّد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص233.التخي بلقاسم، **الجانب الجمالي**، مرجع سابق، ص306. يمينة بن اصغير حاضري، مرجع سابق، ص144.

[5]- ترومللي ، مصدر سابق، ص 332-333.نجاة قناطي وحنان بوناب، مرجع سابق، ص36. التخي بلقاسم، **الجانب الجمالي**، مرجع سابق، ص289. يمينة بن اصغير حاضري، مرجع سابق، ص137. ولد أيده، مرجع سابق، ج1، ص157.

(رحبة) لتجمعاتهم وإقامة أفراحهم وأسواقهم، وهي مزودة بدكانات للجلوس في انتظار أوقات الصلاة أو لمناقشة مشاكل القصر.[1]

يشكل احترام الجوار مبدأ أساسيا في تشكيل عمار القصور حيث يتفق الجميع على عدة مبادئ في البناء داخل النسيج العمراني ومن بينها: عدم فتح باب مقابل باب الجار، أو فتح طاقات وكوات متقابلة، وعدم تغطية الشمس والتهوية عن الجار بارتفاع الجدران، وعدم تثبيت ميزاب يصب في فناء أو على سطح الجار، وعدم وضع عوارض خشبية على جدران الغير إلا بموافقته،[2] وهي ضوابط مستمدة أساسا من فقه العمران في الشريعة الاسلامية، وبمطالعة بسيطة لكتب الفقه المالكي وبالخصوص كتب النوازل نلاحظ سلطة التراث الفقهي في تنظيم العمران داخل القصور،[3] وأحيانا تقسم الأحياء حسب العشائر والعائلات المكونة للقصر وهو ما يعطي خصوصية للعلاقات بين أفراد مجتمع القصر، حيث يسود الاحترام المتبادل إذ تتحرك النسوة بكل حرية في الدروب الضيقة للقصر.[4]

توجد ملاحظات تبين الحس الجمالي والذوق الانساني في عمارة القصور في منطقة الأغواط، مثل الطاقة التي بين الجيران وتسمى "الذواقة" والتي يتم من خلالها تبادل الاكلات أو المواعين وغيرها، وهي دليل على التكافل المجتمعي، كما يوجد في أسفل الأبواب المؤدية إلى الشوارع ما يسمى "بويب القط" وهو منفذ لدخول وخروج القطط من وإلى المنزل بحرية.[5]

يسود هذا النوع من المجتمعات سلطة "العرف" ويتجسد ذلك في قدرة أفراد هذه المجتمعات على حل النزاعات والخصومات من خلال العودة إلى ما هو متعارف عليه ومتوارث منذ القدم والاعتماد على الحل الودي بالرجوع إلى كبار السن أو الأئمة دون انتظار السلطة المركزية لمواجهة مشاكلهم.[6]

---

[1]- يمينة بن اصغير حاضري، مرجع سابق، ص146. عاشور شرفي، مرجع سابق، ص1185.

[2]- التخي بلقاسم، **الجانب الجمالي**، مرجع سابق، ص290.

[3]- للمزيد حول هذا الموضوع أنظر: جبار سامية، **فقه العمارة السكنية بقصور منطقة الأغواط عين ماضي وتاويالة أنموذجا**، أطروحة لنيل شهادة الماجيستير تخصص الآثار الريفية الصحراوية، غير منشورة، إشراف: بن بلة خيرة، معهد الآثار، جامعة الجزائر -2-، 2001.

[4]- يمينة بن اصغير حاضري، مرجع سابق، ص146.

[5]- التخي بلقاسم، **الجانب الجمالي**، مرجع سابق، ص299-300.

[6]- قناطي وبوناب، مرجع سابق، ص39. عاشور شرفي، مرجع سابق، ص1185.

وقد وصف العلامة مُحَمَّد علي دبوز مجتمع مدينة الأغواط بقوله: " وبيئة الأغواط الجميلة قد أورثت أبناء الأغواط حب الجمال فصاروا يميلون إليه فتراه في بساتينهم التي يحفون بها الديار وفي ثيابهم الصوفية الناعمة التي يرتدونها وفي مصنوعاتهم الجميلة التي تتحلى بالتهاويل الجميلة ليست بسيطة كما يصنع في البادية التي حولهم، وأورثت بيئة الأغواط الصحية لأبنائها المتانة في الأجسام والجمال في الخلقة، إن بنيانهم متين واللون الغالب فيهم جميل، فيهم السمرة الخفيفة تمازجها حمرة جميلة، وهم ذوو نشاط وكد كالميزابيين، يحبون العمل ويكرهون الكسل جلهم فلاحون...الخ.[1]

2/البدو الرحل: تعتبر القبيلة هي الوحدة الاجتماعية التي يقوم عليها كيان المجتمع في المناطق الصحراوية، وهي إطار سياسي اجتماعي يعترف أعضاؤها ببعضهم البعض من خلال الانتماء إلى جد جامع أطلق اسمه على القبيلة وهو شخصية تاريخية تزدهر حولها السير المعظمة، وليست القبيلة عائلة صافية الأصل دائما، فرغم الروابط الدموية القوية إلا أن القبيلة قد تتشكل أيضا من انضمام عائلات أخرى لها من أجل الدفاع عن مصالح مشتركة فهي تستقبل دائما وافدين جدد، وتتعزز هذه الروابط بفعل المصاهرة، فالقرابة داخل هذه القبائل قرابة اجتماعية لا قرابة دموية.[2]

إن القبيلة في أبسط أشكالها جماعة من الزمر أو العصب تحتل أرضا متجاورة لديهم شعور بالوحدة والانتماء، ناتج عن أوجه الشبه العديدة في ثقافتهم والاتصالات الودية والمصالح المشتركة، وقد يكون لديهم تنظيم قبلي رسمي يتفاوت في تفصيله.[3]

حاول بعض الباحثين إعداد تصنيف للبداوة في الجزائر وهي: البدو الصحراويين الذي لا يخرجون من الصحراء، والبدو الصحراويون الذين يصيفون في التل، والبدو الذين يخيمون صيفا في أمكنة متميزة عن تخييمهم شتاء، والبدو الذين يبحثون عن المراعي في تنقل قصير المدى (20-25 كلم) وأخيرا شبه الحضريين الذين يتنقلون بغرض تسميد الأرض والهرب من الطفيليات.[4]

---

[1]- مُحَمَّد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص232-233.

[2]- عدي الهواري، مرجع سابق، ص117-118. برشان، **الاستعمار والمجتمع القبلي**، مرجع سابق، ص155.

[3]- نجاة قناطي وحنان بوناب، مرجع سابق، ص38.

[4]- عدي الهواري، مرجع سابق، ص 97.

تفرض الظروف الجغرافية نفسها على البدو، فالبداوة ليست تخلفا عن الحضر بل هي طريقة عيش تختلف ظروفها عن ظروف عيش الحضريين وتحددها ثلاثة عناصر: -الوحدة البشري-وجود القطيع- الانتقال الدوري في رحلة ثابتة[1]، إذ أن تربية المواشي هي من تفرض التنقل على القبيلة، فالقطيع هو المورد الأساسي لأنه يسمح بإنتاج اللحم والصوف والجلد والشعر والحليب ومشتقاته، لهذا يحتل القطيع مكانة أساسية في حياة البدوي،[2] كما تفرض القوانين المناخية هذه التنقلات، فهي ليست تقليد يتعلقون به ويتوارثونه فحسب بل هو ضرورية حياتية.[3]

ولم يكن البدو يهيمون على أوجههم في الصحراء والتل، بل يتوجهون دوريا نحو مراع وينابيع وآبار يعرفونها، وقد وصفهم أحد الباحثين بأنهم يتبعون خطوط تجوال محددة بوضوح مرتبطين بالمراعي والسماء مثل طائر اللقلاق والسنونو،[4] وقد كانت بعض القبائل البدوية (خصوصا الأرباع) تقوم بنشاط نصف زراعي حيث تقوم بزراعة أراضي الضايات في الخريف ويعودون إليها بدءا من الربيع في انتظار جهوز المحصول ثم تواصل طريقها إلى التل،[5] ولم يكن بإمكان القبائل البدوية التخلي عن المدن رغم احتقارهم للسكن فيها ذلك أنها مكان بيعهم وشرائهم وراحتهم.[6]

إن تميز نمط حياة قبائل الأرباع جعل التنظيم الإداري الاستعماري (وحتى إلى ما بعد الاستقلال) يخضع لهذا النمط، ففي مواسم الترحال التي تطول إلى شهور ينتقل هؤلاء البدو كـ: "عشابة" باحثين

---

[1]- عدي الهواري، مرجع سابق، ص105. كاريت، مصدر سابق، ج6، ص164-166. يصف مالك بن نبي الحياة البدوية التي شاهدها في منطقة جبال العمور بقوله:" في مثل هذه الشروط ليست الخيمة في قليل أو كثير دلالة بؤس يعمد إليها من لا قطيع له ولا كوخ، ويصنعها من أي قماش تصل إليه يده أو أي خرقة، إنها ضرورة يفرضها حَلّ الراعي وترحاله مع قطعانه، وهي لذلك ذات نسيج وحجم يتفق والثروة الحيوانية التي لصاحبها". مالك بن نبي، **مذكرات شاهد على القرن**، دار الفكر، دمشق ، سورية ط2، 1984 ص175.

[2]- عدي الهواري، مرجع سابق، ص105.

[3]- المرجع نفسه، ص101.

[4]- عدي الهواري، مرجع سابق، ص106.

[5]- المرجع نفسه، ص100.

[6]- ألكسي دي توكفيل، مصدر سابق، ص51-52. محفوظ قداش وجيلالي صاري، مرجع سابق، ص157-160. علي العبيدي، **مفهوم البداوة قراءة تاريخية من خلال مقدمة ابن خلدون**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، نوفمبر 2011، جامعة غرداية، ص272.

عن الكلأ لماشيتهم في الهضاب العليا وما يليها من مناطق التل،[1] فمنذ شهر ماي يقترب البدو من الأطلس الصحراوي ويكون تقدمهم على شكل مجموعات من خمس إلى ست عائلات (نُجُوع)[2]، تدفع أمامها بقطعان كبيرة من المواشي، حيث تدخل قبائل الأرباع عبر المنخفض الذي ينفتح أمامها ما بين جبل العمور وجبال أولاد نايل، وتفرق قطعانها في مناطق قصر الشلالة وسوقر، ويقومون باكتراء أراض تم حصاد محاصيلها، حيث تكون كلأ لمواشيهم في حين يستفيد الفلاحون المحليون من الأسمدة العضوية التي توفرها المواشي، وهناك أيضا تنصب خيامها وتعرض في الأسواق المحلية الخراف والصوف والتمر، وتطلب مقابلها منتجات التل لا سيما الحبوب، بيد أن هذه الأسواق فقدت قيمتها مع انتشار المستعمرين من جراء المنافسة من وسائل النقل الحديثة.[3]

وقد شكل إقفال الاستعمار لطرق التجوال المعتادة عقبة قاضية بالنسبة للبدو وقد أوجبت عليهم مرافقة مساعدين من الجيش الاستعماري لهم لدى اقترابهم من التل والتنقل بدون سلاح والتخييم على حدود التل في انتظار الإذن بالمرور بعد جمع آخر المحاصيل،[4] وتسببت الاجراءات الاستعمارية في تقلص الحياة البدوية ولكن إلى الأسوأ، حيث اضطر بعضهم إلى سكن المدن في ظروف صعبة أو العمل كخماسة، بينما بدأ استقرار القبائل بجانب آبار المياه مع ظهور رعاة محترفين لقطعان هذه القبائل في حين بدأت تظهر مهن أخرى مثل التجارة والحرف لدى هذه القبائل.[5]

---

[1]- جيلاني كوبيبي معاشو، **الصحراء كفضاء للترحال مقاربة سوسيو أنثروبولوجية للبدو الرحل**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، نوفمبر 2011، جامعة غرداية، ص183.

[2]- **نجوع**: مفرده النجع أو القبيلة المتحركة هي قبيلة برجالها ونسائها وكلابها وقطعانها وخيامها، مع اقتراب النجوع من بعضها يتم التعرف بالصوت العالي على أصحاب القوافل، فإن كانوا حلفاء يكمل كل منهم طريقه وإن كانوا أعداء يبدأ الشتم أولا ثم يتحول إلى إطلاق نار. أنظر: كاريت، مصدر سابق، ج6، ص147..

Eugène Fromentin,Op.Cit, p 216-217.

[3]- عدي الهواري، مرجع سابق، ص98. عميراوي حميدة، مرجع سابق، ص137.جيلاني كوبيبي معاشو، مرجع سابق، ص183- 184.ناصر مجاهد، مرجع سابق، ص58-59.

[4]- عدي الهواري، مرجع سابق، ص106-107. رضوان شافو، **أساليب**، 293-294.

[5]- عدي الهواري، مرجع سابق، ص108-109. عميراوي، مرجع سابق، ص138. كديدة، مرجع سابق، ص23.

وبهذا فقد واجهت هذه القبائل صعوبات قاسية في ظل الاستعمار وتحول معظمها إلى الحياة الحضرية تحت شروط صعبة واحتفظت بالخيمة على أطراف الحضر وأنشأت "القوربي" للسكن فيه،[1] بينما استمرت بعض هذه الفروع هذه القبائل بالتنقل بحثا عن المراعي لقطعانها وعن العمل المؤقت لأعضائها إلى ما بعد الاستقلال،[2]وقد كان من الكافي أن تمر عدة سنوات جفاف متتالية حتى تنقسم الجماعة وتتفتت فيفضل بعضها الإقامة في المناطق الحضرية علهم يجدون عملا.[3]

لقد عملت الادارة الاستعمارية على تصفية الأسس المادية التي يقوم عليها المجتمع الجزائري ككل وذلك لتفكيكه بالقضاء على وحدة القبيلة وتماسك الأسرة ومن الاجراءات المتبعة نظام المكاتب العربية (1834-1870) ومراسيم السيناتوس كونسولت (1863 -1865) وقوانين الأندجينا (1871-1947) إضافة إلى سياسة التبشير.[4]

ويوضح ألكسي دي توكفيل (فيلسوف الاستعمار) الطرق التي يمكن بها السيطرة على القبائل البدوية المتمردة، وهو ما اتبعته السلطة الاستعمارية بوضوح في منطقة الأغواط:

-الحرب والقتل بأقصى عنف وعدم استثناء أحد من القتل، والحرب بطريقة بربرية (عام الخلية وتخريب الأغواط كمثال).[5]

---

[1]- يعتبر حي "قصر الفروج" أو الصادقية حاليا أحد الأمثلة على توطن البدو فهو من الأحياء التي أنشئت في القرن العشرين بسبب نزوح البدو (وجلهم من قبائل الأرباع) واضطرارهم للسكن على أطراف مدينة الأغواط من ناحية الجهة الجنوبية، في خيامهم في البداية ثم في سكنات هشة ، وتوضح الصور الملتقطة في ذلك الوقت التطور الديموغرافي والعمراني للمنطقة بمرور السنوات، وقد أصبح هذا الحي الان من أكبر الأحياء الشعبية في الجنوب.

[2]- عدي الهواري، مرجع سابق، ص99.

[3]- المرجع نفسه، ص99. على حسب وصف غولدزيغار فإن قبائل الأغواط كانت أقل القبائل تضررا من مجاعة 1868 بسبب كونها "محمية ضد الفقر نظرا لنمط حياتهم.." أنظر: أني راي غولدزيغار، مرجع سابق، ص469.

[4]- برشان مُحَمَّد، **الاستعمار والمجتمع القبلي**، مرجع سابق، ص160. جمال خرشي، مرجع سابق، ص260-261. ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان،2000، ص70-71.صالح بالحاج، **الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربي 1910-1939**، منشورات بن مرابط، الجزائر، 2015، ص34-35. عمار عمورة، مرجع سابق، ج1، ص383-341.

[5]- ألكسي دي توكفيل، مصدر سابق، ص47.

-اللجوء إلى كل الوسائل التي تجعل حياة القبائل المتمردة لا تطاق، تدمير المحاصيل بالخصوص (قطع أشجار النخيل في الأغواط كمثال).[1]

-نهب البلد عن طريق غارات سريعة لأسر الرجال والنساء ونهب القطعان لهذا يجب أن توفر السلطات الاستعمارية فرقا صغيرة متحركة حول نقاط ثابتة (الغارات على قبائل الحرازلية والارباع وأولاد نايل الرافضة للاحتلال، ونهب قطعانها وأسر رجالها ونسائها واستعمال أفراد جزائريين لهذه المهمة مثل حمزة ولد سيدي الشيخ وفرق الزواف كمثال).[2]

-منع التجارة لشل القبائل (إجراءات تنظيم والسيطرة على تجارة القوافل التابعة لقبائل المنطقة وبني ميزاب كمثال) .[3]

لقد عملت السياسة الاستعمارية على تفتيت القبائل البدوية بشتى الوسائل والطرق، وتعتبر الضرائب على الجمال جزء من هذه السياسة حيث يمثل الجمل وسيلة نقل وغذاء وذلك أن " السلطات لم تكن تنظر إليه بعين الرضا لأنه يمكن القبائل من الإفلات بالهرب،[4] لقد كانت المقاومة في الجنوب والتي دامت سنوات طويلة بأشكال مختلفة (من الزعاطشة وصولا إلى بوعمامة) تدل على أنه توجد نواة لا تقبل الاستسلام ولازالت تقاوم، وكان تثبيت هذه النواة وحصرها والقضاء عليها هو الهدف لكل سياسيات الاستعمار والموالين له.[5]

وبالرغم من أن القبيلة في الجنوب صمدت طويلا في مقاومتها للاحتلال الفرنسي وظلت تشكل كابحا لتوسعاته، إلا أن الاستعمار في الأخير تمكن من تفتيت مجتمع القبيلة وإخضاع أفراده للمنظومة الاستعمارية رغم بقاء مجتمع الجنوب مستقلا نسبيا،[6] وقد حققت وسائل التفكيك نجاحات مع نهاية نهاية القرن التاسع عشر فقبائل الأجواد والعائلات الشريفة والمرابطة اندثرت أو تم إضعافها،[7] وبالتالي فقد " تعرض المجتمع الصحراوي إلى صدمة محسوسة...وشعرت القبائل الصحراوية أنها محاصرة

[1]- ألكسي دي توكفيل، مصدر سابق، ص 48.

[2]- نفسه، ص49-50.

[3]- نفسه، ص49.

[4]- عدي الهواري، مرجع سابق، ص109-110.

[5]- أني راي غولدزيغار، مرجع سابق، ص 578.

[6]- محمد برشان، **الاستعمار والمجتمع القبلي**، مرجع سابق، ص154.

[7]- المرجع نفسه، ص160.

بالتسرب العسكري والتقني والتجاري ... إنها تفهم بأن كل هذا هو مقدمة للاستيطان النهائي، إن مشكلة الأرض لا تطرح هنا بنفس الكيفية التلية ولا يؤثر في مستوى حياتهم إلا الحد من ترحالهم وتقلص ثروتهم من القطعان.."[1].

ثانيا: صورة المجتمع من وجهة نظر استعمارية[2]: يعتبر كاريت أن الصحراء هي الجزء الأكثر قابلية للتحضر بسبب تقاليد الدقة والذكاء والعمل وصفاء الذهن وحسن المخالطة،[3] إذ أن الصحراوي بالنسبة إليه يؤمن بالعمل ويبحث عنه لأنه قوي وماهر ونشيط،[4] ويمتاز الصحراويون بالطيبة وحسن المعشر وفكر أسمى وخيال أجزل إذ أنهم يجيدون الوصف ويبرعون في التصوير ولا يحتاج هذا الميل الطبيعي نحو الشعر إلا لقليل من التطوير.[5]

وقد انتبه أكثر من رحالة وزائر إلى الأغواط للجوانب الاجتماعية وعقلية الأغواطيين (بدوا وحضرا) الكتاب المغامرون الرحالة الذين جاؤوا في غير مهمة رسمية، ومن هؤلاء نجد الكاتب أوجان فرومنتان الذي تعرض بالذكر لعدة ظواهر اجتماعية منها العادات الراسخة التي تتحكم في مجتمع الصحراء الوسطى، منها على سبيل المثال يقول الكاتب أوجان فرومونتان أن " القهوة والشاي والدخان لا تقدم سوى للأجانب المسيحيين"، وكان " العربي خاصة في جنوب المدينة يمتنع عن شربها"[6]، ثم يردف بالقول "وكان من عادة الأعراب عدم الشرب للدخان واعتبار بعضهم هذا السلوك عادة سيئة تضاهي شرب الخمر، وهؤلاء يصنفهم الكاتب ضمن فئة من المجتمع ملتزمة بالدين والمسجد والصلاة، ولا تلبس ما يلبسه غيرها من أقمشة الحرير والزينة بالجواهر والذهب.

---

[1]- أني راي غولدزيغار، مرجع سابق، ص323.

[2]- جاءت عديد الدراسات السوسيولوجية والانتروبولوجية التي اهتمت بالمنطقة من خلال اهتماها بقبائل الأرباع والاغواط عموما ، ولعل من أهمها : دراسة ايف بونات (yves bonete) والتي جمعت حصيلة الدراسات المتعلقة بقبائل الأرباع ، إضافة إلى أعمال عديد الباحثين كالأستاذ لوترنو و جورج هارتز، مونجان ودرمنغهام وغيرهم إضافة إلى مذكرات دي باراي والجنرال يوسف وماري مونج وغيرهم من العسكريين.

[3] - كاريت، مصدر سابق، ج6، ص202.

[4]- المصدر نفسه، ج6، ص204

[5]- نفسه، ج6، ص205.

[6] - Eugene Fromentin, op.cit, p22.

كما وصف الكاتب فرسان بعض القبائل المحلية كأولاد مختار وأولاد نايل والأغواط، أنهم كانوا "يتأزرون البرنوس الأبيض حاملين سيفا قصيرا ومنتعلين أحذية طويلة حمراء، ورغم نحافة أجسامهم ومعيشتهم القاسية غير أنهم على أحصنتهم تلك ينتقلون حيث شاؤوا بلا كلل ولا ملل"[1].

كانت المرأة الصحراوية تتحمل كل أعباء الأعمال المنزلية، فتقوم بحياكة الأغطية والأفرشة بعد تلوينها وصبغها بالألوان لتستعمل فوق الهودج الذي يوضع فوق الجمل، أو لتكون حاجزا بين الرجال والنساء في الخيمة، وتقوم كذلك بصنع الحبال من وبر الإبل أو شعر الماعز وتقوم بحياكة البرانيس والعباءات وتصنع الأواني الفخارية والأدوات الجلدية كالغرارة التي تعد لحفظ الدقيق، والشكوة للحليب أو الزبدة والقربة للمياه إلى جانب تحضير الأطعمة.[2]

كانت ألبسة أهل القصور بسيطة تشتمل على العباءة وسروال يشبه السروال الأوروبي، أما البدو فيلبسون الشاشية والبرنوس، أما بالنسبة للنساء فلباسهن يتمثل في عباءات بدون حزام وحايك وخلخال في الأرجل وأساور فضية وذهبية أو من المرجان الأسود، كما كانت النساء العربيات تقمن برسم وشم في كل من الجبهة والوجنتين أو اليدين.[3]

وراع انتباه رحالة آخرين تواجد العناصر اليهودية في المنطقة مثل بول صوليبي: "يهود الصحراء الذين رأيتهم خاصة يشبهون كثيرا يهود شمال افريقيا قامتهم طويلة بنيون بعيون سوداء بشرة داكنة وأنوف كبيرة لا تشبه أنوف يهود اوروبا المنحدرين كما يقول الكاتب من نسل موسى عليه السلام[4]

كما أشار الرحالة فرومنتان إلى النظام الاجتماعي القبلي المشكل من هرم قمته يمثلها شيخ القبيلة وأسرته، بعدها يليه الفرسان وفي الأخير يأتي الفقراء والخدم، وهم في غالب الأحيان من الزنوج، ولأنهم يفضلون حياة الانتجاع يفصل لنا الرحالة في حديثه عن قوافل الانتجاع فيقول الفرسان يأتون

---

[1] - IBID , p81

[2] - (E) Daumas, **Mœurs et coutumes De l'Algérie** , la Biblioteque Arabe Sidbad , Paris,1988, .p 199.

[3] - هرباش زاجية، **الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين الفرنسيين دوماس أنموذجا**، مجلة عصور الجديدة، ع 6، 2012، ص34.

[4] - Paul soleiller, **Afrique occidentale Alger Mzab Tidikelt**, OP. CIT, p150.

في المقدمة يحملون رايات، ثم يأتي أربعة جمال يركبها شيخ القبيلة وأفراد أسرته، ثم يليهم قطيع من الجمال بقيادة جمالين، وفي الخلف قطيع من الغنم والماعز مقسم إلى مجموعة كل مجموعة تقودها امرأة أو زنجي مدعم بحراسة رجل يمتطي جوادا وكلاب[1].

أما لباسهم فيقول فرومنتان أنهم يلبسون اللباس البالي والممزق نتيجة الفاقة والفقر[2]، أما عن سلوكهم الاجتماعي؛ فقد وصفهم فيرومنتين وصفا قبيحا وهذا الأمر مبالغ فيه، لا يتناسب وتعاليم الدين الإسلامي، فهو يريد من خلال وصفه هذا إظهار التفوق الأوروبي على العربي، فذكر أن سكان الأغواط مثلهم مثل كل العرب، كلهم يحبون النوم فتجدهم جالسين أو نائمون تحت الجدران مثل التماثيل المصنوعة من الطين، وعند اشتداد الحرارة تراهم يبحثون عن أماكن الظل في الشوارع، فينامون في سبات عميق، متكدسين فوق بعضهم البعض ، كما تراهم دائما شاحبي الوجوه وتبدو عليهم الشيخوخة مبكرا، حتى أنه وصفهم بالجنس التافه الرديء، كما أشار إلى بيوتهم فيقول أن فناء بيوتهم ملوثة، إذ يتناولون فيه طعامهم ويجمعون فيه أوانيهم، ويرمون فيه أوساخهم حتى تتكدس، وينتشر الذباب وبالتالي تنتشر رائحة كريهة في كل مكان[3].

ثم يتطرق للأدوار التي تتقاسمها العائلة في العمل، فيصف الرجل بالخمول والكسل والزوجة بأداء أدوار كثيرة، منها رعاية الأسرة والقيام بأشغال البيت ورعي الاغنام إلى جانب زوجها، والقيام بالنسيج والحياكة، فيصف العلاقة بين الرجل والمرأة بأنها تنحصر في توفيره لها الغذاء واللباس والمسكن فعلاقتهما أشبه بالعبد والسيد[4].

أما أطفالهم الذكور فيكلفون بجلب الماء والرعي إضافة إلى مهمة أخرى، والفتيات يساعدن أمهاتهن في الحياكة والنسيج مقابل أجر زهيد يحصلن عليه[5]، هذا ويشير إلى عادات المنطقة في مسألة الزواج فيقول أن هؤلاء الفتيات يتزوجن في سن مبكرة حيث يتزوجن في سن الثانية عشرة سنة[6].

---

[1]- Eugène Fromentin,Op.Cit, p 216-217.

[2]- Ibid , p 113 .

[3]- Eugène Fromentin, Op.Cit, p 149-147

[4]- Ibid , p 114

[5]- Ibid , p 154.

[6]- Ibid , p 142

كانت البلادة والخمول تمثلان الصفة الأساسية للإنسان الأغواطي (في وجهة النظر الفرنسية) ، فهو قليل النشاط ويجنح كثيرا إلى الخمول ، وإذا جمع مقدارا من المال فان ذلك كان يعود بالأساس إلى عمل النساء على العموم ، فهن وخارج الأشغال المنزلية ، كن يعتكفن في نسج المنسوجات المختلفة ، وتجدر الإشارة في هذا السياق ، بان عدد النساء في الاغواط ، كان يمثل ضعف عددهن عند العرب، وان الشغل الوحيد الذي يتعاطاه سكان المدينة هو البستنة ، بحكم أنها لم تكن تستدعي جهدا كبيرا .

لقد كانت ضيافة بني الاغواط مضرب المثل في الماضي ، وتنبع من صفاء طبيعي وإنساني ، فقد كانوا يمنحون اللجوء لكل الناس ، بحيث كان الأجنبي مرغوبا في مدينتهم ، وكان يضمن الحصول على المأوى عندهم ، إن الاحتكاك مع الأوروبيين أخذ مثلما هو الحال في كل مكان تعديلات على طريقة التعامل ، ولا يمكن أن يكون هذا الأمر بخلاف ذلك ، وهذا يرجع لاختلاف نمط المعيشة[1] .

توجد قبيلة صغيرة تستغل الطريق بين الأغواط وبني ميزاب بحيث تعد 50 فارسا للقيام بعمليات السطو (المخاليف الجرب) وكذلك أولاد عيفة (نوايل) وهي تقطع الطريق بين بوسعادة والأغواط وتلتجئ إلى الجبال المجاورة والقريبة،[2] ومعلوم أن الفرنسيين كانوا يصفون أي مقاوم أو ثائر بقاطع الطريق.

ثالثا: عادات المجتمع الأغوطي: لكل مجتمع تاريخه وتراثه وثقافته ، وبعض العادات هي انعكاس للبيئة الطبيعية والاقتصادية للمنطقة وسكانها ومثال ذلك بعض العادات المرتبطة بالفلاحة، ففلاحو المدينة كانوا يحققون شبه اكتفاء ذاتي ، ولم يكن إنتاجهم موجها في الأساس إلى التسويق ، وإنما للاستهلاك ، وكان كل من له بستان يعود ببعض إنتاجه على معارفه وأقاربه وجيرانه المحرومين وافصل

[1]- للمزيد حول هذا الموضوع أنظر ما حكاه فون مالتسان عن استضافة الشيخ علي بن سالم في الأغواط، والشيخ أحمد عمار التيجاني في عين ماضي له، حيث وبالرغم من إكرامه إلا أن لم يمسك قلمه في سبهما والحط من أخلاقهما وحتى شكلهما. فون مالتسان، مصدر سابق، ج3، ص 211-215، 226-227.

[2]- كاريت، مصدر سابق، ج6، ص112.

ما يتهادون به البواكير التي يسمونها "الفال" وفي جو من التواد والتكافل الاجتماعي المستمد من القيم الإسلامية الراسخة في هذه الديار.[1]

ومن أهم العادات المنتشرة في المنطقة : "التويزة" والمعنى اللغوي لكلمة التويزة يتوافق مع معناها الاصطلاحي فهي مأخوذة من فعل : " أزى" وتعني المؤازرة و تقوية الصف و التعاون و المساعدة و التآخي، أما معناها الاصطلاحي فتعني حملات تعاونية تطوعية يشترك فيها مجموعة من السكان لإنجاز مشروع صغيرا كان أم كبيرا، وتشكل العناصر المشكلة للفضاء الريفي كالقرابة و السكن الاجتماعي والنشاط الفلاحي والسلطة العرفية والعلاقات الاجتماعية التربة الخصبة لظهور ولممارسة التويزة.[2]

ومن أمثلتها في منطقة الأغواط خروج الفلاحين بآلاتهم إلى موقع السد الذي ترتوي منه المدينة لإعادة إقامته كلما داهمته السيول العارمة وإزالة حاجزه ، وتتكرر العملية ربما عدة مرات في السنة بحسب السيول ،ويحاولون إلا يستغرق أكثر من يوم لئلا تنقطع المياه عن المدينة ، ونفس الشيء لإصلاح السواقي وتنظيفها ، وكذلك تحضر "التويزة " في عمليات الحرث والبذر والحصاد، وكذلك اشتراك السكان في انجاز المباني سواء كانت عامة كالمساجد أو المدرسة الحرة التابعة لجمعية العلماء التي بنيت بالتبرعات والتويزة أو خاصة كمساكن المواطنين.[3]

كما أن أطعمة السكان انعكاس لمنتجات البيئة، فما من مناسبة أو احتفال إلا ويكون حاضرا فيها "الكسكس" وهو الطعام الشهير بالأغواط الذي غلب عليه لأهميته وانتشاره تسمية" الطعام" ، وهو يمتاز بتركيبته ومذاقه عما هو معروف عن هذه الأكلة في المدن الأخرى ، وهناك أكلات أخرى كثيرا ما تحضر في المناسبات الاحتفالية منتشرة في هذه المدينة والمناطق السهبية المجاورة ولازالت متداولة.[4]

---

[1]- مداني لبتر، مرجع سابق ، ص 55.

[2]- زيزي سهام، **التويزة وأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية دراسة سوسيوأنثروبولوجية**، رسالة ماجيستير تخصص أنثروبولوجيا، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، إشراف سعيدي مُحَمَّد، 2011- 2012، ص32. مدني لبتر، مرجع سابق، ص31.أحمد لبقع، **وادي مرة بطولات وأمجاد وميراث أجداد**، مطبعة رويغي، الأغواط، 2019، ص31.

[3]- مداني لبتر، مرجع سابق، ص55.

[4]- المرجع نفسه، ص55.

أماعن اللباس التقليدي الأصيل فإننا نجده غير مختلف عما هو سائد في المدن العريقة ، وإن كان لباس المنطقة له خصوصية المنطقة السهبية والصحراوية فبالنسبة للرجل : هناك "البرنس" و"القشابية " "الجلابة" و"القندورة" و"السروال العربي" و"البدعية "الصدرية" والقميص والعمامة التي تختلف أحجامها ،[1] أما لباس المرأة فهناك ما يسمى "بالقنبوز" الذي هو حجاب سابغ لا يبرز الا عينا واحدة وكان يتخذ من القماش الأزرق ثم الأبيض وله نظائر قديمة في مدن أخرى كتلمسان "حجاب الفتاشة" وهناك الفستان والحولي والوقاية والخمري[2].

المناسبات الاحتفالية: مما عرف به سكان الاغواط وعلى غرار المدن الإسلامية العريقة احتفاؤهم بالعديد من المناسبات ذات الطابع الديني والتاريخي بطريقة متميزة من حيث التحضير الذي ينطلق أياما قبل حلولها ومن حيث الطقوس والمظاهر الاحتفالية بها وأهمها:

1/المولد النبوي: الذي كان يحظى من جميع طبقات المجتمع بالاهتمام ، ففضلا عن المدائح الدينية التي تقام في كل مسجد ومحضر "كتاب" لمدة أسبوع على الأقل يحرص كل رب أسرة على أن يوسع في الإنفاق على أهل بيته في اللباس والأكل وشراء لوازم الاحتفال تعبيرا عن حب هذا المجتمع لنبي الأمة مُحَمَّد "ﷺ".[3]

2/ عاشوراء: وتتميز بمظاهر احتفالية وطقوسية ولاسيما اتجاه الأطفال كما يحرص الكبار على صومها عملا بالسنة النبوية وعلى إخراج الزكوات والصدقات فيها[4].

3/ شهر رمضان: الذي يعرف استعدادات كبيرة من طلاء وتنظيف البيوت وتجديد بعض أثاثها وتحضير بعض التوابل وبعض الأكلات مسبقا ، كما يعرف توسعا في الإنفاق مهما كانت المداخيل واجتماع أفراد الأسرة على مائدة الإفطار ، وتزاور الأسر في الليل ، وحرص الكل حتى بعض المفرطين على أداء صلاة التراويح بالمساجد ، أما بخصوص الأطفال فهناك عادة متفردة كانت تتمثل في قيامهم ببناء مصاطب في الأحياء يستغلونها طوال الشهر في التجمع لتناول ما يجلبونه من بيتهم من أطعمة

[1]- مدني لبتر، مرجع سابق، ص56. صادقي، مرجع سابق، ص272-273.

[2]- لبقع، مرجع سابق، ص46. مدني لبتر، مرجع سابق، ص56. صادقي، مرجع سابق، ص274.

[3]- مدني لبتر، مرجع سابق، ص57. لبقع، مرجع سابق، ص34.

[4]- مدني لبتر، مرجع سابق، ص 57.لبقع، مرجع سابق، ص34.

الإفطار المتنوعة في نوع من التكافل وفي جو من المرح والأخوة، وكل طفل أو بنت يتخلف عن المشاركة يصبح عرضة للسخرية من خلال اهازيج محفوظة يرددها زملاؤه .[1]

4/رأس العام : ويشمل كل من بداية السنة الهجرية والسنة الفلاحية ففي كل مناسبة من هذه المناسبات تحضر أطعمة خاصة وتؤدي طقوس معينة يعود بعضها إلى اعتقادات وممارسات قديمة مشوبة أحيانا بالخرافة، وتأسيسا لما سبق ورغم كل ما ذكر من هذه العادات وطرائق الاحتفال والإنفاق إلا أنها بعيدة عما نعهده الآن من غلو وإسراف وتبذير وبذخ مبالغ فيه. [2]

5/طقوس الزواج في الأغواط : يعتبر الزواج كظاهرة اجتماعية أنثروبولوجية، من الظواهر التي ميزت الجنوب الجزائري عموما والأغواط خصوصا، لما يحمله من اهتمام لاعتباره من أهم محطات الحياة " طقس عبور " و أبرزها ،فكل المجتمعات لم تخرج عن هذا النمط رغم الاختلافات إلا أن الهدف واحد وهو تشكيل أسرة. من هذا المنطلق نحاول تسليط الضوء وبصورة سريعة على أهم المحطات التي تمر بها طقوس الزواج في مدينة الاغواط :

أ) معايير الانتقاء:

–بالنسبة للرجل: يعتبر اختيار الزوجة من مهام عائلته وبالأخص الأم أو إحدى القريبات بالبحث عن عروس تتوفر فيها شروط الزواج كالخصوبة الحالة الصحية، وصغر السن ولهذا نجد أنّ العزوبة غير معروفة عند الفتاة التي لم يتجاوز عمرها ستة عشر إلى ثمانية عشر، وهذا ما ذكرته السيدة بوميرول خلال رحلتها للأغواط حيث تقول: "لقد رأيت زواجا لبنت عمرها ما بين 12 و 14 سنة وهي غير ناضجة (مراهقة) في حين أنّ سن الزوج عمره ما بين 13و 15 سنة وتعتبر هذه الزيجات حالة نادرة تعرفها بعض المجتمعات"[3].

[1]– مدني لبتر، مرجع سابق، ص57. لبقع، مرجع سابق، ص34-35.

[2]– لبقع، مرجع سابق، 34. لبتر، مرجع سابق، ص57.

[3] – Jean Pommerol, **Une femme chez les Sahariennes entre Laghouat et In Salah**, Paris, Flammarion, 1900, p 231.

***النسب:** وهو الانتماء العائلي للمرأة والذي يُشترط فيه الأصل و التربية الصالحة والأخلاق الحميدة لأفراد العائلة عامة وللمرأة خاصة، والذي يتخلص في المثل الشعبي "**الصيل يجبد**"[1].

***الجمال:** يعدّ معيار الجمال من المعايير المهمّة في اختيار الزوجة وهذا ما يلخّصه أحد الحوارات لأم مع ولدها: "هل أدلّك على بنت كالجوهرة، ولها أسنان بلون الحليب، شفتاها كالزهرة الحمراء في الجنة ، ووجهها مضيئ كنور القمر، وجسدها كساق الشجرة المثمرة، إنّها في الحقيقة بنت نجمة الصباح وعيناها تلمعان كالنجوم"[2]. و تعتبر جين بوميرول أنّ الجمال هو معيار نسبيّ نوعا ما إذ يتحكم فيه تقييم الأم أو القريبات، ولا يمكن للرجل مشاهدة المرأة إلّا يوم الدخلة.

***المهام المنزلية:** يعتبر هذا المعيار من أهم المعايير في اختيار الزوجة، وذلك لأسباب اجتماعية (مساعدة أم الزوج في المهام المنزلية كالطبخ والتنظيف والتربية) واقتصادية (كحياكة الألبسة والزرابي التقليدية أو الفلاحة.....).

- **بالنسبة للمرأة:** لا تملك المرأة قديما حق القبول أو الرفض بل هو من اختصاص الأب أو الوصيّ، حيث يعتبر المخوّل الأوّل والأخير في اختيار الرجل الأنسب لابنته عن طريق بعض الأوصاف كالنّسب والقدرة على تحمل مسؤولية الزواج، والرجولة والشهامة وغيرها من الأوصاف الحميدة.

ب) مراحل الزواج: تتفق معظم المجتمعات على وجود مراحل للزواج منها ما يكون تمهيدا له ومنها ما يكون ضمنه ومنها ما يكون بعده، ومن المراحل التي يتصف بها الزواج في منطقة الأغواط من منظور الأجانب ما نورده فيما يلي:

–الخطبة: تعدّ الخطبة أوّل مرحلة فعلية للزواج حيث يرسل الرجل الطامح والدته أو إحدى القريبات من نفس عمر الوالدة وذلك لخطبة فتاة ويتم هذا بعد إعداد أرضية جيدة للحوار عن طريق الزيارات المتكررة والمداهنات[3] وتتخلل هاته الزيارات بعض الكلام اللطيف والغزليّ بين والدة الرجل والفتاة كـ: (يا جميلتي، يا عزيزتي، يا فتاتي الجميلة) من طرف الأم و(يا أمّي الفاضلة، عائلتكم مباركة ما شاء الله) من طرف الفتاة وأهلها[4].

[1]- يطلق هذا المثل على اختيار المرأة ذات الأصل الطيب .

[2] - Jean Pommerol, op. cit, p 233

[3]- ibid, p 233.

[4] - ibid, p 233.

وبكثرة المراسيل تُرَشَّحُ الفتاة للزواج وذلك بعد تقييمها ومعرفة مواهبها المنزلية كالطبخ و النسيج مع الأخذ بعين الاعتبار حالتها الصحية، وبعد توفر هذه الشروط، تخطب أمّ الرجل المرأة من أمّها وذلك بعد إخبار أب الرجل، فإذا وافقت أمّ المرأة و أبيها تحصل **الخطبة**، وإذا رأت أمّ الفتاة عدم ارتياح من ابنتها تقول لها في تلك الليلة أنها ستكون إن شاء الله زوجة فلان وأنّه رجل حكيم، وستكون عونه ودليله إلى طريق الرحمن الرحيم[1].

–التمليك (السعفة): بعد حصول الخطبة، يأتي ما يسمّى بالدفوع وهو عبارة عن مبلغ مالي غير محدّد مع مجموعة من المواد الغذائية (سكر – قهوة – حلويات) وألبسة و بخور وعطور وحذاء من الشرك، تأتي بها نساء أهل الرجل مع الزغاريد إلى بيت أهل المخطوبة، فيرحّب بهم وذلك بتقديم القهوة والشاي وبعض الحلويات التقليدية. وبعد هذه العادة تعلن الخطبة على الملأ ولا يحقّ لأي عائلة أخرى أن تخطب على هذه الخطبة، وإذا حدث أنّ أهل المخطوبة استبدلوا هذه الخطبة بخطبة أخرى فإنّ ذلك من شأنه أن يحدث عداء بين العائلتين.

–الدفـــوع: وهو المال المتفق عليه بين أبوي المخطوبين ويأتي هذا بعد المناقشات الطويلة واللهجات الواضحة لا يمكنها أن تخفي العاطفة المادية، حيث تُثَبَّتُ قيمة المهر وتُنَاقَشُ قضية جهاز العروس ويكون ذلك بين الأخذ والرد حتى يُفصل الأمر بقولهم : بسم الله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم[2].

***جهاز العروس**[3]:

–جوخين: و هو غطاء السرير.

–زربيتين : هو النوع الذي يكون فيه النسيج غير بارز.

–المسند : المساند" مرقوم رقمة الأغواط : تسمى اليوم بالكسر، الأشكال التي ترسم عليها أغصان، و أشياء لها علاقة بالمعتقدات الأسطورية .

–مخايد أو وسائد و هو جمع مخدة ووسادة منسوجة من الصوف جريدى: حجم كبير لشخصين : و هو الذي يوضع على السرير للنوم عليه يكون مصنوع من الصوف– مرتبة من الصوف من الحجم

[1] – Jean Pommerol, op. cit, p 233.

[2]– ibid, p 233 .

[3] – http://www.m-culture.gov.dz/mc2/ar/mariage.php.20:19 2017/2/19

الصغير-.

أمّا فيما يتعلق بالحلي :

-السلطاني : هو مجموعة من النقود الذهبية"الدينار المجيدي " في عهد السلطان عبد المجيد في خيط أسود و الخمسة في الوسط.

-العقد : وما يسمى ب "الشنتوف" أو "الخناق"

-المشاريف : و هي أقراط الأذنين من نوع دق المنشار من الحجم الصغير و من النوع الكبير التي تسمى بالشنقالات.

-المقفول : و هي أقراط كبيرة من نوع آخر.

-العصابة : تأتي فوق الرأس أو خيط الروح في الجبهة، و تكون في وسطه حجر كريم.

-منديل الجدايل : التي يركب عليها الجبين أو خيط الروح أو العصابة.

-المعصم : توضع فيه (المنافيخ) مصنوع و من اللويز، و كذلك الحدايد " الربطة" أو المسيبعة

- الخواتم : ثلاث خواتم في الأصبع الواحد .

-الصدر : يزين بالرعيشة، الصارمة أو الصارمية.

-اللبة : نوع من الحلي تكون قطع الذهب فيه مربوطة بخيط أسود.

-الخلخال : و فيه عدة أنواع و أشكال، مثل " الذوادي"، و خلخال " رأس الحنش المظفور" و النوع الشائع هو العادي المصنوع غالبا من الفضة و أحيانا من الذهب و يسمى كذلك بالبريم."

-الحزام أو الزنار : الذي يحيط بخصر المرأة بحيث يكون من فضة و له أشكال مزخرفة.

-الكسى، الحزام ، الملحفة، القاط : يلبس فوق كل هذا، الغليلة، الريشات تكون من ذهب يوضع فوق الملحفة.

-الفاتحة: يأتي أهل الخاطب من الرجال ومعهم الإمام إلى بيت أهل المخطوبة فيستقبلهم أبو المخطوبة مع إخوته وأقاربه فيقدّمون لهم القهوة والشاي وبعض الحلويات حيث يقول أبو الخاطب: "خطبت فلانة لابني فلان" فيرد عليه أبو المخطوبة: " وأنا قبلت بذلك" ويتفقان على الصداق (حاجتان من ذهب مثلا) سواء كان مقدّما أو مؤخرّا. ويكون كل ذلك عادة ليلة الاثنين أو ليلة الجمعة وذلك تبرّكا بهاتين الليلتين[1].

[1]- Jean Pommerol, op. cit, p 233.

بعد الفاتحة و إجراءاتها وما يترتب عنها يتفق الطرفان على يوم الزفاف الذي يسمى ب "التراوح" أي انتقال العروس من بيت أبيها إلى بيت زوجها و في هذا اليوم تتزين العروس بأجمل ما لديها من مناديل الرأس" بالجدايل" "العباريق"، توضع على أكتاف العروس. و تتزين بالحلي كخيط الروح ، الجبين و الكحل.

وتمر الأيام، وترتفع معها حمّى الارتباك عند الطرفين، ويحاول الأصدقاء تهدئة ارتباك الرجل وذلك بتوافدهم عليه كل يوم بعد الظهر، فيبدؤون بالضحك و الرقص مع لبس الثياب الجديدة، وشرب الشاي، ولعب الورق خلسة في زوايا البيت[1].

–حمام العروس: تتحضر العروس للحمام مع امرأة كبيرة وغير مطلّقة مرفوقة بلوازم الحمام من صابون و بخور وماء به الفلفل وحبة قمح للفأل، وتأتي وصيفة من النساء تحمل ثياب العروس وترميها للبنات العازبات قصد التسريع في زواجهن، وتصف (جيون بوميرول) المواد المستعملة في الحمام بقولها : " لا أنصح أيّة باريسية أن تسبح في حوض كبير مليء بالمسك والعنبر والقرنفل وقنينة تكاد تكون مملوءة بالملح" ثم تصف كيفية الاستحمام بقولها:" ترتمي العروس على الحوض كأنّها امرأة مغميّ عليها، وتبدأ الوصيفات بتدليكها وتطييبها على هذا المنوال مدّة شهر كامل إلى أن يأتي يوم العرس"[2].

–ليلة الحنة: ويسبق يوم الزواج يوم آخر في التقاليد يسمّى "ليلة الحنة" وفيه يقوم أهل العروس بوضع الحناء للعروس في يديها ورجليها تزيّنا ليوم العرس ، وتعتبر الحنة بمثابة الفأل بالخير و الرزق و البشائر فالحنة هي الفاصل بين الحزن و الفرح، ولا يقام عرس بلا الحنة ولا تكتمل زينة العروس إلا بها. يحضر لهذه المناسبة أكلة "الفتات" أو"الرفيس" فتتم في حفل بهيج تحضره النساء من أقارب وجيران ويكون لباس العروس عبارة عن : فستان اغواطي– البخنوق– اللحاف. ويفك شعر العروس ويظفر على شكل فتائل وتشد بشرائط من حرير اخضر اللون وتتزين بالحلي و يوضع لحاف أبيض شفاف على وجه العروس. وتجلس بين النسوة و تقدم سيدة من الحاضرات الحناء في طبق من فخار مغطي بمنديل فتصنع الحناء على يد العروس اليمنى بالزغاريد و المواويل، و أيضا في هذه الليلة يحنى للعريس مع أصحابه تعبيرا عن الفرحة وتفاؤلا بها، وفي صبيحة اليوم التالي ، تكون العروس مهيأة لترك بيت أبيها و الانتقال إلى بيت زوجها.

---

[1]– Jean Pommerol, op. cit, p 233.

[2]– ibid, p 247.

***لباس العريس**[1]: عبارة عن بدلة تخاط عند الخياط تتألف من:

-البدعية: و هي التي تكون مفتوحة الصدر بدون أكمام توضع بداخلها الساعة.

-القميص : و هو القميص الرجالي .

-السروال العربي : يكون بحوض كبير بتستيفة ، تسمح له بتحديد خصره.

-الحزام: و يكون عادة من الجلد الأحمر.

-الحذاء : مصنوع من الجلد و يعرف بالمنطقة بصباط " البست".

-البرنوس : " الجريدى" و هو النوع الشائع بالمنطقة.

-الشاشية : و هي غطاء الرأس و عادة ما تكون بالون الأحمر.

-الشاش : و تسمى " اللحفاية" التي يعقل بها الرأس.

-ليلة الدخلة: عند اقتراب موعد العرس يشتري الوالد الخراف، وعند دقهم للقهوة يقال : يا فرحتي ...يا سروري....يا فرحة تسر بطون المؤمنين[2] و تكون هذه الليلة بمثابة ليلة العمر بالنسبة للفتاة المقبلة على الزواج، تستعد فيها نفسيا بإعطائها بعض النصائح من طرف أمها، بطاعة زوجها واحترام عائلته وقبل ذلك تكون الفتاة قد تعلمت الأعمال المنزلية من طبخ ونسيج و القيام بواجباتها كزوجة، وعند يوم العرس تتطيّب العرس وتلف بسبعة عشر ستارا حاجبا وتركب على ظهر بغل أو جمل المسمّى بالهودج أو الباصور، ثم يتحرّك الجمل وعليه العروس في مقدّمة الموكب والنساء وراءها يمشين على أرجلهنّ رافعين أصواتهن بالزغاريد، كما أنّ هناك بغل آخر تُحمل عليه جهاز العروس ويتمثلّ في أفرشة صوفية وصندوق فيه جهازها وحلّيها، وبعد وصول الموكب لبيت العريس، وقبل صلاة العشاء يبدأ الأهل والأصحاب بالمغادرة حاملين طعام العشاء ملفوفا بأغطية محكمة، ولا يبق في بيت العريس

[1] - http://www.m-culture.gov.dz/mc2/ar/mariage.php.20:19 2018/01/10

[2]- Jean Pommerol, op. cit, p 239.

إلاّ العروس وأمّ العريس وأخواته حيث لا يظهر أي شخص من أهل العريس ولا حتى العريس ويعتبر ذلك من تقاليد المنطقة[1]، وتصف (جون بوميرول) مشهد ليلة الدخلة بقولها:" وعندما وضعوا العروس في مخدعها الخاص وهو مخدع بسيط جدا، جاء العريس متخفيّا تحت جناح الليل كأنّه سارق في ستر واحتشام"[2] وتشير الكاتبة أنّ حال العريس يبقى هكذا مدّة 8 أيام.

–الصباحية: في الغد تأتي الخادمة لها بفطور الصباح و يليه الغذاء و العشاء دائما من دار أبيها بعد ذلك بيت عمها و خالها فكل يوم يأتوهم بقصعة كسكسى و ذلك لمدة أربعة أيام و اليوم الرابع يكون يوم " التحزام" و " حب الرؤوس" تقوم العروس بتقبيل أهل العريس جميعا و ذلك للتعرف أكثر على أهل زوجها فتقوم النساء الكبيرات في السن بإعطائها مبلغ بسيط من المال ، و في هذا اليوم يجهز أهل العروس قصعة الكسكسى التي تكون أكبر من سابقاتها و طنجرة فيها العسل و سمن الغنم ترسل إلى بيت العريس. في يوم التحزام تتزين العروس بأجمل ثيابها و حليها و تلبس "الوقاية" و "القاط" و " القليلة و " الحزام" و مناديل الرأس" و تعرض فساتين العروس على الحاضرات من النساء.

–السبوع "اليوم السابع ": تحزم ركبتها أي تعقل رجلها كالناقة و تحضر العروس " العصيدة " و هي عبارة عن مرق يتكون من السميد و الطماطم و بعض الأعشاب المحلية فهو بمثابة اختبار لمهارة العروس في الطهي

–اليوم الثامن: تدق الوتد " دق الوتيدات و تربي للوليدات " تحضيرا لعملية نسج الزرابي، وبعد العرس يحضر جيران العروس صينيات من الحلويات مع أباريق من الشاي و القهوة فتقوم عائلتها بإحضارها إلى بيت زوجها كتهنئة "واجبة " أو "باروك" لأهل العروس، ولا تخرج العروس من بيت زوجها إلا بعد مرور سنة، أمّا عندما يوافي زواجها شهر رمضان فتذهب ليلة السابع و العشرين من شهر رمضان و تسمى " العواشير" للإفطار والسهرة و ترجع بعد ذلك حاملة معها السحور .[3]

[1] – Jean Pommerol, op. cit, p 248.

[2]– ibid, p 251.

[3] –ibid, p 251.

6/ **المعروف، الوعدة، الطعم:** يزخر التراث الشعبي بعادات وتقاليد شعبية كثيرة ساهمت فيها الأجيال عبر عصور مختلفة اتخذت صبغة طقوس مقدسة أصبحت بدلك مشتركة بين أبناء المنطقة أو الجهة و قد تتكرر عدة مرات و في أماكن مختلفة. أضحت هده العادات راسخة في نفوس الأجيال تتوارث جيل عن جيل و شكلت تراثا شعبيا يشترك فيه عامة الناس يطبع سلوكهم و أفعالهم و حياتهم اليومية و يؤثر فيهم فيصبحون مدافعين عنه بمختلف الوسائل لأنه يجسد ماضيهم و ماضي أجدادهم و يمثل بالنسبة إليهم الإطار العام الذي يتحركون فيه و قد يأخذ البعض من هده العادات و التقاليد طابع القداسة و يصبح المحافظة عليها من الأهمية بمكان بالنسبة لجميع أفراد المنطقة أو القبيلة.

ومن تلك العادات نجد ما يُسمى بـ : "المعروف" أو "الزِّيارة" أو "الوَعْده" ، وهي عبارة عن لقاء سنوي يُقام تخليداً لمناقب بعض الأولياء الصالحين، يجتمع فيه مريدوهم وأحفادهم ومحبوهم، من أجل المشاركة في قراءة القرآن والأدعية و المدائح وإطعام الطعام وصلة الأرحام، وتقام على هامش هذه اللقاءات بهذه المناسبة أسواق واحتفالات شعبيّة[1] .

وهي ظاهرة عامة عرفها المجتمع المغاربي عامة والجزائري خاصة، وأهم ما يميز ظاهرة الوعدة أنها تجذرت في السلوك الاجتماعي و المخيال الشعبي ، لقد أصبح أدائها ملتبسا بكل السلوك الاجتماعي و أنساقه الثقافية و هو يتم بشكل لا شعوري أي بشكل لا يستدعي تفكيرا حول مغزاه أو مدى معقوليته بحيث أصبحت جزءا من الممارسة الشعبية الدينية ، أي أنها تمثل جزءا من نظام الدين في ثقافة المجتمع الجزائري ، وقد انتشرت في القرى والمدن حيث عمل الناس على إحيائها في مواسم معينة واستمروا في إقامتها،و هناك عادات أخرى كاتخاذ المزارات و التبرك بها و تعليق الخرق على أشجار السدر و البطم و تقديم الشموع و المباخر إلى الأضرحة[2].

إن مصطلح الوعدة في اللغة العربية مشتق من فعل وعد و تعني تعهد بشيء ما أي أخذ على عاتقه شيء ما و الوعدة عبارة عن احتفال ديني يقوم به أشخاص من سلالة الولي و التابعين له حيث

---

[1]- سرقمة عاشور، مرجع سابق، ص194-195. علي كبريت، **موسوعة التراث الشعبي لتيارت وتيسمسيلت**، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ج1، ص73. عدي الهواري، مرجع سابق، ص128. عاشور شرفي، مرجع سابق، ص791.

[2]- مبارك الميلي، **رسالة الشرك ومظاهره**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص229. علي كبريت، مرجع سابق، ج1، ص74-75.

يأتون للزيارة بلوازم التنظيم[1] و الوعدة كطقس نجدها في الجزائر تأخذ هالة روحانية تتمثل في شيء مقدس و في ممارسات تنم عن اعتقادات أقل ما يقال عنها أنها تكفير عن الخطايا و التوسل إلى الله لرفع المظالم[2]، حيث عمل الناس على إحيائها في مواسم معينة و استمروا في إقامتها اعتقادا منهم أن عدم إقامتها قد تؤدي الى تأخير نزول الغيث أو زوال البركة فديمومة هذه الظاهرة ترتبط ارتباطا وثيقا بالواقع الاجتماعي للناس الذي يرتكز بدوره على الفلاحة المورد الأساسي للفئات العريضة من السكان.[3]

و في المعتقدات العامة و لقضاء حاجة فعلى الطالب أن يستنجد باسم الولي الصالح ليتم له ما أراد و هذا الفعل كثيرا ما يلجأ إليه الناس أثناء وقوع المصائب و الكوارث فيستنجدون بالولي الصالح سلطان الأولياء [4] لقد أخذ البعض من هذه العادات و التقاليد طابع القداسة و أصبح المحافظة عليها من الأهمية بمكان بالنسبة لجميع أفراد القبيلة فالاحتفال السنوي الذي يقام على شرف شيخ الزاوية أو صاحب الضريح كثيرا ما يشكل ظاهرة مقدسة بالنسبة للقبيلة و التي لا يجب تركها بل إقامتها في الوقت المحدد مما يؤدي إلى ترسيخها في أفكار البسطاء كواجب مقدس تجاه الولي، إن من شأن هذه الاحتفالات ، تلعب دورا لا يمكن نكرانه في التوازن النفسي لسكان معتادين على نمط اجتماعي معين وهكذا تترسخ الروابط الاجتماعية بين أفراد القبيلة أو الطريقة بفعل الروايات الشفوية والعادات الاجتماعية في إطار معياري مثالي.[5]

---

[1]- مُحَمَّد مكحلي ، **سيدي بلعباس البوزيدي ولي وولاية دراسة تاريخية أنتروبولوجية**، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان 2000، ص101. علي كبريت، مرجع سابق، ج1، ص74. محمود الأخضاري، مرجع سابق، ص211.

[2]- مُحَمَّد مكحلي ، مرجع سابق، ص 101

[3]- المرجع نفسه، ص101. علي كبريت، مرجع سابق، ج1، ص75. صادقي، مرجع سابق، ص221. عاشور شرفي، مرجع سابق، ص1466.

[4]- أحمد بن أحمد، **ظاهرة الوعدة دراسة أنتروبولوجية** ، رسالة ماجستير، تلمسان، معهد الثقافة الشعبية، 1998.

[5]- عدي الهواري، مرجع سابق، ص128. سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج 4، ص23. الأخضاري، مرجع سابق، ص212.

ومن بين الوعدات والزيارات المنتشرة في منطقة الأغواط : وعدة سيدي عطاء الله بن العابد،[1] ووعدة سيدي أحمد بن مخلوف،[2] وطعم سيدي أحمد بن حرزالله،[3] وزيارة الزاوية التيجانية، كما تتم زيارة قبر الولي سيدي الحاج عيسى،[4] ومقام سيدي عبد القادر في مدينة الأغواط،[5] ومقبرة شهداء مقاومة 04 ديسمبر 1852 " مقبرة المجاهدين".[6]

رابعا: الوضع الصحي: يشير ترومللي إلى ارتفاع نسبة وفيات الأطفال في منطقة القصور، إضافة إلى انتشار بعض الأمراض بينهم مثل الجدري والرمد والقرع،[7] وفي هذا الإطار أوردت المبشر أخبارا عن منطقة الأغواط تخص انتشار بعض الأمراض مثل الجذري الذي أصاب السكان بكثرة، مما استدعى تنقل خليفة الأغواط إلى مدينة الجزائر العاصمة وعرضه للمشكل على الحاكم العام الذي زوده بطبيب فرنسي متخصص في علاج هذا المرض، وقد انتقل هذا الطبيب مع الخليفة إلى المنطقة ونجح على حد تعبير الجريدة في مداواة وشفاء كثير من الناس :" وكذلك السيد أحمد بن سالم خليفة الأغواط الذي قدم لزيارة ولد سيدنا ...رجع لبلاده ومعه طبيب ... ليقف على من به ألم بتلك النحية... فلما بلغ الطبيب الأغواط شرع في معالجة أسقامهم حصل لبعضهم الشفاء...".[8]

[1]- محمود الأخضاري، مرجع سابق، 212-214. صادقي، مرجع سابق، ص247.

[2]- صادقي، مرجع سابق، ص221.

[3]- مُحَّد بوعزارة، **من الخيمة إلى البرلمان مسيرة حياة**، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص25-26.

[4]- صادقي، مرجع سابق، ص247.

[5]- بشير بديار، **ديوان**..، مرجع سابق، ص 25.

[6]- خميلي بلقاسم، **كلمة بمناسبة الذكرى 160 لمقاومة الأغواط 04 ديسمبر 1852**، ملتقى الاغواط ذاكرة وتاريخ، جمعية أول نوفمبر 1954 بالأغواط وملحقة متحف المجاهد بالأغواط، 40 ديسمبر2012، ص 29.

[7]- ترومللي ، مصدر سابق، ص342.

[8]- المبشر، ع 7، 15 ديسمبر 1847، ص 1.

ويبدوا أن المنطقة لم تسلم حتى من أمراض أخرى كالطاعون الذي اجتاح كل العمالات الجزائرية والذي حظي باهتمام المبشر في عدة أعداد منها قولها: "لما بلغنا ضعف ألم الوباء بجهات عرب العمالات الجزائرية ..."[1]، هذا وقد عولج كثير المرضى بعد اجتياح مدينة الأغواط ربما نتيجة المعركة أو لعوامل أخرى حيث تقول المبشر:"...وكذلك المرضى جعلوا لهم أماكن موسعة..."[2].

وقد انتشر مرض التيفوس في المنطقة سنوات 1908و 1920 و 1945 بسبب المجاعة العامة،[3] وإضافة إلى مرض التيفوس فقد شهدت المنطقة بعض الأمراض مثل الجدري سنوات الأربعينات من القرن العشرين، والليشمانيا وانتشار القمل، كما ضرب الطاعون ولكن بنسبة أقل من مناطق الشمال بسبب طبيعة المناخ وضعف الكثافة السكانية.[4]

وقد نشرت جريدة الإقدام التابعة للأمير خالد مقالا لمراسلها من الأغواط المدعو الخروبي، حول ظروف المجاعة التي ضربت المنطقة سنة 1920، أي بعد الحرب العالمية الأولى، حيث جاء فيه: " أنا في حالة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الأمم، كيف لا وقد رأت عيني فتيات تقتات الحشايش... والحكومة ..الآن لفي شغل شاغل بابتناء أبيار في مواطن ليس فيها حتى شوارد الغزلان قد فضلت تبديد ثمانية وعشرين ألف فرنك في الرمال على إعانة الفلاحين، واختارت ضرب "سسكرة" (كذا في الأصل) على كل ذي جمل حتى يموت الجمل والجمال، قد حورب كل شيء فمتى تحارب المجاعة يا قوم".[5]

ورغم ذلك فإن الادارة الاستعمارية قد أبدت اهتماما غير مؤثر بالصحة العامة في الجنوب عامة وفي الأغواط خاصة، فحسب مرسوم رئاسي صادر في 15 فيفري 1918 يخص أقاليم الجنوب ينص على تقديم المساعدات الطبية للسكان المحليين وإنجاز مصحات ومستشفيات داخل الثكنات، وقد

[1]- المبشر، ع 77، 15 أكتوبر 1850، ص 03.

[2]- المبشر، ع 134، 30 مارس 1853، ص 2.

[3]- فلة القشاعي موساوي، **الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل العهد الفرنسي 1518-1871**، منشورات بن سنان، الجزائر، 2013، ص 263. صادقي، مرجع سابق، ص243.

[4]- مصطفى خياطي، **الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية**، منشورات ANEP، الجزائر، 2004، ص 259-260. أنظر أيضا : فلة القشاعي، مرجع سابق، ص236.

[5]- الخروبي، **الحوادث الداخلية الأغواط**، جريدة الإقدام، ع17، 04 جانفي 1920، ص2.

أمر الحاكم العام باتخاذ إجراءات تتضمن تقديم فحوصات مجانية من طرف الأطباء العسكريين وإقامة دورات في القبائل البدوية من أجل التطعيم والقيام بمراقبة عامة للمجالات الصحية للوقاية ومعالجة الأمراض كما خصص الحكام العامون زيارات إلى مستشفيات الجنوب الجزائري وزيارة المرضى والممرضين، ويدخل هذا في إطار التقرب من الجزائريين قصد السيطرة والتحكم والتجسس، ورغم ذلك فإن التغطية الطبية كانت ضعيفة، حيث كان في منطقة الأغواط كلها بملحقاتها حوالي 30 ممرضا فقط سنة 1928،[1] كما كانت توزع أحيانا منشورات وكتب على الأعيان والقياد في حفظ الصحة العامة.[2]

[1]- رضوان شافو، **أساليب**..، مرجع سابق، ص297. مصطفى خياطي، مرجع سابق، ص252.

[2]- أنظر الملحق رقم : 12.

المبحث الرابع: السياسة الثقافية الفرنسية في منطقة الأغواط :

أولا: سياسات التحطيم الثقافية: شرعت سلطات الاحتلال في محاربة التعليم العربي الحر، حيث هدمت المؤسسات الدينية والتعليمية التي كانت سائدة منذ العهد العثماني كالمساجد والزوايا والكتاتيب ، ومصادرة الأوقاف ، والتضييق على العلماء والمدرسين ونفيهم ،[1] كما قامت سلطة الاحتلال، بعد تمكنها من المقاومة في الاغواط في 4 ديسمبر 1852، بملاحقة الشخصيات البارزة والعلماء والفقهاء وتصفية الكثير منهم وعلى سبيل الحصر نذكر افتخار النقيب دي باراي في مذاكراته بذهابه لاغتيال قاضي مدينة الاغواط[2].

ولم تكن الصحراء في عمومها محل اهتمام كبير من قبل المعمرين الفرنسيين إلا في مطلع القرن العشرين، وذلك نظرا إلى طبيعتها الطاردة والموحشة ووضعيتها الأمنية الثائرة ضد الزحف الفرنسي وباعتبار كل استعمار استيطاني بالضرورة استعمارا ثقافيا يهدف إلى محاولة همس الهوية الوطنية للبلد المستعمر، قامت سلطة الاحتلال الفرنسي بالعبث في المساجد وتحطيمها مثل تحطيم مسجدي بوطة وسيدي العربي أو تحويل البعض إلى الكنائس ومستودعات مثل مسجد الأحلاف الذي حول إلى كنيسة وبعد تشيد كنيسة جديدة استلمته البلدية الاستعمارية جعلته مستودعا إلى إن اشتراه الخليفة جلول وأعاد تحويله ثانية إلى مسجد، وهكذا قامت فرنسا بسد أبواب العلم والمعرفة أمام الجزائريين. [3]

وإضافة إلى تلك الأساليب المستعملة قامت فرنسا بطمس الطابع العمراني المحلي للمدينة، وذلك بتأسيس القلاع والثكنات والتحصينات المختلفة التي لازالت قائمة إلى اليوم شاهدة على الهمجية الاستعمارية، كما قامت كنيسة منذ مطلع القرن العشرين هدفها نشر المسيحية والتبشير على غرار ما انطلق من العمل به في منطقة القبائل وبعض المدن الصحراوية الأخرى وتعطيل المؤسسات التعليمية بإلغائها إلغاء قانونيا وحولت بعضها الى متاحف أو ثكنات أو كنائس، كما استولت على الأوقاف

[1] – محمد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص 235-236. شارل روبير آجرون ، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص 107ص . محمود علالي، مرجع سابق ،ص74. طالبي، مرجع سابق، ص36.

[2] -Du Barail, OP. CIT , p 76.

[3] – عطاء الله طالبي ،مرجع سابق ،ص37. . بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص154. علالي، مرجع سابق، ص74.

أو غيرت مهمتها،[1] ويذكر سعد الله أن السلطات الفرنسية استولت على عقار وقفي في الأغواط تبلغ قيمته 11.200 فرنك فرنسي، وهو مبلغ معتبر آنذاك، ويضيف أن هناك عقارات أخرى مسلوبة.[2]

حاولت سلطات الاحتلال الفرنسي منذ احتلالها للجزائر فرنسة المنظومة التعليمية في الجزائر، لاعتبارين أساسين أولا :تكوين جيل من المثقفين متشبعين بالثقافة الفرنسية ، ثانيا تغطية حاجاتها من الموظفين لتأطير قطاعاتها في التربية والإدارة والبنوك وعبر عن هذا الاتجاه مع بداية الحاكم العام " دو روفيغو" قائلا: "أرى أن نشر لغتنا هي الوسيلة الأكثر فعالية لفرض هيمنتنا في هذا البلد[3] .

وقد جعلت هذه الحرب الشعواء على الدين الإسلامي واللغة العربية التعليم في الجزائر يصل الى أدنى نسبة له ففي سنة 1901م كانت نسبة التعليم من الأهالي لا تتعدى 3.5% [4]، لقد كانت الغاية من هذه السياسة هو إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية واعتبار هذه الأخيرة لغة أجنبية ، وهي لغة الغزاة الذين دخلوا شمال إفريقيا ، منع التعليم العربي في المدارس الرسمية[5] .

وازدادت وضعية التعليم العربي سوءا في العقود الأولى للاحتلال الفرنسي فقد كانت نتيجة السياسة الفرنسية كارثية، فقد أهملت جميع المدارس تقريبا، حلت الكارثة بالزوايا وهجرت ، وهاجر الأساتذة إلى أطراف البلاد أو خارجها ، لذلك فان الفرنسيين لم يكونوا جادين في تعليم الجزائريين وتعميم التعليم على كل شرائح المجتمع الجزائري، لتخوفهم من انتشار الوعي والتخلص من الجهل والمطالبة بحقوقهم الطبيعية والقومية [6].

---

[1] _ عميراوي ، مرجع سابق ، ص105-107. صالح بالحاج، مرجع سابق، ص102-103. عمار عمورة، مرجع سابق، ج1، ص346-347. محفوظ قداش وجيلالي صاري، مرجع سابق، ص155. علالي، مرجع سابق، ص75. طالبي، مرجع سابق، ص38-39.

[2] – سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص175.

[3]– سميرة بوضياف،" **ملمح تكوين المعلمين والأساتذة في الفترة الاستعمارية** "،مجلة البحوث والدراسات الانسانية ، ع 08، جامعة قسنطينة، ص 66. للمزيد أنظر : شارل آجرون ، تاريخ ...ص112.

[4] _ الطاهر زرهوني ، **التعليم في الجزائر قبل وبعد الإستقلال** ، المؤسسة الوطنية لطباعة ، الجزائر 1993 ، ص 103.

[5] – سعيدوني ، **الجزائر** .... ، ص 73_74. صالح بالحاج، مرجع سابق، ص99.

[6] – دبوز، مصدر سابق، ج3، ص235-236.سميرة بوضياف، مرجع سابق، ص 68. محفوظ قداش وجيلالي صاري، مرجع سابق، ص275.

وقد ظلت سلطات الاحتلال متمسكة بسياسة الفرنسة حيث جاء في تقرير رسمي عام 1849م مايلي :" لا ننسى أن لغتنا هي اللغة الحاكمة، فان قضاءنا المدني والعقابي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته بهذه اللغة، وبهذه اللغة يجب أن تصدر – بأعظم ما يمكن بسرعة- جميع البلاغات الرسمية وبها كتبت جميع العقود وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا، فان أهم الأمور التي يجب أن نعتني بها قبل كل شيء هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة عامة بين الجزائريين[1] .

ثانيا: السياسة التعليمية الفرنسية في منطقة الاغواط: لم يكن الجنوب بمنأى عن المراسيم والنصوص القانونية التي أصدرتها سلطة الاحتلال في مجال التربية والتعليم، لقد مر التعليم الأهلي في الجزائر بمرحلتين هامتين من 1830 إلى 1904م:

المرحلة الأولى : تمتد من 1830 –1867 تميزت هذه المرحلة بانعدام التعليم التبشيري الأهلي رغم وجود التعليم التبشيري الموجه لأبناء الأوربيين إلا انه لم يستطع استقطاب اهتمام الجزائريين لكي يرسلوا أبناءهم إلى مدارسه، ويعود عزوفهم إلى طبيعة التعليم المقدم، إذ يفرض على التلاميذ دراسة مادة التربية الدينية المسيحية إلى جانب التراتيل الدينية التي يقوم بها التلاميذ كل يوم ثلاثاء وسبت كما كانت تعلق على جدرانها صور الصليب والصلبان. [2]

ففي 16 افريل 1853م صدر مرسوم ينص على إنشاء مدارس عرفت باسم المدارس الكاتشية ذات التوجه المسيحي، ويعتبر هذا المرسوم بداية لأول عمل رسمي للنشاط التبشيري، كما انه إكمال لمشوار الاحتلال بأسلوب أخر، فقد جاء على لسان الجنرال لاموريسيير " لقد قدم البرود والحرية ما عليهما من واجبات الآن جاء دور المسيحية لتكمل المشوار الذي بدأناه، ولقيت الكنيسة كل المساعدات المادية والمعنوية من طرف الضباط العسكريين وهذا يدل على تكامل سياسة القهر والبطش وسياسة

[1] _ ابراهيم مياسي ، **مقاربات** .... ،مرجع سابق ، ص ص 157_158. عمار عمورة، مرجع سابق، ج1، ص350.

[2] – مُحَّد الطاهر وعلي ، **التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904 دراسة تاريخية تحليلية** ،منشورات دحلب ،الجزائر ، 1997 ، ص73.

التبشير والتمسيح، فهما صورتان لعملة واحدة وجه يحمل البارود والحرية ووجه يحمل الكنيسة والمدرسة[1] .

المرحلة الثانية : 1867 – 1904 تميزت هذه المرحلة بتعيين المطران لافيجري أسقفا جديدا على الجزائر، وهو الذي أشهر سيفه ضد الإسلام ولوح بعلم التبشير المسيحي وكان متحمسا لخدمة مصالح فرنسا الاستعمارية في الجزائر عامة ومنطقة القبائل والصحراء خاصة ، حيث جاء في مذكرة للكاردينال لافيجري بعث فيها الى حكومة الجزائر " علينا أن نخلص هذا الشعب الجزائري ونحرر من قرآنه وعلينا أن نعنى على الأقل بالأطفال لننشئهم على مبادئ غير التي أنشأ عليها أجدادهم فإن واجب فرنسا هو تعليمهم الإنجيل أو طردهم بعيدا الى أقاصي الصحراء بعيدا عن العالم المتحضر. [2]

وفي سنة 1856 دشنت أول مدرسة في مدينة الاغواط، وكانت أول مدرسة في الجنوب، كانت في سنواتها الأولى مقتصرة على أبناء المعمرين واليهود، ثم فتحت أبوابها إلى أبناء المنطقة خاصة أبناء العائلات الكبيرة الموالية للاستعمار كما تم فتح مدارس فرنسية أخرى مثل سنة 1863م في كل من الاغواط المدينة وعين ماضي، وابتداء من 1859 أنشأت أخوات الإحسان مدرسة بالاغواط كانت في البداية تستقطب الأيتام[3]ومنذ 1868 نقل الآباء البيض مراكزهم التبشيرية إلى الاغواط وتم إنشاء مدرسة خاصة بالأخوات البيض[4].

ورغم الادعاءات الفرنسية وطرحها لفكرة المساواة بين الفرنسيين والجزائريين وإصدارها لقانون 1944 الذي ينص على إجبارية التعليم على كامل التراب الجزائري، إلا إن الواقع كان يعكس صورا منافية لما يشاع، فلم تشهد الاغواط بناء مدرسة جديدة أخرى منذ 1920 إلى غاية بداية الخمسينات من القرن العشرين أي سنة 1952[5].

---

[1] _ صحبي حسان ، **العقيدة التربوية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر 1830_1962**، منشورات أنوار المعرفة ، الجزائر ، 2014، ص 252. عمار عمورة، مرجع سابق، ج1، ص348.

[2] _ محمد حسنين ، **الاستعمار الفرنسي** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986، ط1 ، ص 233 .

[3] –محمود علالي، مرجع سابق ، ص77. بديار، **أعلام**..، مرجع سابق، ص120-121.

[4] – محمد الطاهر وعلي ، مرجع سابق ،ص115

[5] – محمود علالي، مرجع سابق ،ص77.

وعلى غرار المدارس التي أنشأتها فرنسا والتي هدفها من خلالها إلى طمس الثقافة العربية الإسلامية من خلال المناهج والبرامج التي سطرتها تجدر بنا الإشارة والتوسع في طبيعة البرامج والتنظيم التربوي والتعليمي في تلك المدارس .

1/ التنظيم التربوي والتعليمي في المدارس الفرنسية :كانت المواد المدرسة في هذه المدارس هي دراسة اللسانيات اللغوية للقران الكريم، دون الإشارة إلى الديانة الإسلامية بتاتا لان ذلك كان مخالفا لقرار 14 جويلية 6 أوت 1850، وكان ذلك مخصصا للأقسام التي تدرس في الفترة الصباحية، أما دراسة اللغة الفرنسية فكان خاصا بالأقسام المسائية، ومعظم المواد المدرسة أدبية كانت أو علمية وتقنية تعطى باللغة الفرنسية، وكان الشرح يتم باللهجة الدارجة التي تفهم في كثير من الأحيان بالكلمات الفرنسية وكان ذلك عن قصد فرصة مبينة غرضها محاربة اللغة العربية والعمل على القضاء عليها من أجل أصدر جملة من القرارات والمراسيم للقضاء عليها [1].

كما أسس المبشرون أنماط عديدة للتعليم التبشيري في الاغواط مثل التعليم المهني الموجه للذكور والإناث، فقد كان الأول بشمل جانب نظري يتضمن القراءة والخط ومبادئ الحساب والتاريخ والجغرافيا إفريقيا، اللغة العربية والغناء والموسيقى، أما الجانب التطبيقي فيشمل معارف في صناعة الصفف والنجارة والبستنة، ويغلب عليه الطابع الزراعي أما النمط الثاني فقد كان يعلم البنات فنون التدبير المنزلي وما يحتويه من أشغال الإبرة والترقيع والطبخ وأشغال الصوف والزرابي وغيرها فقد فتحت أول مدرسة لصناعة الزرابي ببسكرة ثم تلتها مدرسة الاغواط كان يوجد في هذه المدارس سنة 1925 حوالي ثلاثين حرفة وثمانين تلميذة، وصل عددهن سنة 1929 إلى حوالي 125 بنت تمارس مهنة النسيج، لكن تراجع هذا العدد إلى 85 بنتا سنة 1951، ويهدف هذا التعليم إلى تكوين زوجات قادرات على الاعتماد على أنفسهن إذا ما تنصرن، وكذلك التأثير على غيرهن من النساء[2].

كانت المدارس الفرنسية بالأغواط تابعة إداريا لوزارة الحربية إلى غاية صدور قرار 4 افريل 1907، حيث أصبحت الاغواط تابعة إلى قطاع الجنوب، وبذلك يمكن إن نستنتج إن هذه المدارس التي

[1] – صحبي حسان، **النظام التربوي الاستعماري في الجزائر 1830 –1962** ،ط1 ،رياض العلوم للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2005 ،ص106

[2] – محمود علالي، مرجع سابق ،ص78. أحمد الأمين، **الحياة الثقافية**، مرجع سابق، ص51.

كانت إداريا تحت إشراف وزير الحربية، لم تكن مدارس بالمعنى التربوي البيداغوجي، بل كانت مؤسسات ترويض تحقق سياسة الإدماج والتبشير المسيحي، وكلها تصب في خانة الاستعمار، حتى أنها لم تكن بعيدة في شكلها الهندسي ولاقى تنظيمها الإداري عن السجون إلا في التسمية وبعض الإجراءات المخففة كساعات الدخول والخروج، كما كانت بمثابة مصيدة للعناصر المناهضة للاستعمار، وهذا ما يفسر عزوف بعض العناصر من سكان المنطقة عن هذه المدارس، كما فضل أهاليهم عيشة البادية والترحال بعيدا عن أعين الاستعمار وكانوا يصطبحون معهم في الغالب معلم القران أو ما يعرف عندنا في المنطقة بالطالب أو المؤدب.

إن هذه المدارس كانت تخضع للتفتيش من قبل عسكريين، قائدا للقطاع العسكري أو قائد المكتب العربي، كما إن بعض معلميها كانوا عسكريين وأما التمويل المالي فكانت الحكومة الفرنسية عن طريق الحاكم العام تمول هذه المدارس ، أما عندما أصبحت المدارس ممولة من الضرائب المرسومة على الأهالي، وكانت هذه التمويلات تهتم أكثر برواتب المعلمين ومستحقاتهم أكثر مما تهتم ببناء المدارس أو أقسام جديدة، رغم الزيادة السكانية في الاغواط وقصورها المجاورة مع العلم إن المكاتب العربية التي كانت تعارض سياسة تعليم الأهالي انتهجت فيما بعد سياسة أكثر ليونة مع هذه المدارس وذلك بتقديم ألبسة ومساعدات متنوعة للتلاميذ الأكثر فقرا[1]. واختلفت حتى فرقة الآباء البيض عن الفرق التبشيرية الأخرى ذلك أن لافيجري أدرك أن اللباس الديني المسيحي قد يخلق هوة بينهم وبين السكان لذلك أشار أن يتخذوا عادات وطرق معيشة الأهالي من أجل التقرب منهم وحتى تعلم لغتهم.[2]

ولم تختلف السياسة التعليمية الفرنسية في الاغواط عن باقي المدن الجزائرية الأخرى سواء في عهد الجمهورية الرابعة أو الخامسة فقد أدخلت عدة تعديلات على البرامج التعليمية بفضل قرار 27 نوفمبر 1944، الذي يسمح للتلاميذ باكتساب قدرات كافية من المهارات اللغوية والحسابية، كما انه تم ربط التنظيم الإداري والبيداغوجي وساعات الدوام الدراسية والعطل الأسبوعية والموسمية والدراسية بنفس التنظيم المعمول به في فرنسا، كما أكد القرار على إعادة النظر في منهاج التاريخ

[1] – محمود علالي، مرجع سابق ، ص79.

[2] _ خديجة بقطاش، **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830م–1871م** ، مطبعة دحلب، الجزائر، سنة 1977م، ص 129.

والجغرافيا وأوصى بان تعطى بأسلوب خدر يخدم أهداف تربوية سطحية تشوه الانتماء الاجتماعي والثقافي والحضاري للمتعلم، كما تم إقرار برنامج المحادثة، الذي يعتبر أنجع وسيلة تتفريغ المتعلم من ثقافته القومية وإحلال محلها ثقافة غربية[1].

ومنذ مطلع الخمسينات شرعت سلطة الاستعمار في بناء عدة مدارس في كل من حي الشطيط إحداها للذكور والثانية للإناث، كما تمت توسعة مدرسة وسط الاغواط وغرض ذلك هو مواجهة الحركة الإصلاحية التي بدأت تستقطب الشباب ومواجهة التيار الوطني وضلت هذه السياسة متواصلة في عهد الجمهورية الخامسة.[2]

لم تكن فرنسا تهدف من خلال بناء مدرسة في مدينة الأغواط إلى منحهم ثقافة حقيقية تبصرهم بأحوال وطنهم ولغتهم و حضارتهم, بل كان الهدف هو إنشاء جيل من السكان المنطقة يخدم الإشهار الفرنسي وبذلك يسهل استيعابهم في المجتمع الأوروبي وكذلك توفير بعض الموظفين البسطاء للعمل في الإدارات المحلية وبعض المعلمين وغيرهم.

وبالرغم من محاولة فرنسا طمس معالم ثقافتنا بنشرها لأساليب تعليمية وتربوية تحمل ثقافتها وفرضها لعدة قوانين تخدم مصالحها التعليمية بمنع لتدريس في المساجد و الكتاتيب, وفرض على السكان المنطقة الالتحاق بالمدارس الفرنسية لدمجهم و غرس فيهم الثقافة المفرنسة إلا أن سكان المنطقة كان لهم موقف ولم يتريثوا في إرجاع الهوية الثقافية و المحافظة عليها و محاربة اللغة الفرنسية و برامجها.

موقف سكان الأغواط من السياسة الثقافية الفرنسية : قاوم الجزائريون السياسة الثقافية الفرنسية بإنشاء الكتاتيب والزوايا ووظفوا من يعلم أبنائهم رغم أن الطرق التقليدية لا تسهل الوصول الى الأهداف المنشودة من العملية التعليمية لكنها مع ذلك تتكفل بتحصين الأولاد من شرور لجهل والأمية ومن خطورة الغزو الثقافي الفرنسي، إذ كانوا يدركون مخاطرها لسلخهم عن هويتهم وقوميتهم ، وتعددت مظاهر هذه المقاومة ، حيث رفض الجزائريون التعليم الفرنسي بشقيه الحكومي والمسيحي ،

[1] – حسان صبحي، مرجع سابق ،ص108

[2] – محمود علالي، مرجع سابق ، ص80.

وهذا يعد مظهرا لمقاطعة الإدارة الفرنسية وأهدافها الثقافية ، كون المجتمع الجزائري في الجنوب مجتمعا محافظا من جهة وعدم ثقتهم في الإدارة الفرنسية من جهة أخرى[1].

يعود عم إرسال أبنائهم الى المدرس الفرنسية هو نظرة المجتمع للمتخرجين من القرويين والزيتونة أفضل من المتخرجين من المدارس الشرعية الفرنسية ، فيقول جمال قنان " ان ما يلاحظ في الواقع أن الطلبة خريجي الجامعات الإسلامية التقليدية عندما يعودون لوطنهم فانهم سرعان ما يكتسبون سمعة ومكانة عالية لدى الناس ، عكس خريجي المدراس الذين لا يحضون بأي اعتبار من طرفهم بل وأكثر من ذلك فهم يشكلون من ذلك فهم يشكلون مادة لتندر بجهلهم وقلة علمهم ، هذه النظرة سوف تتغير لو يتلقون تعليما عاليا ومتطورا في الدراسات الإسلامية مدعما بتعليم فرنسي كاف. [2]

ثالثا: سياسة التبشير: استهدفت الادارة الاستعمارية منطقة الأغواط بحملات التبشير بسبب موقعها الاستراتيجي كبوابة للصحراء، بحيث أصبحت الأغواط منطلقا لحملات التبشير في الجنوب الجزائري.

أ)بداية النشاط التبشيري في الصحراء بالنسبة للاستعمار الفرنسي فإن أعمال الحرب والاستعمار هي امتداد للحروب الصليبية ونشر الحضارة مرتبط بنشر الإنجيل.[3]

فبعد مرور ستة أسابيع على احتلال مدينة الأغواط قدم الأب آبي جاك سوشي

(Abbé jacque Suchet) لإقامة قداسه الأول في المدينة المحطمة للجنود المنتصرين، وفي خطابه هون من فظاعة الجريمة باعتبارها إرادة الرب، ووصف الجنود ب "غير المنحلين، وباعتبار أن قتالهم في الأغواط وغيرها هو ضوء الصيب الذي سيمحو الهلال، وأن الصليب الذي غرس في الصحراء لأول مرة سيجعلها تزهر من جديد وبهذا هم يتفوقون على ما فعل الرومان قبلهم.[4]

---

[1] -محفوظ قداش وجيلالي صاري، مرجع سابق، ص 277-278. سعيدوني ، **الجزائر** ....، مرجع سابق، ص 73.

[2] _ جمال قنان ، **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الإستعمار** ، منشورات وزارة المجاهدين ، الجزائر 2009، ص 113_114.

[3] _ أني راي غولدزيغار، مرجع سابق، ص 151. مُحَّد برشان، **الاستعمار والمجتمع القبلي** ، مرجع سابق، ص 167. عيساوي ، مرجع سابق، ص 121.

[4] -بنيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص154.

وقد تركزت الجهود الأولى للمبشرين في منطقة القبائل، منذ سبعينيات القرن 19م، لكن المحاولات التنصيرية التي تلتها بدأت في التوسع لتشمل مناطق أخرى كمنطقة الأوراس ما بين 1893م و1900م، إلى أن وصلت حركة التنصير، أواخر القرن التاسع عشر، إلى مناطق الصحراء مثل مدينتي ورقلة والأغواط، ومدينة غرداية، ومنطقة الأبيض سيدي الشيخ[1].

و كانت مسألة الوصول الى أعماق الصحراء ومد النفوذ المسيحي مسألة جوهرية عند لافيجري فاستهل الأمر ببعث ثلاث من الأخوات البيض الى الأغواط ، وبعدها أرسل اثنين من الآباء اليسوعيين وهما الأب روشي والأب أوليفيي الذي كان قد قام بتحريات وبحوث عن القبائل العربية والبربرية المجاورة وحتى البعيدة بالأغواط كما احتك بممثلي تلك القبائل في مواسم الأسواق الكبرى بالمنطقة. [2]

استمر رواد التنصير في محاولاتهم لاختراق الصحراء أواخر القرن التاسع عشر، إلى أن استطاع الأب "شارل دي فوكو" Charles De Foucauld تحقيق ذلك في مطلع القرن العشرين حيث قام برحلة تلو أخرى إلى الصحراء الجزائرية جال فيها من الغرب إلى الشرق، عبر سلسلة الواحات: الأغواط، غرداية، المنيعة، ورقلة، توقرت، وغيرها، استقر "دي فوكو" في البداية في واحة بني عباس، وفي سنة 1905م، انتقل إلى منطقة الهقار واستقر بتمنراست، بعد أن دخلتها القوات الفرنسية سنة 1903م، حيث اتخذ له ديرا على إحدى قمم الهقار، وفي سبيل اختراق المجتمع الجزائري التزم الآباء البيض بإطلاق لحاهم وارتداء الثوب الأبيض "القندورة" إضافة إلى البرنوس انسجاما مع الزي التقليدي الجزائري، حتى صاروا يشابهون مشايخ الزوايا والمرابطين، إلا أن الصليب المتدلي من طرف سبحات تحيط برقابهم كان يميزهم عن غيرهم[3]

[1]- حلوش عبد القادر ، **حركة التنصير في الجزائر عهد الاحتلال**، الرؤية، العدد الأول، جانفي و فبراير 1996م، ص 125.

[2] _ سعيدي مزيان ، **النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري 1867_1892** ، درا الشروق للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2009، ص338.

[3] – عمر داود، **الحركة التبشيرية في الجزائر نشاط الآباء والأخوات البيض في غرداية أنموذجا مقاربة سوسيو– تاريخية**، دار نزهة الألباب، الجزائر، 2016، ص 34-35.

ب)الحركة التبشرية في الأغواط : إن كل استعمار استيطاني يعد بالضرورة استعمارا ثقافيا يهدف إلى محاولة طمس الهوية الوطنية للبلد المستعمر وهذا ما يؤكده التخريب الهمجي الاستعماري لمدينة الأغواط حين اجتياحها تؤكد لنا هذه الحقيقة الأليمة، وذلك عندما قامت سلطة الاحتلال بالعبث في المساجد وتحطيمها، أو تحويل البعض إلى كنائس ومستودعات[1].

ولضمان السير المنظم والحسن للنشاط التبشيري بالجزائر بمختلف أنواعه قام لافيجري بتأسيس ثلاث أسقفيات بالجزائر إضافة إلى أسقفية الجزائر العاصمة وهي أسقفية وهران وأسقفية قسنطينة وأسقفية الأغواط، هذه الأخيرة ضمت مركز الآباء البيض بغرداية ومناطق الجنوب، ولم يتم فتح أسقفية الأغواط إلا بعد أن قام الآباء بأعمال استطلاعية للتعرف على المنطقة والاطلاع عل خصائص سكانها، ففي الخمسينات من القرن التاسع عشر وبعد احتلال الأغواط كثف الآباء البيض من إرسال بعثاتهم الاستكشافية إليها بالتعاون مع السلطات الاستعمارية، إذ استهل الكاردينال لافيجري نشاطه التبشيري في الصحراء بإرسال ثلاثة من الأخوات البيض نحو الأغواط في ديسمبر 1870، إلا أنهم سرعان ما رجعن بسبب عدم قدرتهن على التأقلم مع قساوة الطبيعة، ثم أرسلت بعثة أخرى من الاباء البيض وهما الأبوان روشي (Rocher) وأوليفيي (Olivier) اللذان كانا يتقنان اللغة العربية، وقد حددت أهداف الحملة من خلال تمكين المستوطنين والعائلات الأوربية من ممارسة شعائرهم الدينية من جهة، ومن جهة أخرى محاولة الاحتكاك بالقبائل العربية بالجنوب، وتحضير انتصاب مراكز تبشيرية في الواحات والصحراء الكبرى،[2] وفي 1872/10/01 فتح الآباء بوليي paulmier وبوشارbouchard ومينوري menoret مقرا بمدينة الأغواط وعينوا للقيام بتسييره باعتباره المرحلة الأولى لتمهيد الطريق نحو الجنوب الجزائري وبعث لافيجري أعداد إضافية من الآباء إلى الأغواط فدشنوا أسقفيتها ليتم تحضير أجواء العمل في المناطق الصحراوية الأخرى، وأوصاهم بتركيز جهودهم على مجالي التعليم والتطبيب.[3]

[1] -Jean Melia , op.cit, p113.

[2] – سعيدي مزيان، مرجع سابق، ص318. الشيخ لكحل، مرجع سابق، 208-209.

[3] – سعيدي مزيان، مرجع سابق، ص322.عمر داود، مرجع سابق، ص58. الشيخ لكحل، مرجع سابق، ص211.

بعد زيارة قام بها لافيجري للبابا بيوس التاسع أصدر تعليمة أصدرتها نشرية الإرساليات أوضحت أنه تم تعيين الأب شارموتان (Charmetant) رئيسا لمركز الأغواط والذي يشكل مقرا رئيسيا لبداية إرسالية تبشرية واسعة الى بلاد افريقيا. [1]

لم تستثن فرنسا أي جانب من جوانب الحياة في قمعها وهمجيتها على ولاية الأغواط ، وركزت على الجانب التعليمي الذي استثمرت فيه بعدة طرق من جملتها أن " المبشرين أسسوا أنماط عديدة للتعليم التبشيري في الأغواط إلى جانب شروع هذه السلطات في فترة مبكرة في إنشاء أول مدرسة سنة 1864م لتسريب الثقافة واللغة الاستعمارية، وافتتاح أخرى للبنات سنة 1906م تحت إشراف الأخوات البيض[2].

لقد تميز العمل الجماعي الذي يقوم به الآباء البيض في الأغواط بحركية كبيرة، إذ شهدت المنطقة تعليما مكثفا وموجها للجنسين، بعدما استطاع الاباء البيض تأسيس المدارس بها، ومن نافلة القول إن هذه المدارس تعد النواة الأولى لنشر السموم التثقيفية التغريبية، وسخرت من أجل تمريرها بعض النشاطات التي تبدو إنسانية الهدف، مثل فتح مستوصف مجاني للأهالي والذين سمح لهم كذلك سنة 1906م باقتناء حاجياتهم الصيدلانية من المستشفى العسكري،[3] وغيرها من الإجراءات المماثلة لهذا المجال مثل التعليم المهني الموجه للذكور والموجه للإناث، فقد كان الأول يشمل جانبا نظريا يتضمن القراءة والخط ومبادئ الحساب والتاريخ و جغرافيا إفريقيا واللغة العربية والغناء والموسيقى؛ أما الجانب التطبيقي فيشمل معارف في صناعة القفف والنجارة والبستنة ويغلب عليه الطابع الزراعي وكل ما يحتاج إليه المزارع من معارف في ميدان النجارة والحدادة والإسكافية والبناء والزراعة وتربية الحيوانات؛ أما النمط الثاني فقد كان يعلم البنات فنون التدبير المنزلي وما يحويه من أشغال ويهدف هذا التعليم

[1] _ سعيدي مزيان ، مرجع سابق ، ص339. عبد القادر قوبع، **الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920 و 1954**، دار طليطلة، الجزائر، 2013، ص136.

[2]- George HIRTZ , op.cit, P42

[3] - ibid, p41. عمر داود، مرجع سابق، ص64.

إلى تكوين زوجات قادرات على الاعتماد على أنفسهن إذا ما تنصرن، وكذلك التأثير على غيرهن من النساء.[1]

وهذا ما يفسر الجوانب التي كانت تشتغل عليها فرنسا لطمس هوية الشعب حيث كانت تريد تكوينهم للحياة العملية دون العلمية، وذلك لمحو مقومات الهوية وحتى التعليم فإنها جعلته فرنسيا على جميع الأصعدة وحصرته في فئات معينة دون غيرها تحت اشراف جمعية الآباء البيض في المنطقة مثل باقي المدن الصحراوية. [2]

وما كان يميز مدرسة الآباء البيض عن المدرسة الحكومية الفرنسية هو طبيعة كل من عمليتي التسيير والتدريس حيث كان رجال الدين المسيحيون يتولون ذلك كما أنها لم تسع لمحو اسم الله من أذهان التلاميذ على غرار المدارس الحكومية الفرنسية التي كانت تصرح علنا باتجاهها اللائكي في تعليمها، بينما كان الآباء البيض يقدمون دروسا في التربية الروحية المسيحية وهو ما كان يسمى ب: les leçons de morale هذه المادة التي تقوم أساسا على تعليم القيم كإتقان العمل والصبر والتسامح والاخلاص بالاعتماد على تعاليم الانجيل في تدريسها، وعليه فلم يكن الهدف من العملية التعليمية تربويا وتكوينيا فحسب، بل كان غرضها التشكيك في المعتقد الديني للمتعلمين والشروع في تمرير القيم الدينية المسيحية في أذهانهم تدريجيا، فقد كان الآباء البيض يدركون أن التعجيل في التبشير سيزيد من تمسك السكان بمعتقدهم الديني الأصلي ويوصون بالتريث لأن عملية التحويل الديني تقتضي الصبر والحذر وتحضير البراهين المتعددة اللازمة لذلك وترك الفرد المستهدف حرا مدة من الزمن حتى لا يندم بعد ذلك ويتراجع.[3]

إن المدارس التبشيرية في الجزائر لم تكن تهدف إلى التعليم والتثقيف بقدر ما كانت تهدف إلى التنصير والادماج وإخراج أطفال الجزائريين من دينهم الاسلامي ولغتهم العربية، وهي بذلك تلتقي مع سلطات

[1] – محمد الطاهر وعلي، مرجع سابق، ص126-127. عمر داود مرجع سابق، 64-65. طالبي، مرجع سابق، ص39-40. أحمد الأمين، الحياة الثقافية، مرجع سابق، ص51.

[2] ــ مدني لبتر، مرجع سابق، ص86. إبراهيم العيد بشي ، **دور سكان الجنوب الشرقي في مقاومة الإستعمار الفرنسي** ،مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ع 11، جوان 2013، ص 32.

[3] – عمر داود، مرجع سابق، ص143. أنظر الملحق رقم: 13.

الاحتلال التي كان من أهدافها في الجزائر تجهيل الشعب الجزائري ليس فقط عن طريق تحديد عدد المدارس الموجه للجزائريين، بل كذلك وضع برامج هي أقرب إلى برامج محو الأمية، منه إلى برامج ذات مستوى عال تقود التلاميذ إلى تحضير شهادات مثل تلك التي يتقدم لنيلها أبناء المعمرين الأوروبيين وكانت الخطة التربوية تقوم على أساس عنصري استعماري بحت.[1]

كما تم إنشاء كنيسة بمدينة الأغواط في وسط المدينة لتنفيذ الأغراض التنصيرية والتبشيرية بها، على غرار ما انطلق العمل به في منطقة القبائل وبعض المدن الصحراوية، وقد بدأ العمل في إنجاز هذه الكنيسة منذ أواخر القرن 19م ليتم في مطلع هذا القرن 1900م، وظلت هذه الكنيسة على امتداد التاريخ الاستعماري، وما بعد استرداد الاستقلال، إلى أن تم تحويلها في أواخر 1970م وبدايات 1980م إلى مكتبة ثم إلى متحف بلدي.[2]

وقد استغل الآباء البيض المجاعة التي حلت بالأغواط سنة 1919، حيث جمعت السلطات الفرنسية عددا من اليتامي بها وكلفت الأب نويي Nouet الذي كان متواجدا بغرداية برعايتهم والتكفل بهم، ونتيجة لتدهور أوضاعهم الصحية في الأغواط اقترح نقلهم إل مدينة المنيعة بعد استشارة الأب فوكا Foca المقيم ببسكرة، فقبلت السلطات الفرنسية ذلك وبنى لهم دار للأيتام عام 1921، ودعا الأخوات للاستقرار بالمنطقة لرعايتهم وتنصيرهم وتكوينهم تكوينا دينيا خالصا.[3]

إن المتتبع لمسار الحركية المجالية للآباء البيض يلاحظ محاولاتهم المستميتة لاقتحام كل الفضاءات الجزائرية وتتبع ظل المحتل حيثما تحرك وتوغل في المجال الجزائري مع تركيز النشاط والاهتمام بمناطق دون أخرى، إما لأهميتها العرقية أو الاستراتيجية أو التاريخية، ولم يبق الآباء البيض منعزلين عن المجتمع بل حاولوا تحطيم الحواجز الثقافية والرمزية للتأثير في المجتمع الجزائري بدعوى نشر قيم التحضر والتقدم بكل ما تحمله الكلمة من معيارية وارتقائية مستندة إلى تبريرات إيديولوجية ودينية عنصرية، ولكن

[1] _ صحي حسان ، **النظام التربوي الإستعماري ...** ، مرجع سابق ، ص 49. مدني لبتر، مرجع سابق، ص86.

[2] – خديجة بقطاش، مرجع سابق، ص155. مدني لبتر، مرجع سابق، ص86.

[3] – عمر داود، مرجع سابق، ص145.

تصدي المجتمع الأغواطي بكل أفراده وفئاته منع تأثيرات الحركة التبشيرية ولم يكتب في تاريخ المدينة ارتداد أحد من بني الأغواط عن دينه، رغم الفقر الشديد والتسلط الاستعماري.[1]

وتحتفظ الذاكرة الشعبية بإحدى قصص المقاومة الثقافية في تلك الفترة، حيث حدث تأثر بعض الأشخاص بالدعاية التبشيرية الفرنسية وبدأوا في ترديد بعض مقولات القساوسة بجهل أو باقتناع، فتصدى لهم بعض الشعراء الشعبيين وشنوا عليهم حملة قوية، ولعل من أقوى القصائد قصيدة مُحَمَّد بن لعجال الحرزلي (ت 1968م) الذي ثارت حميته بعد أن سمع بعض مقولات المتأثرين بالدعاية الفرنسية واعتبرها شنيعة، وهذا مقطع من القصيدة:

اعْرَفْ ذَا الْكَلْمَه عْلَى من منْصوبة ... وُ اصّـرَّشْ لَيّـا انْ تَعْرَفْهَـا كِيفَـاهْ
بَعْدَ انْ عَادْ جْوَيْفْ يَقْرا فِي الْخْطْبَه ... ويقُلّـكْ نَا خَـيْر مـنْ رَسُـولْ الله
مَـا بْقَـاشْ النّيـفْ فِينَـا يَا طُلْبَـه ... عَـادْ الوَاحـدْ مَـا يْفُكّشْ نَاسْ قْـدَاهْ
منَـاقصْ مـنْ ذَا الْحِيَـاتْ الْمْغْلُوبَـه ... لاَ طَاقَـه لاَ جُهْـدْ لاَ صُـبْنَالُو بَاهْ
الله لاَ عَـلاّلْ يُخْـرُجْ فِي صُـرْبَه ... بِنحْ عْلِينَا ذَا الزّعَافْ اللّي شُفْنَاهْ
يَبْـدَا بِلّـي دَارْت جْوَيْـف تْتَنّـى ... وُاللـي بَاعـتْ دِينْهـا صَـلاّتْ مْعَـاهْ
تسْـتَهْزَا بالـدّينْ تِحْسـبْهَا لعْبَـه ... مَـا خَافْتْشِـي بالْعبَـرْ مـنْ مَكْـرَ الله
فِي مَـذْهَبْنَا مَـا بْقَـاتْ لْهَـا نسْـبَه ... وَيْنَا مَذْهَب عَادْ تُدْخُلْ ضَرْك مْعَاهْ
اللّـي كَفْـرتْ لاَ يُردّلْهَـا غُرْبَـه ... تَيْـأَسْ مـنْ شَـفَاعْتُو رَسُـولْ الله
جرْبَـت مَـا تَلْقَـى طْلاَيـه للجّرْبَـه ... وُالْقَطْرَانْ اذَا جْربْ لـكْ وَاشْ دْوَاهْ
كَـذلِكْ اللّـي خْـرَجْ بَاعْ النّسْـبَه ... وُشَـهّدْ بالرُّومِـي وُفَـرّطْ فِي بَابَاهْ
إذَا نَـدَّمْ لاَ يْصِـيبَلْهَا سَـبَّه ... هَـذَا الـدّعْوَه شُـورْهَا رَايُـو صَـفّاهْ[2]

وفي الأخير يمكن القول أنه رغم قساوة وشمولية السياسات الاستعمارية لكافة مناحي الحياة في منطقة الأغواط، إلا أن أثر هذه السياسات لم يتعد الإضرار بساكنة الأغواط وبنمط حياتهم، دون أن يقوم بإخضاعهم تماما للإرادة الاستعمارية، حيث ظلت المقاومة السلمية نشطة رغم خفوت المقاومة المسلحة، ولعل الثقافة الشعبية أحد أهم مظاهر هذه المقاومة.

[1]- المرجع نفسه، ص121 . سعيدي بن جدو، **مساهمة الطرق الصوفية في إثراء ثقافة المنطقة**، أعمال الملتقى الأول الاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة لأغواط ، 14-16افريل 1998، ص145.

[2]- أحمد بن الصغير، **الحرازلية** ،كتاب قيد الطبع، ص331.

الفصل الثالث:

الثقافة الشعبية ومؤسسات التعليم التقليدية

المبحث الأول: القصص والحكايات والأساطير

المبحث الثاني: الشعر (الشعبي) الملحون

المبحث الثالث: الطب الشعبي

المبحث الرابع: الحساب الفلاحي

المبحث الخامس: وسائل الترفيه التقليدية: الألعاب الشعبية

المبحث السادس: مؤسسات التعليم التقليدية

تعتبر منطقة الأغواط حيزا غنيا بالتراث الشعبي اللامادي، ويعود هذا التنوع إلى عوامل متعددة من بينها الموقع الجغرافي وتباين الروافد البشرية واختلاف مصادر هذا التراث، وعند الحديث عن التراث اللامادي لأي منطقة لا يمكننا حصر أهمية الموروث الشفهي في سرد القصص والحكايات من أجل الترويح والتسلية، بل تتجلي أهميته الحقيقية في عكس جوانب الحياة التي كانت تعيشها هذه المجتمعات فهي تعبير صادق عما كان سائدا لدى هذه المجتمعات من معتقدات وأفكار في جميع جوانب الحياة، سنحاول التركيز على إبراز ما لهذا الجانب من أهمية من خلال الرجوع لدراسة نماذج من التراث اللامادي بمنطقة الأغواط والتي لا تتوقف أبعادها في الجوانب الاجتماعية والثقافية فقط بل تتعداها إلى مختلف مجالات الحياة، انطلاقا من المقولة الشائعة: "الأسطورة نصف التاريخ".

المبحث الأول: القصص والحكايات والأساطير: تعتبر القصص والحكايات والأساطير جزء من الأدب الشعبي بمفهومه العام، وقبل الغوص في ثنايا هذا الموضوع، وإبراز مصادره ومدى انتشاره وحدود وظائفه وجب إعطاء تعريفات عامة لمجموعة من المصطلحات التي سيتكرر ذكرها.

أولا: مفاهيم ومصطلحات: لقد ساهمت الظروف الطبيعية لدى مجتمعاتنا وتحديدا المناطق الصحراوية في تفتق الخيال وتثبيت المعتقدات التي كانت جزء من الثقافة الشعبية التي اشتهرت بها المنطقة، والتي تتمثل في هيمنة الثقافة الشفاهية بمقابل الثقافة الكتابية، ولأنها كانت تعبر عن حالة اجتماعية واقتصادية مرت بها هذه المجتمعات فهي تعبير من جهة أخرى عن علاقة ترابطية بين البداوة والتحضر «فالانتقال من النزعة الشفاهية إلى النزعة الكتابية تبقى ملازمة للتحول من بنية القبيلة إلى بنية الدول ومن مجتمع الصحراء إلى مجتمع المدينة»[1]، فتناقل القصص ونسجها من وحي الخيال لدى البدو الرحل ورسم شخصيات أسطورية خرافية ساهمت الصحراء في بلورة سماتها وتناقلها من جيل إلى جيل آخر، وعملية نقل الموروث وإيصاله إلى الأجيال اللاحقة يكتسي أهمية بالغة سواء داخل الأسرة أو

[1]- جابر عصفور، **الشفاهية والكتابية**، مجلة العربي، الكويت، ع432 ، نوفمبر 1994 ، ص 77 . عبد الحميد بورايو، **القصص الشعبي في منطقة بسكرة**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص14-15.

القبيلة وصولا للمدينة التي لم تخل هي كذلك من هذه المظاهر، فقد كانت تعقد جلسات السمر وحلق المداحين للاستماع للجديد من هذه الحكايات .[1]

نقل جون ميليا صورة حية عما شهده في مدينة الأغواط خلال فترة زيارته لها في الثلاثينات من هذا القرن قائلا "إن الذكريات هي المصدر الوحيد للمعلومات فهي تنتقل من جيل إلى جيل آخر ومع مرور الزمن يقوى التحريف بدون شك فذاكرة الناس تميل إلى تضخيم الأمور مأساويا أو وديا وذلك لأجل إعطاء القصص القديمة نوعا من القوة والأهمية لمقاومة تحديات السنيين، ولكن جلب الأحداث المتداولة منذ قرون من فم إلى فم يوجد نوع من الحقيقة أنها الشيء الوحيد المهم في جميع القصص المذهلة التي شدت العقل البشري منذ أمد بعيده"[2].

إن جزءا معتبر من ثقافتنا يتجسد في الموروث الشعبي الذي تشكل عبر السنين والأحداث عن طريق خلق رموز وتأويلات له ، أدت وظائفها حسب كل فترة من الزمن إضافة إلى أنها استجابة سيكولوجية لرغبات الإنسان "فإنها تعكس من ناحية أخرى القيم المعنوية للطبقة السائدة والمتمثلة أساسا في الفلاحين والضعفاء الذين كانوا ينزعون إلى النسيان ومحاربة التجديد وتقديس الماضي على حساب الحاضر والمستقبل"[3]، كما كانت تزيد في لحمة الترابط بين أفراد المجتمع وتساهم في نشر الفضيلة والخير وقد زادت أهمية هذا الموروث مع الهيمنة الاستعمارية أين كان يلجأ إليها باعتبارها دعاية ضمنية لمقاومة الوافد والتصدي لهيمنة ثقافته، هذه الثقافة التي حاول الاستعمار غرسها وترويجها بهدف طمس الهوية المحلية.[4]

[1] – علي كبريت، مرجع سابق، ج1، ص48 وما بعدها. روزالين ليلى قريش، **القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص8-9. أمينة فزاري، **مناهج دراسات الأدب الشعبي**، دار الكتاب الحديث، مصر، 2012، ص73-74.

[2] – (J) MELIA, op.cit. p210.

[3] – عبد الحميد بورايو، **القصص الشعبي** ..، مرجع سابق، ص22.

[4] – علي كبريت، مرجع سابق، ج1، ص53.

وقد حظي الأدب الشعبي الجزائري في العهد الاستعماري في البداية باهتمام ضئيل إذا ما قورن بجوانب الحياة الشعبية الاخرى، واعتمده الباحثون كمادة تصلح للكشف عن سلوك الانسان الجزائري وردود افعاله ، وأهملوا إهمالا تاما الطبيعة الفنية لهذا الأدب وكان من الطبيعي في هذه الحالة أن يجد هؤلاء الباحثون غرضهم في الجانب المتعلق بالعقيدة منه ، وبصفة خاصة قصص الأولياء والصالحين التي أفردوا لها كتبا وبحوثا كبيرة. [1]

وإذا كانت الإيديولوجية الاستعمارية تخفي وراءها دوافع ميثولوجية خطيرة، فإنها شكلت فيما بعد موضوعا لهذا العلم، فلفهم هذه المجتمعات وإحكام السيطرة على معتقداتها وثقافتها، كان لابد من المرور بفهمها ودراستها تحت ما يسمى بالإناسة العسكرية في بادئ الأمر، فها هو أحد العسكريين يقول "إن التحكم في الشعب الجزائري، يجب أولا وقبل كل شيء التحكم في تراثه الرمزي الذي لن يتحقق إلا بدراسة مجسدة لأساطيره"[2].

وبالرغم من أن الباحثين الجامعين الذين فيما بعد نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين واستمروا في نشر أبحاثهم عن العرب إلى ما بعد عهد الاستقلال بقليل ، كانوا يتميزون عن سابقهم بوعي علمي فانهم ظلوا يعدون مادة التراث الشعبي ثقافة متخلفة لقوم متخلفين يقول أحدهم " هم مثل جميع البشر ذوي الذهنية البسيطة يعشقون الحكايات الخرافية والقصص الخيالية والأساطير الخارقة للعادة وهم سذج لا أكثر ولا أقل وهم اليوم مثلما ما كانوا قديما "[3]

لقد شكلت الميثولوجية دافعا للذات المستعمرة وموضوعا للمجتمعات المستعمرة في نفس الوقت ولئن كان هذا النوع من الإناسة قد اضمحل وزال بزوال الاستعمار وتمحورت الدراسات الآن حول «الذات والمجتمع الأم»، فمازال للأساطير وجود، فكل شيء يبدو أنه محكوم بأساطير ورموز تخفي

[1]- عبد الحميد بورايو ، مرجع سابق ، ص 29-30.

[2]- عبد الرحمن بوزيدة وأخرون، **الجزائري وأسطورته، المخيال الاجتماعي وآليات التماهي**، م.و.ب.ا.ت، الجزائر، 2003، ص8.

[3]-عبد الحميد بوراوي ، **القصص الشعبي** ، مرجع سابق، ص 30-31.

وراءها حقيقة معينة، وإذا كان المستعمر قد وجد في الموروث الشعبي مادة حقيقية لدراسة مجتمعاتنا فإنه لا يعفينا من إعادة النظر في دراسة أساطير موروثنا الشفهي الذي تتناقله الأجيال من منظور موضوعي يتجرد من الذاتية ومن كل ايديولوجية سابقة له، وهذا بربطه بالمعطيات الثقافية والاجتماعية التي ساهمت في تشكل هذا الموروث بخلاف النظرة الاستعمارية التي لم تتخلص من خلفياتها الإيديولوجية، وهذه النظرة هي المبرر إلى العودة لدراسة موروثنا وأساطيرنا[1] .

ثانيا: مصادر وطرق تلقي التراث الشعبي: للتراث الشعبي مصادر وطرق عديدة للتلقي من بينها:

1/الأسرة: إن التراث المتوارث الذي يحمله المسنون وكبار الابناء : ينتقل الى سائر أفراد العائلة ، وهم يتقبلونه لا ارادیا لأنه يلبي حاجياتهم النفسية ، وينمي قدراتهم العقلية واللغوية ، والاجتماعية الاخرى ، فتؤهله للتفاعل مع هذه المؤسسات ، وتنمي فيه الجوانب التي تساعده على اقامة العلاقات الاجتماعية مع غيره . وتتجاوز العشيرة عضوية العائلة ، ويقوم الانتماء اليها في الدرجة الأولى على القرابة الابوية ،وقد تكون القرابة مزدوجة (أبوية وأموية) بعامل شيوع زواج الأقرباء الذي يجد دعما له في الثقافة الشعبية عند الأهالي ، فيقولون مثلا في امثالهم : "بنت العم ولو بارت ..والمدينة ولو جارت"، وفي المرتبة الثانية يكتسب الفرد عضويته من خلال السكنى المشتركة في نطاق الحي الواحد مع اعضاء العشيرة ، ويعرف الاشخاص في المراكز السكانية التي زارها الباحث بعشائرهم حيث يشار الى الشخص عن طريق نسبه اسمه لاسم عرشه ويضاف التأكيد الى انتمائه للعرش الفلاني. [2]

2/الأسواق الشعبية/ المقاهي والدكاكين: يلعب السوق باعتباره مؤسسة اجتماعية دورا بارزا في حياة الجماعة الشعبية فهو يمثل ملتقى لسكان القرية والمراكز السكانية القريبة والبوادي المجاورة والتجار والحرفيين ، من منطقة ومناطق اخرى لقضاء مصالحهم الاقتصادية كشراء وبيع المحاصيل الزراعية والمواد الغذائية والملابس والأثاث وأدوات العمل الزراعية والادوات المنزلية و الماشية واصلاح الأدوات الزراعية الخ في أيام محددة سلفا ويتميز تجمع السوق عن غيره من التجمعات بالعدد الكبير من الناس

[1]- عبد الحميد بورايو ، مرجع سابق، ص30.

[2]- المرجع نفسه، ص 16 -17. روزالين قريش، مرجع سابق، ص112-113.

الذين يشاركون فيه كما أنه لا يقتصر على سكان القرية إنما يضم أيضا سكان المراكز السكانية الأخرى والبوادي والحرفين والممتهنين لطب الشعبي ورواية القصص الشعبي والألعاب السحرية من مختلف المناطق الجزائرية وكذلك من تونس والمغرب الأقصى. [1]

فالسوق يعني نشاط تجاريا كما يعني (حالة نفسية معينة) وهو يمثل ظاهرة ثقافية بمقدار ما يمثل من ظاهرة اقتصادية إذ يأتي الناس استجابة لحاجتهم المادية كما يقصدونه لتلبية حاجياتهم، ويشيع المثل القائل: "أدخل لسوق تلقى ما تذوق " ويعني به أدخل لسوق فانك واجد لما يناسب ذوقك ، حيث توجد في السوق الى جانب الانشطة ذات الطابع التجاري ، حلقات الرواية الشعبية التي ينظمها رواة القصة الشعبية والمحترفون.[2]

ويستعين باعة الأدوية الشعبية بمحفوظاتهم من التراث الشعبي في جلب انتباه رواد السوق والتأثير عليهم في اعلانهم سلعتهم مستعينين في ذلك برسومات شعبية تسجل حوادث القصص والملاحم والمغازي وكرامات الاولياء كما يستخدمها الحواة وأصحاب الألعاب السحرية في الفترات الزمنية التي تفصل الالعاب التي يقدمونها لجمهورهم في نفس العرض ، ويعرض الباعة في السوق كتب التراث الشعبي المطبوعة فيا الجزائر وتونس ومصر ولبنان مثل الف ليلة وليلة وعنترة العبسي وفتوح اليمن وفتوح الشام وافتوح افريقيا وتغريبة بني هلال ، ونجد عند نفس الباعة الرسومات التي تمثل صورا ومشاهد مأخوذة من القصص المذكورة ويطلق على التجمعات التي تحضر حلقات الرواية الشعبية والألعاب السحرية وعرض الأدوية سوق (المداحين) نسبة لرواة المحترفين، [3]وتتخذ المقاهي والدكاكين كأماكن للالتقاء السكان من مختلف الأحياء ويجلسون فيها ويتحدثون في شتى الامور ويتداولون في

[1]- عبد الحميد بورايو، مرجع سابق، ص18.

[2]- روبرت ردفيلد، **المجتمع القروي وثقافته** ، تر: فاروق مُحَمَّد العادلي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص197. عبد الحميد بورايو ، مرجع سابق، ص18. روزالين قريش، مرجع سابق، ص113.

[3]- عبد الحميد بورايو، مرجع سابق ، ص 18 -19

أحاديثهم القصص فمن بين روادها رواة المأثورات الشعبية كافة ، وكذلك كل من يمارس حرفة أو هواية وسط التجمعات التي تنتظر داخل هذه المقاهي والدكاكين.[1]

ثالثا: مواضيع القصص الشعبي في الأغواط:

1/القصص الدينية: تمثل المعتقدات الشعبية جانبا مهما من جوانب الثقافة التي يتلقاها الفرد ، ويمارسها داخل مجتمعه ومن وحيها يتشكل سلوكه وفلسفته للحياة ، وتصوره للعالم الخارجي وعالم ما ورآء الطبيعة واذا كان من الصعب الاحاطة بجميع المعتقدات أي مجتمع نظرا لكونها خبيئة في صدور الناس وهي لا تلقن من الاخرين بل تختمر في صدور اصحابها وتتشكل بصور –مبالغ فيها أو مخففة– يلعب فيها الخيال الفردي دورا يعطيها طابعا خاصا ، فإنه لا مناص لدارس أشكال التعبير الشعبي من التعرض لما هو مشترك بين جميع الناس.[2]

تنبع أغلب المعتقدات الدينية لمجتمع الصحراء بالعموم ومجتمع الأغواط بالخصوص من الدين الاسلامي ومسلماته العقائدية كالإيمان بالله واليوم الاخر والجنة والنار والملائكة والشيطان والقضاء والقدر واللوح المحفوظ واصول البشرية والكون وقصص الانبياء الخ، غير أن هذه المعتقدات بفعل التراث العقائدي الموروث عن ديانات ما قبل الاسلام وما خلفته المذاهب الاسلامية المختلفة التي شهدتها المنطقة ، وخاصة منها المذهب الشيعي والمذاهب الصوفية من اثار في هذه العقلية اكتسبت سمات جديدة جعلت منها إشكالات جديدة مما جعلها تتعرض في النصف الأول من هذا القرن لانتقاد الحركة الدينية الاصلاحية التي حاول رجالها اقتلاع بعض المعتقدات من أذهان الناس أو تجريدها من كثير من مظاهرها ، معتمدين على نصوص القرآن والسنة في محاربة ما أسموه (البدع والخرافات والخزعبلات) إذ أنهم يعدونها خروجا عن العقيدة الاسلامية.[3]

---

[1]– عبد الحميد بورايو، مرجع سابق ، ص 21.

[2]– محمد الجوهري ، **علم الفلكلور** ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر، 1975، ص 58. روزالين قريش، مرجع سابق، ص99.

[3]– روزالين قريش، مرجع سابق، ص130–132.

2/قصص الأولياء : يأتي في مقدمة هذه المعتقدات الاعتقاد في الولاية ، فالأولياء رجال مقربون من الله لهم إمكانيات الاتصال به اكثر من غيرهم ولهم مقدرة عجيبة على الأفعال الخارقة وتظل لهم نفس المقدرات بعد وفاتهم ، ويظل الضريح رمزا لهذه القدرة على الفعل وهم في الاصل خيرون يفعلون ما فيه صلاح الناس غير انهم قادرون على الإيذاء ، إذا ما أغضبهم شخص ما، وهم قادرون على إغاثة الضعيف وإضعاف القوي وشفاء المريض وإصابة السليم بالمرض ، وتقريب البعيد وإبعاد القريب، وقطع المسافات البعيدة في لحظات زمنية قصيرة وهم ايضا قادرون على منح الشخص الذين يرضون عنه ويقوم بخدمتهم وتتوفر فيه شروط معينة بعض القدرات ، وقادرون أيضا على سلبها منه إذا ما أخل بشرط من الشروط أو أثار غضبهم ، ويفسر الناس مثل هذه المواهب الخارقة بانها منحة من الله يعطيها لمن يخدمه.[1]

بسبب كثرة الأولياء في منطقة الأغواط فالقصص التي تتكلم عن الأولياء تزداد باطراد، ومن خلال معرفتنا بالمنطقة ومدى تأثرها بالطرق الصوفية يؤكد اعتقاد أهلها في الأولياء وأنه راسخ منذ القدم وتمسكهم بهذا المعتقد قوي جد كما نعزي ذلك الى التمسك بالدين الاسلامي وتعاليمه .

3/المغازي : لاشك أن ما يسمى بالعنصر الواقعي في المغازي قد أهلها لأن تلعب دورا بارزا في بث روح المقاومة والتحريض في المجتمع الجزائري : فقدمت نماذج بطولية لعبت دورا بارزا فب بث روح المقاومة والتحريض على الثورة ، ونستطيع أن نقدر ما مثلته الصورة النموذجية لأبطال قصص المغازي المروية ، الذين يقاتلون تحت راية الجهاد ، إذ ما علمنا أن جميع حركات المقاومة والثورات الشعبية التي واجهت الاحتلال الفرنسي في الجزائر وهو ما دفع المستشرق الفرنسي " ديسبرميه " إلى أن يتحامل على المغازي فيقول " إنه يجب أن نبحث عن الفن من أجل الفن في الغزوات لكن الفن من أجل التنفيس عن شعور عنصري ثم الدعاية لفكرة وطنية وليدة وذهب في نفس المقال – إلى القول بأن

[1]– أمينة فزاري، مرجع سابق، ص117. روزالين، مرجع سابق، ص165. بورايو، مرجع سابق، ص 22، ص107 وما بعدها.

هذه القصص نظمت لتنشد من أجل تجنيد الثوار في صفوف الأمير عبد القادر ، وقد عملت على بث الأمال والثقة في المستقبل يتم فيه دحر العدو. [1]

4/قصص الجن والغيلان: ويمثل عالم الجن معتقدات اهالي منطقة بسكرة عالما موازيا لعالم البشر فهي كائنات خفية لا تراها عين الانسان وهي قادرة على التشكل في اي صورة بشرية او حيوانية وهي تتزاوج وتتناسل وتكون أسرا ترتبط فيما بينها بعلاقات قرابة شبيهة بعلاقات القربى العشائرية القائمة في مجتمع الاهالي ، ولها ملوك ورؤساء وخدم وفيها المسلمون والكفرة وهي قادرة على القيام بعمل يكون في صالح الانسان كما أنها قادرة على إيذائه ، وهي عادة ما تؤدي العمل الأول إذا ما وجدت نفسها تحت نفوذ الانسان المستفيد من العمل او الوفاء بوعد قطعته على نفسها عندما كان مصيرها يتوقف على إرادته ، أو عرفانا بجميل سبق لها معه ،ولكنها في العادة شريرة يجب أن يتقى الانسان شرها بكسب ودها أو محاربتها عن طريق الناس الذين يتعاملون معها مباشرة وتفسر كثيرا من الأمراض وخاصة العصبية منها على أنها مفعول الجن التي دخلت جسد المريض ، وأقامت فيه ولا تبرحه إلا عن طريق اقامة طقوس (مثل تقديم أضاحي ذات موصفات خاصة) وتقيم الجن عادة في الغابات والوديان والخرائب وبين الجبال وفي الصحاري والقفار ، وتحمل الجن التابعة لبعض الأشخاص والدرويش المعروفين بأسماء معينة وهناك نوع من الكائنات التي تشترك مع الجن في الكثير من المواصفات ، وتظهر للإنسان في ظروف وأماكن معينة غير تلك التي يظهر فيها الجن مثل العفريت والغولة والروحانية والعفريت وهو أقربها جميعا للجن. [2]

[1]– عبد الحميد بورايو ، **الأدب الشعبي الجزائري** ، دار القصبة لنشر ، الجزائر ، 2011 ، ص 18.فزاري، مرجع سابق، ص117. روزالين قريش، مرجع سابق، ص122.بورايو، **القصص**..، مرجع سابق، ص70 وما بعدها.

[2]–عبد الحميد بورايو ، **القصص الشعبي**، مرجع سابق ، ص 22-23. روزالين قريش، مرجع سابق، ص167-170. فزاري، مرجع سابق، ص94-96.

رابعا: وظائف القصص الشعبي: يتصل بالحديث عن رواية القصص ورواته واستجابة الناس له الحديث عن وظيفته اذ أن وجوده مرتبط بما يؤديه من وظائف في البناء الاجتماعي للمجتمع الشعبي ، فهو جزء من البناء الثقافي ، يعكس الوجود الاجتماعي ، نجده يتضمن صورا من الواقع بقيمه ، وعلاقاته ، فهو يحكم ارتباطه بمجتمع حكمته علاقات اقطاعية لقرون من الزمن واتسم بعلاقات اقتصادية واجتماعية بعيدة كل البعد عن التكافؤ، كما يعكس من ناحية أخرى القيم المعنوية لطبقة السائدة والتي تتمثل في النزوع الى ثبات ومحاربة التجديد ، وتقديس الماضي على حساب الحاظر والمستقبل والايمان المفرط بالسلطة ، والتسليم بعجز الفرد عن تغير الاوضاع السائدة ، وتثبيت فكرة وجود التفاوت والتسلسل في المراتب.[1]

ومن ناحية أخرى وبحكم تداوله بين فئات الشعب العريضة التي تتشكل من الفلاحين المضطهدين وصغار الحرفين والانتماء الطبقي للرواة ، يحمل نزوعا الى التغيير ونقدا للسلطة ، واحتجاجا على الفوراق الطبقية ، وتطلعا للقضاء عليها ، أو تجاوزها على الاقل ، ورفعا من شأن القيم المعنوية التي يتجلى بيها الانسان الفقير وانتصار لقيم العدل والحق والخير والحب، وهو بالتالي يؤدي وظيفة تثقفية وتعليمية ، فالقصص الذي يروي في نطاق الأسرة موجه أساسا للأطفال لتربيتهم لأنه ينمي خيالهم ومقدرتهم الذهنية ، ويقدم لهم النموذج الأمثل لسلوك ويساعدهم على استيعاب العلاقات الاجتماعية لتهيئتهم لأن يكونوا أعضاء في الجماعة ، كما تمثل القيمة التفسيرية لبعض القصص أداة للمعرفة في تشكيل تصورات الطفل عن الكون والمحيط الاجتماعي ، على أن الهدف التعليمي والتثقيفي لا يقتصر على الصغار وحدهم ، بل إن القصص التي تروى في التجمعات التي تظم الكبار مثل الحلقات التي تقام في الاسواق وتجمعات الأحياء ، تأخذ فيها القصص ذات الهدف الأخلاقي والوعظي مكانة مهمة بين قصص المروية كما أن تربية الوجدان الجمعي وغرس القيم الاجتماعية المثالية تظل موضوعا

[1] – فؤاد زكريا ، **الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية** ، دار الثقافة لطباعة والنشر ، مصر، 1974 ، ص 17-20.

اساسيا من الموضوعات التي ترسم للجمهور القصص من الصغار والكبار على سواء صورة الانسان الأمثل الذي يطمح اليه المجتمع أن يكون عليه الفرد. [1]

فقد تعرض الجزائريون في هذه الفترة لسيطرة أجنبية مست شعورهم القومي ، وكبريائهم الوطني وحددت من حرياتهم في التعبير عما يعاونه في ظل سلطة سياسية تسلك اتجاههم سلوكا عدوانيا، يشعرون أنها غريبة عنهم ، ومغتصبة لأرضهم وحقوقهم وكانت العلاقة بين المواطنين والسلطة علاقة عداء وتربص ، انعكست على مختلف نواحي الحياة وفي ظل قوة عسكرية تفرض سلطانها بالحديد والنار ، ومحاولات لدفاع عن النفس وصد هذه القوة ، تجلت في مختلف الثورات وحركات التمرد المسلح والتي لم تهدأ طيلة عهد الاستعمار من جهة، وتوجيه ثقافي استعماري يسعى الى تجميد الثقافة الوطنية واستئصال عناصر الشعور الوطني منها، وتشبث بهذه الثقافة ، وتمكن لها في نفوس الناس وتوظيف لها في مجال الدفاع عن الذات والشخصية الوطنية، واستخدامها في التعبير عن المشاعر المكبوتة والأمل في الانعتاق والتحرر ، وبث روح المقاومة ، من جهة أخرى وهكذا حوربت اللغة العربية ، وقطعت الصلة بين التراث العربي الرسمي ومناهج التعليم ووسائل الثقافة الرسمية وتم القضاء على الأدب العربي الرسمي ، وما بقي من الثقافة الوطنية تمثل في التراث الشعبي الشفهي الذي لا يملك المستعمر أن ينتزعه من عقول الناس ووجدانهم ، وكان هذا التراث هو الكنز الذي تشبت به المواطنون الجزائريون في عهد الاستلاب الثقافي ، فحملوه نشاطهم الروحي وما اعتمل في نفوسهم من عواطف ومشاعر وما سكن جوانحهم من امال ورغبات وكان القصص من اشكال التعبير الشعبي التي عرفت ازدهارا كبيرا وانتشار واسع.[2]

وفي هذا الصدد تقول روزلين قريش : "إن القصة الشعبية الجزائرية قد ملأت فراغا كبيرا في الحياة الأدبية والثقافية والاجتماعية لدى عامة الشعب ..حيث عمل الاستعمار بكل قواه على مطاردة اللغة العربية ومحاولة القضاء عليها وكان ان انزوى الأدب الرسمي وانحصر في فئة معينة هي التي تلقت تعليما عربيا دينيا في الغالب فكان ادب ضعيفا يتناول موضوعات بعيدة عن اهتمام الشعب

[1]- عبد الحميد بوراوي ، **القصص الشعبي** ، مرجع سابق ، ص 53-54. روزالين قريش، مرجع سابق، ص112.

[2]- روزالين قريش، مرجع سابق، ص115. بورايو، **القصص**..، مرجع سابق، ص55-56.

وقضاياه ومشاكله وهنا برز دور الادب الشعبي –ولاسيما القصة – في مخاطبة الشعب بالغة يفهمها وفي معالجة موضوعات تمس صميم حياته وتثير كامن مشاعره تلهب حماسته ".[1]

وقد عرفت أنماطا معينة من القصص في هذه الفترة بالذات رواجا كبيرا وتخصص فيها المداحون ورواة السير ، واذا كان افتقاد المصادر التي تؤرخ للأدب الشعبي يجعل من الصعوبة تتبع تطور مختلف أنماط القصص ومعرفة فترات رواجها معرفة دقيقة الا أنه من المؤكد أن انماطا معينة عرفت تطورا أو انتشارا واسعا في مختلف أنحاء القطر في فترة الاحتلال الفرنسي ، وهكذا ساهم القصص الشعبي بدور فعال في المحافظة على مقومات الشخصية القومية ، وتهيئة النفوس للثورة ، وبث روح المقاومة في وجدان المواطنين ، وتعبئة الجماهير في حركة تحرير الوطن ، ويصبح في هذه الحالة من الضروري مراجعة ما يراه يعض الباحثين من أن " التراث الشعبي القصصي قد يكون نقديا في بغض جوانبه ولكنه لا يكون ثوريا قط " ويؤكد عزالدين إسماعيل على الدور الثوري للتراث الشعبي في قوله " استقراء التراث الشعبي لدى كل الشعوب قد يكشف لنا عن وجود بعض النماذج من هذا التراث ذات مغزى سياسي وثوري بالنسبة لفترة بعينها من الزمن في بيئة بعينها".[2]

ولا نغادر هذا المبحث حتى نشير إلى أن الحركة الإصلاحية في الجزائر ــرغم سلفيتها وعقلانيتها– قد استثمرت في هذا الفن، وفي هذا الصدد يقول أبو بكر بن الحاج عيسى الأغواطي في مقال له بجريدة البصائر: " وعلى الأم أن تستثمر ميلان الطفل إلى القصص، فتغرس فيه بواسطتها بذور الأخلاق الفاضلة وأن تكثر من حكايات البطولة والشهامة العربية حتى يشعر بعزته ويعتز بالانتساب إلى قومه، ولابأس بذكر الأساطير وبعص قصص أبي زيد الهلالي وعنترة بن شداد وسيف بن ذي يزن بأسلوب يناسب إدراكه ليقوى خياله ولتحذر الأم من حكايات الأشباح والأغوال فإن ذلك يزيد غريزة الجبن فيه" ويقتبس من الأديب أحمد أمين قوله: " إن هي ربتهم من صغرهم على المخاطرة والمجازفة وحدثتهم حديث الأبطال وعظماء الرجال وعودتهم مكافحة الحياة والتغلب على

[1]– روزلين قريش ، مرجع سابق ، ص282.

[2]– عزالدين اسماعيل ، **القصص الشعبي في السودان دراسة في فنية الحكاية ووظيفتها** ، الهيئة المصرية العامة لتأليف والنشر ،القاهرة ، 1971 ،ص 177. روزالين، مرجع سابق، ص120. فزاري، مرجع سابق، ص101–102. بورايو، **القصص**..، مرجع سابق، ص56–58.

الصعاب وعلمتهم أن المبادئ فوق الأشخاص والوطن فوق حياة الأفراد وعيرتهم يوم يفرون من واجب وأنبتهم يوم يأتون بنقيصة.. فهناك الرجال وهناك العز وهناك الشرف".[1]

خامسا: نماذج عن قصص وأساطير من الأغواط:

1/ أسطورة سيدي الناصر وقصبة بن فتوح: وقد أخذنا نموذجا لذلك أسطورة حيكت منذ زمن قديم عن مدينة الأغواط، لتحليلها لعلنا نصل بذلك إلى بعض النتائج رغم أن هذه الأسطورة نقلتها مراجع فرنسية بينما المراجع العربية القديمة أشارت إلى ذلك دون تفاصيلها وهي تتعلق بحادثة تدخل ضمن نشوء المدينة ذكرها أحد الرحالة وهو ابن ناصر الدرعي قائلا: « أخبرني فقيههم سنة 1096- هـ سيدي أحمد بن أبي زيان عن ما آل إليه مصير قرية كانت بجوار مدينة الأغواط».[2]

روى الجينرال فليبار (PHILEBART) في كتابه ما يلي : "سيدي الناصر ولي صالح بقصر بن بوتا يحظى باحترام الجميع، وكان له فتاة جميلة خطبها ابن رئيس قصبة بن فتوح بعد أن هام بحبها، ولكن والدها رفضه وزوجها من أحد شبان قصر ابن بوطة فاغتاظ وعزم على الانتقام، ذلك أنه ليلة الزفاف وتحت الظلام الشديد قام بالسطو على منزل العروسين، فقتل الزوج وفر بالزوجة فلحقه أنصار الولي الصالح وطوقوه لهذا قام بذبح الفتاة وانتحر فوق جسدها، وحينما علم سيدي الناصر بالخبر الحزين أخذ حفنة من التراب ووضعها في كفه ونسفها ثم دعا على سكان قصبة بن فتوح بأن ينسفهم الله كما نسف هذا التراب وقد استجاب الله لدعوته، أصبحت قصبة بن فتوح خالية من سكانها الذين توزعوا عبر مناطق كثيرة منها غدامس التي اتخذت اسمها منهم ، لأنهم التقوا بعائلات نزحوا من فزان فسألوهم من أين أتيتم؟ فأجابوا من قصبة بن فتوح بغداء أمس فأطلق على المكان الذي جمعهم غدامس"[3].

[1]- أبو بكر الأغواطي، **التلميذ والمنزل**، جريدة البصائر، س2، سل2، ع93، 31 أكتوبر، 1949، ص6. سيتم التعريف بالعلامة أبي بكر الحاج عيسى في فصل الحركة الإصلاحية.

[2]- أحمد بن مُحَمَّد بن ناصر الدرعي، مصدر سابق، ص133.

[3]- إبراهيم مياسي، **من قضايا** ....، مرجع سابق، ص 29.

2/ قصص وحكايات سيدي الحاج عيسى: العابد الزاهد، صاحب الشمائل البارقة والأحوال الصادقة الشيخ سيدي الحاج عيسى بن سيدي إبراهيم ، و محبوبة بنت سيدي الحاج بوحفص (فرقة أولاد سيدي الشيخ) ينتهي نسبه إلى سيدي إدريس مؤسس مدينة فاس ولد بتلمسان سنة 1089هـ/1678م، وبها نشأ وتربى وتعلم ، وكان قد أخذ من العلوم قسط وافر وتفقه وبرع في فنون اللغة والشعر والمواعظ والحكم، رحل من تلمسان إلى الأغواط واستوطنها وبها أسس زاويته ، وقد توفي خلال سنة 1150 هـ/1737م وضريحه مشهور يزار بالأغواط،[1] ذكره الشيخ عبد الله بن مُحَمَّد حشلاف في كتابه : سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول ﷺ قال : ومن فروع مولانا أحمد بن إدريس أولاد سيدي الحاج عامر..... ومنهم : فرقة بالأغواط تعرف بأولاد سيدي الحاج عيسى صاحب الكرامات العديدة، ولهذا السيد اليد البيضاء في الأنشاد الملحونة على طريق إشارة الأولياء الكمل تدل على علوّ مقامه في الولاية ورفعة درجاته عند ربه فهي من باب الكشوفات الغيبية- رضي الله عنه – فإنه من الأولياء الفخام لا يختلف في ولايته اثنان فقد سارت بذكره الركبان وعظمه القاصي والداني وقبره مشهور بالأغواط معظم مزار وعليه بناء عظيم ، وكلامه كله حكم يستدل به على ما يأتي من الزمن" [2] ، ومن قصص سيدي الحاج عيسى التي بقي أثرها إلى ما بعد وفاته وشكلت جزءا من الثقافة الشعبية لساكنة الأغواط وما جاورها:

أ)أثر كراماته (الغلة والفال): بعد أن أظهر كرامات عديدة في مناسبات مختلفة لأهل الأغواط ، اعتاد هؤلاء على إعطاء الفال (أي بواكير الغلال) له ولأولاده من بعده، استجلابا لرضاه ودعائه الطيب، واحتياطا لغضبه ولدعائه بالشر، وقد بقيت هذه العادة إلى زمن قريب، وإن تناقصت بشكل كبير.[3]

[1]- للتعريف الكامل بشخصية سيدي الحاج عيسى أنظر تحقيق الأستاذ البشير بديار لديوان سيدي الحاج عيسى ، البشير بديار، **ديوان**..، مرجع سابق، ص13-52.

[2]- عبد الله بن مُحَمَّد حشلاف، **سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول**، المطبعة التونسية، تونس، 1929، ص77.

[3]- البشير بديار، **ديوان**..، مرجع سابق، ص38.

ب)القصور الخالية: ترجع الذاكرة الشعبية المحلية تفسير خلو ودمار الكثير من القصور الصحراوية ونضوب بعض العيون المائية إلى دعاء سيدي الحاج عيسى عليها وعلى أصحابها، مثل قرية دمد التي خلا قصرها القديم وغارت عين الماء التي ترويه،[1] ولقصر لحمر ولقصر لبيض الذي يرجع لقبيلة الطرايفية في جبل العمور،[2] وقصر تاويالة وفي جبل العمور أيضا حيث قال سيدي الحاج عيسى بشأنه:

يا رب أخل تاويالة نح أخيار رجالها
لا صلاة ولا قراية لا دنيا تزهى لها

وقد خلا القصر القديم وبني آخر غير بعيد عنه.[3]

ج)الاستشراف (الجفر أو النشد): للحاج عيسى تنبؤات كثيرة حسب الثقافة الشعبية في الأغواط، ولعل من أشهرها تنبؤه بدخول الفرنسيين إلى الأغواط في قصيدة عنوانها:

ما زلنا نتعاودوا لاخبار يا سايلني نعيد لك قصة[4]

3/ قصص وحكايات سيدي الميهوب الحرزلي: وله الكثير من القصص من بينها:

- **قصته مع أولاد زيد:** وهم فرع من قبائل الأرباع كما سبق ذكره، ويقال أنهم كانوا ذوو قوة وبأس شديد، حتى تعرضوا لدعاء من سيدي الميهوب بسبب تعديهم عليه، وقد تفرقوا وتشتتوا بسبب هذا الدعاء الذي رفعه سيدي الميهوب في شكل شعري حيث يقول:

كانوا أولاد زيد صغار التفحشيش ويجو يمولوا بكحيل الهذبه
الناس ياكلوها ماكـــــلة حشيش والعـــبد قا يبطوه بلا ســبة
دصروا الشيخ دمرهم راحوا زيش في كل وطن راحوا عادوا سيبه[5]

[1]- البشير بديار، **ديوان**...، مرجع سابق، ص 36-37.
[2]- المرجع نفسه، ص 37-38.
[3]- نفسه، ص38.
[4]- نفسه، ص 40-41.
[5]- نفسه، ص32-33.

4/ القصص ذات الأصل الهلالي: ذياب بن غانم، بنت الخص: من الباحثين الفرنسيين الذين عالجوا القصص الشعبي " رونيه باسي " الذي كتب عن قصة "بنت الخص " والمغازي ، و" الفريد بل " الذي نشر قصة "الجازية" وعلق عليها وكذلك جوزيف "دسسبرميه " الذي كتب بدوره عن المغازي ويرد "رونيه باسيت" قصة "بنت الخص " الى أصولها في التراث العربي وينتهي الى ان هذه القصة البطولية " تعود الى هذه المجموعة من التقاليد التي حملها بنوا هلال مع غيرها اثناء هجرتهم اللى المغرب حيث اصبحت تحمل طابعا محليا تعود اصولها الى أقدم حقب الأدب العربي "كما نشر هذا الباحث نفسه قصة " غزوة قصر الذهب ومعركة مع رأس الغول " وذلك بعد أن نقل القصتين الى الفرنسية وقارن بين مخطوطاتهما وروايتهما الشفهية اما "ألفريد بل" نشر نص قصة " الجازية " وقدم له ملاحظات حول الأصل العربي للقصة وأسباب رواجها بين البدو في الجزائر و تطويرها لبعض جوانب حياة وطبائع ومطامع العرب الرحل ، والتي انتقلت لأرض افريقية.[1]

[1]- روزالين قريش، مرجع سابق، ص112. بورايو، **القصص**..، مرجع سابق، ص31-32. بورايو، **الأدب**..، مرجع سابق، 17.

المبحث الثاني: الشعر (الشعبي) الملحون:

أولا: تعريفات ومفاهيم: هو فرع من فروع الأدب العام ، ويطلق عليه عدة تسميات مثل الشعر الشعبي والشعر الملحون والشعر العامي وشعر الزجل، وذلك حسب الاطلاق الذي شاع استعماله في البيئة المحلية وحسب اختيارات هذا الباحث أو ذاك ، فبالنسبة للفظة الشعر الشعبي فيميل التلي بن الشيخ إلى استعمال هذا المصطلح لتطابقه مع مفهوم الطبقات الشعبية لهذا اللون من التعبير أكثر من غيره،[1] ولكن هذا التعريف يصطدم بأحد الشروط التي يجب توفرها في الشعر الشعبي وهو مجهولية المؤلف، إذ أن الكثير من الأشعار التي وصلت إلينا معلومة النسبة، لهذا فإن مصطلح الشعر الملحون يكون أكثر وظيفية للدلالة على هذا النوع من الأدب، حيث أن مُحَمَّد المرزوقي يرى بأن الشعر الملحون أعم وأشمل من الشعر الشعبي، إذ يشمل كل شعر منظوم بالعامية سواء عرف مؤلفه أو جهل، كما أن أصل الكلمة أبلغ في التعبير عن شكل وصفة هذه المنظومات، فأصل الكلمة لحن يلحن في الكلام.

إن التأمل في النصوص الشعرية يؤدي بنا إلى القول بعدم وجود القواعد النحوية والصرفية في هذه النصوص، لأن الفارق الأساس أو بالأحرى الاختلاف بين " الأدب الشعبي " و " الأدب الرسمي " يكمن في عدم وجود قواعد لغوية في الأدب الشعبي، ويذهب الدكتور عبد الله الركيبي إلى نفس الرأي خصوصا مع شيوع مصطلح الشعر الملحون في الأقطار المغاربية.[2]

ويمكن أن ندعم هذا الطرح بكلام ابن خلدون عن هذا النوع من الشعر حيث يقول: " ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة، وفيهم فحول، والمتأخرون والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد (يقصد علوم النحو والصرف) يستنكرون صاحبها هذه الفنون التي لهم اذا سمعها، ويمج نظمها اذا انشد، ويعتقدون ان ذوقه انما نبأ عنها لاستهجانها وفقدان الإعراب فيها، وهذا إنما أتي من فقدانه الملكة التي

---

[1] _ التّلي بن الشيخ، **دور الشعر الشعبي في الثّورة 1830_1945**، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، سنة 1983م، ص 365. ورنيقي الشايب، **ديوان شعر علي بن شهرة جمع وتحقيق**، مطبعة رويغي، الأغواط، الجزائر، 2007، ص20.

[2] _ عبد الله الركيبي، **الشعر الديني الجزائري الحديث (الشعر الديني الصوفي)** ، دار الكتاب العربي، 2009، ج1، ص361.

في لغتهم فلو حصلت له تلك الملكة لشهد له طبعه وذوقه ببلاغة شعرهم إن كان سليماً من الآفات في فطرته ونظره، وإلا فالإعراب لا مدخل له في البلاغة، وإنما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولمقتضى الحال سواء أكان الرفع دالاً على الفاعل والنصب دالاً على المفعول أو بالعكس، وإنما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو في لغتهم فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة : فإذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحت الدلالة، وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة، ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك "[1]

ويضيف أيضا: "ولما كان الشعر موجوداً بالطبع في أهل كل لسان لأن الموازين على نسبة واحدة في اعداد المتحركات والسواكن، وتقابلها موجود في طباع البشر فلم يهجر الشعر بفقدان لغة واحدة وهي لغة مضر.....بل كل جيل وأهل كل لهجة من العرب والمستعجمين والحضر وأهل الأمصار يتعاطون منه ما يطاوعهم[2]" ويضيف ابن خلدون: "فأما العرب أهل هذا الجيل (جيل ابن خلدون) المستعجمون عن لغة أسلافهم الفصحى فيعرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعاريض ويأتون منه بالمطولات وأهل المغرب يسمون هذه القصائد بالأصمعيات، وأهل المشرق يسمون هذا الشعر بالبدوي"[3] وقد أورد ابن خلدون ما يقارب 200 بيت من هذا النوع من شعر أهل المغرب.

ثانيا: الشعر الملحون في الجزائر: يكاد يتفق الدارسون في أن أغلب الشعر الذي وصل إلينا وانتشر في الجزائر يعود في أصله إلى الموشحات الأندلسية (حضري) أو الشعر الهلالي (بدوي).[4]

يذهب الأستاذ المرزوقي إلى أن الشعر الشعبي قد ظهر في الأقطار المغاربية مباشرة بعد استقرار بني هلال وبني سليم في شمال إفريقيا، يقول: لم يترك لنا التاريخ أي أثر لشعر منظوم باللغة الدارجة الشعر الشعبي قبل منتصف القرن الخامس الهجري، أي قبل الزحفة الهلالية سنة 443هجرية)...(ودخول الهلاليين إلى المغرب العربي كان له أثر كبير في الحياة الثقافية

[1] _ ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، ص 806.

[2] _المصدر نفسه، ص805.

[3] _ نفسه، ص 805.

[4] –عبد الحميد بورايو، **الأدب الشعبي الجزائري**، مرجع سابق، ص5. أنظر أيضا: عبد الحق زريوح، **دراسات في الشعر الملحون الجزائري مع قصائد مختارة غير منشورة**، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص 19.

والفكرية في المغرب العربي[1]» كما أثر الأندلسيون في نشأة وتطور الشعر الملحون في الجزائر، حيث ابتكر أهل الأندلس الزجل كشكل شعبي للموشح، و قد اشترطوا في نظمه أن يكون بلهجة عامية، خالية من قواعد الإعراب، وهو ما سهل على الشاعر الشعبي تقليد الزجل والنظم على منواله.[2]

ويعد العهد العثماني في الجزائر بحق أخصب عهد عرفته القصيدة الشعرية الشعبية، فعدت أحد أهم المأثورات الثقافية في هذا العهد، وعادة ما يوصف هذا العهد بأنه عهد الانحطاط لما تميز من فقر في الإنتاج الثقافي، ما عدا فيما يخص مجال الثقافة الشعبية، والتي كثيرا ما كان ينظر إليها على أنها تجل من تجليات الانحطاط الثقافي والأدبي. ولقد ظهر الشعر الشعبي كأحد أهم وسائل التعبير التلقائي عن الحالة النفسية والاجتماعية التي كانت تعيشها مختلف الطبقات الاجتماعية، وميزة هذا الشعر أنه كان رائجا في تلك الفترة، مما فتح أمام القصيدة الشعبية مجالا واسعا، ومكنها من احتلال المقام الأول.[3]

وقد حفظت لنا الذاكرة الشعبية أشعار لخضر بن خلوف وقصيدة الشهيرة حول معركة مزغران، و مُحَمَّد بن درمش الشرشالي الذي خلد انتصار العثمانيين في البلقان سنة ،1127 هـ والشاعر القسنطيني بلقاسم الرحموني، الذي صور فيها أحوال مدينة قسنطينة الاجتماعية في العهد العثماني، وابن مسايب وابن السويكت ، وفي الجملة فقد أحصى الباحثون أكثر من سبعين شاعرا شعبيا في العهد العثماني، وهم يمثلون فقط عينة من المحظوظين الذين جمعت ودونت أشعارهم، ومن الطبيعي أن يكون هناك من الشعراء من لم يحظى هذا الشرف، فضاعت قصائده ونسيها الرواة، فضاعت، ما يعني أن هذه الفترة هي الأكثر ازدهارا مقارنة بالفترات التي سبقتها فيما يخص هذا النوع الأدبي الشعبي.[4]

---

[1] _ مُحَمَّد المرزوقي، **الأدب الشعبي**، الدار التونسية للنشر، تونس، ط5، 1967، ص51.

[2] _ التلي بن الشيخ، **منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990ص26.

[3] _ العربي دحو، **الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس**، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989م، ص39.

[4] _ سالم بن لباد، **محاضرات في الشعر الشعبي الجزائري (المحاضرة الرابعة)**، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية. دت، ص1_5.

واستمر هذا النوع من الأدب في العهد الفرنسي ونظر لأن الاستعمار حارب العربية فقدى الشعر الملحون لتعبير عن المقاومة قي القرن التاسع عشر والقرن العشرين[1] ، بل وأصبح ـفي ظل انتشر الجهلـ الفن الأدبي الوحيد الذي استمر وجوده وتطور وانتشر وأصبح في غياب الشعر الفصيح والتدوين التاريخي سجلا للأحداث وشاهدا عليها، ومحرضا على بعضها مثل الثورات، وناقلا صادقا لحالة المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار.

ومن شعراء الملحون في هذه الفترة نذكر الشاعر مصطفى بن براهيم من منطقة وهران والذي تم نفيه إلى مدينة فاس المغربية، وبلغت قصائده حوالي 150 وشملت كل الأغراض الشعرية المعروفة، والشاعر مُحَّد بلخير الذي عاصر ثورة بوعمامة ومدحه بكثير من قصائده، التي حرض فيها على الاستعمار وأشاد ببسالة المقاومين، ومُحَّد بن قيطون الذي خلد قصة حيزية وسعيد، إضافة إلى بن حرزالله بن الجنيدي وأحمد بن الحرمة وابن كريو وغيرهم، وقد ساير الشعراء الشعبيون مختلف الأحداث التي رافقت الاستعمار الفرنسي لمختلف المدن والقرى الجزائرية ولعبوا دورا هاما في الحشد والتعبئة، فكان كثير منهم شعراء نضال، ورفقاء سلاح وحاملي رسالة، استمدوا شعرهم من عاطفة دينية قوية، تظهر في تعابير ومفردات أشعارهم.[2]

جمع الأستاذ الإسكندر جولي مجموعة من الشعر الشعبي وسماها (ملاحظات على الشعر العصري عند البدو الجزائريين)، وكان جولي قد رافق بعثة (فلامان) نحو الجنوب سنة 1899، ومر بالأغواط فجمع أشعارا عديدة أثناء رحلته إلى عين صالح، وقد حضر بعض السهرات، ونقل من أفواه الكبار ثم رتب ذلك الشعر وصنفه.[3]

وحسب أبحاثه فإن شعر الجنوب البدوي يختلف عن الشعر الحضري في الشمال من عدة وجوه، فقد قام الإسكندر جولي بدراسة فنية ونوعية أيضا للشعر الشعبي في الجنوب، وذكر منه هذه الأنواع:

---

[1]– مُحَّد البشير الابراهيمي ، **التراث الشعبي والشعر الملحون في الجزائر**، تح : عثمان سعدي ، شركة دار الأمة لطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2010، ص 7. ورنيقي الشايب، مرجع سابق، ص19.

[2]ـ التلي بن الشيخ، **الشعر الشعبي ودوره في الثورة** ، مرجع سابق، ص98. أمينة فزاري، مرجع سابق، ص144.

[3]– سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 8 ، ص316.

الزغوية، والنم (بكسر النون) [1] وهو المناجاة أو حديث النفس والغنائي الذاتي بصوت منخفض كشعر الحب، وجاء جولي بنموذج منه لبوزيان وهو شاعر من أولاد يعقوب الزرارة بجبل عمور ،[2]والمدح والقول (بضم القاف المعقودة) وهو شعر قصير ينشد بتنغيم موقع وهو ليس غناء حقيقيا ، ومن شعر (القول) جاء جولي بنموذج لسي ابن حرز الله، وهو شاعر من الأغواط (سيأتي تعريفه لاحقا)، وهو شعر بسيط وطبيعي يتماشى مع ما فرضته الطبيعة والمناخ الصحراوي وهو يمثل الذوق العربي البدوي ،[3] والهجوة وهي الهجاء المعروف في الشعر العربي،[4] والقطاعة (بشد الطاء) وهي أغنية الطريق أو الحداء وهو شعر يرتجله الشعراء في الغالب للتغلب على طول الطريق، أما الموضوع فهو دائما قصة عن الرحلة التي ترد فيها أسماء الأماكن، وقد أورد جولي نموذجا للقطاعة من شعر سي بوزيد بلحاج بلقاسم، وهو من قصر سيدي بوزيد عند جبل عمور أيضا،[5] والعيدي (العايدي) وهو شعر الحرب والأعراش، والغناء وهو الشعر المرفوق بصوت آلة الطرب، وقال جولي إن هذا النوع الأخير نادر عند البدو ولكنه شائع عند أهل الحضر.[6]

وفي وقت لاحق جمع جولي أيضا قصائد من نفس المنطقة لشعراء آخرين، ففي حوالي 1900 جمع من فم باعفو بن سليمان شعرا من 14 بيتا لشاعر مجهول، ومكان جمعها هو وادي الحمار (من روافد وادي جدي) قرب حاسي مداقين جنوب الأغواط، وابن سليمان كان من الشعانبة القبالة، ويفهم من النص أن الشاعر نفسه من ناحية ورقلة والصحراء الشرقية، ذلك أنه يرد في شعره رحيل البطلة إلى توزر، وهو الرحيل الذي أثار أشواق الشاعر.[7]

[1]– (A.) JOLY, **Remarques sur la poésie moderne chez les nomades algériens**, REVUE AFRICAINE, VOLUME 44, 1900, p 290-291.

[2] – ibid , p 291-292.

[3] -ibid, p 284-290.

[4] – ibid, p284.

[5]– ibid, p298-306.

[6]– ibid, p284.

[7] -(A.) JOLY, **Remarques sur la poésie moderne chez les nomades algériens Suite**, REVUE AFRICAINE, VOLUME 47, 1903, p171-190.

ثالثا: نماذج عن شعراء الملحون في منطقة الأغواط وأغراضهم الشعرية: عرفت الأغواط حركة شعرية مستمرة لفترة طويلة في حياتها بحيث ظهر عدد من الشعراء لفتوا الانتباه بمواهبهم وقدراتهم الابداعية وتميزوا بتدوينهم لشعر وحفظه، [1] ومن بينهم:

1/ الشاعر بن حرزالله بن الجنيدي الحرزلي نسبا الأغواطي مسكنا[2]:

أ)التعريف به: هو الشيخ سي بن حرزالله بن الجنيدي بن الشاهد المولود بعرش الحرازلية بالأغواط وقد اختلف في سنة ولادته ففي ديوانه أشير إلى أنه ولد سنة 18بينما ذكر شاعرنا عمره في إحدى قصائده قائلا:

عام السابع و يوم عشرة في فورار * في هذا العام نكتب بأربع كلمات
في هذا العام جبت ذي الكلمة تمصار * راها تبقى متورخة في النظميات
ذالي ستين عام في عمري تعبار * في الشجرة شريف من أهل التقوات[3]

وهو ما يعني أنه في سنة 1307هـ / 1889م كان عمره 60سنة ، و بالتالي فقد ولد سنة 1829و هذا ما نميل إلى ترجيحه كتاريخ ميلاد و قد نشأ ببادية المنطقة و قضى بها سنين الصبا الأولى في بيت موسر حيث كان أبوه من علية القوم، وتفجرت فيه روح الشاعرية بلا حدود و كان يأتيه الشعر غير القليل دون تكلف و لا معاناة، بل كان منه ما يأتيه وهو نائم، فيصبح وقد أنشأ قصيدة كاملة و كان شاعرا جوالا فعندما تفجرت شاعريته هجر أقاربه وذويه و أصبح كثير الترحال لا يقر له قرار و اعتراه نوع من الروحانية مما يعتري الزهاد ،و تعلق قلبه بالولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلالي و اشتهر بمدحه فقد قال فيه من الشعر الكثير، فلا تكاد تخلو قصائده من ذكره و الإشادة بخصاله و كراماته و توسلا إليه ببركته وعنايته و قد ذكر في أحد قصائده التي مدح بها الشيخ عبد القادر وهي مئة قصيدة، وهو ماعبر عنه بقوله:

جبت عليك مية كلمة مسمية غير من المجدول و إلا بوحرفين

---

[1]- عبد الحميد بورايو ، **الأدب الشعبي** ...، مرجع سابق، ص 49.

[2]_ اعتمدت في النبذة التعريفية بالشاعر بن حرزالله بن الجنيدي على: فاطنة شارف، **الشاعر بن حرزالله بن الجنيدي الأغواطي حياته وآثاره**، رسالة ماجستير في الأدب الشعبي، غير منشورة، جامعة الأغواط، 2006، ص47_49.

[3]_ الشاهد مسعود، **ديوان بن حرزالله بن الجنيدي بن الشاهد**، جمع وتصنيف الشاهد مسعود، دط، 1994، ص19_20.

وقد كثر ترحال شاعرنا في أنحاء الجزائر من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب و من شرقها إلى غربها و قد حفل شعره بالحديث عن هذه الرحلات و ذكر العمران و الحضارة في تلك الأيام اتصل بأعيان ذلك الزمان ومدح من يستحق منهم المدح والثناء ممن تتوفر فيهم خصال يحبذها الشيخ وليس مدحا للتكسب ، فهو زاهد وراغب عن الدنيا ولأنه كان موسرا لا يعاني فقرا ولا حرمانا وأكبر دليل على عزة نفسه، رفضه للعرض الذي قدمه له المستعمر بأن يكون قائدا على عرشه وقد حضر شاعرنا في جهاد مدينة الأغواط مع البطل بن الناصر بن شهرة وكذلك في ثورة أولاد سيدي الشيخ ، [1] وقد سجل هذا في شعره حيث قال:

واحضرنا في جهاد الأغواط اللي صار أنا شفت الشـين في نهار المقرونات
و بن ناصر منين درقه من بوغـــار شفتوشي واش دار في قوم امزنات[2]

توفي الشيخ سيدي بن حرزالله بن الجندي بن الشاهد في الثاني عشر من شهر مارس عام تسعة وتسعين وثمانية وألف ميلادي حسب ما صرح به ولده السيد ابراهيم بن حرزالله المزداد سنة 1867م المتوفي في 1960 بعد حياة كانت مليئة بالأحداث سجلها شعرا، دفن بقصر الحيران على بعد 40 كلم جنوب شرق مدينة الأغواط.

ب)شعره[3]: و قد نسخ بن حرز الله بن إبراهيم و هو حفيد الشاعر مجموعة مهمة من قصائد شاعرنا، و بهذا نقلها من المسموع إلى المكتوب و لكن تلك الدّرر الثمينة طالتها يد الإهمال و التقصير و ضاع أغلبها بعد وفاة جامعها، قام أحد أبناء بن حرز الله بن ابراهيم بجمع البقية الباقية و طبعها و نشرها سنة 1994على شكل كتيب حمل عنوان " ديوان الشاعر الشيخ سيدي بن حرز الله بن الجنيدي بن الشاهد الأغواطي " بحجم 166 صفحة و بالإضافة إلى المقدمة التي احتوت على تعريف الشاعر فقد اشتمل الكتيب على ما يقارب الثلاثين قصيدة[4].

و يعتبر هذا الجهد خطوة تستحق التقدير، و لكن و ككل اجتهاد في طريق العلم لا يمكن أن يصل

[1]- محمد بوعزارة، مصدر سابق، ص27-29.

[2]_ الشاهد مسعود ، مرجع سابق، ص7.

[3]_ اعتمدت على الديوان الذي سبق ذكره وهو يجمع أشعار الشاعر بن حرزالله بن الجنيدي وهو الديوان الوحيد المطبوع، ويحوي ثلاثين قصيدة، غير مشكلة ولا مشروحة.

[4]_ شارف، مرجع سابق، ص51.

للكمال، اعتور هذا الديوان المطبوع العديد من الهفوات و النقائص، و قد نعتذر عليه مسبقاً لسرعة إخراج الطبعة الأولى لأننا اعتقدنا أن التباطؤ على ما فيه من فائدة هو زيادة في التقصير في حق الشاعر[1]"و يمكن إجمال هذه النقائص في النقاط التالية:

_ إيراد القصائد دون تصنيفها، أو حتى ترتيبها ترتيباً هجائياً.

– ورود بعض القصائد ناقصة، وغير تامة المعنى نتيجة إسقاط بعض الأبيات منها، سهوا أو لعدم الاعتماد على مصادر مكتوبة أو شفوية كاملة و الاكتفاء بمصدر واحد.

_ الخلط الواضح في مجموعة من القصائد، نتيجة تقديم و تأخير بعض الأبيات و عدم إيرادها مرتبة، أو و ضع كلمة مكان أخرى مما أوقع اختلالا في المعنى.

_ الخلل الواضح في وزن القصائد و عدم مراعاة الإيقاع، و هذا راجع إلى الاعتماد على رواية المسعود (حفيد الشاعر) الذي لا يجيد الوزن، و عدم تصحيحها بالتعاون مع رواة آخرين يحفظون شعر الشاعر، و هم كثيرون.

– إيراد قصيدتين في الكتيب و نسبتهما عن طريق الخطأ للشاعر، إحداهما للشاعر سي الميهوب و الأخرى للحاج بن شاعة، و هذا كله راجع للتسرع في إخراج الديوان.

–ذكر في مقدمة الديوان أن ميلاد الشاعر كان سنة 1806عوض 1829و الشاعر نفسه قد أشار في أحد قصائده أن عمره سنة 1307هـ كان ستين سنة، أي أنه ولد حوالي سنة 1829م.[2]

– قصيدة نتوحد ليك يالواحد القهار[3]:

يبدأ الشاعر قصيدته بدعاء الله عز وجل لنفسه بالصلاح والهداية، كما يصف حياة اللهو التي عاشها في شبابه، ويرصد أنواعا من اللهو والعادات الاجتماعية السائدة آنذاك مثل الفروسية والصيد، ويتكلم الشاعر في هذه القصيدة عن أحداث مهمة حضرها هو بنفسه ومعارك شارك فيها مثل قوله:

[1] _ الشاهد مسعود ، مرجع سابق، المقدمة التعريفية.

[2] _ شارف، مرجع سابق، ص51_52.

[3] – الشاهد مسعود ، مرجع سابق، ص _ص 04_20

واحضرنا في جهاد لقواط اللي صار ..... نا شفت الشين قا نهار المقرونات[1]

ويعني الشاعر بقوله أنه حضر معركة الأغواط سنة 1852، ولكنه وصف معركة المقرونات بالشين ، ويقصد هنا الهول العظيم، وهو يقصد معركة المقارين التي شهدت هزيمة رجال المقاومة، ثم يصف الشاعر جهاده مع أولاد سيدي الشيخ بقوله:

عام السبعين رحت لاثرايت بكار....سيدي حمزة منين غرب لا ربوات

حوسناها لماكنه و أولاد ازبار..... وامشيناها لأولف وبلاد توات

و شفنا جبل لعمور سبقاق الجرجار.....سيدي لاغه الدين والطور اعجلات

حوسناها من افرندة للاجدار .... اتيارت والمحال لا كرد واعويسات[2]

ولا يكتفي الشاعر بذكر الأماكن التي زارها في إطار جهاده أو رحلاته العادية بل يذكر بعض الشخصيات التي التقاها أو عاصرها أو سمع عنها مثل ابن الناصر بن شهرة في قوله:

وابن الناصر منين درقه من بوغار .... شفتوشي واش دار في قوم امزانات[3]

ويذكر الشاعر شخصيات مثل : سي حمزة ولد سيدي الشيخ ويصفه ب: "ثرايت بكار" أي من ذرية أبي بكر الصديق ﷺ، الاغا الدين،[4] بوعمود ، إعمر بن فرحات،[5] جلول بوزار، بوديسة المختار،[6] الاغا بوعلام، علي باي.

---

[1]_ الشاهد مسعود ، مرجع سابق، ص ، ص06.

[2]- المرجع نفسه، ص 06_07.

[3]_ نفسه، ص07.

[4]- الاغا ابن الدين آغا جبل عمور. أنظر سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، ص124.

[5]- آغا أولاد عياد جنوب شرق وهران. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، ص125.

[6]- بوديسة المختار قائد أولاد مختار من تيارت قاتل الفرنسيين مع الامير ثم خضع لهم ولكن ما لبث ان ثار ضدهم مع أولاد سيدي الشيخ وقتل سنة 1865.أنظر: سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، ص190.

كما يصف الشاعر عمارة بعض المدن الجزائرية في تلك الفترة، مثل المدية التي يبدو أنه زارها، والجزائر التي يسميها : مزقنة، أي مزغنة مع قلب الغين قافا على عادة أهل المنطقة، حيث يصف بناءها وفنادقها والبزار أي السوق ، وحتى شرفات البيوت التي تطل منها نساء وصفهن بالعلجات، ولكنه يفرد وصفا دقيقا للمقاهي وللأجواء الاحتفالية التي تسودها:

أرواح أرواح للقهاوي يا قصار إقوايط وطبول والكبنيات[1]

القهواجي لبيق ما يلقى بالعار أخفيف ظريف قا لقوت هاك أو هات[2]

ثم يصف سيره إلى جرجرة وقسنطينة والعلمة ومجانة وسطيف وعنابة وسكيكدة وتونس التي سماها افريقية والجريد ثم الدخول إلى سوف وتقرت وورقلة والمغير ثم واد ميزاب ليصل إلى مواطن قومه في صحراء جنوب الأغواط حيث يصف غطاءها النباتي والحيواني، ولا شك أن هذه الجولات كانت ضمن مواكب المقاومة التي رافقت الشيخ بن ناصر بن شهرة شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ثم يصف حياة العز والغنى التي عاشها قبل قدوم الاستعمار ويقارنها بالمواجع التي شاهدها منذ قدوم المحتل:

ماذا شفنا من لمواجع من الاضرار....واللي هو شاف ما يحبر من غلبات

غلب الرجال هم، والدين المشرار.... لا نخلة لا بعير لا كثر شويهات

اصبر يا خاطري على دهر الكفار...أيامهم عاقبة الدهر يزوج أوقات

اشربنا من أزمانا كيسان امرار.... وانعقب في زمان دهر الموجعات

ذا دهر الويل والمحاين فيه كبار... واتشيب المرضعات من كثر المحنات

سوط على سوط يحرق العبد الصبار .. والهم اللي يجي ينسي في اللي فات

اقلوب الخلق قا فرت للفرار....جارت عنها أحكامها بالظلمات.[3]

[1]- المرجع نفسه، ص08.

[2]- نفسه، ص08 .

[3]_ الشاهد مسعود ، مرجع سابق، ص 11-12.

فالشاعر يتحدث عن عهد الاستبداد وهو زمن الاستعمار أو دهر الويل كما سماه وهذا بسبب المصائب والمحن التي واجهها الناس فيه والتي من كثرتها وشدتها تجعل الرضع الذين لا يعقلون يشيبون من همومها وقد استقى الشاعر هذه الصورة من قوله عز وجل "فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا[1] "والآية الكريمة تتحدث عن يوم القيامة وأهوالها التي تجعل الصبية الصغار يشيبون من هول ما يروه ، والاستعمار بكل ما يفعله من المنكرات التي يقترفها في حق الشعب الذي ذاق من ويلاته الكثير هذه المعاناة جعلت الشاعر يربط بينها وبين معاناة يوم الحساب كونه يرى أن المحن التي يعانيها الناس آنذاك تضاهي ما سيشاهدون يوم البعث.[2]

كما يصف الشاعر حالته بعد قدوم الاستعمار ويستعمل الرمز في كلامه عن الصقر الذي قص ريشه وذهبت مخالبه، وسيادة طائر الرخمة المبغوض على الأجواء في غياب الصقر الصياد، وكأنه يعبر عن حال الرجال الأبطال الذين غيب ذكرهم مع سيادة سفلة القوم المرتبطين بالاستعمار والذين ذكر جانبا من أخلاقهم السيئة التي رافقت الوجود الاستعماري مثل:

لعاب الكارطة وشرابت الاخمار.... يا ويح الخادعين وأصحاب السكرات[3]

وكما لا يفوت الشاعر أن يقدم النصائح والوعظ لمستمعيه مع التركيز على حفظ الأمانة وتجنب شهادة الزور وتجنب نقل الاخبار والتزام السر والصمت ولا يخفى ارتباط هذه الأخلاق بفكرة مقاومة المستعمر[4].

وفي الأخير تعتبر القصيدة وثيقة تاريخية شاهدة على نظرة شاعرة إلى عصره، ومما يزيد من فائدتها احتواؤها على اسم الشاعر ونسبته وتاريخ القصيدة وموطن مؤلفها، ونبذة عن جهاده ورحلاته، وأسماء لأماكن وشخصيات، ووصفا لمدن ووديان وصحاري ومضارب قبيلته ولنباتاتها وحيواناتها وطرق عيشها ، كما حوت وصفا للعادات والاحتفالات والأخلاق السيئة منها والحسنة، ووعظا ونصائحا وتوسلات وأدعية ورموز وإشارات عن المستوى الثقافي والديني للشاعر في ذلك العصر، ونجد الكثير

[1]_ سورة المزمل : آية 17.

[2]_شارف ، مرجع سابق، ص87.

[3]- الشاهد مسعود ، مرجع سابق، ص 17.

[4]- الشاهد مسعود ، مرجع سابق، ص 12.

من أبناء المنطقة يحفظون من أشعاره ولا يزالون يرددونها، وذلك لمتانة شعره كالمعدن الثمين، يزداد قيمة كلما كان عتيقا، وله ديوان شعر في مختلف الأغراض وللشاعر معنى جميل يتغنى فيه بفرسه، التي تزيل غيظه ساعة الضيم، ولشدة حبه لهذه الفرس وتعلقه، يتمنى لو أنه لا يفارق صهوتها حتى في نومه، متمنيا أن يرى نفسه في نومه ممتطيا لها.[1]

2/ الشاعر أحمد بن الحرمة اليحياوي نسبا البرياني مسكنا[2]:

أ)التعريف به: ولد الشيخ أحمد بن الحرمة حوالي سنة 1835م بمدينة بريان في قبيلة أولا يحي المشيشي الحسني، وقد نشأ في هذه المدينة يتيما وتأثر بمحيطه الاجتماعي والثقافي، فقد حفظ القرءان صغيرا وانتقل إلى الأغواط حيث يسكن أخواله من أولاد صالح وهم فرع من الأرباع في عمر الرابعة عشر حيث تتلمذ فيها يد علمائها وبالأخص لدى مقدم الطريقة القادرية سي البشير بن الحاج والشيخ بن الدين الأغواطي صاحب الرحلة، ويبدو من خلال شعره أن ثقافته كانت واسعة شملت العقائد والعبادات والفقه والتصوف والتاريخ والجغرافيا، كما حفظ لنا شعره بعضا من أسماء شيوخه سواء في مراسلاته معهم أو مدحهم أو رثائهم، مثل شيخ الزاوية القادرية بنفطة في جنوب تونس سيدي إبراهيم بن أحمد (ت1868) والشيخ عبد القادر بن مُحَّد الحبشي صاحب الزاوية القادرية بأمقوسة في ورقلة الذي أجازه خليفة للطريقة في بريان.[3]

ب)موقفه من الاستعمار: يظهر من خلال شعر الشيخ رفضه للاستعمار وتنديده به، بل ومعارضته لبعض الإجراءات مثل التجنيد الاجباري حيث وقع مع غيره رسالة رفض للحاكم العسكري الفرنسي بمقاطعة غرداية وتسلط اليهود المدينتين وقد قال في هذا الصدد:

---

[1]- ورنيقي الشايب، مرجع سابق، ص31-32 . مُحَّد بوعزارة، مصدر سابق، ص56.

[2]_ اعتمدت في النبذة التعريفية للشاعر ابن الحرمة على: بولرباح عثماني، **شعر أحمد بن الحرمة دراسة وصفية تحليلية**، مذكرة ماجيستير في الأدب الشعبي، جامعة الجزائر، 2005، ص28 وما بعدها . وأيضا: مطلق عمار بن الحاج سعد، **ديوان الشاعر أحمد بن الحرمة البرياني 1835_1924**، دت، ص13 وما بعدها.

[3]_ بولرباح عثماني، مرجع سابق، ص 29_30. مطلق عمار بن الحاج سعد، مرجع سابق، ص13. العربي دحو، **معجم شعراء الشعر الشعبي في الجزائر من القرن 16 م إلى أواخر العقد الأول من القرن 21م**، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر، 2013، ج1، ص59.

ما بقاتلي حرمة في جيل دولة الروم.... من شرب كاس من العصيان خرفو

عاد محرم حتى موشي وخوه شالوم .....دايرين حكومة عادوا يطوفوا

وهو مثل بن حرزالله بن الجنيدي يصف الأوضاع الاجتماعية أثناء الاستعمار بصورة بليغة وبعاطفة جياشة باكية :

والقاضي هو خصيم للفقير أشحان..... والرشوه جاريه ومحسوب هديه

يحكم للي يجيبلو دورو شرنان.... واشهودوا كاملين يمضو للغنيه

ج) نماذج من شعره: قصيدة: صلوا أعلى النبي مُحَمَّد[1] :قمت باختيار هذه القصيدة بسبب احتوائها على موضوع مميز وهو الإشادة والدعاية للدولة العثمانية وللسلطان عبد الحميد بالذات، وغرابة هذا الأمر تتأتي من كون الشاعر يسكن في منطقة صحراوية بعيدة جدا عن مراكز الاتصال بالعالم الخارجي مع ما قامت به السياسة الفرنسية من عزل المجتمع الجزائري عن بقية العالم الإسلامي. في هذه القصيدة يبدأ الشاعر كعادة أصحاب هذا الفن بالصلاة على النبي الأكرم، ثم التوسل به وببركته في الدنيا والاخرة، ثم يبدأ بالدعاء بالنصر للدولة العثمانية:

نبغيه ينصر العثماني..... يحمي عساكر اسطنبول

نبغيه ينصر العثماني...وأيقلبوا على العدياني

في البر يهلك الروماني...يجنى من الوطن مذلول

ثم يخصص مدحه ودعاءه لشخص السلطان عبد الحميد:

عبد الحميد نبغي نصرو ... لسلام فارحين ابعصرو

أجميع من ظلمهم كسروا...أقدا من الظهر مفصول

[1] _ في الديوان الذي جمعه مطلق عمار القصيدة تحوي القصيدة على 88 بيت، منها 28 بيتا تتكلم عن العثمانيين والسلطان عبد الحميد. أنظر، مطلق، مرجع سابق، ص54_58.

ثم يصف قوة السلطان وجنده من الأتراك:

صيد الصيود حسو يرهب... بمدافعوا عليهم تزرب

لتراك بالشجاعة تضرب...هياج كي أولاد القول

امصدقين قول نبيهم....يوم الحساب يشفع فيهم

محال ما يفرط فيهم ....خلى وكيلهم جلول

بالخيل والعساكر ترهب .... بسلاح والعماير تضرب

ربعين مكحلة في مشرب .... بالبولدون والمفتول

متقلدين بالحنافي... ركنو متين لله صافي

سلطان حق سني وافي .... واجماعتو شهود عدول

ليختم كلامه بدعوة مستمعيه إلى الدعاء معه :

أياو يا جميع إخواني.... ندعوا النصر للعثماني

إيقلبوا على العدياني... بجاه صاحب المنزول[1]

وفي الأخير فإن أشعار بن الحرمة حوت الكثير من الإشارات التاريخية وتعتبر بحق مصدرا مهما من مصادر تاريخ المنطقة، كون فترة الشاعر افتقرت إلى التدوين والكتابة، ولم يبق سوى الشعر الملحون ملجأ أخيرا لرسم صورة كاملة وإكمال النقص الحاصل في هذا المجال، كما أن دراسة القصيدتين السابقتين تفتح الباب أمام الكثير من الأسئلة خصوصا ما تعلق منها بفكرة الجامعة الإسلامية التي دعمها وسعى إليها السلطان عبد الحميد الثاني ومدى تغلغلها في الأوساط الشعبية ووصولها على أعماق الصحراء الجزائرية رغم بعد المسافة، وسطوة الاستعمار، وتخلف سبل الاتصال والمواصلات،

[1]- مطلق، مرجع سابق، ص54_58.

فهل كان الشاعر يمارس دعاية إعلامية بمفهوم ذلك العصر لفكرة الجامعة الإسلامية وتحريض الناس على الثورة على الاستعمار؟

3/الشاعر عبد الله بن كريو1871-1920 :[1] هو عبد الله بن القاضي الحاج مُحَمَّد بن الطاهر التخي المعروف بابن كريو، ولد الشاعر خلال سنة 1871م بمدينة الأغواط وهو لا يفتأ يذكرها مباهيا بإنتماءه لها وبأن عائلته تعد من أعرق العائلات التي استوطنت المدينة.

وهو لا يفتأ يذكرها مباهيا بانتمائه لها وبأن عائلته تعد من أعرق العائلات التي استوطنت المدينة حيث قال :

أغواطي، في نسبتي وبلا تفخار وجدودي حطوا الساس التحتاني**[2]**

تعلم الشاعر في مسقط رأسه فحفظ القرآن الكريم، وقرأ الفقه والأحاديث النبوية ومتن ابن عاشر على يد مشايخ المدينة، كما أنه اهتم باللغة العربية وأتقن قواعدها فأمسى صاحب لسان لذيق ولفظ أنيق، لطيف الكلام، ولأنه ينتسب إلى دار علم نشأ تنشئة متينة في العلوم القانونية الإسلامية كما أظهر الشاعر ميولا إلى علم النجوم والفلك والفلسفة والطب وغيرها من العلوم، وقد تتلمذ ابن كريو على يد خبرة علماء المدينة في تلك الحقبة أمثال الشيخ إبن الدين بن سيدي الحاج عيسى (صاحب الرحلة) و العالم مُحَمَّد الحاج مُحَمَّد بن طاهر كريو (والده)الذي شغل منصب باش عدل في الأغواط لمدة 35 سنة. [3]

وقد أهلته، ثقافته الواسعة إلى تقلد مهنة القضاء مقتفيا أثر والده الذي سبقه إلى الولوج هذا الميدان إذ شغل منصب باش عدل في الأغواط[4]، وقد لمع نجم الشاعر في أوساط الجماهير، وراجت قصائده بين المدن والقرى خاصة تلك التي تحكي قصة حبه مع فاطنة الزعنونية، ولعل هذا ما ألب عرش الزعانين عليه فسعوا إلى الكبد له والحفاظ على شرفهم، إلى أن تم إبعاده إلى خارج المدينة كما يبعد

[1]- إبراهيم شعيب، **التوخي لجمع أشعار عبد الله التخي**، ط1، مطبعة السلام، الجزائر، 1998، ص19.

[2]- المرجع نفسه، ص 65.

[3]-نفسه، ص20-25. علالي، مرجع سابق، ص83-84.

[4]- مُحَمَّد البشير الابراهيمي ، **التراث الشعبي** ...، مرجع سابق ، ص 45.مدني لبتر، مرجع سابق، ص115-116.

البعير الأجرب، كما أن شاعرنا قد عرف بميله إلى مجالس اللهو والمجون، وهذا لا يمنع من أن الشاعر قد رجع عن كل ما اقترفه، وتوجه إلى ربه معترفا بذنبه طالبا عفوه ومغفرته.

وقد عاش الشاعر مع محبوبته قصة رومانسية، تذكرنا بقصص الحب في الجاهلية، إلا أن البيئة التي ترعرع فيها ابن كريو ترفض مثل هذه الأخلاق، وظل مجنون الزعنونية، وفيا لحبها إلى أن وفته المنَية سنة 1921م تاركا وراءه أدبا رائعا، جسَد فيه تاريخ المنطقة بما تضمنه من عادات وتقاليد وثقافة نابعة من الروح الإسلامية والعربية التي تشبع بها الشاعر، ومن الشائع إن الشاعر عبد الله بن كريو شاعر مولوع بالغزل و الحب لكن الدراسات الحديثة أثبتت أنه كان يتمتع بثقافة واسعة في الفلسفة و الطب و لذلك استعمل أسلوب الإيحاء في شعره مما أدى إلى نفيه من مدينة الأغواط إلى منيعة مدة أربعة أعوام ابتدأ من سنة 1890 إلى غاية 1903. [1]

كما أن شاعرنا قد عرف بميله إلى مجالس اللهو والمجون، وهذا لا يمنع من أن الشاعر قد رجع عن كل ما اقترفه ، وتوجه إلى ربه معترفا بذنبه طالبا عفوه ومغفرته وفي ذلك يقول :

يا ربي يا خالقي جود علياوافتح لي بيبان فضلك يا وهاب**

سهلي في الواعصه يا مولاياامحي سيياتي وتغفر يا تواب**

4/الشاعر شهرة بلخير: 1895– هو بلخير بن الورنوقي بن مُحَّد بن شهرة، ولد خلال سنة 1895م ببلدية الأغواط، ينتسب إلى قبيلة السكاسكة (الأرباع) ، حياته بدوية في جميع أشكالها وضروبها، حياة الحل والترحال صيفا في التل وشتاء في الصحراء، سعيا وراء مراعي الأنعام.[2]

كما قام برحلتين إلى الأرض المقدسة لتأدية فريضة الحج، الأولى سنة 1962م، والثانية 1973م، وقد تركت هذه الرحلة في نفسه إحساسا مرهفا، فقال في ذلك شعرا جميلا، يهوى الشاعر الفروسية وركوب الخيل والصيد وقرض الشعر، وبقي غريبا عن منطقة الأغواط مدة 22 سنة

[1]– شعيب، مرجع سابق، ص 30–36 . العربي دحو، **معجم** ..، مرجع سابق، ج1، ص265. علالي، مرجع سابق، ص84. ورنيقي الشايب، مرجع سابق، ص23–27.

Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat dignité**.. , Op.Cit, p359-371.

[2]– الشايب ورنيقي، مرجع سابق، ص28.

بتيارت ومدة 8 سنوات بورقلة ثم رجع إلى مسقط رأسه، هذه الغرَبة بعثت في نفسه الحنين والشوق إلى منطقته وقال فيه شعرا كثيرا، وله مشاركة فعلية إيجابية في الثورة المسلحة، أثناء رئاسة فرحات عباس، أخذ الشاعر ثقافته الأولية في الكتاتيب القرآنية المتنقلة بالبادية، وحين بلغ الشاعر أشده تأثر ببعض الشعراء المشهورين مثل عبد الله بن كريو والشيخ السماتي وسي بيطار من أولاد سيدي الشيخ[1]، وبتأثره بهؤلاء الفحول تكونت لديه ملكة شعرية رائعة وأصبح يقرض الشعر بكل طلاقة وسهولة.[2]

وقد كانت هناك مناظرات شعرية تقوم بين هؤلاء الشعراء، وقد حدث أن أعترف ابن كريو بقيمة شعر شاعرنا، إذ قال له يوما: "خنقتني بشعرك" كما قال له الشيخ السماتي: "أنا أهوى شعرك" وهذا إنما هو اعتراف وشهادة تتجلى من خلالها جودة شعر شهرة بلخير وقيمته العالية.[3]

5/الشاعر مُحَّد بن كركبان (1898م– 1949م): ويعرف كذلك بمحمد الأغواطي من قبيلة أولاد عيسى (الأرباع)، ولد بمدينة الأغواط له شعر جيد لا يزال شفويا، كان يعمل خبازا، وتوفي في أواخر الأربعينيات بالأغواط، نقلنا بعض قصائده عن الحاج البشير صاروط، وعن مصطفى العمري، وعن السيد رحماني معمر، والمرحوم مُحَّد عطية.[4]

6/دهينة دهينة بن الحاج عيسى1966/1885: هو من أولاد بوزيان ولد بالأغواط و نشأ عصاميا تعلم اللغة العربية في الكتاب وكان يتقن اللغة الفرنسية و التي أتقنها بالتحاقه بالمدرسة الفرنسية, كان يهتم بعلم الفلك وقد تحصل على شهادة في هذا التخصص عبر الدراسة بالمراسلة من فرنسا سنة 1928 ،كان شغوفا بتعلم اللغة العبرية و اللهجة الميزابية وكان يستطيع الترجمة منهما, اشتغل آن ذاك التجارة مثل أخيه الحسين وانتسب لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين،[5] ولم يلتحق

[1] – للمزيد حول هؤلاء الشعراء : أنظر ، البشير الابراهيمي ، **التراث الشعبي** ... ، مصدر سابق، ص 46.

[2] – ورنيقي الشايب، مرجع سابق، ص28.

[3] – المرجع نفسه، ص29.

[4] – نفسه، ص 36.

[5] – ورنيقي الشايب، مرجع سابق، ص34.

بأي وظيفة حكومية إلا انه كان له دورا بارزا في حركة الإصلاحية في منطقة الأغواط [1]، وهو تلميذ الشاعر ابن كريو حيث كان متزوجا ابنة عمه، ويذكر أنه أحرق شعره اثر مرض سنة 1925م، كما حكى ذلك تلميذه السيد مصطفى العمري، وما بقي من شعره يدل على فحولته، وقد أثبتنا للشاعر قصيدة طويلة منها مقتطف يحكي عن حادثة عاصرها، والقصيدة تنضوي في غرض النسيب،[2] وهى بعنوان« عام آن فسدت السواق بالقصير[3]»

7/الشاعر علي بن شهرة (1892–1963) :علي بن شهرة بن الطيب بن شهرة, لقب عائلته ابن شهرة, و اشتهر كذلك باسم علي المرابو وهي كنية عرف بها لأنه كان معلما, يدرس باللغة الفرنسية, التحق بالمدرسة العليا ببوزريعة بالجزائر للتكوين المعلمين و تخرج منها سنة 1900م وعين معلما في مليكة بغرداية أحد قصور وادي الميزاب, ثم انتقل إلى قصر الحيران ثم الأغواط كما أنه كان الحاج يتقن اللغة اللغة العبرية و الدليل على ذلك الرسالة التي ترجمها لصديقه الحاج عيسى دهينة ، ويذكر الشاعر أنه كان متأثر بالثقافة الفرنسية وكان ينشر الأفكار الاستعمارية إلى العامة من السكان عن قصد أو عن غير قصد، ويقول الأستاذ محمود علالي أن الدليل على ثقافة الشاعر بن شهرة الفرنسية هي ترجمته لقصيدة الماريشال من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية باللهجة العامية أي الدراجة حتى يتنسى للشعب أن يتعرف على الثقافة فرنسا الأدبية وغيرها .[4]

8/الشاعرة فاطنة شناف :1912– ولدت الشاعرة سنة 1912م بمدينة الأغواط من أسرة تهتم بتعليم والثقافة الوطنية والتفتح الايجابي فعملت على توجيه بناتها نحو التعليم والاصلاح اذ ألحقتهن بمدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء المسلمين وكلهن نجحنا في التحصيل ولاسيما الزهرة وجميلة اللتان أصبحتا معلمتين بنفس المدرسة ، ولما اندلعت ثورة التحرير بادرتا مع الأم الشاعرة الى النضال في صفوف جبهة التحرير الوطني وتعرضتا للاعتقال والمحاكمة ، وقد تفاعلت الشاعرة مع

[1]– محمود علالي , مرجع سابق , ص84–85. محمد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص244.

[2]– ورنيقي الشايب، مرجع سابق، ص34.

[3]– المرجع نفسه، ص34–25.

[4]– نفسه، ص61 وما بعدها. علالي، مرجع سابق، ص 85.

أحداث ثورة التحرير ، وقصائدها حول الثورة في الأغواط فمتعددة ، وقدم ضم ديوانها عدة قصائد تغنت فيها بعهد الحرية والاستقلال. [1]

9/حدبي الشريف بن مخلوف بن أحمد : (**1850–1925**) عاش وترعرع بمنطقة الجبل الأزرق مكث طويلا بالادريسية، وله عدة قصائد يذكر فيها المدن التي زارها وله قصيدة مشهورة عنوانها" سرنا من لغواط قدام البكرى " ، كما اشتهر الشاعر بقصائد الغزل والرثاء والمدح مثل قصيدة "يامن تغدى لعرش المخاليف" والتي مدح فيها عرش المخاليف ، كما دونت له كذلك بعض المقتطفات من قصيدة الجمل التي جاء يشتكي الى الرسول ﷺ ومقتطفات من قصيدة بعنوان " بيت الكرم " وقد وضعت مخطوطته بعد وفاته في زاوية سيدي المخلط بالمكان المسمى بن يعقوب عند أولاد يونس[2].

10/مخلط بن أحمد المخلط : (1885-1976) عاش وترعرع في البادية ،كان شاعر دائم الزيارة إلى الأغواط والجلفة ويزور الزوايا والقرى والمدن ، له رصيد هائل من القصائد كان شاعرا بارعا شعبيته كبيرة أحيا الحفلات وأطرب اللقاءات خلال وعدة سيدي مخلوف و وعدة سيدي عطاء الله بتاجموت وكان يتردد على زاوية سيدي أحمد لمين ببخداش والشارف ومن قصائده قصيدة " لالة ركب إخوان" والثانية "يا أهل الشارف " وقصيدة " يا قمري " .[3]

11/مخلوفي الحاج سعدي (1882–1969): ولد بعرش مخاليف الأزرق ، تعلم القران على يد شيوخ البادية مثل الشيخ بن زاهية وسي طويسي وغيرهما من شيوخ الأرباع واولاد نايل جعل المرحوم من خيمته مدرسة قرانية ، أدى فرضة الحج في العشرينيات مشيا على الاقدام وكان مقصدا للفرق المجاورة وهو أحد المثقفين والأعيان وكاتب المجلس البلدي إبان ثورة التحرير بجبل الأزرق، له عدة قصائد أشهرها قصيدة " سيدي الحاج منين قبل الصحراء " التي نظمها خلال الثلاثينيات حيث يذكر فيها مشاهد من الصحراء مرورا بعرش رحمان والحرازلية وتلغيمت وبريان وغرداية حتى ينتهي في

[1]- مدني لبتر ، مرجع سابق، ص 118- 119.

[2]- الصادقي مخلوف ، **أشهر التآليف** ، مرجع سابق ، ص 22.

[3]- المرجع نفسه ، ص 25.

أعماق الصحراء الواسعة وله قصيدة اخرى بعنوان "هده امة بعدها " أي بعد 1945م وقصيدة نظمها سنة 1963م بعد الاستقلال تروي وقائع الثورة الجزائرية[1].

12/ارزيقات عمر المدعو "عمير "(1894–1980): عاش وترعرع بالبادية بالجهة الغربية المحاذية لمدينة الأغواط، كان الشيخ ناشطا خلال الحركة الوطنية وثورة التحرير ، دخل سجن الجلفة سنة 1942م وسنة 1943م ، ولقد ذكره في عدة قصائد منها قصيدة بعنوان " زمام العدم " أي المحكوم عليهم الاعدام وأخرى " يا مُحَّد سيدنا " واصل عمله الثوري ضمن المجلس البلدي الأول لعرش المخاليف وناضل الى غاية الاستقلال.[2]

13/بوشويرب مُحَّد المدعو (لشهب) (1898–1954): عاش ببادية الأغواط بين الحل والترحال، وله قصيدة طويلة بعنوان "اللي قاطع عن صحتو " وهي تمثل رحلة تمت خلال فصول السنة من تلال طاقين والشلالة إلى صحراء غرداية ومدنها يعرفنا الشاعر من خلالها ببعض السهول والجبال والقرى والمدن ، وكذلك عن المرحول والجحفة والباصور وصفات الجمال وعن انواع القمح الفاسي والبيدي والخيل وعن الصيد بأنواعه المختلفة كما يتوسل بالأولياء الصالحين.[3]

14/صادقي الطاهر بن مُحَّد (1903–1978) : ولد سنة 1903م بسيدي مخلوف، يعرف باسمه الثوري (زقوق الكاف) من المجاهدين المخلصين الذين ضحوا بأموالهم وأنفسهم، ناضل بالحركة الوطنية خلال الأربعينيات نفي من بلده من طرف القياد أنداك لأسباب سياسية، عند اندلاع الثورة التحق بجيش سي عاشور زيان بجبل بوكحيل منذ الأولى عمل كمسبل في ضواحي الجلفة و الجبل الأزرق بالأغواط يعرف المرحوم بأشعاره الطويلة وبحسن التلحين والأداء كلف بعد الاستقلال بإدارة ضريح الولي سيدي مخلوف، له عدة أشعار من بينها قصيدة بعنوان " الله الله يا مولانا"[4]

[1]- الصادقي مخلوف ، **أشهر التآليف**، مرجع السابق ، ص 29.

[2]- المرجع نفسه ، ص 40..

[3]- نفسه ، ص 47.

[4]- نفسه ، ص 52.

15/الصادقي المخطار بن الرابحي (1912–1974): كان ناشطا ضمن الحركة الوطنية، التقى بفرحات عباس عند زيارته للأغواط ودخل السجن سنة 1951م ، وبدأ عمله الثوري سنة 1956م ، وسجن مرة ثانية سنة 1957م بالأغواط بعد معركة متليلي واعتقل بالجلفة مرة ثالثة 1959م، كان من أصدقاء سي أحمد لمين صاحب الزاوية الميساوية ببخداش، وقد ترك أرشيفا من الرسائل والوصولات الثورية وله قصائد منها قصيدة " قصة قصة " وهي قصيدة شوق لابنه[1].

16/صادقي عائشة بنت الرابحي بن مُحَّد (1917–1995): تعتبر الشاعرة من عائلة محافظة مثقفة بها أكثر من اثني عشر شاعرا في الملحون عاشت في البادية مع الترحال من الصحراء الى التل الى غاية منتصف عمرها حيث دخلت المدينة لتستقر بعد زواجها بالمرحوم غزلان وهو شاعر أيضا وكانت جارة للمسجد العتيق لها رصيد يفوق عشرين قصيدة، تتميز هذه الشاعرة ببلاغتها وفنها الشعري وكلماتها المعبرة، لها مجموعة من القصائد منها " يا خويا" التي نظمتها عند سجن أخوها المختار سنة 1951م، وقصيدة اخرى بعنوان "الله يا رب القادر " نظمتها خلال الثورة التحريرية وقد جاهدت رفقة أفراد من عائلتها.[2]

17/مُحَّد قفاف: وقد عاش في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وله قصيدة رائعة تصف التغييرات التي طرأت عل المجتمع الصحراوي بسبب تغيير النظام العسكري إلى النظام المدني بعد سنة 1871، والتأثير السلبي لهذه التغييرات على حياة القبائل البدوية.[3]

وهناك العديد من الشعراء الذين لم يسعنا أن نذكر سيرهم وأعمالهم وأشعارهم، من أمثال الشيخ المبروك مبارك الحرزلي، أحمد الخنوس ، عطاء لله الهادف، محاد الطاهر..الخ وأسماء أخرى.[4]

[1]- الصادقي مخلوف ، **أشهر التآليف**، مرجع سابق ،ص 71.

[2]- المرجع نفسه ، ص 84.

[3]- العربي دحو، **معجم** ..، مرجع سابق، ج1، ص409-410.

[4]- الشايب ورنيقي، مرجع سابق، ص37.

المبحث الثالث: الطب الشعبي:

أولا: مفاهيم ومصطلحات: منذ فجر التاريخ حول الانسان البحث فيما حوله عن للأوجاع باستخدام الوصفات الطبية الشعبية ، وقد توارثت المجتمعات الوصفات الطبية الشعبية وطرائقها التقليدية بحثا عن الشفاء، ولبعض هذه الأساليب جذور عميقة تعود إلى حضارات قديمة قدم التاريخ مثل الحضارة الفرعونية واليونانية وما بين النهرين والهندية والعربية اذ استطاعت أن تستفيد من بعض الخصائص الطبية للأعشاب .[1] ومع بداية ظهور الإسلام وتوسعه ظهر للوجود العديد من العلماء الذين اشتهروا في ميدان الطبابة باستخدام الأعشاب والعقاقير المتوفرة في الطبيعة، ولعل من أبرز هؤلاء الأنطاكي وابن سينا والرازي وابن ميمون والبيروني والزهراوي وفي الجزائر مثلا ابن حمادوش[2]..الخ

وقد استخدم الإنسان النباتات الطبية التي تنبت في الأماكن الرطبة وفي الظلال وفي المياه الراكدة والأنهار والبحيرات والمروج والشعاب، كما اعتمد على لحوم الحيوانات واجزائها المختلفة من جلود وعظام، وإفرازات وغدد وريش، واستخدم كافة أنواع الحشرات ومخلفاتها التي اهتدى لتجربتها في العلاج، واستخدم أجزاء من جسم الحيوان ومخلفاته في الاستشفاء ومنها (مرارة) الأغنام كغلاف لجروح الأعصاب، والجبن الطري لمنع تورم الجراحات والجبن القديم للقروح الرديئة وللمريض بعد العمليات الجراحية، كما أحرق الانسان السلحفاة كاملة لتتكلس مع الفلفل لإزالة الربو المزمن والسل والقرحة، وعلاج القروح والسرطانات الخبيثة[3].

يتضمن التراث الأنثروبولوجي رصيدا كبيرا من المصطلحات الدالة على الطبابة الشعبية المتنوعة، ويظهر هذا التعدد والتنوع في المصطلح الدال على ذات المعالج حينا، وفي التخصصات العلاجية الشعبية حينا آخر. فالشخص المعالج بالأعشاب والنباتات مثلا يطلق عليه اسم (العشاب) أو (العطار)،

---

[1]- حسان قبيسي ، **معجم الأعشاب والنباتات الطبية** ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت 20004 ، ط6، ص 14. هشام سليمان أبو عودة ، **الصيدلة عبر العصور** ، مجلة فيصل ع، 44مارس 1981، ص ، 91. حازم البكري، **العقاقير الشعبية والأدوية العطارية**، مجلة التراث الشعبي ، دار الجاحظ للنشر، العراق، مج 12، ع9-10، 1981، ص106 وما بعدها.

[2]- صليحة علامة ، **الأحوال الصحية في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي 1830- 1962 عمالة الجزائر نموذجا** ، رسالة دكتورة ، جامعة تلمسان ، 2017 ،ص 23.

[3]- حازم البكري، مرجع سابق، ص114-115.

ومعالج الكسور والفلتات المفصلية اسم (الجبار)، والمعالج بالآيات القرآنية اسم (الطالب) أو (الفقيه)، وهكذا تزداد المصطلحات المستخدمة تعددا و تقدما داخل الثقافة الشعبية الجزائرية، فالشواهد الاثنوجرافية تؤكد على أن المعالجين الشعبيين غالبا لا يقتصرون على حرفة العلاج الشعبي فحسب وإنما هم يمارسون حرف أخرى، علاوة على شغلهم أوضاعا اجتماعية مغايرة، ولعل صورة الفلاح في المجتمع الجزائري أدق مثال على ذلك، حيث نجده يمارس مهنة الفلاحة ونفس الوقت يمارس مهنة الطبابة مثل: الختان (الطهارة)، وتجبير الكسور والكي والحجامة.[1]

والواقع أن مفاهيم الصحة والمرض والوقاية والعلاج تعد نتاجا للثقافة السائدة، فهي تقع تحت تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية المتنوعة حول الأسباب والوقاية والنتائج، والمجتمع الجزائري مشبع بتراث علاجي شعبي لا مجال لحصره يغطي معظم مجالات الصحة والمرض، وقاية وعلاجا، ولذلك فهي تفسر على أساس المعتقدات الشعبية حول جسم الإنسان وعلاقته بالعالم الطبيعي الذي يعيشه ويدركه، والعالم فوق الطبيعة الذي يعجز عن ادراكه، وما يحويه من الكائنات المتنوعة، ومنها الملائكة والجن، ولا يخرج تفسير المعالج الشعبي عن هذه التصورات، وكذلك تفسير الأفراد لأسباب المرض.[2]

ويعتقد مُحَمَّد الجوهري أن الطب الشعبي من أكثر المجالات التي لها صلة وثيقة بالتراث الشعبي للمجتمع وأن هناك تداخلا وتفاعلا متبادلا بين مختلف ميادين المعتقدات الشعبية من ناحية وبينها وبين الميادين الأخرى من ناحية أخرى ويعتبر هذا التداخل خاصية مميزة للثقافة الشعبية، وأكثر من هذا فقد تخصصت عائلات بأكملها في العلاج بالأعشاب، يرثون المعرفة والخبرة من الآباء والأجداد، ويرثها منهم الأبناء والأحفاد، فإذا عجزت النباتات المحلية جلب الأفراد من الخارج ما يكفيهم لحاجاتهم العلاجية[3].

---

[1]- فلة القشاعي، مرجع سابق، ص269 وما بعدها.

[2]- نعيمة عيزل، **الممارسات العلاجية الشعبية في المجتمع الجزائري**، رسالة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، إشراف جويدة عمر، جامعة الجزائر 2، 2015، ص60-61.

[3]- مُحَمَّد الجوهري وآخرون ، **مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري** ، ط1 ، 2006. مصطفى خياطي ، **الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية** ، منشورات ANEP ، الجزائر 2013، ص 63-64.

ثانيا: أنواع المعالجات الشعبية في منطقة الأغواط: يمكننا تقسيم الطب الشعبي إلى قسمين، الأول: "الطب الشعبي الطبيعي" كالكي والتجبير الكسور واستعمال الأعشاب، وثانيهما يسمى : "الطب الشعبي الغيبي أو الروحاني" كالعلاج بالأحجبة القرآنية وزيارة أضرحة الأولياء وضرب معدن الرصاص في الماء، واستخدام البخور والبارود وغيرها من الطرق العلاجية الأخرى[1].

وقد لاحظ الفرنسيون بعض العادات الصحية أو المحذورات التي كان يلتزم بها الجزائريون وهي مستمدة في الغالب من تعاليم الفقه أو من التجربة والعادة مثل: عدم النوم على جهة الوجه، وترك القمامة في البيت، والجلوس أمام باب الغرفة، ومسح الوجه بالثياب، والتبول عاريا أو واقفا، وخلع الملابس تحت ضوء الشمس أو القمر، وترك الأواني غير مغطاة في أوقات معينة في السنة مثل (جانبر).[2]

1/ العلاج بالأعشاب والنباتات الطبية، العشاب (العطار): يمثل العلاج بالأعشاب والنباتات الطبية نمطا من أنماط الممارسة العلاجية الشعبية يحترفه مجموعة من الممارسين لكونهم يتوافرون على الخبرة والمعرفة والممارسة للأعشاب الطبية وطريقة استخدامها وخصائصها العلاجية والوقائية، وذلك عن طريق الوراثة أو عن طريق الاكتساب، ولعل ازدهار العلاج العشبي في المجتمع (الجزائري) يعود إلى توافر تغطية نباتية وبيئية مناسبة لنمو مختلف أنواع الأعشاب والنباتات العلاجية، ثم كثرة الأمراض وتزايدها موسميا، وانعدام الخدمات الصحية الرسمية في الكثير من الحالات لاسيما في المناطق النائية، ولذلك نجد تمركزا لبيع الأعشاب سواء على مستوى محترفيها (العطارة) أو(العشاب)، أو على مستوى الأسواق الشعبية العمومية الأسبوعية.[3]

وفي ضوء ثراء البيئة الجزائرية بالأعشاب العلاجية، ازدهر العلاج بالأعشاب في مختلف مناطق الجزائر،[4] ومن جهة أخرى فإن ندرة الأعشاب العلاجية وافتقادها أحيانا على المستوى المحلي لم يقف

---

[1]- سرقمة عاشور، **مرجع سابق**، ص 198. نعيمة عيزل، مرجع سابق، ص60.

[2]- خياطي، مرجع سابق، ص81.

[3]- خياطي، مرجع سابق، ص 139 وما بعدها. فلة القشاعي، مرجع سابق، ص289-293. علامة صليحة، مرجع سابق، 254 وما بعدها. مجاهد يمينة، **تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف دحو فغرور، جامعة وهران 1، 2018، ص102.

[4]- حليمي عبد القادر ، **النباتات الطبية في الجزائر** ، براقي ، الجزائر 2004 ، ص 4. خياطي، مرجع سابق، ص 140.

حاجزا دون جلبها من الخارج المشرق أو المغرب لاستخدامها في العلاج، ولعل من أكثر العلاجات الشعبية انتشارا العلاج بالكي، والحجامة، والتوليد، والوصفات العلاجية المنزلية، وقد اكتسب المعالج بالأعشاب شهرة أوسع بحكم صرامة طقوسه، وتنوع صلاحياته ودقة الاعداد والتنظيم له، مما اضفى صرامة ومصداقية على الممارسة، وقد اشتهر بنو ميزاب في المنطقة كخبراء في جمع الأعشاب ذات المنافع الطبية، وكانوا يقومون بتصنيفها وفقا للأمراض التي يعالجونها بها.[1]

والبيئة الجزائرية جدّ غنية بالأعشاب الطبية مثل الشيح لأمراض المعدة والحنظل والسدر الذي تؤكل ثماره وتفيد في علاج أمراض الصدر والتنفس وتنقية الدم ومسهلة ومعالجة التبول الفراشي، كما ينتشر نبات العوسج المعمر وهو مقو عام ومدر للبول ومسهل، أما نبات الجعيدة فهو نبات يفيد في علاج التهابات الأمعاء الغليظة و الحمى والبول السكري، ويعتمد عليه أهل البادية كثيرا في علاج الملاريا، والنساء بصفة عامة يعتمدن على نبات كف مريم (شجرة الطلق) في تسهيل عملية الولادة حيث يزيد من حدة الطلق، والقرنفل لأمراض الروماتيزم، والقرطوفة للزكام، وعصير التمر "الرُب" للنشاط والحيوية، وحليب النوق وبولها للمحافظة على مناعة الجسم،[2] ويستخدم نوى التمر لعلاج أمراض الكلى والمجاري البولية، في حين يستعمل طلع النخل مع العسل لعلاج البرود الجنسي والعقم.[3]

ومن الأعشاب والنباتات العلاجية المستخدمة في علاج آلام البطن (النعناع والكروية)، وآلام اللوزتين (قشر الرمان)، (والليمون)، وآلام الأسنان (القرنفل)، أي (عود النوار عندما)، والربو والحمى (الورد الجاف والجعيدة والقرفة)، والتسمم (الصبّار)، والحساسية (الزعتر) والامساك وآلام الكبد والرأس (السنا مكي وعين الأرنب، وحبة حلاوة)، والحموضة (الحبة السوداء أو حبة البركة)، وقروح الجلد (زيت الخروع).[4]

[1]- فلة القشاعي، مرجع سابق، ص290. علامة صليحة، مرجع سابق، 271. مجاهد يمينة، مرجع سابق، 103.

[2]- سرقمة عاشور، مرجع سابق، ص198.

[3]- الطيب العماري، مرجع سابق، ص51. أنظر أيضا: علامة صليحة، مرجع سابق، ص 273.

[4]- بن شوك فاطمة الزهراء ، **التداوي بالأعشاب العطرية في الناحية السهبية بتلمسان** ، رسالة ماجستير، 2008، ص 33. مجاهد يمينة، مرجع سابق، ص 102-104.

ومن أهم النباتات التي استعملت بكثرة نبتة الحناء (الحنة) حيث استعملت ضد كل أنواع الدمامل والقيح والتشققات والكدمات والكسور وآلام المفاصل، ووضعت على الشعر لتقويته،[1] وهناك فكرة استشفائية منتشرة تتخلص في أن لكل نبات أو غذاء علامات أو رموز تدل على نوعية استعماله من الأمراض التي يمكن أن يشفيها، ومن النباتات الشهيرة بالمنطقة نبتة الشيح، وهي تستعمل مع القهوة غالبا أو الشاي، كما تمضغ صباحا لتعطي الفم رائحة زكية، كما يستعمل مع التبغ للتدخين، وهي نبتة ذات فعالية كبيرة لعلاج كثير من الأمراض الهضمية والتناسلية[2]

ويزودنا الباحث في علم النبات أحمد صيقع في كتابه "علم الأحياء لكنافات تنوخية شمال الصحراء"، بقائمة من النباتات ذات الاستعمال الطبي في المنطقة منذ عصور قديمة، ومثال ذلك: نبتة الخبيزة التي استعملت ضد احتقان البول في المثانة، ونبتة الخروب كمضاد للإسهال، وعشبة سرغين العطرية الفواحة التي استعملت في التداوي والسحر، والدردار، والحرشة (لسان الثور)، كما عدد خواص ثمرة النبق الغنية بالبروتين والتي كانت مفيدة في تغذية الإنسان الصحراوي وغيرها،[3] كما استعملت الشندقورة وهي نبتة تنتشر في المنطقة بكثرة كشراب مطبوخ وعلاج لبعض الأمراض الهضمية[4].

ومن بين الممارسات العلاجية بالأعشاب والنباتات في منطقة الأغواط ما ذكره ترواملي عن استعمال ورق البطم (الفستق الأطلسي) وهي تنتشر بكثرة في المنطقة، لتبريد الفم وتعطيره وفي حالة حرقها فإن دخانها مفيد لإراحة المسافر المتعب، كما أن لبان البطم يقوي اللثة ويبيض الأسنان، أما ثمرة البطم وهي المعروفة محليا بالخثيري فله أيضا خواص استشفائية،[5] كما أن شهر أفريل كان هو الشهر المفضل لقطف الأعشاب البرية الطبية، وتسمى محليا: "دواء يبرير".[6]

---

[1]- خياطي، مرجع سابق، ص75-76. منيرة أميرة سقة، **الحنة النبتة المتعددة الاستعمالات**، مجلة باب الزمان، ع1، جانفي 2016، ص89.

[2]- خياطي، مرجع سابق، ص261.

[3]- صيقع، مرجع سابق، الخبيزة: ص15، الخروب: ص64-65، سرغين: ص75، الدردار: ص85، الحرشة: ص87، النبق: ص60.

[4]- خياطي، مرجع سابق، ص138.

[5]- ترواملي ، مصدر سابق، ص550. خياطي، مرجع سابق، ص260.

[6]- مخلوف الصادقي، **مراحل وأشواط**، مرجع سابق، ص278.

ومن بين المهتمين بالعلاج التقليدي في منطقة الأغواط الشيخ الأزهري بن المبروك بن عزوز من أبناء الزاوية الزاوية الرحمانية وكان آية في الطب والجراحة والحكمة ، وله نظام عجيب في تركيب الأدوية واستعمالها واشتهر في علاج كثير من الأمراض المستعصية والعلل المخوفة. [1]

ومن بين العشابين والمهتمين بالطبابة الشعبية التقليدية سي مُحَّد بن زرنان، والذي ذكره الأستاذ أحمد صيقع في كتابه : "علم الأحياء لكنافات تنوخية شمال الصحراء" كأحد معلميه وأساتذته، وذكر أنه كان يجمع الزيتون من رحبة الزيتون في وسط الأغواط ومن الحدائق والبساتين ويقوم بعصرها، ويصنع منها صابونا خاصا من زيت زيتون الأغواط، كما كان يقوم بتقطير الأعشاب الطبية والعطرية وغيرها، وقد صنع أجهزة التقطير بنفسه، إلى جانب مشغولات يدوية وأعمال فنية، وهو إلى جانب هذا معلم للقرآن في كتَابه من الصباح إلى المساء.[2]

ومن العشابين في منطقة الأغواط: عبد القادر قويدري العطار سنة 1955 هذا الأخير كان له دكان بحي الغربية يبيع الاعشاب الطبية و(زهم النعام) ويحشو جلود الحيوانات كالغزال وغيره،[3] ومما يؤثر عن سيدي الحبشي بن سيدي عطاء الله (دفين تاجموت) أنه قد اعتكف على كتابة مخطوط يحوي كل ما يتعلق بوالده ومناقبه وأوراده وعلمه، وقد تناول في جانب منه طرق التداوي والاستشفاء من الأسقام، وقد احتفظ بهذا المخطوط المعروف باسم: كناش سيدي عطاء الله في ضريحة إلى فترة ما بعد الاستقلال حيث اختفى دون أثر، وقد اطلع عليه كثير من المهتمين ولاشك بأنهم قد استفادوا من هذا التراث.[4]

ومن بين المهتمين والعارفين بطب الأعشاب مُحَّد الكبير بن مُحَّد البشير بن مُحَّد الحبيب بن الشيخ أحمد التيجاني، وهو أحد خلفاء الطريقة التيجانية في عين ماضي (كما سيأتي تفصيله)، وقد أفاد الشيخ أحمد سكيرج أن مُحَّد الكبير كان عالما بالأعشاب ومنافعها وبالأمراض وأدويتها، وقد استفاد من

---

[1]- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الطريقة الرحمانية** ، مرجع سابق، ص133.أحمد لبقع، **وادي مرة بطولات وأمجاد وميراث أجداد**، مطبعة رويغي، الأغواط، 2019، ص29-30.

[2]- أحمد صيقع، مرجع سابق، ص112.

[3]- مخلوف الصادقي، **مراحل وأشواط**، مرجع سابق، ص144.

[4]- الأخضاري، مرجع سابق، ص128.

نصائحه لمعالجة ألم كان يلم به في أسنانه، وقد كتب العلامة سكيرج كتابين في الطب بناء على طلب مُحَّد الكبير (المذكور) جمع فيه ما أثر وروي عن طب الشيخ أحمد التيجاني، وقد عنون الأول ب: "نيل الأماني في الطب الروحاني والجثماني المروي عن الشيخ التيجاني من كتب الأسرار ذات الصلة بالأدعية والأوراد والأوفاق والدوائر وخواص الأسماء والطلاسم والرموز والأذكار المتعلقة بقضاء الحوائج وتيسير الأمور وجلب اللطف والفرج ودفع المكاره مع بعض البيانات الخاصة بالاسم الأعظم ومقاصده وأدعيته وشروطه"، أما الكتاب الثاني فعنونه بـ: "البدر المنير في الطب التيجاني المرفوع لمولانا الكبير".[1]

2/ المعالجة بالتجبير (الجبار): ممارسة علاجية شعبية هي الأخرى واسعة الانتشار، فلا تخلو منطقة من مناطق الجزائر من (جبار) يتولى مهمة علاج الكسور، والفلتات المفصلية وهي ما يصيب عضلات الجسم من التواءات أو ارتخاءات أو غير ذلك، زيادة على معالجة ما يصيب العظام من تشققات، ويحظى الجبار بثقة مطلقة من المستفيدين منه، أكثر مما يحظى به اطباء العظام وتتم العملية عن طريق العظام المكسورة الى مكانها الطبيعي وتوضع الرجل في حصيرة مشبعة الزيت ثم تلف بالجبس. [2]

3/ المسادة التدليك : هذا النوع من الممارسات العلاجية الشعبية يشترك فيه الرجال و النساء، فبالنسبة للممارسة الرجالية، ينحصر دور المساد في إعادة الفلتات المفصلية بمختلف أنواعها إلى أمكنتها الأصلية، أما بالنسبة للممارسة النسائية فتنحصر أساسا في معالجة العقم و آلام الظهر و الفلتات المفصلية[3].

---

[1]- أحمد بن العياشي سكيرج، **رفع النقاب بعد كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب**، تح: مُحَّد الراضي كنون الحسني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2014، ج1، ص278.

[2]- أ.ف. شوبيرغ ، **الطب الشعبي في الجزائر** ، تر : ابو العيد دودو ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2005 ص 44. خياطي، رجع سابق، ص89-91. علامة ، مرجع سابق، ص257، 296. عيزل، مرجع سابق، ص64-65.

[3]- علي عمار ، **ملاح العلاج الشعبي في منطقة حوض تافنة** ، منظمة المجتمع العلمي العربي ، د.ت ، ص 18. خياطي، رجع سابق، ص 73. عيزل، مرجع سابق، ص63-64.

4/ العلاج بالكي :يعتبر العلاج بالكي من الممارسات العلاجية القديمة في علاج بعض الامراض العضوية بالنار والحرارة [1]، ويلجأ له سكان المنطقة في علاج امراض شتى اهمها داء المفاصل مثلا يمسك المعالج سكين غير حاد ويسخنها ثم يضعها على مكان الألم حتى تبقى آثار الكي بعدها ثم يقوم المعالج بقراءة آيات من الذكر الحكيم [2] ، واحيانا يستخدم بعد وضع الشحم على القدم ثم الكي لمعالجة الشقاق التي كانت تصيب سكان المنطقة بسبب السير في الصحراء، [3] كما يستعمل لعلاج عرق النسا أو اللدغات[4].

5/ العلاج بالحجامة : وهو أسلوب في العلاج الشعبي العربي المعروف قديما ، اذ يفرغ الكأس من الهواء بإحراق قطعة من الورق داخله ثم يثبت على ظهر المريض فيندع الدم الى البشرة الخارجية، [5] كما كانت الحجامة تستعمل لعلاج بعض الأمراض التنفسية،[6]ويدخل تحت الحجامة العلاج بالفصد والتشريط، وهو يمارس عادة في حالة تورم وانتفاخ العروق، حيث تستخدم سكاكين أو مشارط لفصد العروق وإخراج الدم، ويعتبر الجزء الخلفي من الجمجمة (القفا) والظهر الأماكن المفضلة للفصد، ويستعمل الفصد لعلاج الأمراض الدماغية والتهاب السحايا وكل آلام الرأس.[7]

6/العلاج بالمياه المالحة (الحمامات): تعتبر ذات أهمية بالغة بالنسبة لجانبها الصحي والوقائي، لاسيما في علاج القروح والجروح والتقرحات الجلدية والصدمات حيث يوضع العضو المصاب في الماء المالح بعد تسخينه لمدة ثلاثة أيام إلى أسبوع حيث يساعد على التئام الجراح وشفاء موضع الصدمات

[1]- علي أبو الخير ، **التداوي بالأعشاب والنباتات ودور العلاج الغذائي** ، دار الخير ، بيروت ، ط 2، 1999 ، ص 17. خياطي، رجع سابق، ص77.

[2]- معازيز عبد القادر ، **الممارسات العلاجية التقليدية بمنطقة البيض** ، رسالة ماجستير 2، جامعة تلمسان 2014 ، ص 73

[3] -Doumes ،op. cit . p254.

[4]- خياطي، رجع سابق، ص136، 138. علامة، مرجع سابق، ص 293-294.

[5]- أيمن الحسيني ، **معجزات الشفاء بالحجامة وكاسات الهواء** ، د.ت ، مكتبة القران ، ص 5. عيزل، مرجع سابق، ص 63-64.

[6]- خياطي، مرجع سابق، ص254.

[7]- خياطي، رجع سابق، ص78، 254. صليحة علامة، مرجع سابق، ص 290، 295.

والتشققات الجلدية، وهذه الممارسة ما تزال فارضة وجودها لغاية الآن رغم التطور الطبي، وقد كان مقصد المستشفين بهذه الوسيلة هو حمام الصالحين في بسكرة ومياهه جيدة لعلاج الروماتيزم.[1]

7/ القابلة (الولادة): كان للنساء قوابل معروفات بالمهارة في التوليد والاهتمام بالصحة المولود وامهاتهم باستعمال العلاج بالنبات والأغذية المقوية كالعسل زيت الزيتون والحليب وغير هؤلاء النساء مهارتهم كانت بالغة بخصوص عمليات الولادة وهذه الطرق كانت بدائية محضة ، والملفت للانتباه أن جميع النسوة على دراية بالعقاقير والأعشاب الطبية المستعملة ، فكل واحدة منهن تتعلمها من أمها ومن النساء أخريات أكبر سنا، وقد كان الحرمل يستعمل بعد حرقه كعلاج لبعض مشاكل الدور الشهرية للمرأة حيث تتموضع المريضة في وسط البخار، كما تستعمل نبتة الشيخ كذلك.[2]

8/ الطهار (الختان): وهي عملية تقوم على أساس ديني بالدرجة الأولى، ويقوم بها شخص مختص يسمى الحجام، حيث يقوم بربط الغرلة بواسطة خيط ويقوم بجذبها إلى الأعلى ثم تقطع الغرلة بواسطة مقص أو شفرة مشحوذة، ثم يوضع رأس القضيب في بيضة طازجة.[3]

09/ العلاج بالقرآن الكريم: كانت الرقية بالقرآن الكريم وبالأذكار المأثورة عن النبي ﷺ جزءا من العلاجات المعروفة آنذاك في المنطقة كما هي جميع مناطق الجزائر في تلك الفترة.[4]

10/ العلاج بالتمائم: يعد السحر في المعتقد الشعبي لأهالي المنطقة وسيلة لدرء مختلف الشرور عن الانسان، فالعمل السحري يبطله عمل سحري مضاد ، كما أن الحسد وما يسببه الجن والعفاريت من شرور ، تتكفل الممارسات السحرية بالوقاية منها وابطال مفعولها ، وتعيش بين الناس بقايا ممارسات سحرية ، كذبح شاة عند عتبة البيت الجديد قبل سكناه لطرد الجن والعفاريت، أو مقاومة أمراض الأطفال ودرء العين الحاسدة ، ومن بين أشكال السحر التي يعرفها مجتمع المنطقة الاعتقاد في سحر الكلمة التي قد تأخذ شكل صيغ تعبيرية محفوظة تردد عند الحاجة ، أو على شكل آيات قرآنية

[1]- أ.ف. شونبيرغ ، مرجع سابق ،ص 59. قادة دين، مرجع سابق، ص78. خياطي، رجع سابق، ص78. فلة القشاعي، مرجع سابق، ص 293 وما بعدها.

[2]- خياطي، رجع سابق، ص 111، 254. فلة القشاعي، مرجع سابق، ص311. علامة صليحة، مرجع سابق، ص257.

[3]- خياطي، مرجع سابق، ص 110. صليحة علامة، مرجع سابق، ص 258.

[4]-صليحة علامة، مرجع سابق، ص298. فلة القشاعي، مرجع سابق، ص 325-330. عيزل، مرجع سابق، ص 69.

وحروف وكلمات وأشكال لتصبح هندسية ونظام لأعداد يكتب على اوراق تطوى وتعلق أو توضع تحت المخدة لتصبح أحجية واقية او مقاومة للسوء ، ويقوم بها عادة من يسميهم الاهالي (الطلبة).[1]

ويعتبر ترومللي في كتابه الفرنسيون في الصحراء، أن التمائم هي حجابات لها خصائص كما يدل على ذلك اسمها حيث تحفظ حاملها من الأمراض والحوادث والعين، ويكتبها طلبة بضم الطاء متخصصون في علم الجداول، وهي أنواع وأشكال مختلفة، وتكتب فيها كلمات ورموز وأشكال مستدعاة من التراث والتاريخ ومن الغيبيات، وكل مرض له تميمة خاصة وحتى الحيوانات لها تمائمها، وهي تعلق على أعناق الانسان والحيوان على حد سواء بعد توضع في أكياس صغيرة من الجلد غالبا، وبالنسبة لترومللي فإنه من النادر العثور على شخص بدون حرز أو تميمة،[2] وقد كانت بعض الأعشاب تستعمل بعد حرقها وتبخيرها لطرد الجن والشياطين من المنزل أو المحل[3].

وكانت هناك مجموعة من الأسماء تطلق على المشتغلين بالتمائم بكل انواعها يطلقها أهل المنطقة منها:

الطالب : هو الذي يكتب الأحجية والتمائم ويعتمد في ذلك على القران ويقصد الناس ليكتب لهم حجاب التحصين من شر الجن والانس كما يقوم بعلاج بعض الناس بواسطة الأعشاب والعقاقير.[4]

القزانة: هي المرأة التي تقرأ الطالع أو المستقبل كما يعتقد بعض الناس في الورق وتكون هذه المرأة ملمة بأحوال الناس واحتياجاتهم نظرا لخبرتها الطويلة بالحياة وبما يفتقر اليه الناس من كلام جميل ومتفائل واعتمادهم على القدرية في قضاء حوائجهم.

الشوافة : هي تلك المرأة التي تدعي علم الغيب وترى ذلك في شيئ معين كالقمح وراحة اليد مثلا. [5]

[1]- عبد الحميد بورايو ، **القصص الشعبي** مرجع سابق ، ص 24-25. خياطي، مرجع سابق، ص256. صليحة علامة، مرجع سابق، ص299. فلة القشاعي، مرجع سابق، ص 321-325. عيزل، مرجع سابق، ص67-68.

[2]- ترومللي ، مصدر سابق، ص119.

[3]- فلة القشاعي، مرجع سابق، ص312.

[4]- عيزل، مرجع سابق، ص166. علامة، مرجع سابق، ص258.

[5]- ثريا التجاني ، مرجع سابق ، ص 45. عيزل، مرجع سابق، ص168. ثريا التيجاني ، مرجع سابق ، ص 45.

وقد كان مجتمع المنطقة كثيرا ما يستعمل الحروز أو الحجابات كثيرا في العنق وهي تشبه حال ووضعية الأوروبيين في العصور الوسطى حسب رأي دوماس الذي يذكر ان الطلبة (بضم الطاء) من الرجال وبعض النسوة العجائز الخبيرات يستخدمون مستحضرات من أعشاب مختلفة تحظر بواسطة ذكر الطلاسم وبطريقة مخيفة عندما تخلطها مع بعض المواد التي لا يعرفها غيرهم وتستعمل هذه الوصفات إما من أجل جلب المحبة وغيرها مثل الانتقام والكيد للأعداء ويستعملون فيها ورقة مكتوبة بماء الزعفران وعضاء الموتى وسكاكين وقصع نحاسية ومأكولات مختلفة وغيرها ويشير الى أن هذه الطقوس تؤثر تأثير كبير على صحة المسحور الذي يتأذى منها كثيرا [1] ومن العلاجات الروحانية المنتشرة هي العلاج بضرب معدن الرصاص المذاب في الماء واستخدام البخور والملح.[2]

11/ العلاج بالمياه المالحة: تعتبر ذات أهمية بالغة بالنسبة لجانبها الصحي والوقائي، لاسيما في علاج القروح والجروح والتقرحات الجلدية والصدمات القديمة حيث يوضع العضو المصاب في الماء المالح بعد تسخينه لمدة ثلاثة أيام إلى أسبوع حيث يساعد على التئام الجراح وشفاء موضع الصدمات والتشققات الجلدية، وهذه الممارسة ما تزال فارضة وجودها لغاية الآن رغم التطور الطبي.[3]

12/ العلاج بالرمال: ويعتبر من أقدم العلاجات الشعبية يعتمد عليها سكان المنطقة في علاج آلام الظهر والمفاصل والروماتيزم بأشكاله المختلفة بما يعرف بي (حمامات الرمل)، وهذا ملاحظه الدكتور برنارد Bernard في مدينة الأغواط حيث قال أنه عندما تشتد الحرارة في منتصف النهار يقوم مجموعة من النساء في الدخول في حفر رملية ويختفين في الرمال الملتهبة كما ، كما يعتقد سكان الأغواط أنه يشفي النساء من جميع الأمراض ويهيئ أجسادهن للحياة الزوجية المستقبلة، [4] كما يستعمل الرمل الساخن لمعالجة الأعضاء الملدوغة.[5]

---

[1] -Daumas(E) , **Mœurs et coutumes De l'Algérie**, op cit، p14-15.

[2]- سرقمة عاشور، مرجع سابق، ص198. أنظر أيضا: فلة القشاعي، مرجع سابق، ص322-323.

[3]- علامة، مرجع سابق، ص188-184. عيزل، مرجع سابق، ص151-152.

[4] -Docteur Bernard ، op ، cit ، P 205.

[5]- خياطي، مرجع سابق، ص 136.

13/ العلاج بزيارة الأضرحة والقبور و الحضرة: تظهر صورة الولي في المتخيل الشعبي في الاعتقاد على أن الغاية من زيارة الضريح الولي هي البحث عن الشفاء للمرض كما أن الولي عند سكان المنطقة معروفا بمعالجته للمرض وخاصة السحر وكدلك البرهان الواضح للولي في المتخيل الشعبي ، خاصة اذا تعلق الأمر بامراض السحر والعين والتي لها علاقة بالجن والارواح الشرية ، فكان الخضوع والتجلي لهذه الروح ظاهرا من خلال الطقوس والممارسات داخل القبة التي تضم قبر الولي [1]

وقد قال ابن شنب في وصفه لقدرة الأولياء: " يعتبر الاسلام الروحي رجال التصوف والفقهاء وخاصة مؤسسي الجمعيات الدينية أحباب الله وأولياء الله الذي اعطاهم قسطا من قدرته "[2] ، وكان أيضا سكان المنطقة يعتقدون بأن تعليق بوضع شكل اليد يحمي من العين وكذلك التمائم للحماية من الحسد، وتأخذ ايضا قطعة قماش خضراء وتمسح بالوجه تيمنا به.[3]

ثالثا: مصادر تلقين العلاج الشعبي: تؤكد بعض النظريات إلى أن العلاج الشعبي يعتبر ممارسة اعتقادية تشبع حاجات ثقافية تؤدي وظائف التكيف مع المجتمع من خلال مواجهة المرض وعلاجه، والوقاية منه بشتى العناصر الثقافية المادية منها والمعنوية المختلفة، ففي الطب الشعبي يفسر المعالجون – والمرضى – المرض ويشخصون أسبابه، وإذا كان السياق الثقافي يفسر أساب المرض، فإنه يقدم – من جهة أخرى – الإشارات التي تقي الإنسان من المرض، وفي ضوء هذا السياق يقرر المعالج بالكي مثلا أن معظم الأمراض التي يعالجها إنما هي ناجمة عن الخوف والبرد وتعرض الإنسان لأذى الكائنات فوق الطبيعة، وعليه تكون الوقاية منها بتجنب الخوف وأذى الكائنات فوق الطبيعة والابتعاد عن تيارات الهواء الحارة والباردة التي لا توازن مع حالة الجسم الداخلية.

أما مصادر خبرة المعالجين الشعبيين فهي متنوعة ما بين الوراثة (الجبّار) و(الكواي) و(الحجام) وبين الاكتساب (العشاب، المساد، التوليد). وهكذا فإن المهن العلاجية الشعبية تنحصر أحيانا في بعض العائلات المعينة التي تحتكرها مثل: فهي إذن ممارسة وراثية أبا عن جد[4].

[1]– خياطي، مرجع سابق، ص256. علامة، مرجع سابق، ص302. فلة القشاعي، مرجع سابق، ص299-309.

[2]– ثريا التيجاني ، مرجع سابق ، ص 42

[3]– أحمر بلجاج ، **ظاهرة الاتصال بالولي في الجزائر** ، مجلة افاق فكرية ، ع4 ، 2004، ص 130.

[4]– عيزل، مرجع سابق، ص170.

أما المصدر الكسبي فهو عن طريق قراءة كتب التراث وعلوم النباتات بحثا عن أهمية العلاج بالأعشاب وعن خصائصها وتركيباتها وفوائدها العلاجية والوقائية مع إجراء بعض التجارب، وبهذه الكيفية يستمر النمط العلاجي الشعبي بحيث يتضمن أنماطا عديدة من التخصصات والمعالجات والأساليب، ولذلك فقد يشتهر معالج ما في نمط علاجي دون غيره، وعلى هذا فإن الثقافات المختلفة عادة ما تحوي ما يطلق عليه بالتخصص العلاجي، فهناك معالج متخصص في العلاج بالكي، وآخر في الحجامة وثالث في تجبير العظام والفلتات المفصلية، وكلها تخصصات تتطلب الخبرة والتجربة الطويلة، إضافة إلى أن هناك علاجات قائمة على الأساس العقلي والتحصيلي مثل العلاج بالأعشاب والنباتات الطبية، إلى علاجات أخرى تعتمد على تسخير الكائنات فوق الطبيعية مثل علاج السحر والصرع.[1]

رابعا: الأسباب التي تؤدي إلى لجوء المرضى إلى الطبابة الشعبية:

-طبوغرافية المجتمع الجزائري حيث تغلب الطبيعة الجبلية والتغطية النباتية بمختلف اشكالها وأنواعها، الأمر الذي أدى إلى تشتت السكان في تجمعات قليلة ومتناثرة في أعلى الجبال والهضاب والسهول والشعاب عوامل قد لا تساعد في كثير من الحالات عدم وصول الخدمات الصحية إليها، فتحل محلها الممارسات العلاجية الشعبية حيث تفرض وجودها فتصول وتجول.

-أن الاتجاه نحو العلاج التقليدي يعتبر انعكاسا للعوامل البنائية المختلفة في المجتمع الجزائري، وأهمية التنشئة والقيم الاجتماعية، لغرسها فكرة اصابة الجن والشياطين للإنسان بالشرور المرضية، كلها عوامل ساهمت في بسط مثل هذه الممارسات والمعتقدات الشعبية فأخلطت ما هو عملي بما هو اعتقادي اسطوري، مع تحديد رموز ثقافية واجتماعية لتتجه نحوها شحنات غضب المرض وذويهم، ومن ذلك الرموز (الريح الأسود والريح الأحمر) و(الأعمال السحرية)، وهذه عادة ما تلاقى لدى مجتمع المستفيدين قبولا متزايدا، بحيث تتسق مع السياق الاجتماعي والثقافي السائد.[2]

- ارتكاز العلاج الشعبي في عائلات معينة يعرفها مجتمع المرضى ويثق فيها.

[1]- القشاعي، مرجع سابق، ص269 وما بعدها. ، مرجع سابق، ص170. خياطي ، مرجع سابق، ص79-80.

[2]- القشاعي، مرجع سابق، ص 518.

قلة تكاليف العلاج الشعبي – مقارنة بتكاليف العلاج الرسمي[1].

– إن الطريقة العلاجية الشعبية تتضمن دواء وترويحا وتنفيسا، وتقديم العلاج بطريقة تجمع بين الترويح والتنفيس والعلاج في نفس الوقت، كما هو الحال في طقوس علاج الصرع، إلى جانب القيام بممارسات تتضمن رموزا عديدة مثل الأضحية والبخور والخيوط (الأدوار والأغاني)، بشكل لا يتحقق في الحياة اليومية، وأداء الخدمة العلاجية بالأسلوب المرن يقبله المرضى وذويهم ويحبذونه فلا يشعرون بالاغتراب، وبالتالي يعتمد على العلاج الشعبي ويعتبرونه جزءا من هويتهم وكيانهم.

–ان البيئة الطبيعية للجزائر قد لعبت باتساع رقعتها وتوافر التغطية النباتية (الأعشاب والنباتات العلاجية) وكذا المصادر العلاجية الأخرى دورها في زيادة الاعتماد على العلاج الشعبي.

–أدت كثرة الاجراءات العلاجية المعقدة في الطب الرسمي في التشخيص واستغراقها لوقت طويل وعدم الثقة في العلاج فرنسي المصدر وقلته وانعدامه أحيانا، إلى الاقبال على العلاج الشعبي والاعتماد عليه مثل الجبار الذي يعالج العظام بالجبائر وفي خلال دقائق وبدون جبس ومضاعفات، والمعالج بالكي الذي لا يطول علاجه أكثر من أيام قليلة، إضافة إلى رفض العلاج عند الفرنسيين " الكفار".[2]

–علاج الأمراض التي لا يعترف بها العلاج الرسمي مثل المس واللبس، ويتمثل ذلك فيما يقدمه معالج الصرع من ممارسات طقوسية معقدة يعجز العلاج الرسمي عن ادراكها ، وكذلك اليأس من العلاج الطبي ونقص فعاليته.

–تقديم العلاج الناجح والسريع لأمراض العظام (من كسور وفصل وشقوق وفلتان... الخ) وبأدوات جدّ بسيطة مثل (الجبيرة وقطع القماش)، واجراءات أكثر بساطة مثل (التدليك بالزيت أو الماء والملح وذلك بتحريك المفاصل أو الضغط على الأرجل) وفي أقل وقت ممكن، وبهذا فقد كانت الثقة كبيرة

[1]– القشاعي، مرجع سابق، ص508. علي عمار ، **ظاهرة التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية بمنطقة عين غرابة** ، رسالة ماجستير ، جامعة تلمسان، 2001، ص 43.

[2]– خياطي ، مرجع سابق، ص228 وما بعدها. القشاعي، مرجع سابق، ص409-414.

في العلاج الشعبي بحكم العراقة والمعايشة و تقديم العلاج في صورة طبيعية مقبولة وبسيطة مع مراعاة الخلفيات الاجتماعية والثقافية للمرض[1].

خامسا: علاجات بعض الأمراض من خلال الثقافة الشعبية في الأغواط:

1/**آلام الرأس والصداع:** الليمون والعسل هما أكثر الأغذية استخداما لعلاج آلام الرأس واللوزتين حيث يحتوي الليمون على مواد مضادة وحيوية تؤدي بالشخص إلى التعود عليها عند تكرارها من ناحية أخرى اختضاب الرأس بالحناء كعلاج لآلام الرأس وهذه في الحقيقة وصفة علاجية ومزينة قديمة استخدمت كثيرا عند العرب القدماء كما ورد ذكرها في كثير من كتب الطب التقليدي.[2]

2/ آلام البطن: تعود أسباب آلام البطن لعوامل كثيرة ، ذلك أن منطقة البطن عادة ما تحتوي على العديد من الأعضاء مثل المعدة، الأمعاء، الكبد ..الخ، وأن أي التهاب أو اضطراب على مستوى أحد هذه الأعضاء قد يسبب آلاما في كافة منطقة البطن، وكان النبق وهو ثمار السدر التي تنمو في المنطقة مفيدا لحروق المعدة، ويستخدم الزعتر في علاج آلام البطن، وقد ورد ذكر الزعتر في علاج العديد من الأمراض في كتب الطب القديمة، كما كان يستخدم ايضا العلاج بمنقوع قشور الرومان.[3]

3/الإسهال: يعتبر الإسهال من أكثر الاضطرابات الهضمية التي تحدث للأفراد وخاصة الأطفال وتعود أسبابه عادة إلى تناول أغذية أو مياه ملوثة بالجراثيم ويشير ترومليTrumelet من خلال مروره بقصر للماية أن المياه التي يخزنها السكان في السد بعد جلبها من منبع العين والتي تستعمل لسقي الحدائق تشكل عنصر خطير على صحتهم وتتسبب لهم في الاسهال. [4]

4/الإمساك: تبين أن السنا مكي هو أكثر الوصفات الطبية الشعبية استخداما لعلاج الإمساك ويعود سبب استخدام نبات السنا مكي لخاصيته الملينة لأن من أعراض الإمساك قلة التبرز وصلابة

[1]- القشاعي، مرجع سابق، ص509.

[2]- خياطي، مرجع سابق، ص75-76، ص 133-136.

[3]- عبد الرزاق ابن حمادوش ، **كشف الرموز في العقاقير والأعشاب** ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1996، ص 409.
خياطي، مرجع سابق، ص124. عن فوائد النبق أنظر صيقع، مرجع سابق، ص60.

[4]- ترومليي ، المصدر السابق ، ص 365

البراز، وتناول الملينات مثل السنا مكي، فإنه يمكن زيادة عدد مرات التبرز وليونة البراز، وتعتبر هذه الوسيلة مؤقتة لأنها لا تعالج السبب أو العوامل الرئيسية للامساك، وهناك من يستخدم تمر الهند ي الصبار كعلاج للامساك وهو ملين ومرطب.[1]

5/**آلام المفاصل**: من أهم الوصفات العلاجية الشعبية المستخدمة في علاج آلام المفاصل هي وضع التمر على مكان الالم، ثم يأتي بعد ذلك تدليك المفاصل بالدهن أو زيت الزيتون، ويتطرق فرومنتان إلى أحد المواد المستعملة في علاج آلام المفاصل وهو شحم النعام أو ما يعرف محليا ب: زهم النعام، وقد اشتهر أفراد قبيلة المخاليف بصيدها بطريقة مميزة، حيث تستعمل لحومها للتغذية وريشها لمحلات صنع الأفرشة خصوصا الميزابية، أما زهم النعام فيباع للعطارين لصناعة دواء يشفي من آلام المفاصل والروماتيزم، [2] بينما كان الكي هو أحسن دواء لعلاج آلام عرق النسا[3].

6/الكسور: يعتبر التجبير لدى الأطباء الشعبيين أحد أهم المجالات التي أجادوها، حيث يتم إعادة العظام إلى مكانها وتوضع بين أعمدة من القصب أو النخيل أو غيرها، وتشد بخيط أو حبل وتوضع الجبائر لمنع حركة الأطراف المكسورة.[4]

7/الزكام والأنفلونزا: تتميز أمراض البرد والأنفلونزا بتكرار حدوثها لنفس الشخص في السنة الواحدة، وهناك تركيز على استخدام النباتات والأغذية التي تحتوي على رائحة نفاذة مثل البطيخ والبصل واستنشاق السكر المحروق، وقد يعود ذلك إلى أن من أعراض نزلات البرد انسداد فتحات الأنف مع صعوبة التنفس منه وبالتالي التأثير على حاسة الشم، لذلك فإن استخدام بعض النباتات التي تحتوي على روائح نفاذة قد تساعد على تخفيف هذه الآلام، وقد ورد ذكر استخدام البصل كعلاج للزكام والتهاب الرئة في الطب الشعبي القديم.[5]

---

[1]- خياطي، مرجع سابق، ص124-125.

[2] - fromentin, op cit, p 142. .283 خياطي، مرجع سابق، ص254. علامة، مرجع سابق، ص

[3]- خياطي، مرجع سابق، ص136.

[4]- المرجع نفسه ، ص89.

[5]- نفسه، ص116-117.

8/ آلام اللوزتين: يعتبر قشر الرمان من أكثر الوصفات العلاجية الشعبية إضافة إلى العسل وعصير الليمون وتحضر الطريقة بأن يجفف قشر الرمان ثم يطحن حتى يصبح مسحوقا ناعما ثم توضع كمية منه على أحد أصابع اليد ويدخل في جوف المريض حيث يوضع المسحوق على اللوزتين، وأما عصير الليمون مخلوطا بالعسل فيؤخذ على الريق صباحا على أن يمضمض داخل فيه لبعض الثواني ثم يبلع مع الامتناع عن الأكل والشرب بعده لمدة نصف ساعة على الأقل، ثم يأتي استخدام الدهن الساخن بعد ذلك في علاج آلام اللوزتين حيث لوحظ أن بعض الأفراد يتناولون ملعقة صغيرة من الدهن البلدي بعد تدفئتها مع تحضير كمادات على مكان الإصابة لعلاج اللوزتين.[1]

9/ **آلام الأذن:** عادة ما يستخدم زيت الزيتون كأهم الوصفات العلاجية الشعبية لعلاج آلام الأذن، ويتم ذلك عن طريق قطر قطرات من زيت الزيتون أو ماء الزعتر في الأذن وأحيانا يتم مزج زيت الزيتون مع زيت الخروع مع إضافة كمية من الفلفل الأسود المسحوق ويوضع المزيج داخل الأذن، وبالإضافة إلى ذلك فقد تستخدم القهوة والليمون والثوم في علاج آلام الأذن أحيانا.[2]

10/آلام الأسنان: يعتبر القرنفل من أهم الوصفات الشعبية الأكثر استخداما في تسكين آلام الأسنان، وقد ورد ذكره في كتب الطب القديمة والحديثة على أنه يسكن آلام الأسنان ويشفي القروح، وقد رد دوماس مشاكل لأسنان لسكان المنطقة بسبب تناول التمر وكان يستعمل المفك أيضا لإزالة السن المؤلم[3] كما أن هناك وصفات أخرى لعلاج أوجاع الأسنان واللثة أهمها صمغ البطم حيث يستعمل لعلاج اللثة ، أما ورقة البطم فلديها خاصية تبريد الفم [4] .

11/ **الدمامل:** الدمامل من الالتهابات الجلدية التي تحدث نتيجة عدوى ميكروبية في الجلد وتتميز بظهور خواريج على سطح الجلد تكون مملوءة بالصديد وهو عبارة عن إفرازات الميكروبات. يستخدم علك اللبان كعلاج للدمامل، وعلك اللبان معروف وهو عبارة عن مادة صمغية غالبا ما تكون إفرازا لإحدى النباتات تستعمل كعلكة إضافة إلى استخدامه في البخور لطرد الشياطين، ومن العقاقير

[1]- خياطي، مرجع سابق، ص ص118.

[2]- المرجع نفسه، ص117.

[3] - Doumas، Op، Cit ، p254.

[4]- ترومللي ، مصدر السابق ، ص 553. خياطي، مرجع سابق، ص120-121.

المستخدمة في علاج الدمامل حب العصفر حبوب صغيرة سوداء اللون، كما استعملت أدوات جراحية مثل السكاكين الصغيرة لفتح الدمامل عن طريق الكي، في حين كانت الطلقات النارية تعالج عن طريق وضع حلقة حديد محماة فوق الجرح لمنع دخول الهواء مما يؤدي إلى التحام الجلد.[1]

12/الحروق والجروح: يستخدم الحليب كعلاج للحروق، ويتم ذلك بسكب الحليب على المنطقة المصابة، كما يستخدم الدهن كعلاج للحروق و عجينة الحناء والكحل لتضميد الجروح[2] ، وتحتوي الحناء على صبغات نباتية ومواد دهنية، وتستخدم عجينتها في علاج بعض الأمراض الجلدية كما تفيد في التئام الجروح، وقد استعمل العرب الرحل صوف الأغنام المغسول كقطعة ضماد كما استعملوا وبر الإبل أيضا وبعض الأعشاب المجففة لنفس المهمة.[3]

13/ آلام العين: يعتبر حليب آلام من أكثر الوصفات العلاجية الشعبية استخداما لعلاج التهابات العين عند الأطفال الرضع، وتتم هذه الطريقة بتقطير عين الطفل بقطرات من حليب آلام أو حليب إحدى السيدات المرضعات، وأيضا يستخدم الترفاس يطلق عليه في اللغة العربية اسم "الكمأة" وهو مفيد لظلمة البصر والرمد ،[4] ومن الوصفات العلاجية الشعبية التي عرفت استخدام ماء الورد والعسل كعلاج لالتهابات العين، كما استعمل الكحل المضاف له الزعفران وغيرها من المواد لعلاج الرمد،[5] وقد لاحظ ترومللي انتشار مرض الرمد بكثرة في وسط سكان القصور بمنطقة الأغواط.[6]

ويستخدم الكحل من طرف الرجال والنساء على حد سواء، فله صيت شعبي كبير حيث يتم الاحتفاظ به في قوارير صغيرة من النحاس أو الجلد أو حتى الخشب ومن الألوف أيضا صنعها من معادن ثمينة، ويستخدم المرود لإغلاق القارورة أو " المكحلة".[7]

---

[1]- خياطي، مرجع سابق، ص77.

[2]- المرجع نفسه، ص 73.

[3]- نفسه، ص78.

[4]- يوسف خياط ، **معجم المطلحات العلمية والتقنية** ، دار لسان العرب ، بيروت ، دت ، ص 592. ذكر كاريت أن مخاليف الصحراء (الجرب) كانوا يتاجرون في الكمأة (الترفاس). أنظر كاريت، مرجع سابق، ج6 ، ص231.

[5]- خياطي، مرجع سابق، ص76.

[6]- ترومللي ، مصدر سابق ، ص242.

[7]- خياطي، مرجع سابق، ص76.

14/علاج اللدغات: لعلاج اللدغة كان الجرح يفتح بسكين أو مشرط، ويشفط الدم الملوث بالفم أو بمساعدة محجمة، ثم يربط بضمادة، كما يستعمل شحم الضب لماله من خاصية مقاومة لسموم الثعابين، كما يقوم البعض بربط العضو المصاب بشدة فوق مكان الإصابة ويكوى بالنار ويغطى الجرح بضمادة من قضبان نبتة الرتم المغلية ثم يوضع العضو المصاب في الرمل الساخن.[1]

وجدير بالذكر في نهاية هذا المبحث أن علاج الحيوانات (البيطرة) كان يتم أيضا بطرق ووسائل تقليدية مثل الكي بالنار والطلاء بمادة القطران أو بتر الأذن أو الذيل وغيرها من الممارسات البيطرية التقليدية.[2]

وفي الأخير فإن الملاحظ بالنسبة لهؤلاء المعالجين الشعبيين فإن بعضهم يقدمون خدماتهم العلاجية مقابل مبلغ نقدي غالبا ما يكون رمزي أو عيني، في حين يرفض البعض الآخر أخذ الأجرة، على أن يقدموا خدماتهم للمحتاجين باعتبار أن هذه الخدمة صدقة علم أو محبة له ، ويتفاوت المعالجون الشعبيون فيما بينهم في حجم الشهرة التي حقوقها ويحققونها، فبعضهم تتجاوز شهرته حدود المنطقة المحلية التي يعيش فيها على مستوى المجتمع الواحد وأحيانا تتجاوز الشهرة حدود المجتمع الكبير إلى غيره من المجتمعات المجاورة.[3]

[1]- خياطي، مرجع سابق، ص137-138.

[2]- صادقي، **مراحل وأشواط**..، مرجع سابق، ص284.

[3] - خياطي، مرجع سابق، ص257.

المبحث الرابع: الحساب الفلاحي:[1]

يعتبر الحساب الفلاحي تقويما فلاحيا شمسيا مرتبط بتعاقب الفصول والتغييرات الطبيعية التي تشهدها السنة الفلاحية، ويبدأ التقويم الفلاحي ب"رأس العام" أو "يناير" أو "عام العرب" حسب المصطلحات المتداولة في المنطقة للتعبير عن هذه الليلة.[2]

أولا أيام الشتاء: يحل الشتاء دائما يوم 29 نوفمبر و كل الفصول تحل في اليوم الذي يحل فيه الخريف كأن يكون الخريف يوم الجمعة فبقية الفصول تحل في هذا اليوم و هم يكبسون السنة إذا كان حلول الخريف يوم السبت لمخالفة سبت اليهود و يتطيرون من ذلك، والشتاء مقسم إلى سبع (7) مراحل أو اشهر كل مرحلة تسمى سعدا وعدد أيام كل مرحلة (سعد) 13يوما، نذكر هذه المراحل حسب التسلسل و حسب عادة كل مرحلة :

1/سعد الشولة: تأخذ أربعة أيام من نهاية الشهر الأخير للخريف و يقال عنها " إذا جاء المطر في الشولة وجد المطامر للعولة " أي أن المحصول الزراعي يكون وافرا .[3]

2/النعامة: يحل في اليوم السادس منها شهر دجنبر و هذا الشهر يدعى شهر الإضاءة ذلك لأنه يعتقد أنه في ليلة من ليالي هذا الشهر يأخذ الماء قوام الدم لذا وجب فحص الماء ليلا بالإضاءة قبل شربه كما يتجنبون تناول ما يتبقى من وجبة العشاء صباحا و تمنع الحراثة في هذه الفترة. [4]

---

[1]- كاريت، مرجع سابق، ج6، ص200-201. صادقي، **مراحل وأشواط..**، مرجع سابق، ص276-279. جدير بالذكر أن هناك بعض المؤلفات التي كانت منتشرة لدى مثقفي المنقطة والتي تعنى بالحساب الفلاحي أنظر الملحق رقم : 14.

[2]- النعيمي سعداوي، **حسابات الأيام والشهور والمواسم في التراث الشعبي الجزائري التقويم الفلاحي وعلاقته بالنجوم – منازل القمر –يناير –ليلة العام، موفم للنشر، الجزائر، 2015، ص171**. صادقي، **مراحل وأشواط..**، مرجع سابق، ص276. ناصر مجاهد، مرجع سابق، ص27.

[3]- النعيمي سعداوي ، مرجع سابق، ص259-260. مجاهد، مرجع سابق، ص28. لبقع، مرجع سابق، ص35.

[4]- النعيمي سعداوي ، مرجع سابق، ص260-261. مجاهد، مرجع سابق، ص28. لبقع، مرجع سابق، ص35.

3/البلدة: يقال عنها ((تزيد في البرد شدة و في الليل مدة و في الكرش نفدة)) أي يشتد البرد في هذه الفترة و تزيد مدة الليل على حساب النهار و تزيد الحاجة إلى الغذاء لأن الكائن الحي يصرف طاقة في حماية الجسم من البرد. [1]

4/سعد الذابح: يحل رأس السنة الفلاحية ليلة الحادي عشر منه و في هذه الليلة يحتفل بها بتحضير وجبة من خليط الحبوب الجافة و السمن و يقتلع عن عادة إضاءة الماء ليلا، وتسمى ليلة العام أو عام العرب بالنسبة للبدو، فأغلبية العائلات تقوم بتحضير الكسكس واللحم والمخلط والسمن الغنمي، وبعض الأعشاب ويتبادلون أطباق الطعام بين الاقارب والاهل والجيران. [2]

5/ **سعد بولاع:** يقال عنه " إذا مات بولاع مات الشتاء قاع " إذ يصل البرد إلى أقصاه في هذه الفترة.[3]

6/سعد السعود: يقال عنه: " يجري الماء في العود " أي العصارة تجري في أوعية الأشجار بعد أن كانت في سبات ((الكمون)). [4]

7/**سعد الخبية:** يقال عنه: " سعد الخبية نفاض الضبايا ما تبقى حاجة مخبيه " أي في هذه الفترة يستنفذ الفلاحون عولة العام الماضي كما أن الكائنات الحية التي كانت في البيات الشتوي تخرج جميعا لأن الجو يتحسن و يقترب موعد الربيع ثلاث أيام أفراق بين الفصلين ، و غالبا ما يسمع الرعد في هذه الفترة ذلك لأن الرعد نادرا ما يسمع في فصل الشتاء، حمرة السماء صباحا تدل على أن الحالة الجوية تكون رديئة بخلاف حمرتها مساءا[5].

[1]- النعيمي، ص 261. مجاهد، مرجع سابق، ص28. لبقع، مرجع سابق، ص35.
[2]- النعيمي، مرجع سابق، ص261.صادقي، مرجع سابق، ص277.
[3]- النعيمي ، ص262. مجاهد، مرجع سابق، ص28-29.
[4]- النعيمي، مرجع سابق، ص262. لبقع، مرجع سابق، ص36.
[5]- نفسه، ص262-263.

8/الحسوم: يوم الحادي عشر من الربيع يدعى السبعة أو الحسوم و هي سبعة أيام غالبا ما يشتد فيها البرد و العواصف.[1]

9/الليالي الموتي مدتها 40 يوما أي 20 يوما بعد العام الفلاحي و 20 يوما قبله، بالضبط في الليلة الرابعة للبلدة يدخلوا الليالي الموتى وتنتهي ليلة الرابع من سعد السعود اي انها تأخذ أربعة أيام من سعد السعود لذا يقال ((أربعة سود في سعد السعود)) كما أن الفترة تتميز بالكمون الأقصى حتى يقال عن الزراعة ((حرث الليالي الأول مثل التالي)) أي التطور النباتي و الإنبات لا يحصل في هذه الفترة لأن درجة الحرارة الملائمة غير متوفرة. [2]

أسطورة سعد السعود والحكاية الخرافية المتصلة بها: أن رجلا يدعى سعد، كان في طريقه للسفر فنصحه أبوه أن يتزود بفراء وقليل من الحطب اتقاء لبرد محتمل، فلم يسمع لنصيحة أبيه ظانا أن الطقس لن يتغير كثيرا أثناء رحلته، وكان دافئا في ذلك الوقت، ولكن ما أن بلغ منتصف الطريق إلى حيث يقصد حتى اكفهرت السماء وتلبدت بالغيوم وهبت ريح باردة وهطل مطر وثلج بغزارة ولم يكن امامه سوى ذبح ناقته و هو كل من يملك , حتى يحتمي بأحشائها من البرد القارص، لذلك ذبح الناقة (سعد الذابح) و بعد أن احتمى في أحشائها من البرد ، دب الجوع في سعد و لم يجد أمامه سوى أحشاء الجمل و لحمه للأكل و هكذا كان (سعد البلع) و هذا بعد أن انتهت العاصفة و ظهور الشمس خرج سعد فرحا من مخبئه وفرحا بكتاب الحياة مجددا بسبب ذكائه (سعد السعود) و حرصا منه على متابعة طريقه دون مشاكل قام بصنع معطف له من وبر الناقة و بحفظ زادا له من اللحم المتبقي من الجمل بواسطة الثلوج أو طرق قديمة تقليدية لذلك و هكذا كان (سعد الخبايا).[3]

أقصر أيام السنة هو يوم 8 دجنبر الموافق ل 21 ديسمبر و منه الرجوع الشتوي[4].

---

[1]- النعيمي، مرجع سابق، ص237.

[2]- نفسه، ص269.

[3]- النعيمي، مرجع سابق، ص 281-282. لبقع، مرجع سابق، ص37. ناصر مجاهد ، مرجع سابق، ص28. مخلوف صادقي،، مرجع سابق، ص 278.، علي كبريت، مرجع سابق، ج1، ص298.

[4]- لبقع، مرجع سابق، ص36. ناصر مجاهد ، مرجع سابق، ص30. مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص278.، علي كبريت، مرجع سابق، ج1، ص298.

ثانيا: الربيع:

يوم 25 في الربيع و يوم 25 في الخريف يحصل الاعتدال بين الليل و النهار و موضوع بزوغ الشمس في هذه الفترة هو تحديد لاتجاه القبلة.

إذا أزهرت أشجار المشمش هذا يدل على الدخول الحقيقي للربيع لهذا يقال: "كذب اللوز و صدق المشماش، كذب الشيب و صدق التكماش "، أي أن إزهار اللوز يتقدم فهو لا يدل على دخول الربيع كما لا يدل الشيب على كبر السن بعكس تجاعيد الوجه[1].

ثالثا: الصيف: دخول الصيف يوم 16 ماي

1/**الصمايم:** هي فترة تقدر ب 40 يوما، 20 يوما صيفا و 20 يوما خريفا و تهب في هذه الفترة رياح الشهيلي" السموم "

2/يوم عنصره: يكون يوم 37 من الصيف و كل النباتات الحولية تجف، يجمع الفلاحون أغصان من النباتات الخضراء المتوفرة و تحرق و رمادها تزين به أحسن شاة موجودة في القطيع[2].

3/غشت: يقال تنشأ به نواة البرد كما يبتدئ تشكل الجنين في البيضة و يرون أن برد هذه الفترة ضار فيقال: " ضربة بالسيف ولا برد الصيف" أما اختيار العام المقبل فهم يترصدون طلوع بعض الكواكب التي تدل على حال العام القادم، و من أيام عنصرة الثلاثة يترصدون العام القادم فيقال: ((العام يبان من خريفه وأيام عنصره يوروا)) أي إذا كان الجو غائما و به أمطار و رطوبة في هذه الفترة فالعام المقبل يكون جيدا[3].

4/آوسو: في شهر غشت يقال عنه "حيطك لا تمسو وولدك عسو" أي أن العقارب يشتد أذاها في هذه الفترة و تؤدي لسعاتها للموت، لذا ينصح من عدم الاقتراب من شقوق الجدران و يجب حراسة الأولاد الصغار من ذلك.

[1]- النعيمي، مرجع سابق، ص258. مجاهد، مرجع سابق، ص29.

[2]- مجاهد، مرجع سابق، ص29. النعيمي، مرجع سابق، ص267-268.

[3]- نفسه، ص274.

رابعا: تنبؤات مناخية: ومن التنبؤات المناخية المرتبطة بالثقافة الشعبية والمعبر عنها بأمثال شائعة:

1/وضعية الهلال: إذا كان في وضعية تشبه الجلوس فستكون بعض أيامه ممطرة[1].

2/هجرة الجراد: إذا حل الجراد بموضع فإن العام الذي يلي حلوله يكون جيدا[2].

3/الصقيع: عام الجليد أحرث و زيد.

4/الضباب: عام الضباب أحرث وهاب.

أيام بياع برنوسو (برنوسه) ، أو كساتو (كسوته). [3]

[1]- النعيمي، مرجع سابق، ص257.

[2]- المرجع نفسه، ص257.

[3]- لبقع، مرجع سابق، ص37. ناصر مجاهد ، مرجع سابق، ص30. مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص278، علي كبريت، مرجع سابق، ج1 ص298.

المبحث الرابع: وسائل الترفيه التقليدية، الألعاب الشعبية:

تشكل الألعاب الشعبية أحد أهم عناصر التراث الشعبي الذي تعتني به الدول، فهو جزاء مهما من المجتمعات البشرية بوجه عام، وقد اجمع المختصون على أهمية هذا الجزء من التراث وضرورته للحياة النفسية، فضلا عن فوائده الصحية والتربوية والتعليمية لمن يمارسونها من الصغار والكبار على حد سواء، وهي متنوعة في أشكالها وأنماطها المتعددة للترويح عن النفس وقضاء وقت الفراغ داخل المنازل أو في أحضان الطبيعة ومدينة الأغواط كغيرها من المدن التي توجد فيها الألعاب الشعبية بمختلف أنواعها

أولا: لعبة القوس: سميت بهذه التسمية نسبة إلى القوس وهي أداة من عرجون التمر، وتأتي مقوسة في الأسفل مما يناسب ضرب الكرة غلى مسافة معينة، وبعد أن تجف تماما تصبح خفيفة الوزن بحيث يستطيع أي أحد حملها وجرها في مختلف الاتجاهات.

أما الكرة التي يلعبون بها مكونة من قطع قماش بحيث تكور هذه الأقمشة مشكلتا لنا كرة صغيرة، ويربط بالخيوط،[1] لكن بعدما حقق هذا الأمر ذكر أحد الشيوخ أن الكرة كانت تصنع من شعر الماعز وتكور على شكل كرة صغيرة تربط بالخيوط وهي أخف وزن من كرة القماش.[2]

– لعبة القوس تشبه إلى حد كبير لعبة الهوكي ولو بحثنا أكثر في سبب الشبه لوجدنا علاقة تراثية بين اللعبتين إلا أن كلتا اللعبتين نشأتا في بيئتين مختلفتين، لكن ثمة تشابه كبير بين لعبة القوس في مدينة الأغواط وألعاب تلعب في بعض بلدان الوطن العربي إلا أنها تختلف في الأسماء، الإمارات يطلق عليها اسم كليلة، الأردن يسمونها حدر بدر، بغداد يسمونها باسم بلبل حا، البصرة صكلة ولاك، فلسطين دق لحاب أو الحابة.[3]

[1]– بشير بديار وآخرون، **التاريخ الرياضي لمدينة الأغواط**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 20.

[2]– المرجع نفسه، ص، 20. تسمى في مناطق الجنوب الكبير "تاشكوم" أنظر: سرقمة عاشور، مرجع سابق، ص199.

[3]– بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص 21. شاهين بن مُحَمَّد بن علي البلوشي، **الألعاب الشعبية البلوشية**، مؤسسة الانتشار، بيروت، لبنان، 2016، ص، 2.

ثانيا عصية سراة: تلعب هذه اللعبة في الليل حيث يجتمع اللاعبون في مكان فسيح ويضعون متاعهم على الأرض على شكل كومة، وبعدها يشكل اللاعبون دائرة ويغمضون أعينهم ويبقى لاعب خارج الدائرة وتكون العصا في يده، وبعد إغماض اللاعبين أعينهم يرمي العصا إلى أبعد ما يستطيع في أي اتجاه وبعد سقوط العصا يعطي إشارة للبحث عنها في الظلام الدامس والذي يجدها عليه أن يسرع بها إلى كومة ويجب أن لا يعترضه أو يلمسه أحد اللاعبين وهكذا تكرر اللعبة حسب القواعد، وكانت تلعب قديما عند العرب، إذ كان الهدف منها تطوير الملاحظة عند أولادهم إذ كانوا يسيرون ليلا وقد يحدث أن يضعوا شيئا أو أداة فيضطرون للبحث عنها ليلا لذلك سميت بهذا الاسم.[1]

ثالثا: لعبة السيق: (حرف "ق" نطق حرف g) هي لعبة معروفة في التراث لمدينة الأغواط وهي لعبة قديمة جدا، والمؤكد أنها لعبة صحراوية الأصل ودليل على ذلك أن أدوات اللعبة جلها من النخيل،[2] وهي عبارة عن عصيات « سيقات» مصنوعة من جريد النخل أو القصب تمارس من طرف الجنسين عدد العصيات هو ستة ذات وجهين مختلفين في اللون[3]وجه أخضر ووجه أبيض، أما الأداة الثانية فهي نوى التمر وعددها 16 أما الخصم فيستعمل الحصى وعددها 16 أبيض،[4] تنطلق هذه اللعبة بإجراء القرعة حيث يقوم بجمع الأجزاء الستة وضمها إلى بعضها ثم ينثرها على الأرض، فإذا وقعوا العصيات واحدة ملونة و5 بيضاء يسمح للفريق بالتقدم بخانة واحدة وفي هذه الحالة يواصل اللاعب اللعب، وفي حالة وقعوا 4 عصيات ملونة و2 بيضاء يسمح للفريق التقدم بخانتين ويمرر اللعب إلى الذي يليه، وفي حالة 3 ملونة و3 بيضاء تسمى هذه الحالة (سيق) ويسمح للفريق التقدم بثلاث خانات ويمرر اللعب...أما في حالة 6 عصيات ملونة أو ما يسمى « ستة» يسمح للفريق التقدم بـ 12 خانة وله الحق في اللعب مرة أخرى،[5] وهذه اللعبة تلعب أيضا في المشرق العربي كالأردن والإمارات العربية المتحدة ويطلق عليها تسمية الطاب.[6]

---

[1]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص 23.

[2]- المرجع نفسه، ص 27.

[3] -https://www.ouarsenis.com، تاريخ الولوج: 29/04/2019، على الساعة: 17 :08.

[4]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص 27.

[5] -https://www.ouarsenis.com ، تاريخ الولوج: 29/04/2019، على الساعة: 17 :08.

[6]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص، 27.

رابعا: لعبة الدرقاية: يلعبها اثنين فما فوق، يجعلون عصيهم والعصا القصيرة من العصا يأخذها صاحبها ويرميها على رأسها بكل قواه وتدور دورات على طرفها ثم تسقط وبعدها يتقدم اللاعب وفي يده عصاة فيضع قدمه على أول أثر لسقوط العصا القصيرة على الأرض ويحاول أن يرمي عصاه على العصا القصيرة فإن أصابها تحسب له نقطة بين الاثنين وإن كان أكثر يحاول الآخرون إصابة العصا القصيرة بعصيهم وإن لم يصب يرمي عصاه وبعد أن تستقر في مكانها يحاول صاحب اللاعبون العصا القصيرة أن يضربها ويفعل الباقي مثله والفائز في هذه اللعبة يكون أصاب في رميه أكبر عدد من الضربات على العصا بعصاه.[1]

خامسا: لعبة الخربقة: فاللعبة عبارة عن مناطق لعب في الرمل أو التراب، وتتمثل الخربقة في مربع يتكون عادة من تسعة وأربعين حفرة يرسمها اللاعبون بالإبهام على الرمل أو يخطونها في شكل مربعات بما يشبه رقعة الشطرنج، ثم يبدأ اللاعبون في وضع قطع من الأحجار في الحفر، أربعة وعشرون قطعة لكل لاعب فحين تبقى الحفرة الوسطى فارغة ليبدأ منها اللعب وتسمى القطع في تونس ومصر والسعودية كلابا وفي الأردن وفلسطين جراء.[2]

سادسا: لعبة الطويل يطير: هذه اللعبة تشبه لعبة الدرقاية إلا أنها تلعب في الفضاء وليس الأرض ولها نفس القواعد.[3]

سابعا: لعبة جدي أعمى: تعصب عين أحد اللاعبين حتى لا يرى شيئا وبعدها يدور حوله مجموعة من اللاعبين يحاولون لمسه وهو عليه أن يقبض على أحدهم وإذا أمسك بأحدهم يحل مكانه وهكذا.

ثامنا: لعبة الجبارية: ترجع تسميتها إلى طائر الحبارية إذ يحاولون تقليده في مشيته، ويجلس اللاعب جلسة القرنصاء وعلية أن يمشي برجليه ويديه، ويحيط به اللاعبون الذين يحاولون لمسه وعليه أن يلمسه برجليه كل شخص أن يقترب منه دون أن يستوي واقفا ولها نفس قواعد الألعاب السابقة.

---

[1]- المرجع نفسه، ص، 24.

[2]- علي عليوة، **قراءة سيسيولوجية للألعاب الشعبية الترويحية لعبة الخربقة أنموذجا**، الملتقى الوطني المعنون: الرياضة والمجتمع، مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 13-12-2018، ص45.

[3]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص، 24.

تاسعا: لعبة الضامة: : أصلها تركية وأصبحت جزءا من تراثنا الشعبي، وتعتمد على الذكاء والإدراك والسرعة البديهية وعوامل سيكولوجية أخرى، وهي لعبة معروفة أيضا في الكثير من البلدان العربية مع اختلاف بينهما، بحيث كانت هذه اللعبة معروفة في التراث الشعبي الأغواطي.[1]

اللعبة يلعبها اثنان ويجلسان متقابلان وجها لوجه، يتم رسم مربع كبير طول ضلعه (30*30) ينقسم إلى 64 مربعا صغيرا وتقسم إلى قسمين 32 خانة سوداء و32 خانة بيضاء ويتم اللعب في الخانات السوداء فقط وكانت تمارس من طرف الأطفال والشباب والشيوخ حيث كان هناك ما يشبه الأصناف:

1- صنف يدخل فيه العامة وهو أدنى الأصناف.

2- صنف المتوسطين وهم أعلى مرتبة.

3- الصنف الثالث، الصنف الممتاز وعادة ما يضم قلة اللاعبين ولا يتعدون ستة أو سبعة لاعبين وعلى رأسهم بطل واحد أو اثنين على الأكثر. [2]

عاشرا: لعبة الفلجة: هذه اللعبة منتشرة في مدينة الأغواط وهي لعبة ذهنية مسلية تستقطب مختلف الأعمار وخاصة الكهول والشيوخ ولعل تسميتها بالفلجة تعود إلى الكلمة العربية الفلجة والتي تعني الفوز، حيث كلما استطاع أحد اللاعبين وضع ثلاثة من جراءه بكل دقة في صف واحد يفوز ويظفر بجرو يشرعه من جراء خصمه ويقول يفلج قبل أن يبقي جرو الخصم خارج المربعات، أما رقعة اللعب ترسم على الأرض.[3]

[1]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص 25- 29.

[2]- المرجع نفسه، ص، 30.

[3]- نفسه، ص، 26.

المبحث الخامس: مؤسسات التعليم التقليدية[1]:

أولا : المساجد: تعتبر المساجد أبرز هيئات التعليم والثقافة في الفترة الاستعمارية وما قبلها، ورغم التضييق التي أضحت عليه حالة المساجد وروادها والقائمين عليها إلا أنها قامت بدور مهم في دعم المقاومة الثقافية لساكنة الأغواط، ويمكن تقسيم المساجد في الأغواط إلى:

1/ مساجد بنيت قبل الاحتلال الفرنسي: تتفق أغلب المصادر على أن مدينة الأغواط كانت تضم قبل الاحتلال الفرنسي لها أواخر 1852م خمسة مساجد هي : مسجد العتيق – مسجد ابن بوطة – مسجد الأحلاف – مسجد سيدي العربي – مسجد الشاذلية (الدراويش).[2]

وبعد اجتياح الاستعمار الفرنسي لمدينة الأغواط و اقتحامه لها في 4 ديسمبر 1852م قام المحتل بتحطيم مسجد بن بوطة و مسجد سيدي العربي نهائيا ضمن المخطط الاستعماري المتعلق بالتوسع العمراني بالمنطقة. ليتبقى مسجد الأحلاف الذي حول إلى كنيسة و مسجد العتيق الذي تم مصادرته من طرف الإدارة الاستعمارية ثم تحويله إلى إسطبل في إطار السياسة التنصيرية التبشيرية لفرنسا من أجل نشر العقيدة المسيحية بالمنطقة و طمس الهوية الوطنية والشخصية العربية الإسلامية.[3]

أ)مسجد العتيق: يوجد المسجد في مدينة الأغواط، ويقع في الجهة الغربية من المدينة تحديدا حي الغربية بشارع مسجد العتيق، الذي يحده من الشرق ومن الشمال منازل سكنية ومن الغرب أرضية تابعة للمسجد ومن الجهة الجنوبية طريق رئيسي، يعرف المسجد باسم العتيق لقدمه وعتاقته وليس له سوى هذا الاسم المعروف به يعتبر مسجد العتيق أقدم معلم ما يزال باقيا بمدينة الأغواط على الإطلاق، ويعود بناؤه حسب الروايات الشفوية المتداولة إلى تأسيس المدينة أي إلى القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي، بينما يذكر بعض المؤرخين الفرنسيين أن بنائه يعود إلى نهاية القرن الخامس عشر ميلادي، وذلك بناءا على كتابة تذكارية من الجص تم العثور عليها أثناء دخول المستعمر الفرنسي، دون تحديد مكان وجودها بالمسجد، وحسب عمارة وتخطيط المسجد وشكله

[1]– استثنيت الزوايا من هذا المبحث، بسبب ورودها في فصل الطرق الصوفية وتأثيرها الثقافي.

[2]– علالي، مرجع سابق، ص74-75. طالبي، مرجع سابق، ص37.

[3]– ورنيقي، مرجع سابق، ص55. علالي، مرجع سابق، ص75. طالبي، مرجع سابق، ص37.

الهندسي الذي العمق فيه أكبر من الطول وهذا من خصائص المساجد المغربية المشيدة في القرنين التاسع والعاشر ميلادي، فالأرجح أنه بني قبل القرن 15م بكثير، والكتابة التذكارية المشار إليها آنفا، قد تكون مجرد أعمال ترميم فقط.[1]

يحظى مسجد العتيق باهتمام كبير من طرف سكان المدينة، بصفته المسجد الذي ترتد إليه الكثير من الأعلام مثل: سيدي الحاج عيسى، الرحالة الناصري، ومؤسس الطريقة التيجانية سيدي أحمد التيجاني والشيخ مبارك الميلي، كما تداول الإمامة به عددا من أهل العلم والفضل منهم الشيخ مُحَمَّد بن مُحَمَّد الريانية العالم الجليل الذي لم يبقى من آثاره إلا اسمه شاهدا عليه، وكذا منهم الشيخ مُحَمَّد الريفي الذي عرف خاصة بأخلاقه الكريمة ومكانته الفاضلة في الوسط العلمي.[2]

كان للمسجد بابان من جهة الشرق عند بنائه قديما، حيث يدخل من خلالهما لقاعة الصلاة مباشرة، ولا يوجد عنصر وسيط بين القاعة و الشارع كالسقيفة مثلا، وللمسجد أربع بلاطات عمودية على جدار القبلة وعمق المسجد به أربع سكايب، وكل أسكوب يتكون من بائكة بها أربعة أقواس، وأقواسه ذات طراز رائع، فنجد القوس الخارجي شكله مربع بزواياه العليا تدرجات محمولة على أغصان العرعار، وعارضة من جذع النخيل، و يحتضن هذا القوس قوسا ثانيا على شكل حذوة فرس يمتاز ببدائية بنائه، وتحمل الأقواس دعائم مربعة الشكل و ضخمة حيث يتجاوز طول الضلع الواحد المتر، كما يتميز جدار القبلة بمحراب و منبر محفورين في عمقه، وتوجد بالجدار مشكوات صغيرة حفرت فيه كانت توضع فيها قناديل الإنارة، وقد يوضع بها حجر التيمم وأحذية المصلين .[3]

كانت توجد بعض العناصر الخرفية البسيطة بالمسجد، لكن كانت ذو قيمة معمارية كبيرة مثل شكل الأقواس المزدوجة : قوس مربع وسطه قوس على شكل حذوة فرس ، و الأعمدة الضخمة التي تحمل

[1]- نظارة الشؤون الدينية، **الأغواط تاريخيا وثقافيا**، مديرية الشؤون الدينية، الأغواط د ت، ص24.

[2]- المرجع نفسه، ص24.

[3]- أسامة طلحة، **مقاربة تحليلة لتحولات المساجد القديمة لمدينة الأغواط دراسة حالة المسجد القديم**، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي تخصص تراث معماري، قسم الهندسة المعماري، جامعة عمار ثليجي ، الأغواط، 2018، ص6.

الأقواس وطريقة تركيبة القوس بالعمود و إنشاء القوس الثاني ، وطراز المحراب المقوس و البسيط و المحفور في حائط القبلة ، والمشكاوات التي بالجدران .[1]

وكأغلب المباني القديمة فان المواد المستعملة في التشييد هي التي يجدها البناؤون قريبة من محيطهم فيجلبوها بسهولة وينشؤون بها بناءات تبقى عبر التاريخ لتشهد على مهاراتهم، وقد استعمل في انجاز المسجد: الحجارة في القواعد، ويروى أن القواعد قد نحتت نحتا من الجبل، الذي يقع المسجد في سفحه، و اللبنات أي الطوب المجفف على الشمس، فقد بنيت بها الأعمدة والأقواس والجدران، وجذوع النخيل المقطعة طوليا، وجذوع الأشجار والجريد المنزوع السعف والقصب، استعملت في التسقيف، و ملاط الجير والرمل، صقلت به الجدران والأعمدة و طليت به الجدران.[2]

لقد طرأت على مساجد المدينة عدة تحويلات وتدخلات تجلت في عمليتي التوسعة والترميم، وذلك على صيغته الأولى القديمة، عمليات ساهمت في تكوين هذه المساجد على ماهي عليه الآن، كما أضيفت المنارة في ركن المسجد الشرقي بحجرة المؤن، والمعروف أن عمارة المساجد بالأغواط قديما لم تكن بها مآذن أو منارات، وان أول منارة تم بناؤها بمساجد الأغواط كانت مسجد الصفاح.[3]

ب) مسجد الأحلاف أو مسجد الخليفة: يقع مسجد الأحلاف بمدينة الأغواط، تحديدا في حي بن باديس (حاليا) ، سمي المسجد بمسجد الأحلاف نسبة لأولاد الأحلاف إحدى أشهر القبائل التي قطنت منطقة الأغواط والتي جاورت قبائل أولاد سرغين، حيث كان لكلاهما حيه ومسجده وادارته المدنية وسوقه الخاص به.[4]

يعود تأسيس مسجد الأحلاف إلى ما قبل الاستعمار الفرنسي بحوالي قرنين وحينما دخل المستعمر إلى مدينة الأغواط في سنة 1852م استولوا عليه، حيث تم قتل جماعة من المصلين بداخله وحولوه

---

[1]- المرجع نفسه، ص8.

[2]- مديرية الثقافة، **بطاقة تقنية لتسجيل مشروع– تصنيف قصر الأغواط**، مديرية الثقافة، ولاية الأغواط، ص13-14.

[3]- المرجع نفسه، ص15.

[4]- طالبي، مرجع سابق، ص37.

إلى كنيسة، وهذا قبل بناء الكنيسة المعروفة حاليا، ثم حول مرة أخرى إلى مخزن يخدم مصالح المعمرين بالبلاد.[1]

وقد طلب الخليفة الحاج جلول من الحاكم الفرنسي في الجزائر أن يشتريه منه، واشتراه الخليفة بالفعل من الإدارة الاستعمارية بثمن قدره (ثلاثون ألف فرنك) ورممه وأصلحه مما كان عليه وأعاده إلى سيرته الأولى كما كان مسجدا، وتولى الإمامة به في تلك المرحلة الفاضل المحترم الشيخ عبد العزيز ابن الهاشمي من ناحية واد سوف، ثم طلب الشيخ السعيد الزاهري ثم الشيخ مبارك الميلي حيث درس به حوالي ستة سنوات، إلى جانب أئمة الجمعة، وهكذا توالت الإمامة إلى بودرهم الأغواطي ثم انتقلت إلى عبد القادر كزواي، ثم سي مُحَّد زاهية ثم ي مُحَّد عبد اللاوي، ثم سي عزوز بن سي يوسف، ثم أحمد زياني ثم ستي مولاي الفضيل و بعده الصادقي ناجي ثم التخي مُحَّد العلاوي ثم الطيب الحيرش ثم مصطفى المغربي و غيرهم.[2]

لقد استعملت مواد بدائية في تشييد مسجد الأحلاف، وذلك كمعظم البناءات المحلية القديمة، حيث بنيت الجدران والأعمدة بلبنات الطوب المجفف على الشمس، واستعمل خشب التخيل والعرعار والجريد والطين في التسقيف والأجر الموقد على النار في تبليط الأرضية لقاعة الصلاة وفي إنشاء الأسطوانات والأعمدة، بينما استعمل ملاط الجير والرمل في صقل الجدران والأعمدة وكان طلاء الجدران بالجير كما كانت توجد بعض العناصر الزخرفية البسيطة بمسجد الأحلاف، لكنها كانت ذو قيمة معمارية كبيرة، تجسدت في الأعمدة الضخمة التي تحمل الأقواس، وفي طراز المحراب المحفور في حائط القبلة وفي شكل الأبواب والأقواس وكذا في أشكال النوافذ مربعة الشكل والبسيطة.[3]

ج) مسجد الشاذلية: يعد مسجد الشاذلية أحد أقدم مساجد مدينة الأغواط التي شيدت قبل الاحتلال الفرنسي المنطقة، يقع هذا المسجد بحي بن باديس، يقصر الأغواط العتيق، وهو في أسفل الجبل الذي عليه مقام الشيخ عبد القادر الجيلالي بالمدينة، وهو المعروف في الموروث الشعبي لمنطقة الأغواط بمسجد الدراويش، والدراويش كلمة تركية الأصل، تدل على المنقطعين عن الدنيا إلى العبادة

[1]- المرجع نفسه، ص37.

[2]- عطاء الله طالبي، مرجع سابق، ص37.

[3]- ورنيقي، مرجع سابق، ص57.

من الزهاد والصالحين، كما سمي نسبة إلى الطريقة الشاذلية التي ظهرت بمنطقة الأغواط خلال القرن 19 م مع قدوم الشيخ سيدي موسى بن الحسن المصري ، حيث يعود تأسيس مسجد الشاذلية إلى فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي بالأغواط، حيث قيل تم تأسيسه منذ سنة 1828 م، وهناك من قال سنة 1829 م، أسس مسجد الشاذلية سيدي موسى بن الحسن الدمياطي المصري المنتمي إلى الطريقة الشاذلية.[1]

ولقد تداول على هذا المسجد العديد من علماء الأغواط أبرزهم سيدي البشير بن الحاج الشريف المغربي المتوفي سنة 1918م، والذي كان يعقد داخل هذا المسجد دروسا للحديث النبوي وقراءة البخاري، حيث كان مريدو الطريقتين الشاذلية وكذا القادرية لا يفارقون دروسه.

كان مسجد الشاذلية مسجدا صغير بطابع معماري مميز يتسم بالبساطة والروحانية، إلا أنه مع مرور الزمن تم هدمه وتجديده وتغيير ملامحه التقليدية القديمة، واللجنة الدينية للمنطقة تسعى اليوم جاهدة إلى توسعته مع إعادة تهيئته من جديد. إن مسجد الشاذلية يظل مقصدا لطلبة العلم والمشايخ وكبار الأئمة والعديد من العلماء الأجلاء الأفاضل.[2]

2/ مساجد بنيت بعد الاحتلال الفرنسي: بعدما انتهجت فرنسا سياسة ترهيبية جائرة ضد مساجد مدينة الأغواط، وما آلت إليه تلك المساجد من تهديم و تحطيم و مصادرة من الإدارة الاستعمارية، إلا أن سكان المنطقة سعوا جاهدين إلى استرجاع كل المساجد التي تم مصادرتها كما عملوا على بناء وتشييد مساجد جديدة للتصدي إلى سياسة فرنسا الرامية إلى محاربة الإسلام ونشر تعاليم العقيدة المسيحية بين سكان المنطقة، و بعد مجهودات قيدتها أغلال استعمارية مستبدة، تمكن سكان الأغواط من تأسيس بعض المساجد خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين وهذه المساجد كانت كالآتي :

أ)مسجد التاوتي (النور) : يقع مسجد التاوتي في الجهة السفلى بحي الغربية، حيث يعتبر هذا الحي من أقدم الأحياء بمدينة الأغواط (قصر أولاد سرغين قديما)، وهو من أقدم مساجد مدينة الأغواط،

[1]- الشؤون الدينية، مرجع سابق، ص24. ورنيقي، مرجع سابق، ص57.

[2]- الشؤون الدينية، مرجع سابق، ص24.

ونشأته تعود لمحاولة أهل المنطقة في الحفاظ على الشخصية الإسلامية أمام الأخلاق الأوروبية الداخلية، حيث قام الشيخ علي بن أحمد بن سالم آغا الأغواط سنة 1864م بتشييد هذا المسجد بقلب المدينة على طراز بنايات المدينة قديما، و سمي المسجد على اسم مؤسسه التاوتي "أحمد بن سالم". [1]

يصنف ضمن أقدم المساجد المتواجدة بمدينة الأغواط، تقدر مساحة المسجد الإجمالية ب378م2، ومساحة قاعة الصلاة به 252م2، وسعة المسجد تصل إلى 504مصل، وهو يقع بحي العتيق بمدينة الأغواط، وقد كانت مساحة مسجد التاوتي تبلغ في مخططه القديم 245م2، والباقية بني عليها مطهرة، ولم يكن له مئذنة ولا سطح مستعمل، كان يحده من الأمام قطعة أرض الوقف، ومن الخلف قطعة أرض ملكية خاصة.[2]

صمم مسجد التاوتي بقلب مدينة الأغواط على طراز المدينة القديمة، فكانت أصل المادة التي بني بها الحجارة التي وضعت في الأساسات ليعلوها الطوب المجفف و سقف بالخشب و القصب و الملاط، الا أنه جدد جزء من سقفه الذي يسنده ست و ثلاثون سرية مربعة الشكل بسيطة البناء، تميز هذا المسجد بباب أمامي وآخر خلفي، وله قاعة صلاة مستطيلة تحتوي على أعمدة ضخمة تحمل أقواس دائرية ، وله محراب بسيط و نوافذ مستطيلة الشكل وله مرافق : كالحمام و المطهرة، علما أنه يحتوي على بئر و قبر أحمد بن سالم التاوتي الذي بناه، كما يتميز مسجد التاوتي بطابق ثاني به أربعة أسقف و سطح و بعناصر زخرفية كانت تبدو بسيطة، لكنها ذو قيمة معمارية جمالية كبيرة: مثل الأعمدة الضخمة متساوية الأبعاد التي تحمل الأقواس، المحراب المقوس والبسيط في حائط القبلة ، وأشكال الأبواب وأقواس نصف دائرية، و أشكال النوافذ مربعة الشكل وبسيطة ، وكانت المواد المستعملة في بناء المسجد كمواد أغلب المباني القديمة بالمدينة، حيث بني هذا المسجد على منحدر تيزقرارين (الناحية الغربية) والمواد كالآتي: – الطوب المجفف ،وتسقيف بأخشاب التخيل (عوارض) وأغصان

[1] – طالبي، مرجع سابق، ص40. ورنيقي، مرجع سابق، ص57. الشؤون الدينية، مرجع سابق، ص24.

[2] – هيزوم الطيب، **مقاربة تحليلية لتحولات المساجد القديمة لمدينة الأغواط– دراسة حالة مسجد التاوتي**، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي، تخصص تراث معمتاري، قسم الهندسة المعمارية، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، 2017، ص5.

العرعار و الجريد و القصب ،و التبليط بالحجر المصفح والأجر في الدرج ،و المصقل بملاط الجير والرمل .[1]

تعرض مسجد التاوتي إلى عملية توسعة وعدة ترميمات في فترات زمنية مختلفة، خاصة الجزء القديم إلا أن الحمام الموجود به، مازال على حالته القديمة ، وهي على العموم لا تزال مقبولة ، وقد استفاد مسجد التاوتي من قطعة أرض مجاورة في سنة 1925 م، أقيمت عليها توسعة قاعة صلاة، وإنشاء حمام في الأرض التي كانت وقفا للمسجد كما تم إنشاء ثلاث غرف في الطابق الثاني وسط مستعمل، كما طرأ على المسجد عدة تدخلات شملت :الأعمدة في عملية التوسعة ثم إنشاء أعمدة ذات أبعاد أقل من أبعاد الأعمدة القديمة ، السقف : تم إضافة عوارض حديدية تسند السقف الذي كان من أخشاب التخيل وأغصان الجريد و العرعار والقصب ببعض جهات المسجد، وتغير التقف كليا بجهات أخرى ضمن عملية التوسعة.[2]

ب) مسجد الشيخ عبد القادر الجيلالي : يقع المسجد بالجهة الشرقية من المدينة القديمة، حي زقاق الحجاج ، واسم المسجد حاليا سيدي عبد القادر الجيلالي و عرف قديما باسم مسجد القادرية .

بني مسجد عبد القادر الجيلالي عام 1872م، و هذا بعد عشرين سنة من سقوط مدينة الأغواط بأيدي الاحتلال الفرنسي، جاء كردة فعل من سكان مدينة الأغواط ضد السياسة الاستعمارية تجاه مساجد المدينة الرامية إلى تهديم المساجد و تحويل بعضها إلى كنائس ومستودعات، قيل أن الشخص الذي بادر عبد القادر الجيلالي كان من أحد أبناء بن ناصر بن شهرة أحد أشهر رجال المقاومة الشعبية بالجنوب الجزائري، و سمي المسجد بأحد أشهر الأئمة الصوفية "عبد القادر الجيلالي البغدادي" مؤسس الطريقة القادرية .[3]

يدخل للمسجد بواسطة سقيفة، فنجد قاعة الصلاة في الجهة اليسرى التي بها ثلاثة أبواب أوسعها الباب الوسط، وأضيقها الباب الأول المخصص لدخول الإمام، وشكل قاعة الصلاة مستطيل ضلعه

[1]- هيزوم الطيب، مرجع سابق، ص7.

[2]- الشؤون الدينية، مرجع سابق، ص24. هيزوم، مرجع سابق، ص11، 15.

[3]- ورنيقي، مرجع سابق، ص57. طالبي، مرجع سابق، ص41.

الصغير جهة القبلة، والأعمدة مربعة الشكل ليست لها قواعد وبها تيجان بسيطة على مستوى بداية العقود، وشكل هذه الأخيرة مدبب، في الجهة اليمنى من السقيفة توجد مكتبة صغيرة، وتفضي السقيفة التي تلتوي قليلا إلى الحمام التقليدي وإلى الدرج الذي يصعد بواسطته إلى القاعة والسطح والكتاتيب والسدة وهي طابق أول استحدث بالمسجد ليصلي فيه عند الاكتظاظ، وهيكلها من أعمدة وعوارض معدنية وسقفت بألواح خشبية. [1]

وقبل الصعود إلى الطابق الأول نجد في الجهة اليمني في السقيفة ممر يفضي إلى بئر صغيرة، لا يزيد قطرها على متر وقد صونت بالحجارة، وكان المصلون والسكان المجاورون للمسجد يغترفون منها الماء بواسطة الدلو، كما كانت تغذي الحمام التقليدي. – وهذا الحمام قديم وهو من أوائل الحمامات المعروفة بالمدينة، ويتكون من قاعة استراحة وسقيفة، وقاعة دافئة مجزأة إلى بيوتات فردية للاستحمام وكان الحمام يسكن بالحطب، ويوجد به التنور، وهو فرن التدفئة، والمرجل وهو برميل الماء لتسخينه، تحت السلالم المؤدية إلى الطابق الأول، وعند صعود السطح نجد باب السدة، المذكور أعلاه، وباب آخر يطابقه، القاعة مستطيلة، وهي فوق الحمام، وبعد صعود أدراج السلالم الباقية نجد السطح، فوق قاعة الصلاة ليصلى فيه صيفا، كما توجد فوق القاعة التي على الحمام غرفة مستطيلة وهي كتاب لتدريس القرآن بينما يعلو سقيفة المسجد قاعة ضيقة جدا وطويلة. يمتاز مسجد عبد القادر الجيلالي بطرازه البدائي حيث لا نجد فيه منشآت زخرفية خاصة، إلا ما يتعلق بتيجان الأعمدة التي تتميز بإفريز بسيط، أو شكل الأقواس المدببة قليلا. [2]

وكمعظم البناءات المحلية القديمة استعملت مواد بدائية في تشييد المسجد، فقد بنيت الجدران والأعمدة أي العرسات، بلبنات الطوب المجفف على الشمس ، بينما استعمل خشب التخيل والعرعار والجريد والطين في التسقيف، كما استعمل الأجر الموقد على النار في تبليط الأرضية وفي بعض المنشآت كتيجان الأعمدة وفي السقف العازل بالحمام، فسقف الحمام مزدوج السقف الأعلى

[1] – مديرية الثقافة، مرجع سابق، ص25.

[2] – المرجع نفسه، ص22

بالخشب والجريد والطين، والسفلي المعرض للرطوبة بأجر على شكل قبة بها ثقبة مستديرة بأعلاها للتهوية. [1]

ج) مسجد الصفاح : هذا المسجد يتوسط المدينة، ويعد تحفة أثرية، بني على آثار مبنى الصقاح وهي دار الخليفة بن سالم، حيث يقع المسجد في الجهة الغربية من المدينة القديمة على إحدى قمم جبل تيز قرارين، هذا الجبل الذي يقسم المدينة إلى شطرين : الشمالي و الجنوبي، وهو يوجد في نهاية محور هام شارع المقطع المسمى أول نوفمبر حاليا، حيث يرى لكل داخل المدينة القديمة، إذ تلوح له من بعيد منارته الكبرى التي تقع في الجهة الغربية، ويزيد طولها عن العشرين متر من القاعدة، والصغرى في الجهة المقابلة تقارب العشر أمتار .3 ب) تسمية المسجد : يعرف كذلك بالجامع الكبير لأنه كان أكبر مسجد بالمدينة وسمي بمسجد الصومعة كذلك لأنه يعتبر أول جامع بالمدينة تقام له صومعة أي منارة، أما تسميته بالصفاح فنسبة للصخرة الكبيرة التي شيد عليها.[2]

شيد مسجد الصقاح سنة 1874 م، وأشرف على بنائه البناء الايطالي الأصل موليناري الذي اعتنق الإسلام، وأوصى بأن يدفن بمقبرة المسلمين، كما شارك في بنائه بعض الصناع الماهرين مثل الحاج الثليجي، ويعتبر مسجد الصقاح أو ما يعرف بمسجد الصومعة و بالمسجد الكبير أيضا، أحد أشهر المنارات العلمية بمدينة الأغواط، والتي تعاقب عليها علماء أجلاء وأئمة أفاضل نذكر منهم :

الشيخ مُحَّد ابن علي الأغواطي ثم العلامة الحاج مسعودي وكان وقتها شيخا ذا علم غزير و خلق كريم و داهية، عرف بحنكته في التعامل مع الاستعمار، و في الوقت المعاصر تولى الإمامة في هذا المسجد شيخ ذا علم و خلق، اعتبر الفقيه الأول في زمنه على مستوى ولاية الأغواط، هو المرحوم الشيخ طيب الحيرش.[3]

تحد المسجد ساحتان واحدة من جهة القبلة و يصلي فيها في الليالي الساخنة و ساحة من جهة الدخول ويصعد لها بواسطة درجات من الحجارة حيث يقابلنا المسجد، و توجد بهذه الساحة في

[1]- مديرية الثقافة، مرجع سابق، ص23.

[2]- طالبي، مرجع سابق، ص41.

[3]- الشؤون الدينية، مرجع سابق، ص26. مديرية الثقافة، مرجع سابق، ص24. طالبي، مرجع سابق، ص41.

الجهة الشرقية أقسام التدريس القرآن، كتاتيب على مستوى الأرضية، بينما ينزل للطابق السفلي حيث قاعة للوضوء و الاغتسال، و يصعد للمسجد بدرجات موجودة على يمين و اليسار، تحقها ر درابيزن على شكل قلل، وبعد الصعود نجد باحة صغيرة نصفها على شكل رواق حيث أبواب الجامع الثلاثة، و النصف الآخر من الباحة غير مسقف، و يتكون هذا الرواق من خمسة أقواس، أقواس مدببة محمولة على أسطوانات مستديرة، و عمارة جامع الصقاح مستوحاة من الطراز الغوطي، الذي يمتاز بعقوده المدببة المندفعة نحو الأعلى، و بالنوافذ المستديرة التي تتخلل العقود . خططت قاعة الصلاة على شكل مربع طول ضلعه 20، 60 متر، و هي تتكون من 5 بلاطات عمودية على جدار القبلة و بها 5 أساكيب موازية لجدار القبلة، و سقف الجامع محمول على أسطوانات مستديرة الشكل عددها ستة عشر، و الأقواس التي تعلوها مدببة، وتوجد في الاتجاهين معا: جهة القبلة والجهة الموازية لها، وللجامع نوافذ بشكل عقود مدببة، وذلك في كل الواجهات ما عدا جهة الدخول وفي جدار القبلة يوجد المحراب الذي حفر بها، كما يوجد باب صغير في الجهة الغربية من هذا الجدار.[1] وللجامع صومعتان، الأولى من جهة الغرب في رواق الدخول، و الثانية تقابلها جهة الشرق، وتعتبر الصومعة هي الأساسية، حيث تجد بها سلالم حلزونية من الحجارة المهندمة تفضي إلى سطح الجامع و إلى قمة المنارة، و شكلها مربع كأغلب منارات المغرب العربي يعلوها جوسق، أما الطابق العلوي للمنارة، شكله مثمن، أما المنارة الأخرى في الجهة المتناظرة، فلا يوجد غير الجوسق مبني على السطح وهو مثمن الشكل، ولا توجد بها سلالم و شكلها الداخلي مستدير. وعلى السطح في الوسط، توجد زهرة الرياح، تتثل في اطار من المرمر مثبت على قاعدة، نقش عليها اتجاهات و مسافات بعض المدن و القصور التي كانت تابعة للأغواط.[2]

بالنسبة للعناصر الزخرفية مسجد الصقاح كثيرة و متنوعة و نذكر منها: – العقود و النوافذ المدببة – الأسطوانات، أي الأعمدة المستديرة الشكل مع قواعدها المربعة و تيجانها المتدرجة – الشمسيات السداسية الشكل الموجودة بين عقود النوافذ – شريط الافرازيات الذي يتوج واجهة الجامع – إطارات الخزف الملون : ابيض و أخضر – الشرفات المستنة المحيطة بالسطح – الإطارات

[1] – مديرية الثقافة، مرجع سابق، ص25. الشؤون الدينية، مرجع سابق، ص26.

[2] – مديرية الثقافة، مرجع سابق، ص25

و الأقواس الصماء الموجودة على واجهات المنارة – التجويف المقوس الموجود في مدخل الجامع بالساحة السفلى، و الذي بحائطه المغطى بالزليج الأخضر، حوض من الحجارة ليصب منه الماء في اكبر بالأرض فهو كذلك منحوت من الحجارة.[1]

و كل المواد التي كانت متوفرة استعملت في البناء: – الحجر المهندم في أساس الجامع وفي السلالم – الأجر الموقد على النار في أسطوانات الجامع وفي العقود، وفي تبليط الأرضية لقاعة الصلاة (آجر مسدس الشكل) – القرميد و الأجر في الشرط المزخرف: الإفريز – الجبس في انجاز الدرابيزن الواقية للسلالم – الزليج في شتى التغطيات الخرفية على الحائط – العوارض الحديدية لحمل قباب الآخر نصف أسطوانة للسقف – ملاط الجير والرمل في صقل جميع الجدران – الجير لطلاء الجدران .[2]

د) مسجد سيدي الشيخ: يقع مسجد سيدي الشيخ بمدينة الأغواط، تحديدا بحي الشطيط الشرقي، سمي بمسجد سيدي الشيخ، نسبة لمؤسسة الفعلي الشيخ القاضي بن الدين، بعد دخول الاستعمار الفرنسي للأغواط سنة 1852م، سارع على تهديم المساجد و مصادراتها، ففكر أهل المنطقة الجنوبية لمدينة الأغواط في بناء مصلى لهم، وكان من بيت الباعثين لهذه الفكرة و المواظبين على تحقيقها، الشيخ القاضي بن الدين، و يرجع تاريخ محاولة بنائه إلى عام 1887م، و تداول عليه العديد من الأئمة الأفاضل.[3]

هـ) مسجد أنس بن مالك: قام سكان الأغواط ببناء مسجد أنس بن مالك كمحاولة لهم في التصدي لسياسة فرنسا الاستعمارية الهادفة إلى محاربة الدين الإسلامي وطمس الهوية الوطنية الجزائرية العربية من خلال تهديم المساجد ومصادرتها ونشر تعاليم المسيحية عن طريق التبشير والتنصير، ومسجد أنس بن مالك تم تشييده بعد الاحتلال الفرنسي للأغواط عام 1905م، ويقع هذا المسجد بحي الشطيط الغربي.[4]

[1]– مديرية الثقافة، مرجع سابق، ص25.

[2]– الشؤون الدينية، مرجع سابق، ص26.

[3]– ورنيقي، مرجع سابق، ص57. طالبي، مرجع سابق، ص41. مديرية الثقافة، مرجع سابق، ص25.

[4]– مديرية الثقافة، مرجع سابق، ص24.

و)مسجد أحمد الشطة: يعد مسجد أحمد الشطة أحد مساجد مدينة الأغواط التي تم تشييدها فترة الاحتلال الفرنسي للمنطقة، حيث ساهم سكان الأغواط في بنائه وكان ذلك عام 1945م، وهو يقع وسط المدينة بالضبط شارع أول نوفمبر، وكان إمامه الشهيد أحمد شطة.[1]

ز) مسجد علي بن أبي طالب يقع مسجد علي بن أبي طالب بحي الصادقية بالأغواط، حيث يحده من الجهة الشرقية والشمالية والجنوبية شوارع، وغربا يحده منازل سكنية، سمي المسجد بمسجد علي بن أبي طالب نسبة للصحابي الجليل ابن عم الرسول ﷺ علي كرم الله وجهه.

قبل بناء مسجد علي بن أبي طالب، لم يكن هناك بحي الصادقية مسجد تؤدي فيه شعائر الله عز وجل، إلآ مكان واحد يقع بمحاذاة مع كهف الصادقية، كان مخصصا لقراءة القرآن الكريم وتحفيظه والذي أصبح فيما بعد مدرسة قرآنية، حيث اتخذه مجموعة من المواطنين مكان للصلاة وأداء شعائر الجمعة، وبمرور الأيام تزايد جمع المصلين فكان من الواجب التفكير في إيجاد مكان آخر يتخذ لبناء مسجد على أرضية صحيحة متينة، ويرفع فيه صوت الآذان، وبعد التفكير والتشاور مع المواطنين وكذا أصحاب البر والإحسان والهيئات المختصة على مستوى البلدية والولاية، انطلقت سواعد سكان المنطقة لتعلن ايذان بدء بناء أول مسجد بحي الصادقية، حيث يعود تاريخ الشروع في انجاز هذا المسجد إلى عام 1958م، وان أبرز الأئمة الكبار اللذين تداولوا الإمامة به الشيخ مصطفى شبحة.[2]

3/ **سياسة فرنسا الاستعمارية تجاه مساجد الأغواط:** تعددت أوجه الاستعمار الفرنسي بعد سيطرته على الجزائر، بهدف اجتياحه لكل مظاهر المجتمع سياسيا واجتماعيا ودينيا وكذا اقتصاديا و ثقافيا، لتتجلى آثار ممارسته الهمجية بالبلاد في العديد من المجالات تجسدت في مايلي : تحطيم المساجد، قتل العلماء، بناء الكنائس، طمس الطابع العمراني المحلي، تأسيس المدارس الاستعمارية، إتلاف الكتب و المخططات، طمس الهوية الوطنية العربية الإسلامية..... الخ.[3]

[1]- الشؤون الدينية، مرجع سابق، ص23.

[2]- أحمد جخدم، **الفسحة في التعريف بالإمام شبحة**، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، ص131، 140.

[3]- علالي، مرجع سابق، ص74-75. ورنيقي، مرجع سابق، ص55. طالبي، مرجع سابق، ص36.

ومنه لم تسلم الأغواط بعد سقوطها بأيدي الاحتلال من سياسة السلطات الاستعمارية الرامية على تفكيك المجتمع الجزائري وعلى محاربة الإسلام ونشر العقيدة المسيحية حيث إنه بعدما وطأت أقدام الاحتلال الفرنسي أرض الأغواط، واستيلائهم عليها نهائيا في 4 ديسمبر 1852م، عاث الغزاة بالأرض فسادا ، فأتوا على الأخضر واليابس، نكلوا بسكانها فقتلوا وشردوا وعذبوا العديد منهم، كما هب المحتلون إلى تهديم مباني الأغواط وأساورها إلى قطع التخيل والأشجار وحرق الأراضي والمنازل، و لم تسلم مؤسسات الأغواط الدينية حتى من هذه السياسة الفرنسية الاستعمارية حيث تعرضت لمحاربة شديدة أعلنها المحتل ضدها منذ دخوله الأغواط. بعدما انتهجت فرنسا مختلف الوسائل والأساليب التعسفية الترهيبية تجاهها الضغط و تضييق الخناق عليها، كون هذه المؤسسات تمثل عائقا صلبا و شديدا ضد السيطرة الاستعمارية و كذا أمام سياسة فرنسا التنصيرية .[1]

-مساجد كان مصيرها التهديم والتحطيم نهائيا مثل مسجد بوطة و مسجد سيدي العربي، وكان هذا ضمن مخطط فرنسا الاستعماري الخاص بالتوسع العمراني بمنطقة الأغواط .[2]

-مساجد كان مصيرها المصادرة والتحويل مثل مسجد العتيق : بعد اجتياح الاحتلال الفرنسي لمدينة الأغواط، أقدمت السلطات الاستعمارية على مصادرة مسجد العتيق كغيره من الأملاك والعقارات التي جعلت رهن الحجز، حيث عاث عساكر فرنسا بالمسجد فسادا لمدة طويلة من الزمن، إلى أن تمكن الباقون من السكان من استعادته مقابل دفع مبالغ مالية باهضة، فمع مطلع عام 1853 م تمكن سكان الأغواط من استرجاع مسجد العتيق من الإدارة الاستعمارية بعدما كان إسطبل في إطار سياسة الاحتلال التعسفية تجاه الدين الإسلامي ، أما مسجد الأحلاف فقد حول إلى كنيسة، وبعد تأسيس الإدارة الاستعمارية لكنيسة خاصة بها استلمته البلدية لجعله مستودعا.[3]

وكانت مصادرة هذه المساجد وتحويلها إلى كنائس وثكنات واصطبلات ومستوصفات ومراكز إدارية ومستودعات عسكرية تخدم مصالح المحتل كلها تدخل ضمن ما أسمته فرنسا بالسياسة التنصيرية التبشيرية تجاه سكان الأغواط، لتحقق بذلك نشر تعاليم الديانة المسيحية وطمس الهوية الوطنية،

[1]- ورنيقي، مرجع سابق، ص55-56. مدني لبتر، مرجع سابق، ص86. طالبي، مرجع سابق، ص36.

[2]- طالبي، مرجع سابق، ص37.

[3]- لبتر، مرجع سابق، ص86

ومحاربة الشخصية العربية الإسلامية، كما حورب شيوخ و أئمة مساجد مدينة الأغواط و تم ملاحقتهم قضائيا وتعرضوا لمتابعات قمعية من الضباط العسكريين ومصالح المخابرات السرية، كما وضع حدا لنشاطاتهم الدينية الثقافية و فرضت عليهم و على أتباعهم مراقبة شديدة فنفي و شرد العديد منهم إلى مناطق نائية داخل و إلى خارج البلاد.[1]

صادرت الإدارة الاستعمارية كل أملاك الأوقاف و الحبوس الإسلامية التي كانت ممولة المساجد المدينة خاصة الأراضي الزراعية، وحرمت تدريس أبواب الجهاد من الفقه الإسلامي و كذا تدريس تاريخ الجزائر الوطني و جغرافيتها، تم مراقبة الكتب التي يقتنيها و يستعملها أئمة كل المساجد، كما شددت سلطات فرنسا في منع استعمال السبورة و الطباشير في الكتاتيب القرآنية إحدى ملاحق المساجد لكي يبقى التعليم تقليديا متخلفا، كما تم إلزام الكثير من الأئمة و شيوخ مساجد مدينة الأغواط التقدم إلى إدارات الشرطة الفرنسية بصفة دورية لبحثهم و التعرف على نشاطاتهم بالمساجد، ومنه منع الكثير منهم في أداء واجباتهم بعد تقييدهم و الضغط عليهم ، إضافة لكل هاته المضايقات الشديدة من طرف الإدارة الاستعمارية تجاه مساجد مدينة الأغواط، شرع المحتل بعد كل هذه الجرائم في بناء كنيسة ضخمة، و في تشييد العديد من الأديرة بالمدينة الرجال و نساء الكنيسة المسيحية، ممن كانوا يسمون الآباء والأخوات البيض الذين كانوا يحاولون استغلال وضع فقر و ضعف السكان المحليين و إدخالهم للديانة المسيحية.[2]

لقد ذكر الشيخ الحاج عبد القادر رمان أنه في الفترة الاستعمارية كانوا يتعلمون العلوم الفقهية والنقلية إلا أنهم كانوا يقومون بهذا العمل سرا، لأن فرنسا كان تقوم بمراقبة كل ما يتعلمه أبناء الجزائر محاولة منها لتجهيل الشعب الجزائري ، كما أعطى الشيخ مقارنة بين الفترة الاستعمارية والفترة المعاصرة في كيفية اختيار الأئمة وشروط الالتحاق بمهنة التدريس التي يجب أن لا تتعارض مع السلطات الفرنسية ولا تكون إلا آنذاك وفق مصالحها، وان الإمام كانت توظفه السلطات الفرنسية، وهي من تحدد موضوع الخطب، فكان الإمام موظف لدى الإدارة الفرنسية، أمثال الحاج عمر مسعودي الذي تكلم عنه بإسهاب في كتابة الأئمة الأربعة للمسجد الكبير (الصفاح) غير أن هذا الأخير عندما كان يعمل

[1]- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[2]- نفسه، والصفحة نفسها. طالبي، مرجع سابق، ص38. علالي، مرجع سابق، ص89-90.

تحت إمرة الاستعمار موظف لدى الحكومة الفرنسة أبي الأهالي أن يصلوا ورائه ويضيف أن هناك فتاوى ضده لأنه كان موظف لدى السلطات العدو، غير أن الشيخ لم يؤدي سوى واجبه اتجاه مجتمعه، كما قامت فرنسا بملاحقة الشخصيات البارزة والعلماء والفقهاء وتصفية الكثير منهم.[1]

وهذا إن دل يدل على وعي الإدارة الفرنسية بالدور الكبير الذي تلعبه المساجد في توعية الأفراد والحفاظ على المقاومات الشخصية الجزائرية، وان السلطات الفرنسية كانت تسعى جاهدة في أتلاف المخطوطات والتراث الثقافي ومصادرته وقتل العلماء وكمثال واحد نذكر تتبعها واقتفائها اثر العلماء والأعيان وبعد المقاومة المسلحة لمدينة الأغواط أين ذكر بتبجح النقيب داي باري في مذكراته بذهابه لاغتيال قاضي مدينة الأغواط بعد سقوطها، فتتبعوا الشخصيات البارزة وصفوة المدينة فقتلوا منها الكثير وأقدموا على إحراق العشرات من الأعيان في الأكياس بأمر من جنرال بيليسي قائد الحملة.[2]

4/ الدور الديني للمساجد :

أ) وظيفة الإمامة والخطابة: لقد تعددت الوظائف في المساجد من الإمامة والخطابة والمؤذن وغيرهم ، والإمامة وظيفة تكليف وليست تشريف وليس لأي شخص يمكن له أن يكون إماما، إلا إذا كان فقيها وعالما بعلوم دينية وخفاياه ومتمكن من الدين، وبالنسبة لمدينة الأغواط فقد كان لها عدة أئمة يعدون منارة في العلم والفقه والعطاء، ونذكر منهم الحاج عبد القادر رمان الذي كتب عن الأئمة الذين واكبهم في مسجد الصفاح، مثل الحاج عمر مسعودي الذي كان يعمل إمام وخطيب في مساجد الأغواط مثل العتيق، أيضا الحاج مُحَمَّد الريغي والذي عرف بأخلاقه الكريمة ومكانته الفاضلة في الوسط العلمي أيضا البشير جوادي كل هؤلاء تداولوا على مسجد العتيق بوظيفة الإمام والخطيب دون أن ننسى الشيخ مبارك الميلي الذي كان يقدم دروسه بالمسجد العتيق.[3]

---

[1]- عبد القادر رمان، **الأئمة الأربعة للمسجد الكبير – الصفاح الأغواط**، دار الضحى للنشر والإشهار، الجلفة، الجزائر، 2016، ص 15. طالبي، مرجع سابق، ص36-38.

[2]- طالبي، مرجع سابق، ص37-38. عبد القادر رمان، **شيوخ الزوايا والكتاتيب القرآنية في القديم ودورها في الحفاظ على كتاب الله**، مطبعة بن سالم، الأغواط، 2016، ص52-53.

[3]- عبد القادر رمان، **الأئمة**..، مصدر سابق، ص57-58. الشؤون الدينية، مرجع سابق، 18.

أما بالنسبة لمسجد الصفاح فتداول عليه الحاج عمر مسعودي وقبله الشيخ كان الشيخ مُحَّد بن علي الأغواطي ثم تولى الإمامة بعدهم الشيخ سي الطيب حيرش رحمهم الله، أما مسجد الخليفة فقد تولى فيه الإمامة في تلك الفترة الشيخ عبد العزيز الهاشمي من ناحية واد سوف، ثم مبارك الميلي ودرس به حوالي 6 سنوات ثم تولى الإمامة بعده بودرهم الأغواطي ثم عبد القادر كزواي ثم سي مُحَّد بن زاهية ثم سي مُحَّد عبد الله ومن ثم سي عزوز بن يوسف.[1]

ومسجد الشيخ عبد القادر الجيلالي والذي كان منارة من منارات العلم والإصلاح فدرس فيه وتناوب عليه مشايخ أجلاء منهم الحاج عطا الله كزواي رحمه الله والشيخ الطيب حيرش والذي كان له لقاء مع الشيخ شطة، الحاج تاوتي والذي توجد قرابة بينه وبين الإمام المرحوم الطيب حيرش فالأول خال الثاني.

ومسجد الخليفة فأم فيه عدة أئمة لهم مكانتهم في مدينة الأغواط منهم الحاج الطيب العلاوي التخي والتاوتي، وآخر المساجد فمسجد الشاذلية فلم يكتفي بالإمامة من أهل المدينة فقط فقد زاره أئمة من

خارج الجزائر أمثال سي حامد المصري الذي جاء من جمهورية مصر العربية ليلقي دروسا بمسجد الشاذلية إلى جانب عبد القادر رومان وحامد التخي والشيخ البشير بن الحاج الشريف المغربي المتوفي سنة 1918 حيث كانت تعقد بهذا المسجد دروسا للحديث النبوي وقراءة البخاري، وكان الطريقتين القادرية والشاذلية لا يفارقون دروسه.

– نماذج عن أئمة الأغواط:

***الحاج عمر مسعودي:** هو الشيخ عمر بن ساعد بن أحمد بن مسعود الجوادي ولد بعين ماضي عام 1885 حفظ القرآن منذ صباه وكانت بداية دراسته العلمية بالزاوية التجانية وتكفل به أثناء دراسته الشيخ محمود التجاني لأنه كان من أسرة فقيرة وبعد أن أكمل دراسته بالزاوية التجانية أرسله إلى مازونة وبعد أن رجع منها شد الرحال ثانية إلى تونس ليلتقي هناك بخيرة علمائها فنهل منهم الكثير ولم يطل بقائه في عين ماضي ليتوجه إلى القرويين فكثر زاده العلمي بها وبقي بها وقتا ليس بالقليل، وبعدها رجع لكفيله ليزوجه بإحدى بنات العائلة وأنجب منها ذرية طيبة، وبقي خطيبا بمساجد عين

[1]–رمان، **الأئمة**...، مصدر مرجع سابق، ص36 وما بعدها. الشؤون الدينية، مرجع سابق، ص18.

ماضي حتى طلب منه الرحيل إلى مدينة الأغواط، ليستنير بعلمه فيشغل منصبا بها وعمل في التعليم فذاع صيته حتى أنه اعتلى منصب الإفتاء بالمنطقة كلها، وتتلمذ على يده عدد كبير من الطلبة منهم أكمل دراسته في المدارس فكانوا قمما وتقلدوا مناصب سامية وأخرين انقطعوا عن الدراسة واشتغلوا الإمامة مكانة بعد وفاته منهم ابنه الأكبر مُحَّد مسعودي. [1]

* **الشيخ مُحَّد بن داود طاهري 1886–1977**: ولد الشيخ مُحَّد بعين ماضي وكعادة أقرانه حفظ القرآن الكريم في بلدته وأكمل دراسته الابتدائية بها إلى أن سافر إلى المغرب الأقصى للاستزادة من العلم كعادة أهل المنطقة الجنوبية الغربية فنال زادا وفيرا منه ورجع إلى الجزائر فكان عضوا نشيطا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مما جعل الاستعمار الفرنسي ينفيه رفقة الشيخ الابراهيمي إلى مدينة افلو وبعد الاستقلال شغل منصبه بمسقط رأسه إلى أن وافته المنية عام 1977 من مؤلفاته رسائل فقهية ومشروع كتاب بدأ فيه سماه افتح الودود" في التعريف بالحاج مُحَّد بن داود . [2]

* **الشيخ أحمد العناية الدوهسي**: ولد الشيخ بعين ماضي في سنة 1908 وترعرع في حضن والديه حفظ القرآن على يد مشايخ البلدة ثم التحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية فنال شهادتها عام 1919م وما إن شب حتى بدأ يتجول في المناطق المجاورة وخاصة الزوايا إلى أن بدأت رحلته العلمية بتوجهه إلى تونس 1930 رفقة عدد من الطلبة الجزائريين من بينهم عبد اللطيف سلطاني والأخضر السائحي وغيرهما ومكث هناك ستة عشر سنة لطلب العلم جالس وأخذ في هذه الفترة على عدد من العلماء التونسيين منهم الشيخ الجزيري، وهو صاحب الرحلة المشهور إلى أواسط إفريقيا سنة 1947 رفقة الحاج بن عمر التيجاني، حيث كانت رحلة دعوية تكللت بنجاح كبير، وقد زاول الإمامة بالمسجد العتيق بعين ماشي.[3]

[1]– مُحَّد مسعودي، **الحاج عمر مسعودي العالم**، مطبعة بن سالم، الأغواط، 2009، ص14. عبد القادر رمان، مصدر سابق، ص11-21.

[2]– الشؤون الدينية، مرجع سابق، ص16.

[3]– المرجع نفسه، ص17. سيتم التعريف به في الفصل اللاحق المتعلق بالطرق الصوفية.

***الإمام الحاج البشير مباركي:** هو الحاج البشير مباركي بن مُحَّد بن الجودي من عرش الجودات "الأرباع" الأغواط، وكان من مواليد 1912، فكان نسخة طبق الأصل من شيخه الحاج عمر مسعودي، فقد بث فيه رحمه الله الروح الدينية العلمية نظرا لمداومة ملازمته له، حيث درس على يده الفقه المالكي وقراءة بعض المتون وسرعان ما تأثر بشيخه قلبا وقالبا، فكان من التلاميذ البررة، وذلك بملازمته في أغلب الأوقات نظرا لتشوقه ومحبته في تلقي العلم، أضف إلى ذلك ما لقنه من حسن الآداب والتربية عن طريق السماع، الإرشاد والتواصي بالحق، فكون منه شيخه رجلا صالحا، فكانت معرفته في ميدان الفقه والشريعة وخاصة في المذهب المالكي، حيث أهلته معرفته الدينية بتولي الإمامة بالمسجد الكبير خلفا لشيخه وسي جلول كراشي رحمهما الله. [1]

ب) وظيفة الأذان: فالمؤذنون بمدينة الأغواط يكادون يعدون بالأصابع خاصة في فترة الاستعمار ونذكر منهم سي الطالب، الحاج مراد، الحاج الرش وسي أحميده السايحي فكان هذا الأخير مؤذنا بجامع التاوتي.

* **المؤذن الحاج عيسى الرش:** مؤذن بالمسجد الكبير ولد سنة 1930، فهو مثال للرجل الحازم والمجد في العمل عند أداء ما أوجبه عليه الواجب الديني وهو القيام بالآذان فكان ملازما دوما للآذان سباقا له في جميع الصلوات الخمس، فهو من المؤذنين الأوفياء، كما كان يخلف الإمام أحيانا في الصلاة عند غيابه مثل غياب الإمام سي جلول أو سي الحاج البشير جوادي أو سي الطيب رحمهم الله، كان في طيلة تلك الفترة التي تعاقب عليها هؤلاء الأئمة هو الذي يتولى شؤون المسجد.[2]

5- الدور الاجتماعي: على غرار المدن والحواضر الصحراوية تفاعلت عدة عوامل إجتماعية وبيئية مختلفة في تكوين مدينة الأغواط التي يغلب عليها الطابع الحضري والمستقطبة بفعل مؤثراتها المختلفة لتواجد مكثف لبعض القبائل البدوية التي حطت في ضواحي مدينة الأغواط ،وقد مارس الاستعمار الفرنسي عدة وسائل لتحطيم هذه البنية الاجتماعية عبر عوامل هدم عديدة في بنية المجتمع المحلي للأغواط ، وفي تلك الفترة برز المسجد في حماية البنية الاجتماعية وهويتها من الانصهار والضياع والانحلال، وهنا برزت الطرق الصوفية وجمعية العلماء المسلمين كأحد المثبتين برجالها المفعلين للمسجد

[1]- عبد القادر رمان، **الأئمة..**، مصدر سابق، ص31-32.

[2]- المرجع نفسه، ص42-43.

كمؤسسة في ظل الظروف الصعبة لوجود الاستعمار، أما عن مدينة الأغواط فقد كان الأغواطيون اجتماعيين نشطين يحبون مجالسة الإخوان ويهتمون بأنباء الوطن والمسلمين يسرعون مع الشروق إلى حقولهم فيعملون فيها، وفي المساء بعد فراغهم من العمل يمسون بأحلى حلة فيخرجون إلى المقاهي وديار الأصدقاء فيجلسون فيها بكل أبهة ووقار، كما اشتهر أهل الأغواط مع أن معظمهم كانوا فلاحين وتجارا صغار بحرصهم على حسن المظهر وأناقة الملبس، وقد لعبت المساجد في المجال الاجتماعي دورا كبيرا إلى جانب دروس الوعظ والإرشاد ، إلى جانب حفظ الدين الإسلامي والتوسط في حل النزاعات والمراعاة بين العائلات والعروش، ومحاربة الخرافات والبدع التي من شأنها أن تبعد الفرد عن دينه، وكما حافظت على تماسك الأفراد.[1]

ثانيا: الكتاتيب القرآنية: وهي الكتاب (جمع كتاتيب) أو المكتب كما يسمى أحيانا وذلك أن الكتاب المخصص عادة التحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة للأطفال، وكان في الغالب عبارة عن حجرة أو دكان في الأصل أو جناح في مسجد معد للغرض المذكور، وكانت الكتاتيب منتشرة في جميع الأحياء، وقد بدأت هذه الكتاتيب القرآنية تظهر منذ صدر الإسلام بالمدينة قبل هجرة الرسول صل الله عليه وسلم ، ثم انتشرت في سائر البلدان الإسلامية ومنها الجزائر وبلدان المغرب التي تطورت فيها تطورا كبيرا واسعا في العصر الحديث، وتكثف في عهد الاستعمار الفرنسي خلال القرنين 19و20 كأسلوب وسيلة لمواجهة سياسة التنفير والتمسيح والفرنسة وحماية الشخصية العربية الإسلامية للجزائر والمقاومة سياسة التجهيل التي كانت تتبعها الإدارة الفرنسية الاستعمارية في البلاد.[2]

الكتاتيب القرآنية موجودة في كل حواضر وقرى الجزائر بصورة مكثفة ويتولى تحفيظ القرآن الكريم فيها حفظة القرآن اللذين يطلق عليهم اسم "الطلبة" أو "المشايخ" وإلى جانب تحفيظ القرآن، يتلقى الأطفال في بعض هذه الكتاتيب الكبيرة في الأغواط قواعد تلاوة القرآن وتجويده وترتيله على الروايات

[1]- مُحَمَّد علي دبوز، مرجع سابق، ج3، ص236.

[2]- عبد القادر رمان، **شيوخ الزويا**..، مصدر سابق، ص48-49.

المتعددة ويحفظون بعض متون العلوم الفقهية والشرعية واللغوية مثل: ابن عاشر، الشاطبية، وألفية ابن مالك.[1]

وقد كانت وظيفتها الأساسية هي تحفيظ القرآن الكريم للأطفال وترتيله لهم، وقد دعت الحاجة لتأسيسها من أجل تجنيب المساجد أوساخ الأطفال وضوضائهم والاحتفاظ بنقاوتها ، وطهارتها ووقارها، ليجد فيها المصلون والمتعبدون جو الخشوع المطلوب من العبادة، كانت هذه الكتاتيب أحيانا بيوت منفردة، وأحيانا مجمعات من البيوت مختلفة الأحجام والأشكال، ومعظم هذه الكتاتيب القرآنية بالأغواط خلال فترة الاحتلال الفرنسي، كانت بسيطة المظهر والمبنى، قليلة الإمكانيات المادية، وأصحابها "الطلبة و "المشايخ" كانوا من الطبقة الفقيرة والكادحة، يتصدون لتعليم القرآن الكريم في هذه الكتاتيب للحصول على لقمة العيش أساسا، يستعمل هؤلاء في تلقينهم القرآن الكريم ومختلف العلوم الدينية العصي والأسواط، وكذا من أجل تأديب الأطفال. [2]

بالرغم من المظهر البسيط لهذه الكتاتيب القرآنية أحيانا، وفقر أصحابها، وللأساليب العتيقة المختلفة التي كانت تطبق و تتبع داخلها، فان دورها مهم جدا في المحافظة على القرآن الكريم، وعلى الطابع العربي الإسلامي شكلا ومحتوى، إضافة إلى مقاومة وإفشال مخطط السياسة التنصيرية الفرنسية بالبلاد.[3]

ويتولى تحفيظ القران فيها حفظة القران الكريم ويزدحم الأطفال حولهم ذكورا و إناثا، والذين تختلف أعمارهم ويجلسون على الأرض فوق الحصائر والسجاجيد على شكل دوائر نصفية فيملون عليهم أجزاء من القرآن الكريم يكتبونها بأقلام من القصب وصمغ مصنوع من الصوف المحروق وصمغ البطم (نوع من أشجار المنطقة)على ألواح خشبية مطلية بطين الصلصال، وبعد كتابته وتصحيحه في الفترة الصباحية، يتمرن الأطفال على قراءتها قراءة أولية، ثم يتلونه في المساء ويقرؤونه بأصوات جهرية حتى يحفظونه ثم يمحونه في الصباح اليوم الموالي، ويكتبون غيره وهكذا بصفة دورية ودائمة حتى يأتون على سور وأحزاب القرآن الكريم، أما التوقيت في العادة يتم تعليم القران في الصبح من الخامسة أو

[1]- طالبي، مرجع سابق، ص41. صادقي، **مراحل وأشواط**..، مرجع سابق، ص246.

[2]- علالي، مرجع سابق، ص91. ورنيقي، مرجع سابق، ص58.

[3]- جخدم، مرجع سابق، ص128-129.

السادسة حتى العاشرة وفي المساجد من الثالثة حتى العصر. وقد كانت الدروس تأخذ على مستويات اعتمادا على القواعد والنحو واللغة وتحفيظ القرآن الكريم، أما من جهة كيفية الدروس فكانت راتبة على حد تعبير الشيخ الحاج عبد القادر بن رمان، أنها كانت تلقن راتبة على التلاميذ، وهم يشكلون حلقة فيكتب التلميذ ما يسمعه من شيخه، أما طريقة تفسير القرآن فكانت كالتالي: يقوم المعلم بالفتوى (الإملاء) والشرح والطلبة يكتبون ما يسمعونه من معلمهم وعلى حسب ترتيب الآيات يكون الشرح آية بأية حتى ينتهي من الكتاب بأكمله، وكان لكل تلميذ مصنف يشرحه له معلمه، فهو عبارة عن ألفيات أو مسائل فقهية أو أحاديث يقوم المعلم بشرحها وتفصيلها ليبسطها التلميذ ليسهل حفظها.[1]

كما أن الدروس كانت تأخذ بنفس الطريقة بالنسبة لجميع مساجد الأغواط وقد ذكر أنه شخصيا كان يدرس بنفس الطريقة في جميع المساجد التي درس بها، كما صرح بأنه قد حضر للشيخ أحمد شطة رحمه الله في أحد الدروس التي كان يلقيها بسطح المدرسة التي تحمل الآن اسمه وكانت تسمى سابقا مدرسة الشبيبة وكان ذلك سنة 1958م فقد كان الأغواطيون متعطشين إلى مدرسة عربية عصرية تعلم أبنائهم ما يريدون، وتربيهم التربية الإسلامية التي يتمنونها فلما نشأت المدرسة أقبلوا عليها في لهفة فحققت آمالهم.[2]

لقد اعتمد معلم القرآن في فترة الاحتلال في تدريسه للتلاميذ خاصة في فقه اللغة والنحو والصرف على عدة طرق أو مصنفات منها الأجرومية :نسبة إلى عالم نحوي يسمى إبن آجرروم الصنهاجي، وهي عبارة عن تصنيف مختصر في النحو ويعد مرجع أساسي للمبتدئين عليها من الشروح وأيضا هي ألفية وتدرس في المرحلة الثانية بعد النحو الواضح الذي يدرس في المرحلة الأولى ، إبن عاشر : وهو منظومة تتألف من 314بيتا في العقائد والعبادات والتصرف تسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين لمؤلفها عبد الواحد إبن عاشر ألفها للأمي أو من هو في درجته (من المبتدئين) وعليها من الشروح والحواشي الشيء الكثير الدر الثمين الصغير والكبير لمبار المغربي، فيحفظ التلاميذ أبوابه مع

[1]- رمان، **شيوخ الزوايا**..، مصدر سابق، ص35، 38 وما بعدها. جخدم، مرجع سابق، ص 130. ورنيقي، مرجع سابق، ص 58. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج2، ص 277.

[2]- دبوز، مصدر سابق، ج3، ص 246-247. علالي، مرجع سابق، ص 92-93. جخدم، مرجع سابق، 130.

فهم قليل لمسائله، ويذكر الشيخ الإمام عبد القادر رمان أن مساجد مدينة الأغواط كانت تعتمد في التدريس على رسالة أبي زيد القيرواني في القواعد و مختصر الشيخ خليل المصري المعروف ب : سي خليل ومتن العشماوية في الفقه المالكي ،و ألفية ابن مالك في النحو، ويكون تدريسها عن طريق السمع حيث يقوم المعلم بتلقين التلميذ ويشرح له الأبيات بالتفصيل ثم يعرضها عليه بعد الحفظ، وأحيانا يعتمد التلميذ على ذكائه .[1]

وفيما يلي رسال كتبها القاضي مُحَّد بن إسماعيل المعروف بالقويضي إلى الشيخ مُحَّد بن الحاج العرابي المعلم بكتاب حي الشطيط بالأغواط، حيث يقول فيها: " الحمد لله وحده وصل الله على سيدنا مُحَّد. السيد مُحَّد بن الحاج العرابي السلام عليكم أما بعد: أيها السيد هاهم أولادي قاصدينك تعلمهم ولا تضربهم إلا على الفعل القبيخ لا على الحفظ فإن ذلك من الله وخوفهم فقط كما يفعل والدك رحمه الله فإنه يخفف عنهم الكتابة ويقصرها ويحفظهم الكلمة قبل أن يفتي لهم الأخرى، ولا يضرب الضرب الذي يطمس العقل، وأنت عليم بالأدب لهم والحفظ من الله، ونحن قصدناك تبركا بك وبأبيك فإننا سعدنا عليه، وخوفهم خن التخلف والتراخي عن القدوم فقط، ولا تلمهم في التأخير عن الصبح فإننا في الأجنة، والسلام من كاتبه إسماعيل بن مُحَّد .."[2]

ومن معلمي القرآن في هذه الفترة نذكر: الشيخ كزواي وابنه مُحَّد، وعبد الله بن الركزة ومسعود بن شتيح بن الركزة، وعمر بن الحاج سعد، ومُحَّد بن عزوز، ومصطفى شبحة وغيرهم كثير ممن سيأتي ذكرهم والترجمة لهم .[3]

ثالثا: مصادر تمويل المؤسسات التعليمية التقليدية:

ولقد كانت هاته المؤسسات الدينية تمول اقتصاديا من طرف مصادر مالية يمكن حصرها على مصدرين أساسيين هما:

[1]- عبد القادر رمان، **شيوخ الزوايا**..، مصدر سابق، ص39 وما بعدها. ورنيقي، مرجع سابق، ص58.

[2]- المصدر نفسه، ص 35-37.

[3]- طالبي، مرجع سابق، ص42-43.

– الإعانات التي يقدمها لها المحسنون من أثرياء في شكل نقود، بضائع ومواد غذائية (حبوب، زيوت وحيوانات وأدوات، و ألبسة، ومفروشات وغيرها، وذلك بصفة دورية[1].

– أموال الحبس والأوقات الإسلامية التي يوقفها عليها الأشخاص والهيئات الخيرية والجماعات، وبعض الولاة والأمراء، وتتنوع إلى أرض زراعية، حقول للأشجار المثمرة والغلال كالزيتون والتين، والحيوانات الحلوبة، والمحلات التجارية، والحمامات المعدنية لتدر عليها أموال الحبس هذه و الأوقاف : الأموال اللازمة لصرفها على احتياجاتها المختلفة كالتغذية والإنارة والتنظيف والتبييض والتأثيث والصيانة والإنفاق على طلبة العلم والعلماء، والفقراء، وإجراء الإصلاحات المطلوبة للمؤسسة، وبفضل هذه الأموال والصدقات المتنوعة، تتولى هذه المؤسسات الدينية الاتفاق على طلبة العلم والعلماء وعلى حفظ القرآن الكريم، والقائمين على خدمة هذه المؤسسات من الوكلاء والمؤذين والمؤذنين والأئمة والمشايخ، وكذا إطعام الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ولقد كان المساجد مدينة الأغواط حبوس و أوقاف تمولها و تدعمها لسد كل حاجياتها و متطلباتها.

لقد عملت الإدارة الفرنسية جاهدة على إصدار العديد من القرارات والمراسيم التي تنص على رفع الحصانة عن الأملاك الوقفية، وذلك بهدف إدخال هذه الأملاك في نطاق التعامل التجاري، والتبادل لكي يسهل على مستوطنين امتلاكها والتحكم فيها، ويعتبر القرار الصادر في سبتمبر 1830 أول قرار فرنسي يتعلق بالأوقاف الذي يحدد ملكية الدولة، حيث تتضمن بنودا تنص على أن السلطات العسكرية الفرنسية الحق في الاستحواذ على أملاك الأتراك ثم توالت المراسيم والقرارات التي تتجه في معظمها إلى إحكام سيطرة الإدارة الاستعمارية على الأملاك الوقفية في الجزائر ، ولقد ساهمت فئات اجتماعية مختلفة من سكان الأغواط في تحبيس جزء من أملاكهم على المساجد، وذلك بتخصيص مبالغ مالية من عائدات الأوقاف الخطيب والمؤذن فضلا عن ترميم بعض المساجد، وشراء لوازم لها، فقد جاء في إحدى الوثائق أن السيد فرحات دهيليس بن الحاج جلول بن لخضر حبس بعض من أملاكه لصالح مسجد الخليفة بلدية الأغواط سنة 1945م وكذلك تحبيس السيد فرحات البشير بن حمزة منزلا تحت تصرف مسجد سيدي الشيخ بالأغواط سنة 1945،[2] ومن بين الأوقاف التي

[1]– عبد القادر رمان، **شيوخ الزوايا**..، مصدر سابق، ص50. الأخضاري، مرجع سابق، ص197.

[2]– فرحات بشير، عقد محفوظ بأرشيف مديرية الشؤون الدينية بالأغواط، ر: 666، 1945/01/20.

حبست على المساجد وقف لأرض فلاحية مساحتها 5 هكتارات في الحويطة قرب الأغواط مملوكة للشاعر والمثقف والإصلاحي دهينة دهينة الحاج عيسى، في 04 مارس سنة 1921، تحت رقم78.[1]

وبالمجمل فقد أحصيت حوالي 23 عقد وقفيا "عاما" لأراض فلاحية وسكنات ومحلات وعقارات وحتى أشجار نخيل وفاكهة وقفها سكان بلدية الأغواط وحدهم قبل 1962-مع عدم احتساب مختلف البلديات الأخرى- ، ممن يحتفظ بوثائقهم في مديرية الشؤون الدينية، والملاحظ أن جل هذه الأوقاف العامة ذهبت لبناء المساجد والمدارس القرآنية ولتوسعات وسكنات للمعلمين، أو مرتبات عليهم، هذا بخلاف الوقف الخاص على أشخاص باسمهم، فلم يمكن عدهم بسبب عدم معرفة طبيعة الموقوف عليهم.

-كما كانت هناك طريقة تسمى المشارطة، وهي أن يتكفل السكان بحاجيات المعلم من مطعم وملبس ومسكن مقابل تعليم أولادهم، وقد انتشرت هذه الطريقة في البادية كثيرا، و هي ظاهرة قديمة حيث لاحظها أحمد بن ناصر الدرعي في رحلته حيث قال عن الشيخ عبد الكريم التاوتي " كان مشارطا عند أعراب هنالك من الأغواط ".[2]

وفي الأخير فإن الثقافة الشعبية ومؤسسات التعليم التقليدية قد لعبت دورا هاما في حياة الأغواطيين في ظل الاستعمار الفرنسي، فرغم كونها تنتمي إلى سياق تاريخي مختلف، إلا أنها تمكنت بفضل حيوية السكان إلى أن تتحول إلى أحد أركان المقاومة الثقافية، سواء كانت مادية مثل المساجد والكتاتيب أو لامادية شفوية مثل القصص والأشعار والحكايات والألعاب، التي حفظت ذاكرة السكان وشكلت وعاء لثقافتهم، وواست أحزانهم وآلامهم في ظل استدمار شامل، وحفظت لهم -كنوع من المقاومة- أسماء أبطالهم الحقيقيين والخياليين، وشكلت جسرا لنقل تراثهم الديني واللغوي وحتى القيمي في ظل أمية المجتمع بسبب سياسات التجهيل، في حين شكلت المعارف الشعبية مثل الطب الشعبي والحساب الفلاحي بديلا عن الالتجاء إلى المنظومات الصحية والمعرفية الاستعمارية، التي تعامل معها الجزائريون عامة وبنو الأغواط خاصة بنوع من الريبة والتحفظ.

[1]- دهينة دهينة الحاج عيسى ، عقد محفوظ بأرشيف مديرية الشؤون الدينية بالأغواط، ر: 78، 1921/03/04.

[2]- أحمد بن ناصر الدرعي، مصدر سابق، ص722. أنظر أيضا: علالي، مرجع سابق، ص74.

لقد كانت منطقة الأغواط مجالا خصبا لنشاط الطرق الصوفية، حيث انتشر بها العديد من الطرق ظهرت بفضلها عدة زوايا، فظلت الأغواط بحكم موقعها الجغرافي و مكانتها العلمية و السياسية محطة التفاعلات أغلب هذه الطرق الصوفية و التي ساهمت في نشر العلم والثقافة و المعرفة و الحفاظ على الهوية الوطنية و على الشخصية العربية الإسلامية و في الحفاظ على الموروث العقائدي لمنطقة الأغواط، وفي مشاركتها في التربية الروحية للمجتمع وفي نشر الأخلاق الفاضلة السامية بين الأفراد، لتنافس الروايا بذلك دور المساجد، كما كان لها الفضل في التصدي للهجمات الاستعمارية الفرنسية، ولقد تم تسمية بعض مساجد مدينة الأغواط كذلك بأسماء الطرق الصوفية، كمسجد الشاذلية مثلا.[1]

[1]- عبد القادر رمان، **شيوخ الزوايا**..، مصدر سابق، ص 49-50. عطا الله طالبي ، نفسه ، ص 24 .

الفصل الرابع:

الطرق الصوفية وأثرها الثقافي في منطقة الأغواط

المبحث الأول: مفاهيم و مصطلحات حول التصوف

المبحث الثاني: الطريقة القادرية وأثرها الثقافي في منطقة الأغواط

المبحث الثالث: الطريقة الرحمانية الخلوتية وفروعها في الأغواط

المبحث الرابع: الطريقة الشاذلية وفروعها في الأغواط

المبحث الخامس : الطريقة التيجانية وأثرها الثقافي في الأغواط

تعتبر الطرق الصوفية صاحبة الدور الأول في توجيه السلوك الثقافي و الاجتماعي في فترة الاحتلال الفرنسي من خلال قيامها بمجموعة من الوظائف الاجتماعية والتربوية على مستوى منطقة الأغواط خاصة والجزائر بصفة عامة، وتعتبر الزوايا –بصفتها الحيز المكاني للطريقة لممارسة نشاطها –من المؤسسات الثقافية الاجتماعية التي تستمد مرجعيتها ومفاهيمها من الدين الإسلامي أساسا قد عرفت بدورها البارز في خدمة أفراد مجتمعها كالحفاظ على الهوية الوطنية والإسلامية خلال فترات الاستعمار ، ومساهمتها في نشر الوعي الديني إلى جانب نشاطاتها الاجتماعية والثقافية، نجد الزوايا قد استطاعت أن تفرض نفسها في المجتمع الحضري والبدوي ، بل وفرضت نفسها حتى على المحتل فاضطر لمحاربتها وتدميرها أحيانا ولمحاولة تطويعها واستخدامها أحيانا أخرى، وهذا يرجع إلى أن الطرق الصوفية ممثلة في زواياها وشيوخها ومقاديمها أصبحت وسيطا بين بين الحاكم والمحكوم.

المبحث الأول: مفاهيم ومصطلحات حول التصوف:

أولا: مفاهيم حول التصوف ونشأته : لقد شغلت كلمة تصوف وصوفية الباحثين فترة من الزمان سواء كانوا من القدماء المعاصرين لنشأة التصوف، أو من المحدثين الذين توفروا على دراسة كتب التصوف والترجمة لشيوخه ومؤرخيه، وقد غلبت هذه التسمية على هذه الطائفة، فيقال: رجل صوفي وللجماعة صوفية ومن يتوصل إلى ذلك يقال له، متصوف وللجماعة المتصوفة، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس، والاشتقاق والأظهر فيه انه كاللقب، بينما تعددت الآراء حول أصل التسمية بين من يعتبرها من من الصوف نسبة إلى الزهد في الملبس وهو من أثر الزهد في الدنيا وترك التنعم، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف فقط، ومن قال أنهم منسوبون إلى أهل الصفة بضم الصاد في مسجد سيدنا مُحَمَّد ﷺ، وهناك من قال أنه من الصفاء ،[1] وآخر قال: إنه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى.[2]

---

[1]– مُحَمَّد جلال شرف، **دراسات في التصوف الاسلامي**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1999، ص142.

[2]– زكي مبارك، **التصوف في الأدب والأخلاق**، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ت، ص48. أنظر أيضا: بودواية بلحيا، **التصوف في بلاد المغرب العربي**، دار القدس العربي، 2009، وهران، الجزائر، ص 13–14. الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص34–36. مُحَمَّد بن بريكة، **التصوف الاسلامي من الرمز إلى العرفان**، دار المتون للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2006، ص48–49.

وقد قال أحدهم واصفا هذا الخلاف:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا فيه وظنوه مشتـــــقا من الصوف

وليس يحمل هذا الاسم غير فتىً صافى فصوفي حتى لقب الصوفي[1]

وقد قال الإمام القشيري: الصفاء المحمود بكل لسان وضده الكدورة وهي مذمومة وعن أبي جحيفة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متغير اللون فقال: «ذهب صفو الدنيا وبقي الكدر فالموت اليوم تحفة لكل مسلم»، بينما سئل أبو مُحَمَّد الجريري عن التصوف فقال: الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني، بينما أجاب الجنيد عن نفس السؤال بقوله: أن يميتك الحق عنك ويحييك به، بينما وصفه القصاب بقوله: التصوف أخلاق كريمة، ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام،[2]وسئل سحنون عن التصوف فقال: أن تملك شيئا ولا يملكك شييء، وقال الجنيد أيضا: التصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع.[3]

وفي اصطلاح أهل العرفان تطهير القلب من محبة ما سوى الله، والتزيين الظاهر من حيث العمل والاعتقاد بالأوامر والابتعاد عن النواهي، والمواظبة على سنة النبي سيدنا مُحَمَّد ﷺ، وأما مراتب الناس على اختلاف درجاتهم فعلى ثلاثة أقسام:

1- الواصلون الكمّل وهم الطبقة العليا.

2- السالكون في طريق الكمال، وهؤلاء هم الطبقة الوسطى.

3- سكان الأرض والحفر (أهل المادة) "اللاصقون بالتراب" وهؤلاء هم الطبقة السفلى التي غايتها تربية البدن بتحصيل الحضوض المادية كالشهوات النفسانية والمتع الشهوانية وزينة اللباس، وليس لهم من العبادات سوى حركة الجوارح الظاهرية.[4]

---

[1]- مُحَمَّد علي أبو ريان، **الحركة الصوفية في الإسلام**، مصر، دار المعرفة الجامعية، 2003م، ص11-12.

[2]- المقصود بهذا القول سيدنا رسول الله ﷺ والرعيل الأول الذي تربى في مدرسته.

[3]- مُحَمَّد جلال شرف، مرجع سابق، ص 378-379.

[4]- عبد القادر الجيلاني، **السفينة القادرية**، تع: عبد الجليل عبد السلام، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2002م، ص 8- 9. بودواية، مرجع سابق، ص 10-12.

وقالوا: "هو علم تعرف به أحوال النفس، محمودها ومذمومها وكيفية تطهيرها من المذموم منها، وتحليتها بالاتصاف بمحمودها، وكيفية السلوك، والسير إلى الله تعالى، والفرار إليه.

علم التصوف علم ليس يدركه إلا أخو فطنة بالحـــــق معروف

وكيف يعرفه من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف[1]

أما العلامة ابن خلدون فقد أجمل المفصل وفصل المجمل بوصفه للتصوف بمنهجية علمية فجاء على النحو التالي: "هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة و أصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة و التابعين و من بعدهم طريقة الحق و الهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة و كان ذلك عاما في الصحابة والسلف فلما فشى الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة، و لا يزال المريد يترقى من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد و المعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة، قال ﷺ "من مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة".[2]

و يضيف ابن خلدون قائلا في تصنيف التصوف على أنه علم قائم بذاته: "فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهي الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات، وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الأذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقي منها من ذوق إلى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقهم فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ و الترك كما فعل القشيري في كتاب الرسالة والسهروردي في كتاب "عوارف المعارف" وأمثالهم، وجمع الغزالي رحمه الله بين الأمرين في كتاب "الإحياء" فدون فيه أحكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علما مدونا بعد أن كانت

[1]-السائح علي حسين, **لمحات التصوف و تاريخه**،كلية الدعوة الإسلامية، الجمهورية الليبية، 1994م، ص 21- 23 .

[2]- عبد الرحمن بن خلدون, **المقدمة**، مصدر سابق، ص611. بونابي، مرجع سابق، ص 39-40.

الطريقة عبادة فقط وكانت أحكامها إنما تتلقى من صدور الرجال كما وقع في سائر العلوم التي دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك". [1]

ويرى حجة الإسلام أبو حامد مُحَمَّد الغزالي في كتابه "المنقذ من الضلال" أن الصوفية هم السالكون لطريق الله، وأن سيرهم وسيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق، لأن جميع حركاتهم وسكناتهم مقتبسة من نور النبوة، الذي لا نور بعده – على وجه الأرض- يستضاء به ،[2] ويقول الفقيه المتصوف " الشيخ أحمد زروق " (ت 12 صفر 899 هـ حوالي (1493م) : " لا تصوف إلا بفقه ولا فقه إلا بتصوف".[3]

إن علم التصوف الإسلامي له موضوع هو التزكية، و إن طبيعة هذا الموضوع ذوقية محضة، وإن له منهجا هو التربية الروحية. و هذا المنهج قائما أساسا على الذوق، فالصوفية قد نذروا حياتهم لنشر رسالة الإسلام في سماحتها و نبل أخلاقها، فدخل الإسلام مناطق وثنية ووحد قبائل متحاربة، وحول قلوبا غلفا من الظلمات إلى النور.[4]

ومنهم من قسم التصوف قسمين: قسم يقم على طلب المعرفة، وهو في رأيهم من بقايا الفلسفة اليونانية وقسم يقوم على تصفية النفس بالعبادة والانقطاع عن الدنيا الفناء في الله، ومما لا شك فيه أن بعض التصوف دخيل في الإسلام وهو التصوف الذي يقول بالحلول ووحدة الوجود، ويغلب على النساك والمتفلسفة الذين جاوروا الهند وأطراف البلاد الفارسية، لكن التصوف في الحقيقة الأمر غير دخيل في العقيدة الإسلامية، لأنه مبثوث في آيات القرآن الكريم والسنة النبوية وأفعال الصحابة والتابعين.[5]

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، ص 613.

[2]- أبو حامد مُحَمَّد الغزالي، **المنقذ من الضلال** ، دار الكتب الحديثة، مصر، د.ت، ص178.

[3]- عبد الكريم بوصفصاف، **التصوف في الجزائر المدارس والفروع**، الملتقى الدولي الحادي عشر: التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، منشورات جامعة أدرار، المطبعة العربية، 2008 – 2009 م، الجزء الأول، ص 10 .

[4]- سامية بن عمر، **التربية الصوفية وأهدافها**، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الأغواط، ع4، فيفري 2013، ص67-65. أنظر أيضا: مياسي، **مقاربات**..، مرجع سابق، ص83-84.

[5]- الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص41-44.

أما عن نشأة التصوف كظاهرة عامة فقد ظهر أواخر ق2هـ واستمر في النمو خلال ق3هـ، وقد أرجع بن خلدون التصوف إلى الاتجاه الذي ساد في ق2هـ وما بعده من الاقبال على الدنيا والانغماس في ملذاتها، مما دعا إلى نشوء إتجاه مضاد لهذا الاتجاه تمثل في العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، وعرف أصحاب هذا الاتجاه بالصوفية والمتصوفة، كما أن العلماء اختلفوا في العوامل المؤثرة في نشأة التصوف.[1]

ثانيا: التصوف وعوامل انتشاره في الجزائر: بالنسبة للجزائر، فقد انتشر التصوف على مدى واسع و غطى مناطق عديدة من الوطن ففي كل بقعة منه زاوية أو مقام ولي صالح، وحلقة ذكر أو شيخ طريقه يدعوا إلى التمسك بالشريعة والاقتداء بسنة سيدنا مُحَمَّد ﷺ.

بدأ التصوف في المغرب الإسلامي تصوفا نظريا، ثم تحول ابتداء من القرن التاسع الهجري، واتجه إلى الناحية العملية الصرف، وأصبح يطلق عليه "تصوف الزوايا والطرق الصوفية" وقد ظل هذا التصوف العملي سائدا في جميع أنحاء المغرب الاسلامي حتى بعد دخول الأتراك العثمانيين، والتصوف النظري هو الذي يخوض فيه العلماء والطبقة المثقفة، من الثقافة والعلم، وأن يكون صاحبه على إطلاع واسع بأحكام الشرعة الإسلامية، والتصوف العملي هو الذي يركز المريد على بعض الممارسات الفردية أو الجماعية مثل حلقات الذكر، الرقص، الإنشاد.[2]

[1]- منال عبد المنعم، **أثر الطريقة الصوفية في الحياة الاجتماعية لأعضائها دراسة أنثروبولوجية في مصر والمغرب**، إشراف: مُحَمَّد على أبو ريان و فاروق أحمد، جامعة الإسكندرية، 1990م، ص 112. أنظر أيضا: عادل النفاتي، مرجع سابق، ص61. حامد النجار، **الطرق الصوفية في مصر**، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت، ص88. بونابي، مرجع سابق، ص 36-38.

[2]- عبد المنعم القاسمي، **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، دار الخليل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص247. سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج ، ص 230-231. بودواية، مرجع سابق، ص 40.

كان من أوائل من نشر التصوف بالجزائر: الشيخ عبد السلام التونسي، أبو مدين الغوث[1] ومن أقطابه أيضا على سبيل المثال: عبد الرحمان الثعالبي، أحمد بن عبد الله الزواوي، إبراهيم التازي، الإمام السنوسي، ابن زكري، أحمد زروق، أحمد بن يوسف الملياني... وغيرهم.[2]

وجاء انتشار التصوف بالجزائر نتيجة لبعض العوامل الفكرية والسياسية والاجتماعية:

-وجود أعلام الصوفية الذين عملوا على نشر هذه الطريقة بكامل المغرب الإسلامي بحكم تكوينهم النفسي و العلمي، أبو يعزى، أبو مدين، عبد الحق الاشبيلي، ابن مسرة.. إلخ، أثروا بسلوكهم حيث كانت الناس ترى فيهم أنموذج الصلاح والتقوى وبعلمهم: إذ أن معظم أعلام التصوف وعلمائه تولوا مهمة التدريس.[3]

-سقوط الدولة الموحدية المواجهة للإسبان والتي انهارت لأسباب داخلية مثل انتشار الفساد والاضطراب والفوضى في كل مناحي الحياة, فلم يجد الناس عزاء إلا عند الصوفية ورباطاتهم لحماية أنفسهم و أموالهم، و قد قام الصوفية بدور الدولة، من حماية النفس والأموال، والطرقات، بفضل ما كانوا يتمتعون به من احترام و تقدير لدى مختلف طبقات الشعب.[4]

[1]- **أبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري**: ولد بإشبيلية بالأندلس عام 520- 1126م، هاجر إلى المغرب حيث التقى بشيخه أبو الحسن علي بن حرزهم العالم الزاهد. تأثر أبو مدين بالإمام الغزالي، وأبو يعزى ين ميمون التلمساني ليأخذ عن الأخير التصوف وعلم الباطن بعدما تزود بعلوم الظاهر. التقى بالشيخ أبو صالح عبد القادر الجيلاني بجبل عرفات، درس عنه علم الحديث، وعلم التصوف، وافتخر بصحبته باعتباره إياه من أفضل وأعظم المشائخ. رجع أبو مدين بعد رحلة المشرق إلى بجاية. وانكب على التربية والتعليم والوعظ وممن درسوا عليه محي الدين ابن عربي والفقية عبد الله مُحَمَّد بن حماد الصنهاجي، وأبو الحق عبد الرحمن الإشبيلي، وعبد السلام ابن مشيش، ومن الكتب التي درّسها: الرسالة القشرية في التصوف للقشيري، والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد. ورّث طريقته القادرية الصوفية للشيخ عبد السلام بن مشيش، وقد قيل أنه تخرج عليه ألف شيخ وعالم توفي رحمه الله عام 594هـ- 1197م، ودفن بتلمسان. أنظر: بودواية، مرجع سابق، ص 28-30.

[2]- بونابي، ص54-62. مياسي، **مقاربات**..، مرجع سابق، ص 84-85.

[3]- الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص 123.

[4]- خيرة بن بلة وآخرون، **زوايا ومدراس الجزائر دراسة أثرية ومعمارية فنية**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004، ص18-19. عبد المنعم القاسمي، **الطريقة الرحمانية**، مرجع سابق، ص 30.

-سقوط الأندلس وقد نتج عن ذلك أمران: أولا الغزو الإسباني لسواحل المغرب الإسلامي، وتحمل مواجهة الغزو أثر سقوط الدولة، الصوفية وذلك بإنشاء الرباطات والزوايا على طول الساحل الغربي، وكثرتها مقارنة بالساحل الشرقي، استمر الصوفية في أداء دورهم الجهادي ومساعدة الأتراك في محاربة الغزو الاسباني، وقد ذهب كثير من مؤرخي الفترة العثماني في الجزائر إلى أن تحرير وهران من الإسبان كان بجموع الطلبة والصوفية المرابطين حول المدنية، لا بعساكر الأتراك وحدهم.[1]

ثانيا: هجرة كثير من صوفية الأندلس إلى الأراضي الجزائرية، وهناك من هاجر إلى المشرق تاركا أثره و تلامذة و طريقة كاملة، و لعل من أشهرهم: "الاشبيلي، الحرالي، ابن سبعين"، وكان تأثيرهم قويا في دفع التيار الصوفي إلى الأمام وتكوين الجماعات الصوفية الأولى بالمغرب الأوسط. [2]

-تراجع القيم الدينية والأخلاقية حيث أهمل الخاصة والعامة الكثير من مبادئ الدين و سلوكه القويم، وقد حارب الصوفية هذا الانحراف.[3]

ويلخص الأستاذ يحي هويدي الأسباب الاجتماعية في قوله: "ففي هذه القرون التي أعقبت تفكك الموحدين وسقوط دولتهم... سرت في جميع أجزاء المغرب الإسلامي روح غريبة جعلت الشعب يقبل إقبالا لم يعرفه من قبل على أمور المجاهدة والكشف، وينخرط في الزوايا والربط ويؤمن بالأولياء وكراماتهم... وتشكل بهذا الطرق الصوفية التي ملأت البلاد من أقصاها إلى أقصاها".[4]

وقد تقوت الطرق الصوفية في العهد العثماني، وبنهاية هذا العهد نجد أنها قد أمسكت بزمام الأمور ثقافيا ومجتمعيا، ولم يدخل الاحتلال الفرنسي حتى كانت الطرق الصوفية هي سيدة الموقف في الجزائر وأصبح عند شيوخ الطرق والمرابطين نفوذ عظيم ومكانة لا تضاهى، بينما لعب قادة الطرق ومقدموها دورا كبيرا في المقاومات الشعبية.[5]

---

[1]- الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص 54-62.

[2]- المرجع نفسه، ص 47.

[3]- نفسه، ص46.

[3]- عبد المنعم القاسمي الحسني، **أعلام التصوف في الجزائر**، دار الخليل القاسمي، 2007م، ص-ص: 25-31.

[5]- عبد المنعم القاسمي، **الطريقة الرحمانية**، مرجع سابق، ص253. رشيد بكاي، **علاقة الطرق الصوفية بالمقاومات الشعبية المسلحة خلال المرحلة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر(1832-1916)**، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الأغواط، ع4، فيفري 2013، ص81-81.

ثالثا: مصطلحات ومفاهيم مرتبطة بالطرق الصوفية:

1/الطريقة: إن التصوف يستلزم وجود طريقة التي تعني في المعنى اللغوي السيرة وطريقة الرجل أي مذهبه، والطريقة هي الحال، يقال: هو على طريقة حسنة وطريقة سيئة،[1] واصطلاحا: اسم لمنهج أحد العارفين في التزكية والتربية والأذكار والأوراد أخذ بها نفسه حتى وصل إلى معرفة الله، فينسب هذا المنهج إليه ويعرف باسمه، فيقال الطريقة الشاذلية والقادرية والرفاعية نسبة لرجالاتها، واسم الطريقة مقتبس من القرآن في الآية :﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾[2] أما اصطلاحاً فالطريقة أو الطرق الصوفية هي تجسيد المنهج في المجال الديني على شكل تنظيم هرمي لأتباع ذلك المنهج تحت توجيهه واشراف رائد ملهم يدين له أتباعه بالتعظيم والتبعية الفكرية والروحية[3].

وقد ميز المتصوفة بين الطريق والطريقة، فالطريق هو السبيل الذي يسلكه المريد وصولا إلى المراد، وهو ما كان يعرف لدى المتصوفة الأوائل بالتصوف الفردي، أما الطريقة فاصطلاح ظهر لاحقا ويعني التصوف الجماعي المنظم، ويطلق على جماعات الأخوة المتصوفة التي تعرف اليوم باسم الطرق الصوفية.[4]

وبالمجمل فالطرق هي مدارس دينية في التزكية والتربية متفرعة من بعضها ومرتبطة بواسطة السند المتصل، وجميعها تتبنى عقيدة أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية، وبعض من أهل الحديث وتتبع أحد المذاهب الأربعة والاختلاف بينها إنما هو في طريقة التربية والسلوك إلى الله، والطريقة عند السالكين هي السيرة المختصة بهم إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات، وبالتالي فقد أصبحت لفظة الطريقة تطلق على مجموعة من أفراد الصوفية الذين ينسبون إلى شيخ معين ويخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي ويحيون حياة جماعية في الزوايا والربط والخانقاوات أو

[1]-ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادق للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1968 ، مج9، ص 221.

[2]- سورة الجن، الآية 17. وردت لفظة الطريقة والطريق والطرائق ست مرات في القرآن الكريم، أنظر بن بريكة مُحَمَّد، مرجع سابق، ص 293.

[3]- منال عبد المنعم، مرجع سابق، ص122.

[4]- أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، **مدخل إلى دراسة التصوف الاسلامي**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1973، ص204. أنظر أيضا: عبد المنعم القاسمي، **الطريقة الرحمانية**، مرجع سابق، ص24.

يجتمعون اجتماعات دورية في مناسبات معينة ويعقدون مجالس العلم أو الذكر بانتظام، فهي إذن عهد بين الشيخ والمريدين على سلوك الطريق.[1]

تختلف الطرق التي يتبعها مشايخ الطرق في تربية طلابها ومريديها باختلاف مشاربهم واختلاف البيئة الاجتماعية التي يظهرون فيها، فقد يسلك بعض المشايخ طريق الشدة في تربية المريدين فيأخذونهم بالرياضات العنيفة ومنها كثرة الصيام والسهر وكثرة الخلوة والاعتزال عن الناس وكثرة الذكر والفكر، وقد يسلك بعض المشايخ طريقة اللين في تربية المريدين فيأمرونهم بممارسة شيء من الصيام وقيام مقدار من الليل وكثرة الذكر، ولكن لا يلزمونهم بالخلوة والابتعاد عن الناس إلا قليلا، ومنهم من يتخذ طريقة وسطا، وهناك من يركز على الذكر وآخر يركز على المجاهدة البدنية، وللطرق الصوفية إشارات وبيارق وألوان وألفاظ وتسميات يتميزون بها عن بعضهم البعض. [2]

فقد قال الشيخ عبد الرحماني الجيلالي عن تعدد الطرق: ".. وهذه الطرق متعددة ذات حلقات متسلسلة ضاربة في أعماق غالب أقطار العالم الاسلامي وهي تفوق في عددها 80 طريقا، ومرجعها جميعا إلى أربعين طريقا ذكرها حسن بن علي الفجيجي في رسالة له مخطوطة، ونقلها عنه تلميذه أبو سالم العياشي.."[3]،

هذا فيما يخص التصوف والطرق الصوفية التي كانت تعتمد على الروحانية ثم إنها كانت تتجسد في اطار زماني ومكاني معين، فالزماني فلكل طريقة تاريخ ترتبط به مع مؤسسها، أما المكاني فكانت في مختلف الأصقاع حسب شهرتها لكن كانت تشترك في تأسيس مايعرف بالزاوية.[4]

وقد بلغ عدد الطرق الفاعلة في الجزائر أكثر من ست وعشرين (26) طريقة منها ما أتى من المشرق مثل القادرية والشاذلية والخلوتية ومنها ما تأسس في المغرب الأقصى أو الجزائر في العهد العثماني مثل الطيبية والعيسوية والدرقاوية والتيجانية، ومنها ما تأسس في العهد الاستعماري، كالسنوسية

[1]- التفتازاني، مرجع سابق، ص286. أنظر أيضا: بن بريكة، مرجع سابق، ص294. عبد القادر رمن، **الدليل من وحي الأذكار–دراسات في السلوك**، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، ص13.

[2]- التفتازاني، مرجع سابق، ص286. بن بريكة، مرجع سابق، ص296-297. بونابي، مرجع سابق، ص103-115.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ج3 ، ص250.

[4]--العماري الطيب، **الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول الديني إلى الدنيوي ومن المقدس إلى السياسي**، مجلة العلوم الانسانية ، العدد15، ص129.

والعليوية،[1] وأشار عبد الرحمن الجيلالي إلى أن المشهور من هذه الطرق في الجزائر هو ثمانية طرق على الخصوص: القادرية والشاذلية والخلوتية الرحمانية والتيجانية والعيساوية والطيبية والسنوسية والعمارية.[2]

وقد انتشر في منطقة الأغواط الكثير من الطرق مثل القادرية والرحمانية، بل وشهدت المنطقة ظهور طرق جديدة كليا مثل التيجانية، أو نشوء فروع جديدة لطرق أخرى مثل الموساوية التي تفرعت عن الدرقاوية، وسيأتي التفصيل في هذه الطرق في المباحث القادمة.

2/ الزاوية: لا يمكننا التحدث عن الزوايا و دورها العام ما لم يعطى لها تعريف واضح ، حيث أن هذه المؤسسة الدينية تحدث عنها الكثيرون من أهلها ومن الغرباء عنها، ولعل لفظ الزاوية: في الأصل مأخوذ من الانزواء بقصد العكوف على العبادة أو على تلقي العلم بعيدا عن دنيا الناس و مشاغلهم اليومية، وهي أيضا رباط المجاهد في سبيل الله وحافظ الثغور، وتعني أيضا ركن البيت وأشار إليه ابن منظور بقوله: زاوية البيت ركنه وجمعه زوايا، إلا أن لفظ الزوايا اليوم يعني مؤسسات صوفية تعنى بتحفيظ القرآن وتعليم أصول الدين الإسلامي والعلم الشرعي ونشر الأخلاق والفضائل الإسلامية.[3]

وقد انتشر مصطلح "الزاوية" في المغرب الإسلامي أكثر من مشرقه، إذ هو يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني، و هي تشبه المدرسة في تخطيطها و أجزائها ووظيفتها التعليمية، و قد ذكر "دوماس" « Daumas » عام 1847م في كتابه "منطقة القبائل" تعريفا لمفهوم الزاوية بالمغرب حيث قال: "إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة"، والظاهر أن هذا التعريف في الجوهر يتفق وما عليه الزاوية أو ما كانت عليه في الماضي.[4]

---

[1]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص28.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق، ج3، ص252.

[3]- ابن منظور، مصدر سابق، ج7، ص84. أنظر أيضا: سامية بن عمر، **التربية الصوفية..**، مرجع سابق، ص75-76. خيرة بن بلة وآخرون، مرجع سابق، ص11.

[4]-مُحَمَّد نسيب، **زوايا العلم والقرآن في الجزائر**، دار الفكر، الجزائر، 1988، ص27-28.

ويعرف أبو القاسم سعد الله الزاوية تعريفا جامعا فيقول: " الزاويا مؤسسات دينية ومراكز ثقافية ونوادي اجتماعية وخلايا سياسية يتعلم فيها الناس مبادئ دينهم وتعاليم شريعتهم وفيها يتلون مختلف العلوم والمعارف ويقيمون العلاقات الاجتماعية والعسكرية والسياسية".[1]

و الزاوية تحتوي عادة على مصلى، وغرفة قصرت على تلاوة القرآن، و مدرسة لتحفيظ القرآن، وتلقين علوم الدين وقواعد اللغة العربية كما تضم غرف أو مراقد لإيواء الطلبة وضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين ويلحق بها أيضا ضريح الولي الصالح, و يكون هذا الولي في الغالب هو مؤسس الزاوية، أو أحد المرابطين بها ممن سطعت شهرته بالناحية وتجاوزت شهرة المؤسس نفسه.[2]

نشأ نظام الزوايا بالمغرب الكبير بعد القرن الخامس الهجري إذ سميت في بادئ الأمر "بدار الكرامة" كالتي بناها الخليفة "يعقوب المنصوري الموحدي" في أواخر القرن 6هـ/12م بمراكش ثم أطلق المرينيون على الزوايا التي بنوها في عهدهم في القرن 7-8هـ/13-14م اسم "دار الضيف". ومن ذلك الزاوية العظيمة التي أسسها السلطان "أبو عنان المريني" خارج مدينة "سلا" في منتصف القرن 8هـ/14م و زاوية "سلا" في نفس التاريخ قرب مدينة الرباط التي دفن فيها السلطان "أبو عنان" والده "أبا الحسن".[3]

إلا أن مصطلح الزاوية ظهر بالمغرب حوالي القرن (7هـ- 13م) مرادفا للرباط، أي الصومعة التي يعتزل فيها الولي ويعيش وسط تلاميذه و مريديه، فقد ذكر "ابن مرزوق التلمساني" (ت 781هـ-1379م) أن الزاوية هي ما يعرف في الشرق باسم الرباط أو الخانقاه وكلمة "خانقاه" كانت تطلق بصفة خاصة على المنشآت الصوفية التي يرد أصلها بصفة عامة إلى التصوف الإسلامي.[4]

وهكذا فقد أنشئ في الجزائر خلال القرن التاسع الهجري (الخامس عشر ميلادي) مجموعة من الزوايا منها، الزاوية الثعالبية في مدينة الجزائر، والزاوية الملارية في قسنطينة، والزاوية السنوسية بتلمسان وغيرها كثير، وبعد تغير الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في البلاد, بمجيء الأتراك العثمانيين كثر

[1]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، ص64. محمد نسيب، مرجع سابق، ص29.

[2]- خيرة بن بلة وآخرون، مرجع سابق، ص12. عبد العزيز شهبي، **الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي بالجزائر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران د.ت، ص14. رشيد بكاي، مرجع سابق، ص96.

[3]- ليفي بروفنسال، **مادة زاوية، دائرة المعارف الاسلامية**، مرجع سابق، مج 10، ص332. محمد نسيب، مرجع سابق، ص29.

[4]- عادل النفاتي، مرجع سابق، ص64-65.

هذا النوع من الزوايا ابتداء من القرن العاشر هجري (السادس عشر ميلادي)، وانتشرت في المدن والقرى وعلى قمم الجبال وأعماق الصحراء وعلى السواحل وفي الرباطات والمنارات وقد كان للزوايا أدورا اجتماعية وثقافية وسياسية ودفاعية عسكرية.[1]

فمثلا مدينة الجزائر كانت تعج بالزوايا و الأضرحة والقباب المقامة على الأولياء الصالحين، فبالإضافة إلى زاوية وضريح عبد الرحمان الثعالبي وزاوية الولي الصالح "داده"، و زاوية عبد القادر الجيلاني، هناك زاوية سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري صاحب "المنظومة الجزائرية" وسيدي الجودي، وسيدي جمعة، وسيدي الكتاني، وسيدي السعدي، وسيدي الفاسي وسيدي أبي التقي، وسيدي يعقوب، وسيدي أيوب، وسيدي أبو عنان، وسيدي بوعتيقة... وهناك أيضا الرجال السبعة.[2]

وفي النواحي المجاورة لمدينة الجزائر كانت زاوية القليعة وزاوية المريوسي بالأربعاء و زاوية النملي وخير الدين ببني موسى، وزاوية "عيد" بين بوفاريك والدويرة، وزاوية البركاني قرب شرشال...الخ، وفي مدينة قسنطينة ونواحيها حوالي ست عشرة زاوية، فهناك زوايا وخلوات سيدي الكتاني، وسيدي المناطقي، وسيدي عبد المؤمن، وسيدي مسيد، وسيدي مخلوف وسيدي ميمون، وسيدي عفان، وسيدي راشد، وسيدي التلمساني، كما كانت للعائلات الكبيرة بالمدينة زواياها الخاصة مثل زاوية أولاد الفكون زاوية ابن نعمون و زاوية أولاد جلول.[3]

وكانت هناك زوايا خاصة بالأتراك و الكراغلة مثل زاوية "رضوان خوجة" الذي كان قائد الدار، وفي نواحي قسنطينة اشتهرت زاوية خنقة "سيدي ناجي" وزاوية بني بومسعود وزاوية بني مقران، و زاوية مُحَمَّد بن يحي (المتوفي في حوالي سنة 1091هـ) وزاوية مولاي الشقفة بين جيجل والقل، وقد اشتهرت أيضا تلمسان ونواحيها بزواياها وأضرحتها ومشاهدها نذكر منها هنا زاوية سيدي الذيب، و زاوية سيدي بومدين، وزاوية مُحَمَّد السنوسي، وزاوية أحمد الغماري، وضريح سيدي "بومدين"، و زاوية عين الحوت.[4]

---

[1]- عبد المنعم القاسمي، **زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862-1962**، دار الخليل القاسمي، الجزائر،2013، ص153-154، 157. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص40، رشيد بكاي، مرجع سابق، ص88.

[2]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص263

[3]-المرجع نفسه، ص364.

[4]-نفسه، ص365.

وفي سنة 1174هـ بنى الباي إبراهيم المليانى، يأمر باشا الجزائر, ضريحا للولي مُحَمَّد بن علي حفيد الولي عبد الله بن منصور، كما أن الباي مصطفى المانزالي قد جدد، سنة 1218هـ ضريح هذا الولي (أي عبد الله بن منصور).

وتعتبر زواوة من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا فقد تصل فيها إلى خمسين زاوية، وقد كانت زاوية تيزي راشد (وتسمى أيضا زاوية ابن أعراب) ذائعة الصيت يقصدها التلاميذ من النواحي المجاورة و البعيدة، وكانت زاوية الشيخ مُحَمَّد التواتي ببجاية أيضا قد أخرجت أجيالا من المتعلمين وكانت لها أوقاف كبيرة وكانت تضم أكثر من مائتي طالب، واشتهرت بنشر التعليم أيضا زاوية "الأزهري" بآيت إسماعيل, و زاوية ابن علي الشريف بأقبو، و كذلك سيدي منصور بآيت جناد،[1]وقد استمرت الزوايا في أداء دور التربية والتعليم خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر و امتد نشاطها إلى سنوات الاستقلال عام 1962م.[2]

لقد مثلت الزوايا في منطقة الأغواط وغيرها فضاء اجتماعيا نظرا لما تقوم به من تأطير للمجتمع المحلي وتوجيهه في إطار العلاقات الاجتماعية المحافظة على التراث والعادات والتقاليد المكرسة، نظرا للمكانة العالية التي تحتلها في السلم الاجتماعي ولما يتمتع به أصحابها من منزلة وسمعة طيبة واحترام وتقدير وسلطة معنوية على السكان [3]وقد انقسمت الزاويا في منطقة الأغواط إلى ثلاثة أصناف:

– الزوايا العلمية: وظيفتها التعليم وإيواء الطلبة من خارج المدينة والتكفل بهم معتمدة على الأملاك الموقوفة، وتبرعات المحسنين، وتعتمد في منهجها التعليمي على حفظ القرآن الكريم، وتزيد على ذلك بتدريس علم التصوف وتقام فيه حلقات الذكر. وهي نوعان : زوايا ثابتة مثل زاوية سيدي لزهاري بالحطيبة والزاوية التيجانية، وزوايا متنقلة انتشرت في مناطق البدو، ترافقهم في حلهم وترحالهم مثل زاوية سي بلخير ارميلات في بادية جنوب الأغواط.

– الزوايا الخيرية: مباني أقيمت لاستقبال الضيوف وأبناء السبيل والعابرين للمنطقة.

[1]– نفسه، ص265-266.

[2]– عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص 13-17.

[3]– رشيد بكاي، مرجع سابق، ص96. مُحَمَّد عجيلة والجيلالي بهاز، **تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الصحراوي في الجزائر**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، نوفمبر 2011، جامعة غرداية، ص366.

- زوايا الأضرحة والمقامات: وهي الزوايا التي أقيمت في الأصل على أضرحة ومقامات لأولياء وصلحاء تعلوها في العادة قبة، ويقوم عليها مقدمون يستقبلون الزائرين مثل زاوية سيدي عطاء الله بتاجموت.

ومن بين الزوايا التي أنشئت في منطقة الأغواط على سبيل المثال لا الحصر: زاوية سيدي بوزيد، وزاوية سيدي مخلوف، وزاوية الحاج المشري، وزاوية سيدي الناصر، والزاوية العزوزية (سيدي الميروك بالأغواط وابنه سيدي لازهاري بالحطيبة) والزاوية التيجانية بعين ماضي، والزاوية القادرية، والزاوية الشاذلية بالأغواط، وزاوية الحاج سليمان غزال ببادية حاسي الدلاعة جنوب الأغواط...الخ[1]

3/الشيخ ، الصالح، الولي ، المرابط: في المدن والأرياف، في الجبال الشاهقة والصحاري القاحلة عاش معظم المتصوفة يبثون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا مؤثرين العزلة والعبادة، وكثيرا ما كانوا يعلّمون المريدين والعامة مبادئ الدين أيضا، فإذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل فيه الزوار والغرباء و الأتباع ويعلم فيه الطلبة، ويتبرع الناس لهذا المركز فيكبر ويثرى ويتضاعف قصاده ومريدوه، ويصبح اسم المتصوف (المرابط) علما على المكان، ويصبح المكان يدعى بين الناس زاوية سيدي فلان أو رباط سيدي فلان فإن مات دفن بالزاوية أو الرباط ويصير الضريح علامة على الزاوية، وهذه علامة على الضريح، ويرث الأبناء والأحفاد مكانة وعمل "سيدي فلان" وتزداد قداسة الزاوية والرباط بين أهل الناحية وتنشر سمعتها ونفوذها إلى نواح أخرى بعيدة، وهكذا.[2]

أ)الولي: حسب التعاريف المتداولة، الولي هو العارف بالله وبصفاته، المواظب على الطّاعات، المجتنب للمعاصي، المعرِض عن الانهماك في اللّذات والشهوات المباحة، المحافظ على السنن والآداب الشرعية، سمي وليًا لأنه يتولّى عبادة الله على الدوام، أو لأن الله تولاه بلطفه وعنايته، إنه الشخص التّقي الصالح الذي يحظى في حياته، وحتى بعد مماته بتقدير واحترام الناس، ويكون من أصحاب الدين والعلم والزهد والعمل الصالح،[3] ولكلمة الولي معان عديدة تفوق العشرة تتحد كلها في شخصية الولي

[1]- صادقي، **مراحل** ...، مرجع سابق، ص247-248. جخدم، مرجع سابق، ص109. بديار، **أعلام**...، ص 102-131. أحمد الأمين، **الحياة الثقافية**..، مرجع سابق، ص 52-54. طالبي، ص 24-30.

[2]- بودواية، مرجع سابق، ص 41. يوهان كارل بيرنت، مصدر سابق، ص207.

[3]- أبو القاسم، سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 04، ص10.

من خلال الأدوار التي يضطلع بها منها: النصرة والملك والتصرف والقدرة والقرابة والعتق والصداقة والمحبة والتبعية والتتابع..الخ[1]

وتعتبر الكرامة من لوازم رتبة "الولاية" أو "الصلاح" أو "المرابطية"و هي الفعل" الخارق للعادة "وغير المألوف في الحياة المعهودة، يظهره الولي الصالح ويقابلها لدى الأنبياء المعجزة، والاعتقاد السائد بأنها لا تزول بعد وفاة صاحبها، بل تلزم قبره وتكون سببًا في التواصل بينه وبين الناس، ولذلك يلجأ إلى التبرك بكل ما وجد بالضريح أو بجواره، بدءًا بالخرق المعلقة، والأعلام المزينة، والشموع، وأنواع البخور، والمصابيح، ويلاحظ عدم اهتمام الناس إجمالا بتداول مناقب الولي صاحب الضريح بقدر اهتمامهم وحرصهم على الحديث عن كراماته، حتى أصبح ذكر الأولياء الصالحين مرتبطًا في الذاكرة الشعبية بكرامة ما أو حتى بعدة كرامات[2].

ب)المرابط: ، وبالنسبة لترومللي فالمرابط هو المرتبط روحيا بالله وبأمور السماء،[3] لقد تعزز دور الأولياء والصلحاء والمرابطين في فترات حرجة من تاريخ الجزائر وذلك بعد سقوط الحكومات المحلية (حفصية وزيانية) نهاية القرن 15 م وبداية القرن 16 م وفي غياب السلطة القاهرة والهجوم المسيحي كان الفراغ السياسي سائدا ولم يجد من يملأه غير هؤلاء الصلحاء، إلى درجة أن ساد قول مأثور في الجزائر : "ما بقاتش حكومة، كاين غير كلام أحباب الله" وبهذا حلت البركة محل السيف وتواضع كثير من المستبدين أما قوة الأولياء.[4]

4/المقدم: وهي لفظة تعني رتبة من رتب الصّوفيَّة، جمعها الْمَقَادِيمُ هو سالك صوفي ما بين درجة المريد و مرتبة الشيخ في الطرق الصوفية والزوايا، وتطلق على المكلف أو المجاز بإعطاء الورد وسند الطريقة، وأحيانا تطلق على وكيل الزاوية والمسؤول عنها، أو تطلق على وكيل الضريح أو المقام.

---

[1]- عادل النفاتي، مرجع سابق، ص59. بن عتو بن عون، **الجذور التاريخية لظاهرة التبرك بالأولياء في المجتمع الجزائري**، رسالة ماجيستير في الأنثروبولوجيا، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، إشراف مُحَمَّد مجاود، 2002، ص21 وما بعدها.

[2]- يوهان كارل بيرنت، مصدر سابق، ص 207-208.دحماني، مُحَمَّد ، **حكايات كرامات الأولياء في منطقة الشلف**، ماجستير في الأدب الشعبي، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2006، ص 16 وما بعدها. وكذلك :أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 04، ص. 11. عادل النفاتي، مرجع سابق، ص62. الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص 172.

[3]- ترومللي ، مصدر سابق، ص22.

[4]- خليفة بن عمارة، مرجع سابق ص73.

ويقوم مقدموا لطريقة باجتماعات دورية، فكل شيخ يجمع إليه المقدمين مرة أو مرتين في السنة، وقد عرفنا أن المقدم مكلف بإعطاء ورد الطريقة بواسطة الإجازة والسلسلة التي حصل عليها من شيخه، والمقدمون مكلفون بجمع الزيارات التي يعطيها الإخوان للطريقة، ثم يسلمونها إلى الشيخ أو خليفته، ويكون الاجتماع مع الشيخ فرصة لمناقشة الأمور العامة والخاصة التي تهم الطريقة وأتباعها وزاويتها، والمقدمون من هذه الناحية كأنهم سفراء شيخهم أو طريقتهم فهم يقدمون التقارير ويبدون الآراء ويقترحون الحلول، حسب الوضع في البلاد وموقف السلطات وموقف الطرق الأخرى وأخبار الداخل والخارج، ولذلك فإن المقدم إذا لم يستطع الحضور بنفسه، عليه أن يكلف غيره بالحضور بدله، بشرط أن يكون هذا الشخص محل ثقة وبموافقة الشيخ على ذلك، ولهذا الاجتماع الكبير اسم معروف وهو (الحضرة)، وأثناء الحضرة تدرس أيضا أحوال الميزانية، وتسمية المقدمين الجدد وتكتب الرسائل إلى الإخوان والأعيان وحتى إلى السلطات إذا لزم الأمر، وحين يرجع المقدم إلى مقر نشاطه يجمع بدوره إخوان الطريقة ليطلعهم على ما حصل في اجتماع الحضرة.[1]

5/ المريد أو الفقير: المريد جمعها المريدُون هو المتعلِّم على شيخ طريقة وفق منهاج، والمريد رتبة من رتب الصّوفيَّة، وللمريد درجات وعليه أن يقرأ أورادا في اليوم والليلة يكلفها بها شيخه ليسير على طريقته في التصوف وذلك ضمن تربيته للمريد، وتختلف الطرق التي اتبعها شيوخ الطرق المختلفة في تربية مريديها بعد توثيق الرابطة معهم.[2]

أما الفقير فهو هو الزاهد الذي تعهد على نفسه الفقر والعبادة، ونبذ التعلق والاهتمام بجميع العلاقات والممتلكات، ويطلق على إخوان الذكر الفقراء إلى الله تمييزا لهم عن الفقراء إلى المال، يعتقد فالفقير مكتفٍ ذاتيًا ويمتلك فقط الحاجة الروحية لله، يتميز الفقير بتعلقهم بالذكر، يعتبر وصفا " المريدون" أو "الفقراء" هما أكثر الأوصاف التي تطلق على أتباع الطرق الصوفية خصوصا عندما يتعلق الأمر باتباع الطريقة والالتزام بالأوراد والأذكار، في حين يأتي وصف " الطلبة" بضم الطاء أو "التلاميذ" مرتبطا بالحالة التعليمية بالخصوص.[3]

[1]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج4، ص22.

[2]- بن بريكة، مرجع سابق، ص296-297.

[3]- المرجع نفسه، ص294. رمان، **الدليل**..، مرجع سابق، ص84.

الورد: ج **الأَوْرَادُ** أو **الْعَمَلُ** أو **الْوَظِيفَةُ:** يعتبر الْوِرْدُ من أهم عناصر المنهاج التربوي الذي يعتمد عليه المريد من وراء التزامه بالسلوك والتزكية، قال ابن عطاء الله السكندري في حكمه:"إذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى بوجود الأوراد، وأدامه عليها مع طول الإمداد، فلا تستحقرن ما منحه مولاه؛ لأنك لم تر عليه سيما العارفين، ولا بهجة المحبين، فلولا وارد ما كان وِرْدٌ .[1]

6/ الضريح، الحرم: الضريح لغة هو الشق الذي يكون وسط القبر، وقيل هو القبر كلّه، أما اصطلاحًا فيطلق على البناء المشيد على القبر أي فوقه ويتميز ببساطة الشكل والتصميم عادة، ولا يرقى إلى شكل العمارة الدينية كالمساجد، ولا العمارة المدنية كالقصور والمنازل،[2] وهو يبنى على القبر لتخليد ذكرى شخص ما ، ويختلف المقام عنه من ناحية أنه ليس بالضرورة أن يكون المقام مكان دفن أو قبر بل من الممكن أن يكون مكان إقامته في يوم من الأيام أو مكان ممارسة الطقوس الدينية أو كان قد مر عليه في يوم من الأيام (أو يعتقد أنه مر به) .[3]

وتعلو الضريح في الغالب القبة التي تكبر أحيانًا وتتسع فتشمل الضريح، ويسمى بقبة فلان، وتمثّل بدورها رمزًا ذا قداسة، وقد تكون مفتوحة أو مغلقة، كما تختلف أحجام وأشكال وتركيبة الضريح والقبّة على السواء، فتكون كبيرة أو صغيرة، مربّعة أو أسطوانية، رخامية أو حجرية، إلخ،[4] ويعود تأسيس كثير من القصور إلى أولياء وصلحاء، يتم تكريمهم بعد مماتهم بتشييد تلك الصروح ودفنهم بها وتتميز هذه القباب والأضرحة بموقعها الهام من المقبرة أي في وسطها أو في أعلى مكان منها، كما توجد بعضها داخل المساجد أو بجوارها وتشترك جل هذه القباب في طلائها الخارجي استعمال اللونين: الأخضر والأبيض.[5]

---

[1]- ابن عطاء الله السكندري، **الحكم العطائية**، مركز الأهرام للنشر والتوزيع، مصر 1988، ص58.

[2]- نوار سامي مُحَمَّد ، **الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللغوية**، دار الوفاء، مصر، 2002، ص 112.

[3]- علي كبريت، مرجع سابق، ج1، ص74.

[4]- عزوق، عبد الكريم ، **القباب والمآذن في العمارة الإسلامية**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،1996، ص 54. فون مالتسان، مصدر سابق، ج3، ص196. صادقي، **مراحل**...، ص247.

[5]- قد يكون استعمال اللون الأبيض والأخضر رمزا للصفاء والطهار والخصب، أو قد يكون بسبب تأثيرات شيعية خصوصا بالنسبة للون الأخضر. أنظر: التخي بلقاسم، **الجانب الجمالي**..، مرجع سابق، ص306. يوهان كارل بيرنت، مصدر سابق، ص207.

ولا يقتصر الضريح على قبر واحد في مكان واحد إذ يمكن أن نجد عدة أضرحة لشخص واحد في أماكن متفرقة، ويمثل الضريح في العرف الشعبي رمز التقوى والصّلاح، وهو مكان لالتماس البركة والخير والدعاء المستجاب.

تُعدّ زيارة الأضرحة عادة متوارثة لا يعرف بالضبط تاريخ ظهورها في العالم الإسلامي عامة وفي الجزائر بالأخص، لكن المؤكد هو انتشار الأضرحة في كافة القطر الجزائري، ولا تكاد تخلو قرية أو مدينة من ضريح وقبة أو أكثر، وعُدَّت المنطقة الخالية منهما مغضوبًا عليها وتنقصها البركة، لكن الاختلاف في هذا الجانب يكمن في تفاوت أهمية شخص الولي الصالح صاحب الضريح ومستوى كراماته، وحجم الاهتمام والعناية التي يلقاها ضريحه من القائمين عليه من زاوية وأوقاف وغيرها وكذا بالنظر للأغراض المتوخاة من الزيارة.[1]

لقد شكّلت زيارة الأضرحة، في تقدير بعض الأنثروبولوجيين، متنفسًا وخروجًا عن العالم المادي إلى العالم الروحي، ممثلاً في رمز الولي الصالح، واعتبرت محاولة للهروب من الحياة الدنيوية إلى الخيال المقدس، كما أن هذه الظاهرة مثّلت تواصلاً بين الماضي (الجميل) والحاضر (المفزع) عند استذكار فضائل وكرامات أصحاب الأضرحة، وفي ذلك استحضار لذكرى الأجداد والأولين واستلهامًا لبطولاتهم وأمجادهم بشكل غير مباشر، وفي هذا الإطار يمكن فهم زيارة بعض أهالي الأغواط وخصوصا العجائز لمقبرة شهداء مقاومة 1852 خارج المدينة واصطحاب أطفالهم معهم،[2] كل ذلك من شأنه إضفاء بعض الإشراق والفرح على الواقع المر، وشحن الناس بالطاقات الايجابية ومواجهة مشاكل الحياة العصيبة.[3]

وقد أرجع إدموند دوتي (E. Douté) أسباب ظاهرة زيارة الأضرحة، وتمسك المجتمعات المغاربية عمومًا بها، إلى رغبتهم الكبيرة في التمسك بدينهم، وقدم تفسيرًا لذلك يكمن في أن عدم وجود

[1]- بن عتو بن عون، مرجع سابق، ص31-33. فون مالتسان، مصدر سابق، ج1، ص196.

[2]- خميلي بلقاسم، **كلمة بمناسبة الذكرى 160 لمقاومة الأغواط 04 ديسمبر 1852**، ملتقى الاغواط ذاكرة وتاريخ، جمعية أول نوفمبر 1954 بالأغواط وملحقة متحف المجاهد بالأغواط، 40 ديسمبر2012، ص 29.

[3]- عادل النفاتي، مرجع سابق، ص 62.

وسيط بين الإنسان وربه في الدين الإسلامي يجعل الإنسان يبحث عن سبل لنيل مرضاة الله، ويتقرب إليه، وأنه يجد ضالته في زيارة الولي الصالح باعتبار مكانته ومستواه من التقوى والصلاح.[1]

كما اعتبر وجود الأولياء الصالحين (الأحياء والأموات)، ومن شابههم من شيوخ الطرق الصوفية والمرابطين وحتى الأئمة والخطباء أحيانًا، ضروريًا للجوء إليهم في أمورهم الدينية والدنيوية، لأنهم كما كانوا يعلمون الناس الأخلاق، ويفسرونها بقدر المستطاع، كما يعلمونهم الصلاة، ويهدونهم إلى مكارم الأخلاق. ومقابل ذلك يجنون الطاعة المطلقة. ويعتقد السكان أن كل دعائهم مقبول عند الله، الذي يؤمنون بقداسته وجلاله وعليه كثيرًا ما سميت المدن والقرى والأحياء بأسماء الأولياء (مثال ذلك من الأغواط : سيدي مخلوف، سيدي الناصر، سيدي يانس)، وارتبط البعض الآخر بتلك الأضرحة "المعالم" حتى صار جزءًا منها كما هو حال مدينة الأغواط وضريح سيدي الحاج عيسى، الذي يعد الضريح الأشهر والأبرز في المدينة، وضريح سيدي عطاء الله بن العابد في تاجموت وقد تكلمت المصادر الأجنبية عن الضريحين وعن غيرهما من الأضرحة المنتشرة في الأغواط.[2]

كانت الأضرحة أيضًا ملجأ للمشردين الذين لا منازل لهم ولا عائلة وملجأ للغرباء وعابري السبيل، وحتى الفارين من العدالة أحيانًا لأنها لطالما تمتعت بالحرمة والهيبة ، ولهذا فإننا نجد أن من تسميات الضريح الشائعة في المنطقة وغيرها هي تسمية: "الحرم"، بحيث يصعب فيها اللجوء لاستعمال القوة والعنف في تنفيذ حكم ما، أو إجبار شخص غريب على المغادرة وخلاف ذلك مع الشعور في حضرة الولي بالحماية ويعبر عنه بـ "نحن في حرم سيدي فلان"، وارتبط الأمر بطهارة وقداسة المكان في نظر الزوار وإيمانهم بقدرة الولي صاحب الضريح على القصاص والانتقام من أي ظالم،[3] فمثلا يعتقد أن سهل الفج الموجود بالقرب من قصر الحيران قد خرب بعد عمارته بسبب دعاء سيدي الميهوب الثاني عليه وعلى سكانه، وللمفارقة فأثر الدعاء استمر حتى بعد وفاته إذ أوصى حسب الروايات بتوجيه باب ضريحه نحو السهل لتبقى فعالية الدعاء قائمة.

---

[1]- إدموند دوتي، **الصلحاء مدونات عن الإسلام المغاربي في القرن التاسع عشر**، تر:مُحَمَّد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، الدر البيضاء، المغرب، 2014، ص21 وما بعدها.

[2]- فون مالتسان، مصدر سابق، ج1، ص196. صادقي، **مراحل**..، مرجع سابق، ص247.

[3]-بن عتو بن عون، مرجع سابق، ص31. يطلق التيجانيون على زاويتهم في عين ماضي أو ضريح سيدي أحمد التيجاني لفظة" الحرم".

ولابد من القول أن الفرنسيين في الجزائر قد أوجدوا لأنفسهم حيزًا مهمًا في مجال الممارسات الدينية، كما أن الفرنسيين قد أدركوا منذ البداية دور وأهمية حضور الأولياء الصالحين وغيرهم في أذهان ونفوس الجزائريين، وهذا ما دفعهم لاستمالة أصحاب الطرق، وربطوا علاقات بفئات مرابطية وشريفة وذلك بهدف قيامها بأدوار مؤثرة في تهدئة المنتفضين وتوجيه الرأي العام وتبليغ أوامر السلطة...إلخ ولكنهم في الوقت نفسه أوقفوا نشاط المعارضين لهم، وراقبوا المشكوك في أمرهم، أي أن السلطة حاولت توظيف المؤسسة الدينية بكل مكوناتها البشرية والإدارية لصالحها.[1]

هكذا أصبحت زيارة الأضرحة والقباب مشهدًا يوميًا مألوفًا في تلك الفترة، ومن طرف مختلف الفئات الاجتماعية ترعاها السلطة متى استطاعت ورغبت، وتتجاذبها الزوايا والمرابطين وأطراف أخرى، غير أن الملاحظ في هذا الشأن هو تعلق الكثير من الجزائريين آنذاك ومواظبتهم على أداء تلك "الفروض" شبه الإلزامية، والمتمثلة في الزيارات الدورية لأضرحة الأولياء والصالحين: زيارات أسبوعية، شهرية أو سنوية؛ وعدم إهمالهم لتقديم ما يتوجب عليهم من أضاحي وهدايا وغيرها.[2]

كما أن كل الفئات الاجتماعية تقريبًا كانت تقوم بزيارة الأضرحة: ذكور وإناث، شباب ومسنون، متزوجون وعزاب، متعلمون وأميون، أغنياء وفقراء، وكان حضور فكرة الاعتقاد ببركة وقدرة الأولياء الصالحين واضحًا جدًا في كل مناحي الحياة اليومية وراسخًا في أذهانهم لدرجة استحضارهم لاسم أحدهم في الأحاديث والتجمعات العادية والخاصة، والقسم به حق سيدي فلان، بجاه سيدي فلان، والدعاء على الخصوم باسمه أيضًا، بل إن المتسولين كثيرًا ما رددوا عبارة "صدقة بجاه سيدي فلان"،[3] ولم تخل الكتابات على مختلف المنشآت كالمساجد والمدارس والزوايا وحتى على شواهد القبور من جملة "نفعنا الله ببركة سيدي فلان"، وكانت التوصية بالدفن قرب أحد الأضرحة منتشرة كثيرًا في تلك الفترة حيث يعمد الشخص الراغب في ذلك أحيانًا إلى شراء قطعة أرضية محاذية للمكان، ويوصي بضرورة دفنه فيها، أو يتم تخصيص وقف لقراءة القرآن على المكان والمدفونين فيه، ولصيانة القبور، ومثال عن الوقف للأضرحة ما نجده في العقد رقم 50 والمؤرخ بتاريخ: 1941/12/22، من طرف السيدة: ...الحاجة فطوم بنت الحاج مُحَمَّد ...، وهو عبارة عن وقف

[1]- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج5 ، ص125.

[2]- علي كبريت، مرجع سابق، ج1، ص 74.

[3]- بن عتو بن عون، مرجع سابق، ص32.

بستان مساحته 150 م^2 يقع في سيدي يانس، وذلك لبناء ضريح للولي الصالح سيدي الحاج عبد الرحمان[1] ، ومن أولياء الأغواط وصلحائها المعروفين ممن تزار قبورهم وأضرحتهم سواء كانوا من سكان القصور أو من البدو الرحل:

أ)ضريح سيدي الحاج عيسى:[2] وهو ولي الأغواط وحاميها –حسب المعتقد الشعبي– نسجت حوله الكثير من الحكايات والأساطير، ومقامه من أكثر المقامات زيارة وتبركا في مدينة الأغواط، وله سلطة روحية كبيرة مازالت بعض آثارها إلى اليوم.

ب)ضريح سيدي يانس: دفين مدينة الأغواط، هو الولي الصالح والشريف أحد الأبناء الأربعة لسيدي يونس بن أحمد المشيشي دفين مديونة بحاضرة مازونة، غير أن سيدي يانس بن يونس بن أحمد لم يعقب وإخوته الثلاثة المتبقون هم سيدي مُحَمَّد بن يونس دفين قرية بوخريس البويرة وله ذرية هناك وبضواحي الأغواط ومازونة، وسيدي بلخير بن يونس المعروف بالشطي دفين ورقلة، وسيدي الحسن دفين دائرة سيدي الحسن بولاية بلعباس، وغالبية ذريته موجودة بالجلفة وزنينة وبن يعقوب والشارف والمدية وتيارت، وأشهر فرقه هي أولاد بن يعقوب.[3]

ج)ضريح مقام سيدي عبد القادر: ينسب هذا المقام إلى سيدي عبد القادر الجيلاني، ولكن هناك من ينسبه خطأ إلى سيدي عبد القادر بن مُحَمَّد بن أبي سماحة (الملقب بسيدي الشيخ) وهو جد سيدي الحاج عيسى لأمه، مدعيا أنه قد حل بالمدينة ونصب خيمته بالمكان الذي بنى فيه مقامه وخلوته، والحق أن بناء المقامات التذكارية في المراقب العالية من الخصائص المعروفة في المدن والقرى الجزائرية تكريما لسيدي عبد القادر الجيلاني، بالإضافة إلى عدم وجود أي نشاط للطريقة الشيخية بالأغواط وأقدمية نشاط السادة القادريين بالمدينة وضواحيها يجعل نسبة هذا المقام إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني أكثر موثوقية.[4]

---

[1]– الحاجة فطوم بنت الحاج مُحَمَّد، عقد وقفي محفوظ بأرشيف مديرية الشؤون الدينية، ر50، 1941/12/22. وهو الحاج سيدي عبد الرحمان الفيجيجي على حسب الروايات الشفوية.

[2]– سبقت ترجمته.

[3]– صادقي، **مراحل**..، مرجع سابق، ص247.

[4]– بديار، **ديوان**..، ص25.

د)ضريح سيدي أحمد بن مخلوف: يعتقد أن والد أحمد وهو مخلوف والذي ينسب إليه عرش المخاليف قد جاء إلى منطقة جبل لزرق (بولاية الأغواط) بعد انهيار الدولة السعدية، و أنشأ بها زاوية في خيمته و لم يلبث طويلا حيث عاد من حيث أتى تاركا وراءه بنات و بنين،[1] من بينهم سيدي أحمد بن مخلوف الموجود ضريحه بمدينة سيدي مخلوف الذي يرجع بناؤه إلى الفترة العثمانية، نظرا لهندسة و طراز بناء الضريح الحالي، و يعتبر معلما تاريخيا و مزار لذريته و أحفاد سيدي مخلوف و كل المتبركين ، وقد تمّ بناء مسجد و زاوية لتعليم القرآن و تعاليم الدين، كما ذكرهم سيدي الحاج عيسى "مولى الأغواط" في قصائده، بينما توالى ذكرهم في المصادر الفرنسية.[2]

هـ)ضريح سيدي عطاء الله: وضريحة بتاجموت يزار، وقد أقيمت بجانبه زاوية لتعليم القرآن ومختلف العلوم، مازالت قائمة إلى حد الآن.[3]

و)ضريح سيدي حكوم: وهو من الأضرحة ذات الأهمية في مدينة الأغواط، وهو على أطراف وادي مزي.[4]

ز)ضريح سيدي أحمد بن حرزالله: ومقامه بدمد بمنطقة مسعد، وكان ضريحه مقصدا لذريته المنتشرين في منطقة الأغواط ولأبناء القبائل المجاورة.

ح) ضريح سيدي الميهوب الأول الحرزلي: وضريحه معروف بقصر الحيران، وهو يزار من قبائل المنطقة وبقصر الحيران أيضا عدة قباب لأبناء عمه الحرازلية منهم سيدي البوطي، سيدي بن حرزالله البكاي، سيدي التومي بن الداودي، سي بن حرزالله بن الجنيدي (الشاعر) وغيرهم.[5]

---

[1]- بلقاسم خميلي، **خواطر مجاهد من بوكحيل**، دار الأمل للدراسات، الجزائر، 2011، ص9-10. صادقي، **مراحل**..، مرجع سابق، ص246.

[2]- فون مالتسان، مصدر سابق، ج3، ص196. صادقي، **مراحل**..، مرجع سابق، ص246. بديار، **ديوان**..، ص38.

[3]- محمود الأخضاري، مرجع سابق، ص137.

[4]- صادقي، **مراحل**..، مرجع سابق، ص247.

[5]- أحمد بن الصغير، **الحرازلية**..، مرجع سابق، ص251.

ط) مقبرة شهداء مقاومة 1852:توجد مقبرة في المدخل الشمالي للمدينة تضم رفات بعض من شهداء مقاومة الرابع من ديسمبر سنة 1852، وقد اعتاد بعض سكان المدينة خصوصا النساء والعجائز على اصطحاب أبنائهم (ن) إلى هذه المقبرة، وطبخ بعض الأكلات التقليدية البسيطة فيما يسمى محليا ب: "المعروف" وهي عبارة عن دقيق السويق "الروينة" أو "القهوة المخلطة" أو الكسكس أو المردود، وتوزيعها على المارين بالمكان، مع تداول قصص وأشعار تخلد مآثر الشهداء وتحكي قصة : "عام الخلية"،[1] ومن بين الأضرحة والمقامات نذكر أيضا: قبور أولاد سيدي أحمد التيجاني وأحفاده،[2] وسي عيسى بن علي وأولاده، وسيدي الناصر، وسيدي بلقاسم العجالي وسيدي سعد ، وغيرهم ممن يصعب إحصاؤهم.

7/ المقام، الخلوة، الضريح المجهول، (أشجار، وأحجار): تعددت الأماكن التي تمتعت بقداسة معينة، وقد يأخذ المكان قدسية لسبب معروف مثل إقامة ولي وتعبده به أو لأن المكان شهد وقوع كرامة من كرامات الأولياء، أو قد تكون لسبب مجهول تماما ولا يعدو كونه توارثا لعادات لا يعرف لها أصلا مثل تقديس حجر أو شجرة، وتختلف تسميات هذه الأماكن ومن الأمثلة عليها:

أ)المقام، الخلوة: المقام وهو موضعُ الإقامة وزمانها وأيضاً المسكن و المنزلة والمكانة، أو المركز المحترم في نظر الناس لشخص له مقامه عند الله تعالى وإلى كرامات حصل عليها، ويصاحبها بعض مظاهر الاعتراف والاحترام ، وقد يكون المِقام مكان قبر ومن الممكن أن يكون مكان إقامته أو مروره به في يوم من الأيام(أو يعتقد أنه مر به)، أو مكان ممارسته الطقوس الدينية أو اختلى بنفسه فيه فيسمى "خلوة سيدي فلان" ،[3] ومن ثم اشتهر هذا أو ذاع بين الناس على أنه أحد مقاماتهم فيشاد على هذا المكان بناء أو مكان عبادة ديني لكي يزوره الناس، وقد ينسب لأحد الأنبياء أو الأوصياء أو الأئمة والصلحاء[4].

ويوجد بمدينة الأغواط حي يسمى حي المقام، وسبب تسمية المكان بهذا الاسم –حسب روايات شفوية– إلى القافلة التي كانت تحمل جثمان أحمد عمار التيجاني بن مُحَمَّد الحبيب بن سيدي أحمد

[1]– خميلي بلقاسم، **كلمة بمناسبة الذكرى** ..، ص29.

[2]– سبقت ترجمته.

[3]– علي كبريت، مرجع سابق، ج1، ص 74.

[4]– ترومللي ، مصدر سابق، ص118.

التيجاني القادم من وادي سوف ، وقد توقفت القافلة وبات أفرادها في ذات المكان وشهدت قدوم المحبين والمريدين لتشييع الشيخ إلى مثواه الأخير، ومن ثم أصبح يطلق عليه اسم "مقام سيدي أحمد عمار" ثم اختصر إلى "المقام"،[1] ومن أمثلة المقامات "مقامات سيدي عبد القادر الجيلاني" والتي تنتشر في أماكن كثيرة وتشترك مقامات سيدي عبد القادر رغم تعددها واختلاف زمان ومكان بنائها في كونها تشيد رؤوس الجبال أو على التلال والهضاب المرتفعة تبعا للاعتقاد السائد بأن الشيخ عبد القادر الجيلاني يتنقل من مكان إلى مكان على ظهر جواد طائر.[2]

كما يوجد لسيدي عطاء الله بن العابد (دفين تاجموت) مجموعة من المقامات التي تنتشر في منطقة الأغواط وحتى خارجها، مثل مقامه غرب سيدي طيفور ومشرية الصغرى في البيض، ومقامه في وادي مساعد غرب تاجموت ومقامه في الحويطة وغيرها،[3] وقد أورد العلامة أحمد سكيرج رسالة من أحد محبي ومريدي الطريقة التيجانية اسمه الحسن التاجموتي مفادها أنه بنى مقاما للشيخ أحمد التيجاني في موضع إقامة الشيخ في تاجموت حين زارها وجعله للفقراء والأحباب والإخوان.[4]

ب)الضريح المجهول (المخفي ، المخفية): لاحظ إدموند دوتي في كتابه الصلحاء وجود أضرحة أو مقامات أو خلوات مجهولة الاسم والنسبة، وقد تكون هذه المقامات مبنية على شكل ضريح يحوي قبرا أو يكون خاليا، أو مساحة شبه مبنية أو مهدمة ومتلاشية، ولكن تجتمع كلها في أنها منسوبة لمجاهيل، فيقال أنها لولي صالح أو مرابط، وفي الغالب يطلق عليها اسم : سيدي المخفي وهو المصطلح الأكثر انتشارا في إفريقيا الشمالية كلها، وكانت تنتشر هذه الأضرحة أو المقامات في كثير من المناطق من الأغواط وضواحيها،[5] ونجد أحيانا أن المنطقة المحيطة بالمقام كلها أصبحت تسمى بنفس الاسم، مثل "خيرة المخفية" في ضواحي حاسي الدلاعة أو "المخفية" في الطريق إلى حاسي الرمل، أو "راقوبة الرحمانيات" في ضواحي قصر الحيران.

---

[1]- Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat dignité**.. , Op.Cit, p74-75.

وقد سمعت هذه الرواية شخصيا من كثير من مريدي الطريقة التيجانية.

[2]- مبارك الميلي ، **رسالة الشرك**..، مصدر سابق، ص 362.بودواية، مرجع سابق، ص27. ترومللي ، مصدر سابق، ص336. أحمد الأمين، **الحياة الثقافية**، مرجع سابق، ص53. بشير بديار، **ديوان**...، مرجع سابق، ص25.

[3]- محمود الأخضاري، مرجع سابق، ص207.

[4]- أحمد سكيرج، **رفع النقاب**..، مصدر سابق، ج2، ص489.

[5]- إدموند دوتي، مرجع سابق، ص 75-76.

8/ الحضرة: سميت بذلك لأنها سبب لحضور القلب مع الله، وهي مصطلح صوفي يطلق على مجالس الذكر الجماعية والتي يؤديها بعض المنتمين للطرق الصوفية بشكل خاص وأحيانا يؤديها أناس لا علاقة لهم بالتصوف، وبالنسبة للمتصوفة يجب أن يكون على رأسها شيخ عارف بالطريقة ينبه على كل ما من شأنه أن يشوش إمكان الوصول إلى لحظة الصفاء، يتم فيها أداء أشكال مختلفة من الذكر، كالخطب وتلاوة القرآن والنصوص الأخرى من أدعية وأوراد، وإلقاء الشعر والإنشاد الديني، والمديح النبوي المتخصص بمدح رسول الإسلام والصلاة عليه، والدعاء والذكر الجماعي بشكل إيقاعي، وتلاوة أسماء الله الحسنى،[1] يستخدم البعض من الصوفية أحيانا الدف أثناء الحضرات، في حين أن بعض الطرق تستخدم آلات أخرى، في حين يوجد نوع آخر من الحضرة يقتصر فيه على ضرب الدف (محليا يسمى البندير) وعزف الناي (صوته لطيف ويسمى محليا القصبة) أو الغايطة ويكون صوتها عالٍ جداً يتميز بالقوة و الحيوية لذلك لا يعزف عليها في الأماكن المغلقة وإنما في العراء، ويستمر العزف والضرب والرقص إلى غاية وصول المعنيين إلى ما يسمى الوجد أو ما يعرف في الثقافة الشعبية بـ:"الحال"[2]ومن المعروف انتشار الحضرة على تعدد أشكالها ومضامينها في منطقة الأغواط، من حضرة ذكر إلى حضرة رقص ودف.

[1]- ثيافة الصديق، **الممارسات الاحتفالية الزيارات لدى مجتمعات القصور بالجنوب الغربي الجزائري**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، ع 12، ديسمبر 2017، ص331. عبد القادر رمان، **الدليل**....، مرجع سابق، ص23-24.

[2]- ثيافة الصديق، مرجع سابق، ص332.

المبحث الثاني :الطريقة القادرية وأثرها الثقافي في منطقة الأغواط:

أولا : التعريف بالقادرية: تنسب القادرية إلى الشيخ عبد الجيلاني أو الكيلاني، فهو شيخها ومؤسسها وهو من أشهر شيوخ التصوف في العالم الإسلامي.

1/التعريف بالشيخ عبد القادر الجيلاني: وهي المنسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفي سنة 561هـ وهو يعتبر عند المتصوفين: سلطان الأولياء، وقطب الأقطاب، والغوث، وعضد الإسلام، يلقب في التراث المغاربي بالشيخ بوعلام و الجيلالي بقلب النون لاما، و "جلول"، و" سيدي عبد القادر"، و "مولاي عبد القادر" ويعرف أيضا ب"سلطان الأولياء والصالحين"، و"باز الله الأشهب" و"تاج العارفين" و"محيي الدين" و"قطب بغداد"وله كرامات وخوارق تنسب إليه، وأتباعه يحلفون بجاهه، ويلقبونه أيضا بـ: "مولى بغداد" و"بودربالة"، و "قدور" و "قويدر" و "لعرج" و "ولد أم الخير" و " ابن موسى" و "بن خيرة".[1]

ولد في 11 ربيع الثاني وهو الأشهر سنة 470 هـ1077/م، وهناك روايات متعددة حول مكان ولادته القول بولادتهِ في جيلان في شمال إيران حالياً على ضفاف بحر قزوين، والقول الآخر أنه ولد في جيلان العراق وهي قرية تاريخية قرب المدائن التي تبعد حوالي 40 كيلو متر جنوب بغداد، وهو ما أثبتته الدراسات التاريخية الأكاديمية وتعتمده العائلة الكيلانية ببغداد.[2]

والشيخ الجيلاني عالم وله تآليف منها لطائف الأنوار، وله أولاد مات بعضهم بالقاهرة وانتقل آخرون منهم إلى الأندلس والمغرب العربي، ومعهم انتقل أيضا نسب الأشراف، وهو المؤسس للطريقة القادرية فيقول: " ويجب على المبتدئ في هذه الطريقة الاعتقاد الصحيح، الذي هو الأساس فيكون على عقيدة السلف الصالح "، [3] وطريقته القادرية لها فروع في اليمن والصومال ومصر والهند والمغرب والسودان الغربي منها : اليافعية، والنابلسية، والرومية، والعروسية والزاوية الأم للطريقة توجد في بغداد

---

[1]- مياسي، **مقاربات**، مرجع سابق، ص85. مُحَمَّد بن بريكة، **موسوعة الطرق الصوفية الطريقة القادرية**، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ج3، ص14-17. بودواية، مرجع سابق، ص27. سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج 4 ، ص42 .

[2]- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ الجيلاني وانتشار طريقته**، موفم للنشر، الجزائر، 2015، ص20-23. بن بريكة، **موسوعة**، ص10-17. خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، لبنان الطبعة: ط15، 2002، ج4، ص47. أحمد الأمين، **الحياة الثقافية**..، مرجع سابق، ص53

[3]- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ الجيلاني**..، مرجع سابق، ص126-128.

ولها فروع في الجزائر، وأصحاب هذه الفروع يتصلون مباشرة بالأصل في بغداد، إذ أن الإجازة والسلسلة تردان من هناك، وعلى كل فرع من فروع الزاوية مقدم.[1]

2/ **أوراد الطريقة:** ولهذه الطريقة ورد تتميز به منه ما يتعلق بالذكر بعد الصلوات ومنه ورد يومي ، كقول لا إله إلا الله 500 مرة في اليوم، والصلاة على النبي 121 مرة في اليوم، والاستغفار بعد الصلاة 100مرة مع أن المأثور عن النبي هو الاستغفار ثلاثا.[2]

والذكر عند القادرية هو ذكر الله وحده، والإكثار من الصلوات، وقد أضاف بعضهم : أستغفر الله، أو اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد النبي الأمي، وذكر مُحَمَّد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية (أن أهل القادرية المقربين أثناء الحضرة يقرأون أيضا الفاتحة بعد الصلوات الخمس، ويصلون على النبي ﷺ وآله، عدد 121 مرة في شكل جماعي، كما أخبر أنهم يذكرون عبارة سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر 121 مرة أيضا، ويقرأون سورة ياسين، وغيرها، وجاء في بعض المصادر أن زعماء القادرية الذين كانوا يفدون على الجزائر كانوا يقولون :إذا سألت عن الطريقة القادرية فهي العلم والأخلاق والصبر والاتقان، وإذا سألت عن الواجبات عند الطريقة فهي ذكر الله، والصدق، والابتعاد عن شؤون الدنيا، وأن تحب الناس وتخاف الله، ولخصوا تعليم القادرية بأنه مستمد من أفكار أخلاقية وفلسفية مشتركة بينها وبين الطرق الصوفية الأخرى.[3]

فالمعروف أن للطريقة القادرية أذكارا عامة وأذكارا خاصة، أما العامة فتتمثل في أن يردد المريد 165 مرة كلمات الشهادة لا إله إلا الله عقب كل صلاة، وأما الأذكار الكبيرة فهي ترديد العبارات التالية مائة مرة لكل منها إلا العبارة الأخيرة فخمسمائة مرة، وهذه العبارات هي :أستغفر الله العظيم، سبحان الله، اللهم صلى على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه، والأخيرة هي الشهادة لا إله إلا الله، هذا عن الأذكار العامة، أما الدعاء الخاص، فهو دعاء القنوت، وهو الذي أعطاه المقدم في بغداد إلى

[1]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، 42. عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ الجيلاني**..، ص247 وما بعدها. بن بريكة، موسوعة..، مرجع سابق، ص 151-153.بودواية، مرجع سابق، ص26.

[2]- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ الجيلاني**..، ص129-136. عن الأوراد القادرية بتفصيل كامل أنظر: بن بريكة، موسوعة..، مرجع سابق، ص56-82. بودواية، مرجع سابق، ص26.

[3]- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، ص44.

بعض الحجاج الجزائريين سنة 1896، وعبارته هي: اللهم إنا نستعينك، ونستغفرك، ونؤمن بك، ونتوكل عليك، ونخنع لك.[1]

ثانيا: الطريقة القادرية في الجزائر: تعتبر زاوية منعة بالأوراس أول زاوية قادرية بالجزائر، بينما يرى سعد الله أن أول من أسس فرعا للقادرية في الجزائر هو الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي سنة 1200هـ، وقد وجدت فروع لهذه في مختلف المدن، ومن بينها فرع الحسن بن أبي القاسم بن باديس الذي أخذ سند الطريقة سنة 756هـ في القدس أثناء حجه ثم عاد إلى الجزائر، ولها زوايا وأضرحة وقباب ومساجد في الجزائر وتلمسان وقسنطينة، وبجاية وغيرها، ولها أوقاف كثيرة، كانت ترسل مع الحجاج إلى الزاوية الأم ببغداد، وقد بقي الحال كذلك في العهد الفرنسي أيضا مع قيود كثيرة،[2] ومن فروع القادرية التي كان لها وجود في الجزائر: العمارية[3] والبوعلية[4] و البكائية[5].

ومن أبرز الشخصيات القادرية في الجزائر هو الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي الذي يعتبر الرئيس الأعلى للقادرية في الغرب الإفريقي، وقد كان للطريقة القادرية في الجزائر عدة زوايا في زمورة والشلف

[1]- سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص59. أنظر الملحق رقم: 16.

[2]- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ الجيلاني**..، مرجع سابق، ص 272-273.صلاح مؤيد الدين العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر تاريخها ونشاطها** ، دار البراق، لبنان، 2002، ص 145-146.مياسي، **مقاربات**، مرجع سابق، ص 87-98.

[3]- **الطريقة العمارية:** نسبة إلى الولي الصالح عمار بوسنة (كان في ق12 في ضواحي عنابة) ومؤسسها هو مبارك بن يوسف المغربي سمى نفسه خديم سيدي عمار ؛ وقد أسس هذه الطريقة وبنى زاوية قرب قالمة ، وفي سنة 1882 تمكن من وضع ذكر طريقته المستقل عن الذكر القادري ، وقد بلغت الزوايا التابعة له 26 زاوية كانت تستقطب 7 آلاف مريد إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي . سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4، ص62-64. بودواية، مرجع سابق، ص37-38.

[4]- **البوعلية:** نسبة إلى البوعلي (ت:610هـ) من نفطة في تونس وكان لها أتباع في العهد الفرنسي في الشرق الجزائري وزاوية لها مقدم في خنشلة، وحسب بعض المؤرخين فإنها كانت تعتمد على الرقص والشعوذة مثل طريقة العيساوة. سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج 4، ص 274.

[5]- **البكائية:** وهى من الطرق التي تفرعت عن الطريقة القادرية، ومؤسسها أحمد البكاي الكنتي في منطقة كنتة بتوات (في نهاية القرن الخامس عشر)، وكان لولده عمر (ت:960=1553) دور في نشر القادرية في غرب إفريقيا. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج4 ، ص277-278. بودواية، مرجع سابق، ص 38-39.

وتيارت والوادي وورقلة والأوراس وكنتة ، وقد وصلت إلى 33 زاوية في نهاية القرن التاسع عشر وينتمي إليها 25 ألف مريد.[1]

استمرت القادرية على نشاطها إلى جانب مقاومة الأمير عبد القادر، وبعد وفاة الحاج محيي الدين تولى ابنه مُحَمَّد السعيد أخو الأمير شؤون الطريقة، و وتعاونت الطرق في عهد الأمير من رحمانية، ودرقاوية، وطيبية، وشيخية، وبعد هزيمة الأمير سافر معه أخوه مُحَمَّد السعيد وسجن معه، ثم استقر الأخوان بالمشرق، وأصبح الشيخ مُحَمَّد المرتضى بن مُحَمَّد السعيد خليفة الطريقة القادرية في بيروت، وهو الشيخ الذي كان يقصده الجزائريون ويستقبل منهم الزيارات والمال، وله في الجزائر أتباع واتصالات.[2]

وقد ظهرت فروع أخرى في شرق الجزائر وجنوبها، وكان لها دور بارز في المقاومة أثناء غزو فرنسا للصحراء الجزائرية، وفي هذا الصدد نذكر زوايا الوادي (والرويسات) ورقلة كما نذكر زاوية نفطة وزاوية الكاف وكلتاهما بتونس، ولكن معظم زوايا الشرق والجنوب الجزائري ذات صلة بزاويتي نفطة والكاف القادريتين، ومؤسس زاوية نفطة هو أبو بكر بن أحمد الشريف، وقد تطورت الزاوية بفضل جهود الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف النفطي، حتى قال بعضهم إن تأثيره سنة 1897 وصل إلى غدامس وغات والجزائر وعين صالح وتوات وتيديكلت، وله أتباع في بلاد الطوارق، وقد ترك الشيخ إبراهيم أولادا تقاسموا بركة والدهم على النحو التالي :الأكبر منهم، وهو مُحَمَّد، تولى الزاوية الأم بنفطة، وأسس الهاشمي زاوية في عميش بوادي سوف،[3] وأصبح نائبا لأخيه، ونشط الهاشمي في تجنيد الأتباع ونشر الطريقة إلى أقصى الجنوب، وربط علاقات مع السودان وغات، وجند العديد أهل سوف الذين يمارسون التجارة الصحراوية، وأما أخوهما، مُحَمَّد الطيب، فقد نشر الطريقة في ناحية ورقلة، وأسس زاوية في الرويسات، وكان له أتباع في الأغواط وغرداية وبين الشعانبة، ولهم أخ رابع اسمه الحسين، أسس زاوية بقمار) وادي سوف، بينما أسس الأخ الخامس زاوية في تبسة، والسادس، وهو مُحَمَّد الإمام، زاوية

[1]- أبو القاسم مُحَمَّد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ج1، ص 166 وما بعدها. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص293-294.

[2]- عبد الباقي مفتاح،**الجيلاني**...، مرجع سابق، ص 279-284. مياسي، **مقاربات**...، مرجع سابق، ص89-91.

[3]- وهو والد عبد العزيز الهاشمي الذي كان له دور كبير في استقدام الشيخ السعيد الزاهري إلى الأغواط، كما أسس زاوية قادرية عندما نفي إلى الأغواط. أنظر: عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ الجيلاني**..، ص291.

في صحن الشعانبة بسوف أيضا، أما في تونس فإن الأخوة أسسوا بالإضافة إلى نفطة، زوايا من عدد من المدن.[1]

ويقدر الفرنسيون عدد أتباع الطريقة القادرية في الجزائر كما يلي: سنة 1882 : 29 زاوية ،268 مقدما، 14574خونيا، سنة 1897: 33 زاوية، 558 مقدما، 24578 خونيا، ويذكر المصدر الأخير أيضا ما يلي: من ضمن مجموع الإخوان، هناك 2695 امرأة أو خونية، ويصف سعد الله القادرية بأنها أم الطرق في الجزائر ، حيث ان الكثير من شيوخ والمنتمين إلى الطرق الأخرى يبدأ أصحابها بالانتماء إليها أولا، ثم يجمعون بينها وبين طريقتهم أو طرقهم الجديدة أو ينشؤون طريقة جديدة أو يتخلون عنها بالكلية، فقد أخذ مُحَمَّد بن علي السنوسي أوراد القادرية والشاذلية قبل إنشاء طريقته الخاصة، يضاف إلى ذلك أن الداخل في القادرية لا يمنعه دخوله من الانضمام إلى طريقة أو طرق أخرى، لأن الطرق كلها في الأساس تدعو إلى الله.[2]

ثالثا: الطريقة القادرية في الأغواط وأعلامها: يمكن القول بأن هذه الطريقة قديمة الوجود في مدينة الأغواط، وهي أول الطرق انتشارا، حيث هناك روايات ترجع انتشارها في المنطقة إلى نهايات القرن الخامس عشر، وذلك بعد حلول سيدي المُحَمَّد السايح (ت 1494 ببادية الأغواط) في المنطقة بعد رحلة قادته من تلمسان إلى وادي ميزاب ليستقر ببادية الأغواط وينشر الطريقة في قبائل البدو مثل بني هلال والشعانبة وغيرهم، كما أن سيدي حكوم وهو أشهر أحد أشهر الأولياء في مدينة الاغواط كان رفيقا له وقادريا مثله،[3]وتتميز بانتشارها الواسع ضمن قبائل وعروش بكاملها مثل عرش الحرازلية والأرباع وغيرهم، وقد بلغ عدد إخوان الطريقة القادرية في الأغواط سنة 1955بالنسبة للفرنسيين: 900 شخص، وقد أنشأ القادريون في الأغواط زاوية تعليمية استقبلت طلبة القرآن ودارسي علومه

[1]- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ الجيلاني..**، ص288-289. بن بريكة، **موسوعة..**، مرجع سابق، ص183.مياسي ، **مقاربات**، ص99-100.

[2]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج4، ص58-59.

[3] - Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat dignité**.. , Op.Cit, p701-702.

وعلوم اللغة وغيرها،[1] وقد أشار سعد الله إلى ملاحظات مالك بن نبي في فترة وجوده في آفلو إلى نشاط القادرية في تلك النواحي،[2] ومن أعلامها في الأغواط:

1/ بن ناصر بن شهرة: : زعيم المقاومة في الصحراء الجزائرية وقد كان قادري الطريقة.[3]

2/الحاج العربي موتح: قدم على رأس هذه الطريقة بإجازة من شيخها في تونس، من أثاره إعادة بناء قبة الشيخ سيدي عبد القادر سنة 1896 لم يعرف له أي مطبوع أو مخطوط.[4]

3/ الحاج الطيب بن الحاج العربي موتح: ولد سنة 1854 ، آلت إليه رئاسة الطريقة القادرية بعد وفاة أبيه المذكور جدد بناء القبة المذكورة سنة 1929 وكانت وفاته في السنة الموالية، وهذه الطريقة تحمد على مساهمتها في بعض النهضة التربوية والثقافية إليه الفضل في استقدام الشيخ الزاهري للتدريس في مدينة الاغواط.[5]

4/الشاعر سي بن حرزالله بن الجنيدي: سبقت ترجمته في فصل الثقافة الشعبية وقد مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني بقصائد كثيرة جدا.

5/ الشاعر سي أحمد بن الحرمة: ومن خلال شعره تظهر روابطه المتينة بالطريقة القادرية سواء بشيخها عبد القادر الجيلاني، أو بشيوخها ومقاديمها الأحياء في الأغواط ، وقد سبق التعريف به.

---

[1]- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ الجيلاني..**، ص295. طالبي، مرجع سابق، ص24. أحمد الأمين، **الحياة الثقافية..**، مرجع سابق، ص53.

[2]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج4، ص47.

[3]- عبد المنعم القاسمي، **الطريقة الرحمانية..**، مرجع سابق، ص 281. يحي بوعزيز، **ثورات الجزائريين..**، مرجع سابق، ج2، ص151-156. إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص127.

[4] - محمود علالي، مرجع سابق ، ص 66. طالبي، مرجع سابق، ص24.

[5] - طالبي، مرجع سابق، ص24. محمود علالي، مرجع سابق ، ص 66.

6/ سي البشير بن الحاج: كان يدرس بجامع الدراويش (الشاذلية) صحيح البخاري بالإضافة إلى تدريسه بالزاوية القادرية وقد رثاه المُحَّد بن كريو أخ الشاعر عبد الله بن كريو، وأحمد بن الحرمة، كما رثاه العلامة المسعدي بقصيدة فصيحة جزلة.[1]

7/ الشريف الهاشمي: وهو صاحب زاوية الرويسات الذي سبق الحديث عنه، وقد أسس زاوية قادرية عندما نفي إلى الأغواط بين 1919 و1920.[2]

8/ عبدالعزيز بن الهاشمي: الذي يؤول إليه الفضل في استقدام الشيخ مُحَّد السعيد الزاهري والشيخ مبارك الميلي للتدريس في مدينة الأغواط[3].

9/ الحاج عمر الطيبي: ولد سنة 1881 بتاجموت ، درس القرآن مع مبادئ العربية في تاجموت مسقط رأسه في زاوية الحاج المبروك بن دهينة، وأخذ الحاج عمر الورد القادري عن والده الحاج الطيب عن الشيخ محي الدين بن مصطفى والد الأمير عبد القادر، وقد كان للحاج الإذن في تلقين ورد الطريقة، أسس الزاوية القادرية في تاجموت بمقر سكناه في القصر القديم بتاجموت.[4]

10/ الحاج عبد القادر الطيبي: مقدم الزاوية القادرية بتاجموت.[5]

ولعل أهم ما ميز الطريقة القادرية في الأغواط في فترة الاحتلال هو انخراطها في النهضة الثقافية المبكرة في بدايات القرن العشرين، ومساندتها للحركة الإصلاحية ممثلة في استقدام الشيخين السعيد الزاهري ومبارك الميلي إلى الأغواط والانفاق عليهما وتهيئة الظروف لعملهما كما سيأتي بيانه في فصل التعليم الإصلاحي .

---

[1]- وقد جمع الرجل بين عدة طرق كما سيأتي بيانه .أنظر: أحمد الأمين، **الحياة الثقافية**، مرجع سابق، ص54. أنظر أيضا: لحسن بن علجية، **الشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي حياته وآثاره**، دار الهدى للطباعة والنشر، عيم مليلة، الجزائر، 2015، ص209-210.

[2]- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ الجيلاني..**، مرجع سابق، ص291. بديار، **أعلام..**، مرجع سابق، ص123.

[3]- مُحَّد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص248-249. علالي، مرجع سابق، ص66. بديار، **أعلام..**، مرجع سابق، ص123. أحمد الأمين، **الحياة الثقافية..**، مرجع سابق، ص53.

[4]- محمود الأخضاري، مرجع سابق، ص223-225.

[5]- بن بريكة، **موسوعة..**، مرجع سابق، ص165.

المبحث الثالث: الطريقة الرحمانية الخلوتية وفروعها في الأغواط:

أولا التعريف بالطريقة الرحمانية الخلوتية: مؤسسها هو الشيخ مُحَّد بن عبد الرحمن الجرجري المعروف أيضا بنسبته إلى زواوة وإلى الأزهر (الزواوي والأزهري)، وهو من قبيلة آيت إسماعيل من عرش قشطولة، وتاريخ ميلاده غير متفق عليه، ولكن بعضهم قدره بين 1127 هـ و 1142هـ ، وقد توفي بالجزائر سنة 1208 هـ،[1] وشيخها المعروف بصاحب القبرين أحدهما في موطنه ومقر زاويته ببني إسماعيل دائرة بوغني ببلاد القبائل، والثاني في مقبرة سيدي مُحَّد بالعاصمة.[2]

بعد أن تعلم بزاوية الشيخ الصديق بن أعراب بآيت ايراثن توجه إلى المشرق حوالي 1152 حيث ظل مدة طويلة، ومن أساتذته في الأزهر سالم النفراوي وعمر الطحلاوي وحسن الجداوي والعمروسي، ثم عاد حوالي سنة 1177 إلى قريته آيت إسماعيل لنشر أفكاره وطريقته بين أهل بلاده وأسس زاويته هناك، بعدها قرر الانتقال إلى الجزائر العاصمة ،لإقامة زاوية آخرى ،وذلك لنشر معالم الدين الحنيف ،وتوعية الناس ،ومحاربة الجهل ، وشيد هذه الزاوية العلمية بالجزائر العاصمة، إذ كانت ترحب بالفقراء والأيتام والأجانب وعابري السبيل وتقبل كل من ينتسب اليها لطلب العلم ، وهي أيضا جامعة كبيرة ،حيث يتم بها تدريس العديد من العلوم العقلية منها والنقلية .[3]

و قد تلقى الشيخ مُحَّد بن عبد الرحمن تعاليم الطريقة الخلوتية[4] على الشيخ مُحَّد بن سالم الحفناوي عندما كان بالقاهرة أو مكة وقد أمره شيخه أن ينشرها في الهند والسودان، وفي رسالة من الأزهري إلى

---

[1]- مُحَّد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ج 1، 533. أبو عمران الشيخ وآخرون، **معجم مشاهير المغاربة**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995،ص 37.

[2]-أبو القاسم مُحَّد الحفناوي، مصدر سابق، ج2، ص450. الجيلالي، تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ج4، ص51. خيرة بن بلة وآخرون، مرجع سابق، ص48. بودواية، مرجع سابق، ص77.

[3]- دائرة المعارف الاسلامية، **مادة رحمانية**، مج10، ص79. خيرة بن بلة وآخرون، مرجع سابق، ص46-48. بودواية، مرجع سابق، ص77.

[4]- **الطريقة الخلوتية:** نسبة إلى الخلوة، وهي إحدى الطرق الصوفية تنسب إلى مُحَّد بن أحمد كريم الدين الخلوتي، المتوفى في مصر سنة 986 هـ، وهو من أئمة الصوفية في خراسان في القرن العاشر الهجري، .كان من أتباع الطريقة السهروردية وأخذ التصوف عن إبراهيم الزاهد، ثم استقل بطريقته انتشرت في مصر والشام والهند والسودان والجزائر وتركيا وغيرها من البلدان، وتفرعت إلى عدة فروع من بينها فرع الرحمانية في الجزائر وتونس. أنظر: القاسمي، **الطريقة الرحمانية**، مرجع سابق، ص72-74. بودواية، مرجع سابق، ص75-76.

بلحسن اليوسفي، نقيبه بتونس، قال إنه قد أقام ست سنوات في دارفور بالسودان الذي توجه إليه بأمر من شيخه الحفناوي ليقرئ السلطان هناك وكان له في الجزائر أثناء إقامته بالمشرق تلاميذ يتراسلون معه ويعلمهم مبادئ الطريقة الخلوتية. [1]

ومن تلاميذه الذين منحهم الإجازة أثناء إقامته في الجزائر بلقاسم بن مُحَمَّد المعاتقي الذي رفعه إلى رتبة مقدم الطريقة والشيخ العابد بن الأعلى الشرشالي، وسنعرف أن الشيخ أحمد التجاني، مؤسس الطريقة التجانية، قد أخذ عنه أيضا، وقد تضمنت مراسلات مُحَمَّد بن عبد الرحمن الأزهري كثيرا من مبادئ الطريقة الخلوتية، فهي تتحدث عن التصوف وأهل الدائرة وأهل التصريف ومراتب الغوث والقطب وحول ذلك مما يتعلق بأصول التصوف التي أصبحت بدورها أصولا للطريقة الرحمانية، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن طريقة الذكر عند الرحمانيين قد تأثرت بالثقافة الهندية، وهو أمر جعل الاعتقاد بأن الأزهري قد استجاب فعلا لدعوة شيخه في الذهاب إلى الهند، لأن أمر الشيخ يجب أن يطاع. [2]

ويستعمل الرحمانيون الذكر في حلقات ويرددون سم الله بالتدرج إلى أن يصلوا إلى حالة الحال وهو درجة من الانجذاب والوجد يمارسها المتحلقون بصوت جماعي بقيادة الشيخ أو المقدم ، ويتمثل إعطاء الورد عند الرحمانيين في التعوذ من الشيطان الرجيم والاستغفار والتشهد وقراءة الفاتحة وبعض الأدعية، ويطلب من المريد أن يذكر الله كثيرا آناء الليل وأطراف النهار، وأن يكرر الشهادة من العصر يوم الجمعة إلى العصر يوم الخميس، أي ستة أيام سواء كان المرء على طهارة أو غير طاهر، والمطلوب منه أيضا قراءة الصلاة الشاذلية وهي اللهم صلي على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه، بعد عصر يوم الخميس إلى عصر الجمعة، ثم يكرر الشهادة من عصر الجمعة إلى الخميس التالي، وهكذا طول حياته، وكل من يعطي الورد يقدم أيضا نصائح إلى المريد فيها الحث على طاعة الله واتباع السنة وتكرير الشهادة سبعين ألف مرة، ونحو ذلك . [3]

[1]- الحفناوي، مصدر سابق، ج2، ص457. مُحَمَّد مخلوف، مصدر سابق، ج1، ص533. دائرة المعارف الاسلامية، مادة رحمانية، مج10، ص97. عبد المنعم القاسمي، **الطريقة الرحمانية**، مرجع سابق، ص311-313.

[2]- عن تلاميذه أنظر: عبد المنعم القاسمي، **الطريقة الرحمانية**، مرجع سابق، ص 348-373. سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص507.

[3]- عبد المنعم القاسمي، **الطريقة الرحمانية**، مرجع سابق، ص 341-344.

وقد انتشرت تعاليم الأزهري في الجزائر، وخصوصا في شرقها ووسطها وفي تونس، وأصبح لها كثير من الأتباع عشية الاحتلال الفرنسي وبعده، ويبدو أنها قد انتشرت بين الفقراء وسكان الأرياف بالخصوص، وقد كان بعض الشعراء الشعبيين ينشرونها في المدن أيضا في أماكن التجمع العامة، مثل أبي القاسم الرحموني في قسنطينة، كما انتشرت في الصحراء الشرقية ومنطقة الجريد بتونس، ومن الملاحظ بهذا الصدد أن مُحَّد بن عبد الرحمن الأزهري قد عاش في الحجاز في عهد ظهور حركة الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب بنجد وتوفيا تقريبا في نفس الوقت، ومع ذلك لا نكاد نجد أي أثر للحركة الوهابية في تعاليم الطريقة الرحمانية.[1]

وأدت زاوية الأزهري خدمة هامة في نشر التعليم أيضا، فقد كان لها عدد من الأساتذة في حياة الأزهري نفسه، ومن هؤلاء الشيخ أحمد بن الطيب بن الصالح الرحموني الذي وضع سنة 1212 رجزا في الفقه ظل قضاة جرجرة يستعملونه، وقبل وفاة الأزهري عين خليفته على الزاوية، وهو الشيخ علي بن عيسى المغربي، وترك له جميع كتبه وأرضه وأوقاف الزاوية وغير ذلك وأشهد على ذلك أهل آيت إسماعيل، وقد ظل الشيخ علي بن عيسى يدير الزاوية تعليما وطريقة من سنة 1208 إلى 1251وكان لهذه الطريقة 220 زاوية تضم ما بين 130 إلى 160ألف مريد قبل نهاية القرن التاسع عشر، ولذلك كانت تعتبر من أوسع الطرق انتشارا في الجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية،[2] وللزاوية الرحمانية فروع في الجنوب من أشهرها زاوية الهامل ببو سعادة.[3]

ثانيا: انتشار الطريقة الرحمانية في الأغواط: يتمظهر تأثير الطريقة الرحمانية في الأغواط بأشكال متعددة مثل أخذ ورد الطريقة، وإنشاء الرحمانيين للزوايا في الأغواط، وتوجه بعض الأغواطيين للدراسة في زوايا الرحمانية المختلفة وخصوصا القريبة من منطقة الأغواط، بالإضافة إلى النشاط الأدبي والفني من خلال تأليف القصائد وتأسيس فرق السماع.

[1]- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص508. دائرة المعارف الاسلامية، **مادة رحمانية**، مرجع سابق، مج10، ص90.

[2]-سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج4، ص139-142.

[3]- المرجع نفسه، ج4، ص 147.

1/ الطريقة العزوزية فرع الطريقة الرحمانية الخلوتية بالأغواط : هي طريقة صوفية تفرعت عن الطريقة الرحمانية وتنسب إلى الشيخ مُحَمَّد بن عزوز المولود في البرج قرب بسكرة،[1] وقد خلف أولادا نذكر منهم: الشيخ الحسن بن عزوز الذي كان خليفة للأمير عبد القادر في منطقة الزيبان والشيخ مصطفى بن عزوز[2]العدو اللدود للفرنسيين منذ سنة 1849 وإليه يعزى تأسيس الزاوية الرحمانية بنفطة والتي كانت مأوى للاجئين والمطرودين من الجزائريين، والشيخ المبروك بن عزوز ناشر الطريقة في الأغواط ،وقد كان لهذه الزاوية ولأبناء مؤسسها دور كبير في دعم ثورة بن ناصر بن شهرة ورفاقه، حيث لقي كل المساندة من الرحمانيين العزوزيين إلى غاية نهاية ثورته، وكانت الزاوية العزوزية بنفطة مركز راحة وإمداد وقاعدة خلفية له ولقواته.[3]

–الشيخ المبروك بن عزوز ونشر الطريقة في الأغواط: هو الشيخ المبروك بن الشيخ مُحَمَّد بن عزوز البرجي ولد في شعبان سنة 1231هـ الموافق لـ 1815م ببلدة (البرج) القريبة من مدينة طولقة (ولاية بسكرة) نشأ على أحسن حال وأكمله ، في أسرة شريفة ،متينة الصلة بالدين والعلم تربى في حجر والده الشيخ مُحَمَّد بن عزوز البرجي ثم تولى تربيته أخوه سيدي التارزي بعد وفاة والدهما ، استظهر القرآن الكريم في سن مبكرة ثم اشتغل بطلب العلم من فقه وتفسير ، وحديث ، وفنون اللغة العربية وعلم الكلام عن أخيه العلامة الجليل الشيخ التارزي –دفين المدينة المنورة–أخذ الورد الرحماني عن الشيخ علي بن اعمر بوصية من أبيه وتم سلوكه على يده [4].

وقد كان يوصف بأنه حسن الخلق ، وحلو الكلام شديد الحياء والتواضع ، كريما مقصودا لحل المشاكل آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، مستجاب الدعاء مستمسكا بالكتاب والسنة على نهج السلف الصالح ، وأوقاته كلها معمورة بالطاعة من صلاة ، وذكر، وقراءة ، وزيارة الإخوان ، لا يدع التهجد بالليل بابتهال وتضرع لمولاه سفرا وحضرا محبوبا مبجلا عند الخاصة والعامة ، وفي هذه الفترة

---

[1]– الحفناوي، مصدر سابق، ج2، ص475. عبد الرحمان بن الحاج بن عثمان، **الدر المكنوز في حياة سيد علي بن عمر وسيدي بن عزوز**، مطبعة النجاح، قسنطينة، الجزائر، 1350هـ، ص3 وما بعدها. خيرة بن بلة وآخرون، مرجع سابق، ص91.

[2]– عبد الرحمان بن الحاج بن عثمان، مصدر سابق، ص8–14. الجيلالي، تاريخ، ج4، ص326. سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص146.

[3]– يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**..، مرجع سابق، ص151–156. طالبي، مرجع سابق، ص29.

[4]– لبقع أحمد ، **وادي مرة بطولات و أمجاد وميراث الأجداد** ، مطبعة رويغي الأغواط ، الجزائر 2019 ، ص 29. علالي، مرجع سابق، ص71.

من حياة الشيخ كانت المقاومة المسلحة على أشدها ضد الغزو الاستعماري التوسعي على الشريط الجنوبي الشرقي لبسكرة ، وكان من بين قادتها أخوه خليفة الأمير عبد القادر بالمنطقة الشيخ الحسن بن عزوز، و أيد ثورة بوزيان وشارك فيها سنة 1849م.[1]

وقد واجه الفرنسيون بشدة وقساوة سكان هذه المناطق، وهذا ما جعل أفراد وأسرة الشيخ مُحَمَّد بن عزوز يهاجرون إلى مناطق بعيدة وآمنة، فرحل التارزي إلى المدينة المنورة ، و مصطفى إلى نفطة (تونس)، و المبروك إلى ورقلة لينتقل بعدها إلى الأغواط وذلك سنة 1850م، وهناك أسس زاويته لتصبح ملتقى لطلابها وأحبائها ، ومأوى للفقراء والمساكين والمحتاجين.[2]
وأضحى الشيخ المبروك من أعيان مشايخ الأغواط وإماما بالمسجد العتيق وأول من أظهر الطريقة الرحمانية بالأغواط وأسس زاويته بها، وقد ساهمت هذه الطريقة مساهمة معتبرة في المجاليين الديني والاجتماعي كقيامها بتحفيظ القران الكريم وإيواء الفقراء والمحتاجين، وتخرج على يده ما لا يحصى عدده من الطلبة حفظة القرآن الكريم ، وانتمى إليه من المقاديم والمريدين والأتباع جمع غفير من عدة نواحي، نذكر منهم :عرش المناصير الخوالد (بالغيشة) وعرش الحمازة (بآفلو)، وعرش رحمان بقصر الحيران وعرش المخاليف وعرش الحرازلية الأغواط، وأولاد نائل بالجلفة.[3]
وكانت وفاته –رحمه الله–في الثلث الأخير من ليلة الجمعة ثالث رجب سنة1305هـ الموافق لـ1886م وحضر جنازته جمع غفير من الناس كادت الشوارع والساحات أن تضيق بهم، ودفن بزاويته، ولما بلغ خبر وفاته مسامع أخيه مُحَمَّد بن عزوز قدم من القيروان صحبة ولده المختار فنزلا بالأغواط يوم الثاني والعشرين من ذي القعدة من نفس السنة ، ولما وقف بضريحه رثاه بهذه الأبيات:

هذا ضريح قد بدا من نوره شمس المعارف في العوالم ظاهرة
قد طال ما نال الرضى من ربه ودموع عينيه بالبكاء ساهرة
قد كان كهفا للأنام وملجأ ويداه بالفضل الجميل عاطرة
نجل ابن عزوز المربي المرتضى ملجأ الخلائق في الدنيا والآخرة

[1]– قويدري مُحَمَّد ، **الشيخ العلامة مُحَمَّد بن عزوز البرجي** ، ملتقى حول الزوايا الصوفية ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية ، بتاريخ 20-2011/12/22 ، بسكرة ، ص 20. لبقع، مرجع سابق، ص29-30.

[2]– عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، 2009، ص132.

[3]– لبقع، مرجع سابق، ص29-30. قويدري مُحَمَّد ، مرجع سابق ، ص 21. عطاء الله طالبي، مرجع سابق،ص30.

يا زائرا للقبر قف متأدبا لأن له من المعالي الفاخرة

وقد ترك رحمه الله سبعة أولاد وهم: مُحَمَّد الأخضر, عبد الحفيظ, و الحاج عبد القادر , و عمر دفين الغيشة , و مُحَمَّد و الشيخ الأزهري. [1]

2/ تأثير زوايا الرحمانية في الجنوب على منطقة الأغواط: كانت أنظار كثير من الأغواطيين تتجه نحو الزوايا الرحمانية لطلب العلم، ومن أهم هذه الزوايا، الزاوية المختارية بأولاد جلال، وزاوية الهامل ببوسعادة وزاوية سيدي الأزهاري بالحطيبة قرب الأغواط.

أ/ زاوية الحطيبة (سيدي الازهاري) قرب الأغواط: بعد وفاة الشيخ المبروك بن عزوز تولى ابنه الأكبر الحاج عبد القادر شؤون الزاوية إلى غاية وفاته سنة 1910 ، ليخلفه بعدها أخوه الشيخ لازهاري (الأزهري) على رئاسة الطريقة وشؤون الزاوية وينتقل بها من مدينة الأغواط إلى منطقة الحطيبة غير بعيد عنها. [2]

ويعد الشيخ الأزهري بن المبروك بن عزوز من أبناء الزوايا الناهضين في عصره فكان ذا أخلاق حسنة ، وحكمة ومعرفة ، وكرم وبذل في سبيل الخير ، تولي الشيخ الازهاري رئاسة هذه الطريقة في حوالي 1909م ، وأسس زاوية بعد توليه المشيخة في منطقة تسمى ،(الحطيبة) قرب الأغواط سنة 1919 فكانت زاويته ملجأ للفقراء والمساكين واليتامى والأرامل يعيشون في كنفها معززين مكرمين، كما كانت الزاوية تحوي مكتبة، وكان آية في الطب والجراحة والحكمة ، وله نظام عجيب في تركيب الأدوية واستعمالها واشتهر في علاج كثير من الأمراض المستعصية والعلل المخوفة ، وقد تعلم جراحة العيون على يد طبيب سويسري استقدمه إلى الزاوية، حيث كان تحوي جناحا طبيا للطلبة وغيرهم، وهذا ما يؤكد أن نشاطه لم يكن ليقتصر على الجانب الديني فحسب بل تعدد ليشمل جوانب أخرى إنسانية خدمة للدين والدنيا معا واستفاد بصحبته غير واحد من أخلص تلاميذه في الطب والحكمة ،

[1] – نقلا عن حفيد المترجم له الشيخ الحاج عزوزي تارزي بتصرف، منتدى زاوية الفلاح على النت : http://alfalah.mam9.com/t69-topic ، 03-10-2016، 13:30. أنظر أيضا مدونة برج بن عزوز على النت: https://albordj.blogspot.com/2010/12/blog-post_25.html، 05-06-2018، 22:00.

[2] – عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الطريقة الرحمانية**..، مرجع سابق، ص133. لبقع، مرجع سابق، ص29.

ومن مآثره قيامه باستخدام الشيخ مُحَّد العاصمي للتدريس بمدينة الاغواط وكانت وفاته –رحمه الله– سنة 1951م. [1]

وقد استمرت الزاوية بعده في تأدية مهمتها العلمية والاجتماعية على يد نجله مُحَّد الأمين، إلى غاية اندلا ع الثورة التحريرية حيث اعرضت الزاوي إلى التخريب، ومكتبتها إلى التدمير كما تعرض عدد من طلبتها إلى الاعتقال أو التصفية، وقد قام الشيه صفي الدين بن مُحَّد بن الازهاري بتعويض هذه الخسارة بإنشاء زاوية جديدة بحي القواطين داخل مدينة الأغواط، بينما بعثت زاوية الحطيبة من جديد بعد الاستقلال، [2] ومن مشاهير من درَس في زاوية الحطيبة:

– **سي الشريف بن مُحَّد بن عبد الرحمان النعاس**: ولد في سنة 1899م بدار الشيوخ ولاية الجلفة، ولما بلغ سن الدراسة والتعليم، حفظ القرآن الكريم ودرس فقه العبادات والمعاملات على الكثير من شيوخ زاوية جده ، ومنهم والده الشيخ سي مُحَّد الذي كان حريصا على تربيته تربية علمية والروحية، وبتوجيه من أبيه انتقل إلى زاوية الشيخ الأزهاري بن الشيخ المبروك بن الشيخ مُحَّد بن عزوز البرجي، بالحطيبة حيث أخذ آداب الطريق، هذا ولما أعجب الشيخ بذكائه، وأخلاقه الدينية، زوجه الشيخ ابنته الوحيدة المسماة: باسم عمة النبي عليه الصلاة والسلام السيدة صفية، ورزق منها أولادا ، ومنهم شيخ الزاوية حاليا (سي مُحَّد بن سي الشريف)، ثم عاد إلى زاوية أبيه أين ساعد والده في خدمة الزاوية، والإشراف على طلبتها و أخوانها، و في هذه الفترة أنتقل به والده إلى زاوية الشيخ المختار أين أخذ العهد على يد الشيخ سي عبد الحميد حفيد الشيخ المختار، ولقنه ورد الطريقة الرحمانية، تمت له البيعة لتولي مشيخة الزاوية بعد وفاة أبيه سنة 1945، بإجماع مشائخ الزوايا والأخوان والأسرة النعاسية، وكان لزاويته دور مهم خلال الثورة التحريرية، وافته المنية في مطلع شهر سبتمبر 1969م. [3]

[1]– عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الطريقة الرحمانية**..، مرجع سابق، ص133. أنظر أيضا: محمود علالي، مرجع سابق، ص71 . عطاء الله طالبي ، مرجع سابق ،ص30. لبقع، مرجع سابق، ص30.

[2]– عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الطريقة الرحمانية** ، مرجع سابق، ص133. لبقع، مرجع سابق، ص30.

[3]– ترجمة الولي الصالح الشيخ عبد الرحمن النعاس، منتدى برج بن عزوز، https://albordj.blogspot.com/2011/02/blog-post_14.html ،

ب) الزاوية المختارية في أولاد جلال: تعد الزاوية المختارية بمدينة أولاد جلال بولاية بسكرة، إحدى الزوايا العريقة التابعة للطريقة الرّحمانية ومن أحد مقاصد أبناء الأغواط ، أسّسها الشيخ المختار بن عبد الرّحمان الجلالي[1] الّذي يعتبر من رجالات العلم والتصوف والجهاد بالجزائر سنة 1815م بأمر من شيخه مُحَمَّد بن عزوز،وقد عرفت هذه الزاوية شهرة واسعة في ظرف وجيز وأمّها الطلبة من جميع جهات الوطن، وكان لها دور بارز في تحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الشّرعية ونشر الطريقة الرّحمانية وتربية النشء على المبادئ والقيم الإسلامية وإيواء الفقراء، فضلاً على دورها الجهادي إبان الاحتلال الفرنسي.[2]

ومن أشهر تلاميذ الزاوية، الشيخ مُحَمَّد الصغير والشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم مؤسّس زاوية الهامل[3] بناحية بوسعادة، وإضافة إلى الشيخين المذكورين آنفا نجد الشيوخ بولنوار بن حبوب، مُحَمَّد بن الزبير، لخضر بن خليف ونعيم النعيمي و مُحَمَّد بن العابد السماتي والشهيد قائد الصّحراء عاشور زيان وعبد الرّحمان النعاس والطاهر والحاج الصادق بن سيدي ناجي، وأمّا أشهر المدرّسين فيمكن ذكر الشيخ مُحَمَّد بن الزبير والشيخ العابد بن عبد الله السماتي والشيخ عمر بن الزواید والشيخ مصطفى بن قويدر مبروكي وغيرهم[4].

لعبت الزاوية المختارية دورًا بارزًا أثناء الاحتلال الفرنسي وكانت قلعة من قلاع الجهاد والمقاومة، حيث دعا الشيخ المختار إلى الجهاد وساند مقاومة الشريف بومعزة التي استشهد فيها الكثير من أتباع الطريقة الرّحمانية دفاعًا عن مدينة أولاد جلال، كما أرسل الشيخ المختار عددًا من المجاهدين والمؤن لدعم الشيخ بوزيان في ثورة الزعاطشة [5].

من أشهر من درس بالزاوية المختارية من أهل الأغواط:

---

[1]- أنظر تعريفه في: الحفناوي، مصدر سابق، ج2، ص564-565. سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص149-150. خيرة بن بلة وآخرون، مرجع سابق، ص91.

[2]- أحمد الأمين، **الحياة الثقافية**..، مرجع سابق، ص52.

[3]- عبد المنعم القاسمي، **الطريقة الرحمانية**، مرجع سابق، ص756-757.

[4]- عبد المنعم القاسمي، **الطريقة الرحمانية**، مرجع سابق، ص757. عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الطريقة الرحمانية** ، مرجع سابق، ص170.

[5]- مُحَمَّد العربي حرزالله، مرجع سابق، ص336-339.

- **الشيخ سليمان غزال:** وهو شيخ عرش الحرازلية (أولاد سيدي أحمد بن حرزالله) ورئيس جماعتهم [1]، ولد سنة 1910 بأولاد جلال ببسكرة، والده مُحَمَّد درس بالزاوية المختارية بأولاد جلال وبزاوية نفطة العزوزية الرحمانية، وزاوية سيدي الهاشمي القادرية، أما أخوه بن حرزالله فقد كان قيما ومقدما في الزاوية المختارية وقد استشهد في الثورة التحريرية، وتربط عائلة غزال علاقة مصاهرة ونسب بالعائلة المختارية .[2]

أتم الحاج سليمان حفظ القرآن في الزاوية المختارية ثم انتقل وهو بعمر 18 إلى جنوب الأغواط حيث مضارب أبناء عمه الحرازلية في حاسي الدلاعة، حيث أسس بمعية أعيان العرش محضرة قرآنية تحولت إلى زاوية لتعليم أبناء البدو، وكانت عبارة عن خيمة في البداية، ولكن بتضافر الجهود بني بيتا وزاوية ثم أسس المسجد العتيق في بداية الثلاثينات،[3] وقد استمر في أداء مهمته التعليمية والاجتماعية والقضائية إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية، حيث كان صلة الوصل بين الشيخ زيان عاشور وبين سكان المنطقة بحكم مزاملته إياه في الزاوية المختارية، ويذكر أنه التقى بالشيخ البشير الابراهيمي حيث رافقه في الحج سنة 1952، وقد تعرف على منهجه الإصلاحي حيث اقتنع به وتبناه.[4]

ج) زاوية الهامل في بوسعادة: تقع الزاوية في الجنوب الغربي من مدينة بوسعادة، على المرتفعات المتاخمة لجبال أولاد نائل،[5] تنتسب الزاوية القاسميّة إلى مؤسّسها الإمام ، الشيخ سيدي مُحَمَّد بن أبي القاسم، الشريف الحسنيّ،[6] رحمه الله، المتوفّى في شهر المحرم (1315 هـ/ جوان 1897 م)، أسّس الشيخ رحمه الله زاويته، وعمرها في بيته الكائن برحاب المسجد العتيق، في فترة مقاومة الأمير عبد القادر، حيث بلغ عدد طلبته آنذاك، ثمانين طالبا، كان يتولى تعليمهم، ويتكفل بنفقات إقامتهم، ثم

---

[1]- بومدين بوداود وكعبوش بن حرزالله، **الحاج سليمان غزال حياته وآثاره**، د د ن، 1999، ص13. مُحَمَّد جخدم، مرجع سابق، ص109-110. مُحَمَّد بوعزارة، **عشت مع أولئك ..وعرفت هؤلاء**، منشورات ANEP، الجزائر، ص24-25، 102.

[2]- بومدين بوداود وكعبوش بن حرزالله، ص 14-15.

[3]- المرجع نفسه، 17-22.

[4]- نفسه، ص 25-28.

Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat dignité**.. , Op.Cit, p242-244

[5]- عبد المنعم القاسمي، **زاوية الهامل**، مرجع سابق، ص42-43.

[6]- أبو عمران الشيخ وآخرون، مرجع سابق، ص545-546. أنظر ترجمة مطولة له : عبد المنعم القاسمي، **زاوية الهامل**، مرجع سابق، ص98-147.

بنى زاويته الحالية وعمرها وتضم عدّة مرافق، أهمّها: المسجد الجامع، وبيت القرآن، وبيوت الطلبة وقاعات الإطعام وسكنات لإقامة الزائرين، فضلا عن مسكن شيخ الزاوية، ترجم للمؤسّس وكتب عن زاويته كثير من المؤرّخين والكتّاب، وأشادوا بأعماله وجهاده، وأجمعوا على اعتبار زاويته من أشهر الزوايا العلميّة في المغرب العربيّ الكبير، نظرا إلى الدور الإيجابيّ الذي اضطلع به رجالها، وجهودهم العلميّة، والتربويّة، وأعمالهم الوطنيّة، في عهد الاحتلال، وبعد استعادة الاستقلال.[1]

اختارها رجال الزوايا في المغرب العربيّ، في مطلع الثلاثينيّات مقرًّا لجامعة زوايا الشمال الإفريقيّ، وانتخب شيخ الزاوية، أنذاك، رئيسا للجامعة، وعندما تأسّست رابطة الزوايا الرحمانيّة في غرّة المحرم 1410هـ/03 أغسطس 1989م، اختار رجالهُا زاويةَ الهامل القاسميّة مقرًّا للرابطة الرحمانيّة وانتخبوا الشيخ القاسميّ رئيسا لها.[2]

ينتشر أتباع الزاوية وأحبابها وقدماء طلبتها في شرق البلاد وغربها ووسطها، ويرتبط بها أتباع الطريقة الرحمانيّة روحيا وثقافيا، تتكفّل الزاوية بعدد من الأسر الفقيرة وتساعد اليتامى والمساكين وأبناء السبيل والمعوزين، وتطعم الطعام الوافدين زائرين وعابرين، كما تتكفّل بطلبة العلم إيواء وإطعاما وتعليما.

ازدهرت الزاوية، وذاع صيتها مشرقا ومغربا، فأصبحت بعد سنوات قليلة من تأسيسها: مركز إشعاع حضاري، استقطبت اهتمام الباحثين وأثارت عناية الدارسين وقصدها العلماء وأهل الفضل، من داخل البلاد وخارجها، كما أصبحت معهداً علميّا عاليا، تخرَّج منه عدد كبير من العلماء والفقهاء، كانوا يؤهّلون علميّا ويجازون للإفتاء أو القضاء أو التدريس في كبرى الحواضر العلميّة، داخل الوطن وخارجه ، وهكذا كانت الزاوية القاسمية مركزا روحيا قياديا لأتباع الطريقة الخلوتيّة الرحمانيّة، تلتفّ حوله قلوبهم ، وملاذا آمنا، يجد فيها ذوو الحاجات ما يسدّ خللهم، ويفرّج كربهم، ويصلح شأنهم.[3]

ومن أبرزهم تلامذة الشيخ المؤسّس، وهم: الشيخ محمّد بن عبد الرحمن الديسيّ صاحب التآليف الكثيرة، والشيخ المختار القاسميّ، والشيخ محمّد الصدّيق الديسيّ. وتلامذة هؤلاء هم: الشيخ أبو

[1]- بودواية، مرجع سابق، ص79. الطيب شنتوف، **دراسات في تاريخ الجزائر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، تر: أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015، ص176 وما بعدها.

[2]- عبد المنعم القاسمي، زاوية الهامل، مرجع سابق، ص271-272.

[3]- المرجع نفسه، ص184-186.

القاسم القاسميّ، والشيخ أحمد القاسميّ، والشيخ أبو القاسم الحفناويّ صاحب كتاب تعريف الخلف برجال السلف، والشيخ الحسين بن أحمد البوزيديّ المدرّس بالأزهر الشريف، والشيخ الحسين بن المفتي القاضي بقفصة في تونس، والشيخ أبو مزراق الوانوغيّ مفتي الشلف، والشيخ محمّد العاصميّ مفتي الأحناف بالجزائر، والشيخ محمّد العيد بن البشير مفتي سور الغزلان، والشيخ محمّد بوعود قاضي آفلو، والشيخ المختار بن عليّ قاضي الجلفة، والشيخ القندوز ابن الشريف قاضي الجلفة أيضا، والشيخ قويدر بن محمّد البوزيديّ قاضي وهران، والشيخ أبو بكر بن عبد القادر قاضي بوسعادة، والشيخ الحاجّ بن يعقوب قاضي فرنده، والشيخ الطيّب بن الأخضر قاضي السوقر، والشيخ الأحسن بن أحمد قاضي معسكر، والشيخ بلقاسم بن الجديد قاضي سيدي عيسى، والشيخ العربيّ بن أبي داود شيخ زاوية آقبو، والشيخ العابد بن عبد الله المدرّس بأولاد جلاّل والشيخ مصطفى بن قويدر المدرّس بأولاد جلاّل أيضا، وعنهما تخرّج الشيخ نعيم النعيميّ، والشيخ عبد القادر ابن إبراهيم المسعديّ، والشيخ مصطفى بن سادات الكاتب في جريدة المنتخب، وغير هؤلاء كثير[1].

جدير بالذكر أن الشيخ عاشور الخنقي قد درس بزاوية الهامل قبل نفيه إلى تعظميت بالأغواط لمدة 7 سنة، وهو صاحب كتاب "**منار الأشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف**" رد فيه على تعليقات صالح بن مهنا، وقد كان الخنقي رحمانيا خلوتيا[2].

قد كان لزاوية الهامل تأثير كبير في منطقة الأغواط حيث قصدها الكثير منهم حضرا وبدوا،[3] وهناك من وقف عليها الأوقاف من أهل الأغواط مثل الوقف الذي يحمل رقم 116 والمؤرخ ب: 1944/05/23 والذي يعود للسيد مُحَّد بن عمر بن .... وهو عبارة عن سكن وإصطبل يوجدان بقرية عين الحمارة (عين الشهداء) بالقنطرة.[4]

وممن درس في زاوية الهامل من أهل الأغواط:

---

[1]- عبد المنعم القاسمي، **زاوية الهامل**، مرجع سابق، ص417-434.

[2]- وجدت اختلافات بين المؤرخين في مدة النفي حيث ذكرت أربع 4وسبع 7وخمسة عشر15 سنة. أنظر: عادل نويهض، مرجع سابق، ج1، ص135-136. سعد الله، ج 8، ص75. عبد المنعم القاسمي، **زاوية الهامل**، مرجع سابق، ص 397.

[3]- عبد القادر رمان، **شيوخ الزوايا**..، مصدر سابق، ص68 وما بعدها. أحمد الأمين، **الحياة الثقافية**..، مرجع سابق، ص52.

[4]- مُحَّد بن عمر، عقد وقفي بمديرية الشؤون الدينية بالأغواط، ر: 166، 1944/05/23.

– **الشيخ مُحَّد بن علي بن عزوز الهلالي الأغواطي:** يعتبر أحد أشهر رموز التيار الإصلاحي في الأغواط ومعلميه، وسيأتي الحديث عليه في فصل التعليم الإصلاحي.

–**الشيخ عطاء الله كزواي:** وهو أحد أعلام الإصلاحيين في الأغواط، وسيأتي الحديث عليه في فصل التعليم الإصلاحي.

–**الشيخ الحسين الزاهية:** وهو أيضا أحد أعلام الإصلاحيين في الأغواط، وسيأتي الحديث عليه في فصل التعليم الإصلاحي.

–**سي أحمد بن الحاج الجنيدي كعبوش:** سي أحمد بن الحاج الجنيدي بن بومدين بن لعجال بن الطيب بن مُحَّد كعبوش الحرزلي ، ولد رحمه الله عام 1897 م بالبادية ، ترعرع في كنف والده في عائلة تشتهر بالغنى و الجاه ,و لما كبر إستقدم والده المعلمين و المؤدبين من زاوية أولاد سي برابح بناحية عين معبد بولاية الجلفة ، فتعلم عليهم مبادئ العربية و حفظ على أيديهم ما يزيد عن الربع من القرآن الكريم ، و لما بلغ الثالثة عشر سنه أرسله والده إلى زاوية سيدي بلعلمي التيجانية بالعلية عند أولاد سيدي امُحَّد بن السايح فحفظ القرآن هناك ، و قد بقي سي أحمد هناك مدة تزيد عن الخمس سنوات ، و هناك أخذ الإذن بطريقة الشيخ أحمد التيجاني.[1]

و لما عاد من زاوية سيدي بلعلمي استغل والده الفرصة فزوّجه و بقي عاما عند أهله بالبادية ، إلا أن شغفه بالعلم وإلحاح والده عليه جعلاه ينتقل إلى زاوية الهامل العامرة فتتلمذ فيها على يد شيخها آنذاك العلامة سي المصطفى و أخذ عنه العقيدة و الفقه المالكي و النحو و علم الفرائض و غاب عن أهله عاما كاملا بزاوية الهامل و لما رجع طلّق زوجته لإنشغاله عنها بطلب العلم ثم عاد مرة ثانية إلى الزاوية الهامل و بقي بها عاما آخر و لما أخذ كفايته و أحس بحاجة مجتمعة إليه عاد إلى بادية الحرازلية فأخذ يتنقل بخيمته بين أهلها و أبنائها معلما و فقيها فدرّس عند الكثير من فرق الحرازلية و أسرهم .

[1]– أحمد بن الصغير، **الشيخ سي أحمد بن الجنيدي**، http://amal2007.e-monsite.com/pages/-.html، 2017-05-01، 12:00.

و لما اندلعت الثورة المباركة و قبض على إمام مسجد حاسي بالدلاعة الحاج سليمان غزال سنة 1957 لم يتوانى في إعمار المسجد و لم يمنعه من ذلك بُعد سكنه و لا ترصد قوات الإحتلال له و إيذائها إياه، فكان يؤم المصلين بمساعدة مؤذن المسجد الحاج عطا الله بوقطيف، و لما استقلت الجزائر أدى الشيخ سي أحمد امتحان الشؤون الدينية و نجح فيه إماما و معلم قرآن ، فوظف لذلك مقابل تنقله في أوساط البدو بناحيته ناشرا للعلم و بقي حرا متطوعا في مجتمعه البدوي، وكان البدو يقصدونه للإستفتاء في أمور الدين و مسائل العلم و الفقه و الفصل في الخلافات القائمة بين الناس و قد شهدت مواقفه الكثير في عدة مسائل على نباهته و ذكائه كما شهد له بسعة العلم الكثير من علماء منطقته أمثال الحاج عيسى دهينة ، و كان سي أحمد محققا في الفقه المالكي مطلعا لأعلى دقائقه ، و وقد توفي بتاريخ 16. أوت1977 م و دفن بمقبرة حاسي الدلاعة.[1]

–الحاج عيسى بن الزوبير: وهو من أولاد سيدي عطاء الله، ولد ببادية الأغواط سنة 1898 وقد حفظ القرآن صغيرا ثم انتقل إلى زاوية الهامل وهو في الأربعين فدرس على يد الشيخ مصطفى الهاملي وقد أجيز في علوم النحو والصرف، كما أخذ عن علامة الجلفة سي عطية مسعودي وزاوية تماسين التيجانية والزاوية الثعالبية في العاصمة، اشتغل بالتدريس وعمل قاضيا شرعيا بتاجموت وطاقين حيث استقر بها إلى غاية وفاته سنة 1990.[2]

ومن الأحداث البارزة المرتبطة بالرحمانيين في المنطقة ثورة سي الطيب بوشندوقة الرحماني في الجلفة والأغواط، ففي ليلة 15 أفريل سنة 1861 قاد الطيب بوشندوقة هجوما شجاعاً برفقة أولاد سي أحمد وأولاد أم هاني والسحاري على البرج المقام بمدينة الجلفة التي كانت منطقة عسكرية آنذاك، إذ قام هؤلاء بهجوم مفاجئ على المدينة فقتلوا عددا من الفرنسيين ثم لاذوا بالفرار، فتبعهم الجيش الفرنسي و تم إلقاء القبض على بعضهم، وأقام لهم القائد الفرنسي في الأغواط "دي سوني" محاكمة عسكرية مستعجلة قررت إعدامهم صبيحة 19 أفريل من نفس السنة. [3]

[1]–أحمد بن الصغير، **الشيخ سي أحمد بن الجنيدي**، مرجع سابق.

[2]– الأخضاري، مرجع سابق، ص218.

[3]– بينيامين كلود بروور، مرجع سابق، ص 203 وما بعدها .سعد الله ، **الحركة الوطنية1860–1900**، مرجع سابق، ج1، ص193.

المبحث الرابع: الطريقة الشاذلية وفروعها في الأغواط: تعتبر الطريقة الشاذلية من كبريات الطرق الصوفية الجزائرية، أهم ما يميزها هو تعدد فروعها.

أولا التعريف بالطريقة الشاذلية: تنتسب لأبي الحسن علي بن عبد الله المغربي، الزاهد الضرير، الشاذلي، قد كان ينتسِب إلى ابن مشيش، لكن سرعان ما استقلّ عنه.[1]

1/**التعريف بالشاذلي:** [2] ولد أبو الحسن علي الشاذلي في قبيلة غمارة قرب سبتة بالمغرب الأقصى، سنة 593، أي سنة قبل وفاة أبي مدين، وأخذ تعاليم شيخه ابن مشيش، وهو شاب، ولم يكد يبلغ الثانية والعشرين حتى توجه إلى قرية شاذلة خارج عاصمة تونس، واختلى بها، ويقولون إنه استقر في جبل جلاس واختلى فيه، ثم اشتهر أمره وجاءه الزوار والفضوليون، ولكن السلطة السياسية كانت له بالمرصاد، وقد خافوا منه، وكان للسلطة فقهاء يوافقونها، وخشي أبو الحسن الشاذلي أن يكون مصيره هو مصير شيخه ابن مشيش، وهو الاغتيال أو الحبس، فخرج من تونس إلى مصر، ولكن خصومه سبقوه إليها وشيعوا فيها ولدى علمائها أنه ملحد، وحتى لا تقع المواجهة اختار الشاذلي المكث بعيدا، إذ بقي في كهف عند بحر الإسكندرية، وقد عانى من الفقر والوحدة، ولا نعرف متى جاء مصر، ولا متى صفا له الجو بعد عبوس، إذ أظهر كرامات كما قيل.[3]

وكما أظهر كراماته للعامة أظهر أيضا علمه للخاصة، ومن الذين انتصروا له بعد أن كانوا من خصومه، حسب كتب التراجم، هو العز بن عبد السلام المعروف بسلطان العلماء والذي كان رئيس علماء مصر عندئذ، وهكذا كثر أتباع أبي لحسن الشاذلي، بعد أن كان خائفا يترقب ويعاني من العزلة والفقر، أصبح يحج كل عام ويجاور هناك فترة، ويبدو أنه أثناء إحدى حجاته وافاه الأجل في مكان مجهول حتى الآن، إلا أن بعضهم يجعله في أعالي مصر في المكان المعروف بالأبيار الشاذلية وكان ذلك سنة 656 هـ..[4]

[1]- بودواية، مرجع سابق، ص31.

[2] - أبو عمران الشيخ وآخرون، مرجع سابق، ص 299.

[3]- بودواية، مرجع سابق، ص47. الطاهر بونابي، مرجع سابق، 132-133.

[4]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص66-67.

2/ أوراد الشاذلية: له عدة أحزاب منها: حزب البحر وهو الشهير بالحزب الكبير ويقال له: الورد الكامل زعم فيه أن حزبه « ما كتب من حرف إلا بإذن من الله ورسوله»[1], وله غيره[2]، ومن أشهر أعلام الشاذلية هم تلاميذه الذين نشروا الطريقة مثل : أبو العباس أحمد بن عمر بن علي الأنصاري، المرسي توفي سنة 686هـ[3]، وأحمد بن مُحَمَّد بن عطاء الله الإسكندري الشاذلي،له عدة مؤلفات منها "الحكم" وغيرها، توفي سنة 709هـ [4].

وذهب بعض الباحثين إلى أن الطريقة الشاذلية هي أكثر الطرق الصوفية انتشاراً، وأكثرها أتباعا[5]، وكثير من أعلام الصوفية المشهورين من المتأخرين ينسبون إلى الشاذلية[6] وقد تفرعت إلى فروع كثيرة، ومن خصائص هذه الطّريقة في الذّكر اليوميّ في الصّباح والمساء: الاستغفار 100 مرّة، والصّلاة على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم100 مرّة، وتكرار الشّهادة 100 مرّة، وحضور الحضرة مرّة في الأسبوع على الأقلّ، وزيارة المقدَّم والحديث إليه مرّة في الشهر على الأقلّ، كما أن للشّاذلي أورادا وأحزابا تُنسَب إليه يتلوها أتباعه، ويتقرّبون بها إلى الله عزّ وجل.

ويلتزم أتباع الشاذلية بطريقة معينة للذكر، وهي الاستغفار مائة مرة، أستغفر الله والصلاة على الرسول ﷺ مائة مرة اللهم صلي على سيدنا مُحَمَّد النبي الأمي، والشهادة مائة مرة لا إله إلا الله وذلك كل صباح ومساء، بالإضافة إلى حضور الحضرة مرة في الأسبوع على الأقل، وزيارة المقدم والحديث إليه مرة في الشهر على الأقل، ثم التوبة الدائمة، وطلب الغفران من الله، والرجوع إليه بكرة وعشيا، هذا هو الوجه الظاهري أو العام للأذكار والممارسات الشاذلية، وهناك جانب آخر خاص أو باطني، وهو مجال لا حدود له من التأمل والتفكر والتعمق في المخلوقات والخالق.[7]

---

[1] –عبد القادر زكي، **النفحة العلية في أوراد الشاذلية**، مكتبة المتنبي ، القاهرة، دت، ص2.

[2] –مُحَمَّد درنيقة ، **الطريقة الشاذلية وأعلامها**، المكتبة الجامعية ، بيروت، 1410هـ ، ص 21,

[3] – سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص67.مُحَمَّد درنيقه ، مرجع سابق، ص82–85.

[4] –مُحَمَّد درينقه مرجع سابق، ص86–92 ،. سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص67.

[5] – مُحَمَّد درينقه ، مرجع سابق، ص65.

[6] – المرجع نفسه، ص 106–107 .

[7] – سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص69.

ثانيا: فروع الطريقة في الجزائر: تفرعت الشاذلية إلى فروع عدة بعضها أصلها جزائري وأخرى أصلها مغربي أو حتى مصري، وحتى بعض هذه تفرع إلى فروع جديدة فيما يشبه مشجرة من الطرق المتفرعة عن الشاذلية والمتداخلة فيما بينها أو حتى مع طرق أخرى خارج الشاذلية ، وطرقها التي انتشرت في الجزائر هي: الزّروقية،[1] واليوسفيّة،[2] والعيساويّة،[3] والكرزازيّة،[4] والشيخيّة،[5] والنّاصريّة، والزيانيّة[6]

[1]- **الزروقية:** تنسب إلى الشّيخ أحمد الزروق الفاسي (ت:899 هـ/1494 م).وهو فقيه أقام في الجزائر، وبجاية، وقسنطينة، قبل أن ينتقل إلى مصراته بليبيا، حيث كانت وفاتُه، وهو لم يؤسِّسْ طريقةً، وإنّما ترك أفكارا ومؤلّفاتٍ في آداب المريد، ثمّ أسّس أتباعه هذه الطّريقة ونسبوها إلى شيخهم، وقد كان للطّريقة الزروقية في الحقبة الاستعمارية أتباعٌ في قسنطينة، وتلمسان، وبجاية، وقد قُدِّر مريدوها آنذاك وإلى نهاية القرن التّاسع عشر ب 2.7 ألف مريد. سعد الله، ج4، ص79. للمزيد أنظر: الزركلي، مصدر سابق، ج1، ص91.

[2]**–اليوسفية:** نسبةً إلى أحمد بن يوسف الملياني (ت:931 هـ/1525 م)، وهو من تلاميذ أحمد الزّروق، وقد كان له أتباع في مليانة وتلمسان، قُدِّر أتباعُها في نهاية القرن التّاسع عشر بـ 1.4 ألف. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص79–80. الحفناوي، مصدر سابق، ج2، ص 97. الحاج صادق، **مليانة ووليها الصالح سيدي أحمد بن يوسف الملياني**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.

[3]- **العيساوية:** وهي طريقة أسّسها مُحَمَّد بن عيسى (ت:933 هـ/1526 م) دفين مكناس، وقد اشتهرت بأعمالها السّحريّة، والحركات البهلوانيّة، وقد عُدَّ أتباعُها في الجزائر في نهاية القرن التّاسع عشر بـ3.5 ألف، موزَّعين على 13 زاوية في وزرة بالمديّة، والرّمشي قرب تلمسان، وقسنطينة، وعنّابة، سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص81–85.

[4]- **الكرزازية:** أسّسها أحمد بن موسى الحسني مولى كرزاز (ت:1016 هـ/1608 م) قُرْبَ توات بأدرار.تتلمذ على أحمد بن يوسف الملياني، أتباعُ هذه الطّريقة يزعُمون أنّهم لا يقبلون في صفوفهم إلاّ متعلّما،..في نهاية القرن التّاسع عشر كان لها 3 آلاف مريد. سعد الله، ج4، ص88–90. عبد العزيز بن عبد الله، **معلمة التصوف الاسلامي**، دار المعرفة، الرباط، المغرب، 2001، ج2، ص213.

[5]- **الشيخية:** نسبةً إلى سيدي الشّيخ، ومؤسِّس هذه الطّريقة هو عبد القادر بوسماحة دفين البيّض (ت:1615/1023)، وهي وهي مستمَدَّة من الشّاذلية والقادرية والصديقية والبكرية، كان مؤسِّسها قادريّا ثمّ انتحل الشّاذلية، وأوصَى أولاده بذلك. وحسب الإحصاءات الفرنسية في نهاية القرن التّاسع عشر، فإنّه كان لها أربعة زوايا وعشرة آلاف مريد. سعد الله، **الثقافي**، ج4، ص103–106. صلاح العقبي، مرجع سابق، ص 557–558. عبد القادر خليفي، **الطريقة الشيخية**، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2006.

[6]- **الزّيانية:** أسّسها محمّد بن عبد الرّحمن بن بوزيان (ت:1145 هـ/1733 م) في القنادسة، وتذهب مصادر الطريقة الزيانية إلى أن مُحَمَّد بن بوزيان هو السابع والثلاثون في سلسلة الطريقة الشاذلية بعدما تلقّى الطّريقة النّاصرية في المغرب الّتي تميّزت بتقسيم أذكار الطّريقة إلى ثلاثِ فئاتٍ ذكر خاصّ بالمتعلّمين، وذكر العوامّ، وذكر النّساء، وهي تمارس أذكار الشاذلية مع بعض التغيير ، كما أن بعض أتباعها يقرأون الوظيفة الزروقية أيضا. أنظر : سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص511–513، ج4، ص90.بودواية، مرجع سابق، ص60.

والحنصاليّة،[1] والشابية،[2] والحبيبيّة، والطيبيّة، والسنوسية (التي تعتبر فرعا منشقا بالكلية تقريبا) والدّرقاويّة التي تفرعت عنها طرق عديدة منها: الشاذلية الجديدة،[3] والمدنية،[4] والبلقايدية[5] والعليوية[6] والعليوية[6] وطريقة الشيخ البودالي[7] والهبرية[8] و الموساوية، والحبيبية، وغيرها.

[1]- **الحنصالية:** مؤسّسُها: سعيد بن يوسف الحنصالي (ت: 1114 هـ/1702 م) من دادس بالمغرب الأقصى، ويقوم أتباعُها بأعمال تشبه أعمالَ العيساويّة، وهم يزعُمون الإفادة في العثور على الأشياء المسروقة، والدّلالة على المجرمين، وكان لها أتباع في قسنطينة، ووهران، ومجموع زواياها 18 زاوية، وأتباعها يقدّرون بـ4 آلاف مريد. سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص86-88. بودواية، مرجع سابق، ص 54-55.

[2]- **الشابية:** أسّسها بالقيروان أحمد بن مخلوف (ت:887 هـ/1482 م)، ومنهم من انتقل إلى شرق الجزائر كعنّابة وخنشلة وسوق أهراس. سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص275.

[3]-**الشاذلية الجديدة:** مؤسّسها هو بن مُحَمَّد بورقية، كان درقاويا، أخذ الطّريقة عن عدّة غلام الله، ثمّ أنشأ زاويتَه في قصر البخاري عام (1865 م)، وزعم أنّه الوحيد الملتزم بالطّريقة الشّاذلية، وقد كان له 11 زاوية و14 ألف مريد في نهاية القرن التّاسع عشر، وبعد وفاته عام (1883) انقسمت طريقته إلى زوايا مستقلة. سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص70-71.

[4]- **المدنية:** تأسّست عام 1820 م على يد محمّد بن حمزة المدنِيّ، تلميذ الدّرقاوي في طرابلس، ولها في الجزائر زاويتان: إحداهما بالوسط، والأخرى في الغرب، وقُدِّر أتباعها بـ 1.6 ألف من المريدين في نهاية القرن التّاسع عشر.سعد الله، **الثقافي**، ج4، ص122-126، ص125. بودواية، مرجع سابق، ص50. مختار بونقاب، **الطريقة الدرقاوية الحضور و الأثر**، مجلة الحوار المتوسطي، ع11، مارس، 2011، ص385-386.

[5]- **البلقايدية:** أسّسها محمّد بلقايد المولود عام 1911 بتلمسان، ،كان هبريا، وانفصل عن شيخه بعد استقلال الجزائر، وقد خلفه ولده عبد اللّطيف الّذي أسّس زاويةً في وهران. سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص117 وما بعدها.

[6]- **العلاوية أو العليوية:** مؤسّسها هو أحمد بن مصطفى بن عليوة (ت:1934)، استقلّ عن الدرقاوية، وأسّس زاويتَه في مستغانم. سعد الله، **الثقافي**، ج4، ص127-132. صلاح العقبي، مرجع سابق، ص 263. بودواية، مرجع سابق، 70-72. بونقاب، مرجع سابق، ص380-382.

[7]- **البودالية:** من فروع الدّرقاوية المستقلة عنها طريقة الشّيخ البودالي بفرندة (تيارت)، سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص120.مختار بونقاب، مرجع سابق، ص 385.

[8]- **الهبرية:** أسّسها محمّد الهبري الإدريسي (ت:1901) في الرّيف المغربي، وقد قام بتجديد الطّريقة الدرقاوية، وكان له أتباع في الغرب الجزائريّ، خلفه ولده مُحَمَّد الهبري الصّغير (ت:1939) .سعد الله، ج4، ص117-119. مختار بونقاب، مرجع سابق، ص 379. بودواية، مرجع سابق، ص65-66.

ثالثا: فروع الطريقة الشاذلية في الأغواط وأعلامهم:

1/ الناصرية: وهي طريقة شاذلية موجودة في المغرب، أسّسها محمّد بن ناصر الدّرعي (ت:1085 هـ/1674 م) وهو والد الشيخ أحمد بن ناصر صاحب الرحلة الناصرية، وسنده إلى الشّاذلي عن طريق الشّيخ أحمد الزّروق، وعن طريق الجزولي، وأشار أبو القاسم سعد الله إلى وجود أتباع لها في الجزائر في الحقبة الاستعمارية،[1] ومن فروعها الطّريقة الزيانيّة .
ومما تجدر الإشارة إليه هو إن الشيخ أحمد بن ناصر صاحب الرحلة قد مر الاغواط أثناء حجة إلى البقاع المقدسة مرتين الأولى سنة 1685م والثانية في سنة 1709م، وقد أرخ خاصة لهذه الرحلة الأخيرة واستطاع أن يكسب أتباعا ومن مشاهير هذه الطريقة مثل الشيخ سيدي الحاج عيسى وحفيده ابن الدين والشيخ أحمد بن الحاج والبشير بن التاوتي وغيرهم.
يرجع تأسيس وانتشار هذه الطريقة في مدينة الأغواط إلى هذه العوامل:
– اتصالات بعض فقهاء هذه المدينة بمؤسس الطريقة نفسه وبولده أحمد ابن ناصر لقول هذا الأخير في رحلته عن الشيخين الفقيهين سيدي مُحَّد بن أحمد بن يحي وسيدي مُحَّد بن أبي زيان اللذين خرجا لملاقاته من الاغواط في بلدة تاجموت ما يلي: "إنهما من أصحابنا"[2] , ولعله يقصد من أصحاب طريقتنا' لاسيما وأن ابن ناصر قد تردد على مدينة الاغواط أكثر من مرة أي سنة 1685 و1709[3].

كما لا نستبعد أن يكون للشيخ الفقيه سيدي عبدالرحمن الفجيجي [4]أحد فقهاء مدينة الاغواط ودور في هذا التأسيس خاصة وأنه كان تلميذا للشيخ أحمد بن ناصر ومن بين أتباعه.
–وجود عائلات من جنوب المغرب الأقصى تجمعوا تحت مسمى عرش المغاربة في الأغواط[5] وقد اختصوا بوظيفة القضاء خصوصا عائلة التاوتي، وأغلبهم من فيجيج وما جاورها، وهي المنطقة التي شهدت ظهور الطريقة الناصرية، فالعلاقة تتجاوز إذن الانتماء الطرقي إلى الانتماء الأسري والقبلي،

[1]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مصدر سابق، ج4، ص293، 296. علالي، مرجع سابق، ص67.
[2]– أحمد بن ناصر ، مصدر سابق، ص132.
[3]– بشير بديار، **ديوان**..، مرجع سابق، ص18. عطاء الله طالبي، مرجع سابق، ص15. علالي، مرجع سابق، ص67.
[4]– للتعريف به أنظر: بشير بديار، **ديوان**..، مرجع سابق، ص 19. سعيدي بن جدو، مرجع سابق، ص133.
[5]– بشير بديار، **ديوان**..، مرجع سابق، ص 19.

وهو ما سهل انتشار الطريقة، وكأبرز مثال على ذلك ما ذكره الرحالة الناصري عن التاوتي الذي وجده مشارطا لبدو الأغواط أي يعلم أولادهم مقابل أجرة معينة.[1]

ومن أعلام الطريقة الناصرية في الأغواط:

أ) سيدي الحاج عيسى: وهو ولي الأغواط المعروف، وقد سبقت ترجمته، وقد خلد نصيحة شيخه الناصري في قصيدة شعرية يقول فيها:

نهاني ذاك العام قطب الكون بن الناصر

قال اخط لقواط تنال بعز وخير ياسر

خالفته يا ناس وضحيت بعلمي خاسر[2]

ب) ابن الدين الأغواطي: الحاج ابن الدين الاغواطي الذي ألف الرحلة المسماة برحلة الاغواطي في شمالي افريقية والسودان والدرعية كتبها في حوالي 1828م، وقد ترجمها عن العربية إلى الانجليزية ويليام، ب هودسون قنصل أمريكا بالجزائر، والمراسل الأجنبي للجمعية الملكية الأسيوية (لندن) طبع بمؤسسة الترجمة الشرقية سنة 1830م لندن، ترجمها من الانجليزية إلى العربية الدكتور أبو القاسم سعد الله[3].

ج) أحمد الخنوس ابن الدين: عاش بين القرنين 19 و 20 ويبدو أنه كان شاعرا، وقد أورد له الدكتور العربي دحو في معجمه لشعراء الشعر الشعبي في الجزائر قصيدة في التوسل والفخر بجده الحاج عيسى بعنون : "بالله يالدبيش"، وقد تأثر فيما بعد بالشيخ سيدي موسى بن حسن ويكون من أبرز شاذليته مدينة الاغواط.[4]

[1]- أحمد بن ناصر الدرعي، مصدر سابق، ص722.

[2]- بشير بديار، **ديوان**..، مرجع سابق، ص20.طالبي، مرجع سابق، ص25.

[3] - أبو القاسم سعد الله : **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر** ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1990 ،ج2، ص 243-268

[4]- العربي دحو، مرجع سابق، ج1، ص57. بشير بديار، مرجع سابق، ص20

د) البشير بن التاوتي: نسخ جزءا من تفسير القران الكريم للعلامة الخازن جاء في صفحته الأولى: تم نسخ هذا الجزء من طرف البشير بن التاوتي الاغواطي نشأة والمالكي مذهبا والأشعري عقيدة والناصري طريقة[1].

2/ الطيبيّة الوزّانية: تأسّست الطّريقة الوزّانية في المغرب (عام 1059 هـ/1659 م) على يد عبد الله بن إبراهيم الشّريف الوزاني الإدريسي (ت:1089 م)،[2] وقد ولد الشيخ في قبيلة بني عروس في جبل علام بالمغرب. وبعد الدراسة في تطوان قصد فاس وتتلمذ على علماء القرويين وانتهى به الأمر إلى أن أسس زاويته بعد تجوال وتأمل وبحث. وكان الشيخ يحتقر شهوات الدنيا، وبدأ حياته فقيرا حتى أنه حين تزوج لم يجد ما يدفعه مهرا إلى أن جاءه المهر عن طريق الكرامة الصوفية، ولكن الزاوية توسعت في عهده حتى أنها كانت تطعم، على ما يقال، أربعة عشر ألف نسمة، وقد تولى الزاوية من بعده أبناؤه وأحفاده، فتولاها ابنه مُحَمَّد بن عبد الله الشريف، وتوسعت في عهده وأصبح لها فروع ومقدمون في المغرب والجزائر، ثم الطيب بن مُحَمَّد الذي ظل على الزاوية من سنة 1127هـ إلى هـ1181، واسم الطّيبية نسبة إليه، وفي عهد هذا الأخير ازدهرت الزاوية ازدهارا عظيما. ومنذ ذلك الحين أصبحت تعرف بالطيبية رغم أن تأسيسها يعود إلى عهد الشيخ عبد الله الشريف كما عرفنا، وتتابع الأحفاد على الزاوية فتولاها الشيخ أحمد من 1181هـ إلى 1195 هـ ثم الشيخ علي من ذلك الحين إلى سنة 1226هـ، وهكذا.[3]

ولهذه الطريقة عدّة فروع في جميع جهات الجزائر، حيث كان لها إلى غاية نهاية القرن التّاسع عشر 20 زاوية، و22 ألف مريد، ولها في الجزائر مقدَّمون، أمّا شيخُها الرّئيسي فمقرّه في المغرب، ولا يكون إلاّ من أشراف وزّان، وقد كان مركزها في الجزائر بمدينة وهران وبلغ عدد مريديها سنة 1956 حوالي 50 ألف شخص، ولها مريدون بالأغواط.[4]

[1] – عطاء الله طالبي، مرجع سابق، ص25. علالي، مرجع سابق، ص68.

[2] – عبد العزيز بن عبد الله، مرجع سابق، ج2، ص117. بودواية، مرجع سابق، ص60.

[3] – سعد الله، الثقافي، ج1، ص 515-516. عبد العزيز بن عبد الله ، مرجع سابق، ج2، ص117-118.

[4] – سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص94 وما بعدها. ناصر الدين سعيدوني، **عصر الأمير عبد القادر**، مؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000، ص145. بودواية، مرجع سابق، 62-63.

لقد كانت الطيبية أيضا تستمد أصولها من الطريقة الشاذلية، وهي تعتبر الصلاة على النبي ﷺ أساس الذكر حتى أن الورد الذي لقنه الشيخ عبد الله الشريف لأتباعه كان يتمثل في تكرير الصلاة على النبي أربعا وعشرين ومائة وألف مرة كل يوم وليلة، وكان نشاط الزاوية يقوم على العناية بالفقراء والغرباء واليتامى والأرامل، والظاهر أن نشاطها في ميدان التعليم كان قليلا على الأقل في الجزائر، والغالب أن تكون تعاليم الطريقة الطيبية قد جاءت إلى الجزائر أثناء عهد عبد الله الشريف، رغم أننا لا نملك دليلا واضحا على ذلك، فقد كان علماء الجزائر والمغرب يتبادلون الزيارات خلال هذا العهد، ولعل تعاليم الطيبية قد تسربت إلى غرب الجزائر عن طريق الفقراء منذ ذلك العهد أيضا، ولا سيما في المناطق الجبلية والونشريس والظهرة وبعض المدن مثل مستغانم ، ورغم أن الطريقة الطيبية لم تقم ضد الترك في الجزائر بثورة شبيهة بثورة الطريقة الدرقاوية ضدهم فإنها كانت تثير مخاوفهم لعلاقتها السياسية بالمغرب، سيما وأن السلطان سليمان نفسه كان من أتباعه.[1]

ومن أعلام الطريقة الطيبية بالأغواط:

أ)مُحَمَّد بن الطاهر الأحلافي: وهو من الأحلاف بقصر الأغواط، وقد جاء ذكره في رفع النقاب للعلامة سكيرج، حيث ذكر أنه كان في أول أمره طيبيا ثم تحول إلى التيجانية.[2]

ب)سليمان بن سعد الأغواطي المذبوحي: من قبيلة المذابيح، وقد كان طيبيا مدة من الزمن، ثم تحول إلى إلى التيجانية، وكان كاتب السر لأولاد الشيخ أحمد التيجاني.[3]

ج) الحاج الطيب بن المرسلي: وكان مقدما للطريقة وقد حافظ على الصلات بين الزاوية الأم في وزان ومريديها في الأغواط، وبعد وفاته سنة 1891 في الحج ودفن بالبقيع، انتقلت وظيفة المقدم وإدارة الطريقة إلى عبد القادر بن سماحة بن المرسلي مع أخيه مُحَمَّد إلى غاية سنة 1933، بعدها انتقلت وظيفة المقدم إلى مقدمين من قورارة في توات : سي عبد الكريم، باسالم.[4]

---

[1]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص515-516.

[2]- سكيرج، **رفع النقاب**...، مصدر سابق، ج4، ص1316.

[3]- المصدر نفسه، ج4، ص1366.

[4] - Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat dignité**.. , Op.Cit, p685-686.

3/ الدرقاوية وفروعها: مؤسّس هذه الطّريقة هو محمّد العربي الدرقاوي (ت:1239 هـ/1823 م)[1] نسبةً إلى قبيلة درقة بفاس، تميّز أتباعُ طريقته بلباس المرقّع، وحمل السّبحة والعصا، ويفضّلون العزلة ويمشون حفاةً، وقد كان لهذه الطّريقة عشرُ زوايا في الجزائر و9.5من المريدين إلى نهاية القرن التّاسع عشر، ومن أهمّ زواياها: زاوية أولاد الأكراد بتيارت الّتي أسّسها عدّة بن غلام الله (ت:1283هـ/1867 م).[2]

انتشرت الطريقة الدرقاوية في غرب الجزائر، وهي تنسب إلى الشيخ مُحَّد العربي الدرقاوي ويبدو أن عددا من علماء الجزائر قد انجذبوا نحو هذه الطريقة وأصبحوا من مريديها في ذلك العهد (1220) ولما كانت الدرقاوية قد انتشرت في الوقت الذي تفاقم فيه الضعف السياسي للحكم العثماني في الجزائر فإن رد فعل هذا الحكم ضدها كان عنيفا، ثم إن الدرقاوية نفسها لم تدخر وسعا في إضعاف العثمانيين، فقد هاجمتهم في عقر دارهم وعلى جبهتين هامتين :إقليم قسنطينة وإقليم وهران وكادت تهز النظام بكامله .[3]

أما تعاليم الدرقاوية فهي متفرعة عن الشاذلية، وكانت لأتباعها سبح وخرق وأوراد وحلقات ذكر وطرق للاجتماع والانتخاب ونحو ذلك، وقد حاول الدرقاويون أن يعلموا الناس طرق العودة إلى الإسلام الأول فتقشفوا ومنعوا اللباس الفاخر والتزين، ولم يحلقوا الشعر، بل لبسوا الرث من الثياب وابتعدوا عن أمور الدنيا، وكانوا يجتمعون في المناطق النائية والصعبة، [4]وهناك كانوا ينتخبون رؤساءهم ويضعون برامجهم وخططهم، وقد تركز نشاطهم في الجزائر في منطقة الونشريس ومن زعمائهم فيها عبد القادر الشريف، الذي سبق الحديث عنه، وابن الأحرش المغربي المسمى البودالي مُحَّد بن عبد الله الذي قاد الثورة في نواحي قسنطينة. ولم يلعب الدرقاويون دورا بارزا في الحياة السياسية في الجزائر

[1]- أنظر تعريف الدرقاوي في : أبي علي الحسن بن كوهن الفاسي المغربي، **طبقات الشاذلية الكبرى**، مصدر سابق، ص185 وما بعدها. بودواية، مرجع سابق، ص 63.

[2]- مختار بونقاب، مرجع سابق، ص 372.

[3]- بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص 38. صالح العنتري، **مجاعات قسنطينة**، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص33-34.ناصر الدين سعيدوني، **عصر الأمير**، مرجع سابق، ص 150. سعد الله، **الثقافي**، ج1، ص517-518.

[4]- سعد الله، **الثقافي**، ج1، ص517. حنيفي هلايلي، مرجع سابق، ص 31.

بعد الاحتلال الفرنسي،[1] وعن الطريقة الدّرقاوية تفرّعت عدّة طرقٍ أخرى سبق ذكرها، وقد وجد من فروعها في الأغواط ما يلي:

أ) **الموساوية:** طريقة صوفية تفرعت عن الشاذلية بدأ في نشر تعاليمها في مدينة الاغواط الشيخ سيدي موسى بن حسن المصري حين حل بها في رمضان من سنة 1245 هـ، كما يذكره سي أحمد بن الحاج بن بلقاسم في مخطوطه مواهب المنن بملاقاة الشيخ موسى بن حسن،[2] وسميت بالموساوية نسبة إليه،تردد على حلقاته العديد من فقهاء وأعيان وعامة هذه المدينة نذكر منهم المشايخ قازي بن البوزياني وأحمد بلحاج بوهله ومُحَّد وغيرهم.[3] ومن أشهر أعلام هذه الطريقة التي صارت تدعى فيما بعد بالموساوية (نسبة) إلى مؤسسها الشيخ سيدي موسى والذين تركوا بصمات معتبرة في المجالين والديني عموما نذكر:

–سيدي موسى بن حسن بن علي الدرقاوي المصري الأغواطي: سبق التعريف به، وقد تردد على حلقاته العديد من فقهاء وأعيان المدينة نذكر منهم المشايخ قازي بن البوزياني وأحمد بن بلحاج وبوهلة، مُحَّد وغيرهم[4]، **ومن مؤلفاته:** الوصية السنية في الطريقة المدنية: فيه بعض رسائله وأماليه وبعض أخباره جمعه الشيخ سيدي مُحَّد السعيد بن مُحَّد بن أمُحَّد دفين بني يعلى في القلعة بجبل كاسوس، ورسائل في مسائل صوفية إلى الشيخ بن عطية: حول عدم الأخذ عن شيخين والاكتفاء بشيخ واحد في التربية ، في ثمانين صفحة كتبها بالأغواط سنة (1829)، ورسالة أخرى فيها رد على رسالة ابن عطية الذي يجيز عن الأخذ عن سبعين شيخا وهي بخط تلميذه أحمد بن الحاج أطول من الأولى وشرح حزب البحر للإمام أبي الحسن الشاذلي.[5]

ومما يؤثر عنه ما كتب في مخطوطة بعنوان " الوصية السنية في الطريقة المدنية": " أعلم أن الطريق بنيت على أصول وأساسات ... من ذلك الانتهاء عن ما نهى عنه جملة، والعمل بما أمر به قدر الاستطاعة ...والطهارة العامة ظاهرا وباطنا ، ومنها العمل في كل شيء بالعلم والتقوى والورع مع مشاهدة المنة

[1]– سعد الله، **الثقافي**، ج1، ص 518.

[2]– أنظر الملحق رقم: 15.

[3]– علالي، مرجع سابق، ص71–72. طالبي، مرجع سابق، ص28. أحمد الأمين، **الحياة الثقافية**، مرجع سابق، ص52.

[4] –عطاء الله طالبي ، مرجع سابق ، ص28. سعيدي بن جدو، مرجع سابق، ص133.

[5]– بشير بديار، أعلام..، مرجع سابق، ص114.سعيدي بن جدو، مرجع سابق، ص147.

وإتباع السنة ثم أعلم أن أصول الطريق حسن الظن والنية الصالحة والنحبة الصادقة"، وقال في أقسام أهل الطريق : "أعلم أن الفقير ص احب هذه الطريق لا يخلو من أن يكون صاحب جد في الأعمال ، أو صاحب استغراق في الأحوال أو صاحب معان في الأقفال ، أو بطال ، والله يبغض العبد البطال ، وتكون صحبته ثقيلة على الرجال".[1]

-أبو بكر بن سي موسى: وهو ابن صاحب الطريقة، وقد تزوج بامرأة من المنطقة، وأسس زاويته ببخداش في سيدي مخلوف قرب الأغواط، ومما يؤثر عنه أنه تجنب طوال حياته الالتقاء بالفرنسيين رغم محاولتهم التقرب منه.[2]

-سي أحمد لمين بن سي بوبكر: الولي الصالح صاحب الزاوية الميساوية الشاذلية ببخداش وجده الأول سي موسى بن الحسن المتوفي بالزعاطشة سنة 1849، وقد كان صاحب زاوية والده في منطقة بخداش بالقرب من سيدي مخلوف.[3]

-الشيخ أحمد بلحاج: من أعلام الطريقة الشاذلية الموسوية وهو من أحفاد سيدي معمر الأخ الشقيق للشيخ سيدي عبد الرحمان الفيجيجي، وقد أخذ ورد هذه الطريقة مباشرة عن الشيخ سيدي موسى بن حسن والذي لازمه طويلا في بعض أسفاره إلى أن حالفه الاستشهاد إلى جنبه في انتفاضة الزعاطشة سنة 1849، وقد ترك مؤلفا بعنوان: "مواهب المنن بملاقاة الشيخ موسى بن حسن" .[4]

- البشير بن الحاج: هو ابن العالم الشهيد المذكور، وقد نال مشيخة الطريقتين القادرية والشاذلية، عرف بالتضلع في الفقه والحديث والتوحيد والتصوف وقد درس هذه العلوم بمسجد الشاذلية (الدراويش)، وقد هاجر من الأغواط بعد احتلالها ووصل به الترحال إلى تونس، وقد رجع إلى الأغواط سنة 1872، وقد افتتح زاوية للشاذلية بقرب مسجد الدراويش (الشاذلية) وبدأ دروسه في الفقه والحديث وهي أول زاوية تفتتح في مدينة الأغواط بعد الاحتلال، وكان الشيخ البشير يشرح فيها

[1]- يبدو أن هذه المخطوطة ما زالت موجودة بالأغواط، في ملكية أحد المريدين، وقد نقل منها الأستاذ البشير بديار المقاطع التي أورتها. أنظر بشير بديار، **أعلام**..، مرجع سابق، ص114.

[2]- أحمد الأمين، **الحياة الثقافية**، مرجع سابق، ص53. سعيدي بن جدو، مرجع سابق، ص144.

[3]- صادقي مخلوف ، **أشهر التآليف** ..، مرجع سابق، ج1 ، ص 64.

[4]- طالبي، مرجع سابق، ص28. بشير بديار، **أعلام**..، مرجع سابق، ص115-116.

صحيح البخاري لمدة أربعين سنة، توفي سنة 1917 ولصيته وورعه وتقواه رثاه كل من عبد الله بن كريو و أخوه مُحَمَّد وسيدي أحمد بن الحرمة ، وهذا الأخير قال فيه:

من عند أحمد يا الاخوان بعد سلامي عليكم

توفى قطب الزمان عظم الله أجركـــم

توفى قطب الزمان الحاج البشير الفطان

محيي طريق السلطان طايع لله امسلم

يدرس في البخاري لوجه الله الباري

جملة كانش قادري لدرسه ملازم

وقد ظلت الذاكرة الشعبية بمدينة الأغواط إلى حين من الدهر تستلهم من مواقفه الدينية العظات والعبر، وتحكى عنه مناقب الإيثار والزهد والتفاني في التعليم .[1]

ب) الحبيبية: تُنسب إلى محمّد بن الحبيب الأمغاري الفاسي، والمدفون بمكناس (ت:1391 هـ/1972 م)، ولها أتباعٌ بالأغواط، والبُلَيْدة، وتلمسان،[2] ومن أعلامها في الأغواط:

– الحاج علي بن مناد بن البار: وهو من ذرية سيد عطاء الله، ولد سنة 1885 ببادية تاجموت، حفظ القرآن صغيرا وحبب إليه التصوف، وانتقل بين عدة طرق صوفية قبل أن يلتقي بالشيخ مُحَمَّد الحبيب شيخ الطريقة الحبيبية حيث لازمه مدة من الزمن، وأخذ الإذن بتلقين ورد الطريقة وبهذا يعد أول مقدمي الطريقة الحبيبية في الأغواط.[3]

[1]– بشير بديار، **أعلام**..، مرجع سابق، ص120-123. طالبي، مرجع سابق، ص28. وقد ذكرته سابقا في أعلام الطريقة القادرية

[2]– مختار بونقاب، مرجع سابق، ص 384.

[3]– محمود الأخضاري، مرجع سابق، 229.

4/ الطّريقة السّنوسية: تنسَب إلى محمّد بن عليّ السّنوسي المستغانمي (ت:1859 م)[1] الّذي أخذ مجموعةً من الطّرق في الجزائر، والمغرب، ومنها الشّاذلية ثمّ استقرّ في ليبيا، وأسّس عام 1843 م هذه الطّريقةَ الّتي تُنسَب إليه، وشرع في الدّعوة إليها من هناك، وقد أسّس في حياته 22 زاويةً، منها: زاوية جغبوب الّتي توفِّي بها، وقد اتّبعت هذه الطّريقة سياسةً حاولت من خلالها استيعابَ مريدي الطّرق الأخرى؛ فأباحت تعدُّد المشايخ والانتماء، ولذلك كثر أتباعُها في إفريقيا وآسيا، وليس لها في الجزائر إلاّ زاويةٌ واحدة سمحت فرنسا بتأسيسها (عام 1859)، وببقائها، وهي: زواية ابن طكوك في مستغانم.[2]

وقد مر بجنوب الجزائر وأسس زاوية في الأغواط، وقد قصدها مقيما في البدء لأن مقصد القوافل وملتقى الطرق التجارية، ويبدو أن السنوسي كان ينوي الاستقرار إذ أنه انتصب للتعليم فيها وأسس زاوية، وكان يلقي بها دروسا في الشريعة واللغة العربية، حيث وجد به مناخا ملائم للتعليم والتدريس، وقد استطاع أن يجد بها مريدين لطريقته إذ أن الطريقة السنوسية مفتوحة لجميع المريدين والمقاديم من الطرق الأخرى، فهي لا تلزم أتباعها بأن يقطعوا انتماءاتهم السابقة بالطرق الأخرى[3]، كما التقى فيها بالشيخ موسى بن حسن (بوحمارة) فكان بينهما تآلف ومحبة بحكم الانتماء للشاذلية، ولكن هذه العلاقة أثارت أعضاء الطريقة التيجانية خصوصا أن السنوسي بدأ في إعطاء الأوراد، واتفق ذلك مع قوة أحمد بن سالم السياسية وهو مقدم التيجانية أيضا، وهناك من أرجع الأمر إلى غيرة وحسد البعض بسبب علمه الغزير ونفوذه المتزايد الذي يهدد المكانة المتميزة لمريدي ومقدمي الطريقة التيجانية، وهو ما صعب مهمته ما جعله يرحل مجددا إلى بلدة مسعد، ويبدو أن إقامته في الأغواط قد تسببت في نيل الرجل لحظوة كبيرة وسبقته شهرته وعلمه،[4] ومن مشاهير أتباعها:

---

[1]- للتعريف به أنظر: الزركلي، مصدر سابق، ج5، ص324. سعد الله، مرجع سابق، ج4، ص248.

[2]- أحمد صدقي الدجاني، **الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر**، القاهرة، مصر، 1967، ص29، 45. سعد الله، **الحركة الوطنية1860-1900**، مرجع سابق، ج1، ص174. صلاح العقبي، مرجع سابق، ص182-183. عبد العزيز بن عبد الله، مرجع سابق، ج2، ص222.

[3] - محمود علالي ، مرجع سابق ،ص72. سعد الله، **الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ج1، ص174. طالبي، مرجع سابق، ص29.

[4]- محمود براهم، **العلامة مُحَمَّد بن علي السنوسي الجزائري مجتهدا ومجاهدا 1788-1859**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 51-52.

أ)مُحَمَّد بن عبد الله السنوسي: المقاوم الشهير والذي سبق الحديث عنه في موضوع المقاومة الشعبية لمنطقة الأغواط، وما نركز عليه هنا هو اللقاء الذي حصل بين مُحَمَّد بن عبد الله والشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي في حياة الأول، إذ أنه اقتنع بإشعال الثورة بأمر من الأخير وبمساعدة منه، حيث أعطاه رسائل توصية موجهة نحو رؤساء القبائل البدو وأهل الواحات بالصحراء خصوصا تلك التي مر بها السنوسي ودرَّس بها مثل الأغواط، وكان لهذه الرسائل الأثر الإيجابي لحركة مُحَمَّد بن عبد الله وهو ما يعني أن تأثير السنوسية لم يقل في المنطقة بالرغم من رحيل شيخها ومؤسسها نحو الحجاز،[1] وما يهمنا هو أن كثيرا من أهل الأغواط حضرا وبدوا قد ناصروا مُحَمَّد بن عبد الله السنوسي وساروا معه في معاركه وجولاته، خصوصا الأرباع والحرازلية وغيرهم من أهل الأغواط، وقد أورد مُحَمَّد بن عبد الله السنوسي في رسالة إلى القائم على غدامس نجاحاته واتباع كثير من القبائل له، وذكر بالاسم قبائل الأرباع والحرازلية من الأغواط.[2]

ب) الشيخ بن الدين: اسمه الشيخ أبوه هو ابن الدين الأغواطي صاحب الرحلة، وقد أورده الحفناوي في تعرف الخلف باسم الشيخ زين الدين ، ولد سنة 1807 وتوفي سنة 1899، كان قاضي الأرباع وعالم الأغواط في زمانه، وكان على رأس زاوية سنوسية في مدينة الأغواط، وله بعض التآليف مثل : رسالة الكواكب الدرية في جواب من سأل عن الحنفية المحمدية، وتقييد أو شرح على فصوص الحكم، والإبريز المنسبك في تفضيل الآدمي على الملك، وهو أستاذ الشاعر عبد الله بن كريو، كما يعد هو نفسه شاعرا بالفصيح كذلك.[3]

[1]- ترومللي، مصدر سابق، ص 69-77، 80.الشيخ لكحل، مرجع سابق، ص 92-93.محمود براهم، مرجع سابق، ص142.

[2]- أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص 295-296.أنظر الملحق رقم: 11.

[3]- الحفناوي، مصدر سابق، ج2، ص 546. بشير بديار، **أعلام..**، مرجع سابق، ص 116-118. سعيدي بن جدو، مرجع سابق، ص147. محمود براهم، مرجع سابق، ص170.

المبحث الخامس: الطريقة التيجانية وأثرها الثقافي في الأغواط:

أولا التعريف بالشيخ أحمد التيجاني:

1/ المولد والنسب: ولد أحمد التجاني بعين ماضي[1] سنة 1737م /1150هـ يعود نسبه إلى مُحَمَّد الملقب بالنفس الزكية، أما أمه فهي عائشة بنت أبي عبد الله مُحَمَّد بن السنوسي التجاني نسبة الى قبيلة بني توجين[2]، وقد جاء جده الرابع مُحَمَّد بن سالم إلى عين ماضي، قادما إليها من الساقية الحمراء جنوب المغرب وقد اشتهر بالعلم و الصلاح، تزوج مُحَمَّد بن سالم من قبيلة بني توجين التي نزلت عين ماضي في وقت سابق، فانتسب أولاده و أحفاده من بعده إلى أخوالهم، أما جده الثالث – أحمد – فقد اشتهر بتدريس العلم و هو الذي التقى به العياشي و أشار إليه في "الرحلة"،[3] عند وصفه لسكان عين ماضي، فوصفه بالعالم الكبير، و وقد عرف والد أحمد التجاني هو الآخر بالعلم و الورع و العبادة، فكان مدرسا للحديث و التفسير في عين ماضي، وقد نشأ وترعرع في مسقط رأسه وسط عائلته المشبعة بالعلم.[4]

2/ التعليم: (ويمكن أن نقسم فترة التحصيل العلمي إلى ثلاثة مراحل):

أ)المرحلة الأولى: لما بلغ سن التميز دخل الكتاب فحفظ القرآن الكريم، وعمره سبع سنوات، وإهتم به أبوه منذ صغره و حرص على تعليمه أمور الدين فتلقى علوم الحديث على يد مُحَمَّد بن حمو التجاني المتوفي عام 1162هـ/1749م، و أما علوم الشرع الأخرى فقد تتلمذ على يد الشيخ المبروك بن

---

[1]– للتعريف بالشيخ أحمد التيجاني أنظر: الحاج علي حرازم برادة، **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني**، تح: مُحَمَّد كنون الراضي، دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب 2001، ج1، ص 96وما بعدها . الحفناوي، مصدر سابق، ج2 ، ص33 وما بعدها. مُحَمَّد مخلوف، مصدر سابق، ج1، ص 542 أحمد سكيرج، **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب**، د د ن، ط3، 1961، ص 10 وما بعدها.دائرة المعارف الاسلامية، **مادة تيجانية**، مصدر سابق،ج4، ص784. أبو عمران الشيخ وآخرون، مرجع سابق، ص576.

[2]– الصادق بن أحمد العروسي، **العرف الرياحيني في ترجمة سيدي الحاج علي التماسيني**، مر و تص: أحمد العروسي التيجاني، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 2015، ص6. الشريف الزهار، مصدر سابق، ص 159.

[3]– أبو سالم العياشي، **رحلة العياشي الصغرى أو تعداد المنازل الحجازية**، تح: عبد الله حمادي الإدريسي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013، ص63.

[4]– مُحَمَّد مخلوف، مصدر سابق، ج1، ص 542. أحمد سكيرج، **كشف الحجاب**، مصدر سابق، ص12. بشير بديار، **أعلام**..، مرجع سابق، ص104.

بوعافية التجاني و على يد الشيخ عيسى أبي عكاز المضاوي التجاني، حتى أصبح كما قيل- يتوفر على خصائص القاضي و المفتي.[1]

ولما بلغ سن الخامسة عشر، زوجه أبوه، فبقي في حجر والديه الى أن توفيا بمرض الطاعون في يوم واحد سنة 1166هـ/1753م و قبرا في عين ماضي، و عمر أحمد التجاني لم يكن يتجاوز أنذاك 16 سنة، وما وعلى إثر وفاة والديه طلق زوجته ليتفرغ إلى طلب العلم، فانكب على دراسة العلوم الأصلية و الفرعية و الأدبية حتى أصبح أهلا للتدريس فيها، و كان يقول: «ما أحوج الناس في هذا الزمان الى عالم أو علماء ينقحون لهم كتب الفقه من الحشو الذي فيها»[2]، مما يبين لنا جانب من جوانب الصراع الذي كان قائما بين الفقهاء و المتصوفة، وما قول أحمد التجاني إلا دليل على ما كان يجري في ذلك الوقت وما سمعه عن شيوخه، كذلك يبين لنا بداية تأثر أحمد التجاني، لاسيما و أنه كانت ترد عليه أسئلة الاستفتاء من غرب الجزائر ومن الصحراء وقد جمع تلميذه علي حرازم بعضا من فتاويه الفقهية و بعض المسائل العلمية في الفصل الخامس من الجزء الثاني من كتاب "جواهر المعاني".

ب) المرحلة الثانية: و هي المرحلة التي تبدا مع ارتحاله الى مدينة فاس بالمغرب الأقصى سنة 1171هـ/[3]، فبعد أن تمكن من علوم الشريعة، وتأثره بكتب التصوف و تراجم رجاله حيث قرأ للكثير من خلال الكتب التي كانت في حوزة سكان بلدة عين ماضي و نواحيها، أصبح بميل و يتوق إلى بلوغ مرتبة من التصوف، فلما بلغ سن 21 انتقل الى فاس التي كانت تعد حاضرة من حواضر العلم و المعرفة فيها يوجد جامع القرويين الى جانب ذلك اشتهر المغرب الأقصى برجالات التصوف الطرقي،[4]، فاقترب من العلماء و الصلحاء و قام بالتدريس فكان يرتاد حلقات الأساتذة في القرويين

[1]- مُحَمَّد بن جعفر الكتاني، **سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس فمن قبر من العلماء و الصلحاء بفاس** ، تح: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، ط1، 2004، ج1، ص 180. حرازم برادة، مصدر سابق، ج1، ص194. الحفناوي، مصدر سابق، ج2، ص34.مُحَمَّد مخلوف، مصدر سابق، ج1، ص 542. أحمد سكيرج، **كشف الحجاب**، مصدر سابق، ص12-13.

[2]- علي حرازم، مصدر سابق، ج1، ص 28.

[3]- نفسه، ج 1، ص 34.

[4]- مُحَمَّد بن جعفر الكتاني، مصدر سابق، ج 1، ص 195.

و مساجد فاس و زواياها، كما إطلع على الكثير من كتب التصوف،[1] فكثيرا ما كان الشيخ أحمد التجاني يستشهد بأقوال وشروحات المشائخ أمثل "الفتوحات المكية و فصوص الحكم "و عنقاء مغرب" ...لابن عربي، و كذا كتب عبد الكريم الجيلي منها "الانسان الكامل للسراج الطوسي، وعبد الرحمن السلمي والقشيري والغزالي وكتاب "عوارف المعارف " للسهروردي.[2]

وما ميز أيضا هذه المرحلة هو إنخراطه في بعض الطرق الصوفية، حيث القى بالشيخ الطيب بن مُحَّد بن عبدالله بن إبراهيم اليملحي إمام الطريقة الطيبية الجزولية الشاذلية، فأخذ عنه ورده و أجاز له في تلقينه، إلا أن الشيخ أحمد التجاني امتنع عن التلقين، ثم التقى بمحمد بن الحسن الوانجلي، فأخبره هذا الأخير بأنه (التجاني) سيدرك مقام الشاذلي –صاحب الطريقة الشاذلية– فصار يكد و يجتهد في ملاقاة الشيوخ و التعرف عليهم و الأخذ من أسرارهم و حضر مجلس أحد أركان الطريقة الخلوتية الشيخ مُحَّد الصقلي –دفين فاس– لكنه لم يتحدث إليه و السبب في ذلك نستشفه من قول أحمد التجاني حيث يقول :«فلما وصلت إلى مولانا الطيب الشهير بمغربنا أذن لي في ورده و التقدم في إعطائه للناس فلم أفعل لأني كنت لم أفهم أحوال الأولياء، و رأيته على أحوال أهل الدنيا و كذلك مولانا احمد الصقلي لم أكلمه حتى لما رأيت عليه من هيئة العامة و بعد ذلك أخبرت أنه كان قطبا » [3].

وواصل الشيخ أحمد التجاني البحث عن أهل الصلاح، فالتقى عبد الله بن العربي المدعو ابن عبد الله من أولاد معن الأندلسي – توفي عام 1118هـ–، ثم التقى في تازة بأبي العباس أحمد الطواش التازي فأخذ عنه علوما[4]، كما أخذ أيضا ورد الطريقة القادرية على يد من كان يلقنه في ذلك الوقت بفاس

[1]– مُحَّد مخلوف، مصدر سابق، ج1، ص 542.

[2]– مُحَّد الصغير الشنقيطي ، **الجيش الكفيل بأخذ الثأر من سل على الشيخ التجاني سيف الإنكار**، مكتبة عباس عبد السلام بن شقرون، مصر (ب. ت)، ص 3. الحفناوي، مصدر سابق، ج2، ص34–35.

[3]–نفسه، ج 1، ص 50. علي بن خليفة، **العرف الشذي في التعريف بالشيخ سيدي الحاج علي التماسيني**، مطبعة دار الجائزة، الجزائر، 2015، 65.

[4]– الكتاني، مصدر السابق، ج1، ص 195. الحفناوي، مصدر سابق، ج2، ص34.

وورد الطريقة الناصرية عن مُحَمَّد بن عبد الله التازي الشهير بالريف[1]، بالإضافة إلى ذلك أخذ طريقة أحمد الحبيب الجلماسي الصديقي المتوفي سنة 1165 هـ عمن كان يلقنها بفاس.

ج) المرحلة الثالثة: وهي المرحلة التي تبدأ بانتقال الشيخ أحمد التجاني عملا باشارة الشيخ الوانجلي- إلى بلدة الأبيض سيدي الشيخ حيث مكث بها خمس سنوات مارس خلالها مهنة التدريس وكان من حين إلى آخر يزور مسقط رأسه عين ماضى[2].

ثم سافر الشيخ أحمد التجاني إلى مدينة تلمسان وإستقر بها عاكفا على مواصلة تدريس علوم الحديث والتفسير – ومن نماذج تفسيره ما جمعه تلميذه علي حرازم في كتاب "جواهر المعاني"، وعن حال الشيخ التجاني و هو في تلمسان يمكن أن نستشفه من خلال ما ذكره علي حرازم في الجواهر: "ثم إرتحل إلى تلمسان و قام بها للزهادة و العبادة و التدريس لعلم الحديث و التفسير... ثم جرد نفسه من العلاق تجريدا أوائل 1181هـ 1768م... فلاحت عليه مبادىء الفتح وبوارقه وظهر عليه أثر الفيضان فكان يفتتن به كل من آراه لما يشاهد من طلعته، فلما أحس بظهور ذلك من الاخوان تولى عنهم شريدا وكانت تأتيه الوفود للزيارة والأخذ عنه والافادة فكان يمتنع كل الامتناع ويقول كلنا واحد في الانتفاع فلا فضل لواحد على الآخر في دعوى المشيخة إلا سوء الابتداع.»[3].

وبقي الشيخ أحمد التجاني في تلمسان إلى أن تاقت نفسه لزيارة البقاع المقدسة سنة 1186هـ/1713م، وفي طريقه إلى البقاع المقدسة، كان لا يمر بشيخ من المشائخ الكبار إلا وقصده، حيث زار الشيخ أبي عبد الله سيدي مُحَمَّد بن عبد الرحمن الأزهري في بلاد القبائل وأخذ عنه الطريقة الرحمانية الخلوتية وذلك في الزاوية الرحمانية بقرية آيت إسماعيل[4]، ثم واصل طريقه إلى تونس حيث مكث بها سنة كاملة متنقلا ما بين مدينتي تونس وسوسة قصد التعبد والتدريس والبحث عن أهل

[1]-سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 517.

[2]- مُحَمَّد الكتاني، المصدر السابق، ج 1، ص 195.

[3]- علي حرازم، مصدر سابق، ج 1، ص 34.

[4]- المصدر نفسه، ج1، ص 34. مُحَمَّد الكتاني، المصدر السابق، ج1، ص 196. مُحَمَّد مخلوف، مصدر سابق، ج1، ص 542. بشير بديار، **أعلام**..، مرجع سابق، ص105.

الخير والصلاح فالتقى بالشيخ عبد الصمد الرحوي، كما درس بعض الكتب منها كتاب " الحكم العطائية ".[1]

وقد ذاع صيته الى درجة أن باي تونس طلبه للتدريس في جامع الزيتونة الذي كان يضم صفوة العلماء، و خصص له مرتبا مغريا، غير أن أحمد التجاني إمتنع و رفض هذا الطلب وشد رحاله إلى القاهرة، و هناك نزل ضيفا على الشيخ محمود الكردي، و أخذ عنه الطريقة الخلوتية،[2] و في شهر شوال سنة 1187هـ/1775 إستأنف مشواره إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، ولما سمع بالشيخ أبي العباس أحمد بن عبدالله الهندي المقيم بمكة، حاول مقابلته إلا أن هذا الأخير إعتذر بحجة أنه لا يرغب في ملاقاة الناس، و اكتفي بمراسلته ثم أحاله إلى أحد مشاهير الصوفية وهو مُحَمَّد بن عبد الكريم السمان،[3]و بعد أدائه لفريضة الحج، قفل راجعا إلى بلاده الجزائر، بعد أن توقف بالقاهرة حيث نزل من جديد عند شيخه محمود الكردي، و كانت له مقابلات مع شيوخ مصر، و بعد أن أذن له الشيخ محمود الكردي في التلقين بالطريقة الخلوتية، انتقل الى تونس و منها الى عين ماضي لزيارة أهله بعدها استقر في تلمسان التي وصلها عام 1188هـ وهناك قام بتلقين ورد الطريقة الخلوتية[4].

وقد بقي الشيخ أحمد التجاني بمدينة تلمسان مدة ثمانية أعوام أي ما بين 1188هـ-1196هـ متفرغا للعبادة وتلقين الطريقة الخلوتية لبعض من أصحابه وخلال هذه الفترة قام بزيارة إلى مدينة فاس حيث زار ضريح المولى إدريس وفي وجدة إلتقى بتلميذه على حرازم، حيث يذكر هذا الأخير في هذا السياق «فلما وصلنا إلى فاس أقام بها مدة قصد زيارة ضريح ادريس، فلقنني الطريقة الخلوتية و أسرارا و علوما و رجع الى تلمسان و أخبرني بأنه ينتقل من تلمسان إلى مكان آخر لأن حاله لم يستقر... و قال لي ألزم العهد و المحبة حتى يأتي الفتح إن شاء الله"[5].

ويفهم من هذا أن أحمد التجاني كان يترقب حدوث الفتح الرباني نتيجة المرتبة التي حصلها والأسرار والعلوم التي اكتسبها على يد كبار المشائخ ويبد أنه كان يفضل أن يكون ميلاد طريقته في أرض وطنه

[1]- علي بن خليفة، مرجع سابق، ص66-65. بشير بديار، **أعلام..**، مرجع سابق، ص105.

[2]- الحفناوي، مصدر سابق، ج2، ص 35.أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص 510.

[3]- حرازم برادة، مصدر سابق، ص115-124. الكتاني، مصدر سابق، ج 1، ص 196.

[4]- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على حياة سيدي الشيخ التيجاني**..، مرجع سابق، ص78. بودواية ، مرجع سابق، ص81.

[5]- حرازم ، مصدر سابق، ج1، ص 50.

لأن الشيخ التجاني كان كثير التمسك ببلاده فقبيل وفاته أوصى للحاج علي التماسيني بأن ينقل ولداه من فاس الى عين ماضي ولا يتركهما في المغرب.[1]

غير أن التفاف الناس حوله في مدينة تلمسان، أقلق باي الغرب الجزائري مُحَمَّد بن عثمان الذي بدأ يتخوف من حدوث ثورة، لاسيما بعد الحملة العسكرية التي قادها الباي بنفسه ضد بلدة الشيخ أحمد التجاني عين ماضي سنة 1189هـ،[2] وبعد صلاة الاستخارة قصد قرية بوسمغون جنوب غرب البيض في بداية سنة 1196هـ[3] إذا بعد أن ضيق عليه العثمانيون الخناق في تلمسان إرتحل الى قرية أبي سمغون، حيث إستقر بها إلى غاية عام 1199هـ، وخلال هذه الاقامة، سافر الى توات الزيارة أهل الصلاح، كما زار مُحَمَّد بن الفضيل بقورارة –الذي كان يتراسل معه لكي يستفيد كل واحد منهما من الآخر، وبعد ذلك أصبح ابن الفضيل من تلاميذ الشيخ التجاني الناشرين لطريقته في الصحراء،كما قام أيضا بزيارة إلى تازة (المغرب الأقصى) لملاقاة أحد أخص أصحابه وهو مُحَمَّد بن العربي الدمراوي التازي، بالإضافة إلى الزيارات التي كان يقوم بها من حين إلى آخر الى مسقط رأسه بعين ماضي، وقد ازداد نشاطه وهو في قرية أبي سمغون وكثر مريديه فكانت الوفود تقصده من كل نواحي الصحراء[4].

وعلى الرغم من أن أحمد التجاني كان مالكي المذهب، على غرار بقية سكان المغرب العربي– فإن بعض اجتهاداته و ترجيحاته لبعض الأقوال، رأى فيها غيره أنها تخرج عن إطار المذهب المالكي، فمن أرائه مثلا أن الاتيان بالبسملة قبل فاتحة الكتاب في الصلاة، أولى من تركها و في هذا ترجيح للمذهب الشافعي عن المالكي[5].

---

[1]– عبد الباقي مفتاح، **أضواء على حياة سيدي أحمد التجاني**...، مرجع سابق، ص78-79.

[2]– مُحَمَّد مخلوف، مصدر سابق، ج1، ص 542.

[3]– علي بن خليفة، مرجع سابق، ص 67. شيخ لعرج و دحو فغرور، **انتشار الطريقة التيجانية في بايلك الغرب أواخر القرن 18 وبداية القرن 19 ونشاطاتها المختلفة**، مجلة الحضارة الاسلامية ، ع29، جوان 2016، ص615.

[4]– مُحَمَّد بن جعفر الكتاني، مصدر سابق، ج1، ص 196. مُحَمَّد مخلوف، مصدر سابق، ج1، ص 542. سكيرج، **كشف الحجاب**، مصدر سابق، ص97.

[5]– حرازم برادة، مصدر سابق، ج1، ص175.

ثانيا: ظهور الطريقة التجانية:

1/ الفتح: بعد الترحال من جهة الى أخرى، وقع للشيخ أحمد التجاني "الفتح الرباني" سنة 1196هـ/1781-1782م وهو في قرية أبي سمغون، وحسب الشيخ أحمد التجاني فإنه رأى الرسول (ص) يقظة لا مناما، وعين له وردا جديدة وأمره بتلقينه لكل من طلبه من المسلمين والمسلمات، ويذهب إلى أبعد من ذلك حيث يقول: أن الرسول (ص) أخبره: أن لا منة لمخلوق عليك من مشايخ الطرق فأنا واسطتك وممدك على التحقيق فاترك عنك جميع ما أخذت من جميع الطرق[1]، وبهذا ينفي الشيخ أحمد التجاني من أن تكون طريقته مزيجا من الطرق الأخرى فهو يقول: "... أخذنا عن مشائخ عدة فلم يقضي الله عز وجل منهم بالتحصيل المقصود وسندنا وأستاذنا في هذا الطريق هو سيد الوجود ﷺ..."[2].

وما أن سمع أصحاب الشيخ ما وقع له حتى التفوا من حوله وسارعوا إلى زيارته، ولما "أكمل له الرسول ﷺ الورد سنة 1200هـ/1781م وأمره بالتنزل لإفادة الخلق صار يلقن الناس" كما جاء في جواهر المعاني، فأخذ الشيخ التجاني يتنقل من منطقة إلى أخرى، فمن قرية بوسمغون رحل الى بلدته عين ماضي ليجعل منها المقر الرئيسي لطريقته، وقد استطاع في ظرف ثمانية عشر سنة قضاها في التنقل من جهة الى أخرى أن يرسي أسس طريقة جديدة في عدة مناطق، فأين ما حل أسس له زاوية، فاتسع بها نطاق طريقته، فانتشرت في أوساط الطبقة الحاكمة بتونس، وكان يراسل الأمراء وعامة الناس من التجار والفقهاء ويشرح لهم طريقته فتوسع نفوذ الطريقة التجانية وارتفع عدد أتباعها سيما في الصحراء الى درجة أصبحت تتحكم في الطرق والقوافل التجارية عبر الصحراء[3].

وهذا مما زاد في قلق السلطة المركزية الممثلة في شخص باي الغرب الجزائري الذي راح يضيق الخناق على مؤسس الطريقة، بل بعث إلى سكان قرية أبي سمغون يتوعدهم العقاب إن لم يطردوا الشيخ أحمد التجاني من قريتهم،[4] بسبب الانتشار السريع لنفوذ الطريقة التجانية في أوساط الشعب مما جعل

[1]- علي حرازم: المصدر السابق، ج1، ص 125. علي بن خليفة، مرجع سابق، ص67. بودواية، مرجع سابق، ص81.

[2]- مُحَمَّد بن جعفر الكتاني، مصدر سابق، ج1، ص 196. الحفناوي، مصدر سابق، ج2، ص36. أيضا: أبو القاسم سعد الله: الثقافي، ج 1، ص 517.

[3]- أبو العباس أحمد السلاوي الناصري، مصدر سابق، ج8، ص 35.

[4]- علي بن خليفة، مرجع سابق، ص 67.

العثمانيين يتخوفون من حدوث ثورة ضدهم يتزعمها الشيخ التجاني، ويوضح الناصري صاحب " الاستقصاء " سبب طرده من أبي سمغون بأنه يعود إلى وشاية وصلت إلى الباي عثمان بن مُحَمَّد ضد التجاني فكتب بالوعيد إلى أهل قرية بوسمغون إن لم يخرجوه، فلما سمع بذلك فر مع بعض تلامذته[1].

2/ هجرة الشيخ التجاني الي فاس: هاجر التجاني إلى فاس في 17 ربيع الأول عام 1213هـ رفقة بعض أتباعه وتلامذته، ودخل مدينة فاس في 6 من ربيع الثاني من نفس السنة، ولما وصلها بعث إلى السلطان سليمان يخبره بأنه فر إليه من جور الترك، فرحب به السلطان المغربي بعد أن امتحن علمه ثم أهداه داراً تسمى (دار المرية)[2].

وقد كان التجانيون قبل بناء الزاوية يلتقون في دار الشيخ التجاني لقراءة الأوراد و الأذكار و في بعض الأحيان في مساجد فاس، لكن ارتفاع عدد الوافدين على الشيخ من مناطق بعيدة، وتضاعف عدد المريدين الملتفين حوله تطلب وجود زاوية، فعزم الشيخ التجاني على بناء زاوية له، اشترى خربة مهدمة وما جاورها " حومة الدرداس " المعروفة اليوم " البليدة " بفاس القديمة، وقد شرع في بنائها سنة 1215هـ / 1801م بإعانة من أصحاب الشيخ التجاني ولما بلغ خبرها للملك سليمان بعث للتجاني بصرتين في كل منهما ألف ريال غير أن المصادر التجانية تذكر بأن الشيخ التجاني لم يصرفهما في بناء الزاوية بل تصدق بهما على الفقراء[3].

وقد قضى الشيخ التجاني 17 عاماً في مدينة فاس، وهي نفس الفترة التي قضاها في الجزائر منذ أن أُذنَ له بالتربية على أسس طريقة جديدة وفي هذه الأربع وثلاثين سنة استطاع الشيخ التجاني توسيع رقعة نطاق طريقته، فخلال إقامته بفاس قصدته الوفود من نواحي مختلفة من موريتانيا والسودان، مصر وبلدان المغرب العربي، فتأسست خلال حياته عشرات الزوايا التجانية، كان أولها على الاطلاق زاوية قمار التي تأسست عام 1204هـ/ 1789م.

---

[1]- الناصري السلاوي، مصدر سابق، ج8، ص 36.

[2]- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على حياة الشيخ أحمد التجاني**، ص83. الزهار، مصدر سابق، ص 159. ناصر الدين سعيدوني، **عصر الأمير**، مرجع سابق، ص 147. علي بن خليفة، مرجع سابق، ص68.

[3]- أحمد سكيرج، **كشف الحجاب**، مصدر سابق، ص20-21.

3/ وفاة الشيخ أحمد التيجاني: وخلال وجوده بفاس شاع خبر وفاته لدى أتباعه ورداً عن إشاعة خبر وفاة الشيخ، قام هذا الأخير في سنة 1224هـ بزيارة إلى عين ماضي،[1] حيث زارته وفود من وادي سوف وغيرها من واحات الصحراء فدحض بذلك كل الشكوك والاشاعات التي روجت ضده، وبعد أن فرغ الشيخ التجاني من حفل زفاف ابنيه مُحَمَّد الكبير ومُحَمَّد الحبيب، شعر أن أجله قد حان الأمر الذي حال دون رحيله، فقبل وفاته بيوم استدعى أصحابه وفي مقدمتهم الحاج علي التماسيني[2] ومحمود التونسي مع المقدمين الطاهر عبد الصادق القماري السوفي وأحمد بن سليمان التاغزوتي السوفي و أفراد آخرين، فلما مثلوا بين يديه خاطب الحاج علي التماسيني قائلا له: «إني راحل و هذا الأمر لابد يتلقاه حي عن حي وقد أهلك الله له، فتلقاه، فبكى المخاطب و اعتذر فأجابه الشيخ بقوله: "أبى الله و رسوله إلا أنت !" وأوصاه بداره وأهله وأولاده وكلفه بأن يرحلهم إلى بلدهم عين ماضي بالصحراء ليستقروا هناك، ثم أمره بالخروج من فاس هو ومحمود التونسي وقال لهما: "لو حضرتما لوفاتي فلا تنتفعان بشيء فخرجا مسرعين إلى قريتين قرب فاس"[3]، وفي صبيحة اليوم الموالي، الخميس السابع عشر شوال 1230هـ/19 سبتمبر 1815م عن عمر يناهز ثمانين سنة توفي الشيخ أحمد التجاني، وقد حضر جنازته جماهير غفيرة وعلماء وصلحاء وأعيان وأمراء فاس، وصلى عليه إمام ومفتي فاس العلامة أبو عبد الله مُحَمَّد بن إبراهيم الدكالي، ودفن الشيخ في زاويته بفاس القديمة، وبناءاً على وصيته انتقلت الخلافة الى الحاج علي التماسيني.[4]

4/ قضية القطبية وختم الولاية والأذكار بين الطريقة التيجانية وخصومها:

أ)القطبية وختم الولاية: ورد في المصادر التجانية، أن الشيخ التجاني لم يدرك مرتبة القطبانية الا في شهر محرم من عام 1214هـ/1800م، أي بعد سنة من هجرته واستقراره في فاس، وبعد شهر من ذلك أي في 18 صفر، ارتقي الى المقام الأحمدي المسمى بمقام الختم والكتم، وقد تحدث الشيخ التجاني عن مقام القطب و وصفه بقوله " إنه أفضل جماعة المسلمين في عصره " ثم ذكر الختم فقال "

---

[1]- الصادق العروسي، مصدر سابق، ص37.

[2]- للتعريف بالحاج علي التماسيني أنظر: سكيرج، **كشف الحجاب**، مصدر سابق، ص126 وما بعدها.

[3]-العروسي، مصدر سابق، 42-43. علي بن خليفة، مرجع سابق، ص 88.

[4]- الكتاني، مصدر سابق، ج 1، ص 196. الحفناوي، مصدر سابق، ج2، ص 37-38.سكيرج، **كشف الحجاب**، مصدر سابق، ص19-20. بن خليفة ، مرجع سابق، ص 68. بشير بديار، **أعلام..**، مرجع سابق، ص106.

إن أكمل العارفين وهو القطب الكامل لا تتجلى له حقيقة الكبرياء إلا بعد بلوغه للمرتبة العليا من القطبانية و ذلك المقام يسمونه ختم المقامات..."[1]، بمعنى أن مرتبة القطبانية وأن أدركها بعض ممن سبقوه من الأولياء فإنه لا أحد أدرك أعلى مراتب القطبانية لا من قبله ولا من بعده، لأن هذه المرتبة هي ختم الولاية، و تسمى أيضا بالمقام المحمدي، و مقام الختم في القطبانية هي غاية الغايات، ولا يدركه إلا شخص واحد، وهو الذي لا يكون بعده لغيره.[2]

ويستند التجانيون في تأكيد هذا المقام لشيخهم، بأن الرسول ﷺ هو الذي أخبر شيخهم بذلك، وعندما يناقشون هذه المسألة في كتبهم يقوون حجتهم بما رواه الشيخ ابن عربي في كتابيه " الفتوحات المكية " و " عنقاء مغرب " من أن " قطب الأقطاب " و " خاتم الولاية " سيظهر بمدينة فاس، ومن علاماته الإنكار عليه، هذه الرواية يرى التجانيون أنها تصدق على شيخهم الذي بلغ هذه المرتبة وهو بفاس وتلقى الكثير من الانكار، وبما أن الطريقة التجانية انفردت بهذه المراتب، فإنها في نظر أتباعها تسمو على جميع الطرق الأخرى، وهو ما أثار جدلا كبيرا وأدخل الطريقة التجانية في صراعات عقائدية دفعت بخصوم التجانية سواء كانوا طرقيين أو غير طرقيين.[3]

ومما نقمه خصوم التيجانية عليهم هو ما تحويه بعض المصادر من مغالاة في الشيخ ، فقد ورد في كتاب " الجيش الكفيل" على لسان الشيخ التجاني قوله «وسألته ﷺ لكل من أخذ عني وردا أن نغفر لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر وأن تؤدي محاسبته على كل، وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب ... فقال لي النبي ﷺ: ضمنت لك هذا ضمانا لا تنقطع حتى تجاورني أنت وهم في العليين"[4]

ب)الأذكار: كثيرا ما يقف خصوم التجانية على ما ورد في " جواهر المعاني من أن فضل تلاوة "صلاة الفاتح " المرة الواحدة منها تساوي من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء

---

[1]- علي حرازم، مصدر سابق: ج1، ص 130.

[2]- مُحَمَّد بن أحمد أكنسوس، **الجواب المسكت في الرد على من تكلم في طريق الامام التجاني بلا تثبت**، المطبعة الثعالمية، الجزائر 1913، ص 24.

[3]- ممن رد على التيجانيين في هذه القضية وغيرها: مفتي المالكية بالمدينة المنورة مُحَمَّد الخضر الجكني الشنقيطي، **مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني**، دار البشير للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1993.

[4]- مُحَمَّد الصغير الشنقيطي، مصدر سابق، ص 215.

كبير أو صغير ومن القرآن ستة ألاف مرة، واعتبروه كفر ينبغي التبرؤ منه لاسيما وأنه ينسب إلى التجاني في كتاب " جواهر المعاني " قوله: إن الرسول ﷺ هو الذي أمره بتلاوة " صلاة الفاتح " وأخبره عن فضل هذه الصلاة، وأن هذا الورد إدخره له الرسول ﷺ ولم يذكره لاصحابه رضوان الله عليهم أجمعين...."، الأمر الذي جعل خصوم التجانية يعتبرونه إفتراء على الله ورسوله، بل مروق وخروج عن الدين.

وقد صرح الحاج ابراهيم نياس الكولخي، في كتابه " البيان و التبيين " أن المصادر التجانية المطبوعة لاسيما " جواهر المعاني " وقع فيه دس و افتراء على الشيخ التجاني و يقول: " أنا أملك نسخة من جواهر المعاني بخط المؤلف الحاج علي احرازم بردة ﷺ و هي التي كانت في حوزة الشيخ الختم التجاني ﷺ مدة ستة عشر عاما، ...و أقرر هنا حقيقة لها قيمتها العظمى وهي أن النسخ المطبوعة من الجواهر، وهي المتداولة بين الاخوان، تحتوي على أشياء كثيرة لا وجود لها في نسخة المؤلف...".[1]

كما صرح بذلك الشيخ مُحَمَّد الحافظ خليفة التجانيين بمصر، في كتابه : "الانتصاف في رد الافتراء على السادة التيجانية"، جاء فيها : " إن أصحاب الشيخ قد قرروا أنه قد تم الكذب على الشيخ،.. ومنهم إبراهيم الرياحي شيخ الاسلام بتونس وحتى حرازم برادة ذكر أنه لم يتلق كل ما ذكر في جواهر المعاني عن الشيخ وأنه روى بعضه عن قوم عنه "[2]، كما أضاف الحافظ المصري أنه قد التقى بإبراهيم أنياس الكولخي وأخبره أن لديه نسخة من الجواهر بخط مؤلفها وهي خلو من الأمور التي وقع عليها الاعتراض في الجواهر المطبوعة"[3] ، كما ثبت لدى الحافظ المصري أن أولاد الشيخ قد أحرقوا بعض الكتب التي نسبت للشيخ وللطريق زورا وأعلنوا أنها مكذوبة" [4]، وأضاف قائلا: "إني أعلن أننا لا نعتقد أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كتم شيئا من ذلك، ومن اعتقد ذلك فهو كافر بالله و رسوله، ولا يقبل منه صرف ولا عدل، ولا أدري كيف يعقل أن يكون قد كتم الورد و هو الاستغفار و الصلاة عليه ﷺ بأي صيغة و لا إله إلا الله، و صلاة الفاتح موجودة فلا يصح بحال

[1]- إبراهيم نياس الكولخي، **البيان والتبيين عن التجانية و التجانيين**، دار الحسام، 2011، ص 8.

[2]- مُحَمَّد الحافظ المصري التيجاني، **الانتصاف في رد الافتراء على السادة التيجانية**، منشورات الزاوية التيجانية بتماسين ، الوادي، الجزائر، 2007، ص16.

[3]- المصدر نفسه، ص18-19.

[4]- نفسه، ص20

كونها أدخرت له و لم يثبت ذلك عنه "إلى أن يقول : " و نعتقد أن من أعظم الكفر أن يعتقد أحد أن صلاة الفاتح أو غيرها من الصلوات تعادل في الفضل أية آية من القرآن، فكيف بسورة فكيف به كله، ونسبة صلاة الفاتح للقرآن أو أنها أفضل منه لهو أمر سخيف".[1]

وقد سئل التجاني " هل يكذب عليك " قال " نعم " إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان اشرع فما وافق فاعملوا به وما خالف فاتركوه،[2] كما ألف سكيرج كتابا سماه "جناية المنتسب فينا نسب للشيخ سيدي أحمد التجاني بالكذب " رد فيه على ما نسب للشيخ التجاني،[3]كما تبرأ مُحَّد الكبير التيجاني شيخ الطريقة بعين ماضي للحافظ التيجاني المصري من الخطبة التي أوردها محب الدين الخطيب وفيها إشادة بفرنسا وتذكير بخدمات الزاوية التيجانية، وقد قال مُحَّد الكبير أن لم يحضر الحفل ولم يعلم بتفاصيله، وأن من ألقى الخطبة هو شخص فرنسي.[4]

3/ شروط وأذكار وأوراد الطريقة: :تقوم الطريقة على شروط وأذكار وأوراد، حيث تُعرضُ الشروط على كل من أراد الانضمام إلى الطريقة التجانية:

أ)شروط الطريقة: وهي أربعون شرطا مستنبطة من الكتاب والسنة وكتب السادة الصوفية وتنقسم هذه الشروط الى قسمين شروط تتعلق بالفرد وأخرى بآداب تلاوة الورد، وهي تتمحور حول شروط متعلقة بآداب الطريقة والتزاماتها مثل: أن يتلقى الأذكار على يد الشيخ أو المقدم المأذون له بالتلقين، وأن يتخلى عن طريقته السابقة وينسلخ عنها نهائيا، وأن لا يترك الطريقة التجانية مرة أخرى، وعدم زيارة واحد من الأولياء الأحياء والأموات، ودوام محبة الشيخ بلا انقطاع إلى الممات وكذا خليفة الشيخ، أن لا يصدر منه سب ولا بغض و لا عداوة في حق الشيخ وأن يحترم كل من كان منتسباً للشيخ ولا سيما الكبار من أهل الطريقة ومداومة الورد الى الممات وأن يأتي البسملة في جميع الصلوات، و أن يبغض من يبغض الشيخ ولا يجالسه ويحب من حب الشيخ، أن يعتقد ويسلم بكل

[1]- مُحَّد الحافظ المصري، مصدر سابق، ص21.

[2]- نفسه، ص18.

[3]- لعرج الشيخ ودحو فغرور، مرجع سابق، ص614.

[4]- الحافظ المصري، مصدر سابق، ص22-23.

ما ورد عن الشيخ، لا يتصدر في إعطاء الورد من غير اذن صحيح[1]، وأخرى متعلقة بسلوك المريد بصفة عامة مثل: أن يجتهد ولو بركعتين يقرأ فيهما ما تيسر من القرآن، أن يكون صادقا في أقواله غير كاذب في شيء منها، وأن يحافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها وفي الجماعة، ان أمكن وعلى أوامر الشرع، أن يبر بوالديه وأن يكون دخوله الطريقة برضاء منهما، أن يكون صادقا مواظبا لإخوانه في الطريقة يناقشهم ويجالسهم، أن يعين المرضى من المسلمين (من أصحاب الطريقة وغيرهم)، وأن يكون صابرا على الابتلاء، كفيلا بجميع المسلمين يساعد الضعفاء.[2]

ب) أوراد الطريقة: وهي الوظيفة – الهيللة، الورد المعلوم.

– الوظيفة: تتم بعد صلاة كل صبح أو بعد صلاة كل عصر حسب اختيار المريد وحسب ظروف عمله، ومن ثم يؤديها في وقتها يمكن أن يؤديها في وقت آخر، ويشترط أن تذكر في مكان طاهر جماعة أو فرديا، وتتضمن مايلي: – قراءة فاتحة الكتاب– ثم صلاة الفاتح: اللهم صلي وسلم على سيدنا مُحَمَّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم[3]، ومن ثم يقول:" استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم– سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين – ثم يصلي على النبي (ص) بأي صفة كانت (خمسون مرة) ثم لا إله إلا الله (مائة مرة)، ثم الجوهرة وهي مدح النبي (ص) (12 مرة) ومن لم يحفظها يأتي بالبديل (عشرون مرة) صلاة الفاتح"[4].

– الهيللة: وتذكر مرة في الأسبوع من يوم كل جمعة، ما بين العصر والمغرب وهي كما يلي:"لا إله إلا الله " من ألف إلى ألف وستمائة، ثم تختم بصلاة الفاتح، ويقول في شأنها الشيخ أحمد التجاني " من فاته ذكر الهيللة فاته خير كثير "[5].

---

[1]– مُحَمَّد الصغير الشنقيطي، مصدر سابق، ص 142. عمر الفوتي، **رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم**، مطبعة مصطفى الهابي، مصر ط2، 1963، ج1، ص 218-220.

[2]– إبراهيم نياس الكولخي، مصدر سابق، ص5-6. الزاوية التيجانية بتماسن، **الذكر وآدابه في الطريقة التيجانية**، منشورات الزاوية التيجانية بتماسين، الوادي، الجزائر، 2013، ص 10-23.

[3]– علي حرازم، مصدر سابق، ج1، ص 119. الزاوية التيجانية بتماسين، **الذكر**، مرجع سابق، ص 8.

[4]– الزاوية التيجانية بقمار، **الزاوية التيجانية بقمار بين الماضي والحاضر**، مطبعة كوينين، الوادي، الجزائر، 2008، ص13.

[5]– علي حرازم: مصدر سابق، ج1، ص 120. زاوية قمار، مرجع سابق، ص 13. زاوية تماسين، مرجع سابق، ص 9.

– **الورد المعلوم**:عبارة عن كلمات مصوغة من بعض الأحاديث النبوية وتذكر على انفراد فبعد فاتحة الكتاب، يشرع في ذكر الورد على النحو التالي:استغفر الله (مائة مرة) ثم الصلاة على النبي (ص) لا إله إلا الله (مئة مرة) ويختم بالآية: «ان الله وملائكته يصلون على النبي...»[1].

وبالمجمل فقد وصفت هذه الطريقة بسهولتها وبساطة تعاليمها وملاءمتها لجميع المستويات ففيها حرية واسعة لا توجد في كثير من الطرق ساعدتها على حشد كثير من الأتباع بسبب عدم التعقيد وعدم اشتراط الخلوة والتقشف.[2]

ثالثا: خلفاء الشيخ أحمد التيجاني في عين ماضي:

1/ مُحَّد الكبير التيجاني: (1796–1815) وهو الابن الأكبر الأحمد التجاني ولد بعين ماضي عام 1796م إنتقل مع ابيه الى فاس، و كان الشيخ قد زوج ابنيه (مُحَّد الكبير و مُحَّد الحبيب) في نفس السنة التي توفي فيها 1230هـ /1815م،[3] وقد حريصا على أن يعود أبناؤه من بعد وفاته إلى بلدته عين ماضي فقبل وفاته استدعى كبار مقدميه وعلى رأسهم الحاج علي التماسيني و أوصاه بداره و أولاده و كلفه بأن يرحلهم إلى بلدهم عين ماضي بالصحراء ليستقروا هناك قائلا قولته المشهورة : « أبنائي لا تليق بهما إلا الصحراء فيها يعيشون و فيها يفلحون» ثم أمره بالخروج من فاس رفقة محمود التونسي و قال فما لو حضرتما لوفاتي فلا تنتفعان بشيء فاخرجا مسرعين إلى قرية قرب فاس .[4]

لكن بعد وفاته رفض ولداه العودة إلى عين ماضي حيث فضلا البقاء في فاس، إلى أن طلب الأمير إبراهيم بن سلطان سليمان من ولدي الشيخ إخلاء دار الراية – التي كانت أهديت من قبل أبيه سليمان (السلطان) للشيخ التجاني ، وعليه فقد قدم إليهما الخليفة الحاج علي التماسيني و أخذهما إلى عين ماضي. [5]

[1]– إبراهيم نياس الكولخي، مصدر سابق، ص4–5. زاوية قمار، مرجع سابق، ص 12. زاوية تماسين، مرجع سابق، ص 7.

[2]– لعرج الشيخ و دحو فغرور، مرجع سابق، ص613.

[3]– أحمد سكيرج، **رفع النقاب**، مصدر سابق، ج3، ص616.

[4]– أحمد سكيرج ، **كشف الحجاب**، مصدر سابق، ص 201.

[5]– ا أحمد سكيرج ، **كشف الحجاب**، مصدر سابق، ص 471. لعروسي، مصدر سابق، ص44–45. علي بن خليفة، مرجع سابق، ص 96.

واستقر الحاج علي معهما في عين ماضي مؤقتا، حيث تم طرد أعداء أبيهما من (التجاجنة) ، وقد قام الحاج علي التماسيني ببناء زاوية عين ماضي لأبناء شيخه، إضافة إلى منازل لهم ولأتباعهم، كما نصب لهم مجلسا للشورى يتألف من أعيان البلدة وأعيان قبائل الأرباع،[1] ثم انتقل الحاج علي التماسيني الى بلدته تماسين حيث أصبحت مقاليد الطريقة التجانية تدار إنطلاقا من الزاوية التجانية بتماسين طيلة الفترة الممتدة ما بين (1815-1844م) ، وكان الحاج علي التماسيني يوجه كل عام ما يزيد عن 500 بعير محمول عليها منتجات الصحراء كالتمر والكسوة والعبيد والنقود،[2] ورغم أن مُحَّد الكبير التجاني لم يكن مكلفا بإدارة الطريقة التيجانية، إلا أنه عمل في ظرف وجيز على استرجاع مكانة الطريقة بعين ماضي حيث جذب إليها بعض الشيوخ و بعث فيها حركة علمية نشيطة، غير أن السلطة المركزية رأت في هذا العمل بعثا جديدا لنفوذ التجانية، حيث أصبح يزعج السلطة لاسيما و أن قبائل الغرب بات الكثير منها يدفع الزيارة لابني التجاني بعين ماضي، بل حتى القبائل القاطنة في ضواحي وهران أخذت تبعث وفودها إلى عين ماضي، مما أقلق السلطة، و أمر الداي حسين الباي حسن باي بايليك الغرب – بشن حملة على عين ماضي و إلقاء القبض على إبني التجاني، ولكنهما خرجا من عين ماضي قبل وصول الحملة إليها[3].

في خضم هذه الأحداث لم يجد مُحَّد الكبير بدا من إعلان الثورة على السلطة العثمانية المتمثلة في شخص الباي حسن الباي بايليك الغرب الجزائري [4]، وقد راسل خليفة أبيهما الحاج علي بتماسين وبرر له موقفه، وعلى الرغم من المعارضة الصارخة والتحذيرات والعواقب التي ابداها الخليفة الأكبر والمسؤول الأول على إدارة مقاليد الطريقة الحاج علي التماسيني، إلا أن مُحَّد الكبير كان كله عزما وإصرارا على المضي في طريق المواجهة، بينما رحل أخوه الأصغر مُحَّد الحبيب إلى بوسمغون.[5]

أجرى مُحَّد الكبير التجاني اتصالات حثيثة مع الحشم، قصد إحداث انتفاضة شاملة للقضاء على الوجود العثماني على الأقل في الجهة الغربية، انتهت هذه الاتصالات بمبايعة مُحَّد الكبير سرا، إلا أن

[1]- العروسي، مصدر سابق، ص45. علي بن خليفة، مرجع سابق، ص 95-96.

[2]- العروسي، مصدر سابق، ص46.

[3]- الزهار، مصدر سابق، ص 159. المزاري، مصدر سابق، ج1، ص354. العروسي، مصدر سابق، ص 47. علي بن خليفة، مرجع سابق، ص100. سكيرج، **رفع النقاب**، مصدر سابق، ج3، ص618.

[4]- الزهار، مصدر سابق، ص 159. سكيرج، **رفع النقاب**، مصدر سابق، ج3، ص618.

[5]- العروسي، مصدر سابق، ص 52. علي بن خليفة، مرجع سابق، ص101.

الباي قد علم بالمؤامرة التي يجري تدبيرها ضده بين الحشم و التجانيين،[1] فعاد الباي مسرعا إلى معسكر بعد أن جمع جيشه، فانتقم من قواد الحشم بقتلهم جميعا و عددهم أحد عشر وقد انتقم أهل الحشم بقتل وجود رسولي الباي اللذان كانا يجمعان الضريبية (الخطية) – ، وأرسلوا لمحمد الكبير برأسيهما على أساس أنهما رأسا الباي وخليفته.[2]

اطمأن التجاني وتشجع أكثر من أي وقت مضى وخرج على رأس جيش يفوق ستمائة مقاتل من التجانيين وعدد من عرب الصحراء (الاحرار)، فحل بأرض غريس في خريف 1242هـ/26 – 1827 عندما إنظم إليه الحشم، كما حاول مُحَمَّد الكبير التجاني، استمالة عرب بني عامر، وبني شقران، و البرجية و الغرابة و الزمالة و الدوائر لكن بدون جدوى، وعلى الرغم من فشل مسعاه، واصل مُحَمَّد التجاني زحفه على معسكر وتمكن خلاله من إخضاع أجزاء من معسكر رغم المقاومة التي أبداها سكانها.[3]

لما أوشكت مدينة معسكر على السقوط في قبضة مُحَمَّد الكبير وصل الباي حسن قادما من وهران على رأس جيش كثير يفوق تعداده وعدته جيش مُحَمَّد الكبير، ولجأ الباي إلى ارتشاء أعيان الحشم بالمال مقابل انسحابهم و تخليه عن مُحَمَّد التجاني ، فانسحبوا تاركين جيش التجاني في وضع لا يحسد عليه، [4] وقد جاء في دليل الحيران "... و التقى الجمعان بعواجة من بلاد رح ونشأ الحرب بين الفريقين و تزاحفت الصفوف، وحمي الوطيس وترادفت الردوف، قال فلم يكن غير ساعة و إذا بالحشم وسائر الاعراب قامت على ساق واحد و بقي وحده في تجاجنته، و يقال أن الباي اعطى الاعيان الحشم وكافة العرب أموالا كثيرة فأوقعوا الهزيمة وفروا عنه وتركوه في جيشه الخاص به منفردا..."[5].

[1]– المزاري، مصدر سابق، ص 354. سكيرج، **رفع النقاب**، مصدر سابق، ج3، ص618.

[2]– المزاري ، مصدر سابق، ص 355–356. الزهار، مصدر سابق، ص159.

[3]–المزاري، مصدر سابق ، ص 357. الزهار، مصدر سابق، ص159. الزياني، **أنيس السهران**..، مصدر سابق، ص 243

[4]– المزاري، مصدر سابق ص358–359. الزهار، مصدر سابق، ص159. الزياني، مصدر سابق، ص 247. مُحَمَّد بن الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ج1، ص 125. سكيرج، **رفع النقاب**، مصدر سابق، ج3، ص618.

[5]–الزياني، مصدر سابق ص 247.

بناء على هذه المعطيات، ترجحت كفة الانتصار من البداية لصالح الباي، حيث لم يبق مع مُحَمَّد التجاني سوى ثلاثمائة مقاتل حسب ما ذكره الزهار في مذكراته [1] وعلى الرغم من ذلك استبسل التجانيون في القتال، ولم يستسلموا إلى أن سقطوا عن آخرهم في ساحة الوغى، ولما تم القتال أمر الباي بقطع الرؤوس، رأس التجيني ويده ورؤوس التجاجنة "أهل الضرر" فقطعت الرؤوس وبعث بها الباي أمامه لمعسكر ودخلها فارحا مسرورا ثم رجع لوهران. [2]

وبانهزام التجانيين أمر الباي حسن جنده بتعليق رؤوس اعدائه في كل جهة، حتى يكونوا عبرة لمن يفكر في الخروج عن طاعته، أما رأس مُحَمَّد التجاني وسيفه و رؤوس خليفته وبعض جنده، فقد بعث بهم إلى الداي حسين مبشرا إياه بزوال هذا الشيخ، ففرح الداي، و أرسل إلى الباي بهدايا[3]، وأمر الداي حسين بتعليق رأس مُحَمَّد التجاني فوق عمود وصلبه في الباب الجديد (بالعاصمة) ،و وقد جاء في مذكرات " الزهار " «... بعثوا للسلطان محمود يبشرونه بقتله وبعثوا له سيفه والحجب التي كانت معه واحتوى الباي على اثقال التجاني وأمواله...» ويذكر أيضا: «... وأتوا بسيفه وبعض الجعابات التي كانت عليه، وفيها جداول من كل نوع حتى إني رأيت جدولا منها على صفة السيف مكتوبا بالزعفران...» [4]، كما أن الباي حسن قد انتقم من بعض التيجانيين حتى وإن كانوا بعيدين عن الأحداث مثل الشيخ بلقندوز القداري التيجاني الذي قتله "بغير اشتباه" كما يقول الآغا بن عودة المزاري[5]

2/ مُحَمَّد الحبيب التيجاني:(1802-1853): أو مُحَمَّد الصغير ولد بفاس 1802م عاد إلى مسقط رأسه عام 1815 تولى مشيخة زاوية عين ماضي من 1827إلى 1853، بينما تولى الخلافة العامة للطريقة من سنة1844 بعد وفاة الحاج علي التماسيني إلى غاية سنة 1853 ، توفي مُحَمَّد الحبيب عام 1853 ودفن بعين ماضي بعد أن خلف ذكرين أحمد عمار و البشير.[6]

---

[1]-الزهار، مصدر سابق ص 154.

[2]-الزياني، مصدر سابق ص 247. الزهار، مصدر سابق ص 159-160. العروسي، مصدر سابق، ص52. المزاري، مصدر سابق ص 360-361.

[3]- المزاري، مصدر سابق، ج1، ص361. الزهار، مصدر سابق، ص160.

[4]- الزهار، مصدر سابق، ص 160.

[5]- المزاري، مصدر سابق، ج1، ص363-364.

[6]- سكيرج، **رفع النقاب**، مصدر سابق، ج 3، ص650 وما بعدها. الحافظ التيجاني، مصدر سابق، ص54.

قال أحمد العبدلاوي :"كنت في بعض الأيام مشتغلا بحفظ بعض المصنفات في النحو فرآني سيدي مُحَمَّد الحبيب فقال لي: اترك عنك هذا واقرأ ما يعود نفعه عليك، قال فتركت ذلك امتثالا لأوامره، قال فبينما أنا معه في بعض الأيام جالسا إذ قال لي يا فلان وسماه إن عندي بعض أذكار الشيخ المكتومة التي لا ينبغي أن يطلع عليها الغير وأريد أن أذكرها ولكني خفت أن ألحن فيها والآن أردت قراءة النحو فلابد لنا أن نقرأ معا الألفية، قال: فصرت أكتب عشرة أبيات في اليوم وأحفظها وهو يكتب أربعة أبيات فقط، فلما بلغت لباب حروف الجر نظرت إلى لوحه فوجدت فيها آخر الألفية، فتعجبت من ذلك وقلت له يا سيدي ما هذا؟ فقال لي أنا لست مثلك أنام الليل كله وإنما أنام ساعة واحدة فقط وأشتغل بما أنا بصدده" ، وكما هو معلوم فما بين باب حروف الجر وآخر الألفية ما يفوق ستمائة بيت، وهذا ما يدل على عزم مُحَمَّد الحبيب وحرصه على تحصيل العلوم" [1].

وقد كتب العلامة التجاني بن بابا الشنقيطي متن منية المريد بطلب من مُحَمَّد الحبيب الذي أراد تبسيط تعاليم الشيخ أحمد التيجاني التي في كتاب جوهر المعاني من خلال متن يحفظه الحافظ بسهولة[2]

و قد حج معه جماعة من أحباب والده و لما حل بمصر قدم العلماء لزيارته فلم يكلم أحدا منهم لاشتغاله بنفسه و أذكاره و خاف عليهم من تضررهم بمذاكرته لعدم معرفته بقواعد العربية فلما رجع لعين ماضي اشتغل بالنحو و قراءة العلم، [3] وقد أخذ الإجازة من الحاج علي التماسيني [4]

و قد كتب الباي حاكم الجزائر إلى باي تونس ليقبض على مُحَمَّد الحبيب حين رجوعه من الحج فلما وصل تونس أعلمه الباي بأن لا يمر على الصحراء إلى عين ماضي و حذره من أهل الجزائر لأن أعداء أولاد الشيخ كانوا يحرضون عليهم حكام الجزائر و يخوفونهم منهم و قد كتب حاكم وهران لأهل الأغواط بعد أن قبض منهم على نحو أربعمائة شخص منهم ولد بوشيبة و ولد أحمد الأخضر مخبرا لهم أنهم في أمان إذا وجهوا له أولاد الشيخ ووجه لهم السبحة و دلائل الخيرات في العهد على ذلك[5] . ذلك[5] .

[1]- سكيرج، **كشف الحجاب**، مصدر سابق، ص 201. سكيرج، **رفع النقاب**، مصدر سابق، ج3، ص651.

[2]- العروسي، مصدر سابق، ص102.

[3]- المصدر نفسه، ص 58-59.

[4]- نفسه، ص 102.

[5]- الزهار، مصدر سابق، ص 159. سكيرج، **رفع النقاب**، مصدر سابق، ج3، ص652.

فاجتمع أصحاب السيد أحمد الأخضر و أصحاب ولد بوشيبة و السيد أحمد بن سالم و غيرهم ليتفاوضوا فيما كتب لهم به وقد حضر معهم الحاج علي التماسيني من غير طلب منهم في حضوره و كان من جملة من حضر أيضا السيد النبوي التاجموتي و كان قد رأى رؤيا يقول الشيخ فيها له مُحَّد الكبير يشرق و مُحَّد الصغير يغرب و الخيمة تبقى هناك حتى يقع عليها الكشاف فقال لهم سيدي الحاج علي من غير أن يعلمه السيد النبوي برؤياه:" قل لنا ما قال الشيخ لك البارحة." فقال:" يا سيدي قال كيت و كيت." فقال القطب سيدي الحاج علي:"كيف نعطي أولاد الشيخ للترك يلعبون بهم." ثم أمر مُحَّد الحبيب أن يتوجه إلى أبي سمغون على طريق الصحراء فأقام هناك ونجا من الأتراك، و سافر هو بمحمد الكبير إلى تماسين و زوجه بابنته، بقي مُحَّد الكبير بتماسين حتى رجع لعين ماضي و كانت الوقعة به و بمن معه ببلدة معسكر، حيث عاد مُحَّد الحبيب إلى عين ماضي وعمر الزاوية من جديد[1].

بعد واقعة مُحَّد الحبيب مع الأمير عبد القادر وخراب عين ماضي ، التجأ الشيخ مُحَّد إلى مدينة القرارة وبقي فيها مع تنقله مرارا إلى الأغواط إلى غاية سنة 1841، حيث كتب له الحاج علي التماسيني بالعودة إلى عين ماضي والشروع في إعادة بناء زاويته، وفي رسالة بعث بها مُحَّد الحبيب إلى الحاج علي التماسيني أورها الصادق العروسي، وأوضح فيها مُحَّد الحبيب الحالة التي وجد عليها عين ماضي، حيث قال " لقد وجدناها خربة لا فائدة فيها حتى هم كثير من الناس بالرجوع عن بنائها... فكملناه بأجمعها وأبراجها وأسوارها.. ولولا الشيخ أحمد بن سالم لم نجد في كافة الناس من يرفع معنا حت حجرة واحدة... وأيضا لم نجد من يسكن معنا في عين ماضي لا بعيدا ولا قريبا لما كملت فقلنا لأحمد بن سالم، فجمع بني الأغواط كلهم بين أيدينا وقال لهم تذهبون إلى عين ماضي... وامتثلوا لأمره طوعا وكرها وعينوا أربعة وخمسين عيالا يسكنون في عين ماضي، وسكن هو بنفسه معنا وأتى بأولاده وعياله....."[2]

[1]- سكيرج، **كشف الحجاب**، مصدر سابق، ص470. سكيرج، **رفع النقاب**، مصدر سابق، ج3، ص652.

[2]- العروسي، مصدر سابق، ص 100-101.

خلف مُحَمَّد الحبيب بعده ورّاث و قد تزوج بزوجات من ذوات البيوتات و تسرى بإماء منهن والدة مُحَمَّد البشير السيدة فريحة أما ولده أحمد عمار فهو من أمة اسمها العافية ولدته بناحية قالمة من عمالة قسنطينة. [1]

وقد نقل أحمد العبدلاوي أن الفرنسيين كتبوا إلى مُحَمَّد الحبيب رسالة مضمونها نطلب منك أن تقدم للجزائر العاصمة ، فلما حلت بيده الرسالة دخل لبستانه و أمرني بالدخول معه ثم قال لأحد خدامه سد الباب و لا تترك أحدا يدخل علينا ، فلما اطمأن بنا الجلوس قال لي قد وقع كذا و كذا و قد عرفت مقصوده ، و الآن قل له إني لا آتي إليه أبدا و إن ضيقت عليه فأرض الله واسعة، قال ثم افترقنا في تلك الساعة و بقيت متحيرا في هذا الأمر ، وقد بعث إلي فلما جئته قال لي بعض الخدام مالك لم تأت البارحة في العشاء فإن ابن سيدنا لم يأكل شيئا، فلما اجتمعت به قال:" اسأل الله أن لا أرى وجه نصراني و لا جوابا منه" فلم تمض أربعة أيام عليه حتى توفي بعين ماضي عام هـ1269.[2]

3/ أحمد عمار بن مُحَمَّد الصغير التجاني (1865-1897): اسم والدته (الست عافية) وقد كانت أمة عند والده مُحَمَّد الحبيب، ولدته سنة 1266 بناحية قالمة من عمالة قسنطينة، وجدير بالذكر أن الست العافية كانت عند مُحَمَّد الحبيب بمكانة من القبول فحسدها غيرها من أهل داره، ففرت وَهي حامل، وأخبر مُحَمَّد الحبيب بحملها منه، وبعد وفاة مُحَمَّد الصغير التجاني، سنة 1853 طرحت مسألة وراثة مشيخة زاوية عين ماضي، حيث أوكلت مهمة إدارة الزاوية للوكيل المشري الريان، في حين انتقلت القيادة العليا للطريقة إلى زاوية تماسين بعد أن تولى الخلافة مُحَمَّد العيد بن الحاج علي وهو ثالث

---

[1]- سكيرج، **رفع النقاب**، مصدر سابق، ج3، ص654.

[2]- سكيرج، **كشف الحجاب**، مصدر سابق، ص201-202.يروي الكثير من التيجانيين أن مُحَمَّد الحبيب لم يلاق فرنسيا وجها لوجه أبدا ولكن هذا الأمر غير صحيح ، إذ أنه التقى بالجنرال بيليسي بعيد احتلاله للأغواط وعن هذا اللقاء يقول ترومليي: «لما حقق بليسي احتلاله للأغواط، رجع بطابوره إلى الغرب مارا على عين ماضي، حيث قرر دخولها، فاستقبله التجاني بما يليق باستقبال جنرال منتصر وهي آخر استقبال يخصه التجاني لزواره ...» والحقيقة أن هناك لقاء آخر حظي به De-Barail دي باراي الذي أرسله الحاكم العام الجنرال راندون في بداية فيفري 1853م لإقناع مُحَمَّد التجاني بقبول دعوة الحاكم العام لزيارة الجزائر ، ويقول دي باراي في رسالة بعثها إلى أمه أنه جد سعيد بعد أن استقبله التجاني راجلا ومحاطا بأعيان القصر، الكل كان يرى في هذه الخطوة أنها غير مجدية، لا سيما بعد الصدى الذي خلفه احتلال الأغواط ... وعلى العكس من ذلك نجحت في تفاوضي مع التجاني ... لقد أعطاني وعده القاطع بالذهاب إلى الجزائر" أنظر: .Trumelet OP. CIT. أيضا: 112-111. .Du Barail , op.cit, p77-83 .إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..، مرجع سابق، ص131.

خليفة للطريقة التجانية (1853-1876) ، حيث لم يترك مُحَمَّد الصغير أولادا من بعده سوى 13 بنت من نسله، لكنه عرف فيما بعد أنه كان متزوجا من أمتين طلقت إحداهما أنجبت منه ولد اسمه البشير شهورا قليلة قبل وفاته، بينما غادرت الأخرى عين ماضي وهي حاملا قبل وفاة مُحَمَّد الصغير التجاني بثلاث سنوات ويعرف أنها أنجبت ولدا كان أكبر من البشير، مما يعطيه حق وراثة أبيه، وبعد بحث دام خمس سنوات عثر على الأم وابنها أحمد عمار في قالمة، فرجعت إلى دَار الشيخ مع ابنها أحمد عمار، وقد حدثت له في الطريق كرامات أكدت لمريديه أنه ابن شيخهم.[1]

كان أحمد عمار غليظا، معتدل القامة، أسمر اللون، مربوع القد، وقد وصفه فون مالتسان غداة لقائه به في رحلته إلى الأغواط،[2] وقد تزوج ببنت عمه لالا رقية بنت مُحَمَّد الكبير، وتوفي أحمد عمار في 18 من ذي القعدة عام 1314 هـ، الموافق ل 1897/4/19 ، ودفن بقبته بكوردان بالقرب من عين ماضي، وقد مدحه العلامة امُحَمَّد (فتحا) كنون بقصيدة ميمية قال فيها:

يا لائمي في حب عمار لقد ... أخطأت في لوم فكيف تلوم

هو حامل الأسرار وهو الدوحة الـ ... تي تحتها كل الأنام تقيم

لم لا وجدُّه أحمد الختم الذي ... له في الجنان العاليات نعيم

في عام 1865م طرح شيوخ زاوية عين ماضي وعلى رأسهم وكيل الزاوية الشيخ المشري الريان مسألة خلافة الطريقة وأحقية أحفاد أحمد التجاني بها – ولم يكن أحمد عمار وقتها قد تجاوز سن 15 من عمره، مما أجل الإنفجار إلى وقت لاحق، ،[3] وأصبح أحمد عمار يدير زاوية عين ماضي إلى أن تم القبض عليه رفقة أخيه البشير من قبل المقدم " دو صوني " De Sonis القائد الأعلى للدائرة العسكرية بالأغواط بتهمة الانضمام والتعاون مع ثوار أولاد سيدي الشيخ في معركة أم الدبداب في 1869/02/01 م.[4]

---

[1]- فون مالتسان، مصدر سابق، ص227. Coppolani Depont , **Les Confreries religieuses musulmanes**, Adolphe Jourdan, Alger, 1897, p425.

[2]- فون مالتسان، مصدر سابق، ص226.

[3]-Coppolani Depont : OP. CIT, P 425.

[4]- الحافظ التيجاني، مصدر سابق، ص34-35. بن عمارة خليفة، مرجع سابق، ص168. عن معركة الدبداب التي اعتقل بسببها أحمد عمار التيجاني أنظر: جيلالي صاري، مرجع سابق، ص48-50.

جراء هذه التهمة نقل أحمد عمار إلى مدينة الجزائر حيث بقي أحمد عمار مدة سنة كاملة تحت الإقامة الجبرية بالعاصمة، وحالوا بينه وبين أنصاره، ثم قامت الحرب السبعينية بين فرنسا وألمانيا فأبعدته السلطات الفرنسية إلى فرنسا، ثم خشيت أن يقوم أخوه البشير بالثورة فألحقته بأخيه وبقيا طوال الحرب معتقلين بفرنسا، [1] ثم استعملته فرنسا لتهيئة الجزائريين المشاركين الحرب ضد الألمان، وإبلاغهم تحيات أعيان الجزائر وفي الوقت الذي كان أحمد عمار يرى في هذه المهمة فرصة لإرضاء فرنسا، كانت هذه الأخيرة تسعى من ورائها إلى إحتواء وتدجين زاوية عين ماضي . [2]

وفي 16 أوت 1870م وصل أحمد عمار إلى باريس ، ومنها إنتقل إلى بوردو وهناك تعرف على الأنسة أوريلي بيكار Aurelie Picard [3] إبنة دركي متقاعد كان على حراسة أحمد عمار، وكانت في لقاءاتها مع أحمد عمار تسأله عن الإسلام وتدخل معه في نقاشات متعددة، مما جعل أحمد عمار يطلبها للزواج من أبيها،[4] وبعد عودتهما إلى الجزائر، رفض الحاكم العام De Guidon السماح بمثل هذا الزواج لما قد يتولد عنه – حسب نظره – من مشاكل وتعقيدات مستقبلية، ولكن لم يكن في استطاعة الحاكم العام منع هذا الزواج عن طريق السلطات الدينية، بعد أن باركه الكاردينال " لافيجري " مؤسس جماعة الآباء البيض في الجزائر شخصيا، وقد تم عقد الزواج طبقا للشريعة الإسلامية على يد مفتي الحنفية بالعاصمة السيد قدور بوقندورة[5].

---

[1]– الحافظ التيجاني، مصدر سابق، ص 35.

[2]– عبد الحميد زوز، **نصوص**..، مرجع سابق، 263.

[3]– **أوريلي بيكار**: لعبت دورا بارزا في تسيير زاوية عين ماضي، اتخذت من مزرعة كوردان قرب عين ماضي إقامة لها تزوجت من البشير بعد وفاة شقيقه أحمد عمار، أشرفت على الشؤون المالية للزاوية، تحصلت على وسام الاستحقاق الزراعي من قبل الرئيس الفرنسي خلال زيارته للجزائر عام 1903م، انتقلت إلى الجزائر العاصمة بعد وفاة البشير سنة 1911م وبقيت تتردد من حين الآخر على كوردان وعين ماضي ، ثم اتجهت إلى فرنسا عام 1920 كانت تزور عين ماضي مرة في السنة كان آخرها سنة 1933م حيث ماتت وهي بكوردان. اختلفت الآراء حول ديانتها، فالتجانيون يذكرون أنها أسلمت قبل وفاتها ووصلي عليها ودفنت في مقابر المسلمين ، بينما جماعة الأباء البيض يصرون على أنها ماتت وهي على دينها المسيحي، لم تخلف أولادا لا من أحمد عمار ولا من شقيقه البشير. للمزيد أنظر: الحافظ التيجاني المصري، مصدر سابق، ص38.

[4]– الحافظ التيجاني، مصدر سابق، ص34– 35.

[5]– يحي بوعزيز، **وثائق جديدة** ..، مرجع سابق، ص 238–239. أنظر أيضا: عبد الحميد زوز، **نصوص**...، مرجع سابق، ص263. الحافظ التيجاني، مصدر سابق، ص 35. أنظر نسخة من عقد زواج أحمد عمار بالسيدة أوريلي. علي بن محمد

وفي الوقت الذي عاد فيه أحمد عمار إلى زاويته بعين ماضي رفقة زوجته الفرنسية توفي مُحَّد العيد الخليفة الأكبر للطريقة التجانية عام 1876م، وكان وقتها أحمد عمار المرشح الطبيعي لخلافته لكن تبين فيما بعد أن مُحَّد العيد عهد بها لأخيه مُحَّد الصغير، وهو الشيء الذي لم يهضمه أحمد عمار وشيوخ زاوية عين ماضي الذين قرروا تعيين أحمد عمار خليفة للطريقة التجانية كلها وعدم الاعتراف بمحمد الصغير بن الحاج علي مما أحدث شرخا في إدارة الطريقة، كان له التأثير الواضح على مسار الطريقة لا سيما في الجهة الغربية من الوطن.[1]

وعلى الرغم من ذلك بقي أحمد عمار يسعى جاهدا لإقناع زوايا الجهة الشرقية بأحقيته في الخلافة، لكن دون جدوى، وبدا إصرار زاوية تماسين على إبقاء الخلافة في نسل الحاج علي واضحا فبعد وفاة الخليفة مُحَّد الصغير (1892 - 1876) تولى الخلافة من بعده أخوه معمر بن الحاج علي (1892–1893) غير أن المنية وافته، فخلفه مُحَّد بن مُحَّد العيد من (1893 إلى غاية 1912) فقضى بذلك على أحلام أحمد عمار الذي قام بزيارة سنة 1897م إلى تماسين، ومنها إلى زاوية قمار لإصلاح الوضع وحسم مسألة الخلافة، غير أن تدهور صحته أجبرته على ملازمة الفراش إلى أن توفي في 20 أفريل 1897م وهو بقمار[2].

وقد وقع خلاف كبير بين زاويتي تماسين وعين ماضي حول مكان دفن جثمان أحمد عمار، حيث دفن في زاوية قمار، الأمر الذي دفع شيوخ زاوية عين ماضي إلى تعيين البشير شقيق أحمد عمار كخليفة عام للطريقة التجانية، وطلبوا منه تحويل رفات أخيه ليدفن في عين ماضي، إلا أن محاولة البشير باءت بالفشل بعد أن منعه شيوخ تماسين، وبتدخل من أوريلي بيكار زوجة أحمد عمار وبضغط من السلطات الفرنسية تم نقل جثمان أحمد عمار إلى عين ماضي[3].

غريسي، **التيجانيون ومناصب الإفتاء في الجزائر**، منشورات الزاوية التيجانية بتماسين، الوادي، الجزائر، 2013، ص5-6. بودواية، مرجع سابق، ص 82-83.

[1]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص208.

[2]- المرجع نفسه، ج 4، ص230-236.

[3]-المرجع نفسه، ج4، ص218.

4/ البشير بن مُحَمَّد الصغير التجاني (1897-1911): أمه هي السيدة فريحة وهي من إِمَاء مُحَمَّد الحبيب، ولد مُحَمَّد البشير عام 1265 هـ/1897م وكان مربوع القامة، عالي الهمة، صبورا صادقا متواضعا، يقول الحق ولو على نفسه، له أخ شقيق من نفس الأم السيدة فريحة، وهو خليفة بن مُحَمَّد الحبيب، كما أن من جملة إخوته من الرضاعة مُحَمَّد بن أحمد العبدلاوي.

تقلد منصب الخليفة العام للطريقة التجانية، توفي ليلة السبت 3 جمادى الثانية في الساعة الحادية عشر ليلا سنة 1329، بموطنه بكردان، وبمجرد وفاته نقل لقرية عين ماضي، ودفن إلى جانب والده سيدي مُحَمَّد الحبيب، وقد رثاه العلامة القاضي أحمد سكيرج بقصيدة فائية افتتحها بقوله:

أصبنا بفقد الصالحين ولم يزل = يحوزهم الدهر الخؤون وما استوفى

فقدنا رسول الله من قبل شيخنا = ومن بعد هذا قد فقدنا ابنه الأوفى

فكان لنا فقد الثلاثة عبرة = بها عبرات العين قد ذرفت ذرفا

وكنا بمولانا البشير سليله = نسلي نفوسا نارها بعد لا تطفى

فكان وحق الله قطب زمانه = وأنوارها بين العوالم لا تخفى

وكنا نباهي في الزمان به على = عداة به كنا جذعنا لهم أنفا[1]

وقد تزوج أرملة أخيه أوريلي بيكار فسميت بزوجة السيدين، في عام 1901م قام الخليفة مُحَمَّد بن مُحَمَّد العيد بزيارة إلى عين ماضي لتعزية الأسرة التجانية بعد وفاة أحد أبناء أحمد عمار وخلال هذه المناسبة تم معالجة الخلافات المتراكمة بين الزاويتين، وأصبحت منذاك زاوية تماسين عبارة عن زاوية جهوية تدير كل الزوايا الواقعة في الناحية الشرقية ، على أن تهتم عين ماضي بكل الزوايا الواقعة في الناحية الغربية، والتزم شيوخ تماسين بدفع جزء من مداخيل الطريقة إلى زاوية عين ماضي، وقد توفي مُحَمَّد البشير سنة 1911 بقمار حيث جاءها من عين ماضي متفقدا لأحوال الزوايا التيجانية بالمنطقة الشرقية.[2].

[1]- سكيرج، **رفع النقاب**، مصدر سابق، ج3، ص320.

[2]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص218.

5/علال بن أحمد عمار (1911–1919): هو علي بن أحمد عمار، يعرف بعلال، ولد عام 1285 هـ، كان هادئ الطبع، جميل الخلق والخلقة، طيب النفس، محببا لدى سائر أقرانه، وقورا مصلحا، دؤوبا على العبادة، يخصص قسما كبيرا من وقته لشؤون الزاوية ومصالحها، كان توليه لأمور زاوية عين ماضي في رجب عام 1329 هـ، وتوفي يوم الجمعة ثالث ربيع الثاني عام 1339 هـ، وقد مدحه العلامة سيدي أحمد سكيرج بقصيدة قال فيها:

إلى الإمام العظيم ذي المكانة عـ=ـلال بن أحمد عمار وعمور

يا أيها السند العالي الذي شهدت = بفضله الفضلاء دون ما زور

لك التقدم في علم وفي عمل = وبحر صدرك قد علا على الطور

لله ما أنت مسد من عظيم جدى = أسراره قد سرت كمطلع النور[1]

6/ مُحَمَّد الكبير بن البشير التجاني: (1919 الى 1931): من السيدة السالمة المدفونة بعين ماضي، موضع ثقة العلماء والأفاضل من أهل عصره، ، دائب العمل، نشيطا، لا يحب الظهور، حاضر البديهة، يتعرض للناس بالنصيحة، ، ولد عام 1283 وتوفي بعين ماضي عام 1350 هـ- 1931م، وبها دفن، تولى الخلافة بعد ابن عمه علال بن أحمد عمار ، وقد مدحه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج بقصيدة ميمية لدى وفوده على مدينة فاس بقصد زيارة جده الشيخ أبي العباس التجاني في شهر صفر الخير سنة 1337 هـ- نونبر 1918م، ومطلعها:

أهلا وسهلا بأهل الفضل والكرم = ومن هم النور في غياهب الظلم

شرفتموا كل أرض تنزلون بها = مذ شاع فضلكم في العرب والعجم

وأنت يا سيدي الكبير واسطة الـ=ـعقد الثمين رفيع القدر والشيم

نجل البشير الذي جلت مناقبه = وجل مقداره في الحل والحرم

نجل الحبيب الذي تعنوا الأسود له = مبدي الكرامة بحر الجود والكرم

[1]- أحمد سكيرج، **رفع النقاب**،ج4، ص556.

تقلد مُحَمَّد الكبير منصب الخلافة العامة للطريقة التجانية، وكان له قدم راسخ في طريق السلوك ذا لسانين عربيا وفرنسيا، وكان عارفا بالطب التقليدي وبمنافع الأعشاب، وقد أجاز العلامة أحمد سكيرج إجازة عامة أورها سكيرج في كتابه رفع النقاب.[1]

7/ محمود التجاني بن البشير: (1931–1934): ولد عام 1297هـ بعين ماضي، أما وفاته فكانت بالأغواط في 24 محرم الحرام عام 1353هـ، وكان عمره عند وفاته 56 سنة، ونقل من الغد إلى عين ماضي حيث دفن داخل ضريح جده مُحَمَّد الحبيب، والدته هي السيدة رقية بنت الدين اليعمورية، مقبورة بعين ماضي، وقد تقلد منصب الخلافة العامة في الطريقة التجانية بعد أخيه مُحَمَّد الكبير.[2]

خصصه العلامة سكيرج بترجمة مفيدة من خلال الرحلة التي قام بها معه داخل المغرب، "**غاية المقصود في الرحلة مع سيدي محمود**" وسبب الرحلة أنه لما علم محمود التجاني بوجود خلافات كبيرة ، ومنازعات وخصومات بين قبائل الأرياف بالمغرب الأقصى كادت أن تتحوّل إلى حرب أهلية طاحنة ، من أجل ذلك شدّ رحلته صحبة رفقاء من بينهم، منهم الحاج بن عمر الشكراني من مغنية ، وذهب إلى تلك البقاع وبقي بها أكثر من نصف سنة يعِضُهم ويرشدهم ويصلح ذات بينهم حتى تصالحوا وتسامحوا ،[3] كما شارك سكيرج شيخه محمود في رحلة إلى العاصمة باريس لافتتاح مسجدها سنة 1926،[4] وقد كان محمود التيجاني متعاونا مع عبد الكريم الخطابي حسب ما يذكره الحافظ المصري.[5]

8/ الطيب التجاني بن علال بن أحمد عمار (1934–1973): أمه اسمها يامنة، وهو أكبر أولاد سيدي علال الذكور، ، ولد سنة 1312 هـ وتوفي سنة 1394هـ-1974م، تقلد منصب الخلافة

---

[1]- أحمد سكيرج، **رفع النقاب**،ج1، ص 276-278 .

[2]- أحمد بن العياشي سكيرج الخزرجي الأنصاري ؛ **قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ**، تح: مُحَمَّد الراضي كنون الحسني الإدريسي، دار الأمان، الرباط ، المغرب 2010، رقم الترجمة 56 .

[3]- أحمد سكيرج ، **غاية المقصود في الرحلة مع سيدي محمود، تح: مُحَمَّد الراضي كنون الحسني الإدريسي**، د دن، دت، ص30.

[4]- المصدر نفسه، ص18.

[5]- الحافظ المصري التيجاني، مصدر سابق، ص39.

العامة للطريقة التجانية بعد وفاة محمود بن مُحَّد البشير وبعد اعتذار عمه مُحَّد الطاهر بن أحمد عمار عن زهده في منصب التصدر في الزاوية بكونه لا قابلية فيه لمخالطة الفقراء ، وللعلامة أحمد سكيرج قصيدة يمدحه بها ونصها:

حدث عن البحر إن شأنه عجب = نظير ما حدثت عن جدك الكتب
قد حزت وافر حظ منه فزت به = دليله الواضحان العلم والحسب
والعلم والحسب العالي إذا اجتمعا = في الشخص باهت به العلياء والرتب
علم تبارك من أولاكه انفجرت = منه ينابيع ما به انجلت كرب
يا سيدي الطيب المقدام أهلا ومر = حبا فقد عمنا النشاط والطرب
لي مبدأ عنه لا أحول منقبضا = بالحق إن كان غيري فيه يضطرب
محبة الختم شيخنا التجاني مع = أبناءه الغر من لهم به النسب
وصحبه الأوفياء الحاملين لسـ=ره العظيم بما يفنى به العطب[1]

رابعا: أعلام الطريقة التيجانية في الأغواط:

1/الشيخ سحنون بلحاج: وهو من أعلام الطريقة التيجانية , أخذ وردها مباشرة عن مؤسسها الشيخ أحمد التيجاني الذي رأسه بعد انتقاله إلى فاس ودعا له ولكافة مريديه الخير والفلاح، ويذكر الشيخ سكيرج في معرض حديثه عن ولدي الشيخ سحنون بلحاج السيدين مُحَّد وأحمد أنه عثر على رسالة بعث بها السيد محمود التونسي إلى الشيخ سيدي أحمد التيجاني بطلب منه طمأنة أصحابه في كل من الاغواط وتاجموت والأرباع و أولاد السايح وغيرهم[2].

2/الشيخ أحمد بن سحنون: هو فقيه وابن فقيه , اتبع والده في التمسك بالطريقة التيجانية وكان محبا للعلامة ابن المشري صاحب التأليف المعروفة في التصرف.
عثر سكيرج لهذا الأخير على رسالة بعث بها إليه الشيخ أحمد بن سحنون يطلب منه إذا قدم إلى

[1]- أحمد سكيرج، **رفع النقاب**،ج3، ص632.
[2]- المصدر نفسه،ج 4، ص1323. طالبي، مرجع سابق، ص26.

مدينة الأغواط أن يصحب معه" كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار[1]

3/الشيخ أحمد بن إسماعيل:من فقهاء مدينة الاغواط, أخذ الطريقة التيجانية عن مؤسسها ويؤثر عنه في هذه المدينة حيث الشيخ أحمد سكيرج أنه كان كثيرا التلاوة حتى انفرد بعلم التجويد مع صوته الحسن ولذلك أثراه هذا الأخير بأبيات شعرية نذكر منها:

ومنهم الرضي ابن إسماعيل أعني به الأغـواطي النبيلا
كان مع الأصحاب في البساط وبالأخص ساكني الاغـواط
فكان إذا تلا حرك الجمـــد بحسن صوته الذي به أحـد[2]

4/الشيخ أحمد بن بلقاسم بن أحمد البوزيدي: هو من نسل سيدي بوزيد وقف له الشيخ سكيرج على رسالة بخط يده بتاريخ 15 جمادي الثانية 1227 بعث بها إلى الشيخ أحمد التيجاني من مدينة الأغواط ومما جاء فيها ":قطب السيادة ويعسوب المجادة شيخ الطريقة ومنبع الفصل على الحقيقة من فاز أسنى المفاخر..... إلى أن قال : ولازالت آيات محاسنك على آذان محييك تتلى ومكانة عليانك على الأولياء تملى.." الخ[3]

5/الشيخ سليمان بن سعد الأغواطي المذبوحي: وقد عاصر صاحب الطريقة وكان ناصريا في أول أمره حيث أخذ عنه ورد التيجانية، ثم كان كاتبا لابنه مُحَمَّد الحبيب، دفن بعين ماضي.[4]

6/ **عيسى بن خراز** : ترجم له سكيرج في رفع النقاب.

7/**أحمد لخضر**: ترجم له سكيرج في رفع النقاب.

8/ أحمد بن النوي: ترجم له سكيرج في رفع النقاب.

9/أحمد بن دهينة: ترجم له سكيرج في رفع النقاب.

[1]- أحمد سكيرج، **رفع النقاب**،ج1، ص227. طالبي، مرجع سابق، ص27.
[2]- أحمد سكيرج، **رفع النقاب**،ج1، ص55-57. طالبي، مرجع سابق، ص26-27.
[3]- أحمد سكيرج، **رفع النقاب**،ج1، ص61-62. طالبي، مرجع سابق، ص27.
[4]- سكيرج، **كشف الحجاب**، مصدر سابق، ص466. أحمد سكيرج، **رفع النقاب**،ج4، ص1366-1367.

10/ **التاودي مُحَّد:** ترجم له سكيرج في رفع النقاب.[1]

11/أحمد بن معمر : المعروف ب أحمد بن سالم: شيخ الأغواط وزعيمها وقد سبق الحديث عنه حسب المصادر التيجانية فقد كان محبوبا لدى الشيخ أحمد التيجاني، حيث قام بتحنيكه حين ولادته وتسميته عليه، ولهذا يطلق عليه أحمد بن سالم نسبة للشيخ أحمد التيجاني بن سالم مع أن اسم والده هو معمر.[2]

12/أحمد بن الطالب : المفتي المالكي بالأغواط: (ت1910): أورد علي غريسي صاحب كتاب التيجانيون ومناصب الافتاء في الجزائر، مجموعة رسائل أصلية للشيخ أحمد بن الطالب إحداها مؤرخة بتاريخ 1327هـ/ إلى حفيد الحاج علي التماسيني وهو مُحَّد العروسي بين فيها جهوده في إصلاح ذات البين وهو ما يدل على مكانته الدينية والاجتماعية[3]، والرسالة الثانية يؤكد فيها اطلاعه على نسخة من عقد زواج مُحَّد البشير بن مُحَّد الحبيب التيجاني بأوريلي بيكار، ويفتي بصحة العقد وأه: ".. نكاح صحيح حيث توفرت شروطه وتمت أركانه المرسومة على الكتاب والسنة... أفتيت بصحته على مذهبنا المالكي وبه كاتبه أحمد بن الطالب مفتي الأغواط"، [4]كما أورد غريسي رسالة تعزية من مقدم زاوية باب منارة بتونس في وفاة أحمد بن الطالب وهو ما يدل على مكانته لدى إخوان الطريقة التيجانية وقد وصفه المقد ب" المحب والصادق في الخدمة".[5]

13/سي بن عمر بن مُحَّد الكبير بن مُحَّد البشير بن مُحَّد الحبيب: ولد سنة 1904 ، وتوفي يوم الأحد 25 فيفري 1962 ، عالم ومجاهد في الثورة التحريرية، ومن مآثره في سنة 1948 خرج بن عمر من عين ماضي في أربعة أنفار قاصدا وسط إفريقيا وغربها لنشر الإسلام بها ، وبقي هنالك مدة ثلاث سنوات زار خلالها أزيد من خمسة عشر دولة نذكر منها : ليبيريا ، ساحل العاج ، الطوغو ، نيجيريا ، الكامرون ، الكونغو ، تشاد ، السودان، ...الخ، وقد اتصل بجنسيات متعددة وعقائد

[1]- أنظر هذه الترجمات : سكيرج، **رفع النقاب**، عيسى بن خراز: ج4، ص1302. أحمد لخضر: ج1، ص79. أحمد بن النوي: ج1، ص141. التاودي مُحَّد: ج1، ص286. أحمد دهينة: ج1، ص98.

[2]- العروسي، مصدر سابق، ص101.

[3]- علي غريسي، ص19-20.

[4]- المرجع نفسه، ص20-21.

[5]- نفسه، ص21.

مختلفة وألسن متباينة، وخاطب أولئك الأقوام باللغة العربية مرة ، ومرة كان يكلف من معه لترجمة ما يقوله إلى لغات البلد المضياف ، يوضح في خطبه ما هو بصدده كفضل الإسلام ومزاياه ، ويأمرهم بنبذ الرذائل والتحلي بالفضائل ، ولقد أسلم على يديه حسب شهادة البعض مئات الآلاف ممن كانوا بديانات مختلفة ، وجُلّ الذين دخلوا الإسلام على يديه ، اعتنقوا الطريقة التجانية وتربوا بها ، وقد أعطى في هاته الرحلة ألف إجازة تجانية للأكابر والأفاضل والأعيان الذين اتصل بهم.[1]

14/الحاج أحمد العناية الدهسي الماضوي:[2] ولد الشيخ الحاج أحمد العناية دهسي سنة 1908 بعين ماضي بالأغواط، من عائلة اشتهر أسلافها بالعلم والفقه. بدأ دراساته الأولى بحفظ القرآن في كتاتيب القرية حيث أتمّ حفظه وهو ابن عشر سنوات، التحق بعدها بالمدرسة النظامية الفرنسية.

بعد أن أتمّ دراساته الابتدائية، لم يشأ إتمام الدراسة بالمدارس الفرنسية رغم الفرص التي أتيحت له، لكنه فضل التوجه إلى دراسة الفقه والعلوم الإسلامية الأخرى، فسافر مع القافلة التي كانت تأتي من تماسين إلى عين ماضي فارتحل معها، حين وصوله إلى تماسين مكث بها مدة يدرس الفقه، ثم بعدها سافر لطلب العلم في جامع الزيتونة . بتونس، تلقى الشيخ شتى أصناف العلوم بالجامعة وتخرج منها بشهادة الأهلية العالية ومكث يدرس بها كأستاذ لعلوم الفقه والتصوف، وقد مكث بالزيتونة لمدة تزيد عن الـ17 سنة.

وبعد عودته إلى عين ماضي أسس بها مدرسة لتحفيظ القرآن، ثم أشرف على إعادة بناء المسجد العتيق، وفي عام 1948 كانت رحلته إلى افريقيا من أجل نشر تعاليم الإسلام فيها، فارتحل رفقة الشيخ الحاج بن عمر التجاني انطلاقا من المغرب، وقد جال في أكثر من 20 قطرا افريقيا كان يلقي خلالها الدروس باللغتين العربية والفرنسية، كما كانت له مناظرات مع القساوسة المسيحيين هناك، فقد دخل على يديه بفضل الله تعالى الآلاف من الأفارقة في الإسلام وقد طبع هناك كتابا باللغة الفرنسية اسمه "الإجابة الشافية"، وقد ترجم أيضا للغة الإنجليزية كما كانت تطبع جميع دروسه أحيانا بلغة أهل البلد، لكن القساوسة لما رأوا تأثيره الكبير هذا، استنجدوا بالفاتيكان ليطلب من فرنسا أن

---

[1]- مُحَمَّد العيد التيجاني، **رجال الطريقة التجانية رسل محبة وسلام وإحسان، الملتقى الدولي للإخوان التجانيين، 23-24-25 نوفمبر 2006، عين ماضي،** الأغواط . الجزائر، ص22 . طاهر ديدي، حصة زارتنا بركة ، يستضيف الأستاذ علي عبدالعزيز ، إذاعة الجزائر من الأغواط، تاريخ بثها في الإذاعة 19-04-2016.

[2]- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ سيدي أحمد التيجاني**، مرجع سابق، ص309 وما بعدها.

تأمره بالعودة إلى الجزائر وتضغط عليه، وهذا ما حدث فعلا، ففي عام 1951، أمرته فرنسا بأن يعود إلى الجزائر وطردته من تلك الأقطار، وقد دون الشيخ أحمد تفاصيل هذه الرحلة وغرائبها ومراحلها في كتاب أسماه **"زهرة الحدائق والبساتين في الرحلة إلى بلاد السوادين"**.

بعد عودته إلى الجزائر مكث بعين ماضي وكانت معها انطلاقة الثورة ، فانضم إلى المجاهدين وكان قاضيا للجبهة ويقوم بتزويد المجاهدين في الجبال بالمؤونة أيضا، فألقي عليه القبض وسجن لمدة تفوق السنة بسجن بربروس بالعاصمة، وعند انتهاء مدة السجن نفي للأغواط فمكث هناك مدرّسا، وأعيد للسجن مرة أخرى لمدة قصيرة وخرج لتفرض عليه الإقامة الجبرية في بيته.

بعد الاستقلال، عرضت عليه عدة مناصب عليا لكنه رفضها وعاد إلى عين ماضي واشتغل بالتدريس والتعليم وقد تخرّج على يديه العديد من الإطارات وكان دائم التّرحال بين تونس والمغرب وافريقيا ناشرا للعلم متفقّدا لأصحابه أحيل على التقاعد عام 1979 وتوفي في 26 ماي .1981.

15/أبو بكر بن أحمد الماضوي: هو الفقيه المحدث أبو بكر بن أحمد بن ميلود الماضوي، ولد خلال 1317هـ/1900م بعين ماضي، حيث حفظ بها القرءان وتعلم بها مبادئ العلوم، ثم انتقل إلى الغرب الجزائري حيث استقر هناك، أخذ عن الشيخ الدكالي علم الحديث، كما درس على يد الشيخ عمر بن السعدي ومُحَمَّد السكتاني علم الفقه واللغة، سكن وهران إلى أن توفي بها سنة 1944 وله آثار منها: منظومة في النحو من 400 بيت، ونظم مختصر الشيخ خليل في 4580 بيتا، وتعليقات على سنن أبي داود، وكتاب في العقيدة، وكلها مازالت مخطوط، وقد ذكره مُحَمَّد الباي بلعالم في رحلته.[1]

16/أحمد التيجاني عويسي: ولد سنة 1881 بعين ماضي بالأغواط، وهو ينتمي إلى قبيلة التجاجنة سكان عين ماضي الأصليين، حفظ القرآن بمسقط رأسه مع بعض المتون في النحو والفقه، التحق بالمدرسة الفرنسية حيث نال شهادة الابتدائية وأتم دراسته في العاصمة بالمدرسة الثعالبية، ليصبح باش عدل في كل من قسنطينة والجزائر، ومن ثم نفي إلى عين ماضي عند بداية الحرب العالمية الأولى وغداة زيارة الوزير المغربي الجباص للجزائر سنة 1915 اقترحت عليه الإدارة الفرنسية أحمد التيجاني عويسي كمترجم بغية إبعاده عن الجزائر فأخذه معه، وعين في إدارة الشؤون الشريفة بالرباط، قربه الملك المغربي

[1]- أبو مُحَمَّد سعيد هرماس، **طبقات المالكية خلال المائة سنة الهجرية الأخيرة**، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية، الجزائر، 2013، ص206. مُحَمَّد الباي بلعالم، **الرحلة العلية إلى منطقة توات**، دار هومة، الجزائر، 2005، ج2، ص465.

المولى يوسف وعينه مؤدبا للمولى إدريس والمولى الحسن وولي العهد مُحَمَّد الخامس، وقد أصبح عضوا بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونشر مقالات في جريدتي الشهاب والبصائر باسم أبو العباس أحمد الهاشمي، وقد تبرمت منه السلطات الاستعمارية ومن نشاطاته فأبعدته إلى مراكش ومن ثم إلى آسفي والدار البيضاء وأحيل إلى التقاعد سنة 1942، نال حظوة لدى مُحَمَّد الخامس بعد استقلال المغرب ورافقه في كثير من الجولات الخارجية ومما يؤثر عنه مشاركته في ترجمة معاني القرآن إلى الفرنسية، توفي سنة 1980.[1]

وفي ختام هذا الفصل فإن النتيجة التي نخلص إليها في حديثنا عن الطرق الصوفية في الأغواط، هو مدى تأثيرها في الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، بسبب كثرة الطرق وانتشارها بل وتأسيس بعضها في حدود منطقة الأغواط مثل (الدرقاوية الموساوية والتيجانية) ، وقد كانت الطرق الصوفية في فترة الاحتلال وقبل ظهور الحركة الاصلاحية هي الفاعل المحلي الوحيد في ميدان التعليم والتأليف والتربية، وقد طبعت الحياة الثقافية في المنطقة بطابعها الخاص، كما كانت علاقة الطرق في ما بينها غالبا علاقة ودية بسبب التداخل العائلي والقبلي الذي ميز منتسبي الطرق الصوفية، بل وانتساب بعض المريدين لأكثر من طريقة وتحقيقهم الصدارة والرئاسة فيها، وقد مارست الطرق الصوفية نشاطها ضمن الزوايا والكتاتيب والمساجد والأضرحة والمقامات، وقد انخرطت في المقاومة المسلحة أحيانا وانعزلت عن الفعل السياسي أحيانا أخرى، بينما أيدت بعض الطرق (القادرية كأوضح مثال) النهضة الثقافية و الحركة الاصلاحية في بدايات القرن العشرين، واحتضنتها ومولتها ودافعت عنها.

[1]- أبي عمر، **نبذة عن حياة الفقيه سي أحمد عويسي**، أعمال الملتقى الأول لاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الاغواط ، 14-16افريل 1998، ص150 وما بعدها. علالي، مرجع سابق، ص85-88.

الفصل الخامس:

التعليم الإصلاحي وأثره على منطقة الأغواط

المبحث الأول: جذور الفكر الإصلاحي في الأغواط

المبحث الثاني: الشيخ مبارك الميلي ونشاطه الإصلاحي في الأغواط

المبحث الثالث: زيارات العلماء للأغواط والبعثات العلمية الى خارجها واثرها في الحركة الثقافية

المبحث الرابع: مدرسة التربية و التعليم (1948-1958)

المبحث الخامس : أعلام الإصلاح و التعليم في الأغواط في النصف الأول من القرن العشرين

تعتبر الحركة الإصلاحية في الأغواط أحد المظاهر المهمة للحياة الثقافية فيها، فالميدان الأساسي للإصلاح هو الجانب الثقافي ابتداء وهو أيضا غايته الأساسية كذلك، ومنه فقد كان نشاط الحركة الإصلاحية في ميدان التعليم والتهذيب والصحافة والتأليف والدعوة والإرشاد العلمي والديني رافدا للحياة الثقافية ككل، وفي فترة من الفترات أصبح لفظ الإصلاحي علامة على المثقف، يشار إليه بالبنان ويتصدر المجالس ويكاد يتطابق الوصفان بسبب التأثير الكبير للحركة الإصلاحية على أجيال عديدة كانوا متعلمين في صفوفها ثم أصبحوا معلمين وأعلام لها، دون أن ننسى الحاضنة الاجتماعية التي حمت ومولت ودعمت هذه الحركة وشخوصها في الأغواط لأسباب مختلفة كما سنرى لاحقا.

المبحث الأول: جذور الفكر الإصلاحي في الأغواط:

يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله في وصفه لأحوال الجزائر في مطلع القرن العشرين " بينما لجأت الجزائر القديمة إلى الثورة لمعارضة الحكم الفرنسي لجأت الفتاة إلى النشاطات الاجتماعية، والثقافية لنفس الهدف و يوحي من النهضة خلف الجزائريون لأول مرة صحافة وطنية و نوادي جمعيات إصلاحية و نادوا بالتحرير عن طريق التعليم، وقد بدأوا لأول مرة أيضا يحاولون كتابة التاريخ أجدادهم ويبعثون الحياة في وثائق مغطاة بالغبار في لغتهم الوطنية و هكذا فقد شهد العقد الأول من هذا القرن نشاطات, حية قادها كل من المحافظين و النخبة[1] و إذا كانت بوادر ما ذكره الدكتور سعد الله نشأت في حواضر الشمال الجزائري ولا سيما في العاصمة وقسنطينة, فإن الحال لم تطل بالأغواط حتى تفاعلت معا المناخ الجديد و استجابت لمؤثرات النهضة في ميادين الثقافة و التعليم و السياسة.

[1]- مداني لبتر، مرجع سابق، ص 95-97. من الجدير بالذكر أن الفكرة الإصلاحية سبقت تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائر في الجزائر، لأن الفكرة هي التي قادت مجموعة ممن آنسوا في أنفسهم القدرة على تجاوز المؤسسات التقليدية (الزاوية والقبيلة)، ومن جهة أخرى أدى التوسع في الحركة الإصلاحية إلى تطور الفكر الإصلاحي أيضا، مما نجم عنه ظهور اختلافات وخلافات بسبب بعض المواقف السياسية والشخصية، إذ شهدت الحركة الإصلاحية وهي جمعية العلماء خروج بعض أقطابها مع بقائهم على نفس الفكر الإصلاحي مثل الطيب العقبي ومُحَّد السعيد الزاهري، ومُحَّد العاصمي. أنظر: نور الدين ثنيو، **إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2015، ص322.

أولا: ظروف نشأة الفكر الإصلاحي في الأغواط: كان الأغواطيون متعطشين إلى العلم، سيما العلوم العربية وذات الصلة بالهوية، وبالرغم من وجود عدة زوايا طرقية بالأغواط والتي فتحت أغلبها كتاتيب قرآنية حيث كان إقبال الأغواطيين عليها كبيرا، فكثر حفاظ القرآن الكريم في الأغواط، وانتشرت القراءة والكتابة في جمهور كبير من الأغواطيين، لكن هذه الكتاتيب اقتصرت على تدريس القرآن وبعض مبادئ الفقه، دون بقية العلوم، فبرزت الحاجة إلى مدرسة عربية عصرية، تماثل في طرقها المدارس الفرنسية.[1]

والجدير بالذكر هنا أن مرحلة العشرينات من القرن 20، كانت مرحلة التكوين التي ترعرعت فيها النزعة الإصلاحية بالجزائر، عبر هؤلاء المصلحين الذين نهلوا العلوم ومختلف المعارف في المشرق والزيتونة وفاس وبعضها في الجزائر، وصار لهم تصورا واضحا حول طبيعة الأزمات السياسية والدينية التي تمر بها البلاد، ومما زاد في انتشار هذه النزعة تلك الأحداث المتعلقة بفرنسا والحرب العالمية الأولى والتي ساهمت بشكل غير مباشر في توسع بؤر الإصلاح في مختلف أنحاء الجزائر، نتيجة سياسة التجنيد الإجباري وما أثارته من تفاعلات داخل المجتمع، وسياسة الإبعاد والنفي التي مارستها فرنسا ضد العلماء والمصلحين، وهو الأمر الذي نقف عليه في منطقة الأغواط، حيث ظهرت بها إرهاصات الحراك الإصلاحي بعد أن حلت بها بعض النخب الدينية والسياسية، مثل الشيخ عمر بن قدور الذي نفي إليها سنة 1914 مع بداية الحرب العالمية الأولى، وبقي فيها إلى غاية سنة 1920 تاريخ رجوعه إلى الجزائر، أين ترك أثرا لا بأس في التأسيس للنزعة الإصلاحية.[2]

لقد ساهمت عدة عوامل في ظهور الحركة الإصلاحية في الأغواط، ومن بينها موقعها في طريق القوافل التجارية والحجية وهو الأمر الذي ساعد عل مرور أو نزول الكثير من المثقفين بالمدينة، إلى جانب كونها مركزا إداريا ومنفى لكثير من الشخصيات العلمية والسياسية، فمرور هؤلاء الأعلام كان بلا

[1] – مُحَمَّد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص237.

[2] – محمود علالي، مرجع سابق، ص97. بلمبارك وآخرون، **مدرسة التربية والتعليم في ذكراها الخمسين 1948–1998**، د د ن، الأغواط، 1998، ص8.

شك يترك أثرا في نفوس الأغواطيين، دون أن ننسى ارتباط البيئة الصحراوية ببعض الخصال الحميدة مثل كرم الضيافة والنمط الاجتماعي المحافظ الذي لم يتأثر سلبا بالحضارة الاستعمارية الوافدة.[1]

ثانيا: نزول العلماء والمثقفين بالأغواط في الربع الأول من القرن العشرين: كان لنزول بعض المثقفين بالأغواط كما ذكرنا أهمية كبيرة في رفد الحركة العلمية والثقافية والسياسية في المدينة، وقد عُرف عن هؤلاء جميعا غيرتهم على المقومات والثوابت الوطنية والوقوف في وجه مختلف المحاولات الفرنسية التي كانت تسعى إلى بث الاختلاف والفرقة بين الأوساط المجتمعية في الأغواط، حيث عملوا على توحيد الشتات وتجاوز النعرات العروشية التي كان يذكيها الاستعمار، وبفضل جهودهم المبذولة في ميدان التربية والتعليم الإصلاحي تم إرساء اللبنة الأولى للحركة الإصلاحية في منطقة الأغواط[2]، ومن أهم من أقام في الأغواط نذكر ما يلي:

1/ الشيخ عمر بن قدور: ولد عمر بن قدور بالعاصمة حوالي 1886 في أسرة محافظة ومتواضعة ومتديّنة، فهو الصّحفي القدير والمفكّر الشّهير، وحرمت العائلة من أرض البور واستغلال ممتلكاتهم الغابية، دخل عمر الكتاب في سن مبكر، وحفظ ما تيسّر من القرآن الكريم، حرص والده على تمكينه من تعليم مبادئ اللغة العربية والفقه وتدريس معالم الدين الإسلامي، تهيأ للدارسة بالنقاء والطهارة إلى أن تضافرت جهود الأسرة ووفرت له الإمكانيات، حيث التحق بجامع الزيتونة قصد الحصول على العلوم والمعرفة، وهناك استفاد من النشاط الإعلامي والثقافي التي كانت تزخر به تونس، وبدأت خطواته الأولى في الكتابة مستعملا أعمدة "التقدم" واللواء والقاهرة والحضارة والتعرف بقضايا الشعب الجزائري، والتشهير بالتعذيب الاستعماري، كان لهذا العمل الفعّال تأثير بالغ في الرأي العام العربي على الإدارة الكولونيالية.

[1]- مُحَمَّد علي دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص237.

[2]- محمود علالي، مرجع سابق، ص99. ورنيقي، مرجع سابق، ص 60.

وقد نفي الشيخ إلى الأغواط سنة 1914م مع بداية الحرب العالمية الأولى وأغلق جريدته، وكان القرار أن ينتقل إلى منفاه مشياً على الأقدام 450 كم، وبالفعل انتقل وعندما وصل، وكان في حالة سيئة، سأله صحفي، فقال له :أنا مستعد إلى أكثر من هذا، وإلى أن أموت إن اقتضى الحال[1]، وقد "..نزل عند آل دهينة الكرام .."[2] وبقي فيها إلى غاية 1920م تاريخ عودته إلى مدينة الجزائر، وكان من أدباء الجزائر المصلحين الذين تركوا أثرا بليغا في الحركة الإصلاحية بالمنطقة، حيث استغل هذه الفرصة للدعوة والإصلاح والنهضة العلمية.[3]

وبعد عودته من منفاه أعاد بعث الجريدة من جديد في سنة 1924 وشارك مع مُحَّد بن بكير في إصدار جريدة الصديق، وقد اعتزل النشاط الصحفي ومال إلى العزلة والتصوف، قال عنه المؤرخ فليب دي طرازي في كتابة تاريخ الصحافة العربية: "يعدّ هذا الأديب من أكتب الصّحافيّين في المغرب الأوسط وأرقاهم وقد تلطف بنظم تقريظ شعري لكتابنا هذا نقابله عليه بالثناء الوافر وننشره بالافتخار...الخ "[4] كما كتب في جرائد كثيرة ومختلفة.

والملاحظ أن الشيخ عمر بن قدور قد قدم جهدا مبكرا في مجال النهضة والنشاط الإصلاحي سواء في مدينة الجزائر أو في مدينة الأغواط، لكن يبدو أن حالة الإحباط من المضايقات الفرنسية وقلة الإمكانيات وظروف الحرب العالمية كلها شكلت ارهاصات فاقت قدرة تحمله، رغم بروزه من جديد بعد الحرب العالمية وبعثه لجريدة الفاروق التي لم تعمر طويلا، وبدون شك فإن هذه الظروف كانت كفيلة بالحد من حيويته واستمرار نشاطه الإصلاحي، أما عن علاقته بالطريقة التيجانية التي يقال أنه انتسب إليها على يد المقدم مُحَّد بن التواتي الأغواطي، فإن هناك من يعزو ذلك للاحتماء بها من السلطات الفرنسية وليس من باب الانتماء والانتساب الروحي كما كانت عادة الكثير من الشيوخ، خاصة وأنه امتاز باليقظة الفكرية والسياسية والحماسة الصحفية وهاجم الاستعمار ومشاريعه التغريبية،

[1]- **مُحَّد العربي الزبيري، دور المثقف في توثيق العلاقات المغاربية**، ندوة الذكرى الخمسين لوفاة الشيخ محد الخضر حسين، موسوعة العمال الكاملة للشيخ مُحَّد الخضر حسين، ج: علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، 2010، ج15، ص202.

[2]- مُحَّد علي دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص245.

[3]- المصدر نفسه، والصفحة نفسها. الشايب ورنيقي، **ديوان**..، مرجع سابق، ص59.

[4]- فليب دي طرازي ، **تاريخ الصحافة العربية** ، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، 1914، ج 3، ص260.

كما عارض الخدمة العسكرية في صفوفه، واستهجن الجمود الفكري للمسلم، وغير ذلك من الأمور التي لا تمكنه من الانضواء بسهولة تحت لواء الطرقية[1].

أما عن ممارسة عمر بن قدور للتعليم في الأغواط فهي استجابة لدعوات أطلقها هو نفسه لإنشاء المدارس وتعليم الناشئة باعتبار التعليم "الناموس الطبيعي في ترقية الأمم وتطويرها" لأن نتيجة التعليم حسبه هي : الوعي الناضج بالقصور وتفش لسلوكيات أخلاقية واجتماعية، وهو يتحسر على حالة أطفال الجزائريين التي تتسم بعقول سخيفة وأخلاق فاسدة وعدم التمكن من الصناعات وكانت قناعته تشمل حتى البنات المسلمات باعتبار أن الشعب قد ناله من كوارث البدع ما ناله بسبب جهل المرأة المسلمة وأخلاقها الفاسدة.[2]

وعن قضية ارتباطه بالطريقة التيجانية بعد أن نفي إلى مدينة الأغواط، يذكر الأستاذ أبو القاسم سعد الله أن بعض الكتاب ذهبوا إلى أنه تحول إلى التصوف وانخرط في الطريقة التيجانية، ومعظم شيوخ الجزائر كانوا ينخرطون في الطرق الصوفية لحماية أنفسهم، لأن من لا شيخ له لا حماية له من سوط الإرهاب الاستعماري، ولم يكن انضمام بعضهم لها عن عقيدة راسخة فيها، وإنما عن تقية[3].

جدير بالذكر أن الهدوء السياسي الذي مهَد له اختفاء الثوران الشعبي بالمدينة قد دفع السلطات الاستعمارية إلى الاطمئنان من هذا الجانب،[4] وذلك باتخاذها من مدينة الأغواط مأوى لبعض المنفيين ثوارا كانوا أم سياسيين، حيث شهدت الأغواط عمليات نفي كثيرة قبل نفي عمر بن قدور وبعده، إذ نفي إليها سي الطيب ابن الثائر بوعمامة الذي وضع تحت الإقامة الجبرية بمدينة الأغواط بتاريخ 10 جويلية 1906م وكان رفقة ابن عمه الشيخ بوحفص وبقي هناك حتى أواخر جويلية 1907.[5]

---

[1]- أبو بكر الصديق حميدي، **قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية**، دار الهدى، الجزائر ، 2015، ص03.

[2]- ساحل عبد الحميد، **عمر بن قدور الجزائري رائد الصحافة الاصلاحية في الجزائر**، منشورات ANEP، الجزائر، 2016..

[3]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 05، ص 280- 281. دبوز، مصدر سابق، ج3، ص 245.

[4]- عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة 1881م- 1908م، الجزء الثاني – جانبها السياسي (1883م- 1908م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983م، ص17.

[5]- المرجع نفسه، ص 39-40.

2/ الشيخ مُحَمَّد العاصمي 1888-1951 : كان من المثقفين العصاميين، ولد بأولاد ابراهيم بنواحي بوسعادة، تخرج من زاوية الهامل[1]، ارتحل إلى جامع القرويين والزيتونة، ومن شيوخة أحمد الأمين بن عزوز، وهو إمام ومفتي الحنفية في مدينة الجزائر حيث عين مفتيا سنة 1944، ومؤسس جمعية الودادية لرجال الديانة الإسلامية، وهي جمعية تستمد العون والمشروعية من الإدارة الحاكمة وغير محسوبة على التيار الطرقي.[2]

وهو من بين العلماء الذين أقاموا في مدينة الأغواط عدة سنين وقد أتى إليها أثناء الحرب العالمية الأولى وكان يلقي دروسا في اللغة العربية في منزله الخاص سنة 1915م، وقد أبدى تفان وإخلاص في أداء مهمته التربوية مما جعله يحظى بمودة تلامذته فأحبوه وتعلقوا به وساروا على نهجه في ذلك وقد اتخذ زوجة من الأغواط ،[3] وعلى ما يبدو فقد استمرت علاقته بنخبة الأغواط حتى بعد عودته إلى العاصمة وهو ما توضحه رسالة الشيخ مبارك الميلي إلى أحمد توفيق المدني والمؤرخة ب: 1929/09/25 في سياق حديثه عن عمر دهينة ولقائه بالشيخ العاصمي بعد عودته من فرنسا وذلك سنة 1929[4]، كما توجد رسالة مؤرخة بـ 1929/04/30 تفيد بعزم الشيخ العاصمي زيارة الأغواط في عيد تلك السنة ويطلب الميلي من المدني أن يرسل معه كتبا سماها، ولا ندري هل قام العاصمي بزيارته تلك أم لا.[5]

وقد كان الشيخ مُحَمَّد العاصمي يراسل جريدة الإقدام وهو في الأغواط ويكتب بعض المقالات فيها، وله مقال بعنوان: " بماذا يكون النفوذ للأقوال والقائلين"، وقد وقع مقاله باسم: العاصمي مُحَمَّد المتطوع بنشر العلوم بالأغواط.[6]

---

[1]- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الطريقة الرحمانية ...**، مرجع سابق، ص 208.

[2]- نورالدين ثنيو، مرجع سابق، ص322. سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج 3، ص99-101. عادل نويهض، مرجع سابق، ص212.

[3]- دبوز، مصدر سابق، ج3، ص 246.علالي، مرجع سابق، ص 98. الشايب ورنيقي، مرجع سابق، ص59.

[4]- تحمل نهاية الرسالة عبارة غريبة وهي : " ..إن كان الشيخ العاصمي يذكر أن له ولدا فبشره بأنه ابتدأ في هذا الشهر القراءة بالمدرسة" ولا ندري هل يقصد الشيخ مبارك الميلي أن العاصمي قد ترك ولدا له بالأغواط؟؟. أنظر الرسالة في الملحق رقم: 18.

[5]- أنظر الملحق رقم: 19.

[6]- مُحَمَّد العاصمي، **بماذا يكون النفوذ للأقوال والقائلين**، جريدة الإقدام، ع29، 29 أفريل 1921، ص4، 5.

3/ الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي: ابن الشيخ مُحَّد الهاشمي بن ابراهيم بن أحمد الشريف، ولد بزاوية والده بقرية البياضة – وادي سوف – سنة 1898، تنحدر أصول أسرة الشريف من البوازيد و هي من القبائل العربية المنتشرة بين طولقة و بسكرة، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة حفظا جيدا، ثم غادر الوادي سنة 1913 ليلتحق بجامع الزيتونة المعمور بتونس ليزاول تعليمه هناك، إذ تحصل على شهادة التطويع في حياة والده بامتياز، فعاد إلى الوادي سنة 1923، فوجد والده قد أوقف زاوية عميش و فروعها على أولاده الثلاثة، و عند وفاته في شهر سبتمبر 1923، و كان عمره آنذاك حوالي 25 سنة ، وقد آلت مشيخة الزاوية إلى الأخ الأكبر عبد الرزاق و لكنه لم يعمر طويلا في هذا المنصب بسبب حالته الصحية المتدهورة، فتوفى بعد ثلاثة أشهر من تنصيبه على رأس الزاوية في شهر ديسمبر 1923، فتولى الشيخ عبد العزيز رئاسة مشيخة الزاوية القادرية في سوف مع ملحقاتها في كل من تقرت و بسكرة و سكيكدة و الجزائر العاصمة والأغواط وغيرها، ولتوجهاته الاصلاحية تقرب من جعية العلماء ثم انتخب عضوا بمكتبها الاداري عام 1937م ليعرف بعدها مشاكل مع الادارة انتهت بسجنه بسجن الكدية بقسنطينة من 1938م إلى بعد نهاية الحرب العالمية الثانية لموقفه من قانون 8 مارس 1938م .[1]

قام عبد العزيز الهاشمي بزيارة لإحدى فروع زاويته بالأغواط تنفيذا لوصية والده، وتلبية لرغبة الأغواطيين وشغفهم بإنشاء مدرسة عصرية عربية في منطقتهم، ولما رآه من حب الأغواطيين للعلم واستعدادهم الكبير للنهضة، عزم على مشاركتهم في تحقيق حلمهم الذي طالما راودهم، فطلب من أعضاء الجمعية الخيرية وأعيان الأغواط أن يقفوا إلى جانبه ويساعدوه في إنشائها على أن تكون نفقات بناء المدرسة من ماله الخاص، فاستقبل الأغواطيون طلبه بحماس كبير وانطلقت الأشغال بوتيرة متسارعة إلى أن تم بناء المدرسة وفتحت أبوابها في يوم 13 فيفري 1927، والتي كانت أول مدرسة عربية عصرية بالأغواط، وثالث مدرسة على المستوى الوطني بعد مدرستي قسنطينة وسيق.[2]

[1]– دبوز، مصدر سابق، ج3، ص248. علالي، مرجع سابق، ص100.

[2]– عبد الكريم بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى**، ط2، دار مداد، قسنطينة، 2009، ص107. دبوز، مصدر سابق، ج3، ص248. محمود علالي، مرجع سابق، ص101. أنظر الملحق رقم: 41.

4/ الشيخ مُحَّد السعيد الزاهري: صحفي، شاعر، كاتب، من رجال الحركة الاصلاحية. ولد الشيخ مُحَّد السعيد الزاهري في منطقة" ليانة" ببسكرة واختلف في تاريخ ميلاده، أما بالنسبة لمحمد العربي الزبيري فيقول بأنه ولد سنة 1899 م2 ،[1] ويقول صالح خرفي ولد السعيد الزاهري مع ميلاد هذا القرن أي القرن العشرين في سنة 1900 م[2]، وفي شهادة فوزي مصمودي فإنه يقول ولد في حدود 1899م5 [3] أما في شهادة ميلاده، المستخرجة من زريبة الوادي تثبت أنه ولد سنة 1901 .[4]

كان عنيفا في نقده للطرقية وهجومه على البدع، درس على الشيخ عبد الحميد بن باديس ثم بجامع الزيتونة بتونس، عالج كتابة القصة الى جانب المقال الاصلاحي وبعض المواضيع القومية. أصدر جريدة "الجزائر" سنة 1925 و" البرق " سنة 1927 و"الوفاق" سنة 1938 و"المغرب العربي" سنة 1947، له مقالات كثيرة في صحف المشرق لا سيما بالرسالة والمقتطف والفتح، من آثاره " الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير".[5]

ما أن وصلت أصداء النهضة العلمية و التعليمية التي أطلقها المصلحون حتى سارع أعيان الأغواط المتنورين إلى محاولة الأخذ بأسباب هذه النهضة فاستقدموا عن طريق الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي الذي استقدم الشيخ مُحَّد السعيد الزاهري ليؤسس لهم مدرسة التعليم أبنائهم و بناتهم و لكنه لم يبق بها إلا وقتا قصيرا.[6]

وكان الشيخ سعيد الزاهري أول من حظي بشرف التعليم في هذه المدرسة مباشرة بعد أن أنهى تعليمه في الزيتونة، ونظرا للكفاءة التي أظهرها في التدريس، سواء في القدرات العلمية والأدبية التي كان يكتسبها أو في المنهجية التي اتبعها في تلقين الدروس والتعامل مع تلاميذه، فقد كان الزاهري يدرس

---

[1]- العربي الزبيري، **المثقفون الجزائريون والثورة**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، 1955 ، ص 58.

[2]- صالح خرفي، **مُحَّد السعيد الزاهري**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986 ، ص(22

[3]- فوزي مصمودي، **أعلام من بسكرة**، الجمعية الخلدونية، بسكرة، الجزائر ، 2001 ، ج1 ، ص63 .

[4]- أحمد بلعجال، **الخطاب الإصلاحي عند السعيد الزاهري**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، جامعة منتوري، قسنطينة ، 2005-2006 م، ص 07 .

[5]- عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت ، لبنان، ط2، 1980 م، ج1، ص157

[6]- مُحَّد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص248. علالي، مرجع سابق، ص101. بلمبارك، مرجع سابق، ص08.

أبناء المدرسة إلى جانب القرآن الكريم مواد العربية مثل النحو والخط والتاريخ الإسلامي وبعض المحفوظات من الأدب، وبهذا فقد عرفت المدرسة اقبالا كبيرا من الطلبة الذين وصل عددهم لسبعين طالبا، بينما كانت أجرة الشيخ الزاهري تبلغ 250 فرنكا في كل شهر على نفقة الزاوية، وهو مبلغ معتبر آنذاك، وأمام هذا النجاح الملموس رأى السكان أن المدرسة بحاجة لمدرس آخر يشد أزر الشيخ سعيد ويتقاسم معه المهام التربوية والتعليمية، فأشار عليهم الشيخ عبد العزيز الهاشمي باستحضار الشيخ مبارك الميلي، وخلال زيارة هذا الأخير لمدينة الأغواط سنة 1926 كزائر ومراقب للجو السائد فيها، اغتنم السكان هذه الزيارة ليعرضوا عليه فكرة التدريس إلى جانب الشيخ الزاهري، فما كان منه إلا أن لبى هذه الدعوة[1].

أنشأ الزاهري مدرسة " الشبيبة القرآنية " لمقاومة الجهل المفروض على أطفال الجزائر بحكم سياسة المحتل ، ولبث فيها ستة أشهر كاملة يعلم الناشئة، ويعترف الزاهري بمشقة مثل هذا العمل في ظل الاحتلال الفرنسي فيقول : "فسافرت أنا في النصف الأخير من شوال 1344هـ إلى مدينة الأغواط بجنوب الجزائر مندوبا من بعض سراتها، فأنشأت بها (مدرسة الشبيبة القرآنية) بإعانة فضلائها واحتملت من العناء في هذا المشروع ما لا طاقة لي به لولا حب هذا الوطن البائس، وحدث لي ما اضطرني إلى السفر إلى بسكرة (مسقط رأسي) فخلفني – لحسن الحظ – على المدرسة أخ مصلح كريم دعوته لهذه المهمة، وهو الأستاذ الميلي"، [2] وقال أيضا: " ما كنت لأقوي على ترك هذا العمل الجليل بهذه البلدة الطيبة لولا أن أسبابا علمها عند الله وعندي لا غير قد اضطرتني إلى السفر إلى بسكرة، التي ظفر لي المقام بها بعد ذلك وأخرى لأني وجدت زميلي الشيخ مبارك الميلي يقدر أن يخلفني في إتمام ذلك العمل"[3].

ولم تقتصر الزيارات على من تم ذكرهم، بل نجد أسماء أخرى وإن لم تطل إقامتها في الأغواط مثل :

[1]– دبوز، مصدر سابق، ج3، ص 249، 251. علالي، مرجع سابق، ص101-102. مدني لبتر، مرجع سابق، ص80. ورنيقي، مرجع سابق، ص60.

[2]– مُحَمَّد السعيد الزاهري ، **الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير**، دار الكتب، الجزائر، 1983م، ص14.

[3]– مُحَمَّد السعيد الزاهري، **إلى بني الأغواط**، مجلة الشهاب، ع103، س، 30 جوان 1927، دار الغرب الإسلامي، لبنان، مج3، ص53.

5/ دحمان بن الساسي: قدم إلى مدينة الأغواط سنة 1919م، وكان قبل ذلك في القرارة وقد عايش بداية النهضة الإصلاحية بوادي ميزاب فلما وصل إلى الأغواط بدأ جهاده في إطارها.[1]

إضافة إلى وجود أعلام من الإباضيين في المنطقة، بسبب نفيهم أو سجنهم أو فرض الإقامة الجبرية عليهم من طرف الاستعمار أو بسبب تفضيلهم الإقامة في مدينة الأغواط، أو حتى المرور بالمدينة لطلب العلم أو التجارة،[2] وأيضا بسبب كون مدينة الأغواط مركز الإدارة العسكرية مثل:

6/ الشيخ عمر بن حمو بن باحمد بكلي : فقيه إباضي، نسابة، مشارك في علوم اللغة والحساب والفلك، من أهل بلدة العطف، وبها نشأ وتعلم، وأتم دراسته في بني يسقن، نفاه الفرنسيون سنة 1915 إلى سجن" تاعظيمت "ثم فرضوا عليه الإقامة الجبرية في الأغواط، وقد توفي سنة 1922[3].

7/ الشيخ مُحَمَّد بن يوسف أطفيش " قطب الأئمة": زار أطفيش الأغواط ضمن رحلته الحجية وقد دون رحلته في قصيدة شعرية، وقد تلقى هو ومرافقوه حفاوة بالغة، وهو اعتراف بمكانته العلمية والدينية والاجتماعية، كما وصف أهلها بالكرم، وقد اغتنم بعض الحاضرين فرصة وجوده لإلقاء بعض الأسئلة والاستفسارات عليه، فأجابهم القطب عن أسئلتهم،[4] وقد قال عن رحلته:

ومن بعد الأغواط أغواط من حضر * وشرق وقدما كان أهلها القرى

تسمى لأن أرضه بعضها سفل * وبعض علا والله يخلق ما يشا يرا

وفيها أتاني أهلها يسألونني * عن القصر أمن الكتاب له امطرا

---

[1]- مُحَمَّد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص244. علالي، مرجع سابق، ص98. ورنيقي، مرجع سابق، ص59.

[2]- للمزيد حول الوجود الإباضي في مدينة الأغواط أنظر:

Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat et ses merveilles**.., Op.Cit, p 555-556.

[3]- عادل نويهض، مرجع سابق، ج1، ص45. رابح خدوسي وآخرون، **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، منشورات الحضارة، بير توتة، الجزائرر، 2014، ج1، ص 336. حمو النوري، مرجع سابق، ج1، ص289-292. إبراهيم بحاز وآخرون، **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم المغرب الاسلامي**، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ج2، ص302-303.

[4]- مُحَمَّد بن يوسف أطفيش، مصدر سابق، ص51. يوسف بن بكير، مرجع سابق، ص146.

فقلت لهم من قول طه وفعله * وقولكم من النساء به ازدرى[1]

8/الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر: من بين العلماء الذين زاروا مدينة الأغواط إبان نهضتها الثقافية سنة 1920 الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر ، وكان مسافرا إلى الشمال فلما وصل إلى الأغواط وجد أذناب الحكومة الفرنسية في ميزاب، وشوا به وقالوا أن سفره لأغراض سياسية تضر فرنسا، ففرضت عليه الإقامة الجبرية بالأغواط مدة أسبوع، وقال الشيخ بيوض عن رجال النهضة بالأغواط بمقر السيد دهينة بن الحاج عيسى، ومتجر السيد أيوب عن الثقافة في الأغواط وكيفية مجابهة الاستعمار.[2]

9/ عبد الله بوكامل بليدي: ولد سنة 1856ببني يسجن غرداية، استقرّ للتّجارة في العاصمة، فتعرّف بكثير من الموظّفين الكبار في الولاية العامّة، وبالوالي العام نفسه، فكان يقضي بهم مصالحه في الولاية العامّة، ومصالح كلّ من يلتجئ إليه من معارفه أنشأ شركته سنة 1919 لنقل المسافرين و البضائع و البريد و كانت تضم حوالي 40 سيارة وله وكالات في كل من غرداية الاغواط و الجلفة أنشأ، واختار مدينة الاغواط لتكون نقطة انطلاق لأغلب خطوط شركته للنقل : بريان وغرداية جنوبا وأفلو شمال غرب و الجلفة شمالا و البرج شمال شرق و بسكرة شرقا، يقول الشيخ مُحَمَّد علي دبوز ":كان عمل السيد بوكامل و أبناؤه و عمل الميزابيين في الاغواط للنهضة يأتونه لله فيقومون به في سر و اخلاص لا يتبجحون و لا يمنون لأن الاغواط وطنهم و جيرانهم فلها عليهم حقوق الوطن و الجيران[3]".

ويقول السيد الحاج محمود قازي ":كانت للسيد بوكامل عبد الله الرجل ذي الثقافة العالية علاقات متينة مع السلطات المحلية لتلك الفترة و مع شخصيات جزائرية بارزة و معروفة نذكرها على سبيل المثال السادة : ابن جلول، ابن شيكو، طمزالي، الزواي، ابن ختو، العلماء كابن باديس و الطيب العقبي و البشير الابراهيمي و خاصة مبارك الميلي طيلة مكوثه بمدينة الاغواط، كان ممّن حمى الشّيخ مبارك الميلي أيّام جهاده في الأغواط، وأيّد الجمعية الخيرية عند نشأتها فيها عام 1339هـ/1920م،

[1]- مُحَمَّد بن يوسف أطفيش، مصدر سابق، ص64. للمزيد حول الشيخ أطفيش أنظر: عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص95 وما بعدها.

[2]- حمو النوري، مرجع سابق، ج1، ص68 وما بعدها. دبوز، مصدر سابق، ج3، ص241.

[3]- مُحَمَّد علي دبوز، **نهضة الجزائر..**، مرجع سابق، ج 3، ص240-241.

وشدّ أزرها بنفسه وماله، وكان بوكامل يضع سيارته تحت تصرف الشيخ مبارك الميلي في تنقلاته وسخر له مرافقا هو أحمد بن عبد الرحمان أحد مؤسسي الجمعية الخيرية.[1]

10/أيوب بن الحاج سعيد البليدي: الذي حل بالمدينة منذ 1909م، وقد كان مثقفا من أنصار الشيخ أطفيش وتلاميذه، ابتدأ تجارته في الأغواط سنة 1909 واستمر إلى غاية 1933، وكان منزله ناديا يقصده المصلحون والمثقفون من الأغواط ووادي ميزاب وكان محل ثقة من الأغواطيين وصديقا حميما للشيخ مبارك الميلي، حيث طالما جلس في دكانه ومنزله.[2]

وقد حل بالأغواط من علماء الإباضية كل من الحاج بكير العنق، وبالسعيد بن الحاج داود من القرارة، والناصر كروش من بريان وهم تلاميذ القطب أطفيش وأنصاره، ومن أركان النهضة الإصلاحية بوادي ميزاب،[3] وقد مر بالأغواط أيضا العالم الإباضي الليبي سليمان الباروني سنة 1914 في طريقه إلى وادي ميزاب، ولكن لا معلومات مفصلة حول هذا الموضوع، ولعل زيارته مرتبطة بحشد الدعم للجهاد الليبي لأن الباروني طلب المساعدة من الشيخ الهاشمي بن إبراهيم (شيخ الطريقة القادرية ووالد عبد العزيز الهاشمي سابق الذكر) وهو صاحب نفوذ كبير في الصحراء كلها بما فيها منطقة الأغواط ، وخصوصا إذا عرفنا أن بعض الأغواطيين قد شاركوا في الجهاد الليبي.[4]

ومن العلماء الذين نفوا إلى الأغواط في هذه الفترة:

11/ الشيخ عاشور الخنقي 1848 – 1929م وهو عاشور بن مُحَّد بن عبيد بن مُحَّد المسعودي، الهلالي النسب، الخنقي :بحاث، من العلماء، ولد في " خنقة سيدي ناجي "من قرى الزاب ببسكرة، ونشأ بقسنطينة، وتعلم بها وبنفطة بتونس، نفاه الفرنسيون الى منطقة الأغواط لأكثر من 15 سنة،

---

[1]- محمّد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج5، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص63. مُحَّد علي دبوز، **نهضة الجزائر**..، مرجع سابق، ج 3، ص240-241. إبراهيم بحاز وآخرون، مرجع سابق، ج2، ص269. يوسف بن بكير، مرجع سابق، ص182-183. أنظر أيضا:

Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat et ses merveilles**.., Op.Cit, p555-556.

[2]- دبوز، نهضة الجزائر..، مصدر سابق، ج3، ص239-240.

[3]- المصدر نفسه، ج3، ص239.

[4]- أبو القاسم سعد الله، **بحوث في التاريخ العربي الاسلامي**، دار الغرب الجزائري، 2003، ص405-406.

من آثاره " منار الأشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف" رد فيه على تعليقات صالح بن مهنا، وقد كان الخنقي رحمانيا خلوتيا.[1]

ثالثا: إنشاء الجمعية الخيرية سنة 1920: بدأت بوادر الحركة الإصلاحية بالظهور بمجرد وصول هؤلاء العلماء المصلحين والأدباء منذ بداية القرن العشرين، فقد تكللت أعمالهم المبذولة مع السكان في إنشاء جمعية خيرية سنة 1920م، والهدف منها الوقوف إلى جانب الفقراء والمعوزين ومساعدتهم، وقد كان رئيس هذه الجمعية الخيرية هو السيد حسين بن هدروق ميموني وكاتبها السيد الحسين بن الحاج عيسى دهينة، وأمين مالها السيد محمود بن عبد الله وأعضاؤها البارزين السادة: أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الرحمان، ودهينة بن الحاج عيسى ودحمان بن الساسي وغيرهم.[2]

ولعل العمل على إبانة مدى امتداد النزعة الإصلاحية في الأغواط وغيرها من المدن الجزائرية خلال عشرينات القرن الماضي، يجعلنا نقف عند السند السوسيولوجي لهذه النزعات التي لم يكن متجانسا بالضرورة، ذلك أن عددا كبيرا من العوامل والمقومات المتأرجحة والمتفاوتة كانت تتدخل في تحديد هذا الامتداد، حيث أن المعطيات المتنوعة كانت متغيرة من وحدة إصلاحية إلى أخرى، بحسب الظروف التي نشأت فيها وحسب التوزيع الجغرافي لساكنة هذه المدينة أو تلك، وحسب تنضيدها الاجتماعي ومستوياتها الثقافية وانتماءاتها التقليدية وحتى سوابقها التاريخية، بالإضافة إلى صداقات وكراهيات اللحظة وتأثيرات القوى المعنوية والروحية، دون أن ننسى تدخلات الإدارة المحلية في الشؤون الدينية عن طريق الأعوان الرسمين القيمين على الشأن الديني وغيرهم من الأعيان والقياد[3].

[1]- عادل نويهض، مرجع سابق، ج1، ص135-136. سعد الله، ج 8، ص75. عمار هلال، **العلماء الجزائريون**، مرجع سابق، ص63. عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص133.

[2]- مُحَمَّد علي دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص248. الشايب ورنيقي، **ديوان**..، مرجع سابق، ص50. علالي، مرجع سابق، ص98-99.

[3]- علي مراد، مصدر سابق، ص245.

المبحث الثاني: الشيخ مبارك الميلي ونشاطه الإصلاحي في الأغواط:

أولا التعريف بشخصية مبارك الميلي:

1/ المولد والنشأة والتعليم: ولد الشيخ مبارك الميلي الهلالي في سنة 1316هـ الموافق لـ 25 ماي 1898 بدوار أولاد مبروك من قرى بلدة ميلية بعمالة ولاية قسنطينة، من أسرة متوسطة تدعى عائلة الحاج رابح، فقد والديه وهو لا يزال صغيرا كفله جده الحاج رابح، وبعد وفاة جده كفله عماه سي علاوة وسي أحمد وأدخلاه كتاب القرية فحفظ القرآن وتعلم مبادئ الكتابة والقرآن الكريم عن الشيخ أحمد بن سي الأخضر ، فكان له أثر طيب في توجيه وتربية مبارك الميلي.[1]

انتقل بعد ذلك إلى مدرسة الشيخ مُحَمَّد الميلي بميلة، فتلقى فيها العلوم الإسلامية والعربية بين سنتي 1912- 1918 ثم التحق بمدرسة ابن باديس (الجامع الأخضر) بقسنطينة ومكث فيها سنة وتلقى العلم على يد شيخه ابن باديس، فكان من أنجب التلاميذ مما أدى إلى إعجاب أستاذه الذي أشار إليه بالذهاب إلى تونس والتحق بجامع الزيتونة حيث بقي هناك ما يقارب ثلاث سنوات إلى أن تحصل على شهادة التطويع ثم رجع إلى وطنه.[2]

2/ تجربة مبارك الميلي التعليمية قبل قدومه للأغواط: لقد كان المشروع الذي يحمله الشيخ مبارك الميلي بعد مغادرته تونس مختلفا تماما عما قام به داخل الوطن، فقد انضم مبارك الميلي إلى سلك التعليم لأنه المجال الوحيد المتاح آنذاك لخريجي الزيتونة، فكانت التجربة الأولى له كمعلم في المكتب العربي بقسنطينة "مكتب سيدي بومعزة" لمدة سنة أو ما يزيد، اجتهد خلالها لتكوين أحسن نموذج

---

[1]- عبد الرحمان حمادو، **مرجعيات جمعية العلماء المسلمين**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2016، ج1، ص 192. رابح خدوسي وآخرون، مرجع سابق ، ج 02، ص 649. أحمد توفيق المدني، **محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 84-85. دبوز، **نهضة الجزائر..**، مصدر سابق، ج3، ص254.

[2]-حمادو، مرجع سابق، ص 192.مُحَمَّد الحسن فضلاء، **المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر**، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ج1، ص468. مُحَمَّد الصالح الجابري، **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس**، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص46-48. أحمد عيساوي، **أعلام الإصلاح الاسلامي في الجزائر**، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، الجزائر، 2013 ، ص196-198. دبوز، **نهضة الجزائر..**، مصدر سابق، ج3، ص254.

للمدارس العربية،[1] وعلى الرغم من أن انطلاقة هذا المكتب التي كانت تبشِّر بمستقبل زاهر نظرا للجهود التي تقوم بها اللجنة المكلفة بتسييره، لكن ولأسباب مجهولة حصل فتور نسبي لحركة المكتب بغياب مستمر للتلاميذ، حاول خلالها الشيخ الميلي تشخيص الوضع أمام اللجنة وأمام أولياء التلاميذ في الاحتفالات المرتبطة بالمكتب الابتدائي، فقال" مضى على هذا المكتب أربع سنوات وهو بين المد والجزر، فإذا طغى عدد تلاميذه لا يبلغ نصف واحد من مائة بالنسبة لمجموع الأهالي".[2]

كان مبارك الميلي يرى أنَّه ومن الواجب عرض الحالة حتى يطلع كل من يهمه شأن التعليم العربي على الوضع الحقيقي، وبعد أنْ قدَّم المكتب وتحدث عن طبقاته الأربعة وما يميز كل واحدة منها عن الأخرى فيما تعلق بالمواد المدرَّسة ومدة تدريسها منتقدا الجوانب العلمية التعليمية خاصة الحجم الساعي بقوله" للإبن اليوم من أي طبقة كان بالمكتب ستّ ساعات كل أسبوع توزع عليها أنواع الدروس التي يتعاطاها...أمّا في المكتب الفرنسي فإنّه يتعاطى كل يوم من الساعات أكثر مما يتعاطاه بالمكتب العربي كلّ أسبوع، فإذا سبقت نتيجة المكتب العربي (ولا بد تسبقها) نسب ذلك إلى نقص بالأسلوب العربي إلى آخرِ ما أتى عليه من البيان".

لقد حمل الخِطاب اقتراحا وتنبيها للّجنة حتى تستدرك أخطاءها، لكنها لم تأخذ بعين الاعتبار ما تم طرحه، ضف إلى ذلك المشاكل التي تعاني منها مالية المكتب التي صرح بها الشيخ عبد الحميد بن باديس في امتحان نصف السنة وقال بضرورة تقديم المساعدة من ذوي الطاقة وجميع المثريّين وذوي الطاقة بالمساعدة والإعانة من أجل نجاح المشروع الجليل. [3]

---

[1]- أحمد توفيق المدني، **محاضرات**..، مصدر سابق، ص 86. علي بن الطاهر، **الشيخ مبارك الميلي جهود متميزة في الحركة الإصلاحية الوطنية** ، منشورات الرجاء، 2016، ص 94.

[2]- عيساوي، مرجع سابق، ج1، ص201. الحسن فضلاء، مرجع سابق، ج1، 468-469.

[3]- أحمد الرفاعي شرفي، **مقالات وآراء جمعية العلماء المسلمين، الإمام مبارك بن مُحَمَّد الميلي**، ط1، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2011، ج1، ص63-64. بن الطاهر، مرجع سابق، ص94.

ثانيا: قدوم الشيخ مبارك الميلي بالأغواط أسبابه وظروفه:

1/ أسباب قدوم مبارك الميلي إلى الأغواط: تختلف الروايات في أسباب ودواعي مغادرة الشيخ مبارك الميلي حاضرة قسنطينة قاصدا مدينة الأغواط وللغرض نفسه الذي سعى لإنشائه و المتمثل في تأسيس مدرسة للتعليم العربي الحر بمقاييس عصرية ويمكن إجمالها في ما يلي :

-فشل تجربة الشيخ مبارك الميلي في قسنطينة التي اعترض ظروفها حتى هذه الفترة نجاح مشروعه في إصلاح التعليم كما كان ينشده وهي المدينة الحضارية التي من المفروض أن تكون الوسط الأكثر استعدادا لتقبل مشروعه الحديث .

- دعوة عبد العزيز بن سي الهاشمي شيخ الطريقة القادرية له وهو زميله الزيتوني بوصية من والده عام 1922م[1]، خصوصا أن الشيخ سي عبد العزيز قد آمن بالفكرة الإصلاحية وانتمى إليها تنظيميا ولاقى في سبيلها الكثير من المعاناة جراء مواقفه الإصلاحية من قبل الإدارة الفرنسية حتى بلغت سجنه لحوالي ثمانية سنوات من 1938م إلى 1945م ،فضلا عن هذا فإن سي عبد العزيز قد زامل مبارك الميلي في فترة دراستهم بالزيتونة فيكون قد خبر قدراته العلمية ومنها التعليمية فتكون دعوته له من قبيل الاستفادة منه لصالح مؤسسته ،أو قد يكون أثناء تواجدهم بتونس قد تباحث موضوع وضعية التعليم العربي وسبيل تطويره كما يكون مبارك الميلي قد كاشف عبد العزيز على رغبته في تنفيذ مشروع تطوير وعصرنة مدرسة عربية حرة حين عودته الجزائر، وهو ما لاقى استحسان من قبله فعرض عليه وعد مساعدته وما إن وجد فرصة له لتقديم يد العون له حتى استدعاه[2]، "فكان الأستاذ

[1] _ أحمد صاري، **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصرة** ،المطبعة العربية ،غرداية ،الجزائر،2004،ص ص45_60. أحمد مريوش، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ج1، ص 326. أحمد شغار الثعالبي، **الشيخ مبارك الميلي وتشخيص أمراض الأمة**، أعمال الملتقى الأول الاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة لأغواط ، 14-16افريل 1998، ص156.

[2]- صاري أحمد، **مبارك الميلي ودوره في الحركة الإصلاحية في الجزائر**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد7، مارس2001، ص107.

الأعز سيدي عبد العزيز الهاشمي أعزه الله هو السبب في جلب الأستاذ المذكور (مبارك الميلي) ثم نهض أهل البلدة وأيدوا هذا المشروع المذكور"[1].

-عمل الشيخ ابن باديس باستراتيجية توسيع الإصلاح في الجزائر فوزع قادة فريقه على مختلف النواحي وكان خياره في مبارك الميلي لمنطقة الأغواط لنشر الفكر الإصلاحي، لقد وجه الشيخ عبد الحميد بن باديس الشيخ مبارك الميلي إلى الأغواط إدراكا منه لعلمه، ولأن هذا البلد أحوج ما يكون للنهوض به، فاستجاب مبارك الميلي لدعوة أستاذه وأهل المنطقة وتوجه إلى الأغواط خلال سنة 1926م ورحب به الأغواطيون شبابا وكهولا وشيوخا، فأكرموه وأحبهم وأحبوه. [2].

2/ ظروف قدوم الشيخ مبارك الميلي إلى الأغواط: نشرت جريدة النجاح خبر وصول المعلم الميلي إليها "وردت علينا رسالة من الأغواط بوصول الشيخ مبارك إليها في شهر أوت سنة 1926، وقتها كان الوضع ملائم لحضور الشيخ لأن أهالي الاغواط في حاجة إلى معلم يشرف على تلقين العلوم لأبنائهم" بعد مغادرة الأستاذ مُحَّد السعيد الزاهري للمدرسة -دون معرفة بالأسباب فقد ذكر في إحدى المناسبات قبل مغادرته في عدد من الشهاب أن الأسباب لا تتعدَّى من أن تكون شخصية وأنها تبقى بينه وبين نفسه- فلم يجد الأغواطيون معلما أكفأ منه للاضطلاع بهاته المهمة[3].

ولم تكن مهمته التعليمية صعبة ، لأن العقول كانت مهيأة ومتحمسة للتعليم العربي، فعكف على تلقينهم مختلف العلوم التي سبق وأن درسها زميله الزاهري، وأضاف عليها مادة التاريخ، ونظرا للنمط الجديد والعصري، الذي أدخله الميلي على المدرسة العربية والذي استهوى أبناء المنطقة، فقد راح أولياء التلاميذ وأعيان المنطقة يكرمونه ويذللون له الصعاب ويساعدونه على أداء مهامه، وبذلك

---

[1]- مكاتبكم بالأغواط، **حوادث داخلية : الأغواط**، النجاح، ع 478، س 8، 7أوت 1927، ص 2. دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص251.

[2] _محمد الحسن فضلاء، مرجع سابق، ج1 ، ص469. أحمد صاري ، **مبارك الميلي**، مرجع سابق ،ص36. مُحَّد الصالح الجابري، **التواصل**، مرجع سابق، ص67-68. دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص256. الثعالبي، مرجع سابق، ص155.

[3]- عبداللطيف عبادة، **دراسة في فكر الشيخ مبارك الميلي**، ط1، الأصالة للنشر والتوزيع، 2015، ص16. دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص251.

توطدت العلاقة بينه وبين الأهالي وتوسعت دائرة نشاطه التربوي حتى خارج المدرسة[1]، ونظرا لسمعته ومكانته الطيبة بالوسط الأغواطي فقد خصص له مبلغ مالي معتبر كراتب شهري وحسب بعض المصادر فإنه كان يتقاضى سبعمائة فرنك فرنسي (700 فرنك) في الشهر، وهو أجر مرتفع جدا مقارنة بالمرتبات التي كانت يتقاضاها الموظفون والمعلمون في المدارس الأخرى، حيث كان راتب المدرس لا يتعدى آنذاك ثلاثمائة فرنك[2].

ويبدو أن أرضية الأغواط كانت مؤهلة جدا لاستقبال الوافد الجديد، وقد أشار الأستاذ مُحَمَّد السعيد الزاهري إلى هذه النقطة بقوله قائلا: "إنّ الأغواط أرض طيبة صالحة للعمل ولمْ أرَ كأبنائها في الذكاء وصفاء القريحة، ولا في الشَّوق الشديد إلى العلم، وليس قوم من الناس يحترمون العلم ويجلون العلماء مثل بني الأغواط"[3].

دخل الميلي الأغواط تحت تأييد الكثير ومعارضة البعض–من شكلوا خطرا عليه مستقبلا– ، فتكوّنت لديه قناعة بأن ترسيخ هذا المشروع ليس بالمهمة السهلة، وأدرك الأمر تمام الإدراك طيلة مدة تواجده بالأغواط منذ 1926 إلى سنة 1933م، نظرا لطبيعة النظام العسكري الذي تخضع له المناطق الجنوبية والمعروف بقوانينه القاسية مقارنة بليونتها في المناطق الشمالية، من جهة أخرى كانت المدينة مجالا لنفوذ الطريقة التيجانية (عين ماضي القريبة من المدينة) المعروفة بمعارضتِها للحركة الإصلاحية[4].

ومما تجدر الإشارة له في هذا السياق، أن هناك عوامل أخرى ساهمت في دفع وتكوين الحركة الإصلاحية لعدة سنوات تحت لواء الشيخ مبارك الميلي، وفي مقدمتها التباين والاختلاف الذي كان بين القوى الاجتماعية والمعنوية بالمنطقة، ذلك أن هذه الأخيرة طغت عليها لعبة التعارض القائمة على أسرتين قائدتين، الأولى من أصل حضري والثانية من أصل قبلي، إحداهما كانت حليفة للطريقة

[1]– أحمد توفيق المدني، **محاضرات**..، مصدر سابق، ص86. محمود علالي، مرجع سابق، ص 104. مُحَمَّد الحسن فضلاء، مصدر سابق، ج1، ص469.

[2]– أحمد صاري، مرجع سابق، ص 108. دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص256.

[3]– مُحَمَّد سعيد الزاهري ، **إلى بني الأغواط**..، مصدر سابق، ص51 . أحمد قصيبة، **حياة رجل الإرادة مبارك الميلي 1899–1945**، البصائر، ع 26، سل 2، 08 مارس 1948، ص2–3.

[4]– صاري أحمد، **مبارك الميلي ودوره في الحركة الإصلاحية في الجزائر**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد7، مارس2001، ص107.

التيجانية القوية بالمنطقة، والثانية شعرت أن نفوذها زعزعته السلطة المعنوية للتيجانية، ومن الوجهة الدينية فقد كانت ساكنة الأغواط تنقسم إلى نزعتين متعارضتين تمثلت الأولى في أولاد سرغين الذين كانوا من أتباع التيجانية، والثانية مثلها الأحلاف الذين كانوا من أتباع القادرية، وعند الوقوف على مدى حدة التنافس بين هاذين النزعتين ندرك لماذا وجدت الحركة الإصلاحية أول حلفائها في القادرية الذين كانوا يعارضون المرابطية المتمثلة في التيجانية[1].

إن وجود أسرتين متنافستين لقادة أهليين تفرق بينهم التّقاليد ويجمع بينهم الطّموح للسلطة، أفسح للشيخ مبارك الميلي مجالا للتموقع المفيد لحركته، فكان الشيخ ميًالا أسرة بن فرحات قادة الأرباع، وعلى رأسهم الخليفة جلول الذي مثل الخيط الرفيع بينه وبين الإدارة الفرنسية، ومثّل له الحماية من عداء الطريقة التيجانية حتى يقوم بالمشروع الإصلاحي بنوع من الأريحية، كما يمكن تفسير الدعم الذي قدمته بعض الأسر القايدية الأخرى، لحركة الشيخ مبارك الميلي على أنه يدخل في إطار تأكيد قوتها والإبانة على رحابة صدرها في المجال الجغرافي والمعترك السياسي، ، وليس من باب الحماس الديني أو من باب الاختيار المعقلن للحركة الإصلاحية، فهي كانت شديدة الحرص على الصيت وسياسة الإرضاء، نظرا للقدرة التي كانت تتمتَّع بها على حماية كل من يريد الانضواء تحت رايتها، مع ضمان نوع من اللاّعقاب على زبائنها، خاصة وأنها هي الأخرى كانت منافسة للطريقة التيجانية وكانت فخورة بانطوائها تحت نطاق الخليفة جلول أحد أبرز الشخصيات المؤثرة في المنطقة والمتمتعة بالحماية من قبل الإدارة الفرنسية، هذا ما جعل الشيخ الميلي ينشط وبشكل مكثف تحت حمايتها.[2]

إلى جانب تعاطف الشبان المتحمسين للتَّقدم، المعارِضين للأحكام المسبقة الاجتماعية والأخلاقية للجيل القديم، الراغبين في التّخلص من التقاليد المنافية للتّجديد، واشترك معهم في الرأي من يصفهم الأستاذ علي مرّاد بالمستمِعون الأحرار الذي اعتبروا أنّ الفكر الإصلاحي يحمل في جعبته الحداثة والإنفتاح، هاته المبادئ التي تصطدم وتقاليد الحركة المرابطِيّة التي تقودها الجمعيات الدينية القديمة

[1]-محمّد علي مراد، ، مصدر سابق، ص244.

[2]- علي مراد، مرجع سابق، ص 244-245. عيساوي، مرجع سابق، ج1، ص201.

وخاصة القادرية المعادية للتّرقية الاجتماعية بشكل أو بآخر، إذا كانت هاته العوامل من تسببت في خلق الظرف المناسب لتطور الدعاية الإصلاحية بقيادة الميلي في الجنوب.[1]

ومن الدلائل الجلية على اعتناق أهل الأغواط للفكرة الإصلاحية وتبنيهم لها ودفاعهم عنها هو مساهماتهم المالية لرفد الحركة الإصلاحية وجمعية العلماء المسلمين، حيث جاءت مساهمة شعبة الأغواط في مالية جمعية العلماء في المرتبة الخامسة (2235 فرنك) بعد كل من بريكة (3010 فرنك) وقسنطينة (5485 فرنك) والمدية (3370 فرنك) والجزائر العاصمة (8020 فرنك)، وجاءت الأغواط متقدمة على كل من تلمسان (1950 فرنك) وتبسة (1250 فرنك) وغيرها من قلاع الإصلاح في الجزائر، وذلك في تقرير الحسابات لسنة 1965.[2]

ومن جهته فإن الشيخ مبارك الميلي قد طاب له المقام في الأغواط طيلة سنوات مكوثه في فيها، فقد تزوج بها ابنة شيخه مُحَمَّد الميلي حيث جاء بها من ميلة وولد له ابنه البكر مُحَمَّد فيها، وكان مبارك الميلي يحب الأغواط وأسف لفراقها بعد ذلك.[3]

ثالثا: التعليم المسجدي للشيخ مبارك الميلي داخل وخارج الأغواط: كان الشيخ الميلي لا يمل من الدعوة إلى الخير، فبالإضافة إلى ما يقوم به في المدرسة نهارا، تجده يكثر من الدروس الليلية خمس ليال في الأسبوع، بمسجد الأحلاف أو الخليفة أولا، ثم انتقل إلى المسجد العتيق يعظ العامة ويرشدهم ويلقي دروسا في الفقه والتفسير والسيرة والحديث والأخلاق، وزاد الإقبال على حلقاته التي كان يركز فيها على دروس التفسير لأن لها تأثير كبير عليهم، لا سيما تفسير السور المكية والمسائل الاعتقادية.[4]

---

[1]- علي مراد، مرجع سابق، ص 247. دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص252-253.

[2]- مُحَمَّد البشير الإبراهيمي وآخرون، **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام نادي الترقي بالجزائر 1354هـ/1935** م، تق مُحَمَّد الهادي الحسني، دار كردادة للنشر والتوزيع، 2014، ص97-98.

[3]- دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص264.

[4]- بسام العسلي، **سلسلة جهاد الشعب الجزائري**، دار النفائس، لبنان، ط 2 ، 1983 م، ج7، ص160. بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص119.

بادر الميلي حين وصوله دروس الوعظ والارشاد التي كان يلقيها في المسجد الجيلالي التابع للزاوية القادرية والتي أعد له مقدمها محل خاص به لإقامته[1] ، وبفضل طريقته في الدعوة إلى الدين فبدأ الأغواطيون يرتادون المسجد إلى درجة اضطر الميلي إلى الانتقال إلى الجامع العتيق الأكثر اتساعا، كان يلقي درسا على العامة في كل ليلة بعد صلاة العشاء ماعدا ليلة يوم العطلة الأسبوعية، وكان الجامع العتيق يتوسط الأغواط وكان له مقام كبير في القلوب التاريخية وقدمه، وكان يمتلئ بالناس في وقت الدرس على سعته وكان للنساء قسم فيه، وكن يستمعن الدروس التي يقدمها الشيخ من وراء ستار، وكانت دروس الشيخ في الوعظ تقوم على القرآن والحديث، يختار آية لموضوعه أو حديث فيفسره ويطبقه على المجتمع، ويجعل الناس يشعرون أن الله يخاطبهم من خلال قرآنه فيعدهم ويوعدهم، فتخشع القلوب بذكر الله،[2] وقد كان يجتمع إليه الناس خمس ليال في الأسبوع، بعد أداء فريضة الصلاة لسماع دروس حول السيرة النبوية وحكايات عن الصحابة وعن شعراء العرب قبل الإسلام، كان يفي كل درس حقه من البيان الشافي يفهمه العام والخاص، تعمّد الإطناب في تفسير الحديث وثمنه بشواهد من القرآن، حتى يزيل من خلاله البدع وينصر به السنة فتبدلت به الطباع فكانت دعوته تحمل الخير دون كلل وملل منه[3].

كان أثناء دروسه يوجه أفكاره لإنماء الوعي الديني وبناء قاعدة من الجماهير الأغواطية تستوعب خطابه وأفكاره بطريقة ذكية لا تصدم الأعراف الطرقية المتفشية في عقول ساكنة الأغواط رغم أنها كانت محل موضوعاته، والحق إن الشيخ مبارك الميلي بعد مدة قصيرة من مباشرته دروسه قد وقف مراجعا لخطته و راسما خطة جديدة لبرنامجه التعليمي تتماشى و مستوى مستمعيه ويذكر تلميذه أبوبكر الأغواطي أن الشيخ عدل في أسلوبه الذي بدأه لأول وهلة لما راء فيه من صعوبة عند مرتدي درسه فنزل بأسلوبه إلى لغة سهلة و وأسلوب مبسط على عدم تنازله على المحتوى

[1] _ النجاح ،ع 347 ، 6 سبتمبر 1926، ص2. دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص260.

[2] –مُحَمَّد الحسن فضلاء، مصدر سابق، ج1، ص 469. دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص260.

[3] – أحمد توفيق المدني، **محاضرات**..، مصدر سابق، ص87. أحمد الغوالي، **الميلي كمعلم ومدرس**، جريدة البصائر، ع 27، سل 2، 15مارس1948، ص8. أنظر أيضا: علالي محمود، مرجع سابق، ص104. الحسن فضلاء، مرجع سابق، ج1، ص469. عيساوي، مرجع سابق، ج1، ص201.

والرسالة[1]،كما يذكر مراسل جريدة النجاح بالأغواط والذي يبدو أنه كان متابع حريص لأخبار الشيخ مبارك الميلي أنه اعتمد في دروسه شرح الأربعين النووية[2] ، ولعل إختياره للأربعين النووية لما كانت تحتويه أحاديثها من تنوع و شمول لمختلف جوانب الحياة وهو ما يسمح له بمعالجة مختلف المشاكل التي كان يلاحظها في واقع هذا المجتمع بطريقة شرعية وبذلك يجعل الناس يربطون واقعهم بدينهم .

والحق أن الشيخ مبارك الميلي قد أعطى لدروسه هذه جاذبية كبيرة بما تميز به أسلوبه البسيط وأمثلته المعاشة من واقعهم وعلمه الوافر ما أكسبه اهتمام ومتابعة أعداد كبيرة من الناس التي كانت تتزايد حتى ضاق بهم مسجد الزاوية وهو سبب انتقاله للمسجد العتيق لاتساع مساحته ورحابة فضاءه.[3]

كانت لهاته الدروس الأثر البالغ والتأثير المحفز للنفوس، فالتمسوا فيه نشوة الانتصار ولذة تعميم الدعوة الصادقة اللهجة، البالغة الحجة، الكفيلة بالذيوع والازدهار، فبأسلوبه تسمع للكلام ترتيلا، وللشرح تنقيبا وتحليلا ، لقد أدرك الشيخ الميلي وظيفة المسجد في التبليغ والتبشير وأكد على أن هذا الطريق ليس بالسهل وأنه محفوف بالأشواك، وأن الاجتهاد لتأدية رسالة الأحرار من خلال المسجد هي مسؤولية أهل العلم ممّن يجتنبون التماس الأعذار[4].

وعليه خاطب العامة واعظا ومرشدا هذب خلالها النفوس وركز فيها على دروس التفسير لأنها الأبلغ أثرا، ومرّر إليهم أفكارا تربوية تهذيبية تفيد الشخص والعامة لتحقيق الانضباط بأن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر واستدل في كلامه بآيات من الكتاب الحكيم، كما أكد على مضمون ما جاء فيها بتفسير جل المذاهب، وناقش جميع المسائل الاعتقادية، وحاول تحرير العقل من الاعتقادات المضلة، وكلف نفسه مهمة تطهير المعتقد من الخرافات التي أوردت أغلبية الأمة موارد السوء فاتسم كلامه بالمنطق، فحارب انتشار الجهال والمغفلين وإهمالهم لجلائل الأعمال، واهتمامهم بتوافه الأمور، كما تنبه للاتحاد الذي جمع بين الطرقية والاستعمار خدمة لمصالحهما على حساب المجتمع، وهذا

[1] _ أبوبكر بن القاسم الأغواطي، **عصامية الشيخ مبارك الميلي رحمه الله** ، البصائر ،ع26 ، سل 2، 8مارس 1948، ص7.

[2] _ مراسل جريدة النجاح بالأغواط ، **إختتام الأربعون النووية** ، النجاح ،ع 364 ، 5نوفمبر1926، ص3.

[3] – دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص261.

[4] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها. علالي محمود، مرجع سابق، ص104.بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص119.

يعتبر تشخيص من طرف المصلح للوضع عن قرب، تمكن خلالها من الإحاطة بأسباب التخلف والتراجع، واخطاره المستقبلية[1].

فكان لمؤسسة المسجد الدور الأكبر في نقل الوضع للفرد والعامة وهاته أهم ميزة له حسب ما زودنا بها الأستاذ علي دبوز، فعلى أساسها هاجم آفة الإلحاد التي بثتها المدارس الاستعمارية وندد بويلاتها على أصحابها، قد أفشى السلام بين المتناحرين المتباعدين ، انفتحت عيونهم على حقيقة الدين فتمسكوا به، ضف إلى ما ذكرناه عن نشاط الميلي التربوي من خلال المسجد أنه خاض طريقا لم يكن مفروشا بالورد فقد لاقى من الإعراض ما يفقده الصبر ومثالا على ذلك ما يرويه الشيخ أن أصحاب زاوية الهامل كان يصدّون الناس عن تفسيره للقرآن الكريم–لما كان يأتي من الاغواط إلى بوسعادة للوعظ ببعض مساجدها–قناعة منهم بعدم جدوى التفسير، فحاولوا أن يكونوا عائقا بينه وبين أذهان العامة لكنهم فشلوا، لوقوفه أمام مكرهم بشدة احتماله وقدرته عن كيفية استنباط الأحكام من القرآن ومن السنة النبوية، وبهذا نجح في محاربة الانحراف ووصف العلاج الدقيق للمجتمع بالتقرب لله وإلغاء فكرة وجود واسطة بين الحق والخلق في جلب المحبوب ودفع المكروه، حتى يتجنبوا الوقوع في الشرك فلا وسائط بين الله وبين خلقه، وأن ضمان الجنة لا يكون إلا بالإيمان الخالص والعمل الصالح في غير ابتداع، كل هاته الإرشادات وغيرها تم توجيهها في دروس قيمة إصلاحية تخدم العامة بالدرجة الأولى.[2]

والجدير بالإشارة أن الشيخ مبارك الميلي قد واصل دروسه في المسجد العتيق بنفس الروح والمقاصد وقد شملت التفسير والفقه والعقيدة والحديث والأخلاق[3] وكانت له مواضيع في محاربة الكسل وكل ما من شأنه فساد المجتمع ، لقد كان يرى أن توسيع فكرة الإصلاح وتوطينها يحتم استغلال كل المنابر وتفعيلها اتجاه هذه الغاية ولم تفوته دعوة قيادات الإصلاح للأغواط فزاره فيها الشيخ ابن باديس

[1]– مُحَمَّد الميلي، **الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني**، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2001،، ص 142. دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص261.بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص117-118.

[2]– عبد اللطيف عبادة، **دراسة في فكر الشيخ مبارك الميلي**، ط1، الأصالة للنشر والتوزيع، 2015،، ص57-58. بسام العسلي، مرجع سابق، ج7، ص162.

[3] _عبد الرحمن الجيلالي، **من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلي** ،مجلة الثقافة ،ع 80، ص 188_189.

والابراهيمي وكان للشيخ ابراهيم بيوض وقفة بها وهو جاره في ميدان الإصلاح بالجنوب الميزابي ،وقد كان لهؤلاء أثناء زيارتهم دروس ومحاضرات دعمت جهد الشيخ مبارك وزكت أفكاره. [1]

وعرف عنه كذلك أنه أثناء فترة تواجده بالأغواط لم يكن منعزلا فيها بل مد نشاطه إلى مختلف المناطق المجاورة فقصد بوسعادة التي درس بمساجدها ونفس الشيء فعله بالجلفة وآفلو وقد كانت غايته في هذا الجهد والمسعى التبشير بالإصلاح ونشر العلم ووعي الناس بحقائق الدين الصحيحة، عن طريق الإرشاد والتوجيه إلى العمل على هدي الكتاب والسنة، ومحاربة البدعة في الدين والعقيدة والتجافي عن الجهل والكسل والخمول. [2]

رابعا: إنشاء مدرسة الشبيبة:

1/ تجسيد الفكرة: طوال المدة التي قضاها مبارك الميلي في الأغواط بين ساكنتها مدرسا وإماما لم تضعف عنده فكرة إنشاء مدرسة عصرية ، بل كان يرى أن طموحه هذا يحتاج إلى التخطيط وتهيأت الناس له فالوضع الثقافي والوعي بأهمية التعلم والعلم ليست بالمستوى في هذا المجتمع حتى يقدم على تبني هذا النوع من الأعمال بحجم مشروعه ،ولعل الشيخ مبارك الميلي مازالت تجربته السابقة في قسنطينة حية في ذاكرته وعقله ، وقد كانت خطة الشيخ مبارك الميلي لأجل إيجاد فكرته ترجمة في الواقع بداية هو توجيه دروسه ومواعظه ومسامراته لتوعية الناس لأهمية العلم في حياة الأمم والمجتمعات والحث على البذل والتعاون على الخير بواسطة الدروس والمحاضرات وخطب المساجد و هو ما يتوجب تعليم الأبناء وقد كان يربط ذلك بشواهد من التاريخ والدين والواقع . [3]

زيادة عن هذا فإن مبارك الميلي قد اجتهد في جمع الطبقة المثقفة من الأغواطيين لمشاركته دعوة توعية أهليهم بشأن إقامة مدرسة عربية ،وقد استفاد من مسيرته المبكرة في الأغواط لإنشاء جماعة من حوله

---

[1] _ دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص262.محمد الحسن فضلاء، مرجع سابق ، ج1، ص469. عيساوي، ج1، ص202. بسام العسلي، مرجع سابق، ج7، ص162.

[2] _ مبارك الميلي، **رسالة الشرك**، مصدر سابق، ج1، ص71. محمد الحسن فضلاء ، المرجع نفسه ، والصفحة نفسها. بسام العسلي، مرجع سابق، ج7، ص160. دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص262-263.

[3] _ مُحَّد الحسن فضلاء، ج1، ص470. أحمد توفيق المدني، **مذكرات أحمد توفيق المدني**، ج4، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص147-148. بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص 119.

تنهض معه بمختلف مشاريع الإصلاح ، ذلك أن فكرة العمل الجماعي فكرة ليست غريبة عنه وهو تلميذ ابن باديس الذي كون فريقه على التنظيم والجماعة وكان يراهما جوهر نجاح المشروعات ، فمبارك الميلي قد أمن بها وعمل على تمثلها في الواقع وعن هذا يقول تلميذه أحمد قصيبة :"...كان اجتماعيا يرى أن عمله لا يتم له معنى إلا مع عمل غيره ولا تحصل النتيجة العظمى للعامليين أمثاله بانفرادهم إلا بضم الجهود وتوحيد المواجهة لكفاح الدائم "[1] ، ولما استقام الأمر للشيخ مبارك الميلي دعا إلى تأسيس جمعية تشرف على مدرسة لتعليم البنين والبنات.

بعد جهود مضنية في الدعوة إلى إقامة مدرسة عربية عصرية لتعليم الأبناء نجح الشيخ مبارك الميلي في إقناع ساكنة الأغواط بمشروعه هذا ،وهبوا بما يستطيعون من إمكانات مادية ومعنوية لتحقيق بناء مدرسة لتعليم أبناءهم، وما جاءت الشهر الأول من السنة الجديدة لعام 1927[2]م حتى صادقت الإدارة العسكرية على اللجنة الإدارية للمدرسة والتي تشكلت من الأسماء التالية أسماؤهم: دهينة بن الحاج عيسى رئيسا والحسين بن الحاج عيسى رئيسا كاتبا عـــاما، وعـطاالله بوعامر أمينا للمـــــال والطاهر بن الحاج الطاهر وأحمد بن عبد الرحمان عضوين مساعدين ، بينما خص الشيخ مبارك الميلي بإدارة الشؤون التربوية والبيداغوجية، وقد سميت باسم: "مدرسة الشبيبة".[3]

جاء في جريدة النجاح ما يفيد بكيفية تأسيس المدرسة: " ومن دعاة تأسيسه ثلث من الرجال المخلصين وعلى رأسهم الشيخ القاضي أحمد بن إسماعيل الذي كان يدافع عن هاته الفكرة بحماس زائد قبل سنتين من هذا التاريخ -1925-، إلى جانب الأستاذ مُحَمَّد الدخلي(الترجمان الشرعي)"، وقد دأبت هذه الجماعة على إنجاح المشروع وتثبيت أركانه ليُبنَى على دعائم راسية بعد أن رفعت الاكتتاب لتأسيسه[4].

[1] _أحمد قصيبة ، **رجل الإرادة..**، مصدر سابق ، ص3.

[2] _مبارك الميلي ، **مقدمة رسالة الشرك** ، مصدر سابق ، ص5.

[3] _ أحمد بوشمال، **الاحتفال بافتتاح مكتب عربي بالأغواط** ، الشهاب ،العدد 58، مج 2 ، س 2 ، 24 فيفري 1927، ص14_17. دبوز، **نهضة الجزائر..**، مصدر سابق، ج3، ص259-260.

[4]- النجاح، ع 412، السنة السابعة، فيفري 1927، ص3. أنظر أيضا: أحمد بوشمال، مصدر سابق، ص15.

وتم إقامة الاحتفال الشائق للمدرسة الأهلية العربية والمتعلق بكمال تأسيسها-فيفري 1927-، والذي أشرفت على تنظيمه اللجنة المكونة من السادة المذكورة أسماؤهم والتي نسبت لهم مهام وزعت كالآتي الرئاسة للحسين هدروق (تاجر) وعُين دهينة بن الحاج عيسى (تاجر) نائبا له، أما مهمة الكاتب العام فهي لـ الحسين بن الحاج عيسى ، وعطاء الله بوعامر أمين ماليتها، وأعضاء مساعدين الطّاهر بن الحاج الطّاهر، وأحمد بن عبد الرحمان-، وكلفت هاته اللجنة سابقا بالدعوة إلى عقد الاحتفال المذكور والتحضير له على أكمل وجه[1]، وقد بادرت هذه اللجنة إلى تنظيم احتفال افتتاح المدرسة والذي تم في جو من الفرحة حضرته شخصيات إدارية وعلمية و الوجهاء الاجتماعيين من سكان الاغواط ، وقد توالت الكلمات والتي كانت كلها تنوه بالمجهودات والإنجاز داعين إلى المزيد من تقديم يد العون للمدرسة وفي خطاب الشيخ مبارك بين غاية المشروع وفائدته في تمدين الأهالي [2].

من جهة أخرى قامت الطائفة الإصلاحية بلوازم المكتب وسجلت نفسها رسميا بذلك لمدّة ثلاث سنوات، تمت مباركة اختيار الرجل المناسب في نظرهم للنهوض بالعمل الجليل (التعليم) لحاجة المنطقة إليه كمصلح عالم بالشريعة وأصول الدين، وليُعيَّن معلما بها، بعد الثناء الذي خصّه به الشيخ جلول وأوصى الناس به خيرا قائلا أنّه رجل عظيم وستكون ثمرته عظيمة عندما تتشقف أفكار فلذات أكبادكم وأوصاه خيرا"[3].

وقد قيل هذا الكلام بحضور الشيخ الميلي لحفلة الافتتاح، والذي شارك بدوره خطابا وضّح من خلاله غاية هذا المشروع لما فيه من مساعدة لتعميم المدنية بين الأهالي، كما أظهر استياؤه من أغنياء الأمة المعرِضين عن القيام بواجبهم بتعليم أبنائهم، ونُقل نص الخطاب كاملا ومفصّلا في الشّهاب بعنوان "نص خِطاب الأستاذ السلفي الشيخ مبارك الميلي" بيَّن فيه الغاية الشريفة من المشروع قائلا: "إنَّ غرضنا الوحيد أن نُكَون ناشئة مُهذّبة تعمل بالدين وتُعظِّم الوالدين وتحترم القوانين" وقد شارك السيد

[1]- أحمد بوشمال، مصدر سابق، ص16.

[2] _ المصدر نفسه، ص16-18.

[3]- نفسه، ص15.

عيسى الزهار رأي الميلي فيما يتعلق بغاية المدرسة وأضاف عليه بأن الحياة عادت بعودة اللغة العربية وأن علاج الأمة سيكون بعد تشخيص الداء (الجهل) وأسباب الضعف[1].

وقد وصف أبو زيد قصيبة وصوله إلى الأغواط قائلا: "وبانتقاله إليها انتقل من طور التحصيل والتحضير إلى طور العمل والتطبيق، واعتبرها الأغواطيون أنفسهم العصر الذهبي في تاريخهم الحديث، بل من أجمل وأزهر ماعرفوه من العهود" وإذا كان هذا الحال بالنسبة لأهل المدينة فحال الشيخ لم يكن بأقل منهم، فقد استفاد من وجوده فيها بأن اتسعت أمامه آفاق التفكير وميادين العمل وبرز نشاطه جليا في التدريس والتعليم[2].

كتب الأستاذ أبو بكر الأغواطي في البصائر حول عِصامية الشّيخ مبارك الميلي في التكوين والعمل والنجاح قائلا: "لقد أجْهد الشيخ نفسه في وضع أُسسه وتشييد صرحه، وعليه سُمّي بالمعلم العصري لاستحداثه الكثير في المدرسة الأغواطية أو ما سميت بمدرسة الشبيبة التي تأسست بعد الطّلب التي تقدم به الشيخ الميلي بفتح هاته المدرسة ويذكر ابنه أن الكومندان قد وجّه للشيخ حاكم ملحقة الأغواط التابعة لمنطقة غرداية العسكرية رخصة بفتح المدرسة، تحمل تاريخ 26 يناير 1927، وقد كتب في أسفلها الشيخ مبارك الميلي العبارة التالية"" أجبت عنه 28جانفي 1928م ، ووقّع الجملة بإمضاء "ابراهيمي".[3]

2/ إدارة الشيخ مبارك الميلي للمدرسة: نظر الشيخ مبارك الميلي للمدرسة فرصة لتطبيق نظريته في عصرنة التعليم العربي ، فانكب مباشرة على تنزيل إصلاحاته وتمثلها في الميدان ،فقسم المدرسة إلى ثلاثة أطوار راعي في هذا التقسيم مستويات التلاميذ ،كما أعد لكل طور برنامجه ومواده مراعيا القدرات العقلية لأعمارهم ،إضافة إلى وضعه كتب مدرسية لمختلف المواد والأطوار وقد يكون استعان ببعض الكتب المدرسية لمدارس الدول العربية والتي كان يرى فيها تحقق أهداف رؤيته التعليمية.[4]

---

[1]- الشهاب، ع 103، السنة الثالثة، 30جوان 1927.

[2]- سعيد بوزيان، **رواد الكفاح السياسي والإصلاحي1900-1954 (شخصيات بارزة في كفاح الجزائر1830-1962)**، دار الأمل للطباعة والنشر، ص174.

[3]- أبو بكر بن بلقاسم الأغواطي، **عصامية الشيخ مبارك الميلي**، مصدر سابق، ص07.

[4]- مُحَمَّد علي دبوز، **نهضة الجزائر..**، مصدر سابق، ج3، ص259.

وقد حدد الحجم الساعي للدراسة خلال اليوم والذي عينه بخمس ساعات موزعة على فترتين الفترة الصباحية من الساعة الثامنة إلى الحادية عشر والفترة المسائية من الساعة الثانية إلى الرابعة مساءا كما خصص وقت بعد هذا الدوال للطلبة المنتظمين بالمدرسة الفرنسية [1]، وهذا الحجم الساعي بدوره قسمه إلى حصص لكل حصة مادة موزعا تدريها حسب طبيعتها الاستيعابية حيث فضل مواد الفهم في وضع الساعات المبكرة من الدارسة وساعات الحفظ في أخر التوقيت،[2]وبهذا النظام أصبح المعلم يقضي عشر ساعات في تدريس تلاميذه بالمدرسة الحرة، وأحال جل وقته لها، لكن هذا لا يعني أنّه لم يحترم برنامج التوقيت للمدارس الحكومية والكتاتيب بل أصبح متفرغا لتلاميذه أكثر من غيره[3] ، وعليه اعتبر الشيخ مبارك أن هاته المسؤولية منوطة به كمرشد، وأنه صاحب الدور في إدخال التغيير على البرنامج التعليمي وجعله جامعا لقراءة مبادئ القرآن والمبادئ العربية واللغة الفرنساوية، وتعيين أوقات لا يتزاحم بعضها بعضا لأنه يسعى في ذلك إلى إحياء الأمة[4].

وكان تلاميذ المدرسة العربية ينقسم إلى صنفين، تلاميذ لا يدرسون إلا في هذه المدرسة أي لا يذهبون إلى المدرسة الفرنسية،[5]حيث كانت بالأغواط ثلاث مدارس ابتدائية فرنسية، فهذا الصنف من التلاميذ لم يسعفهم الحظ للالتحاق بها أو لأن أوليائهم كانوا يخشون عليهم من أن يجردوا من عروبتهم وتمسخ عقولهم، ولكن بعد أن فتحت المدرسة العصرية العربية بالمدينة تسارعوا إلى ضم أبنائهم إلى صفوفها، وكان هؤلاء التلاميذ يلازمون شيخهم صباحا ومساء، أما الفئة الثانية فهي التي حظيت بتكوين فرنسي في المدارس الفرنسية وعادت عليهم بفوائد مادية واجتماعية حيث تولوا فيما بعد وظائف إدارية في الجنوب، وهذه الفئة من التلاميذ وأوليائهم لم تتنكر لثقافتها العربية وقد كانوا يترددون على المدرسة مساءً بعد الخروج من المدارس الفرنسية، ما جعلها تستفيد من الجهتين، (الاستمرار مع الثقافة العربية، والكسب المادي والاجتماعي بعد الحصول على الشهادة الرسمية، كما يدرسون في أوقات العطل الأسبوعية (يوم الأحد والنصف الأول من الخميس) والعطل السنوية، ولا تتعطل مدرسته إلا

[1] _ محمد الحسن فضلاء، مرجع سابق ، ج1، ص 469.

[2]- علالي، مرجع سابق، ص112.

[3]- النجاح، العدد 186، 12ديسمبر1924، ص3.

[4]- دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص257-259.محمود علالي، مرجع سابق، ص112.

[5]- المصدر نفسه، ص 258. الحسن فضلاء، مرجع سابق، ج1، ص469.

يوم الجمعة وأيام الأعياد الإسلامية، ويستفيد التلاميذ من عطلة صيفية لمدة شهر واحد وهو أوت نظرا للحر الشديد الذي تشهده المناطق الجنوبية،[1] وقد بلغ عددهم حوالي سبعين تلميذا من بينهم ست فتيات، يقضي معهم الشيخ مبارك الميلي ما يقارب العشر ساعات يوميا.[2]

وكان الشيخ مبارك الميلي يلتقي بكل هؤلاء التلاميذ على اختلاف ظروفهم وأعمارهم، ويعلمهم رغم نقص الوسائل والمضايقات المتكررة التي كان يتعرض لها أثناء الحملات التفتيشية التي تقوم بها السلطات الفرنسية لكن ذلك لم يثن من إرادته بل كان يقبل على عمله بكل ارتياح[3].

أما ما تعلق بطريقة وأسلوب تعامله مع التلاميذ في مدرسته فيذكر ابنه مُحَمَّد الميلي رد الشيخ على رسالة وجهت له من الشيخ العربي التبسي فيها طلب لاطلاعه على ذاك الأسلوب في مقطع :"إذا وعدت فأنجز وإذا أوعدت فتغافل، وإن ذكرك أحد التلاميذ بالوعيد فنفذه مع إظهار كراهيتك لمن ذكرك"، لقد جمع الميلي بين اللين والحزم، وهذه هي صفات المربي الناجح[4].

ومن جانب أخر كان نجاح المدرسة قد لوحظ منذ البداية مما عزز الثقة بينها وبين محيطها الاجتماعي فتزايد عدد الملتحقين بها من الذكور والإناث[5] ولعل التحاق عنصر البنات بالمدرسة العربية يعد إنجاز باهر يسجل لمبارك الميلي في مسيرة مساهمته الإصلاحية والتطويرية للمدارس الإصلاحية لأنه حتى هذه الفترة كان المجتمع الجزائري المسلم يعرف حضور محتشم وبشكل يؤول إلى الانعدام في التحاق البنات بالتعليم حتى في المناطق الحضرية فما بالك بمنطقة كالأغواط المعروفة بطابعها البدوي ولعل هذا يعود إلى جهد الشيخ مبارك الميلي في ما أحدثه من تحول في ذهنية ساكنة الأغواط بفضل دعايته لتعليم المراءة.

نشير إلى نقطة مهمة وهي أنّ الشيخ الميلي اجتهد بقدر الإمكان على استغلال الفرصة أيما استغلال وبشكل إيجابي فيما يتعلق بالمتعلمين المقبلين على التكوين، خاصة وأن أعمارهم تسمح لهم

---

[1]- مُحَمَّد علي دبوز، **نهضة الجزائر**.. ، ج3، ص258، 264،.

[2]- بسام العسلي، مرجع سابق، ج7، ص160.

[3]- محمود علالي، مرجع سابق، ص 112.

[4]- مُحَمَّد الطاهر فضلاء، **دعائم النهضة الوطنية الجزائرية**، ط1، دار البعث، 1984، ص50.

[5] _ محمد الحسن فضلاء ، مرجع سابق ، ص470..

بتعلم القراءة والكتابة، ولأنه على يقين بأنّ الفائدة الجليلة تظهر على المتعلم إذا كان صبيا، فيتدرج بعد إتقان الكتابة والقراءة إلى مزاولة العلوم فله الوقت الكافي لها[1]، واعتبر هذا المنهاج في التلقين من الأساليب العصرية التي جعلت مدة الدراسة في مدرسة الشبيبة موزعة على خمس سنوات يتكفل فيها الشيخ مُحَمَّد بن علي بن عزوز بإعداد التلاميذ المبتدئين في السنوات الأولى والثانية، ثم يتدرج التلاميذ مدة ثلاث سنوات تحت إشراف الشيخ مبارك الذي يقوم بالتدريس والتقييم، وتعتبر هاته المرحلة كما ذكر الشيخ في مقاله حول ""المعلم"" ثمرات الغرس التي استهلك فيها المعلم نفسه وفقد فيها قوته، فعَسل العرفان الذي ينتجه المعلم في تلاميذه شفاء للناس، "ومن لم يجد ذاك العسل فليفتش عن علة الخيبة في زهره"[2]، وزيادة عن هذا فإن إنجازاته الجديدة مست عصرنة أثاث المدرسة من خلال اتخاذ السبورة والطاولات والكراسي عوض الحسير ،والدفاتر والأقلام بدل الألواح الخشبية والصمغ .[3]

3/ الطريقة البيداغوجية: يصف الشيخ أحمد قصيبة أستاذه الميلي " المعلم" بقوله: " كان رحمه الله قوي الإرادة ذا شجاعة أدبية متصلبا في الحق دقيق الملاحظة يحب العمل الدائم المتواصل يكره الكسل من تلاميذه أو زملائه وهو إلى ذلك كريم النفس فكاهي النكتة حسن المعاشرة حليما بشوشا محبا لتلاميذه فكان لا يقول لهم هل: فهمتم؟ بل يقول : أفهمنا؟[4]

أ) **التعليم:** اعتمد الشيخ مبارك أسلوبا بيداغوجيا حديثا استعمل فيه الاختصار والإيضاح والحوار فكانت طريقته في عرض الدرس تأخذ شكل السؤال والجواب متدرجا في إنتاج المعارف من البسيط إلى الصعب ومن الكل إلى الجزء ،وهي الطريقة الحديثة لإنماء ملكة التفكير وبناء العقل وفي مقال له في البصائر نبه إلى تجنب المعلمين حشوا أدمغة تلاميذهم بالمعارف والمعلومات دون اختبار فهمهم لها عن طريق السؤال :"..إنه لا يحسن به أن يهيئ دروسه ويسمعه تلاميذه من غير أن يختبر أفهامهم بتكرار سؤالهم ويستطلع اتجاههم بالإصغاء إلى أسئلتهم ..."[5] .

---

[1]- مبارك الميلي، **المعلم**، جريدة البصائر، ع125، س3، سل 1، 5 أوت 1938، ص6-7.

[2]- مبارك الميلي، **المعلم**، مصدر سابق، ص07. أبو بكر بن بلقاسم الأغواطي، **عصامية** ..، مصدر سابق، ص07.

[3]- دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص258.

[4]- أحمد قصيبة، **رجل الإرادة**..، مرجع سابق، ص8.

[5] _مبارك الميلي ، **المعلم** ، مرجع سابق، ص7.

أما عن طريقته في التدريس فكانت تتمحور حول التلقين بالدرجة الأولى، حيث روى أحد تلامذته للشيخ عبد الرحمان الجيلالي أنه " تراه يأتي فيجلس متربعا وليس بيده مطبوع ولا مخطوط، فيملي علينا، وتأتي طبقة بعدنا فيملى عليها، واملاؤه كله ارتجالي، وها يصعب على كثير ممن تعاطوا تدريس العلوم بالمعاهد الشمالية، يملي بالارتجال في النحو والصرف والفقه ومخارج الحروف والمنطق وشرح قصيدة السموأل على هذا المنوال، – قال– فتعجبنا وظن البعض منا أنه يحفظ ويأتي، وإذا بنا نراه تمادى على ذلك، ففهمنا أن الرجل أعجوبة زمانه ذكاء وذو فكر جبار وعبقريته نادرة قل أن تجد مثلها اليوم في غيره، وذو ملكة راسخة في جميع الفنون، – قال — وهذا أمر عجيب عاينته منه لم أشاهد نظيره في الجامع الأخضر ولا في الزيتونة .. إلخ... "، ومن هذا نعلم مبلغ غزارة الشيخ الميلي في علمه ومقدرته الكاملة التامة على التعليم[1].

ولم يكتف الشيخ مبارك بطريقة التلقين التقليدية، إذ أن التغيير الذي أدخله هو جعل التلاميذ ينقدون ما يتلقنونه من معارف وعدم تقبلها مباشرة دون الوقوف عليها ومناقشتها وتمحيصها، كما كان منهجه المعرفي ينطلق من قواعد المنهج السلفي التي تتلخص في تقديم الشرع على العقل واتباع السلف الصالح في الفهم والتفسير ورفض التأويل الكلامي والاستدلال بالآيات القرآنية، فنجده يتفرغ التفرغ التام لتلقين المعرفة على أكمل وجه ويتبع الأسلوب العصري لبلوغ المقصد فكان مثلا يكتب لتلاميذه جزءا من القرآن الكريم على اللوح الأسود، ويقوم بتفسيره تفسيرا وافيا يضمن من خلاله الفهم لمعانيه وسهولة استيعابه [2]، مع حرصه على توظيف الأساليب السهلة والميسرة بلغة فصيحة وبليغة سواء في المدرسة أو في المسجد بل وحتى في جلساته العادية، وكان يهدف إلى محاربة العامية، وقد طبق ما نادى به فيما يتعلق بها في مقالاته بالمنتقد. [3]

أما بالنسبة للعلوم التي كان يدرسها فإنها لم تختلف عمّا كان يقدمه الأستاذ الزاهري لتلاميذه (القراءة، الخط، مبادئ الفقه، مبادئ النحو،..)، إلى جانب تركيزه على التاريخ العربي الإسلامي، وقد ثمن

[1]– عبد الرحمن الجيلالي، **من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلي**، مجلة الثقافة، الجزائر: وزراة الثقافة، مارس 1984، ع 80، ص 193. عيساوي، مرجع سابق، ج1، ص207.

[2]– الشهاب، ع 13، س 1، 4فيفري1926.

[3]– مُحَمَّد الميلي، مصدر سابق، ص83.

الشيخ البرنامج التعليمي لسنوات التدريس بإعداد ملخصات للتلاميذ حسب درجاتهم، فقد زود هذا الأستاذ مدرسته بكل ما تحتاجه طبقاتها من كتب دراسية في مختلف العلوم العربية والدينية والمنطقية، فكتب دروسا للنّحو، وأخرى للصرف، وثالثة للتوحيد، ورابعة للفقه شرح بها المرشد المعين شرحا مدرسيا، وكتب اخيرا للطبقة النهائية في المدرسة المبادئ المنطقية وشرحا لقصيدة أبي طالب مطولا بشرحه للألفاظ الصعبة مع ذكر المعنى وما تحويه القصيدة من وقائع العرب، كما شرح أسلوب كاتبها، ولم ينته عند هذا الحد بل شمل ما جادت به قريحة الشرق من شعر لقيامه بشرح تطبيقي للقواعد العربية من خلال قصيدة غادة اليابان[1]، ونظرا للمنهاج العصري من حيث ضبط الحجم الساعي وتنظيم الفصول اعتبرت مدرسة الشبيبة من أولى المدارس العصرية النادرة في ذلك الوقت، فقد سمح لها نظامها بإجراء وتنظيم امتحانات الحصول على شهادة التعليم الإبتدائي في نهاية السنة الدراسية 1930 م[2].

ب)التربية الخلقية: من جهة أخرى سهر الشيخ مبارك الميلي على غرس الأخلاق والتربية والمعاملة المحترمة ،فكان الشيخ يعامل تلاميذه بلطف وتقدير كبيرين لم تعهد التربية التقليدية التي كانت تميل إلى القسوة والغلظة والفضاضة ،ولعل هذه التربية والتنشئة كان يراها ضرورية في أخلاق المسلم عامة والمربي خاصة الذي يعد قدوة ،إضافة إلى محاولة محو وتجاوز تصورات المعاملات الخاطئة سابقة الذكر الملتصقة بصورة المعلم التقليدي ويؤكد على المعلم أهمية الأخلاق فيقول : " وأي معلم لم ينتج تلاميذه عسل العرفان الذي فيه شفاء للناس فلا يرجع باللائمة ؛على نحلة وليفتش على علة الخيبة في زهرة وإنما هو بين أمرين أهونهما أن طريقته في التعليم عقيمة وأدهاهما أنه مصاب في أدبه مؤتزر بالأوزار وهذا الثاني يجب إبعاده وذاك يتعين إرشاده" [3]، كما كان يرى أن هذه المعاملة ضرورية لأثرها في تحبيب التلاميذ لمعلميهم ومدرستهم وهو ما من شأنه أن يزيد في رغبتهم وتشجيعهم على التحصيل والنجاح، ولأنه مربي قبل أن يكون مدرسا فإنه كان يراقب سلوك التلاميذ داخل الحرم المدرسي وخارجه، وإذا رأى أي اعوجاج إلا وسارع لإصلاحه لكونه محبا لفعل الخير.[4]

---

[1]- صاري أحمد، **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر** ...، المرجع السابق، ص39. دبوز، مصدر سابق، ج3، ص259.

[2]- سايح، **التعليم التعليم**، جريدة البلاغ، ع 208، س 5 ، 24أفريل 1931.

[3]_ مبارك الميلي ، **المعلم** ، مرجع سابق، ص7.

[4]- دبوز، **نهضة الجزائر**...، مصدر سابق، ج3، ص259.محمود علالي، مرجع السابق، ص 68-69.

ج)التربية الوطنية: ولتقوية حب الوطن لدى التلاميذ كان يلقنهم بعض الأناشيد ويستظهرها معهم في فترات معينة، كما زاد في تعليمه للتلاميذ مادة مهمة وهي تاريخ الجزائر، ويمكن أن نعلّق على أن إدراج مثل هاته الأخيرة في رزنامة البرنامج التعليمي لدليل قاطع على توجهات الشيخ الفكرية الوطنية.[1]

4/ نظام الامتحان: كان الشيخ مبارك جد حريصٍ على التعليم والتكوين الممتاز لطلبته، حيث عمد لتقييم الأعمال والإنجازات بالمدرسة قصد معرفة مدى التقدم الذي أحرزته لسنوات، ومن هنا فقد أدخل الشيخ على المدرسة نظام الامتحان كآلية للانتقال من مستوى لأخر وكشف مستوى التحصيل لدى طلاب المدرسة ،وقد جرب أول امتحان لتلاميذ المدرسة بعد ثلاثة سنوات من انطلاقتها ،تحت إشراف لجنة علمية حرة حتى يكون التقييم موضوعي ،وقد حضرته شخصيات علمية من المنطقة وأولياء التلاميذ ، كانت نتائجها مبهرة لما أظهره الطلاب من معارف ومستوى علمي ولغوي ما نال إعجاب وسرور اللجنة والحاضرين وفي هذا أوردت الشهاب ما يلي :أنشأت اللجنة ...واستمرت في استجواب التلاميذ مدة مديدة ...وفق التلاميذ في اجوبتهم، بل ومما أعجب به الجمهور الحاشد واللجنة ،سرعة الإجابة وطلاقة اللسان .. وقد سر أولياء التلاميذ وعموم الحضور بهذه النتيجة التي اسفر عنها الامتحان ولهجت الألسن بالثناء على ما بذله القائمون بالمشروع من المجهودات..."[2]، وفي مقدمتهم الشيخ مبارك الميلي، غير أن هذا الأخير كانت له نظرة مخالفة لهؤلاء، حيث خطب فيهم أثناء حفل التقييم مشيرا إلى أن النتائج لم ترق للمستوى المطلوب ولا يمكنه مشاركتهم في الاعجاب بهذه النتيجة، كما أشار إلى أن النتائج كان لها أن تكون أعظم لولا الدعايات المغرضة التي يقوم بإذاعتها أعداء الصالح العام منذ تأسيس المدرسة العربية[3]، ومن خلال هذا الكلام يبدو أن الشيخ مبارك الميلي كانت له أهدافا وطموحات أكبر للجعل من هذه المدرسة صرحا علميا نموذجيا يعبر بعمق عن صورة التعليم العربي في منطقة الأغواط وفي غيرها من مناطق الوطن.

[1]- دبوز، **نهضة الجزائر**...، مصدر سابق، ج3، ص257-259.

[2] _ جريدة الشهاب، **أثر الدعوة إلى إجراء الامتحانات في الكتاتيب العربية (الأغواط)**، جريدة الشهاب، السنة 6، نوفمبر 1930، مج6، ص 694_698.

[3]-المصدر نفسه، والصفحات نفسها. أمينة مطعم، مرجع سابق، ص 154.

5/ مدرسة الشبيبة بعد إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: بالرغم من العناية التي أبداها الشيخ مبارك الميلي لبث التعليم العربي في أنحاء القطر والسعي لترقيته على كيفية منتجة، فقد أبدى هذا الأخير تذمرا لغياب تكاتف الجهود وتقصير بعض الكتاتيب لدعم المشروع ليصبح شاملا[1]، واعتبر الأستاذ علي مرّاد أن دور مبارك الميلي في الاغواط هو تثمين للجهود، فقد قام بطبع حياة الواحة بعمق بأن استهوى الشبيبة وسعى لتبسيط المذهب الإصلاحي بتصميم نادر ونشْره في وسط تقليدي شديد الارتباط بالزوايا الطرقية، وهذا اعتراف تاريخي للمشروع الإصلاحي والثقافي الدؤوب الذي قام به الشيخ الميلي لمدة سبع سنوات، رسّخ خلالها البذرة الإصلاحية في مدينة الأغواط[2].

مع تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 مر التعليم الحر بمنعرج حاسم ، خاصة وان الجمعية قد أسّست وأشرفت على نشر وتطوير التعليم العربي الحر كما استطاعت توحيد المناهج وطرق التعليم، فقبلها كان التعليم يعاني من محدودية الدراسات (الدراسات الدينية واللغوية)، وبظهورها تغير الوضع بأن أدخلت اهتمامات أخرى تخدم العصر، وهذا ما تبناه الشيخ الميلي حينما أضاف التاريخ إلى جملة الدراسات المذكورة سلفا، والتي اعتبرتها جمعية العلماء المسلمين من مميزات التعليم الحديث الذي يقوم في أساسه على توحيد برنامج التعليم الذي يجب أن تسير عليه جميع المدارس الجزائرية. [3]

لم تكن مدرسة الأغواط بعيدة عن التطور الذي عرفه التعليم من ناحية البرامج والأساليب والكتب المدرسية والنّظم التعليمية التي أقامتها الجمعية، لأن النظام أصبح سائر المفعول على كل المدارس الحرة التي كانت تحت إشرافها، والتي عرفت تجارب مكّنتها من أن تقيّم العمل الإصلاحي في كل منطقة، وقد نزل الشيخ عبد الحميد بن باديس لتقييم التجربة الإصلاحية في الأغواط، فتهلّل سكان المنطقة بوجوده وعاين بنفسه الوضع وتحقق من أن المجتمع الأغواطي خاض غمار الإصلاح من خلال المشاركة الجماعية للكبير والصغير في بناء المدرسة والسّهر على نجاح مهمتها، ومباركة لمعلمها الشيخ

[1]- تركي رابح، **التعليم القومي والشخصية الوطنية**، ط1، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975، ص261.

[2]- النور، ع 38، س 1، 21 جوان 1932.

[3]- النور، ع 38، س 1، 21جوان1932.

مبارك الميلي، منقذ أبنائهم من براثن الجهل، وإن منهم بالأخص عشرة ونيفا قد حصلت لهم ملكة التفكير والبحث، وظهرت عليهم مخايل النبوغ.[1]

لقد عزم مبارك الميلي على النهوض والارتقاء بالمدرسة إلى أعلى مراتب لتكون اللبنة والنواة للتعليم العربي السوي في كافة أنحاء الوطن، سيما وأنه كان يرى أن تضييع الوقت في سفاسف الأمور جريمة لا تغتفر[2]، حتى أضحت مدرسة الشبيبة بالأغواط من المدارس العصرية النادرة في تلك الفترة، بحيث أصبحت تنظم فيها امتحانات الحصول على شهادة التعليم الابتدائي (C.E.P)، كما أصبحت تنظم الدخول ومواصلة التدريس بالجامع الأخضر بقسنطينة الذي كان يشرف عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس، والذي يحضر بدوره للدخول إلى جامع الزيتونة[3].

وقد كانت سمعة مدرسة الشبيبة في شخص مبارك الميلي موضع تقدير في المدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة، وذلك لما تميز به تلامذته من تفوق أثناء مواصلتهم لدراستهم العليا بها الأمر الذي جعل الشيخ ابن زكري مسؤول القسم العربي يقوم بزيارة للشيخ مبارك الميلي في أحد فنادق العاصمة معبرا له عن ذلك التقدير، وقد استطاع الشيخ مبارك الميلي خلال فترة تدريسه بمدينة الأغواط أن يبتعث مجموعة من طلبته إلى جامع الزيتونة عبر الجمعية الخيرية الإسلامية التي كان مشرفا عليها، والذين أضحوا فيما بعد من رجالات الإصلاح اللامعين لا في الأغواط فقط بل على المستوى الوطني.[4]

ويقول الأستاذ أحمد بن ذياب رحمه الله: "ولقينا –ونحن تلامذة– بتونس أبناء الشيخ مبارك من خريجي مدرسة الأغواط، فكنا نشيم في مخيلاتهم آيات جلال مربيهم ونلمح في قرائحهم آثار المقتدر الذي نور عقولهم، وصفى أذهانهم، فكنا نعجب بهم ونتمنى لو أتيح لنا أن نروي من الفيض الذي منه نهلوا".

---

[1]– النور، ع 39، س 1، 28جوان 1932. دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص259.

[2]– أمينة مطعم، مرجع سابق، ص 152. أنظر أيضا: قصيبة أحمد، **رجل الإرادة**، مرجع سابق، ص 3.

[3]– أمينة مطعم، مرجع سابق، ص 109.

[4]– أحمد صاري، مرجع سابق، ص 109.

اعتُبرت الشهادات التي أدلى بها تلاميذ الشيخ مبارك الميلي في ذكرى وفاته على صفحات البصائر اعترافا بفضل هاته الشخصية في بعث الثمار الطيبة في الجيل الذي تركه في الاغواط، والذي حمل رسالته وأداها على أكمل وجه فقد اعتنى هذا الأخير طوال فترة تواجده بها بتنمية ملكاتهم الإبداعية وتربية قدراتهم ومواهبهم، وقد حذوا نفس المنهج في العمل التعليمي وحسب أسلوبه التجديدي في مجال التربية والتعليم[1].

خامـــسا التأليف: كانت للشيخ مبارك الميلي مساهمة معتبرة في ميدان الكتابة والتأليف وهو مقيم بمدينة الأغواط، ومنها تلك التي كانت بجريدة الشهاب للشيخ عبد الحميد بن باديس، وكذلك بجريدة البصائر التي نشر بها سلسلة مقالات حول الشرك ومظاهره، والتي جمعت فيما بعد وطبعت في كتاب مستقل، هذه الرسائل التي تعتبر ألمع مساهمة للشيخ مبارك الميلي في ميدان العقيدة، وإن كانت موجهة بالدرجة الأولى إلى مقاومة البدع والضلالات التي كانت منشرة آنذاك بالأغواط وميلة.[2]

فرسالة الشرك ومظاهره تعد وجها آخرا من أوجه النشاط الإصلاحي للشيخ مبارك الميلي، والتي هدف من خلالها إلى محاربة الجمود عند الجزائريين والاجتهاد في الرجوع بهم إلى عقائد الإسلام الصحيحة عن طريق كشف العقائد الزائفة والبدع الفاسدة، سيما تلك التي كانت منشرة عن الطرقيين الذي رفضوا هذه الدعوة جملة وتفصيلا، فأضحوا بذلك الطائفة الوحيدة التي عادت الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين، وهو ما يعززه تقرير الجمعية حول رسالة الشيخ مبارك، حيث جاء فيه (نستطيع أن نقول ولا نخشى مفندا أنه لم يرفض دعوة الجمعية إلا طوائف معلومة في الجزائر يضر بها العمل بالدين الحق، ويهدد بنيانها القائم على أساس العوائد التي ظهرت في المسلمين في العصور التي

[1]- النجاح، العدد 424، السنة السابعة، 25مارس 1927.

[2]- مُحَمَّد الصالح الجابري، **التواصل**، مرجع سابق، ص52. عيساوي، مرجع سابق، ج1، ص209. الثعالبي، مرجع سابق، ص156.

بلي فيها العالم الإسلامي بزعماء جهلاء اغتصبوا هذه الزعامة من غير كفاءة علمية ولا هداية إسلامية[1].

ومما لا شك فيه أن الخطاب الإصلاحي للشيخ مبارك الميلي الذي تضمنته رسالة الشرك ومظاهره أو غيرها من الكتابات الدينية الأخرى، كان يحمل في طياته رغبة ملحة في إحداث تغيير في البنى والأسس النظرية التي تستند إليها بعض الطرق الصوفية خاصة تلك المنحرفة منها، وإحداث تغيير في الواقع الاجتماعي الذي ابتعد عن جادة الصواب، من أجل بناء مجتمع جزائري سوي وتحقيق إنسانيته وتصحيح عقيدته، في وقت بلغ فيه الانحراف أوجه بتشجيع من السلطات الفرنسية ومختلف إداراتها، ومن ثم فإن النهوض بالأمة تطلّب من الخطاب الإصلاحي أن يأخذ بعين الاعتبار الكثير من عناصر الواقع الاجتماعي الذي يشكو من خلل واعوجاج، ومحاولة تصحيحه عبر تقويم وضبط المفاهيم والسلوكيات، وقد احتفت الأوساط التونسية العلمية بمؤلفه حيث قامت بفرض تدريسه في المعاهد التونسية المفرنسة.[2]

وما يضاف لجهوده في فترة مكوثه بمنطقة الأغواط ذلك الإنجاز التأليفي في تاريخ الجزائر الذي يعد عمل فكري مهم يحسب للجمعية العلماء في مقارعتها للسياسة الثقافية والتعليمية الفرنسية التي كانت تتبنى في كتابتها لتاريخ مستعمرتها الجزائر أو حتى من خلال المنهاج المدرسي لمادتي التاريخ والجغرافيا نكران الوطنية الجزائرية وتخطي فصول تاريخية للأمة الجزائرية تلك التي تتعلق بماضيها العربي والإسلامي ، فجاء مؤلف الشيخ مبارك الميلي تاريخ الجزائر في القديم والحديث الذي ظهر في جزأين عملا مدرسيا بامتياز ذلك أنه سوف يخدم برنامج التعليمي لمدارس للجمعية العلماء وفق رؤيتها التربوية ويعتد فى دروس مادة التاريخ ويصبح بذلك المرجع الأساسي الذي يؤسس للهوية الوطنية من خلفيتها التاريخية،[3] وهو يعتبر أهم عمل افتخرت به الحركة الإصلاحية والجزائر عامة آنذاك، والحقيقة أن

[1]- مفيدة بلهامل، **كتاب رسالة الشرك ومظاهره للأستاذ الشيخ مبارك الميلي دراسة تحليلية دعوية**، الجزائر: مجلة البحوث والدراسات، 2016، ع: 22، ص30. أحمد توفيق المدني، **محاضرات**..، مصدر سابق، ص98-99. بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص117-118.

[2]- أحمد مريوش، **دراسات**..، مرجع سابق، ص 326. الجابري، **التواصل**..، مرجع سابق، ص52.الثعالبي، مرجع سابق، ص157.

[3]- أحمد صاري، **مبارك الميلي** ، مرجع سابق، ص108. أحمد توفيق المدني، **محاضرات**..، مصدر سابق، ص90-91.

صاحبه قد عانى الكثير من المشاق لإخراجه إلى الوجود، ذلك أن تكوين الميلي التقليدي وثقافته العربية الخالصة ما كانا ليؤهلانه للقيام بهذا العمل، كما أنه لم يكن يحسن اللغة الفرنسية التي كتبت بها أغلب مراجع تاريخ الجزائر، ولولا عزيمته وروحه الوطنية ومساعدة أبناء الأغواط المجيدين للفرنسية، لما استطاع إتمام كتابه هذا،[1] خصوصا مع الصعوبات التي اعترضته والتي عدد بعضها بقوله: " إني شديد الشعور بالمسؤولية، ولكنني شديد العراقيل كثيرها، شديد الحاجة إلى المعين، عديمه، ففي التحرير أجد عراقيل قلة المواد وبعد أسلوبها عن نظامي واختلاط مواضيعها بالنظر إلى أسلوبي، وأعلم كثرة الكتب الإفرنسية وحسن نظامها، ولا أجد من يعرب لي منها. وحاجتي إلى كتب الإفرنسية من حيث المادة والنظام، ومن حيث الاطلاع على مقاصدهم نحونا للتعريض بردهم في كتابتنا".[2]

ويكتب الميلي إلى أحمد توفيق المدني بقوله : "أكاتبك اليوم فيما يهم عملنا، ولكنني أقتصر الآن على التنبيه لكتاب حماد أو ابن حماد، لتعريب فصول من كتاب – كاريت – تحت يدي ترجمة فهرست كتاب كاريت – وقد أعدت النظر فيها، فظهر لي إني أحتاج اليوم من أبوابها (الباب الرابع من الكتاب الأول، والأبواب السادس والسابع والتاسع من الكتاب الثالث)، وقد التزمت في هذا الجزء وضع باب لبيان قبائل بني هلال وغيرهم من العرب، في أنسابهم ومراكزهم وحياتهم وعلاقتهم بالبربر، ووضع باب آخر لتفصيل قبائل البربر بعد هجوم الهلاليين، فما تجده في كتاب – كاريت – يعين على هذا فترجمه لي".[3]

ومن خلال ما سبق فإن تأليف الميلي في تاريخ الجزائر هو رد فعل على كتابات الفرنسين الذين حاولوا من خلالها تبرير استعمارهم للجزائر، وليبرهنوا على أنهم جاؤوا لتخليص الجزائريين من الحكم التركي وأن وجودهم بهذا البلد ما هو إلا لإكمال مهمة روما الحضارية، وقد زادت هذه النزعة في البروز مع

[1]- أحمد توفيق المدني، **مذكرات**..، مصدر سابق، ج4، ص188-191.أحمد مريوش، **دراسات**..، مرجع سابق، ص328-330. دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص256.

[2]- أحمد توفيق المدني، **مذكرات**..، مصدر سابق، ج4، ص189. بسام العسلي، مرجع سابق، ج7، ص161.

[3]- أنظر الملحق رقم:21 . أنظر أيضا: أحمد توفيق المدني، **مذكرات**..، مصدر سابق، ج4، ص 188. بسام العسلي، مرجع سابق، ج7، ص161.

الاحتفالات المئوية لاحتلال الجزائر، فوجد الوطنيون الفرصة السانحة في ذلك للرد على أطروحات هؤلاء المؤرخين وتفنيد مزاعمهم، وكان الشيخ مبارك الميلي من الرواد في الذين تولوا هذه المهمة[1].

وقد أخرج الشيخ مبارك الميلي كتابه هذا بمساعدة بعض المترجمين كما يذكر في مقدمة الكتاب، منهم عمر دهينة المعلم والرسام بالمكاتب الفرنسية وعيسى الزهار بالأغواط،[2] وبالإضافة إلى مُحَمَّد التهامي بميلة، وأحمد توفيق المدني،[3] وصدر الجزء الأول منه سنة 1928 بقسنطينة والجزء الثاني سنة 1932، أما الجزء الثالث فلم يكمله لأسباب عدة، وفي هذا الصدد يذكر الشيخ أحمد حماني، أنه سأله سنة 1938 عن سبب تأخره في انجاز الجزء الثالث فأجابه بثلاث أعذار منها (الأعمال الكثيرة بجمعية العلماء، وتوالي أزمات المرض الخطير، وجهله باللغات الأجنبية الضرورية، فرد الشيخ حمان — ما بال من كتب في نفس الموضوع وأتم عمله؟ فرد الشيخ مبارك الميلي أنا لا أكتب كتابة صحفية)[4].

لقد أدى كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث الهدف الذي رسمه له الشيخ مبارك الميلي والمتمثل في خدمة الوطن وتاريخ الشعب الجزائري، والرد على الافتراءات والمزايدات الفرنسية عبر تقديم الحقائق في صورة واضحة تفند طرح المدرسة التاريخية لفرنسية التي زيفت الوقائع والأحداث التاريخية بما يتلاءم مع أهدافها ومصالحها، كما أراد من خلاله بعث البعد الوحدوي للشعب الجزائري الذي عملت فرنسا وسياستها على تفريقه، حيث وقف على طبيعة وبنية المجتمع الجزائري التي تشكل في نظره كلته واحدة لها شخصيتها المميزة والضاربة في القدم[5]، وهكذا تتضح لنا أهمية الجهود التي بذلها الشيخ مبارك الميلي في تخليص التاريخ الجزائري من البصمات التي ألصقها به مؤرخو المدرسة الاستعمارية، واستطاع بذلك

---

[1]- أحمد توفيق المدني، **محاضرات**..، مصدر سابق، ص96. أحمد مريوش، **دراسات**..، مرجع سابق، ص 324-325.

[2]- مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر**..، مصدر سابق، ج 1، ص. علالي، مرجع سابق، ص 111.

[3]- للاطلاع على الرسائل بين الرجلين أنظر الملاحق رقم وأنظر: أحمد توفيق المدني، **مذكرات**..، مصدر سابق، ج4، ص188-191.

[4]- أحمد حماني، **صراع البدعة والسنة**، دار البعث، قسنطينة، دت، ج2، ص18. علاوة عمارة، **الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، قسنطينة، ع 03، 2008، ص 99.

[5]- بلقاسم ميسوم، **مبارك الميلي رجل الإصلاح ومؤرخ الجزائر**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، قسنطينة، 2007، ع 01، ص 148-150. أحمد توفيق المدني، **محاضرات**..، مصدر سابق، ص97. أحمد مريوش، **دراسات**..، مرجع سابق، ص331.

أن يكمل جهود أستاذه الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي قال " .. وإنما علينا أن نعرف تاريخنا، ومن عرف تاريخه جدير بأن يتخذ لنفسه منزلة لائقة به في هذا الوجود.." [1].

وقد شهد له الأمير شكيب أرسلان بالعبقرية، إذ قال: " وأما تاريخ الجزائر فوالله ما كنت أظن أن في الجزائر من يفري هذا الفري وقد أعجبت به كثيرا".[2]

سادسا: خروج الشيخ مبارك الميلي من الأغواط: اجتمعت عدة أسباب لخروج الشيخ الميلي من الأغواط كما اجتمعت ظروف دخوله إليها قبل سبع سنوات، فالحرب التي أعلنها ضد الطرقية أثارت الانتقادات ضده، وراحت الإشاعات تردد الكلمات الجريئة التي يتفوه بها، وكان تلاميذه يرددون ما كان يقوله، كما كان يعطي لنفسه الحق كل الحق في إصدار الأحكام بحرية زائدة ومثل هذا الكلام الحر قد جلب له العديد من المشاكل، وبدأ خصومه بكتابة العرائض ضده.[3]

ينطبق الكلام الذي نشره في جريدة المنتقد بعنوان "المصلحون المرجفون" على الوضع الذي يعيشه المجتمع الأغواطي في الجنوب تحت حكم التيجانيّين بأن أصبحت الطائفة تنظر رئيسها بعين الكمال وتنسب غيره إلى النقيصة والضلال، فصار أتباعهم لهم أتباع تشيع لا أتباع تشرع، وحتى ولو كانت هناك محاولة لتشرح صدورهم لسماع أية ...ووجدوه ناعيا بعض أعمالهم، وجدتهم عن التذكرة معرضين ولاهين عنها[4].

وفي هذا الصدد أكّد الشيخ الميلي على أنّ العامة من الأتباع كان لزاما عليها سؤال أهل الذكر في هاته المسألة حتى يستنيروا، لا أن يركنوا، فكان بحثه" رسالة الشرك ومظاهره" صرخة مدوية صادرة عن اندفاع غيرة دينية ترى في العقائد الدينية أسبابا للخير وأسبابا للضير، فهو نبذ للعقائد الباطلة والاجتماع حول عقيدة واحدة، وتعاليم واحدة[5]،كما استند في إنتاجه ذاك على القرآن وعلى

---

[1]- عبد اللطيف عبادة، مرجع سابق، ص 43.

[2]- السنة، **كلمة الأمير شكيب أرسلان في تاريخ الجزائر**، جريدة السنة، ع12، س1، 1933، ص4.

[3]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج4، ص240-241. دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص263. علالي، مرجع سابق، ص 113-114.

[4]- محمود بوزوزو، **نظرة في رسالة الشرك ومظاهره**، البصائر، ع 27، س2، سل 2، 15مارس 1948.

[5]- عبد اللطيف عبادة، المرجع السابق، ص102، 161.

التفاسير المشهورة ما ارتبط منه بالأمور التي لها علاقة بالطرق الصوفية وبدعها مستوحاة منه، أو ما جادت به السنّة ومن مواقف الأئمة الذين حاربوها والذين يمثلون السلف الصالح بآرائهم ونقاء وجهة نظرهم، وقد خلُص في مواقفه التي أبداها حول الطرقية بعد الاجتهاد الذي ثمنه بالاستشهاد والتحليل والمناقشة إلى هدم أسس الأخلاقيات الطرقية، وتطهير القلوب وتزكية النفوس بعلاج الأرواح بدل الاهتمام بعلاج الأجسام[1].

وجاء في جريدة الصراط أن الميلي قد كان يتعرض لضغط من الأطراف المعارضة للعلم والإصلاح بتدبير من إدارة الاحتلال التي كانت تعتبر أن حالة مدرسة الشبيبة كغيرها من المدارس لا تسرّ صديقا ولا تخيف عدوا، لكنها اكتشفت العكس حينما رأت أن هاته المدرسة أصبحت عامل بناء للنشء الأغواطي[2] ، وأن الشيخ الميلي أصبح يهاجم الطرقية في دروسه وكتاباته، وسيزيد الأمر تعقيدا بعد انتخابات السنة الثانية لرئاسة الجمعية وفي هذا المقام علق الأستاذ صاري على أن الصّراع أصبح على أشده بعد الانشقاق الذي حدث واتخاذ الطرقيين موقفا معاديا للجمعية، بتأسيسهم لجمعية علماء السنة، واتهام المصلحين بنشر الدعوة الوهابية، وفي هذا الوضع بالتحديد هرعت الإدارة لنجدة المرابطية بعدما راعها نجاح الدعاية التي قام بها الداعية لنشر الفكر الإصلاحي، والذي عدته الجمعية التيجانية خطرا عليها، نظرا للأطروحات الإصلاحية القاسية التي كانت تواجه بها المرابطية من جهة والأسر الإقطاعية من جهة أخرى، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على أن التحالف الذي أبداه الخليفة جلول مع الشيخ مبارك الميلي تحالف مصطنع كان يحكمه طابع الهوى والمصلحة[3].

قد نستنتج أن الخيط الرفيع الذي جمع الخليفة جلول والشيخ الميلي قد انقطع للسبب الذي ذكره علي مراد، وأيده فيه مُحَمَّد الميلي خاصة ما تعلق منه بطبيعة العلاقة التي جمعت بين المبشر الإصلاحي والطاغية المحلي على أنها حلف مؤقت، فيقول وقد روت لي والدتي ما يؤكد رواية مرَّاد بحيث أن

[1]- مُحَمَّد الطاهر بن أحمد، **براءة القبائليين من شيخ الحلول**، جريدة الصراط، ع 2، س 1، 18سبتمبر1933، ص8.

[2]- الصراط، **من الأغواط إلى ميلة عودة الأستاذ مبارك الميلي إلى مسقط رأسه**، جريدة الصراط، ع2، 18 سبتمبر 1933، ص4. علي مراد، مرجع سابق، ص107. دبوز، **نهضة الجزائر..**، مصدر سابق، ج3، ص263.

[3]- حمزة بوكوشة، **الأستاذ مبارك الميلي عالم حجة نظار**، الثقافة، ع 88، 1985، ص122. علالي، مرجع سابق، ص114.

الخليفة جلول قد طلب من الشيخ الميلي خدمة معينة، تجعله يبدو في صورة المؤيد له ولطريقته، لكن الميلي أعرب عن رفضه، وكان هذا الرفض سببا في انقطاع العلاقة التي بنيت على المصلحة في نظره.[1]

فقد كان الشيخ مبارك الميلي تحت حماية الخليفة جلول لسنوات عديدة، لكن هذا التحالف لم يدم طويلا، لعدة اعتبارات منها التعارض الذي بدأ يتضح بين هدف الشيخ مبارك الإصلاحي والمعادي للسلطات الفرنسية، وبين توجه القايد جلول الموالي لها[2]، بالإضافة إلى الحصار الذي فرض على نشاط الحركة الإصلاحية من قبل السلطات الفرنسية بعد أن تبين لها أن تشكل خطرا على سياستها سواء في الأغواط أو في الجزائر عامة، هذا الحصار الذي زاد أكثر في عهد ميرانت مدير الشؤون الأهلية الذي ضغط كثيرا على القايد جلول فرحات وهدده بالعزل حتى لا يتعاطف مع الشيخ مبارك الميلي، هذا فضلا عن الشكايات والوشايات التي رفعها الطرقيون للإدارة الفرنسية ضد الشيخ مبارك الميلي ومنها تلك العريضة التي اتهم فيها بإفساد عقول وأفكار الشباب بالمنطقة[3].

تطورت المضايقات إتجاه مبارك الميلي بتدخل الإدارة التي أصبحت تعادي كل نشاط له ،ولعل هذا الموقف منها لما لاحظته من تغير في وعي وثقافة الناس على نحو لا يخدم السياسة الإستعمارية بالمنطقة ، فراحت تضع له كل الإزعاجات بهدف تثبيطه ووصل الأمر في إلى تدبير محاولة إغتياله ،[4]وبعد هذا كله أيقن الشيخ مبارك أنه لا جدوى في البقاء بمدينة الأغواط، فتوجه نحو قصر الحيران حيث بقي عند السيد عبد القادر بن مهية ريثما تهدأ الأمور ويرتب أمره. [5]

وحسب الشهادة التي أوردها حمزة بوكوشة في مقاله اعتمادا على الشهادة التي أدلى بها السيد أحمد بن عبد الرحمن ويؤيدها الأستاذ محمود علالي، فإن الخليفة جلول أرسل للشيخ مبارك عبر السيد أحمد بن عبد الرحمان، بأن يتأخر عن المجيء للأغواط حتى تنقضي عطلة مصيفه– أي عطلة جلول – وقال له

---

[1]– مُحَمَّد الطاهر بن أحمد، مصدر سابق، ص4.

[2]– عبد اللطيف عبادة، المرجع السابق، ص: 17.

[3]– محمود علالي، مرجع سابق، ص 114.

[4]– مُحَمَّد الحسن فضلاء، مرجع سابق، ج1، ص470. دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص263.بسام العسلي، مرجع سابق، ج7، ص164.

[5]– محمود علالي، مرجع سابق، ص114.

لا تخبره بأن هذا مني ، وبأنه منك، لكن الأخير أخبر الشيخ الميلي الحقيقة، لكن الشيخ لما علم بهذا عاد إلى الأغواط وأخذ أمتعته وغادرها في سبتمبر 1933، مأسوفا عليه ينشد:

إذا أنكرتني بلدة أو أنكرتها سريت مع البازي على سواد[1]

وهو الأمر الذي ترك خيبة كبيرة لدى الكثيرين من أتباعه وطلبته وحتى عند القايد جلول الذي عاتب السكان على تركه يرحل بهذه البساطة لكن موقفه جاء متأخرا[2].

إلا أن الحقيقة التي يؤكدها بوكوشة على أن الميلي خرج من الأغواط تجنبا للمتاعب وإلحاق الأذى بأتباعه، وهذا يدل على أن المصلحة العامة بالنسبة له فوق كل اعتبار حيث كان يصرح في كل مناسبة بتفضيله للأغواط على سائر البلدان وأن وجوده بها لم يكن طمع في الدنيا ولا في الجاه وأن مكوثه بها ارتبط ببثه العلم حيث وجد أهلها أهل له.[3]

وقد نشرت جريدة الصراط خبر عودة الشيخ مبارك الميلي وأسرته من الأغواط ورجوعه إلى مسقط رأسه بميلة في أوائل سبتمبر 1933م، كتبت "عاد مبارك الميلي ولم يكن في حسبان جمهور الناس أن تقف مدة إقامته بينهم إلى هذا الحد"،[4] جاء في الخبر أن التفكير في مغادرته للأغواط كان أبكر من هذا الوقت أي قبل سنتين لأنه كان في طريق اليأس من كون البلدة تستطيع النهوض ببرنامجه الإصلاحي،[5] وهذا ضمن الأسباب التي جعلته يعلن عن رغبة مغادرته إلى من يهمهم أمر المدرسة من من الأغواطيين، وتأخر خروجه إلى ما بعد العطلة الصيفية وتأخر إعلان انفصاله عنها مع بداية السنة الجديدة تاركا العمل الإصلاحي فيها لمجموعة من المتنورين من أهلها[6].

---

[1]- مُحَمَّد الميلي، مصدر سابق، ص122-123.

[2]- المصدر نفسه، ص 69-70. علالي، مرجع سابق، ص115.

[3]- الحسن فضلاء، مرجع سابق، ج1، ص471. بسام العسلي، مرجع سابق، ج7، ص165. أحمد توفيق المدني، **محاضرات**..، مصدر سابق، ص89.

[4]- الصراط، **من الأغواط**..، مصدر سابق، ص4.

[5]-المصدر نفسه، والصفحة نفسها

[6]- الصراط، مصدر سابق، ص4. مُحَمَّد الطاهر بن أحمد، مصدر سابق، ص4. علالي، مرجع سابق، ص115. بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص121.

المبحث الثالث: زيارات العلماء للأغواط والبعثات العلمية إلى خارجها وأثرها في الحركة الثقافية:

أولا: زيارات العلماء والمثقفين من خارج الأغواط: شهدت منطقة الأغواط زيارة العديد من الأعلام في الفترة التي نشطت فيها الحركة الإصلاحية خصوصا والحركة الوطنية عموما، إذ زراها العلماء والمثقفون والسياسيون والصحفيون، وكانت منفى لآخرين أيضا، ومن خلال شهادات حول الزائرين يتجلى الثقل السياسي والثقافي الذي تمتعت به المدينة بعد ظهور النشاط الوطني والإصلاحي المنظم ومن بين هذه الزيارات نذكر ما يلي:

1/مُحَمَّد بن العابد الجلالي (سنة 1925) :[1] وقد زار الأغواط في إطار جمع الاشتراكات لجريدة المنتقد الإصلاحية، وكتابة تقارير عن الوضعية الثقافية في كل مدينة يزورها، وقد قام بذكر أسماء المشتركين الذين التقى بهم فقال:".. وفي الغد اجتمعت بمشتركين الأفاضل كالسيد عبد القادر مشتح الأديب الصحافي والسيد أحمد بن عبد الرحمن والسيد الحسين دهينة والسيد مُحَمَّد الخروبي التجار والسيد المشربي مُحَمَّد الساعتي وغيرهم وكان بودي أن أستوفي أسماءهم لو وسعنا المجال لما أقوم معي من الاعانة وحسن المجاملة فلنكتفي بثناء على هممهم العالية ."[2]

وقد وصف الحياة الفكرية والأدبية، وكون الأغواط تربة خصبة للأفكار الجيدة : ".. ومكارم الأخلاق مجتمعة في الأهالي والفكر هناك متصل بنوعه في بوسعادة في الحدة والثقافة ولو أتيح له أن غازلته فتاة العرب (اللغة) وألهمته آية جمالها ولمست اوتاره أناملها اللدنة وغنته صوتا من تاريخها المجيد لسمعنا لقيثارته رنة عظيمة تهتز لها جوانب الوطن فعسى اهالي البلدتين يلتفتون الى تنوير بلادهم.."، كما نجد وصفا للحالة الإدارية والاقتصادية التي كانت عليها المدينة: ".. والإدارة بالأغواط مزيج مدني

[1] – **مُحَمَّد بن العابد الجلالي**: ولد في 1890 م ، نشأ وترعرع بمسقط رأسه أولاد جلال بولاية بسكرة حاليا حيث حفظ القرآن الكريم وتلقّى مبادئ اللغة العربيّة ، وتبحّر في علوم العربية على يد عدّة شيوخ أجلاء ، ثم اتصل بالشيخ عبد الحميد ابن باديس ولازمه مدّة طويلة ، ثمّ عينه الشيخ عبد الحميد ابن باديس مدرّسا بالمدرسة الحرّة بالعلمة (سطيف) عام 1925 م ، وعندما اندلعت الثورة التحق بها وقد تجاوز الستين من عمره ، وألقت عليه القوات المحتلة الغاصبة القبض ، وتمّت محاكمته وحُكم عليه بعشر سنوات سجنا.. فواجه المحاكمة بصلابة ورباطة جأش، وواصل مسيرة جهاده في ميدان التعليم حتى عام 1965 م إلى أن توفي عام 1967، يعتبر مؤسس فن القصة القصيرة في الجزائر. أنظر: عادل نويهض، مرجع سابق، ج1، ص115-116.

[2] – مُحَمَّد بن العابد الجلالي، **ملخص عن الأخبار أنباء عن الوطن: وقفة بالأغواط**، جريدة المنتقد ، ع 16 ، 15أكتوبر 1925، ص2.

وعسكري كما ان عناصر الثروة متعددة من النخيل والفواكه والمواشي والمزارع لكنك اذا نظرت الى كل واحد بانفراده تجده ثمادا بطيئا يتعثر في صخور من الضرائب ."[1]

2/قويدر بن مناد (سنة 1928): زار قويدير بن مناد مدينة الأغواط في بدايات الحركة الإصلاحية بها وقدم شهادة مهمة حول المدينة وأهلها ونشاطهم الثقافي والديني وأحوالهم الاجتماعية، فقد وصف الدينة وألها بقوله: ".. وبالجملة لم أر في سائر جولاتي من تونس إلى وجدة مثل الأغواط في تنظيمها ونظافتها واتفاق اهلها على اختلاف طبقاتهم من متوظفين وعلماء وتجار وأشياخ الطرق والزوايا فلا مخالفة بينهم ولا شحناء، والحاصل أنها بلدة إسلامية اجتماعية، ومساجدها نحو العشرة مع أن البلدة متوسطة والناس مواظبون على الصلوات في الجمعة والجماعة، والعرب مشتغلون ومعتدون بصنائعهم."

وقد التقى بن مناد بالشيخ مبارك الميلي فوصفه بقوله: ".. وقد تشرفنا بالاجتماع بحضرة العلامة الجليل ذي المكارم والمعارف سيدي مبارك الميلي فوجدناه أديبا حازما مخلصا في أعماله مجدا في جمع شمل الأمة بما وسعه من علم ونصيحة بارك الله فيه.."[2]

ويختم قويدر بن مناد مقاله بما يلي: "..وأخيرا أقول إن أهل الأغواط فطروا على محبة الأخيار وإيواء الغرباء مع أدب زايد وكرم عظيم وأرباب حرف وصنائع وفطانة وأدب ويتنافسون في فعل الخيرات والتعرض للنفحات والعدل والانصاف والبذل وإكرام الضيف، ولا أجنبي في بلادهم يحترف ولا فساد ولا سرقة في بلادهم تقترف، حفظهم الله ووفقهم وأدام ستره عليهم آمين."[3]

[1]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2]- رغم أن قويدر بن مناد كان طرقيا إلا أن ذلك لم يمنعه من إبداء إعجابه بالشيخ مبارك الميلي وبعمله.

[3]- قويدر بن مناد، **الجولان وفوائده**، جريدة البلاغ الجزائري، ع 69، س2، الجمعة 21 ذو القعدة سنة 1346، الموافق ل 11 ماي 1928، ص2.

3/عبد الحميد ابن باديس (سنة 1932) : لقد زار الشيخ عبد الحميد ابن باديس الأغواط يوم 5 جوان 1932 بدعوة من جماعتها الإصلاحية فحضر درس الشيخ مبارك في الجامع العتيق وتلاه بدرس بليغ هز نفوس الأغواطيين وترك فيها أعمق الآثار.[1]

وقد تهلّل سكان المنطقة بوجوده وعاين بنفسه الوضع وتحقق من أن المجتمع الأغواطي خاض غمار الإصلاح من خلال المشاركة الجماعية للكبير والصغير في بناء المدرسة والسّهر على نجاح مهمتها، ومباركة لمعلمها الشيخ مبارك الميلي، منقذهم من براثن الجهل[2].

أمّا ما يدل على انتشار الوعي الإصلاحي هو الجمع الغفير بالجامع الجديد ولهفة الناس للإنصات لدرس الشيخ عبد الحميد بن باديس حول الحديث الشريف، ولم تكن النتائج على هذا المستوى فقط ففي احتفال المكتب القرآني بعد أيام وقف الشيخ على ثمار الجهود الإصلاحية للشيخ الميلي لما تم عرضه من طرف تلاميذ المدرسة سواء من حيث التنظيم والترحيب، وما ارتبط بآدائهم للأناشيد الوطنية أو تلاوة القرآن الكريم، وكتبت جريدة النور أن " الشيخ عبد الحميد بن باديس قد أثنى على معلم المدرسة وأنه لولاه ما بلغ النشء هذه الدرجة من الوعي"" واشترك معه في الرأي أهل البلد "فقد كانوا يلهجون بالثناء الجميل عليه، وعلى جهوده في تعليم أشبالهم ، حتى رأوا منه ما يسرهم"[3].

وقد وصف الشيخ أبو اليقظان زيارة بن باديس في مقال بجريدة النور1932 جاء فيه: "..فلما سمعت أعيان البلدة بل وجميع سكانها من المسلمين ، تهللت وجوههم بالاستبشار بقدوم هذا الضيف الكريم و العلامة العظيم رئيس جمعية المسلمين الجزائريين، فصارت تتمنى وصوله ليبين لهم الدين و أصوله، وعندما وطئت أقدامه أرض الجلفة أبرق لنا بغض أصدقائنا من الجالية الميزابية أنه سيفد الينا غذا وهو يوم 5 جوان 1932 و على قصر ليالي الصيف طالت ليلة اليوم المذكور شوقا لصاحب السعي المشكور الأستاذ ابن باديس لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعاتبها و

[1]- مُحَمَّد علي دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص262. وقد زار آفلو زيارة قصيرة .أنظر: ناصر مجاهد، مرجع سابق، ص110.

[2]- عبد الحميد بن باديس، **رحلتنا إلى العمالة الوهرانية باسم الجمعية ماذا كنت أقوم به كل في كل بلدة**، جريدة الشهاب ، ج8 ، المجلد 8 ، أوت 1932، 402 وما بعدها.

[3]- النور، جويلية 1932، ص3.

على الساعة 2 و 41 د من اليوم المذكور عشية تزينت البلدة بوصوله تنقله سيارة طاكسي، فازدهرت القلوب لرؤيته ، و تنورت الأفكار لوفادته، وكان نزول الرئيس المحترم أمام دكان المصلحين الكبيرين ادهينه و الحسين، و عشاءه عندهما، وقد حضر العشاء الأستاذ الميلي و أعيان البلدة، وبعد تناول الشاي و أداء فريضة العشاء قام الاستاذ ابن باديس مع الشيخ مبارك الميلي الى مسجد البلدة المعبر عنه بالعتيق و ما كادا يصلان المسجد حتى وجدا سطح المسجد مكتظا بالناس و صعود الناس للسطح سببه الحرارة.... فافتتح الاستاذ ابن باديس الدرس في تفسير آيات قرآنية جامعا للمعقول و المنقول و الفروع والاصول و هي قوله ": إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا " الى آخر السورة ..... مخلوفي المبروك أحد نجباء المدرسة العربية بالأغواط أبقاها الله فألقى خطبة شيقة أخذت بمجامع القلوب رحب بقدوم الاستاذ... ثم اثنى على استاذه و منقذه من براثين الجهل الاستاذ مبارك الميلي ثم شكر المصلحين الذين كانوا سببا لهذه المدرس و أخص من بينهم الاخوين الحسين و ادهينه الذين كانا هما اول من وضع الحجرة الاولى لبناء هذه المدرسة و تأسيسها ، ثم قام الشيخ مبارك الميلي فعرف الحاضرين بالأستاذ ابن باديس و بين لهم حقيقة ترجمته و منهجه القويم و مقصده من هذه الزيارة كما بين للأستاذ قيمة الأغواطيين و عرفهم بأخلاقهم الكريمة و ميلهم الى كل اصلاح و قيامهم بكل مشروع خيري.[1]

أما الشيخ مُحَمَّد بن عزوز الهلالي فيصف الزيارة بقصيدة شعرية، ضمنها مدحا للشيخ عبد الحميد بن باديس وطريقته في التدريس، وأخلاقه النبيلة ومساواته بين الناس وتواضعه، ومحاربته –كما يقول بن عزوز– للشرك والبدع والخرافات بدون كلل ولا ملل، ثم ينتقل إلى وصف زيارة بن باديس لكتاب الشيخ بن عزوز وكيفية وقوفه للاستماع لدرس بن عزوز وتلاوته، حيث أصر بن باديس على الوقوف للاستماع رغم طول الدرس وإحضار الشيخ الميلي ومن معه كرسيا لراحته، ثم ينتقل بنا إلى درس الشيخ بن باديس في المسجد الكبير وكان حول تفسير سورة البينة، وقد غض المسجد بالناس بل وشهد حتى حضور راهب من الكنيسة، وقد استغل بن باديس وصوله فرمى إشارات ضمن كلامه اختبل منها الراهب أو كما قال بن عزوز:

[1]– النور، مصدر سابق، ص3.

فصوب الأستاذ سهما نحـــــــــــــــوه حتى كاد منه يختبل[1]

وقد وصف ابن باديس نفسه زيارته إلى الأغواط ضمن جولة قادته إلى عديد المدن، واختصر في مقاله أعماله ونشاطاته، واستقبل الناس له وتفاعلهم معه، فقد تطرق إلى أعماله في كل بلدة زارها ومن بينها الأغواط: "...كنت أزور في الأكثر قبل كل شيء ، المسجد لأن البداية به هي السنة وألفت نظر الأمة الى حرمة المسجد وفضله أنه هو الحق بأن يقصد عن الملمات للوقوف بين يدي الله والحصول على أقرب أحوال العبد الى مولاه وهي السجود ، فان العامة فيما رأيت من كثير منهم ، يفزعون الى البناءات المضروبة على الأضرحة ويظهرون فيها من الخشوع والخضوع مالا أراه منهم في بيوت الله ، ومن ذا الذي يسوي بيت الخالق ببيت المخلوق لولا انتشار الجهل وكثرة الغفلة والسكوت عن الحق وقعود من لا يجوز لهم القعود عن التعليم والتبين ، ثم أزور ممثل الحكومة في البلدة من بريفي أو سوبريفي أو متصرف ، ثم أزور ممثل الأمة الفرنسية والعربية وهو المير اذ كان في البلدة مير ثم ألقي الدرس العام بالمسجد".[2]

أما عن المواضيع التي كان يطرقها في دروسه ونقاشاته فيقول: "..كانت الدروس كلها حثا على الفضائل وتنفيرا من الرذائل وبيانا لحقائق الدين التي بمعرفتها يكمل الانسان في اسلامه وفي انسانيته ودعوة للتوحيد والاتحاد والاحسان الى جميع العبد ، وحثا على التالف والتعاون بين جميع السكان على اختلاف الأجناس والأديان وكانت مادة الدرس دائما أية قرآنية من كتاب الله مشفعة بحديث رسوله عليه السلام ، وكنت بعد الدرس أعرف الناس بالجمعية ومقاصدها حسبما ماهو مبين في قانونها الأساسي ، وألخص لهم وصايا الجمعية في هذه الكلمات الثلاث : تعلموا – تحابوا – تسامحوا ، وأشرحها لهم ان الجمعية للجميع وأنها ليست ضدا لأحد لا زوايا ولا غيرها وأن غرضها هو نشر العلم والفضيلة بين الجميع ثم أذكر لهم فضل الحكومة التي أذنت لهذه الجمعي وفضل رجالها الذين لقينا منهم حسن المقابلة والتأييد..".[3]

[1]- أنظر الملحق رقم:29.

[2]- عبد الحميد بن باديس، **رحلتنا إلى العمالة الوهرانية**..، مصدر سابق، ص402.

[3]- المصدر نفسه، ص403.

وكان أيضا يقوم برد الإشاعات الباطلة عن الجمعية ويدافع عنها ويجيب عن الأسئلة المتعلقة بها الخصوص: ".. وكنا لانفرغ من الدرس العام حتى تنحل عقد الشيطان كلها .."[1] أما أكثر الأسئلة الموجهة لشخصه فهي تتعلق أساسا ب:"..التصوف والكرامة والتوسل فكنا نجيب أن من كان من باب تزكية النفس وتقويم الأخلاق وتحقق بالعبادة والاخلاص فيها فهو التصوف المقبول وكلام أئمته فيه لابد من بنائه على الدلال من الكتاب والسنة وكنت أذكر كلام أئمة الزهد كالجنيد وأضرابه ، وأن الكرامة حق لحقيقتها وشروطها وان الولاية من الايمان وأن الدعاء مخ العبادة.."[2]

وقد وصف الشيخ عبد الحميد بن باديس مظاهر الاتحاد بين مختلف أطياف المجتمع الجزائري، وحتى من غير الجزائريين الذين رحبوا بالشيخ ومرافقيه بقوله: ".. وكنا إذا حللنا بلدة فيها من إخواننا الميزابيين يهرعون إلينا من مثل بقية إخواننا وفي بعض البلدان تسبق ضيافتهم ضيافة غيرهم وتشمل أهل البلدة أعيانها وكذلك تشملهم الضيافة وغيرهم وكثير ما حظر معنا أفراد من الفرنسيين واليهود في مجالس القهوة والشاهي.." ،[3]كما عرج على ذكر كرم الجزائريين وحفاوتهم: "... لقد كان تنازع الناس على ضيافتنا كتزاحمهم على دروسنا ومجالسنا ولقد كنا اكثر البلدان يتلقوننا قبل الوصول اليها ويشيعوننا إلى البلدة المجاورة اليها.."[4].

4/الشيخ البشير الإبراهيمي (1948): حل الشيخ البشير الإبراهيمي في الأغواط سنة 1948 لتدشين مدرسة التربية والتعليم، ولكن وجب التذكير أن الشيخ البشير الإبراهيمي تم نفيه إلى أفلو شمال الأغواط وفرضت عليه الإقامة الجبرية، وقد كان زعماء الإصلاح في الأغواط يقومون بزيارته في إقامته في أفلو على الدراجات الهوائية، وقد كان الشيخ عبد الحفيظ بن عزوز يفرش بساطه للشيخ البشير الإبراهيمي أمام مقهاه مع جلسائه، ويجمع اشتراكات جمعية العلماء.[5]

---

[1]- عبد الحميد بن باديس، **رحلتنا إلى العمالة الوهرانية**..، مصدر سابق، ص403.

[2]- نفسه، ص403-404.

[3]- نفسه، ص405-406.

[4]- نفسه، ص406.

[5]- ناصر مجاهد، مرجع سابق، ص113-114.

Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat dignité**.. , Op.Cit, p264-265.

وقد تم بناء مدرسة التربية والتعليم (كما سيأتي شرحه لاحقا) وأصر علماء المدينة أن يفتتحها الشيخ البشير الإبراهيمي نفسه، وقد تم بناء المدرسة على هندسة عربية أصيلة كما صممها مهندسها، حيث كان بها فنائين لاستراحة التلاميذ، فناء خاص بالذكور، وفناء خاص بالإناث، وخصص لها مسجد للصلاة وغرف لإدارة المدرسة، وجه علماء المدينة وشيوخها، وأعضاء جمعية علماء المسلمين الدعوة للشيخ البشير الإبراهيمي إلى حضور افتتاح المدرسة الجديدة، وطلبوا من إدارة جمعية العلماء المسلمين بأن تكون مدرسة الأغواط تابعة لمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كذلك وجهوا الدعوة لأعيان مدينة الأغواط ولشيوخ القرى المجاورة والمواطنين عامة لحضور حفل الافتتاح.[1]

ولبى الشيخ البشير الإبراهيمي الدعوة وزار مدينة الأغواط وحضر إلى مدينة الأغواط واستقبله المواطنون استقبالا رائعا عند مدخل المدينة، وكان على رأس المستقبلين علماء المدينة وأعيانها وعدد كثير من وجهاء المدينة أذكر من بينهم: الشيخ أحمد شطة والشيخ الحاج عيسى أبوبكر والسيد عبد القادر بن لحبيب من أعيان المدينة وعدد كبير من المواطنين والمواطنات.[2]

وكان فوج الرجاء ضمن الوفود المستقبلة للشيخ البشير الإبراهيمي، ونظم هذا الفوج حفلا ساهرا بمناسبة قدوم الشيخ البشير الإبراهيمي لمدينة الأغواط، وبمناسبة افتتاح المدرسة رسميا للسنة الدراسية 1948م-1949م ، ونظم هذا الحفل في فناء المدرسة واكتظ فناء المدرسة بالجماهير حتى اضطر المنظمون (فرق الكشافة) استعمال أروقة الطابق الأول لاستقبال المدعوين والمواطنين لمشاهدة حفل افتتاح المدرسة وبعد انتهاء الحفل شكر البشير الإبراهيمي قائد الفوج ميموني هدروق، وطلب منه مواصلة العمل وبذل جهد أكثر لتكوين الشباب في هذه الحركة، وأكد له أنه سيجد الدعم والتشجيع من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وحثه على تنسيق العمل بينه وبين إدارة وعلماء مدرسة الأغواط، حتى يكون العمل بين الطرفين مثمرا.[3]

[1]- بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص107. أحمد الأمين، **الثقافة ...**، مرجع سابق، ص55.

[2]- بلمبارك، مرجع سابق، ص107.

[3]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مطبعة رويغي، الأغواط، الجزائر، 2001، ص145.

وقد وصف الشيخ أبو بكر الحاج عيسى[1] الزيارة في مقال بجريدة البصائر ورغم طوله فإننا نورده لأهميته:"وعد رئيس جمعية العلماء فضيلة الأستاذ البشير الابراهيمي أهل الأغواط ، بزيارة فاشتاقت نفوسهم لها ، و كلما وفد منهم وافد على مركز الجمعية بالجزائر ، استعجلته إياها ، حتى إذا أذنت أشغال الرئيس الكثيرة بالزيارة ، ضرب لذلك موعدا هو 22 من شهر جوان ، ثم وفى بوعده ، فأكرم به من وعد و أعظم به من حر، وقد أتاحت له هذه الزيارة أن يرى جزءا من وطنه كان لم يره من قبل ، و أن يعرف بعضا من قومه كانوا لم يتشرفوا بالتعرف إليه ، ومن أحق من الأستاذ الابراهيمي حافظ الأمجاد التاريخية بمشاهدة بلاده و دراسة أحوال أهلها، ومن أوفق الاتفاقات أن التقى الرئيس بالشيخ إبراهيم بيوض بالجلفة في طريقه إلى القرارة ، فرافقه إلى الأغواط و أقاما بها برغبة من أهل البلد ومن الأستاذ الرئيس اليومين اللذين استغرقتهما الزيارة .

خرج ثلة من الأغواطيين يتلقون الرئيس الجليل يحملون إليه تحيات الأغواط ، و يفحصون له عن تقديرها لرئيس جمعية العلماء ، ومن أولى بالتقدير و التكريم من الابراهيمي الذي لم يدخر وسعا في تثقيف الأمة و تهذيبها ، و رفع مستواها ، و تأسيس الباقيات لها لحفظ مقوماتها وتثبيت معنوياتها و يثني على اللقحة ما في العلاب ، و يفصحون له أيضا عن الإخلاص لمبادئ جمعية العلماء التي لم تكشف بنات الدهر إلا على متانة أساسها ومرونة ملاءمتها لروح الأمة و تطور الزمن وواقع الأمر .

حل الضيف الكريم في دار تبعد عن البلد بميل بغية أن يستريح بعض الوقت من عناء سفر طويل شاق متواصل ، غير أن أفواج المرحبين بمقدمه لم تدعه حتى في داره النائية هذه أن يستجم قواه ، و يتناول قراه .

الاجتماعات العامة : على الساعة الخامسة من يوم الأربعاء 22 جوان قصد المدرسة التي اقتبله فيها تلاميذها بالأناشيد و الهتافات ، ومدير المدرسة بخطاب الترحيب، وكان أول أحاديثه العامة إلى الأغواطيين حديثه الديني في تفسير قوله تعالى :" **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله و عمل صالحا و قال إنني من المسلمين** – إلى قوله – **ذو حظ عظيم** "[2] قدم لتفسيره هذا بمقدمة يجمل أن تكون مقدمة لكل تفسير آية من كتاب الله المعجز .

[1]- أبو بكر بلقاسم، **من جولات الرئيس رحلته إلى الأغواط**، البصائر، ع85، س2، سل2، 04 جويلية 1949 م، ص03.

[2]- سورة فصلت، آية 33، 34 ، 35.

ثم بين كيف أن الدعوة إلى الله لا تتجدد و لا تصح إلا إذا كانت بالقرآن الكريم ، و استشهد لها بقوله تعالى في وصف النبي ﷺ " **وداعيا إلى الله بإذنه** " و أن هذا الإذن لا يؤخذ ‘لا عن الوحي عرف الداعي الذي يدعو بأقواله التي لا تخرج عن الدعوة- بإذن الله – و أعماله التي عليها ميسم الصلاح و أحواله التي لا تخالف ظواهرها باطنه، و أفاض في هذه المعاني إفاضة جمعت كل ما يحسن أن يقال في هذا الموضوع الواسع بلغة هي السحر الحلال دقة تعبير و سلاسة ألفاظ ، أخذ الناس بها أخذ المتدله ، و نفذ بها و بالمعاني الجليلة التي لبستها إلى قلوب المستمعين ، فأحدثت فيها مثل ما يحدث الغيث في أرض صالحة، وامتد هذا الحديث الممتع ساعة كاملة خال الناس فيها أنهم عادوا بأرواحهم إلى القرون الأولى للهجرة أيام كان للعربية دولتها ، و لم ينتبهوا إلى حاضرهم إلا بعد أن أعلن المفسر أن اجتماعا آخر سيعقد غذا لإتمام تفسير الآية، و قبل الموعد المضروب من اليوم التالي اكتظت رحاب المدرسة الواسعة و أقسامها و ممراتها بالناس أكثر مما كان في الاجتماع الأول حتى كأن المدينة خلت من ساكنيها و حشروا في المدرسة حشرا ، و أقبلوا على رئيس جمعية العلماء إقبالا جماعيا لم يشذ عنه أحد يؤبه له.

استأنف المفسر العظيم تفسير الآية بنشاط و حيوية قويين ، لم تضعف من قوتها السنون و لا دأب الأعمال و شاق التكاليف ، فأتى في روحه و في المقاصد الشرعية العالية ، مما يغض من شأنها إذا ما حاولنا تلخيصها ، و لما طال فيها نفسه واتسع حتى تجاوزت الساعة عاد يجمل تفسير الآية ليكون مسك ختامها .

وفي الساعة التاسعة من نفس ذلك اليوم عاد إلى المدرسة وفاء بالوعد الذي قطعه للشباب خاصة ، يحدثهم حديثه – وهو الشيخ المحنك – عن واجبات الشباب التي تصلح عليها حياته و حياة مجتمعه الذي ينتسب إليه على كل حال، ابتدأ خطابه بعربية تذكر بأسلوب الجاحظ و أضرابه في معرض اللوم على الشباب الذي زهد في تعلم لغته العربية معقد فخره و مجلى فكره و ترجمان آثار سلفه ، ثم خاطبهم بلغة عامية رفيعة مبينا واجبات الشباب واجبا واجبا ، وهم متتبعون باهتمام متزايد لسلسلة هذه الواجبات المفرغة المحكمة وحث الشباب على الاعتدال في أخذ الحضارة الحديثة ، و حذرهم سوء الحضارة الغربية ، و أن لا يأخذوا منها إلا بما يتفق و روحهم الشرقية و مبادئ دينهم السامية ، كما دعا الشيب و الكهول إلى تفهم عقلية الشباب ، و أن لا يجعلوا من تعصبهم للقديم هوة عميقة تفصل بينهم و بين أبنائهم رجال الغد، ونصح كلا أن لا يعملوا على قطع حلق سلسلتهم

الاجتماعية بجمود أو تهور و لقد سمعوا ما على مثله يتوقف صلاح المجتمع و رفع شأن الأمة و الوطن و يفاخر الغد يومه و أمسه، أما الاجتماعات الخاصة و اتصالات الرئيس بالهيئات و الجمعيات المحلية فكانت كلها نصائح غالية و إرشادات و توجيهات حكيمة" .[1] ا.هـ، وبعد انتهاء زيارة الشيخ البشير الإبراهيمي لمدينة الأغواط رافقته الكشافة إلى خارج المدينة لتودعه بالأناشيد الوطنية الحماسية.[2]

5/**مصالي الحاج**: بمناسبة زيارة مصالي الحاج سنة 1948م لمدينة الأغواط وكذلك زيارة السيد قدور الفار الذي كان يرافق السيد مصالي الحاج، والذي كان من مؤسسي نجم شمال افريقيا وعضو اللجنة المركزية، قام السيدان بزيارة فوج الرجاء، وقد اجتمعا بقادة الفوج وعلى رأسهم قائد الفوج ميموني هدروق، وقد أعجب الضيفان بمنهجية العمل في الفوج وبارك آمال وطموحات أعضاء الفوج مستقبلا. وقد ركز السيد مصالي الحاج في كلمته بقادة الفوج: " .... آن على الجزائريين من الآن أن يتوحدوا ويوحدوا كلمتهم، ويركزوا على النضال السياسي أولا قبل كل شيء آخر، فبتوحيد الكلمة وتوحيد المطلب. فلابد أننا نحقق شيئا ما ...." وشجع القائد مصالي الحاج القائد هدروق على العمل المتواصل والدائم وحب الوطن والوطنية والعمل على النضال السياسي وإبعاد الفوج عن المعارك السياسية العلنية، وبأن يعملوا في صمت وهدوء تام.[3]

6/الشيخ أبو اليقظان: وقد زار الأغواط في إطار زيارة الشيخ البشير الإبراهيمي إلى المدينة بغية تدشين مدرسة التربية والتعليم سنة 1948، وقد أوردت سالفا المقال الذي كتبه بمناسبة هذه الزيارة.

7/الشيخ بيوض: وقد تعددت زياراته إلى مدينة الأغواط، وقد حضر أيضا في تدشين مدرسة التربية والتعليم، وألقى كلمة بالمناسبة وتم الاحتفاء به، خصوصا وأن الميزابيين في الأغواط كانوا من أنصار الحركة الإصلاحية كما ذكرنا سابقا.[4]

---

[1]- أبو بكر بلقاسم، **من جولات الرئيس** ...، مصدر سابق، ص03.

[2]- خميلي، **تاريخ الكشافة**..، مرجع سابق، ص146.

[3]- المصدر نفسه، ص143.

[4]- دبوز، **نهضة الجزائر**..، مصدر سابق، ج3، ص

8/مُحَمَّد بوراس: قام بزيارة فوج الرجاء الكشفي في 23-01-1940، مع نائبه عمر لاغا. [1]

09/الصحفي الأمين العمودي: كما كان للشاعر الصحفي الأمين العمودي زيارة للأغواط في الثلاثينات واتصل مجموعة من أبنائها، والتقى بثلة من مثقفيها وأعلامها.[2]

10/ **مُحَمَّد بن مبارك الميلي**: وهو من مواليد الأغواط، في 11 نوفمبر 1929 إبان إقامة والده الشيخ مبارك الميلي فيها، وقد عاد إليها في زيارة أوردتها جريدة البصائر في مقال لها بعنوان : الميلي في الأغواط.[3]

12/محمَّد المُنصِف بايْ: باي تونس بعد وفاة سلفه أحمد بن علي وقد كان حاكما في فترة الحرب العالمية الثانية فتوترت العلاقة بينه وبين ممثل فرنسا، وانتهى الأمر بانهزام دولتي المحور من تونس وعاد الجيش الفرنسي إلى احتلالها، فكان أول ما فعله للقضاء على الروح الوطنية الجديدة اتهام المنصف (بموالاة) المحور وخلعه عن العرش في 14 مايو 1943 1362 هـ ونقله بالطائرة إلى الأغواط ومكث فيها عدة شهور ثم إلى بو (في جنوب فرنسا) سنة 1945 وطالب التونسيون بعودته إليهم، فقيل :إن الفرنسيين عرضوا عليه أن يوافق على إدخال تونس في الاتحاد الفرنسي، فأبى وأصيب بشلل في المخ، من رداءة الجو وتوفي في منفاه، ونقل جثمانه إلى تونس فدفن بمقبرة الزلّاج عملا بوصية منه.[4]

---

[1]- خميلي، **تاريخ الكشافة**...، مصدر سابق، ص139. علالي، مرجع سابق، ص54. بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص99. سيتم التفصيل في زيارة مُحَمَّد بوراس في الفصل القادم.

[2]- البصائر، **الأستاذ العمودي في الأغواط**، جريدة البصائر، ع166، س4، سل 1، 19 ماي 1939، ص03.

[3]- أحمد بن أبي زيد (قصيبة)، **فرحة الأغواط بابنها البار وابن مربيها العظيم**، ع 228، س6، سل 2، 08 ماي 1953، ص6. للتعريف بمحمد الميلي أنظر: شرفي، مرجع سابق، ص21.

[4] - مُحَمَّد على الطاهر، **خمسون عاما في القضايا العربية**، بيروت، لبنان،1978 ، ص596. الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين ، ط15، مايو 2002، ج7، ص86-87. خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج7، ص84. مُحَمَّد البشير الابراهيمي، **دمعة على المنصف**، البصائر، ع 49، س2، سل 2، 13 سبتمبر سنة 1949، ص1.

ثانيا: البعثات العلمية (جماعية وفردية) إلى خارج الأغواط: لقد تضافرت مجموعة من الأسباب التي دفعت الجزائريين إلى شد الرحال خارجها لطلب العلم، ولعل أول سبب هو الاستعمار نفسه وسياساته تجاه كل ما يمت إلى الثقافة والعلم بصلة، ولأن الجزائر أصابها ركود شامل ومراكزها العلمية تدهورت وضعيتها وتراجعت قيمتها فكان من الواجب الارتحال إلى البلاد العربية الاسلامية لطلب العلم، وفي مقدمتها تونس، التي تمتعت بمجموعة من المزايا أهلتها لأن تكون الوجهة الأولى لطلبة العلم الجزائريين، سواء لقربها أو للارتباط الاجتماعي والطرقي والعلمي بينها وبين الجزائر، دون أن ننسى العلاقات التجارية، ووضعية تونس السياسية مقارنة بالاحتلال الشامل والخانق للجزائر.[1]

لقد كانت تونس في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وما بعدها تموج بحركة الاصلاح الديني والعلمي والوطني، ومحطة استقبال وتلاق للأفكار الواردة من المشرق وأوروبا، ومأوى لكثير من المهاجرين الجزائريين والليبيين وغيرهم، ونقطة تجمع لمريدي الطرق الصوفية وخريجي جامعات المشرق والمتأثرين بالحركة السلفية والمنبهرين بالثقافة الأوروربية.[2]

والجدير بالذكر أن الهجرة لم تتوقف عن الانطلاق من المنطقة نحو أنحاء الجزائر أو خارجها مثل تونس والمغرب الأقصى والمشرق العربي، فقد لاحظ القنصل الفرنسي بالإسكندرية أن الهجرة الجزائرية قبيل الحرب العالمية الأولى كانت تنطلق من عدة مناطق من بينها عين ماضي بالأغواط، ولعل الروابط الطرقية الصوفية لعبت دورا كبيرا في تسهيل عملية التنقل، خصوصا عند طلب العلم، فقد كان الأغواطيون يتوجهون إلى جامع الزيتونة في تونس و جامع القرويين في المغرب الأقصى، والجامع الأزهر في مصر.[3]

---

[1]- خير الدين شترة، **قضايا في التاريخ النضالي والاستقلالي للجزائر المعاصرة وأبحاث تراثية وفكرية للمجتمع الجزائري الحديث**، دار الصديق للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، 2015، ص 464-465.

[2]- المرجع نفسه، ص465-468.

[3]- عمار هلال، **الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق (1898-1918)**، الثقافة، ع84، نوفمبر- ديسمبر 1984، ص129 وما بعدها. مُحَمَّد بوعزارة، **عشت مع أولئك**..، مصدر سابق، ص119.

1/ الهجرات الفردية:

أ)مُحَمَّد التهامي شطة (ت بعد 1915م): كاتب، صحفي، من دعاة الاصلاح الاسلامي، ولد ونشأ في مدينة الأغواط، وهو من مثقفي الأغواط الذين هاجروا بسبب الاحتلال الفرنسي لها سنة 1852، وقد ذكر الشيخ أحمد قصيبة في مقال نشره بمجلة " الثقافة " الجزائرية أنه هاجر إلى تونس فرارا من الاحتلال بمعية أخويه أحمد بن التهامي و العيد بن التهامي اللذين استوطنا مدينة تونس، أما هو فقد هاجر إلى الشام بعد احتلال فرنسا لتونس سنة 1881، أنشأ جريدة" المهاجر " بدمشق في 11 يناير 1912م، ثم جريدة" الاتحاد الاسلامي "في 23 يناير 1915 م فلم تعمر طويلا، انتقل بعدها الى تركيا، وتوفي بها بعد فترة قصيرة[1] و ترك ابنين في مدينة إزمير أصبحا موظفين في الإدارة التركية، [2] وقد تكون عائلة الشطة انقرضت من دمشق حسب خير الدين شترة إذ أن ثلاثة منها سقطوا في الثورة السورية في العشرينات.[3]

يصف عمار هلال مُحَمَّد التهامي شطة بأنه : "أديب من دعاة الاصلاح"[4] و "من رواد الصحافة العربية"[5] أما الدكتور صالح خرفي فيذكر أن مُحَمَّد التهامي شطة كان له الفضل في نهضة الصحافة بسوريا إذ أصدر بها جريدة " المهاجر" و قد دامت ثلاث سنوات ثم جريدة " الاتحاد الإسلامي " و قال عن مقالاته الصحافية: " تجسد هذه المقالات مدى وعي الكتاب لأحداث عصره، و مدى تألمه للحالة المتردية في العالم الإسلامي . "[6]

---

[1]- عادل نويهض، مرجع سابق، ج1، ص85-86.

[2] - أحمد قصيبة، **من هو مُحَمَّد التهامي شطة؟**، مجلة الثقافة، ع 7، مارس 1972، ص119.

[3]- خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956**، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009، ج1، ص317.

[4]- عمار هلال، **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الاسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (14/3 الهجريين)** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2010، ص63

[5]- المرجع نفسه، ص235.

[6]- مجلة الثقافة، ع 26، أفريل – ماي 1975، ص 15.

أنشأ مُحَّد التهامي شطة جريدة في دمشق سميت المهاجر وكان هو رئيس تحريرها ، وكان يتصدر الصفحة الأولى من جريدة المهاجر " رواد إصلاح وقصاد نجاح " وجاء تحت عنوانها: جريدة يومية سياسية أدبية علمية تجارية فكاهية، وإدارة الجريدة في نادي جمعية مهاجري افريقيا عن بوابة الصالحية،[1] وقد كان مموها الأمير علي وصدر العدد الأول من خذه الصحيفة في دمشق 11 جانفي 1912 ، وكانت دورية استمرت في الصدور ثلاث سنوات أي الى بداية الحرب العالمية الأولى، وقد كانت تخدم الدولة العثمانية والاسلام حسب خطها التحريري.[2]

وقد كتب القنصل الفرنسي في دمشق حول أول عدد لجريدة المهاجر تقارير مفصلة الى حكومته مع ترجمة لاهم المقالات التي تتضمنها خاصة تلك الموجهة ضد السياسة الفرنسية المطبقة على المسلمين في الجزائر ، وقد حملت هذه الجريدة لواء الدفاع عن المهاجرين الجزائريين والتونسيين كما نشرت في بعض أعدادها دعوات ونداءت للهجرة موجهة الى شمال افريقيا ، وكان الأمير علي قبل سفره الى طرابلس الغرب قد ترك تعليمات وموارد لضمان حياة أطول للصحيفة.[3]

ولم تقتصر انتقادات جريدة المهاجر على الوضع في الجزائر المستعمرة بل اهتمت كذلك بالأوضاع في بلاد الشام وبالأطماع والأهداف البعيدة لفرنسا في المنطقة وتكلمت عن مخاطر المدرس الفرنسية المنتشرة في بلاد الشام ،[4] وحسب تقرير وجهه القنصل في دمشق الى السفارة في اسطنبول جاء فيه " " أن مُحَّد لم يعد يكتفي بالعدد القليل من قرائه بل استفاد من رخصة التنقل التي منحتها له الإدارة الألمانية – المسؤولة عن خط حديد الحجاز- بصفته صحفيا وانتقل الى "المدينة " وراح ينشر فيه العداء لكل ما هو فرنسي حتى أنه طبع أعداد استثنائية " للمهاجر " ، ضمنها ترجمة لمقال صحيفة

[1]- سهيل الخالدي، **الإشعاع المغربي في المشرق دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام**، دار الأمة، الجزائر، 2016، 320.

[2]- خير الدين شترة، **الطلبة**..، مرجع سابق، ج1، ص317. سعد الله، **الحركة الوطنية**..، مرجع سابق، ج2، ص127.

[3]- نادية طرشون ، **الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام 1848-1911**، رسالة ماجيستير، إشراف مُحَّد خير فارس، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1984. ص205 .

[4]- نادية طرشون، مرجع سابق، ص206

الراديكال ينتقد السياسة الفرنسية المتبعة في الجزائر لنشره في المدينة حيث الحجاج والزوار من كل أنحاء العالم الاسلامي"[1].

وأضاف القنصل قائلا " أن كل هذا الهياج لمدير المهاجر ما هو إلا نوع من الابتزاز فهو يريد من يكسب ولاءه بالمال ولكنني لن أرضخ أبدا لمحاولة شراء مثل هذا الضباب، ولكن هناك وسيلة بواسطتها يمكننا تكميم هذا الرجل فهو قد أهمل تسجيل نفسه في النفوس العثمانية كما علمت أن الوالي بدأ يضيق به ذرعا ، فما علينا الا أن ننفيه الى الجزائر أو تونس التي فيها طويلا ، واقتراح كهذا لم يتحقق لأن ليس لفرنسا يد أو سلطة مثل تلك التي لها على الجزائر فيمكنها طرد ونفي من تشاء والابقاء على من تشاء" ، ولم يكن بيد القنصل إلا إبداء الأسف على مقالات الصحف الصادرة في دمشق وبيروت والمواجهة ضد فرنسا. [2]

وقد أوردت الأستاذة نادية طرشون بعض النماذج من مقالات جريدة المهاجر احتواها عدد من أعداد من السنة الثالثة ، وفيها تعبير صادق عن أحاسيس المهاجرين الجزائريين الذين لم ينسهم تشردهم ولا كرم الضيافة التي لقوها من أهل البلاد وطنهم الجزائر ، حيث راحت " المهاجر " تزرع الآمال في قلوب المهاجرين للعودة إلى الوطن ، وتدعوهم الى التضامن والاتحاد وتحذرهم من الفرقة " فيجب علينا نحن معاشر الجزائريين أن لا نستسلم إلى اليأس بل نتضامن ونتحد قلبا وقالبا حتى نرى دواء شافيا نداوي به آلامنا ..وطريقا مستقيما يوصلنا الى غايتنا المنشودة "،[3] وبحسب تعبير الدكتور صلاح خرفي " إن الشعور الوطني ليتصاعد ، والاحساس بالمرارة ليتفاقم ، والرغبة في التأخر لتتأجج حتى تنفجر بركانا " نشيد وطني الجزائر " كأن به على عتبة نوفمبر 1954 ، وإنصافا للتاريخ فان هذه الفترة المبكرة من مستهل القرن لم تسجل في الجزائر مثل هذا النص وفوة المعاني والتعبير فانطلقت هذه المعاني من سوريا بعد ان كانت حبيسة في الجزائر.[4]

---

[1]- المرجع نفسه، ص206.

[2]- نادية طرشون، مرجع سابق، ص 207-208.

[3]- نقلا عن : نادية طرشون، مرجع سابق، ص207، الصفحة الثالثة من جريدة المهاجر ، السنة الثالثة ، مقال من إمضاء جزائري .

[4]- صالح خرفي ، **المهاجر** ، مجلة الثقافة ، ع 3 ، سنة 1981، ص 115.

وفي توضيح لجريدة المهاجر للهدف الذي أنشئت من أجله وللمبادئ السامية التي تعمل لتحقيقها ذكر رئيس تحريرها "... اننا والله لا قصد لنا الا خدمة الحقيقة وانتقاد الظلم الذي كن سببا في لخروجنا من البلاد فحملنا على تجرع مرارة الغربة [1]، وقد تحاملت " المهاجر " بشدة في عدة مقالات لها على أولئك الذين تراجعوا عن هجرتهم وعادوا الى الجزائر بعدما تخلصوا من ظلم المستعمر الفرنسي واستبداده ، وقالت أن الاسلام نادى بالهجرة للمسلمين المظلومين ، والمسلم برجوعه الى بلد الظلم كأنه فر من ساحة الجهاد ، ولم تقتصر الدعاية المضادة للفرنسيين على المقالات الصحفية وأقوال المهاجرين بل تعدتها الى تشكيل جمعيات خاصة بالمهاجرين من الجزائر وتونس.[2]

كان مُحَّد الشطة عضوا مؤسسا في جمعية مهاجري شمال إفريقيا التي أصدرت جريدة المهاجر، واتفقت مع الألمان وتحالفت معهم ضد فرنسا، وكان القنصل الألماني في دمشق يصرح علنا بتأييد مطالب الجمعية باستقلال الجزائر،[3] ففي سنة 1910ظهر التجمع الأخوي للمساعدة والدعم المعنوي بين الجزائريين والتونسيين في اسطنبول بإيعاز وتنظيم من الشيخ الصالح الشريف وإسماعيل الصفايحي والتونسيين وكانت مهمة التجمع تقديم المساعدات للمحتاجين من المهاجرين والتوسط لهم لدى الحكومة ، و تشجيع الجزائريين والتونسيين على الهجرة بتوجيه النداءات عبر الرسائل والحجاج وكان لهذا التجمع فروعا في المقاطعات العثمانية أهمها فرع دمشق وكان من أعضائه الجزولي باش من قسنطينة ، ومُحَّد بن الصغير من سدراتة والحاج إسماعيل من قسنطينة ، مُحَّد بن شطة والشيخ الحسين وهذا الأخير كان مكلف بكتابة النداءات للجهاد المقدس الذي تنوي اللجنة إرسالها بكثرة الى المناطق الداخلية في الجزائر وكانت اللجنة تتلقى الاعانات من عدة جهات من أثرياء جزائريين من دمشق والمدينة المنورة وحتى من الجزائر.[4]

---

[1]- نقلا عن نادية طرشون، مرجع سابق، ص207. الصفحة الخامسة من جريدة المهاجر ، دت .

[2]- طرشون، المرجع نفسه، ص208. سهيل الخالدي، **الإشعاع**..، مرجع سابق، ص320.

[3]- سهيل الخالدي، **الدور الجهادي للمهاجرين الجزائريين في حركة التحرر القومي العربي خلال القرن العشرين**، الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830-1962، الأوراسي 30-31 أكتوبر2006، ص108. عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص69.

[4]- نادية طرشون، مرجع سابق، ص208.

وظهرت في المدينة المنورة " جماعة شرفى" (الشرفاء) أسسها المكي بن عزوز وهو عالم جزائري–تونسي من أسرة بن عزوز الشهيرة، هاجر سنة 1898م الى مكة ومنها انتقل الى اسطنبول حيث استطاع بسبب مكانته العالمية أن يحصل على مركز محترم ، أنشئت هذه الجمعية سنة 1913م ، وهي ذات اتجاه اسلامي تعمل لصالح الجمعية الاسلامية وكانت تعمل لتكوين حركة ثورية في الجنوب الجزائري ، وفي اجتماع لهذه اللجنة في القاهرة اشترك مشاركون مراكشيون وتونسيون وجزائريون من بين هؤلاء القائد سي الأخضر الذي هاجر من تلمسان الى بلاد الشام سنة 1910م .[1]

وأشار فيليب دي طرازي بأن مُحَّد بن التهامي الشطة اصدر جريدة أخرى في جانفي 1915م في الاتحاد الاسلامي ولعله أصدر هذه الجريدة بعد توقفت جريدة المهاجر عن الصدور ، أما عن جريدته "الاتحاد الاسلامي " فقد جمع موادها في طبعة خاصة في " سلسلة مقالات" عن مطبعة الترقي بدمشق.[2]

ب)البشير بن الحاج: وقد سبق التعريف به في فصل الطرق الصوفية، وقد شد الرحال إلى تونس لطلب العلم منها ثم عاد سنة 1872.[3]

ج)الحاج مُحَّد طالبي: حفيد الشيخ أحمد بن أبي زيان وقد درس في تونس وعاد بعدها إلى إمامة المسجد العتيق.[4]

د)سي أحمد عويسي التيجاني: تم التعريف به سابقا في أعلام الطريقة التيجانية.

[1]– نادية طرشون، مرجع سابق، ص208.

[2]– المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[3]– طالبي، مرجع سابق، 42.

[4]– المرجع نفسه، ص42.

2/الطلبة الأغواطيون في جامع الزيتونة والبلاد التونسية ونشاطاتهم: كان جامع الزيتونة منهل العلوم، تُشدّ إليه الرحال لطلب المعرفة، وكان يقوم فيه مجموعة من كبار العلماء الّذين أوقدوا شعلة الإصلاح في النفوس، فانطلقت إلى كل أرجاء المغرب العربي، فكان قاعدة للتحرّر والتحرير من خلال إعداد الزعامات الوطنية وترسيخ الوعي بالهوية العربية الإسلامية، وكان الطلبة يفدون إليه من الجزائر طلباً للعلم والمعرفة، وقد تميّزت هجرات الطلاب العلميّة المبكّرة بأنها كانت نتيجة رغبة شخصيّة، أو مبادرة فردية، وتخرّج من هذا الجامع كثير من رجال الحركة الاصلاحيّة الجزائرية، وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس ، الّذي عمل بعد عودته من تونس وحصوله على الشهادة العلمية، على تشجيع طلابه على السفر إلى هذا الجامع ومتابعة التحصيل العلمي فيه، بهدف إعادة الجسور الثقافية بين تونس والجزائر، والّتي سعى المستعمر بكل وسائله الخسيسة لهدمها، وهكذا بدأت الرحلات الجزائرية العلمية إلى الزيتونة وكثر الطلاب الجزائريون هناك.[1]

كتب الطالب الزيتوني أحمد قصيبة الأغواطي مقالا في جريدة البصائر بعنوان: "**ذكريات تونس**" حول أهمية جامع الزيتونة: " ..تونس الخضراء بجامعها الأعظم المعمور الذي يؤمه الجزائريون للتفقه في علوم العربية والإسلام قد صارت وطنهم الثاني أو وطنهم الفكري والروحي، فقد لبث جامع الزيتونة الذي هو كعبة الشمال الإفريقي حينا من الدهر الملجأ الوحيد الذي اعتصمت به ولاذت به الجزائر العربية المسلمة أم الجيوش الجرارة الساحقة الناسخة الماحقة من الاحتلال والإدماج والتبشير والتنصير وهو حصن القومية العربية الشرقية ومعسكرها الذي يقصده المجاهدون ليأخذوا أسلحتهم وعدتهم ليجاهدوا في سبيل إعلاء كلمة الله وإعلاء راية الاسلام والضاد بهاته الديار بأقلامهم وألسنتهم ومواعظهم ومواقفهم، فولت الجزائر وجهها الشاحب شطر صرح عبد الله بن الحبحاب واحتمى به أبناء العربية المتشردون الغرباء بلغتهم ودينهم في أوطانهم من فتيان الجزائر، فأفسحت لهم خالتهم تونس الخضراء الكريمة المضيافة لهم المجال ونزلوا بها على الرحب والسعة منزل المكرمين رغم أنف المفرقين.."[2]

---

[1]- مُحَمَّد صالح الجابري ، **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962** ، دار الحكمة للنشر والترجمة ، الجزائر، 2007 ، ص 36. عبد القادر قويع، مرجع سابق، ص72-73. علالي، مرجع سابق، ص118.

[2]- أحمد قصيبة، **ذكريات تونس**، البصائر، ع11، س 1، سل 2، 20 أكتوبر 1947، ص3.

أ)الطلبة الأوائل: بالعودة إلى كتاب الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية للأستاذ حبيب حسن اللولب، فإننا نحصي وجود طالب واحد من الأغواط في الفترة ما بين 1876 و1900 وهو الطالب عبد السلام بن الحاج مُحَّد بن الحاج الطيب بن أبي بكر وهو من عين ماضي، وقد درس قبل الالتحاق بالزيتونة وكان يحفظ القرآن حفظا جيدا ومع حسن الاطلاع على الخط مع : "مخائل النجابة" ،[1] بينما نحصي طالبين في الفترة ما بين 1901 إلى غاية 1917 وهما عمر بن الحاج سعد بن مسعود الغربي الغواطي وقد درس قبل الالتحاق بالزيتونة ويحسن الخط جيدا مع حفظ القرآن، أما الطالب الثاني فلم يورد حسن اللولب اسمه،[2] بينما نحصي وجود طالب واحد في الفترة ما بين 1918 إلى غاية 1930 وهو أحمد بن مُحَّد العيرية من عين ماضي بالأغواط .[3]

ب)البعثة الأغواطية إلى جامع الزيتونة في الثلاثينات: نجد في الفترة ما بين 1931 و 1940 كل من عمر بن الحاج مُحَّد الساسي، أحمد بن التهامي شطة وأبو بكر بن بلقاسم بن الحاج عيسى، وأحمد بن أبي زيد الأغواطي (قصيبة) درس قبل الالتحاق بالزيتونة وتحصل على شهادة الأهلية دورة جوان 1936، وسجل بالسنة الأولى من المرتبة المتوسطة (ثانوي) في السنة 1937- 1938 وقد تولى خطة كاتب عام بجمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين سنة 1936، ومُحَّد الطيب الحفصي ومُحَّد بن الحاج عيسى دهينة. [4]

وهؤلاء هم من شكلوا البعثة الأغواطية إلى الزيتونة، وقد كلف دهينة بن الحاج عيسى بمرافقتهم إلى تونس وتنظيم أمورهم، ومتابعة دراستهم والاهتمام بهم – كلما توافرت فرصة من دهينة لزيارة تونس في أموره التجارية – وقد اضطلع هذا بواجبه على أكمل وجه، فلم يشعر الطلاب بأية معاناة أثناء

[1]- حبيب حسن اللولب، **الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية**، وزارة الثقافة ، الجزائر، 2013، ص 14، 176.

[2]- حبيب حسن اللولب، مرجع سابق، ص19، 179.

[3]- نفسه، ص28، 214.

[4]- حبيب حسن اللولب، مرجع سابق، ص 37.

تعلمهم، وبعد أن أكملوا دراستهم عادوا إلى الجزائر لمتابعة الجهد الذي بدأه شيخهم مبارك الميلي فتكونت بذلك القاعدة الاصلاحية الصلبة في الأغواط[1].

ج)تأسيس جمعية الطلبة الجزائريين في الزيتونة ودور الطلبة الأغواطيين في نشاطاتها: برزت الحاجة الملحة لتكوين تجمّع يلم شتات الطلبة الزيتونيين الجزائريين ويعتني بحاجاتهم، فكانت جمعيّة الطلبة الجزائريين الزيتونيين.

فقد زار الشيخ مُحَمَّد البشير الإبراهيمي تونس في بداية الثلاثينات، واجتمع بالطلبة والعمال الجزائريين هناك، وحثّهم على رصّ صفوفهم، ورأى أنّ عدد الطلبة الجزائريين وقتها يربو عن المئتين، وهو عدد غير قليل، ويحتاج إلى تنظيم قانوني يكفل له حريّة العمل، ويمكّنه من جمع شتاته، وتوحيد كلمته، وقد حثّ الطلبة على إنشاء جمعيّة تجمعهم، وتوحّد كلمتهم، وتلبّي حاجاتهم، فتحمّس الطلبة لذلك أشدّ الحماس، إلا أنّ العمل في سبيل تحقيق هذه الغاية كان بطيئاً وسريّاً، خشية من السلطات الاستعمارية، الّتي كانت تمنع أي نشاط أو تجمّع يلوح في الأفق[2].

وبعد سنتين استطاعت الجمعيّة أن تعلن نفسها، وذلك سنة1934 م، وعقد الطلبة اجتماعاً انتخبوا خلاله هيئة لجمعيتهم، واتخذوا اسماً لها وهو "جمعيّة الطلبة الزيتونيين الجزائريين"، واختاروا رئيساً لها تركها بعد أشهر قليلة، ثمّ خلفه آخر أكمل رئاستها حتى نهاية عام 1934م ، وأسندوا رئاستها الشرفية إلى الشيخ المختار بن محمود، واستطاع أعضاؤها في وقت قصير التعريف بالجمعيّة وإشهارها[3].

بعد موافقة الحكومة العامة على طلب النخبة الطلابية الجزائرية غمرتهم الفرحة والابتهاج وشرعوا في تشكيل الجمعية وانتخاب هيئتها التي تسهر على سيرها وعملها ، وفي هذا يقول السيد مصطفى الجيجلي " منحت الحكومة الرخصة لجمعيتنا وسطرت برنامجا تسير عليه يرمي الى غاية شريفة نود أن

---

[1]- مُحَمَّد الحسن فضلاء، **المسيرة**..، مرجع سابق، ج1، ص 470. دبوز، **نهضة**..، مصدر سابق، ص264. قصيبة وحماني، مرجع سابق، ص04. بسام العسلي، مرجع سابق، ج7، ص165-166.

[2]- أحمد مريوش، **دراسات**..، مرجع سابق ، ج1، ص163.

[3]- أحمد مريوش ، **الحركة الطلابية**..، مرجع سابق ، ص163. مُحَمَّد صالح الجابري، **النشاط العلمي** ..، مرجع سابق، 102

تعاضدنا الأمة والحكومة الى تطبيقه لنصل الى غايتنا وضالتنا المنشودة "[1] ، وقد أسندت الرياسة الى " الشاب النزيه المرحوم الأديب الفاضل الشيخ أبو رنان الدريدي كرئيس لمكتبها الإداري الأول ونائبه الأديب الفاضل صديقنا الشيخ المهدي أبو عبد الله مفتي "بجاية " ويذكر ذلك الشيخ مُحَّد بن صالح عتيق في كتابه أحداث ومواقف حيث يقول أن المؤسس الأول لجمعية الطلبة هو الشيخ أبو رنان الميلي " وقد ساعده في عمله الاداري كل من الأديب مُحَّد الطيب الحفصي الأغواطي والأخ مُحَّد بن العربي والشيخ المهدي أبو عبد الله بذلك أدخلوا الجمعية في عهد نظامها الرسمي [2]، تداول على رئاسة الجمعية في عهدها الأول (من التأسيس الى الحرب العالمية الثانية) عدد من الشباب الذين ساروا بها الطريق الحسن انطلاقا من التأسيس سنة 1934م:

-مجالس الجمعية في الفترة الأولى (1934-1939):

***المجلس الأول** : هنا اراء متضاربة حول المؤسس الأول للجمعية بين من قال المهدئ البجائي وصاحب هذا القول هو الكاتب للجمعية "عمار النجار" سنة 1948م في مقاله المدون على صفحات "الثمرة الثانية" حين ذكر في مقال كتبه بعنوان "تاريخ الجمعية :أثارها – مشاريعها – أعمالها " حيث ذكر في الصفحة (09) قوله " تولى رئاستها الشيخ المهدي البجائي ، بإسناد من الرئاسة الشرفية الى الشيخ العلامة المختار بن محمود ، فسار بها سيرا أدبيا بحتا ، وبعده تولى رئاستها الشيخ عبد الحميد حيرش "[3] .

وقد دعم هذا الرأي الدكتور الباحث ، مُحَّد صالح الجابري في كتابه "النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس" حينما قال :" ففي هذه السنة 1934م عقد الطلبة اجتماعا انتخبوا من خلاله هيئة لجمعيتهم التي تخذوا لها اسم " جمعية الطلبة الزيتونيين " وأولوا رئاستها الشيخ المهدي البجائي ، كما أسندوا رئاستها الشرفية الى شيخ مختار بن محمود أحد مشايخ الزيتونة المرموقين غير أن

[1]- مصطفى بن سعد الجيجلي، **تأسيس جمعية الطلبة** ، جريدة البصائر ، ع 91، س 3، سل 2، 24 ديسمبر1938، ص08.

[2]- مُحَّد الصالح عتيق ، **أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية** ، مطبعة دحلب، الجزائر، 1990، ص 76. أحمد مريوش ، **الحركة الطلابية الجزائرية** ....، ص 174. أحمد مريوش ، **دراسات**..، مرجع سابق ، ص163.

[3]- جمعية الطلبة ، **الثمرة الثانية** ، ص 09.

رئاسة الشيخ البجائي للجمعية لم تدم سوى بضعة شهور ، ثم ال أمر رئاستها بعد ذلك الى الشيخ عبد المجيد حيرش الذي استمر على رأس الجمعية حتى بعثة 1934م وخلال هذه الفترة بذلت جهود كبيرة لتعريف بالجمعية وتوضيح الأغراض التي أسست من أجلها "[1] .

واما الرأي الثاني فقالوا أن الرئيس الشرفي الأول هو أبو رنان الدريدي وأصحاب هذ الرأي هما الشيخ مُحَّد صالح بن عتيق في كتابه أحداث ومواقف في مجال الدعوة حيث يقول :" والمؤسس الأول لجمعية الطلبة هو الشيخ أبو رنان الميلي ، وقد ساعده في عمله الادراي كل من الأديب مُحَّد الطيب حفصي الأغواطي والأخ مُحَّد بن أحمد العربي والشيخ المهدي أبو عبد الله "[2]

رغم اختلاف الآراء حول المؤسس والرئيس الأول فالمهم أن هذين الشخصيتين أبو رنان الدريدي أو المهدي البجائي كانا على رأس الهيئة الإدارية الأولى عقب تشكيل الجمعية سنة 1934م ، لكن الهيئة الألى لم تدم طويلا من جويلية تاريخ استلام الرخصة الى غاية 06نوفمبر من نفس السنة ثم أعيد انتخاب مجلس من جديد للجمعية في نفس اليوم .

***المجلس الثاني** : في مساء يوم الخميس 16 شعبان سنة 1353هـ ، الموافق 22 من شهر نوفمبر1934 طبق الفصل السابع من القانون الأساسي لجمعية الطلبة أعلنت لجنتها القديمة عقد اجتماع لكافة الطلبة قصد اعادة انتخاب اجنة ادارية جديدة للجمعية الطلبة الجزائريين ، وبالفعل واستنادا على رسالة بعث بها السيد نائب الكاتب العام على بن المغربي الى جريدتي " النهضة " و " الزهرة " التونسيتين حيث باشرت لجنة طلبة مكونة من السادة :" مُحَّد المليانى – السعيد حجازي – الشاذلي التبسي – السعيد سطيفي - أحمد الأغواطي(قصيبة) " ، وهي اللجنة التي جعلتها اللجنة القديمة بقيادة كل من " المهدي البجائي ، الدريدي أبو رنان" للقيام بعملية الانتخاب وفرز الاصوات وبعد أخذ ورد أسفرت عملية القرعة عن تعيين ثلاثة عشر فردا للهيئة الإدارية ، ومن بعدها بيوم اجتمعت الهيئة السابقة وانتخبوا رئيس من بينهم ونائبا له وأمين ال وكاتب عاما ونائبه وأعضاء مستشارين طبقا للفصل الثامن فكانت النتيجة كتالي :

---

[1] - مُحَّد صالح الجابري ، **النشاط العلمي** ..، مرجع سابق ص 102.

[2]- مُحَّد صالح بن عتيق، مصدر سابق ، ص 76. أحمد مريوش ، **الحركة الطلابية الجزائرية** ....، ص 174. أحمد مريوش ، **دراسات**..، مرجع سابق ، ص163.

- عبد المجيد حيرش : رئيسا
- عمار عبد الزراري : نائبا له
- الدريدي أبو رنان : أمين مال
- أبو عبد الله المهدي : نائبه
- مُحَّد الحفناوي السوفي : كاتبا عام
- على بن المغربي الفرفاري : نائبه
- مُحَّد المليانى – عيسى بلقاسم – على بن العيد السطيفي – أبو بكر بن بلقاسم الأغواطي – أبو الأخرص السلطاني – عبد الرحمان النوري – مُحَّد رزقي الزواوي ، (أعضاء مستشارين)

وقد حرر هذا البيان نائب الكاتب العام السيد علي بن المغربي ، ودام هذا المجلس الإداري تقريبا سنة كاملة ، والملاحظ على هذه الفترة أنها عانت نوعا ما من الأتعاب والصعاب واجهت الهيئة الادارية الأولى التي كانت فيها الجمعية لا تكاد تسمع بحكم سابقتها لكن لم يمنع ذلك من قيامها ببعض الأعمال المتمثلة في التعريف بالجمعية لدى الأوساط التونسية وحتى الجزائرية والعمل على تحقيق ما أنشئت من أجله وهو احداث التواد والتعارف بين أفراد الطلبة المسلمين الجزائريين وإخوانهم التونسيين.[1]

***المجلس الثالث:** ما إن قاربت سنة 1935م على الختام وفي شهر نوفمبر حتى أعلن مرة اخرى تجديد الهيئة الادارية للجمعية حسب قانونها الأساسي (الفصل السابع) المتضمن اجراء عملية انتخاب للمجلس الجديد ، وبالفعل في يوم 15 نوفمبر من سنة 1935م انعقد اجتماع الطلبة الجزائريين بقاعة قدماء الصادقية بتونس قصد انتخاب المجلس الاداري الجديد وبعد عملية الفرز أسفرت النتيجة التالية:

عبد المجيد حيرش : رئيسا و مُحَّد بن نصر الجزائري : رئيسا وعلي العيد السطيفي : كاتبا عاما له و على الصايغي : نائبه و الشاذلي التبسي : أمينا عاما له وأبو الأخرص السلطاني: نائبه ويوسف

[1]- أحمد مريوش ، **دراسات**..، مرجع سابق ، ص163-164.

التبسي : عضوا مستشارا ومصطفى الجيجلي – عبد الحميد الميلي – أبوبكر لغواطي – مُحَّد الزواوي – لخضر السوفي – مُحَّد الشاذلي (أعضاء مستشارين)[1].

وقد أرسل الكاتب العام الجديد السيد : علي العيد السطيفي محضر الاجتماع واللجنة المنبثقة عنه إلى "جريدة الزهرة التونسية"، وقد أدرج هذا المجلس بتاريخ 22 نوفمبر 1935م، ولم يمضى سوى يوم على الهيئة الجديدة للجمعية حتى أرسل الشيخ حيرش الى رئيس جريدة الزهرة طلبا بإعفائه من رئاسة الجمعية بسبب ظروف صحية. [2]

***المجلس الرابع** : ومن هنا يبتدئ الظهور المشرف والمشرق للجمعية ، فبعد مضي السنة على المجلس السابق الذي عرف تنازل رئيسه واستعفائه بعد شهور من المهام[3] ،عقد اجتماع عام لطلبة الجزائريين مساء يوم الجمعة في 06نوفمبر 1936م في قاعة قدماء الصادقية المعهودة لانتخاب المجلس الادراي المتكون من أربعة عشر عضوا وأسفرت الانتخابات على فوز الأتية أسمائهم السادة : الشاذلي المكي : رئيسا والسعيد بن مخلوف الحجازي : كاهية الرئيس وأحمد بن أبي زيد قصيبة الأغواطي: الكاتب العام ومُحَّد العربي بن اسماعيل الصائغي : نائب كاتب عام ومُحَّد مبروك السناني ومصطفى بن سعد الججيلي : نائب أمين المال و العادي بن أبي القاسم السطيفي : مراقب عام وأحمد بن مُحَّد الميلي – أحمد البشير اليحياوي – أحمد بن صالح ذياب القنطري – علي بن مُحَّد الشرفي – مُحَّد الأخضر السائحي – عثمان عثماني الصائغي ، عبد الحميد التيجاني ، أعضاء المستشارين . [4]

وقد طلبت الجمعية المتمثلة في مجلسها الجديد من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ايلائها عناية بحكم أن الطلبة هم مادتها الأولية الذين يرفعون لواءها ، كذلك طلبت من زعماء الاصلاح وأنصاره اعانتها ماديا ،وأنها مستعدة لتقبل النصائح والمقترحات عاقدة في ذلك العزم على القيام بأعمال جديرة بالجمعية وتليق بمكانتها ، فرغم الجهود المضنية التي كانت الجمعية تقوم بها خلال سنواتها

[1]– الزهرة ، ع 8565، س 48، الجمعة 22 نوفمبر 1935، ص2.

[2]– الزهرة ، ع 8566، س 48، السبت 23 نوفمبر 1935، ص3.

[3]– خير الدين شترة ، **اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900– 1939** ،مرجع سابق، ص 134.

[4]– أحمد بن أبي زيد قصيبة، **جمعية الطلبة الجزائريين**، البصائر ، ع 44، س 1 ، سل 1، 20 نوفمبر 1936، ص05.

الأولى من التأسيس الا أنها لم ترقى الى الطموحات التي كان ينتظرها الطلبة ، وذلك ماذكره الكاتب العام السيد أحمد بن أبي زيد قصيبة الأغواطي في رسالة الى الشيخ الطيب العقبي يخبره فيها : " وقد تأسست بالفعل تلك الجمعية المباركة منذ سنوات ثلاث تحت اسم " جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس" الا أنه لم يكن لها في تلك المدة عمل يذكر أو أثر مشجع يبعث على الأمل في النفس ...وها هي الأن تستقبل سنتها الرابعة والأمال ضخام " [1]، وقد أرسل هذا البيان ومجريات عملية الانتخاب الكاتب العام الجديد للجمعية الطالب أحمد أبو زيد قصيبة الأغواطي إلى جريدة البصائر .

***المجلس الخامس** : في سنة 1936م وما بعدها ستعرف الجمعية قفزة نوعية في نشاطاتها الداخلية و الخاريجية حيث تولى رئاستها الشاب الشاذلي المكي حيث بعد عقدها لاجتماع العام المتشكل لهيئتها الجديدة مساء الجمعة 06نوفمبر 1936 ، ولعل الملاحظ على رئيس الهيئة الجديدة الشاب " الشاذلي المكي" أنه ذو خبرة وحيوية حريص على ما ينفع الطالب الجزائري فقد قال عنه النجار كاتب عام الجمعية سنة 1948 " الأستاذ الشاذلي المكي كتلة من الاخلاص وجموعة من الفضائل والمكرمات واية من ايات العبقرية والذكاء".[2]

وقد أرسل الكاتب العام الجديد أحمد بن أبي زيد قصيبة الأغواطي بيانا اجماليا عما حصل أثناء الانتخابات الى جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث كتب في مقاله ما تطمح اليه الجمعية من أعمال فقال " وقد عزم المجلس الإداري الجديد أن يقوم بأعمال تجدر بالجمعية وتليق بمكانتها ومن ذلك طبع نشريات سنوية تحتوي على بعض الخطب و والقصائد المنتخبة مما يلقيه الطلبة في الاجتماعات النصف الشهرية ومن ذلك أخد صورة لأفراد الجمعية وبعث الصورة لتباع في الجزائر دعاية للجمعية وتنمية لماليتها كذلك طبع مقتطفات لإعانة الجمعية تبعث لمن يطلبها بالجزائر ويوزعها الطلبة ببلدانهم في الراحات الصيفية والرمضانية وغيرها ، وغير ذلك مما يرجع بالفائدة على الطالب الجزائري الزيتوني ".[3]

[1]- أحمد بن أبي زيد قصيبة، **جمعية الطلبة**...، مصدر سابق، ص05

[2]- جمعية الطلبة الجزائريين ، **الثمرة الثانية** ، ص 10. أحمد مريوش ، **دراسات**..، مرجع سابق ، ص164.

[3]- أحمد بن أبي زيد قصيبة، **جمعية الطلبة**..، مصدر سابق، ص 05.

ومن أهم النشاطات التي قامت الجمعية هو نشاط سنة 1937م ويعتبر الأهم في مشوارها العملي وهو اصدرا ثمرة أعمالهم التي ودليل وحدتهم ونشاطهم وهو إصدارهم لـ: "الثمرة الأولى" حيث رأت الجمعية تعظيما لأعمالها وتخليدا لذكريات أن تجمع ما خطبة الخطباء ، وما قاله الشعراء وتجعله نشرة تحفظ في صحائف التاريخ وثمرة يانعة يقطفها الشباب[1] ، والتي ألقيت على منابر الجمعية في الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية الموافق ل1356هـ وقد تضمن الملف مشاركة ثلة من رجال الاصلاح والوطنية التونسيين والجزائريين .[2]

يقول الأستاذ أحمد مريوش "و كانت الثمرة منبرا شاملا جامعا فتح شهية الكتابة لدى العديد من الطلبة الجزائريين ، والذين كانوا ينشرون في الجرائد التونسية العديدة وبلغ عددهم مطلع 1937م أكثر من 55 ناشر وكاتبا ..لذلك تعد الثمرة همزة وصل جديدة بين رجال الثقافة العربية الاسلامية واحتوت الثمرة الأولى الصادرة سنة 1937م ملفا حافلا بدراسات الدينية التي ألقيت بمناسبة ذكرى الاصلاح وكل ذلك عمق من التلاحم والحس الوطني بين جموع الطلبة".[3]

–مشاركة أحمد قصيبة في كتابة نشرة "الثمرة الأولى": قبل سرد محتويات النشر لابد من ذكر معلوماتها فهي نشرة الثمرة الأولى السنة الرابعة للجمعية 1936-1937م جمعتها ورتبتها اللجنة الأدبية للجمعية وقام بنشرها وتصحيحها الشاذلي المكي رئيس الجمعية وطبعت بمطبعة الشباب ، شارع باب المنارة رقم 21 تونس ، وهذه النشرية سحبت بأعداد كثيرة لتباع في الجزائر وتونس مع عدم استبعاد أن يكون لها اتجاه سياسي علني وصريح وبعد قومي اسلامي وقد ساهم أحمد قصيبة بكتابة مقدمة نشرية الثمرة الأولى موقعا باسم : "الأديب أحمد الأغواطي الكاتب العام للجمعية"،

[1]– مصطفى بن سعد الجيجلي، **أعمال جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين لسنتها الرابعة**، جريدة البصائر ، ع 73، س 02، سل 1، 02 جويلية 1937، ص2. أحمد مريوش ، **دراسات**..، مرجع سابق ، ص165.

[2]– خير الدين شترة ، **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900– 1939م**، دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر2009، ص 108.

[3]– أحمد مريوش ، **الحركة الطلابية**..، مرجع سابق ، ص180.

بالإضافة الى مجموعة من المقالات من الأساتذة والشيوخ من الجزائر وتونس منهم عبد الحميد بن باديس وأبو يعلي الزواوي وآخرون.[1]

وكانت هناك علاقات بين جمعية الطلبة بجمعية العلماء المسلمين وهي المساعدات المالية التي كانت ترسلها هيئة العلماء المسلمين الى جمعية قد توفير الأمن والراحة لطالب الجزائري وذلك ما أشار اليه الكاتب العام للجمعية السيد أحمد بن أبي زيد قصيبة الأغواطي حينما قدم طلب ونداء للجمعية خلال سنوات تأسيسها الأولى حيث قال : " الرجاء أن تعنونا جمعية العلماء التفاتا وعناية لأن الطلبة هم مادتها الأولية وناصرها الأوفياء وهم الذين ينشرون مبادئها ويرفعون لوائها عاليا ونطلب أيضا أمتنا الجزائرية أن تسأل عن ابنائها البررة ورجالها في المستقبل الذين تفهمهم ويفهمونها ويحفظون على كيانها وقوميتها بإخلاص وأمانة والجمعية تطلب الاعانة من زعماء الاصلاح وأنصاره وتقبل النصائح والاقتراحات. [2]

وبعدها سخرت الجمعية العلماء امكانياتها البشرية والمادية ووضعت ضمن مخططها السنوي قدرا معتبرا من ماليتها موجها الى جمعية الطلبة الجزائريين بتونس لكن ليس بالقدر الذي يغطي الحاجيات الضرورية لطلبة بالمجر فقد استطاعت جمعية الطلبة الجزائريين وبعدي مضي عدة سنوات من الجهد أن تتحصل على تأشيرة اكتراء دراين كبيرتين للجمعية الأولى بنهج عبد الوهاب وجعلت مقر لهيئة الجمعية كي تعقد فيها الاجتماعات والثانية بنهج الوصفاني التي جعلت مقرا لإسكان الطلبة الجزائريين، وتجدر الاشارة الى ان الشاذلي المكي استقبل في مقر جمعيته عبد الحميد بن باديس ثلاث مرات فيما بين سنتي (1936-1937م).[3]

[1]- خير الدين شترة ، **الطلبة الجزائرون بجامع الزيتونة** ، دار البصائر لنشر والتوزيع ، الجزائر 2009، ج2، ص 1245-1248.

[2]- أحمد قصيبة، **جمعية الطلبة..**، مصدر سابق، ص05. أحمد مريوش ، **دراسات..**، مرجع سابق ، ص167.

[3]- خير الدين شترة ، **إسهامات النخبة الجزائرية ...**، مرجع سابق، ص 108. أحمد مريوش، **دراسات..**، مرجع سابق، ص167.

د) طلبة الأربعينات والخمسينات: في الفترة ما بين 1941 و1946 نلاحظ وجود طالب واحد وهو الشعراوي مُحَمَّد بن صالح وقد درس قبل الالتحاق بالزيتونة التخق بها سنة 1942-1943 وواصل الدراسة إلى غاية رسوبه في الشهادة الأهلية سنة 1946، [1] مع عدم وجود طلبة في الفترة ما بين 1947-1953، [2] نسجل أربعة طلبة في الفترة ما بين 1954 و1962 ثلاثة منهم من خريجي مدرسة التربية والتعليم بالأغواط[3] وهم انعيمة مُحَمَّد بن الأخضر من مواليد سنة 1935 درس قبل التحاقة بالزيتونة في الأغواط ومعهد بن باديس بقسنطينة والتحق لالزيتون سنة 1952-1953 وقد أحرز على الشهادة الأهلية في تونس سنة 1955، ودرس السنة الأولى ثانوي ثم انقطع،[4] ويوسفي مُحَمَّد بن عمر درس في مدرسة التربية والتعليم بالأغواط ثم التحق بالزيتونة حيث تحصل على الأهلية سنة 1954 وشهادة التحصيل سنة 1957، [5] والمكي بن المدني وقد ردس في معهد بن باديس التحق بالزيتونة موسم 1952-1953 وواصل الدراسة بانقطاع إلى غاية 1956، [6] والبشير بالحاج من مواليد سنة 1934 بالأغواط وقد درس في مدرسة التربية والتعليم بالأغواط وبمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة التحق بالزيتونة سنة 1955 وحصل على الشهادة الأهلية والتوجيه إلى الشعبة العلمية انتقل إلى السنة الأولى ثانوي ثم انقطع.[7]

[1]- حبيب حسن اللولب، مرجع سابق، ص 50، 255.
[2]- المرجع نفسه، ص59.
[3]- نفسه، ص74، 79.
[4]- نفسه، ص424.
[5]- نفسه، ص434.
[6]- نفسه، ص442.
[7]- نفسه، ص449.

3) طلبة المشرق العربي: وقد التحق بالمشرق العربي مجموعة من الطلبة نذكر منهم:

– مُحَّد بن قطاية: ولد سنة1935 بحاسي الدلاعة ببادية الأغواط، وقد درس الابتدائية بالأغواط، ثم التحق بمعهد الإمام عبد الحميد بن باديس في قسنطينة لينتقل إلى القاهرة ومن ثم إلى بغداد حيث أنهى دراسته في علم الاجتماع.[1]

-كما درس مصر أيضا كل من الأخوين عيسى عزوز وإبراهيم (الأرصاد الجوية ورسم الخرائط) ، وعبد الحميد بن موسى، واحميدة خميلي والصافي بن عرفة ومُحَّد بن لخضر ومدني رماس (الأدب) ، وعبد القادر غيلان، ومُحَّد يوسفي والطالب يعقوبي (الحقوق)، ومُحَّد يعقوبي (الفلسفة)، أحمد قدودة (التاريخ والآثار) ومُحَّد سويدي (علم الاجتماع). [2]

[1]– بوعزارة، **عشت مع أولئك**..، ص119-120.

[2]– مدني لبتر، مرجع سابق، ص 128.بوعزارة، **عشت مع أولئك**..، ص120. قصيبة وحماني، مصدر سابق، ص04.

المبحث الرابع: مدرسة التربية والتعليم (1948–1958):

أولا: بناء المدرسة وتدشينها : إن خروج الشيخ مبارك الميلي من الأغواط لم يكن نهاية للتعليم الإصلاحي، بل إن تلاميذه واصلوا مسيرة التربية والتعليم بإنشاء مدرسة جديدة تميزت بكونها مدرسة عصرية سميت " مدرسة التربية والتعليم " ظهرت بستة حجرات وإدارة وساحة شاسعة وهو ما يعكس حتى بقاء أثره في عصرنة التعليم.[1]

وقد حرص الشيخ أحمد شطة ومن معه من الزيتونيين وأنصار الإصلاح على على وجوب إيجاد مدرسة حرة تكون أجدى على المواطنين من التعليم بالمسجد أو مقر نادي الأدب الذين لا تتوفر فيهما الشروط الكفيلة بنهضة تعليمية حقيقية وواسعة.[2]

كما تحمس الشيخ علي شرفي – الذي كان رجلا إصلاحيا و يؤدي حينذاك الخدمة العسكرية الإجبارية بالأغواط – لإنشاء مدرسة عربية حرة ، و في احتفال نظم بنادي الأدب تم تدارس فكرة تأسيس المدرسة و حضره الشيوخ أبو بكر و أحمد شطة و الحسين زاهية عطا الله كزاوي [3]، واتفق الحاضرون على أن يقصدوا الحاج يحي فرحات لمنحهم بستانه كله – كما كان الشيخ أحمد شطة يتمنى – و تم إقناعه بأهمية المشروع الدينية و العلمية فتنازل عنه ، فشكل لذلك مكتب تحت إشراف الشيخ أحمد شطة ، و أسندت رئاسة جمعية المدرسة إلى السيد عبد المالك شهرة المعروف بنشاطه و سعة نفوذه ، و أمين المال و أسندت أمانة المال إلى السيد بن عبد الله التاوتي ، و عضوية السادة عمر بوضاية و مبارك بن عجيلة و الحاج مُحَّد مراد و قد عين مُحَّد جعمات أيامها كاتبا و الحاج مُحَّد مراد رئيسا لشعبة جمعية العلماء ، و شرع في عقد اجتماعات للمواطنين لجمع التبرعات و حثهم على التطوع في هذا المشروع الرائد و انطلقت الأشغال .[4]

---

[1] _ الحسن فضلاء، مرجع سابق، ج1، ص471.

[2] – دبوز، نهضة..، مصدر سابق، ج3، ص266. علالي، مرجع سابق، ص146.

[3] –بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص08، 58. علالي، مرجع سابق، ص146.

[4] – الحسن فضلاء، مرجع سابق، ج1، ص471. دبوز، نهضة..، مصدر سابق، ج3، ص267.

وقد كان من بين المتحمسين للعمل و جمع التبرعات المرحوم الباي غضبان الذي كان مراقبا للأعمال و ظل قيما للمدرسة حتى تقاعد ، و قد آزرهم في ذلك أعيان المدينة من أنصار الإصلاح و كان ذلك في سنة 1945 .[1]

وقد عقد تجمع عام حضره جمع غفير من أهل المدينة و المتبرع و أخوه خليفة فرحات بهدف التعريف بأهمية المشروع و كان من بين خطباء هذا التجمع الشيخ علي شرفي البليدي الذي كان رجلا إصلاحيا ، و كان يؤدي الخدمة العسكرية آنذاك بالأغواط . فحرك مشاعر المواطنين بخطاب حماسي ، و انهالت التبرعات من الحاضرين و لم يبخل الكثير من المواطنين المتحمسين للمشروع بأموالهم و تطوعهم حتى النساء تبرعن بحليهن، وقد كلف السيد صالح بليدي بجمع التبرعات من إخوانه التجار الميزابيين المارين بالأغواط خاصة لدى تجار مدن الجزائر الكبرى و ذلك بمساعدة مفدي زكرياء الذي كان ممثلا للتجار ، وقد قام السيد التاوتي سي بن عبد الله المتخصص في الشؤون المالية بتحضير دفاتر التوصيلات ،[2] كما كان لفوج الرجاء دور في عملية جمع التبرعات من المواطنين وذلك لبناء مدرسة بمدينة الأغواط ، وقد شارك أعضاء فوج الرجاء في حفل وضع أساس المدرسة في 08 ماي 1945م [3] نذكر منهم: عبد القدر نوار والساسي بولفعة وحسين الزاهية وأحمد قصيبة... ، وما أن اكتمل بناء السور الخارجي للمدرسة حتى اتخذ منها الشيخ مُحَّد بن عزوز مصلى لأداء صلاة التراويح[4].

وقد تم بناء المدرسة وفق طراز عربي أصيل وقد فتحت المدرسة أبوابها سنة 1948 تحت إسم "مدرسة التربيّة والتعليم" وتعد هذه المدرسة من أوائل المدارس التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين في القطر الجزائري [5] ، وقد حظيت المدرسة بزيارة الشيخ البشير الإبراهيمي يوم 22 جوان 1949م [6] ، الذي أشرف على تدشينها ورافقه الشيخ بيوض إمام النهضة بواد مزاب المجاورة و قد شارك كل منهما

[1]- بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص09. علالي، مرجع سابق، ص149.

[2]- Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat et ses merveilles**.., Op.Cit, p 556.

[3]- علالي، مرجع سابق، ص147.

[4]- بلمبارك، مرجع سابق، ص59.

[5]- الأخضر بلمبارك، **مصدر سابق**، ص08-10 . دبوز، نهضة..، مصدر سابق، ج3، ص267. علالي، مرجع سابق، ص147.

[6]- **أبو بكر بلقاسم، من جولات الرئيس**، مصدر سابق، ص03. علالي، مرجع سابق، 147.

بخطبة بليغة ملأت بالنشوة و التأثر قلوب الحاضرين وقد حظي الشيخ بإستقبال كبير من طرف فوج الرجاء وتلاميذ المدرسة وشيوخها. [1]

ثانيا: النظام الإداري والتعليمي للمدرسة :

1/ هيئة التدريس :كانت هيئة التجريس تتكون في بداية الأمر من الشيخين : أحمد شطة مديرا و مدرسا و الشيخ الحسين زاهية مدرسا، ثم انضم إليهما الشيخ عطا الله كزاوي و التحق بهم الشيخ أبو بكر الحاج عيسى الذي كان من قبل يشغل منصب كاتب عام لجمعية العلماء المسلمين بمقرها المركزي بالعاصمة من سنة 1946 إلى 1951 ، (حسبما ذكره الشيخ أحمد قصيبة في مقاله بالعدد 04 من مجلة القعدة الذي خصصه لتأبين الشيخ أبي بكر) ، و لما كثر الإقبال على المدرسة أضيفت أفواج نظامية أخرى أسندت إلى المعلمتين خديجة (بنت الشيخ) الصادق (حرم الأستاذ مُحَّد يوسفي المحامي) و الزهرة بن عية ، ثم أختها جميلة بن عية (حرم الشاعر الجزائري مُحَّد أبي القاسم خمار) و كلهن من خريجات المدرسة .[2]

و لما خرج الشيخ عطا الله كزواي من المدرسة حل محله الشيخ مُحَّد الفيلالي ، كما أن الشيخ أحمد قصيبة الذي كان آنذاك يشتغل بالجزائر العاصمة كاتبا مركزيا لجمعية العلماء كان له دوره في تأسيس المدرسة و متابعة تطورها (كما تدل على ذلك مراسلاته لمديرها الشيخ أحمد شطة) . [3]

و هناك رجل آخر ارتبطت حياته بالمدرسة منذ تأسيسها حتى تقاعده ، و هو المرحوم الباي غضبان الذي عمل قيما بها ، و كان الصديق الصدوق لشيوخها و العاملين بجد و تفان في خدمتها.[4]

[1]- دبوز، **نهضة**..، مصدر سابق، ج3، ص267. تم التطرق سابقا إلى زيارة الشيخ الابراهيمي بالتفصيل .

[2]- المصدر نفسه، والصفحة نفسها. الحسن فضلاء، مرجع سابق، ج1، ص472. بلمبارك، مرجع سابق، ص09. علالي، مرجع سابق، ص148.

[3]- بلمبارك، مرجع سابق، ص10.

[4]- المرجع نفسه، ص10، 58.

2/ التوقيت: كان التعليم بها موجها لصنفين من الطلاب :

أ) طلاب القسم العربي الذين يزاولون دراستهم باللغة العربية ، و المشكلون أساسا لطلاب المدرسة المنتظمين بها و كان توقيتهم على النحو التالي :

في الصباح : من الساعة الثامنة إلى الساعة العاشرة .

في المساء : من الساعة الرابعة عشرة إلى الساعة السادسة عشرة .

ب) الطلاب المنتظمون في المدراس الفرنسية الذين خصصت لهم المدرسة أوقاتا يزاولون فيها دروسهم العربية على النحو التالي :

-الفوج الأول :

صباحا : من الساعة السادسة و النصف إلى الساعة السابعة و النصف .

-الفوج الثاني :

مساء : من الساعة السابعة عشرة إلى الساعة الثامنة عشرة ، و بقي هذا النظام ساريا حتى نهاية السنة الدراسية 1958/1957 .[1]

إذ أن معلميها تعرضوا للاعتقال في شهر أوت 1958 ، و تم إغلاقها حتى استعادة الاستقلال الوطني فاستأنفت المدرسة نشاطها التعليمي تحت إشراف وزارة التربية و التعليم ابتداء من السنة الدراسية 1963/1962 و أسندت إدارتها إلى الشيخ مُحَّد الحاج عيسى رحمه الله.[2]

3/ **الأطوار التعليمية:** سارت على النهج الباديسي في التربية والإصلاح حيث طبق معلموها ومربوها هذا المنهاج في مدرستها، وهو ما اتفق عليه من نقلو شهاداتهم في ذلك العصر فقد كانت " المرحلة الابتدائية في مدرسة الأغواط تتكون من ست سنوات، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام هي: – القسم

[1]- بلمبارك، مرجع سابق، ص10. قوبع، مرجع سابق، ص224. علالي، مرجع سابق، ص151.

[2]- بلمبارك، مرجع سابق، ص11.

التحضيري ويتكون من سنتين، ومثله التعليم الابتدائي ثم المتوسط. "[1] كما يشير من كتبوا ونقلوا عن ذلك الزمن طريقة التدريس فيه في كتاب (مدرسة التربية والتعليم في ذكراها الخمسين)

4/ الطرق التربوية بالمدرسة : كانت الطرق التربوية التي تقوم عليها برامج المدرسة و طرقها على غرار جميع مدراس جمعية العلماء ، تتمثل في الفكر التربوي الحديث الذي ساد العالم و الذي تجسده توجيهات مسؤولي الجمعية ذوي الثقافة الرفيعة الأصلية و المتفتحة على العصر ، و لا سيما الشيخ عبد الحميد بن باديس و خليفته الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان لا يفتأ يتابع مسيرة هذه المدراس و أعمال معلميها بتوجيهاتها و ملاحظاته فتجده على سبيل المثال يقول في كلمة وجهها للمعلمين[2] سنة 1950 بخصوص تربية التلاميذ و تكوينهم " ربوهم على استخدام المواهب الفطرية من عقل و فكر و ذهن و على صدق التصور و صحة الإدراك و دقة الملاحظة و الوقوف عند حدود الواقع .

ربوهم على بناء الأمور على أسبابها ، و النتائج على مقدماتها علما و عملا ، واعلموا أن العلم يبدأ مرحلته الأولى من هذه البسائط التي تقع عليها حواسكم في الحياة كل لحظة فتحتقرونها و لا تلقون لها بالا مع أن مجموعها هو العلم إذا وجد ذهنا محللا ، و هو الحياة إذا وجدت عقلا مفصلا .

بينوا لهم الحقائق و أقرنوا لهم الأشباه بالأشباه و أجمعوا النظائر إلى النظائر ، و بينوا لهم العلل و الأسباب ، حتى تنبت في نفوسهم من الصغر ملكة التعليل ، فإن الغفلة عن الأسباب هي إحدى المهلكات لأمتكم ، و هي التي جرت لها هذه الحيرة المستولية على شواعرها ، و هذا التردد الضارب على عزائمها ، و هذا الالتباس بين المتضادات في نظرها .. إمزجوا لهم العلم بالحياة و الحياة بالعلم ، يأت التركيب بعجيبة ...". [3]

كانت تطبق البرامج و المناهج التي سطرتها لجنة التعليم العليا التابعة لجمعية العلماء و التي كانت تضم أفضل الكفاءات في هذا المجال ، وقد كانت هذه البرامج تضارع نظيرتها في العالم العربي و لا سيما مصر التي اعتمدت كتبها الرسمية في تدريس معظم المواد من قراءة و حساب و أشياء (علوم) و نحو و

[1]- علالي محمود، مرجع سابق، ص151. قوبع، مرجع سابق، ص221-222.

[2]- بلمبارك، مرجع سابق، ص 11.

[3]- البشير الإبراهيمي، **كلمات واعظة لأبنائنا المعلمين الأحرار 2**، جريدة البصائر ، ع 133 ، 23أكتوبر سنة 1950م، ص1.

بلاغة و تاريخ و جغرافيا ، إضافة إلى الكتب التي ألفها أعضاء من الجمعية كالشيخ مبارك الميلي ، و الشيخ توفيق المدني فيما يتعلق بتاريخ الجزائر و جغرافيتها ، دون إغفال مؤلفات أخرى من تونس و دول الشرق العربي الأخرى، و كان التعليم يسير فيها وفق مراحل التعليم الابتدائي و يتوج بامتحان الشهادة ،و يتم الانتقال من سنة إلى أخرى بناء على امتحانات جادة ، و يعيد السنة كل من لم يحصل على المعدل .[1]

أ)طرق التدريس : كانت تستند إلى معطيات التربية و علم النفس المعاصرين و تتسم بكثير من الحيوية و النشاط ، من استخدام للأمثلة و الحوار و الاستقراء و الاستنتاج ، و التطبيق الذي كان يعطى أوفر الاهتمام و التقويم الفوري و الفردي لأعمال التلاميذ التي كان يصححها المعلمون مباشرة أمام التلاميذ و يمنحونهم الملاحظات و النقاط ، مما كان يثير التنافس في العمل و يؤدي إلى التخلص من الأخطاء في حينها .[2]

و كان المعلمون يحاولون رغم نقص الإمكانيات الاستعانة بما توفر من وسائل الإيضاح ، حيث أن الكتب المدرسية فلم يكن بالإمكان وضعها في متناول التلاميذ لندرتها و إنما كانت نصوصها إما أن تسجل على السبورة أو تملى على الطلاب، وكانت المدرسة تولي أهمية كبيرة للحفظ ، بما في ذلك حفظ القرآن الكريم و الحديث الشريف خلاصات الدروس بعد الشرح و الفهم .[3]

ب)الأنشطة الثقافية : كانت محل اهتمام من معلمي المدرسة الذين كانوا يحفظون الطلاب الأشعار و الأناشيد الدينية و الوطنية و يدربونهم على حسن إلقائها و التمثيليات الدينية و التاريخية و الاجتماعية التي كان الطلاب يحفظونها و يمثلونها في أقسامهم ، و في الحفلات التي كانت تقيمها

[1]- جريدة البصائر، **الكتب المقررة في مدارس جمعية العلماء المسلمين**، ع48، 6 سبتمبر 1948، ص07 . علالي، مرجع سابق، ص152.

[2]-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، **منهاج التعليم القسم الابتدائي والمتوسط**، المطبعة الجزائرية الاسلامية، قسنطينة ، ط2، أكتوبر 1952، ص1-11. بلمبارك ، مرجع سابق، ص13.

[3]- بلمبارك ، مرجع سابق، ص13.

المدرسة و لا سيما في ختام كل سنة دراسية . و هذا يدل على انتهاج جمعية العلماء لمنهجية التربية المتكاملة و الشاملة .[1]

ج) الانضباط : كان مدير المدرسة و معلموها شديدي الحرص على هذا الجانب بسلوكياتهم المثالية و جديتهم في العمل ، و لدى تلاميذهم الذين كانوا دائما موضوع رعاية و مراقبة ، يثاب المحسنون منهم بالتنويه و التشجيع و بالجوائز أحيانا ، و يعاقب المسيء فيهم عقابا معنويا . مما ظهرت نتائجه لدى معظم الطلبة من حيث النظافة و النظام و الانضباط و الطاعة و ارتفاع مستوى التحصيل .[2]

ثالثا: نظام الامتحان: إن الدور الذي لعبته طرق التدريس في الأغواط عبر مشايخها الذين نشئوا في المنطقة وعلموا خبايا سكانها كان كبيرا وثمرته طيبة على الرغم مما كان يعانيه سكان الأغواط في فترة الاختلال، إلا أن النجاح يظهر من خلال " إجراء عدة امتحانات للشهادة الابتدائية، وأهمها جرى سنة 1954 في عدة مراكز أهمها مركز الأغواط كان فيه خمسة عشر تلميذا مشاركا نجح منهم سبعة تلاميذ وبالترتيب هم: المكي المدني، جميلة بن عية، أحمد خميلة، مُحَّد جاب الله، علال يوسفي، عيسى بن مُحَّد، العيد بن أحمد الزاوي،[3] أما نتائج مدرسة الأغواط لسنة 1956 فقد كان الناجحون فيها عشرة على الترتيب هم: مبروك بن دهينة زقنين، قدور بن علي قنان، الزبير بن مُحَّد قرمان، بن يوسف بن التهامي، عبد الله بن أحمد بوخلخال، إبراهيم بن مُحَّد بوداود، أبوبكر بن مُحَّد الرش،[4] وترجع قلة عدد الناجحين إلى الظروف المحيطة بسير عمل المدرسة.

نجحت مدرسة الأغواط بسبب اعتمادها على أساليب تقوم على تلقين التلاميذ أبسط القواعد في أسهل التراكيب والإكثار من التمارين التطبيقية التي تساعد على الفهم وتثبيته في الأذهان والتركيز

[1]- بلمبارك ، مرجع سابق، ص 13-14.

[2]- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، **اللائحة الداخلية لمدارس الجمعية**، المطبعة الجزائرية الاسلامية، قسنطينة، د ت. بلمبارك ، مرجع سابق، ص14.

[3]- بلمبارك ، مرجع سابق، ص81. علالي، مرجع سابق، ص153.

[4]- بلمبارك ، مرجع سابق، ص92. علالي، مرجع سابق، ص154.

على العناية بالمعنى أكثر من اللفظ، والاجتهاد في تربية ملكة الذوق، وإصلاح لهجات الحديث التي حرفتها العامية والفرنسية على سبيلها العربي. "[1]

بلغ عدد تلاميذ المدرسة منذ إنشائها إلى غاية إغلاقها سنة 1958 من طرف السلطة الاستعمارية ما يقارب 400 تلميذ وتلميذة،[2] وبالعودة إلى مُحَّد علي دبوز وهو الأقرب والأرجح فقد بلغ العدد: 600 تلميذ وتلميذة، وقد وجهت مدرسة التربية والتعليم بعثة إلى معهد بن باديس تتألف من 12 طالبا، حولتهم جمعية العلماء بعد الأهلية إل المشرق العربي (مصر، سوريا، العراق، السعودية).[3]

ومن تلاميذ مدرسة التربية والتعليم بالأغواط ممن زاول دراسته بالمشرق : الأخوين عيسى عزوز و إبراهيم (الأرصاد الجوية ورسم الخرائط) ، واحميدة خميلي والصافي بن عرفة ومُحَّد بن لخضر ومدني رماس (الأدب) ، ومُحَّد يوسفي والطالب يعقوبي (الحقوق)، ومُحَّد يعقوبي (الفلسفة)، أحمد قدودة (التاريخ والآثار) ومُحَّد سويدي (علم الاجتماع). [4]

ولم تقتصر جهود المدرسة في الأغواط على التعليم وإنما ساهمت بشكل كبير في بث الوعي القومي وروح الدفاع عن الوطن ما دفع الناس إلى الالتفاف حول الثورة وتبنيها ومساعدة الثوار والمجاهدين، حيث أن العديد من المعلمين والمصلحين التحقوا وبعض تلاميذهم بالثورة وشاركوا فيها مشاركة فعلية فمنهم من استشهد ومنهم من نجا ليعيش ثمرة العمل الإصلاحي والجهاد بعد الاستقلال.[5]

[1]- علالي محمود، مرجع سابق، ص153-156.

[2]- الحسن فضلاء، مرجع سابق، ج1، ص472.

[3]- مُحَّد علي دبوز، **نهضة**..، مصدر سابق، ص269. الحسن فضلاء، مرجع سابق، ج1، ص471.

[4]- مدني لبتر، مرجع سابق، ص 128.بوعزارة، **عشت مع أولئك**..، ص120. قصيبة وحماني، مصدر سابق، ص04.

[5]- علالي، مرجع سابق، ص156.

المبحث الخامس: أعلام الإصلاح والتعليم في الأغواط في النصف الأول من القرن العشرين:

إن الدارس لحياة هؤلاء الأعلام يلاحظ أن التكوين التعليمي كان من منهل واحد، ويسير على خطى وطريق الأسلاف من أهل الأغواط وعلماء الجزائر بصفة عامة، وهو الطريقة الإسلامية المتفق عليها، وبما أنهم عاصروا بعضهم بالإضافة لآخرين لم يتسع المجال لذكرهم فإن المشرب كان واحدا، حيث كانت بداياتهم جميعا في الكتاتيب القرآنية ثم الالتحاق بالمدارس، وقد التحق بعضهم بالمدارس الفرنسية وبينما واصل البعض دراسته في الزوايا في حين هاجر بعضهم إلى تونس للدراسة بالزيتونة أو إلى مصر للدراسة في الأزهر أو المغرب، ويمكن أن نقسم هؤلاء الأعلام إلى ثلاث فئات:

أولا: المعلمون والمربون:

1/الشيخ مُحَّد بن علي بن عزوز الهلالي الأغواطي: وهو المعروف بـ: الطالب بن عزوز، ولد الشيخ سنة 1897 بزقاق الحجاج الأغواط من عائلة شريفة النسب، فهو هلالي ينتمي إلى قبيلة أولاد يعقوب بن زرارة العمورية، أبوه على بن عزوز وقد ولد أيضا بالأغواط سنة 1877 وكذلك جده عزوز سنة 1840، وأمه التهامي هنية، تعلم مبادئ اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم في الكتّاب على شيوخ المدينة ثم أرسله والده إلى مسعد حيث تعلم على يد الشيخ علي بن خميلة، ثم استظهر القرءان عند الشيخ عبد الله بن الركزة، ثم التحق بزاوية الهامل ببوسعادة وعمره لم يتجاوز العاشرة، فتعلم على يد شيوخها ونال علما وافرا أهّله أن يكون ندّا لأترابه[1].

وبعد رجوعه إلى مسقط رأسه بدأ يزاول التدريس سرّا إلى سنة 1915 حيث رخص له في التدريس فقصده الكثير من أبناء المنطقة المتعطشين لطلب العلم فكان خير المعلم وكان تلاميذه نعم التلاميذ، نذكر منهم الشيخ أحمد قصيبة والشيخ الحاج عيسى أبوبكر،[2] وقد كان عصاميا مطالع للكتب وسائلا لأهل العلم، وقد ذكر الشيخ مُحَّد عزوز بأنه كان قادري الطريقة، ولكنه تخلى عن قادريته بعد مجيئ الشيخ مبارك الميلي، حيث تأثر بآرائه الاعتقادية، وشاركه التعليم في مدرسته،[3]

[1]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي** ، مرجع سابق، ج5، ص258. علالي، مرجع سابق، ص119.

[2]- عبد المالك مرتاض، **أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2003، ج2، ص92. أنظر الملحق رقم: 30.

[3]- عبد القادر رمان، **شيوخ الزوايا**..، مصدر سابق، ص63. أنظر الملحق رقم: 30.

وتوطدت علاقته به سواء التعليمية أو حتى الشخصية، حيث أن إبراهيم عزوز ابن الشيخ محد هو أخ من الرضاعة لمحمد الميلي ابن الشيخ مبارك.[1]

وبعد رحيل الشيخ مبارك الميلي حاول الشيخ مُحَّد بن عزوز الأغواطي سد الفراغ الذي تركه الميلي بين سنتي 1933-1948 فقد كان يعلم تلاميذه الذكور والإناث الأناشيد الوطنية وأداء المسرحيات الهادفة ،[2] انتقل فيما بعد إلى العاصمة في نهاية الثلاثينات وحتى الأربعينات في فترات متقطعة لممارسة مهنة التعليم في مدرسة السعادة ببلكور وباب الجديد وحسين داي، واستخلف في كتابه سي حمزة الغيشاوي، وفي وثائق بخط يده يسجل لنا الشيخ مُحَّد عزوز تلاميذه في الجزائر العاصمة مع البرنامج الذي كان يدرسه، كما كانت له اتصالات بشيوخ الجمعية وانضم إليها وكان يؤم المصلين في صلاة التراويح بنادي الترقي.[3]

وقد كان الشيخ يحب السياحة فسافر إلى الحجاز واتصل ببعض علمائها وسافر إلى المغرب والتقى بثلة من علمائها، كما كان يأمل في أن يسطع نجم اتحاد المغرب العربي من جديد.[4]

وعند رجوعه إلى الأغواط مرة ثانية، باشر مهنته التعليمية حتى يسد الفراغ الذي تركه الشيخ مبارك الميلي بين سنتي 1933 و1948، فقد كان يعلم تلاميذه الذكور والإناث على السواء الأناشيد الوطنية وأداء المسرحيات الهادفة، كما كان يقيم احتفالات في جميع المناسبات الدينية والتاريخية.[5]

وأثناء عملية تشييد مدرسة التربية والتعليم سنة 1948 بذل كل ما في وسعه من أجل الإسراع في العملية، وكان يتمنى أن يدرس بالمدرسة ولكن لأسباب مجهولة رفض تلاميذه السابقون التحاقه بهيئة

[1]- أنظر تعريف إبراهيم عزوز

[2]- بلمبارك، مرجع سابق، ص121-122. علالي، مرجع سابق، ص119.

[3]- أنظر الملحق رقم: 31 و الملحق رقم: 32.

[4]- علالي، مرجع سابق، ص120.

[5]- بلمبارك، مرجع سابق، ص12، 122. عبد المالك مرتاض، **مرجع سابق**، ص94. رمان، **شيوخ الزوايا**..، مصدر سابق، ص65-66.

التدريس، وهو ما ذكره في وثيقة بخط يده،[1] وبعد الاستقلال واصل عمله في حقل التربية والتعليم حتى انتقل الى جوار ربه يوم 14 نوفمبر 1982.[2]

2/ الشيخ أحمد شطة: هو أحد المعلمين والمربين وأبرز الدعاة المخلصين، كرس حياته في خدمة الإسلام والوطن، نصح في التعليم فكون أجيالا اعتزت بهم الثورة التحريرية، ورجالا رفعوا شأن البلاد في عهد الاستقلال، ختم كفاحه البطولي باستشهاده في سبيل الله دفاعا عن الوطن في يوم 05 أوت 1958.[3]

ولد أحمد بن التهامي شطة سنة 1326 هـ/1908 م بمدينة الاغواط من أسرة متواضعة إلا أنها سليلة علم، وكان والده رجل دين وإصلاح فأدخله إلى كتاب المؤدب الشيخ عبد الله بن الركزة، ثم في كتاب الشيخ مُحَمَّد عزوز حيث حفظ القرآن الكريم، ولما فتحت مدرسة الشبيبة العصرية بالأغواط سارع بالانضمام إلى صفوفها ليتعلم اللغة العربية وعلومها، وقد أظهر ذكاء ونباهة لفتا انتباه مدرسه الذي لم يتوان في أن عرض على والده إرساله إلى جامع الزيتونة لمواصلة الدراسة فلم يتردد الوالد رغم الفقر والفاقة، فانتقل أحمد وعمره سبعة عشر سنة إلى الزيتونة وبقي بها ما يقارب سبع سنوات وكان حريصا على حضور الدروس وعدم مغادرة قاعات الدرس إلا بعد ساعات متأخرة، وظل هكذا حتى تحصل على شهادة التحصيل وكان من الأوائل الذين نالوا هذه الشهادة في الصحراء الجزائرية الغربية[4] وبمجرد عودته من تونس حاول أن يستصدر رخصة من السلطات الفرنسية ليباشر العمل في بلده، لكن الإدارة ماطلته، وبعد محاولات واتصالات أجيب بالرفض لأنها تعتبر اللغة العربية خارجا عن نطاق شرعيتها؛ وقوانينها صريحة بأن اللغة العربية لغة أجنبية في عقر دارها وبين أهلها، فلم يبق للمحكوم عليهم إلا الفرنسية والذوبان في المسيحية السياسية.[5]

---

[1]- رمان، **شيوخ الزوايا**..، مصدر سابق، ص65-66.أنظر الملحق رقم: 30.

[2]- علالي، مرجع سابق، ص120.

[3]- مُحَمَّد الحسن فضلاء، **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج2، دار هومه، ص118. مدني لبتر، مرجع سابق، ص101.

[4]- علالي محمود، مرجع سابق، ص121. مُحَمَّد الزبدة، **وجوه من الذاكرة الشيخ أحمد الشطة**، أعمال الملتقى الأول الاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة لأغواط ، 14-16افريل 1998، ص166. بلمبارك، مرجع سابق، ص166.

[5]- بلمبارك، مرجع سابق، ص19.

أمام هذا الرفض لم يستسلم، بل ضل يدعو سرا ويعلم خفية في محل قد اكتراه في زقاق الشراكة يعلم فيه العربية وأصول الدين الإسلامي ويبث العقيدة الإسلامية في النفوس ويعارض ما يبيته الاستعمار لهذا الشعب من إبادة وانحلال وذوبان إلى أن كون أنصارا ومؤيدين ، وقد سعى مع أنصاره في الحصول على قطعة أرض بنيت عليها مدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والمسماة اليوم باسمه كما سعى في بناء مسجد سمي اليوم باسمه أيضا،[1] وفي هذا المسجد تصدى للدعوة مركزا على تقوية الإيمان في القلوب والدعوة إلى التربية والتعليم، وقف على سدة المدرسة واعتنى بها وهيأ لها سبل النجاح بما اختاره لها من المعلمين الأكفاء وبحرصه الشديد وعنايته الفائقة كون أجيالا وجنودا تلقتهم الثورة التحريرية أبطالا صناديد؛ أما عمله في المسجد فقد كان رحمه الله – بالإضافة إلى دروسه اليومية فيه – يقوم بخطبتي الجمعة وصلاتها ولم يفتر ولم تخر عزيمته ولم يبخل عن واجبه رغم اشتغاله بالمدرسة التي لم تترك له مجالا لصرفه في غيرها، لكنه نظم أوقاته فاستطاع أن يشرف ويقف على سدتي المدرسة والمسجد بمنتهى الانضباط يرعاهما وضل بجانبها إلى أن فارق الحياة الدنيا.[2]

وعرف رحمه الله بأخلاقه الرفيعة وعزة نفسه وبغضه للاستدمار حتى كان يحذر الشباب من التوظف في إدارته ومصالحه؛ وقد انظم مبكرا مع زملائه إلى العمل السياسي الوطني حتى اندلعت ثورة التحرير فسارع إلى الانخراط في صفوفها مسؤولا سياسيا إلى أن اكتشفت مصالح الاستعمار نشاطه فألقت عليه القبض يوم 15 أوت 1958 ونقل إلى مركز التعذيب والاستنطاق المعروف بـ (D.O.P) الموجود بحي المعمورة، حيث تعرض لأبشع أنواع التعذيب حتى فاضت روحه إلى باريها وألقي جثمانه في مكان مجهول، وحتى وفاته لم تدون في سجل الحالة المدنية بالأغواط.[3]

[1]– محمد الزبدة، مرجع سابق، ص167. علالي، مرجع سابق، ص122. مدني لبتر، مرجع سابق، ص101.

[2] محمد حسن فضلاء، **من أعلام**..، مرجع سابق، ص118-119. بلمبارك، مرجع سابق، ص19.

[3]– بلمبارك وآخرون، مرجع سابق ، ص20. مدني لبتر، مرجع سابق، ص101.

3/ الشيخ أبو بكر الحاج عيسى: هو: أبو بكر بن بلقاسم الحاج عيسى، ولد سنة: 1912م ببلدة «كوينين» من بلدان «وادي سوف»، بحكم وجود والده الشيخ بلقاسم من أعوان محاكم القضاء الشرعي بوادي سوف، ينحدر من نسل الولي الصالح سيدي الحاج عيسى اشتهرت أسرته بالعلم والتقى، فقد كان أبوه قاضيا واشتهر جده الشيخ بن الدين بالرحلة، ولم يلبث الشيخ بلقاسم أن عادَ إلى الأغواط[1] .

دخل أبو بكر في طفولتِه الكتَّاب ، فتعلَّم القراءة والكتابة والقرآن على الشيخ ابن عزوز، كما حفظ بعض المتون العلميَّة وعيونًا من قصائد الشعر العربي، وتفتَّقت مواهبه وشغف بالمطالعة وتحصيل المعارف ، فكوَّن لنفسِهِ شيئًا فشيئا حصيلة مهمَّة، ، وكلَّل ذلك بأن ضرب بسهم في اللغة الفرنسيَّة حيثُ أدخله أهله المدرسة الفرنسيَّة.[2]

بحلول الشيخ السَّعيد الزاهريّ، ترك فيها أثرًا حسنًا في التلاميذ وأعدهم ، وهيَّأ الجوَّ الحسن للشيخ العلاَّمة مبارك الميلي الذي خلفهُ فيها[3] ، وبمجيئ الشيخ مبارك الميلي وكان أبو بكر من المواظبين على دروسه ، وقد أعرض عن متابعة الدراسة بالمدارس الفرنسية وتخصَّص للعربيَّة مع معرفته بالفرنسيَّة[4]، فاهتمَّ به الشيخ مبارك وقرَّبَهُ إليه وأحاطه بعناية خاصة،[5] فكان أبو بكر من أصفيائه وأقرب مُريديه؛ أخذ عنه الفقه والنحو والبلاغة والتوحيد، وكان لا يغيبُ عن درسٍ من دروسه الخاصة أو العامَّة، رغم

[1]- ذكر أحمد بن أبي زيد، وأحمد حماني، أن مكان الميلاد هو الأغواط. أحمد بن أبي زيد قصيبة وأحمد حماني، **أبو بكر الحاج عيسى الأغواطي**، جريدة النصر ، 28 جوان 1987م، ص 4. علالي، مرجع سابق، ص129.

[2]- بلمبارك، مرجع سابق، ص25. علالي، مرجع سابق، ص129.

[3]- مُحَمَّد دبوز، **نهضة الجزائر** ...، ج 3، ص 255-257، ص 262-270. علالي محمود، مرجع سابق، ص129-130. مدني لبتر، مرجع سابق، ص101.

[4]- أحمد بن أبي زيد قصيبة وأحمد حماني، مصدر سابق، ص4.

[5]- الحسن فضلاء، **من أعلام**...، ج 2، ص113-117.

كثافة البرنامج وتَكدُّس المعارف؛ فهو يشرح صحيح البخاري وقطر النَّدى ومتن الآجرومية، ويعرّج على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مع دروس في الأدب وأخرى في التفسير.[1]

رأى أنَّ استعداد تلامذته الذين كوَّنهم وأعدَّهم، لا يُروِّيهِ إلاَّ الدراسة في الزيتونة، أشار على أنبغِ تلاميذِهِ: الشيخ أبو بكر وإخوانه بالسفر إلى تونس والانخراط في طلبة جامع الزيتونة المعمور آنذاك، وهكذا يمَّموا شطرهم إلى الجامعة الزيتونيَّة ليُشاركوا شيخهم وأستاذهم في الأخذ عن كبار المشْيَخَةِ هناك.[2]

وصل أبو بكر إلى تونس سنة (1932م) برفقةِ إخوانه وزملائه، وتلقَّى العلوم في الجامعة الزيتونيَّة على جلَّةٍ منهم: الشيخ عبد العزيز جعيط، والشيخ بلحسن النَّجَّار، والشيخ عبد السلام التونسي، والشيخ الهادي العلائي، والشيخ مُحَمَّد الزغواني، والشيخ البشير النيفر، والشيخ الطاهر بن عاشور، وغيرهم ، ولم يكتف أبو بكر بدروس الجامع، بل كان يحضر بالعطَّارين محاضرات الأستاذ العربي الكبَّادي، وبالخلدونيَّة محاضرات الأستاذ عثمان الكعَّاك، وكان يُطالعُ لنفسه نفائس المكتبة العبدليَّة، مثل: كتاب المحصول للفخر الرَّازي، وقد قرأه قراءةَ درسٍ وتحصيلٍ[3].

قضى الشيخ أبو بكر في الزيتونة نحوًا من خمسِ سنين؛ إلى ربيع سنة (1937م) ،[4] كانت كلُّها في الجدِّ والاجتهاد والحرص على التَّحصيل الذي أثمَرَ عليهِ، وقد لمس هذه الحقيقة الأستاذ أحمد حماني ، وكان شاهدًا على النبوغ في شخص الشيخ أبو بكر وقد قال عنه: وقد تخرَّجَ منها بتحصيلٍ قلَّما حصل عليه أحدٌ من المدرِّسين، [5]وقال: أنهى دراسته...بتحصيلٍ وافرٍ وعلمٍ غزيرٍ،[6] وقال: كان عظيمَ

[1]- مبروك زيد الخير، **الشيخ أبو بكر الحاج عيسى ومنهجه التربوي الرشيد الحلقة الثانية**، البصائر ، سل 4، ع 77 ، ص 12.علالي، مرجع سابق، ص130.

[2]- أحمد بن أبي زيد قصيبة وأحمد حماني، مصدر سابق، ص4.

[3]- بلمبارك، مرجع سابق، ص25-26.

[4]- أحمد بن أبي زيد قصيبة وأحمد حماني، مصدر سابق، ص4. علالي، مرجع سابق، ص130.

[5]- أحمد بن أبي زيد قصيبة وأحمد حماني، مصدر سابق، ص4.

[6]- أحمد حماني، **المجاهد الشيخ أبو بكر الأغواطي في ذمَّة الله إن شاء الله**، جريدة الشعب ، 20 جويلية1987م، ص 10.

.10

عظيمَ الجدِّ والاجتهاد يدرسُ حتَّى الكتب غير المقرَّرة في البرنامج الزيتوني بإيحاءٍ من أستاذه مبارك الميلي، ومنهُ علمنا أهمية كتاب المحصول للإمام فخر الدين الرازي، فقد درسَهُ دراسةً خاصةً وأحيانًا كان يُلقِّنُنا بعض الدروس في سنة1936و1937م وكُنَّا في سنِّ الأهليَّة[1].

وبمجرد وصوله إلى الأغواط شرع في تعليمِ الطَّلبةِ الذين تجمهروا عليه في جامع الشيخ عبد القادر الجلالي[2]، وكان معه في التدريس بهذا المسجد رفيقُهُ الشيخ أحمد شطة.

بلغ نبوغ الشيخ أبو بكر إلى الإمام ابن باديس فأرسل إليه ودعاه ليكون بجانبه في قسنطينة: «يُشاركُ في إلقاء دروسٍ للطلبة وليتلقَّى دروسًا عليه أجلها درس التفسير والحديث والأمالي لأبي علي القالي ودروس في مقدمة ابن خلدون، ونُدِبَ لإلقاء دروس بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة التي كانت في بدء نهضتها»[3]

بعد سنةٍ دراسيَّةٍ قضاها الشيخ أبو بكر في قسنطينة وبمدرسة التربية والتعليم، عَيَّنَهُ المجلس الإداري لجمعية العلماء(رئيسًا) لـ(المكتب العمالي) بالعاصمة لتنظيم وتأسيس شُعَب الجمعية في عمالة الجزائر[4].

أُقيمَ بقسنطينةَ حفلٌ كبيرٌ لمناسبة ختمِ ابن باديس لتفسير كتاب الله تعالى بعد خمسٍ وعشرين سنة من الدَّرس، وكان الشيخ أبو بكر قد خطبَ متكلِّمًا باسم (تلاميذِ تلاميذِ) الإمام ابن باديس، قال الإبراهيميُّ في التعريف بِهِ: الأستاذ أبو بكر الأغواطي: شابٌّ أخذ عن الأستاذ الميلي ثمَّ نزَحَ بإشارتِهِ إلى تونس في بعثةٍ إلى جامع الزيتونة، وهو الآن أي سنة 1938م يشغلُ مركزًا عمليًّا من مراكز

[1]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2]- الحسن فضلاء، **من أعلام**..، مرجع سابق، ص 117. بلمبارك، مرجع سابق، ص26. علالي، مرجع سابق، ص130.

[3]- أحمد بن أبي زيد قصيبة وأحمد حماني، مصدر سابق، ص4. أنظر كلمته التي ألقاها الشيخ أبو بكر بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، أبو بكر الحاج عيسى، **دعائم العزّ في جمعية التربية والتعليم بقسنطينة**، جريدة البصائر، ع 90،سل 1، 10ديسمبر 1937م، ص 4.

[4]- الحسن فضلاء، **من أعلام**..، مرجع سابق، ص117.

جمعية العلماء لا يقومُ به إلاَّ المحنَّكُون، وقد خطب الشيخ أبو بكر في هذا الحفل بخطبة عصماء ضمنها مدحا وشكرا للأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس [1].

تعرَّضت مدرسة الأغواط للإغلاق ولقي معلِّمُوها الاضطهاد والتَّشريد، ومُنع دعاةُ الإصلاح والمنتمون إلى الجمعية من مزاولة أيِّ نشاط وشُدَّ عليهم الخِناق، بسبب قانون08مارس1938، وقد كتب أبوبكر باسم: أغواطيّ يذكر تعسُّفات الحكم العسكريّ، قال: فأوعزوا إلى من أوقف سير المدرسة وهدَّدُوا من يحضر الاجتماع العام لجمعية العلماء وأهملوا طلبات رُخَص التعليم الديني الإسلاميّ،[2] كما سَنَّتْ الإدارةُ الفرنسيَّة قوانين تعسُّفيَّة للتَّضييق على نوادي الإصلاح، فكتب الشيخ أبو بكر معتبرا إياه آخرُ سهمٍ مُسَدَّد للقضاء على النهضة الجزائريَّة، ونبَّه فيه على خطر هذا القانون ودعا إلى الاحتجاج عليه وإلى الاجتماع لاستنكارِهِ. [3]

وقد حضر الشيخ أبو بكر مؤتمر الطرقية يوم 15 أفريل1938م، والأيام التي تَلِيهِ واستمع إلى مطالبهم ، وما كتبت عنها الجرائد الفرنسيَّة بحُكْمِ معرفةِ الشيخ أبي بكر باللِّسان الفرنسي ، وقد نَشَرَت البصائرُ نصَّهُ.[4]

وقد أذن الإمام ابن باديس لـ لشيخ أبي بكر بأن يرجع إلى الأغواط لأنَّ وجوده بها أصبح ضروريا، فهو من أبناء البلد ولا يسهل إخراجه منها كما سهل إخراج أستاذه مبارك الميلي فبادر بالامتثال وانتصب لمهمته فيها، وشرع في إحياء عهد أستاذه وسدَّ الفراغ الذي تركه[5].

نشبت الحرب العالمية الثانيَّة على الوطن الجزائري ، وسيق العلماء والسياسيون إلى السجون والمعتقلات، ونُفي الإبراهيمي إلى آفلو، وظلَّ في منفاهُ وحيدًا غريبًا في أيَّام لولا أنَّ رجالَ الأغواط ،

[1]- أبو بكر الأغواطي، **خطبة أبو بكر الأغواطي**، مجلة الشهاب، جويلية 1938، ج4، مج 14، ص 246-249.بلمبارك، مرجع سابق، ص26.

[2]- أغواطي (أبو بكر الحاج عيسى)، **وبالأغواط**، البصائر، ع 117، س3 ، سل 1، ص 3، 6.

[3]- أبو بكر بلقاسم، **آخر سهم مسدد للقضاء على النهضة الجزائرية**، البصائر، ع 108، س3، سل 1، 15 أفريل1938م، ص 3 .

[4]- أبو بكر بن بلقاسم (الحاج عيسى) ، **مؤتمر الطرقيَّة**، جريدة البصائر، ع11، س3،سل 1، ص6. أبو بكر بلقاسم، **مؤتمر الطرقية 2**، جريدة البصائر، ع114، س3، سل 1، ص6، 7.

[5]- أحمد بن أبي زيد قصيبة وأحمد حماني، مصدر سابق، ص4.

قطعوا تلك الوِحدة ، فكان الشيخ أبو بكر والشيخ أحمد قصيبة وغيرهما من أهل العلم يزورونه في آفلو ، فابتهج بهم وسُرَّ لمؤانستِهم، إلى أن قرَّرت السلطات العسكرية منعَهم عن زيارتهِ، وسُجن الشيخ أبو بكر من أجل ذلكَ مع أخيه الشيخ مُحَّد بن بلقاسم وسُجن الشيخ أحمد قصيبة[1].

وقد كان الشيخ الإبراهيمي قد وعد الأستاذ: أحمد قصيبة، ولشيخ أبو بكر أن لا يتركهما بالأغواط، وأن ينقُلَهما معهُ إلى الجزائر لحاجةِ الجمعيةِ إليهما هناك،[2] ولما أُطلِق سراح الرئيس واستأنفت الجمعية نشاطها وعادت إلى اجتماعاتها أسَّسَ الإبراهيمي مركزَ الجمعية بقَصَبَةِ الجزائر، وانتُخِبَ «الشيخ أبو بكر» عضوًا في الهيأة العليا لجمعية العلماء وانتخبته هذه الهيأة سنة:1946م أمينًا عامًّا لها خليفةً للشيخ العربي التبسي الذي انتخب نائبًا للرئيس، وعُيِّن مديرًا لمدرسة الإرشاد بالبليدة سنة: 1950م، فقام بالمهمَّتين لمدةٍ قصيرةٍ إلى أن خَلَفَهُ في الأمانة العامَّة الأستاذ توفيق المدني سنة1951م ،[3] وعاد إلى الأغواط والتحق بإخوانه المصلحين أسسوا مدرسةً عصريَّةً عُدَّت من أحسن مدارس القطر، وأمدَّت معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة بأنبغ الطَّلبة،[4] وتمَّ تدشينُها في سنة 1948م تحت إدارة الشيخ أحمد شطَّة، كان خلالها «الشيخ أبو بكر» أستاذًا بهذه المدرسة ومسؤولاً عامًّا عن سير الحركة الإصلاحيَّة بالأغواط.[5]

أُلقي القبض على الشيخ أبو بكر وعلى الشيخين: أحمد شطة، والحسين زاهية يوم 15 أوت سنة: 1958م، ولقوا أنواعًا من التعذيب والإهانة، ومنهم من أُعْدِمَ كالشيخ أحمد شطة (رحمه الله)، وأُبعِدَ الشيخ أبو بكر إلى معتقل بني مسوس بالعاصمة، وما أُطلِق سراحُهُ إلاَّ في أوائل سنة 1960م، ليدخل في عزلةٍ اضطراريَّة ويقبعَ في إقامةٍ جبريَّة في منزلِهِ إلى غاية الاستقلال، حيث عُيِّن مفتِّشًا للغة العربيَّة بالمناطق الصحراوية الأغواط، غرداية، متليلي، المنيعة، ثم نُقل إلى تقرت في سنة1965م، فما

---

[1]- أحمد بن أبي زيد قصيبة وأحمد حماني، مصدر سابق، ص 4. قصيبة أحمد ، **الشيخ مُحَّد البشير الإبراهيمي في منفاه بمدينة آفلو** ، مجلة الثقافة ، ع 87، ماي-جوان 1985، ص 285-283.

[2]- مُحَّد الحسن فضلاء، **من أعلام الاصلاح**..، مصدر سابق، ص118.

[3]- أحمد بن أبي زيد قصيبة وأحمد حماني، مصدر سابق، ص4. بلمبارك، مرجع سابق، ص26

[4]- أحمد بن أبي زيد قصيبة وأحمد حماني، مصدر سابق، ص4.بلمبارك، مرجع سابق، ص27.

[5]- أحمد بن أبي زيد قصيبة وأحمد حماني، مصدر سابق، ص4. مُحَّد الحسن فضلاء، **من أعلام الاصلاح**..، مصدر سابق، ص118.

لبث أن عاد إلى منطقته الأولى مفتشًا للتعليم الابتدائي والمتوسط بدائرة الأغواط فقام بمهمته خير قيام، وكوَّن المعلِّمين وأرشدهم ووجَّههم، إلى أن أحيل على التقاعد في سنة 1982م، وقد تعرَّضَ في آخر حياته لمرض فلازمَ الفراشَ مدَّة سنةٍ ثمَّ لقي ربَّهُ عن سنِّ 72 عامًا، في يوم الأحد 26جوان1987م، رحمه الله تعالى.[1]

4/ **الشيخ أحمد قصيبة** : ولد الشيخ أحمد قصيبة بن أبي زيد الهلالي الأغواطي في 1396 هـ/ 1919 م ببلدية الأغواط، دخل الكتاب التابع للشيخ مُحَّد بن عزوز ثم التحق بمدرسة السعيد الزاهري ، وبعد أن زاول جميع مراحل التعليم بالأغواط باللغتين العربية والفرنسية؛ وفي سنة 1927 لما قدم الشيخ مبارك الميلي إلى مدينة الأغواط بطلب من أهلها وأسس مدرسة الشبيبة التحق بها الشيخ أحمد وأظهر ذكاء ورغبة ملحة في طلب العلم والمعرفة والاجتهاد مما لفت نظر الشيخ مبارك الميلي إليه الذي اقترح عليه التوجه إلى تونس للالتحاق بجامع الزيتونة وحصل العلم فيها وتلقاه على كبار العلماء.[2]

بعد ارتحال الشيخ مبارك الميلي عن مدينة الأغواط تكون فوج من تلامذته الذين عزموا التوجه نحو جامع الزيتونة بتونس كان أبرز هؤلاء الشباب آنذاك: الحاج عيسى، وأحمد شطة، وأحمد بن زيد قصيبة، مُحَّد دهينة ومُحَّد الطيب، والحاج مُحَّد حدبي، هذه الرحلة التي كتب عنها الشيخ أحمد قصيبة ورقات معدودات بعنوان: كيف هاجرت إلى تونس؟.[3]

افتتح حديثه بالتعريف بالهجرة؛ على أنها خاصية من خصائص الإسلام التاريخية، وأنها مفخرة من مفاخره الرائعة التي استهلها النبي صل الله عليه وسلم، فكان لها الأثر البالغ على العرب والإسلام، فكانت ولا تزال الهجرة سرا من أسرار النجاح للمبادئ الثابتة والمعاني الشاملة[4].

كما نجده يتحدث عن واجب المعلم والشيخ اتجاه تلامذته الذي قال عنه لابد أن يوجههم أحسن توجيه، فيختار لهم أقرب المسالك وأسهلها للوصول إلى المطلوب، وإبعادهم عن الوقوع في الأغلاط ومنعهم من الوقوع فيها من جديد، فللهجرة أنواع ومنها الهجرة في طلب العلم هذا النوع الذي سلكه

[1]- بلمبارك، مرجع سابق، ص27-28.

[2]- بلمبارك، مرجع سابق، ص42. علالي، مرجع سابق، ص124.

[3]- أنظر صورة عن الرحلة في الملحق رقم :40 . أنظر أيضا: علالي، مرجع سابق، ص190-197.

[4]- المرجع نفسه، ص124.

صاحب هذه الكتاب، فكان سنة 1933م طالبا في العلوم العربية، بحيث يقول" وفي آخر السنة الدراسية من بحر تلك السنة وقعت في حيرة أمام أمرين ... زاولت كل ما هو موجود من الدرجات التعليمية بالبلد، فإما أن أسلك سبيل الثقافة الفرنسية المحضة ...، وإما أن أنهج طريق الثقافة المزدوجة باللغتين فألتحق بالمدرسة الثعالبية كما فعله بعض من الزملاء[1].

كما تحدث عن شيخه مبارك الميلي وكيف رحل عن مدينة الأغواط ورحل عنها كما قال دون رجعة، فكان خبره علينا وعلى جميع تلامذته قد سقط كالصاعقة، ورغم جهودهم المختلفة الهادفة إلى الحد من عزيمة الشيخ وإصرارهم على إقناعه بأن لا يغادر مدينتهم لكنهم دون جدوى أمام رغبة الشيخ مبارك الميلي، لكن قابلهم بما كان يدور في وجدانه من أفكار طامحا من خلالها إلى إنشاء جيل مثقفا ومتشبعا بالثقافة العربية والإسلامية حينما عبر عن ذلك قائلا: "إن أرادوا أن لا يذهب مجهوده سدى ويحصدوا ما زرعه ويجنوا ثمار ما غرسه ...أن يرسلوا بعثة علمية من تلامذته إلى تونس لإتمام معلوماتهم، فيتمموا ما بدأ ويحققوا ما أراد" فيقول الشيخ أحمد قصيبة كنت من بين الذين اختاروا تشكيل فكرة البعثة[2].

ويضيف الشيخ قائلا: "أنه بقي على تلك الحال بين الحيرة والقلق عن رحلته إلى تونس حتى فتح نقاشه مع والده وذلك في أوائل شهر سبتمبر من عام 1933"، حينما سأله عن رحلته إلى تونس، فقال أنني جاوبته تلقائيا: نعم وكيف لا، حينها قال شعرت بالفرح والسرور الكبيرين حينما ذكرت للوالد أنني أريد أن أحقق رغبة شيخي الميلي الذي ارشدني أنا وزملائي إلى الهجرة إلى جامع الزيتونة، فرد الوالد عليه قائلا: إذن فاستعد فقد سررنا بأن تكون من الذين يذهبون إلى تونس، فعليك بحسن السيرة والاجتهاد، فقال الشيخ أحمد قصيبة أن والده قد زوده من دكانه بما يحتاجه من كسوة وغيرها من متطلبات الرحلة لطالب علم[3].

[1]- علالي، مرجع سابق، ص 124.

[2]- نفسه، ص125.

[3]-بلمبارك، مرجع سابق، ص42.

وقد رجع إلى مدينة الأغواط بعد سنة 1937 وعين معلما بمدرسة الشبيبة،[1] وخلال مرحلة نفي الشيخ البشير الإبراهيمي إلى مدينة أفلو حاول الشيخ أحمد قصيبة الاتصال به مما أوجد لنفسه علاقات طيبة معه وذلك بداية من سنة 1940م ومنها انخرط في صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بداية من يوم اختياره من طرف الشيخ البشير الإبراهيمي محررا لجريدة البصائر وكاتبا للجمعية، وقد عمل الشيخ محررا بجريدة البصائر مدة خمس (05) سنوات وكذا يقوم في بعض الأحيان على تحرير افتتاحيتها في حال غياب الشيخ البشير الإبراهيمي وبتكليف منه.[2]

بذل الشيخ أحمد قصيبة خدمة جليلة للإسلام والعروبة في إطار البرنامج التعليمي الإصلاحي، وذلك لإصلاح الألسنة والعقائد، فكان نشاطه يكمن في نشر التعليم بتأسيس المدارس ونشر مبادئ الإسلام الصحيح عن طريق المحاضرات ودروس الوعظ والإرشاد وذلك بتأسيس المساجد والنوادي في الأوساط المحرومة من ذلك ، وظل يلقي دروس الوعظ والإرشاد في مساجد العاصمة وفي المدن التي يتفقدها بتكليف الجمعية، وابتداء من سنة 1951 كلف أيضا بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد في شهر رمضان بالمسجد العتيق (التاوتي) بالأغواط ، وقد حمل الشيخ أحمد قصيبة العديد من الألقاب التي لقب بها جراء نشاطه التعليمي والإصلاحي ومنها لقب الفيلسوف هذا اللقب الذي سماه به الشيخ البشير الإبراهيمي[3]، نظرا لغزارة علمه واجتهاده فيه، من خلال العديد من الأنشطة التي قدمها وقام بها هذا الشيخ تنوعت بين المحاضرات والخطابات، فتراوحت بين الوعظ تارة والإرشاد تارة أخرى كما امتزجت بالتعليم ومناهجه التي حاول أن يلقنها لأبناء شعبه هادفا إلى نشر العلم بينهم، فقد ظل يلقن ويلقي الدروس في مساجد الجزائر وكذا المدن التي كان يزورها تحت تكليف من الجمعية، ولعل من بين تلك المدن التي زارها هذا الشيخ في إطار برنامج جمعية العلماء المسلمين نجد كل من مدينة تيبازة، تنس، الجزائر، المدية، الجلفة[4] .

[1]- علالي محمود، مرجع سابق، ص127-128.

[2]- بلمبارك، مرجع سابق، ص42.

[3]- محمد البشير الابراهيمي، **آثار الامام الابراهيمي**، جم و تق: أحمد طالب الابراهيمي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1997، ج2، ص 40.

[4]- بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص 42.

انظم إلى ثورة التحرير المباركة حيث كان يوزع المناشير التحريضية والبيانات التي كانت تصله من الجزائر العاصمة، إذ كان على اتصال بأفراد جيش التحرير من جهة وبمركز جمعية العلماء المسلمين من جهة أخرى؛ حيث بقي على اتصال برجالها أثناء هذه الفترة، مقدما مختلف المعلومات عن تحركات المستعمر الفرنسي وأخباره، كما كانت له عدة زيارات لمركز الجمعية منها عام 1956م، وبعد الاستقلال عين على رأس مديرية الشؤون الدينية لولاية الأغواط، بالإضافة إلى توليه مديرية المعهد الإسلامي كذلك بالمدينة حيث وذلك خلال سنوات 1964- 1979- 1980، وقد عين سنة 1966م عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى مما أوجد نفسه علاقة وطيدة مع الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض متعاونا معه مما جعلهما يتمكنا من إرجاع صلاة الجمعة إلى مساجد وادي ميزاب، إضافة إلى تعيينه مفتشا جهويا للأوقاف بالواحات والساورة، انتقل إلى رحمة ربه يوم الإثنين 24 محرم 1415 هـ الموافق لـ 4 جويلية 1994م. [1].

5/ الشيخ عطاء الله كزواي: ولد الشيخ عطاء الله سنة 1913 م و هو ابن العربي بن داود بن إبراهيم اليونسي و أمه خديجة بنت السعدي بن مبارك من عرش أولاد سيدي عطاء الله، عرفت عائلته بالعمل في نشر القرآن الكريم أبا عن جدّ، منذ صغره التحق بالكتّاب الذي كان يقوم عليه والده فحفظ القرآن و مبادئ اللغة و أحاطته أسرته بالرعاية و الحنان و خاصة منذ أن فقد أمه و هو في السابعة من عمره، و لا سّيما من عمه الشيخ عبد الرحمان الذي كان إماما بالمسجد الكبير الأغواط[2] .

التحق الشيخ عطاء الله نحو سنة 1929 بزاوية الهامل التي كانت آنذاك إشعاع علمي، استقطبت جمعا غفيرا من شيوخ العلم و طلابه، فيها أصول الفقه و اللغة و النحو و الدب حوالي خمس سنوات، وبعد عودته إلى الأغواط مزودا بقسط وفير من تلك العلوم شرع في التعليم بمسجد سيدي عبد القادر حيث أسس به قسما للتعليم أثّثه تأثيثا بالطاولات و السبورة خلافا لما كانت عليه

[1]- المرجع نفسه، ص42-43. علالي، مرجع سابق، ص127-128.

[2]- محمد كزواي، **نبذة عن حياة الشيخ عطاء الله كزواي**، أعمال الملتقى الأول الاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة لأغواط ، 14-16افريل 1998، ص185. بلمبارك، مرجع سابق، ص50. علالي، مرجع سابق، ص135.

الكتاتيب و التعليم التقليدي آنذاك و كان في نفس الوقت إماما بهذا المسجد و عرف بمحاربته للبدع و الخرافات و العمل على إزالتها و محاربتها .

و في الثلاثينات انخرط في حزب الشعب الجزائري فأمره والده بالتحلي عن العمل الحزبي و تكريس وقته كله للتعليم دون سواه، وعندما افتتحت مدرسة جمعية العلماء مدرستها سنة 1948فانضم إليها و كان طوال بقائه في المدرسة مثالا الجدّ و المعلم المتمكن من طريقته و البارع في إيصال العلم بكل لطف و انسجام، و لما خرج من المدرسة عاد إلى عمله بنفس المسجد يؤم المصلين و يستقبل الأفواج من التلاميذ الذين وجدوا في قسمه موردا ينهلون منه العلم و التربية، و قد تثقف على يديه العديد من الطلاب الذين التحقوا فيما بعد بالتعليم و يذكرونه بكل خير[1].

واصل عمله الديني و التعليمي بعد لاستقلال و لم يقبل الوظائف الإدارية التي عرضت عليه مؤثرا عمله الأصلي حتى أقعده المرض و كبر السن، و في عشية الجمعة يوم 14 سبتمبر 1979 أصيب الشيخ عطاء الله بشلل نصفي ألزمه الفراش حتى التحق بالرقيق الأعلى في شهر أكتوبر 1981[2].

6/ **الشيخ الحسين زاهية** : ولد الشيخ الحسين بن الحاج مُحَمَّد زاهية سنة 1917 ، و تلقى دروسه الأولى في القرآن الكريم عن والده ، ثم التحق بالكتاتيب لإتمام حفظه بمدينة الأغواط ، كما أدخله والده مدرسة الشيخ مبارك الميلي لدراسة مبادئ اللغة العربية . ودرس اللغة الفرنسية بمدرسة البنين (الأهالي) و حصل على شهادتها ، وقد وأرسله والده إلى الزاوية القاسمية بالهامل (بوسعادة) لاستكمال دراسة القرآن الكريم و الفقه و اللغة كما عمل على توسيع معلوماته في اللغة العربية و آدابها و العلوم الشرعية على يد رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العائدين من جامعة الزيتونة بتونس ، و لا سيما صديقه و رفيق دربه المرحوم الشيخ أبو بكر الحاج عيسى الذي لازمه طول حياته.[3]

---

[1]- مُحَمَّد كزواي، مرجع سابق، ص 186. بلمبارك، مرجع سابق، ص50-51. علالي، مرجع سابق، ص135-136.

[2]- مُحَمَّد كزواي، مرجع سابق، ص186.

[3]-المداني زاهية ، **نبذة عن حياة الشيخ الحسين زاهية**، أعمال الملتقى الأول الاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة لأغواط ، 14-16افريل 1998، ص174. بلمبارك، مرجع سابق، ص35. مدني لبتر، مرجع سابق، ص101. علالي، مرجع سابق، ص134.

انخرط في جمعية العلماء المسلمين و أصبح من شيوخها ، و لما أسست مدرسة التربية و التعليم بالأغواط بفضل تبرعات المواطنين أصبح من أوائل مدرسيها ، و عرف المرحوم بطريقته التربوية الحية و تفانيه في التدريس و حسن العناية بتلاميذه، وكان كثير الاهتمام بالنشاط الثقافي من مسرحيات و أناشيد وطنية ، وبعد من المؤسسين الأوائل لأفواج الكشافة الإسلامية الجزائرية وعمل مرشدا تربويا فيها كما انخرط منذ شبابه في صفوف الحركة الوطنية لممارسة الكفاح السياسي ، و نشط في صفوف حزب الشعب الجزائري و الاتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري ، و تعرض للمتابعات و المضايقات من طرف مصالح الأمن الاستعمارية .[1]

وبعد اندلاع الثورة المسلحة انضم مع رفاقه إلى نظام جبهة التحرير الوطني ، ومارس مهامه النضالية حتى كشفت المصالح الاستعمارية شبكتهم فألقي عليهم القبض يوم 15 أوت 1958 و اقتيدوا إلى مركز التعذيب " D.O.P" في المعمورة بالأغواط ، و ذاقوا أقصى ضروب التنكيل المعنوية و الجسدية مما أدى إلى استشهاد الشيخ أحمد شطة ، و إصابة الشيخ الحسين بعاهات جسدية لازمته مدى حياته ، وبعد بقائه مدة في معتقل الأغواط ، نقل إلى معتقل القنادسة ببشار ثم فرضت عليه الإقامة الجبرية حتى الاستقلال .

وبعد الاستقلال عاد لممارسة نشاطه التعليمي في نفس المدرسة التي أصبحت تحمل اسم الشهيد أحمد شطة ، ثم أصبح مديرا لها –مدة قصيرة – كما عمل أستاذا بإكمالية الزهراء، وانتخب في أول مجلس بلدي بالأغواط ، و قام بإلقاء عديد من الدروس الوعظية و المحاضرات، و في السنوات الأخيرة عين في المفتشية مسؤولا عن محو الأمية بدائرة الأغواط حتى أحيل على التقاعد ، توفي المرحوم إثر مرض مزمن يوم 1981/08/06 بالأغواط .[2]

[1]– المداني زاهية، مرجع سابق، ص175. بلمبارك، مرجع سابق، ص 35-36. علالي، مرجع سابق، ص135.

[2]– المراجع نفسها ، نفس الصفحات .

7/عبد المالك شهرة: رئيس الجمعية الإدارية لمدرسة التربية و التعليم هو عبد المالك شهرة بن أحمد المولود في 1912/12/22 بالأغواط ، زاول تعليمه الابتدائي بغرداية و أتم دراسته بالمراسلة إلى أن حصل على الأهلية، وقد مارس عدة نشاطات تجارية و صناعية ، ثم أسس شركة للنقل ، فنظم رحلات إلى البقاع المقدسة لأداء فريضتي الحج و العمرة عن طريق البر و ذلك سنة 1952 ، السنة التي أدى فيها الشيخ أبو بكر الحاج عيسى فريضة الحج برا مع هذه الشركة .[1]

ناضل في الأحزاب السياسية الوطنية و كان كثيرا ما يتصل بالشيخ الابراهيمي بمدينة آفلو خفية ، كما كان رئيسا للجمعية الإدارية للمدرسة منذ بداية تأسيسها مع نخبة من الرجال العاملين للإصلاح و الصالح العام، فكان مكلفا بكل إدارتها وعلاقتها بالإدارة الاستعمارية و الدرع المدافع عن مصالحها منذ وضع حجر أساسها و ذلك سنة 1945 إلى أن أغلقها الاستعمار سنة 1958 . و كم لاقى المتاعب من الإدارة الاستعمارية التي كان يرأسها في ذلك الوقت اليهودي (هيرتز) ، و المكلف بالبناءات (بيجون) فاستطاع بحكمته أن يقضي على كل المؤامرات و العراقيل التي ينسجونها للمدرسة و قليلا ما كانت تغلق من طرف الاستعمار بفضل يقظته و فطنته، كما يأخذ الكلمة في الاحتفالات التي تقام في المدرسة ، وخاصة احتفالات آخر السنة الدراسية ، فيحث المواطنين على المحافظة على هذا المكسب العظيم و ذلك بتبرعاتهم و مساعداتهم المادية و المعنوية للمدرسة ، إلى أن توفي بعد الاستقلال في حادث سيارة بالعاصمة .[2]

–عائلة دهينة: تعتبر عائلة دهينة من العائلات الوطنية والمثقفة في الأغواط بامتياز، وهي من عائلات الأعيان والتي ساهمت في حركة التعليم والتربية في المنطقة.[3]

[1]– بلمبارك، مرجع سابق، ص52.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– أحمد مريوش، **دراسات**، مرجع سابق، ج1، ص 325-326.

8/عبد القادر دهينة: أحد المعلمين المحليين الأوائل، من خريجي مدرسة تكوين الأساتذة في الجزائر العاصمة–بوزريعة، سنة 1896، ورغم نبوغه فقد رفض مواصلة دراسته لكي لا يضطر إلى التجنيس.[1]

9/ عمار دهينة: معلم وأستاذ وباحث في التاريخ باللغة الفرنسية، الابن البكر لعبد القادر، وُلِد عمار دهينة في 9 أبريل 1902 بالأغواط، وبعد دراسة التعليم الابتدائي في كوردان بعين ماضي، والثانوي في المدية، التحق هو أيضا بمدرسة المعلمين العليا في الجزائر العاصمة–بوزريعة، التي تخرّج منها أستاذًا، وعندما أقام الشيخ مبارك الميلى في الأغواط، سنة 1927أصبح من المقربين منه، ، قام بتعلّم اللغة العربية ومساعدة الشيخ الميلى في إعداد الخرائط التي كان يحتاج إليها لإتمام عمله المتعلّق بـ"تاريخ الجزائر، ثمّ سافر عمار إلى فرنسا لدراسة علوم التربية ، وفي الفترة بين 1933 و 1940 زاول عمار مهنة التدريس في مليانة مع مواصلة دراسته العليا، ثم درّس في المعهد الحديث بالبليدة، وحصل على شهادة الأستاذية في اللغة العربية والأدب العربي في عام 1951 . وغداة الاستقلال، تم تعيينه مفتشًا عامًا في تعليم اللغة العربية في وزارة التربية والتعليم، كما اشتغل مدرسا بعدة مؤسسات تعليمية ودرّس مادة الحضارة الإسلامية في جامعة الجزائر العاصمة ونظرًا لما تميّز به من تواضع وورع وإلمام عميق بالمنهج التربوي وثقافة واسعة ومتنوّعة – إذ كان مهتمًّا بالتاريخ والجغرافيا والرسم، وعلم الفلك، بالإضافة إلى تخصّصه – فقد كرّس حياته كلها في التعليم والبحث حتى وفاته في 09ديسمبر1987 وقد نُشِر له العديد من الكتب والمقالات، من مؤلفاته بالفرنسية المحطات الكبرى، المدن الاسلامية، مشاهير الاسلام، معرفة الأدب العربي، خلفاء وملوك، رجال دولة رجال حرب.[2]

[1]– معهد الهقار، **مسار مراد دهينة لمحة تاريخية عن مستقبل الجزائر**، تر: رشيد زياني شريف، نشر 2012/01/31، تم الإطلاع: 22-03-2018.

[2] –رابح خدوسي، **موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين**، منشورات الحضارة، الجزائر، 2002، ج2، ص26. معهد الهقار، مرجع سابق. عاشور شرفي، مرجع سابق، ص697.

وقد ذكر الشيخ مبارك الميلي في مقدمة الجزء الأول من كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث أن عمر دهينة الذي كان مدرسا بالمدارس الفرنسية في الأغواط على عهده، وكان أحد أفذاذ نبغاء الرسامين ولكنه لم يذكر بعض أعماله،[1] ومن المعروف من خلال شهادة الميلي أن عمار دهينة هو من ترجم الكثير من الكتب الفرنسية الخاصة بتاريخ الجزائر وهو ما ساعد الشيخ مبارك الميلي على إتمام كتابه، وقد أشار الميلي إلى هذا سواء من خلال مقدمة كتابه أو من خلال الرسائل التي تبادلها مع الأستاذ أحمد توفيق المدني[2] ومن بين المقالات التي نشرت له في المجلة الإفريقية نذكر على سبيل المثال : ملاحظات حول علم الأصوات وصيغة الحديث الشفهي لدى لارباع[3] و النصوص العربية للشطر الجنوبي من الجزائر العاصمة. [4]

10/مُحَمَّد دهينة: وكان مُحَمَّد دهينة، المولود في 28 فبراير 1920 بالأغواط، والمتوفى في 10 نوفمبر/تشرين الثاني 2000، مناضلا وطنيا ضمن الكوكبة التي التحقت بمجال النضال منذ ساعاته الأولى، وهو النجل الثاني لعبد القادر دهينة، وقد كان مُحَمَّد دهينة يقوم بصفته أمين مكتب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في الأغواط، الحزب السياسي الذي كان يترأّسه فرحات عباس، بتحرير المقالات والنشاط في مجال التوعية بخصوص القضية الوطنية، كما كان ينشط رفقة مُحَمَّد بن سالم في المجال السياسي من أجل استقلال الجزائر، وبعد شهرين من إعلان اندلا ع الثورة، دخلت الأغواط في الكفاح المسلّح، وساهم حينئذ مُحَمَّد دهينة، الذي انضم إلى جبهة التحرير الوطني، في هيكلة النواة الأولى للمجاهدين في المنطقة، التي سرعان ما اتسع نطاقها لتشكّل مجموعات من المجاهدين في جبل ''قعدة'' في سلسلة جبل العمور ، وقد احتجز مُحَمَّد دهينة في البليدة، وجاء هذا الاعتقال بعد سلسلة

[1]- سعد الله، ج8، ص438.

[2]- مبارك الميلي، **تاريخ**..، ج1، ص . عاشور شرفي، مرجع سابق، ص697. أنظر أيضا: الملحق رقم 18. والملحق رقم:20. والملحق رقم: 21 .

[3] - DHINA (A.), **Notes sur la phonétique et la morphologiedu parler des ‘Arbâz**, R.A , p 313-353.

[4]- DHINA (A.), **Textes arabes du Sud-Algérois**, R.A , p 93-117.

من عمليات الحجز الإداري في معسكرات الاعتقال وذلك بعد توقيفه في أعقاب الإضراب الوطني ليوم 28 يناير/كانون الثاني 1957، قُبيل عرض ملف القضية الجزائرية أمام منظمة الأمم المتحدة.[1]

وقد سبّبت له نشاطاته الثورية في الولاية السادسة المطاردة من قِبل الجيش الاستعماري والاستهداف من طرف الميليشيات المسلحة التابعة لبلونيس، التي كانت تعمل تحت إشراف وتأطير الجيش الفرنسي ، أمّا ابن عمّه الطاهر دهينة فقد سقط شهيدًا ، وبعد استقلال الجزائر عُيّن مُحَمَّد دهينة أول رئيس دائرة في الأغواط ثم رئيس دائرة توقرت، وكلف بعدة مهام إدارية إلى غاية تقاعده عن العمل[2].

11/عطاء الله دهينة: الدكتور وأستاذ التاريخ، من مواليد 28 مارس 1930 بالأغواط حاصل على دبلوم من معهد العلوم المغربية ودكتوراه في التاريخ من جامعة باريس ، بعد الاستقلال أصبح مديرا للتعليم في ولاية الأغواط،، وسبق له أن درّس في عدة مؤسسات تعليمية معهد التاريخ بجامعة الجزائر الذي تولّى أيضًا إدارته، كما شغل منصب مدير الوكالة الوطنية للآثار، فضلًا عن نشره للعديد من الكتب والمقالات.[3]

12/الشيخ مُحَمَّد ميزة بوداود: من مواليد ابن شاعة بالأرباع سنة 1917، استقر والده سي بلقاسم بن الصديق بغرداية سنة 1927، فتتلمذ سي ميزة على يد الشيخ مُحَمَّد الشحمة الشعنبي وحفظ عليه القرآن الكريم، كما تتلمذ على الشيخ سليمان بن أحمد الجدع الصبابطي بغرداية وأخذ عنه العقيدة الأشعرية وفقه الإمام مالك ثم اتجه سنة 1936 إلى زاوية الشيخ الحاج سليمان غزال بحاسي الدلاعة في بادية الأغواط، وأخذ عنه كما كان ينوبه في الزاوية أثناء غيابه، ثم عاد إلى غرداية والتحق بمدرسة العروبة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتتلمذ على الشيخ مُحَمَّد الأخضر الفيلالي مابين 1940-1942، وكان من أوائل المنخرطين بحزب الشعب الجزائري ولما اندلعت الثورة كان برفقة شيخه الحاج سليمان غزال من أوائل مسؤوليها في ومنسقيها في غرداية والصحراء منذ أوائل سنة 1956، ألقي عليه القبض في أواخر 1957 وتنقل بين سجون غرادية والأغواط والبليدة

[1] – معهد الهقار، مرجع سابق. لبتر، مرجع سابق، ص150-151.

[2] – لبتر، مرجع سابق، ص151. معهد الهقار، مرجع سابق،

[3] – رابح خدوسي، مرجع سابق، ج2، ص26. عاشور شرفي، مرجع سابق، ص697. لبتر، مرجع سابق، ص129.

والعاصمة، وتعرض للتعذيب ثم أطلق سراحه بكفالة سنة 1959، وبقي بعدها ببادية الأغواط متخفيا حتى الاستقلال، وقد مارس التعليم بعد الاستقلال إلى غاية تقاعده، وتوفي سنة 2011.

كان رحمه الله شاعرا بالفصيح والملحون، وقد خلد في أشعاره الكثير من الأحداث التي مربها أو كان شاهدا عليها ومتفاعلا معها، خلال نضاله في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، من أبرزها أرجوزة بديعة نظمها في نفي شيخه مُحَّد الأخضر الفيلالي إلى آفلو، تعرف بمنظومة الشيخ المهدي، وقد ضمنها هجاء للاستعمار وسخرية منه بسبب هزائمه أمام الألمان، مع الدعوة لنصرة حزب العلماء.[1]

13/ الزهرة بن عية، 14/ جميلة بن عية، 15/ خديجة الصادق: وهن تلميذات في المدرسة ثم أصبحن معلمات بها إلى غاية إغلاقها سنة 1985.

ثانيا: الداعمون والمناصرون:

-أسرة فرحات أو أولاد مُحَّد بن الطيب بن فرحات[2]: وهي الأسرة التي تولت قيادة قبيلة الأرباع في الفترة الاستعمارية، وقد قام كثير من أفرادها باستغلال مناصبهم القيادية لدعم الحركة العلمية والدينية في الأغواط، وقد أشادت جريدة الشهاب بهذه العائلة في معرض حديثها عن التعليم العربي بالأغواط، وعن الشيخ مبارك الميلي وأنصاره حيث قالت: " ..إن عائلة مُحَّد بن الطيب الماجدة في طالعة العائلات التي عطفت على الأستاذ مبارك الميلي وأكرمت مثواه ودانت له بالولاء والتقدير اللذين هو خليق بأمثاله، وإن هذا الصنيع هو واجب مثل هذه العائلة التي دأبها ارتياد المجد وإحلال الشيئ محله والمنافسة في أعمال البر والتباهي بالأعمال الجدية المغلة التي هي غير الأقوال والترحيب بكل جديد ونافع..."[3] ونذكر من هذه العائلة:

---

[1]- تحوي الخزانة العائلية لسيدي بن شاعة بن الصغير مجموعا لآثار الرجل، وهو بحق شخصية مهمة غفل عنها طويلا، وقد أفرده الوزير المجاهد جغابة في كتبه حوار الذات مع الاخر بشهادة تبين قيمة الرجل وقدراته العلمية والنضالي. للمزيد حول هذه الشخصية أنظر: أحمد بن الصغير، **الشيخ مُحَّد ميزة بوداود عميد المربين في غرداية**، قيد الطبع. أنظر أيضا: مُحَّد جغابة، **حوار مع الذات والاخر**، دار هومة، الجزائر، 2007، ج2، ص 102-103.

[2]- للمزيد حول هذه الأسرة القايدية أنظر: علي مراد، مصدر سابق، ص244-245.

[3]- جريدة الشهاب، **التعليم العربي بالأغواط والأستاذ مبارك الميلي وأنصاره**، مج 6، جويلية 1930، ص382.

1/الخليفة جلول فرحات:[1] تتفق جل المصادر التاريخية على أن الخليفة جلول فرحات هو أحد أهم داعمي الإصلاح في الاغواط، و يرتبط اسمه بالخصوص بالشيخ مبارك الميلي، ولكن هذه المصادر تختلف في دوافع الرجل من دعمه للإصلاح، فمن معتبر أن هذا الدعم يدخل في إطار حسابات سياسية للرجل داخل منطقة الأغواط، وتتعلق أساسا بالصراع مع عائلة بن سالم وهي عائلة قايدية حضرية توالي الطريقة التيجانية، بينما ينتمي الخليفة جلول لعائلة فرحات وهي عائلة قايدية بدوية توالي الطريقة القادرية نوعا ما، وهذا ما ذهب إليه علي مراد وشرحناه سابقا، ولكن من جهة أخرى تتوافر روايات وشهادات حول مدى التزام الخليفة جلول بالعمل من أجل مواطنيه وقيمه ودينه، وهو ما يفسره انخراطه في مشاريع مثل مسجد باريس و جمعية أوقاف الحرمين الرشيفين واستعادته لمسجد الأحلاف بعد أن كان كنيسة والذي أصبح يسمى باسمه "مسجد الخليفة" إلى غاية اليوم، ودعمه لحركة الاصلاح وحمايته وإنفاقه على الشيخ مبارك الميلي، حيث تجدر الإشارة إلى أنه خلال إقامته في الأغواط التي استمرت أكثر من سبع سنوات وجد مبارك الميلي ملجأً وسندا لدى الخليفة جلول ،بل هناك من يرجع أول اتصال بين الخليفة جلول والحركة الإصلاحية إلى لقائه بعبد الحميد بن باديس في الجزائر العاصمة.

يروي بن عمر قصيبة وهو أخ أحمد قصيبة ضمن كلمة ألقاها يوم 1998/12/11 بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس مدرسة التربية و التعليم، هذه القصة حول ظروف لقاء الخليفة جلول بعبد الحميد بن باديس : ".. استدعى مسؤول الشؤون الأهلية الذي كان من عملاء ماسينيون الشيخ عبد الحميد بن باديس و أباه و أربعة شخصيات عربية و هدد هذا المدير عبد الحميد أمامهم طالبا منه الاستقالة من رئاسة جمعية العلماء ، ويصف بن باديس الاجتماع في انفعال شديد لازمه طول حياته فقال :" و اضطربت ثم تماسكت و أخذت بيد أبي أقبلها في تجلة و احترام ثم سألت : ما هذا ؟ ما هي القضية ؟ ماذا وقع ؟ وعاد مدير الشؤون الأهلية قائلا : إن أسرة ابن باديس مقبلة على الإفلاس من اليوم و أن الحكومة الفرنسية تعلن استعدادها لعملية إنقاذها و هي هذه المرة لا تطلب منك حل جمعية العلماء و إنما تطلب منك فقط استقالتك منها تكتبها و توقعها لتبقى محفوظة عندنا من غير أي إعلان عنها ونحن نسلم لأبيك منذ الآن صكا مصرفيا يقضي كل ديون الأسرة و يمنحها فرصة

[1] – تم التعريف به وبأعماله سابقا.

لاستعادة مكانتها الاقتصادية و الاجتماعية "، فكان جواب ابن باديس تلك الكلمة التي أجاب بها رسول الله ﷺ عمه و قريشا :" والله لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ".

وكان الخليفة جلول بن لخضر الأغواطي أحد الأربعة في تلك الجلسة و الذي تأثر بالغا بهذا الجواب بحيث دفعته شدة التأثر هذه أن يقول عند خروجه لرفاقه الثلاثة :" احذروا من هذا الرجل فإنه ولي الله و كل من سولت له نفسه أن يؤذيه أو يمسه بسوء فليستعد لجهنم "[1]، أي أن أعماله لم تكن ظرفية أو انتقائية بل نلاحظ في مسيرة حياة الرجل التزاما متواصلا.

وبعيدا عن محاكمة نوايا الخليفة جلول في دعمه للحركة الاصلاحية فإن الرجل لم يكن نشازا في عائلته بل واصل أبناؤه وأحفاده دعمهم للحركة الاصلاحية وانخراطهم في الحركة الوطنية رغم وضعيتهم الادارية والسياسية الحرجة خصوصا ابنه الباشاغا دهيليس وحفيده الباشاغا المرهون.[2]

2/ الاغا المرهون (المهرون) بن الباشاغا دهيليس بن الخليفة جلول فرحات: من خلال ما كتبه الشيخ بن عزوز يظهر دعم الرجل للشيخ مبارك الميلي ومحاولة ثنيه عن الرحيل من الأغواط،[3] إضافة إلى ما أوردته مجلة " الشهاب" حول تدخل الاغا المرهون في قضية وكيلها في الأغواط، وقضية التهمة التي وجهت للسادة دهينة حسين ، أحمد بن عبد الرحمن ، ميموني عبد القادر بن هدروق ، البوسعادي فيما يتعلق بتوزيع ونشر قصيدة كتبها عبد الحميد عباسة ، تمجيدا للمؤتمر الإسلامي الجزائري وقد تم رفض الدعوى القضائية بما يرضي أهالي الأغواط وتم وصف فرحات مرهون بأنه جريء وشهم[4].

[1]- بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص127-128.

[2]- أشادت جريدة الشهاب بموقف المرهون ودفاعه عن وكيلها في الأغواط. أنظر: جريدة الشهاب، **من الأغواط متى تنقشع سحب الاستبداد**، مج 12، ج6، أوت –سبتمبر 1936، ص284. أنظر أيضا: قصيبة وحماني، مصدر سابق، ص04.

[3]- أنظر الملحق رقم: 34.

[4]- جريدة الشهاب، مصدر سابق، ص284. كما أن له عقد وقفيا محفوظا بمديرية الشؤون الدينية بالأغواط تحت رقم: 156، بتاريخ 1942/08/27، وهو عبارة عن سكن محبس على المسجد العتيق بالأغواط.

3/ فرحات لخضر بن حمزة: كانت له علاقات ودية مع جمعية العلماء في الأغواط، وخاصة أحمد شطة ، وقد قام بعدة زيارات إلى بشير الإبراهيمي رهن الإقامة الجبرية في أفلو، شارك مالياً في بناء مسجد ، حوالي عام 1946 يقع في شارع 1 نوفمبر والذي يحمل اسم الشهيد أحمد شطة.

4/فرحات بشير بن حمزة: أعطى قطعة أرض تم استخدامها لبناء مسجد ، حوالي عام 1910 في حي الشطيط الغربي ، وكان آخر إمامه كويسي سي مبروك ، الذي توفي في 4 أبريل 2008. [1]

5/ فرحات الحاج يحيى: عندما قررت جمعية علماء الجزائر النظر في إنشاء مدرسة إسلامية في الأغواط لجعل هذا المشروع المهم حقيقة واقعة ، تبرع الحاج يحي بحديقة كبيرة في وسط الأغواط، لبناء المدرسة.[2]

6/ الشاعر دهينة دهينة بن الحاج عيسى: ولد بالأغواط سنة 1885، نشأ عصاميا تعلم اللغة العربية بالكتّاب ، أما الفرنسية فتعلمها و أتقنها بالمدرسة الفرنسية،كما كان شغوفا بتعلم العبرية و اللهجة الميزابية، اهتم بعلم الفلك و نال شهادة في هذا العلم عن طريق المراسلة من فرنسا سنة 1928. ثم اشتغل بالتجارة و رفض الالتحاق بالوظائف الحكومية و كان له دور بارز في الحركة الإصلاحية في المنطقة.[3]

7/صالح من الحاج مُحَّد بليدي: وهو من مواليد بني يزقن سنة 1909 إباضي، ولكنه يعد من أعيان مدينة الأغواط وأحد وجهائها، عمل تاجرا في المدينة وبها استقر وكان أحد أنصار الحركة العلمية والاصلاحية في المدينة، كما كان محله مقر اجتماع رجالات العلم والفكر والاصلاح بالأغواط، وكان من المساهمين ماليا ومعنويا في مشاريع النهضة بالمدينة.[4]

---

[1]- العقود الوقفية لبشير فرحات ولخضر فرحات محفوظة بمديرية الشؤون الدينية. وهما من المساهين كثيرا في الأوقاف في مدينة الأغواط بحيث تتكرر أسماؤهما في عقود وقفية كثيرة.

[2]- بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص . خميلي، **نشأة الكشافة..**، مصدر سابق، ص41. الحسن فضلاء، **المسيرة**، مرجع سابق، ص118.

[3]- علالي، مرجع سابق، ص84-85.

[4]- حمو النوري، مرجع سابق، ج3، ص169. خميلي، **نشأة الكشافة..**، مصدر سابق، ص58-59. دبوز، نهضة..، مصدر سابق، ص240.

8/الشيخ علي شرفي: من مدينة باتنة وأصله من بسكرة، كان موجودا في الأغواط لتأدية الخدمة العسكرية سنة 1945، وكان الرجل إصلاحيا لقبه سكان المدينة ب العالم العسكري لأنه كان يلقي دروسه بمسجد سيدي عبد القادر قبل صلاة الفجر حيث كان يخرج من ثكنته ويلتحق بالمسجد بلباسه العسكري لإلقاء الدروس وله فضل كبير في بناء مدرسة التربية والتعليم سنة 1948 حيث سعى مع زملائه للحصول على قطعة الأرض التي بنيت عليها فيما بعد، كما كان له خطاب هز مشاعر الناس بغية دعوتهم للتبرع. [1]

ثالثا: المشتغلون بالصحافة:

1/عبد القادر بن مشتح (المعروف ب: الكتبي): ولد عبد القادر بن بوجمعة مشتح في الأغواط سنة 1897 تعلم القران ومبادئ اللغة العربية والفقه بالكتاتيب ، كما درس اللغة الفرنسية دراسة جيدة وكان ينوي استكمال دراسته غير أن السياسة التعليمية الاستعمارية المتحيزة ضد الجزائريين حالت دون تحقيقا لرغبته ، فخر الى الحياة العملية فأشتغل بالتجارة ولكن حبه للثقافة والاطلاع وشغفة بالكتب والمطبوعات جعله يتجه نحوا اقتناء الكتب باللغتين ليسيتفد منها في توسيع ثقافته والمتاجرة بها.

وتطور به الأمر الى انشاء أول مكتبة عصرية هامة بهذه بالمدينة ضمت الى جانب الكتب ، المجلات ، الصحف والصور الفوتوغرافية ، وكان بما يتمتع به من نشاط وحيوية يسعى الى جلبها من مختلف مدن الجزائرية الكبرى ثم من دور النشر بمصر ولبنان وفرنسا وتونس والمغرب فحفلت مكتبته بكل اصدار جديد ومفيد ولاسيما أمهات كتب التراث العربي والاسلامي واشتهرت في الوطن فراسله كثير من الشخصيات المهتمين بعالم الكتب والثقافة كشيوخ جمعية العلماء وعلى رأسهم عبد الحميد بن باديس وأصبح يحمل لقب "الكتبي الشهير".[2] وقد وصفه مُحَّد العابد الجلالي غداة زيارته إلى الأغواط ب: "الأديب الصحافي"[3].

[1]- خميلي، **نشأة الكشافة..**، مصدر سابق، ص53-54.

[2]- مدني لبتر ، مرجع سابق ، ص 122.

[3]- مُحَّد العابد الجلالي، مرجع سابق، ص2.

كما مارس نشاطات أخرى منها عماه كوكيل شرعي بمحكمة الاغواط وأيضا أرسل لبعض الصحف الصدرة بالعربية والفرنسية ومنها "الاصلاح" و "النجاح "،[1] وقد فكر أيضا عبد القادر بن مشتح في إنشاء جريدة اختار لها اسمار تراثيا معبرا " حيدر " وأعد لها تصميما مزال محفوظا في أرشيف مكتبته ، توفي المرحوم في يوم 01 جوان 1974 مخلفا في مكتبته أعداد كثيرة من الصحف والمجلات وكتبا عديدة وهامة باللغتين تعرض معظمها لتبديد ومذكرات ورسائل تلقاها من بعض الشخصيات داخل الوطن وخارجة ومجموعة من الصور الفوتوغرافية لمناظر للأغواط والصحراء.[2]

2/ علي مراد: ولد د علي مراد 21أكتوبر 1930 بمدينة الأغواط، درَس بالمدرسة الثعالبية، وهي المدرسة التي أنشأت إلى جانب مدرستي قسنطينة وتلمسان ابتداء من سنة 1850، وتسمى بالمدارس الشرعية الثلاث. وكانت مهمتها تخريج الإطارات الدينية والعدلية والتعليمية، ومن بين أساتذته الذين ذكرهم إبن زكري ومشري، وحسب رأيه فإنه رفض مواصلة الدراسة بالثعالبية وطلب من أبيه الانتقال إلى نمط التعليم الآخر وهو التعليم العمومي، فدخل ثانوية بيجو –الأميرعبد القادر حاليا–ومنها أنتقل إلى كلية الآداب بجامعة الجزائر أين حصل على الإجازة في اللغة سنة 1954،[3] ثم التحق بجماعة السوربون التي نال منها شهادة التبرير في سنة 1956 ثم شهادة الدكتوراه في الآداب 1968، وكان أول باحث جزائري يعد أطروحة عن الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء وهي بعنوان:

Le Réformisme musulman en Algerie de 1925-1940 وصدرت هذه الأطروحة في باريس 1967، وكتاب آخر عن بن باديس وله دراسة قيمة في موسوعة Les Africain : في

---

[1]– بولرباح عثمان ، **الشيخ عبد القادر بن مشتح** ، مجلة رفوف الثقافية ، ع 1، 2016 ، ص 4.

[2]– مدني لبتر ، مرجع سابق ، ص 123.

[3]– سعدي بزيان، **الدكتور علي مراد "1930–2017" سيرة ومسيرة أكثر من نصف قرن من العطاء –وخدمة اللغة العربية– والثقافة الإسلامية**، نشر في 02-01-2018، موقع جريدة البصائر: http://elbassair.org/1822/ تم الاطلاع: 20-10-2018. مولود عويمر، **علي مراد باحث بين ضفتين**، نشر على موقع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين : https://www.oulamadz.org/2015/11/26/ يوم: 26-11-2015، تم الإطلاع: 20-10-2018. جريدة النصر، **الدكتور أحمد صاري يسترجع سيرته في حوار للنصر**، https://www.annasronline.com/index.php/2014-08-09-10-34-08/2014-08-25-12-21-09/75507-2017-07-10-22-54-50، نشر يوم: 10 جوان 2017، تم الاطلاع يوم: 20-10-2018.

أكثر من 20 صفحة ومصحوبة بالصور والمراجع وفيها إشادة بابن باديس في جمعية العلماء، ويعتبر علي مراد مرجعا بالنسبة للفرنكوفونيين فيما يتعلق بابن باديس والفكر الإصلاحي لجمعية العلماء وأدبياتها وأطروحاتها، كما أن للدكتور علي مراد كتاب: ''الإسلام المعاصر'' وقد ظهرت ترجمته بالعربية في القاهرة، وقد أشرف على عدة رسائل جامعية في باريس وليون ، ومن كتبه: شارل دو فوكو في نظر الإسلام 1978، إضافة إلى كتابه نور على نور: Lumière sur lumière pages de l'Islam.

شارك علي مراد في كتابة الموسوعة الإسلامية بدارستين حول الإصلاح، وابن باديس والإبراهيمي أنموذجا، وبمقال حول الأغواط، وقام بتقريض عدة كتب لعدة شخصيات ،كما شارك علي مراد في عدة ملتقيات للفكر الإسلامي في الجزائر، وقدم قراءة لعدة أعمال منها: تقديم قراءة لمجلة أرابيكا وقراءة وملاحظات بيبلوغرافية في مجلة الدراسات الإسلامية كما كتب عدة مقالات في جريدة لوموند كما كتب مقدمة لطبعة القرآن في لغتين فرنسية وعربية، شارك في طاولة مستديرة نشرت في مجلات: لونوفيل أوبسيرفاتور فرنسا والبلدان العربية ،كما شارك في اللقاء الثالث الإسلامي المسيحي.

كان أول نشاط تعليمي للأستاذ علي مراد أنه عين أستاذ اللغة والأدب في الثانوية الفرنسية الإسلامية ببن عكنون، من سنة 1956 إلى غاية 1958، كما عين أستاذا مساعدا في اللغة العربية في جامعة الجزائر 1960-1961 وأستاذا مكلفا بالتعليم في جامعة ليون خلال سنوات 1962-1963-1968-1969 ثم انتقل إلى باريس ليعين أستاذا لتدريس اللغة العربية والأدب العربي ''شهادة ليسانس'' فشهادة التبريز خلال سنوات 1987-1988-1989 كما كلف بطلبة شهادة التبريز وشهادة DEA جامعة باريس السوربون، ومن المناصب التي شغلها: عضوية اللجنة الوطنية للفرنسيين المسلمين 1973-1981.[1]

-علي مراد وجريدة الشاب المسلم: كان علي مراد قطب الرحا في جريدة الشباب المسلم التي صدر عددها الأول في 06 جوان 1952، وهي جريدة أصدرتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مستهدفة بها الشبان الجزائريين من ذوي الثقافة الفرنسية حتى لا ينسلخوا عن دينهم، ووطنهم،

[1]- سعدي بزيان، مرجع سابق، مولود عويمر، مرجع سابق، جريدة النصر، مرجع سابق،

وقومهم وأمتهم، وكان من بينهم كتاب تلك الجريدة كاتب يسمى ''أبو جميل طه''، الذي كان اسمه الحقيقي وهو علي مراد، الطالب أيامئذ بكلية الآداب بجامعة الجزائر،[1] وقد تحدث الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي في مذكرته بعنوان: ''مذكرات جزائري-الجزء الأول: أحلام ومحن 1932-1965 عن مكانة علي مراد في جريدة الشاب المسلم وقال: ''حاولت أن أشكل فريقا صلبا ومثابرا، ووافق صديقي عطاء الله سوفاري الذي كان يشتغل في إدارة البصائر بالعربية لسان حال جمعية العلماء على إدارة الجريدة الجديدة(المطبعة، الاشتراكات، التوزيع –بريد القراء..إلخ) أما علي مراد الذي كان طالبا بكلية الآداب بجامعة الجزائر فسيكون قطب الرحى في هيئة التحرير وكانت المهام موزعة بشكل جيدا، فكان علي مراد مسؤولا عن ركن "في ضوء القرآن والحديث" ويديره بمهارة،[2] وقد تناول في هذا الركن بالعرض والتحليل القيم السامية في الإسلام كما جاءت في الكتاب والسُنة، مثل التضامن، الأخوة، الكرم، الصدق، التواضع، التسامح، النفاق، الواجب، الابتلاء، تحرير العبيد، الرفق على اليتيم،...الخ[3].

وقد استمر في البحث في مجال الدراسات الإسلامية فدرس منهج الشيخ ابن باديس في تفسير القرآن، وترجم مختارات من القرآن والأحاديث النبوية للتعريف بالإسلام لغير الناطقين باللغة العربية، وتطرق إلى قضايا سياسية كانت وماتزال محل سجال ونقاش مثل الشورى في الإسلام، وموضوع نظام الخلافة وصلاحيته للعصر الحديث، كما كان يكتب باسم مستعار آخر هو مُحَمَّد أعراب، هذا الاسم الأخير عرّف في العديد من أعداد الجريدة بالمفكر والمصلح المشهور مُحَمَّد إقبال، وذلك بعد أن رافق أحمد طالب الإبراهيمي والده إلى باكستان في بداية الخمسينات وجلب معه العديد من كتب هذا المفكر، وهي باللغة الإنجليزية، فقام علي مراد بترجمتها والتعريف بها و بصاحبها.[4]

---

[1]- مُحَمَّد الهادي الحسني، **علي مراد**، نشر على موقع جمعية العلماء: https://www.oulamadz.org/2017/07/13/، يوم: 13-07-2017، تم الاطلاع: 20-10-2018.

[2]- أحمد طالب الإبراهيمي ، **مذكرات جزائري الجزء الأول: أحلام ومحن 1932-1965**، منشورات دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ج1، ص70.

[3]- مولود عويمر، مرجع سابق.

[4]- جريدة النصر، مرجع سابق.

جدير بالذكر أن كلا من أحمد قصيبة وأبو بكر الحاج عيسى قد شاركا في النشاط الصحفي للحركة الإصلاحية كما تقدم في تعريفهما، وقد تنوعت مقالاتهما بين الإخبارية والوعظية والأدبية والتعليمية، كما لا ننسى ذكر شخصية عطاء الله السوفاري رفيق الأستاذ علي مراد في تحرير جريدة الشاب المسلم.

وفي ختام هذا الفصل فإنه يجدر بنا القول بأن ساكنة الأغواط ونخبها الاجتماعية والعلمية قد تفاعلت إيجابا مع مؤثرات النهضة في ميادين الثقافة و التعليم و السياسة مع بداياتها المبكرة، إذا نجدها بعد الاستفاقة من صدمة الاحتلال العنيفة التي زلزلت النفوس و فككت أوصال المجتمع تعمل على التسامي فوق جراحاتها وتستعيد توازنها على هدى دعوات المرشدين من رجال الإصلاح و الوطنية فما أن أوصلتها أصداء النهضة العلمية و التعليمية التي أطلقها المصلحون حتى سارع أعيان الأغواط المتنورين إلى محاولة الأخذ بأسباب هذه النهضة والانخراط في مشاريعها، عن طريق بث التعليم وبناء المدراس واحتضان المعلمين والمدرسين وإرسال البعثات العلمية، والاشتراك في العمل الصحفي، واستقبال زيارات العلماء ووفود السياسيين والمصلحين وتنظيم المحاضرات لهم، وتناقل أخبار النهضة الوطنية ونشرها بين الناس والإشادة بها.

الفصل السادس:

المجتمع المدني في منطقة الأغواط:

الجمعيات والنوادي والفرق الثقافية والفنية والكشفية والرياضية

المبحث الأول: مفاهيم و مصطلحات

المبحث الثاني: الجمعيات والنوادي الثقافية ذات الهدف التعليمي

المبحث الثالث: الفرق والنوادي والجمعيات الفنية

المبحث الرابع: الحركة الكشفية بالأغواط

المبحث الخامس : الحركة الرياضية في الأغواط

إن من أبرز مظاهر النهضة الثقافية التي طبعت الجزائر عموما في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، هو تأسيس الجمعيات والنوادي المختلفة، والتي شملت مختلف مناحي النشاط الثقافي والاجتماعي وحتى الاقتصادي، ويعد العمل الجماعي والجمعوي أحد ثمرات النهضة وفي نفس الوقت أحد عوامل قوتها وحيويتها، لأنه جمع جهود الخيرين والفاعلين في مجالات محددة بأهداف واضحة وغايات معلومة، ساهمت هذه الجهود في رفع المستوى الثقافي والوعي الوطني لدى الفرد الجزائري، ومكنته من امتلاك زمام المبادرة، ولم تكن منطقة الأغواط بمعزل عن تأثيرات ظهور الحركة الجمعوية في أرجاء الوطن، بل كانت من السباقين وفي الكوكبة الأولى.

المبحث الأول: مفاهيم ومصطلحات:

أولا تعريف المجتمع المدني: يشير مصطلح المجتمع المدني إلى كل أنواع الأنشطة التطوعية التي تنظمها الجماعة حول مصالح وقيم وأهداف مشتركة، وتشمل هذه الأنشطة المتنوعة الغاية التي ينخرط فيها المجتمع المدني تقديم الخدمات، أو دعم التعليم المستقل، أو التأثير على السياسات العامة.

يضم المجتمع المدني مجموعة واسعة النطاق من المنظمات غير الحكومية والمنظمات غير الربحية التي لها وجودٌ في الحياة العامة وتنهض بعبء التعبير عن اهتمامات وقيم أعضائها أو الآخرين، استناداً إلى اعتبارات أخلاقية أو ثقافية أو سياسية أو علمية أو دينية أو خيرية[1] .

و من ثم يشير مصطلح منظمات المجتمع المدني إلى جمعيات ينشئها أشخاص يعملون لنصرة قضية مشتركة، وهي تشمل المنظمات غير الحكومية، والنقابات العمالية، والنوادي والجمعيات الثقافية والرياضية والمنظمات الخيرية، والمنظمات الدينية، والنقابات المهنية، ومؤسسات العمل الخيري، أما الميزة المشتركة التي تجمع بين منظمات المجتمع المدني كافة، على شدة تنوعها، فهي تتمثل باستقلالها عن الحكومة والقطاع الخاص أقله من حيث المبدأ، ولعل هذا الطابع الاستقلالي هو ما يسمح لهذه

[1] – عزمي بشارة، **المجتمع المدني دراسة نقدية**، المركز العربي لأبحاث ودراسات السياسات، ط 6، 2012، ص81-93. كلثوم زعطوط، **مفهوم المجتمع المدني بين التأصيل النظري ومشكلة المرجعية**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، ع33، مارس 2018، ص39 وما بعدها.

المنظمات بأن تعمل على الأرض وتضطلع بدور هام في أي نظام ديمقراطي، يتفق مونتيسكو وهيغل وجان جاك روسو على فكرة أن المجتمع المدني هو طرف وسيط بين المجتمع والدولة.[1]

-الشروط التاريخية لقيام المجتمع المدني:

_قيام مؤسسات الدولة و مؤسسات المجتمع بشكل منفصل، أو الفصل بين الدولة و المجتمع و هي سيرورة تاريخية تعبر عن مستوى تبلور الوعي الاجتماعي المميز لمرحلة معينة من تطور المجتمع، بحيث يتم التمييز بين آليات عمل الدولة كمؤسسة سياسية آليات النشاط الاجتماعي و آليات عمل الاقتصاد، أو تشكيل المستويات السياسية و الاقتصادية والاجتماعية كوجود مستقل نسبيا الواحد عن الأخر.

_تطور فكرة المواطنة و ما ارتبط بها من فكرة الحقوق المدنية و السياسية، حيث ظهر الفرد باعتباره كائنا حقوقيا مستقلا بذاته في إطار الدولة بغض النظر عن انتماءاته المختلفة (عرقية، دينية، ثقافية، اقتصادية...).

_تبلور الفرق بين التنظيمات الاجتماعية الطوعية (مثل الجمعيات المهنية، الرياضية، العلمية، النقابات..) المتكونة من مواطنين أحرار ينخرطون فيها بشكل إرادي، و التنظيمات الاجتماعية العضوية ذات الطابع التضامني التي ينتمي إليها الإنسان بفعل المولد (العائلة، الطائفة القبيلة).[2]

_ بالنسبة للشعوب الواقعة تحت الاستعمار فإن تشكل المجتمع المدني جاء استجابة للتحدي الاستعماري الذي ألغى الكينونة السياسية للشعوب المستعمرة،[3] وبالتالي فقد تأثر المجتمع الجزائري التأثر بالنظم الاستعمارية المدنية، من مؤسسات وما تبعها من قوانين منظمة لسير المجتمع، كما تأثر بسياسة الحاكم العام شارل جونار التي شهدت انفتاحا نوعا ما من الادارة الاستعمارية على تلبية

[1]- عزمي بشارة، مرجع سابق، ص 85-89. مركز دراسات الوحدة العربية، **المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية**، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 7992 ، ص 51.

[2]- عزمي بشارة، مرجع سابق، ص43 وما بعدها.

[3]- عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص90.

بعض مطالب الشعب الجزائري خصوصا في الجانب الثقافي والتعليمي، ورغم ضيق المساحة التي أتيحت إلا أن نخبة المجتمع الجزائري قد استفادت منها.[1]

_ ظهور الحركات الإصلاحية في العالم الاسلامي وتأثر الجزائريين بها وتأثير دعاوي الجامعة الاسلامية.[2]

ثانيا الجذور التاريخية للمجتمع المدني في الجزائر: تشير الكتابات التاريخية أن المجتمع الجزائري عرف العديد من التكوينات الاجتماعية التقليدية المستقلة عن الدولة ذات الملامح الدينية والمدنية منذ دخول الإسلام إلى شمال إفريقيا والتي كانت تؤدي أدوارا بالغة التنوع والثراء تشمل مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية والتشريعية وغيرها، ومنها على سبيل المثال : القبائل والعروش ، المساجد ودور العبادة، الأوقاف، نقابات الحرف والصنائع والتجار، جماعات العلماء والقضاة وأهل الإفتاء، الطرق الصوفية، الزوايا والتكايا والمستشفيات، وغيرها من المؤسسات الاجتماعية التي كانت تتسم بالطابع الطوعي والهادفة إلى المساهمة في تنمية المجتمع بشكل عام وتنظيم سير الحياة فيه، وتسهم إلى حد كبير في إرساء قواعد الاعتماد على الذات وحل مشاكل المجتمع دون اللجوء إلى الدولة ومؤسساتها المحلية في كل صغيرة وكبيرة.

ولم تكن هذه البنى الاجتماعية محكومة بالانتماء القبلي أو العشائري فقط بل كانت متاحة لكل راغب أو متطوع، كما أنها كانت تتمتع باستقلالية مادية عن الدولة حيث تعتمد في تمويلها على التبرعات والصدقات وخراجات الأوقاف والزكاة و هو ما يمنحها الطابع الأهلي، ولكن هذه المؤسسات والتنظيمات الاجتماعية تعرضت إلى التحطيم والتفتيت من طرف الاستعمار، لأنها كانت أحد دعائم المقاومة بشقيها المسلح والسلمي، ولهذا ظهرت تنظيمات وتشكيلات سياسية وثقافية واجتماعية جديدة لتواصل المقاومة السلمية للاستعمار.

[1]- أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ج2، ص414.

[2]-المرجع نفسه، ص109.

وتعتبر الجمعيات والنوادي ظاهرة اجتماعية تدل على النضج والاستجابة لمتطلبات الحياة المدنية الحديثة، والجزائر التي كانت تعيش تحت تعسف قانون الأهالي البغيض لا يمكنها أن تتمتع بهذا النشاط دون أن يتعرض القائمون عليه للاضطهاد والسجن، ومن جهة أخرى فقد كان الجزائريون محرومين من صفة وحقوق المواطن، فقد كان القانون الفرنسي يعتبرهم رعايا ولا يمكنهم أن ينشدوا الحرية ولا الحقوق المدنية ولا السياسية، ولا حتى الجمعيات والنوادي الثقافية والفنية دون ملاحقة القانون التعسفي.[1]

ويبدو أن أول ما بدأ هذا النشاط كان بمبادرات فرنسية من فرنسيين متعاطفين مع القضايا الجزائرية أو بدفع من الإدارة الأهلية نفسها لأغراض تتماشى مع سياسة العناية بالجزائر الأهلية التي جاء بها شارل جونار بالخصوص، ذلك أن معظم الجمعيات والنوادي التي ظهرت لأول مرة كانت خلال العشرية الأولى من هذا القرن، أما قبل ذلك فلم يكن يوجد سوى نوعين من الجمعيات المدعومة من الحكومة العامة أيضا، وهي الجمعيات الخيرية التي تتولى الاشراف على توزيع المساعدات الخيرية والصدقات على الفقراء في المدن، والثانية جمعيات الاحتياط التي تتألف عادة من المزارعين لحماية الفلاحين في السنوات العجاف ، وقد أعطت السلطة الفرنسية الضوء الأخضر لتكوين الجمعيات التعليمية والاجتماعية منذ أول هذا القرن، فظهرت في العاصمة عدة تنظيمات أبرزها الجمعية الرشيدية والجمعية التوفيقية، وقد رأسها في الظاهر بعض الجزائريين المتجنسين بالجنسية الفرنسية والمتخرجين من المدارس الفرنسية، أمثال د. بلقاسم بن التهامي، ومُحَمَّد صوالح، ود. الطيب مرسلي، ومختار الحاج سعيد، والشريف بن حبيلس، فظهور الجمعيات إذن كان في أوساط المثقفين بالفرنسية المعروفين بالاندماجيين، وقد اندفع معهم عدد آخر من المثقفين بالعربية ومن رجال الدين فساندوهم بإلقاء محاضرات في موضوعات محددة، ومنهم :المفتي ابن الموهوب في قسنطينة والمجاوي في العاصمة والقاضي شعيب في تلمسان[2].

[1]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج5، ص313.

[2]- المرجع نفسه، ص313-314.

وخلال العشرينات ظهرت عدة جمعيات ونواد أيضا في العاصمة وغيرها، وتوسع ذلك مع نشاط الحركة الإصلاحية وظهور الأحزاب السياسية وجمعية النواب، وقد رافق ذلك نوع من التسامح من الإدارة الفرنسية لإنشاء مثل هذه الخلايا الاجتماعية ما دامت تحت رقابتها الشديدة، كما أن مبادرات الجزائريين لم تعد تتوقف على مبادرات الفرنسيين في ذلك، ومن أبرز الجمعيات غير الفنية والنوادي بالعاصمة، جمعية الشبيبة الإسلامية ونادي الترقي، وجمعية التربية والتعليم في قسنطينة ونادي السعادة في تلمسان وفي قسنطينة أيضا (تأسس سنة 1926) ونادي الاتحاد الأدبي الإسلامي في مستغانم، وقد شهدت مدينة قسنطينة وحدها ميلاد حوالي 26 جمعية مدنية قبل الحرب العالمية الثانية، وقد انتشرت هذه الظاهرة في كامل القطر الجزائري بنسب متفاوتة.[1]

1/الجمعيات ذات الطابع السياسي:

أ)لجنة المغاربة : يمكن اعتبارها أول حزب سياسي نظمه الجزائريون بزعامة حمدان خوج، شُكلت لجنة المغاربة بعد 05 جويلية 1830 و هو حزب يضم الأعيان والبرجوازيين، كان أول حركة سياسية منظمة ضد فرنسا و قدم عدة مطالب وعرائض أرسلها للسلطات الفرنسية.[2]

ب)كتلة المحافظين: تكوّنت مع نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين، وهي تشمل المثقّفين التّقليديّين والزّعماء الدّينيّين والمعلّمين والصّحافيّين كانوا يؤمنون بالقومية الإسلامية ومُعادين لفكرة التّجنّس والخدمة العسكرية تحت العلم الفرنسي.[3]

ج)جماعة النّخبة: تعتبر أوّل تعبير عن المطالب السّياسية تكوّنت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من المثقّفين باللّغتين العربية والفرنسية كالمترجمين والمحامين والأطبّاء، وكانت هذه

[1]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج5، ص 315.

[2]- أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ج1، ص102 وما بعدها.

[3]- المرجع نفسه، ص596-597.

الجماعة على نقيض سياسي واجتماعي في أغلب المواقف مع المحافظين، وتركّزت مطالبهم على المساواة في الحقوق السّياسية مع إلغاء قانون الأهالي والتّمثيل النّيابي الكامل للجزائر.[1]

د) لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين: تأسست سنة 1908.[2]

هـ) حركة الشّبان الجزائريّين: ظهرت هذه الحركة عام 1912 كجماعة ضغط سياسي على يد مجموعة من الشّباب الجزائري ذوي التّكوين الثّقافي الفرنسي كما أنشأت النّوادي والجمعيات والصّحافة لنشر الأفكار الإصلاحية تمثّلت مطالبهم الإصلاحية في حقّ المشاركة في الانتخابات والمساواة في تقلّد المناصب المدنية.[3]

2/ النوادي والجمعيات الثقافية : ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أ)الجمعية الرشيدية (1894): تأسست بالجزائر العاصمة، كان لها فروع في كل أنحاء الجزائر ومنها فرع الجزائر العاصمة الذي كان يضم 251 عضوا سنة 1900م.[4]

ب)الجمعية التوفيقية (1908) :أسسها بالجزائر العاصمة د. ابن التهامي ثم أعادت النخبة تنظيمها سنة 1911م. كان لها حوالي 200 عضو و من نشاطاتها إلقاء المحاضرات التاريخية والثقافية والسياسية والدينية.[5]

[1]- أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ج1، ص 597-598.

[2]- عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية وحتى عام 1962**، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1997، ص201 وما بعدها.

[3]- محفوظ قداش وجيلالي صاري، مرجع سابق، ص21.

[4]- رابح لونيسي وآخرون، **تاريخ الجزائر المعاصر 1930-1989**، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ج1، ص121.

[5]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج6، ص231-232.

ج)نادي صالح باي (1908): أسس بقسنطينة كان يضم 1700 عضو سنة 1908م، وله فروع كثيرة في مدن الجزائر و من نشاطاته نشر التعليم وتنظيم الدروس في التعليم العام والمهني وإلقاء المحاضرات العلمية والأدبية وبعث الصناعة التقليدية.[1]

د)نادي الترقي (1927): أسَّسَهُ سنة 1927م بالجزائر العاصمة نُخبةٌ من العلماء المصلحين كعبد الحميد بن باديس، مُحَمَّد البشير الإبراهيمي و الطيب العقبي لنشر التعليم العربي الحر و إلقاء المحاضرات العلمية والدروس الدينية والاجتماعية.[2]

3/ الحركة العمالية : كانت نقابة عمال المطابع أول نقابة جزائرية تظهر إلى الوجود، وذلك في عام 1880 في مدينة قسنطينة، وبظهورها باشرت السلطات الاستعمارية إلى إصدار قانون سنة 1884م، يمنع الجزائريين من حق التنظيم النقابي، وفي خلال أربع سنوات استطاعت هذه النقابة أن تمد نشاطها، حيث كان أول إضراب لها عام 1884، وقد كانت هذه النقابة الدافع القوي والمحرك الأول لنشوء النقابات، إذ في سنة 1886 تشكلت نقابة الطباخين، وفي 1889 تأسست نقابة الحلاقين، ثم نقابة النجارين في عام 1891م إلى أن تأسست نقابة الخبازين في 1892 ،كانت لهذه النقابات فروعا فرنسية، وقد عمل الاستعمار على إدماج الجزائريين في هذه النقابات لا من أجل تنظيمهم نقابيا، بل من أجل كسر الإضرابات التي تنظمها النقابات الجزائرية في الجزائر خاصة في السنوات ما بين 1906 و 1907 ، ولكن فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى ستشهد نشاطا نقابيا جزائريا كبيرا، تميز باستقلاله عن النقابات الفرنسية وانخراطه في المطالب الوطنية الاستقلالية، بل إن أحد أهم تشكيلات الحركة الوطنية وهو حزب نجم شمال إفريقيا سينشأ أساسا من صفوف العمال

[1]- رابح لونيسي وآخرون، مرجع سابق، ص121. الوناس الحواس، **نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927-1954**، كنوز الحكمة، د.ت، ص112.

[2]- دبوز، **نهضة الجزائر**...، مصدر سابق، ج2، ص932. الوناس الحواس، مرجع سابق، ص 128 وما بعدها عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص91. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مصدر سابق، ج5، ص315-316.

الجزائريين في فرنسا، ليصبح قاطرة الفكرة الاستقلالية في سنوات الثلاثينات والأربعينات عبر مسمياته العديدة.[1]

4/ الفرق المسرحية: تعتبر مرحلة العشرينات من هذا القرن العشرين فترة ميلاد المسرح الجزائري، فرغم مكوث الفرنسيين حوالي قرن في الجزائر فإن الجزائريين لم يقلدوهم في هذا الميدان، ولا شك أن بعض الجزائريين قد عرفوا المسرح الفرنسي ودخلوه وقرأوا بعض المسرحيات سواء في المدارس الفرنسية أو في المكتبات، والمسرح التقليدي الذي عرفه الجزائريون هو مسرح الكركوز، وقد يسميه البعض المسرح الصيني أو خيال الظل، وكانت له أساليبه في تقديم الموضوعات إلى الجمهور ويبدأ تاريخ المسرح الجزائري الحديث -في نظرهم- منذ 1926 حين وظف علي سلالي المدعو علالو ورشيد قسنطيني اللهجة العامية لأداء تمثيليات تاريخية ونقدية ، وقد استعمل الجزائريون أيضا الفصحى وكان لها جمهورها ، وفي الوقت الذي كان فيه علالو ما يزال يكتب للمسرح ويؤلف له في العاصمة، ظهرت في قسنطينة وفي عنابة وفي تلمسان بعض الفرق التي كانت تمثل وتحرز نجاحا، وتعتبر فترة الثلاثينات فترة صعود وانتشار للمسرح حيث بدأت الحركة الوطنية تستغل هذا المنبر لتمرير رسائل ثقافية وسياسية. [2]

5/ الجمعيات الرياضية: من خلال استعراض التاريخ الرياضي للفرق والنوادي الرياضية في الجزائر في فترة الاستعمار يتوضح لنا الصبغة السياسية والثقافية المقاومة التي اصطبغت بها الفرق الرياضية الجزائرية الإسلامية ، من خلال الطرق والأساليب التي كانت تستعملها حتى تظهر تعلقها بجذورها العربية والإسلامية، من مثل استعمال الرموز والتسميات، وكذا الملاعب باعتبارها وسيلة للتجمع، ومن ثم فرصة للتوعية بالنضال السياسي الجزائري.

[1]- خلوفي بغداد، **الحركة العمالية الجزائرية ونشاطها أثناء الثورة التحريرية 1954-1962**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف بن نعيمة عبد المجيد، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة وهران، 2014-2015، ص20-24. سعد توفيق عزيز البزاز، **تطور الحركة العمالية والنقابية في الجزائر بين عامي 1830-1962** ، مجلة التربية والعلم ، جامعة الموصل، ع5، مج 192012، 157-158.

[2]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج5، ص416-429.

أ)**جمعية الطليعة** :أول جمعية رياضية أسسها الشبان هي جمعية الطليعة وذلك سنة 1895 م أما عن أهدافها فتتلخص في تكوين النشء الجديد تكوينا سليما وإظهار جدارة وقدرة العنصر الجزائري في جميع أنواع الرياضة ، ولعلهم بهذا العمل أرادوا إبراز إمكانية الشبان وقدراتهم الفكرية والجسمية، أمام خصومهم المستوطنين.

ب) جمعية مولودية الجزائر: تم في مقر نادي الترقي سنة1921 إلى غاية 1933، ومن الطريف ذكره أن شيوخ جمعية العلماء كان لهم دور في تأسيس بعض النوادي الرياضية مثل: مولودية قسنطينة1939 مولودية وهران1946 التي تم تأسيسها في مسجد واتحاد الشلف. [1]

6/ الجمعيات الطلابية:

أ)**الجمعية الوداية للتلاميذ المسلمين بشمال إفريقيا:** تأسست هذه الجمعية في 19 مارس 1919 في الجزائر العاصمة متشكلة من بلقاسم بن حبيلس و الهادي بن الجيلالي بن تامي وعليوة مداني كاتبا مساعدا وغيرهم والقصد من تكوينها هو الدفاع عن مصالح الطلبة ومساعدة التلاميذ المحتاجين.[2]

ب)**جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين** : هي جمعية تأسست في باريس في سنة 1927 ، على يد طلبة تونسيون وجزائريون ومغاربة، برزت بأنشطتها الإصلاحية والاجتماعية وبمواقفها الوطنية[3].

---

[1]- أنيس العرقوبي، **الأندية الجزائرية والمستعمر.. لكرة القدم أبطالها وشهداؤها**، مقال بموقع نون بوست: http://www.noonpost.com/content/34901، نشر بتاريخ: 10/12/2019 ، تم الاطلاع 15-02-2020. العربي الجديد، **تاريخ الكرة الجزائرية الحلقة الأولى: أندية رياضية بأهداف سياسية** ، https://www.alaraby.co.uk/sport/2014/6/2/، نشر بتاريخ: 2يونيو 2014، تم الاطلاع: 15-02-2020.

[2]- أحمد مريوش ، **نماذج من الجمعيات الجزائرية ودورها في تعميق الوعي التحرري مابين 1900-1922**، حولية المؤرخ، اتحاد المؤرخين الجزائريين ، الجزائر، ع 3، 4، 2005، ص40 .

[3]- للمزيد حول هذه الجمعية ونشاطاتها أنظر: لخضر عواريب، **جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1927-1955** ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف مريم الصغير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص40 وما بعدها.

المبحث الأول: الجمعيات والنوادي الثقافية ذات الهدف التعليمي :

عرفت مدينة الأغواط نهضة فكرية إصلاحية، كان هدفها التمسك بالعقيدة وباللغة العربية، رغم محاولات فرنسا الاستعمارية شل هذه النهضة إلا أنها فشلت في محاولاتها، ولعل أهم عوامل النهضة الثقافية، الفكرية والإصلاحية هو بروز جمعيات ونوادي ثقافية في منطقة الأغواط ، وفي الحقيقة فإن منطقة الصحراء وبسبب وضعيتها الخاصة تحت الحكم العسكري، لم يكن يسمح فيها بانتشار النوادي والمراكز الثقافية ولم تشهد الصحراء الجزائرية سوى إنشاء ثلاث نوادي ثقافية في الفترات الأولى للنهضة الإصلاحية هي الأغواط وغرداية وبسكرة،[1] ولكن نادي الأدب الثقافي سبقه إنشاء الجمعية الخيرية.

أولا: جمعية الكيس القادري: هي جمعية تضامنية إسلامية أسسها القادريون في الأغواط، كان من أهدافها جمع الأموال لمساعدة الفقراء وطلبة العلم، من أعيانها مُحَّد بن عبد الله السوفاري والطالب علي السوفاري وأحمد بن حرزالله والحاج عبد القادر بن مهية، وقد كان لهذه الجمعية نشاط بالغ خلال الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى ومقاومة المجاعة التي ضربت المنطقة والجزائر ككل في بداية العشرينات، كما كان لها دور في بعض بعثات الطلبة الأغواطيين إلى تونس وخصوصا إلى بلدة نفطة بالجريد جنوب تونس، وفي الملحق رقم وصل اشتراك لأربعة أشهر من السيد مُحَّد بن قويدر بن الحاج ، بمبلغ قدره فرانكان، ممضى من طرف رئيس الجمعية علي بن مُحَّد السوفاري وأمين ماليتها أحمد بن حرزالله مؤرخ بـ 02 جمادى الثانية 1328 الموافق لـ 21 فبراير 1920، وهو ما يدل على الانضباط .[2]

[1]- مبارك كديدة، مرجع سابق، ص28-29. عمار هلال، **النوادي الثقافية التي كانت تنشط قبيل الحرب العالمية الثانية**، المصادر، ع7، 2007، ص129-134.

[2]- أنظر الملحق رقم: 41.

ثانيا: الجمعية الخيرية 1920: تأسست الجمعية الخيرية سنة 1920م، كان الهدف من إنشائها مساعدة الفقراء والمساكين وعابري السبيل[1] و رئيس هذه الجمعية الخيرية حسين هدروق ميموني، كاتبها الحسين بن الحاج عيسى ادهينة وأمين مالها مُحَمَّد بن عبد الله وأعضاؤها البارزين دهينة بن الحاج عيسى دهينة و دحمان بن الساسي، أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الرحمان خليلي وأحمد بن الجيلاني وغيرهم.[2]

وقد كان رجال الإصلاح في مدينة الأغواط يتمتعون بالحس الديني والوطني فكان هدفهم هو وحدة سكان المدينة والوقوف في وجه السلطات الاستعمارية الفرنسية في محاولاتها المستمرة في بث الخلاف بين السكان[3] وعملت الجمعية على توحيد الشباب الأغواطي وتجاوز الثغرات العروشية التي كان الاستعمار يذكيها وبفضل هذه الجهود تم إرساء اللبنات الأساسية لمدرسة أصلية عصرية[4].

بعد تولي عبد العزيز الهاشمي رئاسة الزاوية القادرية خلفا لوالده الشيخ صالح بن مُحَمَّد الهاشمي، الذي عهد على نفسه تنفيذ وصية والده أن يساعد سكان مدينة الأغواط في بناء مدرسة عصرية من ماله الخاص وهو ما تحقق سنة 1922م وأضحى هذا الصرح العلمي ثالث مدرسة بعد مدرستي قسنطينة والسيق، وكان الشيخ سعيد الزاهري أول من حظي بشرف التعليم فيها مباشرة بعدما أنهى تعليمه في الزيتونة، ونظرا لكفاءته التي أظهرها في التدريس، سواء في القدرات العلمية والأدبية، وكذا طريقة التعامل مع التلاميذ وأوليائهم[5].

رأى أعضاء الجمعية الخيرية أن يوهموا السلطات الاستعمارية بأن هذه المدرسة مدرسة قرآنية فقط، لأنه لو علمت فرنسا أنها تدرس فيها المواد العلمية وغيرها سيكون مصيرها الغلق مثل مدرسة تبسة

[1]- إبراهيم خميلي، **الأغواط ذكرى وتاريخ**، قيد الطبع، ص، 48.

[2]- علالي، مرجع سابق، 98-99. البشير بديار، **أعلام..**، مرجع سابق، ص123. الشايب ورنيقي، مرجع سابق، ص59.

[3]- مُحَمَّد علي دبوز، مرجع سابق، ج3، ص 247، 248. الشايب ورنيقي، مرجع سابق، ص59.

[4]- إبراهيم خميلي، **الأغواط..**، مصدر سابق، ص 48.

[5]- مُحَمَّد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص 248. علالي، مرجع سابق، ص 100. البشير بديار، **أعلام..**، مرجع سابق، ص123.

لذلك رأى القائمون عليها أن يحرروا طلبا للحصول على رخصة بأنها مدرسة قرآنية والحقيقة هي غير ذلك، فالمدرسة تدرس اللغة العربية، العلوم، وغيرها من المواد التي كانت ممنوعة على الجزائريين تدريسها، وقد نجح المشرفون على إيهام السلطات الفرنسية أنها مدرسة قرآنية.

وعند نجاح المدرسة اقترحوا الشيخ عبد العزيز الهاشمي باستحضار الشيخ مبارك الميلي، وعند قدوم الشيخ مبارك الميلي في زيارة إلى الأغواط اقترح عليه هذه الفكرة، فما كان منه إلا ولبى هذه الدعوة[1].

ثالثا: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: انخرط الأغواطيون في جمعية العلماء المسلمين ودعموها بقوة منذ إنشائها، ونجد في جمعية العلماء الجزائريين الكثير من الأعلام الذين يمثلون شعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالأغواط الذين كانوا بالإضافة إلى نشاطهم العلمي في المجال الاجتماعي والثقافي والإصلاحي، حيث شغلوا مناصب عليا في المكتب الوطني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أمثالي أحمد قصيبة و الشيخ أبو بكر الحاج عيسى، حيث كان أحمد قصيبة أمين المال، الحاج عيسى أبو بكر أمينا عاما، وهما منصبان حساسان لا يستهان بهما ضمن التشكيلة العلمية الأدبية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

رابعا: نادي الأدب:

1/ تأسيسه: تأسس نادي الأدب سنة بالأغواط من طرف مؤيدي جماعة العلماء وجمعية النهضة العلمية، وكان تحت رئاسة عبد المالك شهرة[2] إذ كان مقر نادي الأدب بجانب جامع التاوتي مسجد النور دكان بن دهينة حاليا[3] ، وضم عدد من العلماء و السياسيين كما كان نقطة توزيع الشهاب[4] .

---

[1]- إبراهيم خميلي، **الأغواط**..، مصدر سابق، ص 32. علالي، مرجع سابق، ص 101. الشايب ورنيقي، مرجع سابق، ص60.

[2]- إبراهيم خميلي، الأغواط..، مصدر سابق، ص، 78. مخلوف صادقي، **مراحل وأشواط** ...، **مجرع سابق**، ص 248.

[3]- مدني لبتر، مرجع سابق، ص106.

[4]- الوناس الحواس، **نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927-1954**، كنوز الحكمة، د.ت، ص، 115،116. علالي، مرجع سابق، ص137.

وبعد تأسيس نادي الأدب أصبحت مدينة الأغواط من بين المدن الجزائرية السباقة إلى تأسيس مثل هذه المراكز الثقافية[1] ومن أعضاء نادي الأدب نذكر بعض من مسيريه دهينة مُحَّد، بوعامر عبد المالك يحي الفاطمي، التاوتي الصديق، عبد القادر رحماني، شتيح بشير (أمين مالها)، أما عن مكتب النادي فضم كل من أحمد بن عبد الرحمان، عبد القادر زنيخري، بشير الصوار، نعيجات، مُحَّد علي صالح، علي بن مولاي، مُحَّد النعيمة، عبد المالك شهرة[2].

يعتبر النادي الإصلاحي بالأغواط همزة وصل بين المدرسة والمسجد ، خاصة بعد مغادرة الشيخ الميلي الأغواط ، لأن هناك أعدادا هائلة من الشباب الجزائريين لم يجد لهم رجال الإصلاح بالمنطقة وسيلة لتبليغهم المبادئ الإسلامية و الثقافة العربية إلا في تلك النوادي .[3]

2/ نبذة عن بعض أعضاء النادي:

أ) عبد المالك شهرة: هو عبد المالك شهرة بن أحمد المولود في 22 ديسمبر 1912 بالأغواط، زاول تعليمه الابتدائي بغرداية وأتم دراسته بالمراسلة، مارس عدة نشاطات تجارية وصناعية، أسس شركة للنقل، نظم رحلات إلى البقاع المقدسة لأداء فريضتي الحج والعمرة عام 1952، كان رئيسا للجمعية الإدارية للمدرسة منذ بداية تأسيسها مع نخبة من رجال الإصلاح، كان مكلفا بكل إدارتها وعلاقاتها بالإدارة الاستعمارية، كما كان يأخذ الكلمة في الاحتفالات التي تقام في المدرسة خاصة احتفالات آخر السنة، توفي بعد الإستقلال[4].

ب) دهينة زقنيني: ولد خلال عام 1881م، أنهى دراسته بقسنطينة بمدرسة ابن باديس، وهو عضو في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كان مختصا في الشريعة وفي الفقه الإسلامي والميراث وكان له

[1]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة** ...، مصدر سابق، ص 79.

[2]- بشير بديار وأخرون، **التاريخ الرياضي لمدينة الأغواط**، دار السلام للطباعة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص 49. بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص57.

[3]-بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص57 . علالي، مرجع سابق، ص138.

[4]- الأخضر بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص، 53.

دور في التوعية لجميع الذين طلبوا منه ذلك، لقن دروس اللغة ففي أثناء أداء الخدمة العسكرية بالأغواط، كان إماما بالمسجد والذي سمي حاليا بمسجد أحمد شطة[1].

جـ) حسين زاهية: حسين زاهية بن الحاج مُحَمَّد زاهية من مواليد 1917م حفظ القرآن الكريم عن والده، دخل مدرسة مبارك الميلي درس بالمدارس الفرنسية اللغة الفرنسية، انظم إلى زاوية القاسمية بالهامل ببوسعادة، انظم إلى جمعية العلماء، درس في مدرسة التربية والتعليم ألقي عليه القبض داخل المدرسة عام 1958، توفي عام 1981 بالأغواط[2].

د) ابو بكر الحاج عيسى: ولد بالأغواط عام 1912 تلقى دراسته الأولى بالأغواط على يد الشيخ مبارك الميلي، ثم في جامع الزيتونة، عمل مساعد للشيخ ابن باديس، وأدار مدرسة الإرشاد بالبليدة، وعين عضو في جمعية العلماء، ثم رجع على الأغواط وعمل بمدرستها، أعتقل في 15 أوت 1958م ونفي إلى توقرت، توفي عام 1987.[3]

هـ) أحمد قصيبة: أحمد بن أبي زيد قصيبة ولد عام 1919م بمدينة الأغواط، تتلمذ على يد الشيخ مبارك الميلي، حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه واللغة والتفسير في مدرسة الشبيبة، انظم إلى مدرسة الفرنسية، كان من ضمن بعثة الطلبة إلى جامع الزيتونة عام 1953م، انتخب كاتب عام لجمعية الطلبة الجزائريين بتونس سنة 1936م[4].

و) أحمد شطة: ولد أحمد بن التهامي شطة سنة 1908م بمدينة الأغواط، بعد أن حفظ القرآن الكريم تتلمذ على يد الشيخ مبارك الميلي، ثم التحق بجامع الزيتونة بتزنس، تخرج حاملا شهادة التحصيل عام 1936م، ثم عاد ونهض بالحركة الإصلاحية التربوية بمدينة الأغواط، سعى في الحصول

---

[1]- Mahmoud Kazi , **Laghouat et ses Merveilles** .. , Op.cit, p 160 , 161.

أنظر أيضا: علالي، مرجع سابق، ص139. خميلي، **تاريخ الكشافة**..، مصدر سابق، ص128.

[2]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة** ..، مصدر سابق، ص 52.

[3]- مداني لبتر، مرجع سابق، ص102. تم التعريف به في الفصل السابق.

[4] -إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة** ..، مصدر سابق، ص 50. تم التعريف به في الفصل السابق

على أرض التي أقيمت عليها مدرسة التربية والتعليم، والتي كانت تابعة لجمعية العلماء المسلمين عين مديرا لها ومدرسا فيها[1].

3/ نشاط النادي: يعتبر نادي الأدب همزة وصل بين المدرسة والأهالي، إذ كان يعقد ندوات للتوعية والتوجيه الإصلاحي وتنظيم محاضرات ودروس خاصة في المساء كل يوم كانت تلقى من طرف الشيخ أبو بكر الحاج عيسى، أحمد قصيبة وأحمد شطة، وكانت الدروس ذات مواضيع مختلفة (الشريعة، الفقه، الأخلاق...)[2] ، كما كانوا يقومون بخرجات إلى رأس العيون وكان بعض أعضاء النادي وأغلب الأعضاء مائلون إلى جمعية العلماء، وكذلك يقومون باستعراضات في المواسم وهم يلبسون لباسا موحدا (سروال ببو أسود وقميص أبيض ويعصبون رؤوسهم بحفاية عليا نجمة وهلال).[3]

ومن بين المهام و الأدوار التي كان يقوم بها النادي ،استقبال بعض الشخصيات مثل يحي خليفة أستاذ بالعاصمة ، ومن أبرز منشطي المحاضرات الشيخين أبا بكر الحاج عيسى و أحمد قصيبة و السيد عبد القادر ميموني هدروق ، و الشيخ دهينة زقنيني الذي كان يدرس في هذا النادي رسالة أبي زيد القيرواني ، و قد كانت مواضيع الندوات و المحاضرات متنوعة ، تركز أساسا على العقيدة و محاربة البدع و الخرافات، ولم تكن السلطات الاستعمارية لتسكت على ذلك ، فكثيرا ما أخضعت رجال جمعية العلماء للتحريات و التحقيقات و الإنذارات القاضية بمنعهم من التدريس تحت طائلة العقوبة[4].

رابعا: الجمعية الخيرية 1945: تطلعت كل أنظار الأغواطيين إلى أحمد بن التهامي الشطة والشيخ أبو بكر وأحمد قصيبة بعد عودتهم من جامعة الزيتونة لأجل بعث الإصلاح من جديد في الأغواط بعد رحيل مبارك الميلي وبناء مدرسة، فكانت الأغواط على أتم الاستعداد لمواصلة أشواطها في طريق العلم خاصة وأن رجال الإصلاح فيها عمدة نهضتها الأولى لازالوا على قيد الحياة ليقودوا هذه النهضة

[1]- الأخضر بلمبارك وآخرون، المرجع السابق، ص، 18. تم التعريف به في الفصل السابق.

[2]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص 39. بلمبارك، مرجع سابق، ص57.

[3]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص، 49.

[4]- بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص57. علالي، مرجع سابق، ص 139.

من جديد، فالظروف مواتية لنهضتهم الثانية أكثر، لذلك كان لابد من إنشاء مدرسة[1] وكان لهم الأمر فسعى أحمد شطة للحصول على قطعة أرض لبناء المدرسة عليها واتصلوا بالحاج يحي فرحات حاثين إياه على التبرع بجزء من أرضه ووافق أن يكون في جانب منها مسجد وكان ذلك سنة 1945م[2].

وقام كل من أحمد شطة والشيخ أبو بكر الحاج عيسى بعقد تجمع وحضره أهل المدينة لجمع التبرعات والتعريف بالمشروع وهو إنشاء مدرسة الشبيبة الابتدائية العربية الجديدة خلفا لمدرسة مبارك الميلي وتكون ذات أقسام كثيرة تسع أبناء الأغواط كلهم[3].

فشكل لذلك مكتب تحت إشراف الشيخ أحمد الشطة، وأسندت رئاسة جمعية المدرسة إلى السيد عبد المالك شهرة المعروف بسعة نفوذه، أما أمانة المال فقد أسندت إلى السيد بن عبد الله التاوتي، وعضوية كل من عمر بوضاية ومبارك بن عجيلة ومُحَمَّد مراد ، وانهالت التبرعات من كل الأغواطيين ولم يبخل أحد، حتى النسوة تبرعن بحليهن لأجل بناء المدرسة[4].

وفي 8 ماي 1945م وضع الحجر الأساسي للمدرسة وحضره أعيان الأغواط وكان رجال الإصلاح دهاة وذو حنكة فقاموا بدعوة حاكم الأغواط العسكري ووضع بنفسه حجر الأساس، وكان موقع المدرسة في أكبر شارع في ناحية المدينة وهو شارع الاستقلال حاليا، فبنيت المدرسة بهندسة معمارية جميلة ذات طابع حضري وتكونت من ستة أقسام ونادي، ثم جعلوا النادي قسمين فأصبحت تحتوي على ثمانية أقسام.

---

[1]- مُحَمَّد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج3، مرجع سابق، ص، 266.

[2]- الأخضر بلمبارك وآخرون، مرجع السابق، ص، 8. إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص40.

[3]- مُحَمَّد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج3**، مرجع سابق، ص، 266. إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص40.

[4]- الأخضر بلمبارك وآخرون، المرجع السابق، ص، 9. إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص41-42.

وفي سنة 1947م تم بناء المدرسة ودشنت بحفل كبير حضره رجال العلم والإصلاح في المدن المجاورة وفي الشمال وأيضا الشيخ البشير الإبراهيمي وعمر بيوض، فألقى كل منهما خطبة أمام سكان الأغواط وأحمد شطة هو مديرها أما أبو بكر الحاج عيسى مدرسا فيها[1].

وكانت المدرسة تضم البنين والبنات ومدة الدراسة فيها أربع سنوات وهي ابتدائية ونفقاتها مما يدفع أباء التلاميذ في كل شهر ومن تبرعات المحسنين، دامت مدرسة الأغواط إلى زمن الثورة وفي سنة 1958م عصفت بها العواصف فأغلقت أبوابها واستشهد مديرها[2].

[1]- مُحَّد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج3**، المرجع السابق، ص، 267.

[2]- المرجع نفسه، ص، 269. إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص42.

المبحث الثاني: الفرق والنوادي والجمعيات الفنية:

كان من الشائع في منطقة الأغواط عقد مجالس الشعر والأدب التي تتناول فيها فنون الأدب الشعبي من شعر وقصص وألغاز، حيث كان الهواة ورواد المجالس يستمعون بإنصات ويصفقون إعجابا لما يسمعونه من روائع.

وقد كانت هذه المجالس تعقد في في نواد خاصة مثل الزوايا أو منازل الشعراء أو الأعيان والأكابر، كما كانت المقاهي والحوانيت أماكن مفضلة لعقد مثل هذه الاجتماعات الفنية وأشهرها: "مقهى الحصاير" وقد سميت بهذا الاسم لأنها كانت تفرش بالحصر المصنوعة من الحلفاء وتقع وسط المدينة.[1]

أولا: فرق المدائح الدينية: تعتبر مدينة الأغواط من المدن القلائل في الجزائر التي تحتوي على تشكيلة تعددية للطرق الصوفية والمتمثلة في (الطريقة القادرية، الرحمانية–العزوزية، الشاذلية بفروعها والتجانية) وهذه الطرق لها زوايا خاصة بها، فلكل طريقة صيغة معينة للتصوف، وحتى يصل هذا المفهوم إلى عامة الناس يوجد لكل زاوية «قوال» أو ما يعرف بالمداح الذي يتغنى بالأشعار خاصة في مدح خير الأنام مُحَمَّد ﷺ ومن خلالها يحكي التاريخ الإسلامي وله دور تربوي وترفيهي زيادة إلى ذلك مدح أهل الصوفية أيضا أو ما يعرف محليا بالحضرة التي هي الموسيقى الدينية التي تهتم بالجانب التربوي والروحي والترفيهي.[2]

فللشيخ سيدي موسى بن حسن الدرقاوي أبيات وقصائد شعرية زهدية صوفية دأب مريدو الطريقة الشاذلية الموساوية على ترديدها في لقاءاتهم وتجمعاتهم، بل وما زال إلقاء هذه القصائد والاحتفاء بها قائما إلى يومنا هذا، فعند قدومه إلى الأغواط جاء معه الفن المشرقي، وقد كان من أسباب إعجاب الناس به طريقة الآذان التي يستعمل في طبقات المشارقة وبالخصوص المصريين، ومن القصائد التي راجب عند الشاذلية قصيدة:

[1]– أحمد الأمين، **الحياة الثقافية**..، مرجع سابق، ص57.

[2]– المرجع نفسه، ص60.

يا أهل الشمايل شيلوني ننظر مُحَّد بعيوني[1]

وهناك قصيدة للشيخ المبروك بن عزوز[2] الرحماني الطريقة يقول فيها:

الله الله الله

كثروا الصلاة على رسول الله منايَ حن الله مُحَّد طه المداني

نفسي ويا نفسي دليتك للخير ولا بينا، الله لا تفديني

وفي قصيدة أخرى يحكي عن الدنيا إلى غاية الموت والدخول إلى القبر:

خدمت توفيت ومن الدار راني صديت

للآخرة وليت مع من ترى يرجعني

ودخل عني الغسال معاه ربعة من الناس

داروا عني الحيا نح الكسوة راه مرمدني

داروني في قبري

فهذه القصيدة تلعب دور علاجي تربوي وتهذيب الروح « النفس تتذوق الموسيقى»، ومن الجانب الجمالي فيه دعوة إلى الفكر ومن هذا عمدت الطرق الصوفية على الاهتمام بالسماع لهذا سموه بالسماع الصوفي[3] ، واعتمدت في دروسها على القرآن الكريم والسنة والقصائد أي الحضرة فمن هنا كان للحضرة دور كبير في بعث التراث المحلي العربي الإسلامي.

[1]- بديار، **أعلام**...، مرجع سابق، ص113.

[2]- **الشيخ المبروك عزوزي**: تمت ترجمة في الفصل الرابع.

[3]- **السماع الصوفي**: هو ذلك الفن الخاص الذي تداول في الزوايا، من أجل غايات تربوية روحية، ظهر في القرن الثالث هجري، غايته التعبير عما يختلج في دواخل الصوفية من أحوال ومقامات

فالحضرة[1] كانت تغنى بصيغ ذات طابع صحراوي محلي أصيل أوأندلسي ومن بين القصائد ذات الطابع الأندلسي:

يامن يريد حضرة العيان تجرد

عن ما كان في نفسه في أمن فهو من الناس في أمان

ومن بين الفنانين الذين أدخلوا الفن الأندلسي إلى الأغواط الفنان القدير مُحَّد الجودي المدعو الري مالك، فهو أول من أدخل العود إلى الجزائر عامة وإلى الأغواط خاصة، هو من مؤسسي المدرسة الرابعة (للغناء الأندلسي) ومن هذا الطابع خرج الطابع المحلي.

لأن سكان الأغواط تميزوا بالغزارة اللغوية التي جعلت الفنانين يساهموا في إنعاش الجو الثقافي والفني للمدينة، وكانت الآلة البارزة هي الدف مثل قصيدة:

هيج غرامي الحادي ونغمات العود إذ نلقى مرادي بروحي نجوب

أما الطابع الصحراوي نجده في الزاوية القادرية والعزوزية قصائدهم ذات ألحان تونسية تتكلم عن التوحيد وذكر الآخرة، يعني الجانب التربوي والترفيهي في نفس الوقت مثل قصيدة:

تحير دليلي والغراما جانا الله الله الله

إضافة إلى ذلك فالطريقة العزوزية امتزجت بصيغ تركية أو بالطابع التونسي والصحراوي، كما نجد الطابع الصحراوي في الطريقة القادرية مثل قصيدة:

توحشنا جلول وطال وعدوا ما بان وين قطب الزمان[2]

[1] – **الحضرة**: عرفها الشيخ عبد الوهاب الشعراني هي شهود مخصوص، فالعبد ما دام يشهد أنه بين أيدي الله، والحق تعالى يراه وهو في حضرته، فإن حجب عن الشهود فقد خرج من الحضرة.

[2] – للمزيد حول أصول الفن الأغواطي، وبعض القصائد القديمة يرجى العودة إلى شبكة اليوتيوب التي تحوي فيديوهات لعمالقة الفن الأغواطي والذين سيتم التطرق لبعضهم في هذا الفصل أنظر أيضا: سليم دادة، **الحركة الموسيقية والغنائية بالأغواط**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

وأصبح هناك مزيج حضاري وتراثي وثقافي وفني في القصائد التي تلقى في الزوايا، التي كانت سببا في ظهور النوادي لاحقا، ومن خلال هذه النوادي تخرج الفنانون، ومن هنا يتضح أن الصوفية هي المنطلق الأول للإنشاد حيث ساهمت في بلورة الآلات الموسيقية واستعمالها، فالناس كانوا يعتقدون أنها قصائد غزل لكنها ليست كذلك بل هي قصائد مديح.

ثانيا: نادي القمرة: تذكر الروايات الشعبية انه كان للسيد إبراهيم بن الشيخ بن الدين بالشطيط محل جعله ناديا للشعر[1] ضم كوكبة من الفنانين والموسيقيين الكوميديين فكانوا يلتقون فيه ويجتمعون على أهازيج الشعر والغناء الأندلسي والحوزي والصحراوي ويسهرون على ضوء الشموع[2] وسموه "نادي القمرة" وقد حفظت لنا الذاكرة الشعبية بعض أسماء هؤلاء الذين كانوا يرتادون المحل وهم: ابن المرسلي، الجودي المبروك، أحميدة بن الثليجي وأحميدة بن بعليش السوفي، التخي نعيمة، مُحَمَّد بن الشيخ المبروك وجلول بوسبسي والمغني بعاج، عبد الله بن كريو وصاحب المحل إبراهيم بن الشيخ.

ويحكي أن القياد بالأغواط استاءوا من أعضاء هذا النادي فأطلقوا عليه اسم نادي "الخمرة" ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا[3] لأن أصحاب هذا النادي أبناء عائلات مشهورة لها وزنها في المدينة، وكانوا يقومون بتجسيد كل الأحداث أو الإجراءات والانتهاكات التي تقوم بها السلطات الفرنسية في تمثيليات أو باستخدام مصطلحات ساخرة من خلال قصائدهم فاختارت السلطات الفرنسية قائدا من البويرة اشتهر بجبروته لتوكل إليه مهمة قهر أعضاء هذا النادي.[4]

وفي اليوم الذي وصل فيه هذا القائد إلى الأغواط احتشد الناس لاستقباله وما أن نزل من فوق العربة وباشر في التسليم على القيادة مزهوا بنفسه، تقدم له إبراهيم بن الشيخ بن الحاج بن الدين وأسر له في أذنه قائلا: كلمة بذيئة فارتاع من هذا الخطاب وآل ألا يأتي بعد ذك اليوم في المدينة وفعلا مع

[1]- الشايب ورنيقي، مرجع سابق، ص 66. أحمد الأمين، **الحياة الثقافية..**، مرجع سابق، ص59.

[2]-Mahmoud Kazy , **Laghouat et ses Merveilles** .. , , op.cit ,P,195.

[3]- الشايب ورنيقي، **ديوان شعر** ..، المرجع السابق، ص، 67.

[4]-Mahmoud Kazy , **Laghouat et ses Merveilles à travers les temps** , op.cit ,P , 197.

الصباح رجع من حيث أتى، وقد أغلق هذا النادي سنة 1903م، وجعله صاحبه خلوة له يتعبد فيه، وبعض أعضاء النادي انتقلوا إلى غرداية للعمل والتحق بهم ابن كريو سنة 1908م ومن هؤلاء نذكر الجودي مبروك وعلي بن شهرة المرابو[1].

– نبذة عن بعض أعضاء هذا النادي:

أ) عبد الله بن كريو: هو عبد الله بن القاضي الحاج مُحَّد بن الطاهر التخي[2] المعروف بابن كريو[3]، ولد في الأغواط وقد اختلفت الروايات في تحديد تاريخ ولادته فقد كتب 1860 على قبره، وروى البعض أنه ولد عام 1867 أو 1869 وذهب آخرون إلى أن مولده كان عام 1871م[4]، ينحدر من أسرة معروفة بالعلم والثقافة والشعر فأبوه كان قاضيا وشاعرا وأخته وأخوه شاعرين[5]حفظ القرآن، وتلقى دراسته الأولى عن أبيه كما تتلمذ على يد عالم الأغواط في عهد الشيخ مُحَّد العربي والشيخ مُحَّد ابن الدين الحاج عيسى وجملة ما تلقى عليهما الفلسفة والفلك مما أظهره في شعره لاحقا، كما عمل على توسيع أفاقه المعرفية بمطالعة الكتب وحفظ تراث السابقين في الشعر الفصيح والعلمي، مما أكسبه ثروة أدبية فأبدع قصائد راقية جعلته من فرسان الشعر الملحون في التاريخ الجزائري وألفت حولها كتب باللغة العربية والفرنسية، اشتغل الشاعر بالعمل في عدة محاكم شرعية بالأغواط والمنيعة وغرداية وتعرض لمضايقات من طرف السلطات الاستعمارية.[6]

---

[1]– الشايب ورنيقي، **ديوان شعر علي بن شهرة الشعبي**، المرجع السابق، ص، 68.

[2]–Boualem Bessaih , **Abdallah ben crriou** , **poet de laghouat et du sahara** , Edition zyriab ,p ,5.

[3]– **التخي**: اسم عربي نسبة إلى التخ كما جاء في لسان العرب لابن منظور (التخ العجين الحامض...والمسترخي وتطلق على العجين إذ كثر ماؤه وكذلك الطين إذ افرط في كثرة مائه حتى لا يمكن أن يطين)، ولا تزال تستعمل هذه الكلمة في عامية بعض الدول العربية كالعراق للدلالة على حموضة العجين، وذكر أبو بكر حمزة لها نفس المعنى في عاميتها...للمزيد، أنظر: بشير بديار، **ابن كريو حياته حبه وشعره**، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، 2009، ص، 23.

[4]– بشير بديار، **ابن كريو حياته حبه وشعره**، المرجع سابق، ص، 33، 32.

[5]– مُحَّد ميلودي غرافي، **شعر ابن كريو بين الغزل والنزعة الصوفية**، مجلة دفاتر، مخبر الشعرية الجزائرية، جامعة مُحَّد بوضياف المسيلة، ع2، ، مارس 2016،ص، 95.

[6]– مداني لبتر، مرجع سابق، ص، 115، 116. تم التعريف به في الفصل الثالث

توفي عبد الله بن كريو حسب ما كتبه الشاعر مُحَّد بن نعيمة عام 1921م أما غربي مُحَّد بن مخلوف الذي اشتهر بضبط حوادث الفنانين وتواريخهم فقد حدد وفاته بالتدقيق يوم 29 صفر 1340ت الموافق لـ 26 أكتوبر 1921. [1]

ب) إبراهيم بن الشيخ بن الدين: وهو من سلالة لسيدي الحاج عيسى من عائلة مرابطية، هو الذي وضع تحت تصرف الشعراء والموسيقيين والمحدثين مقر في "الشطيط شرقي"، كان جزء من مجموعة نادي قمرة[2].

ج) أحميدة بن بعليش السوفي: معروف باسم حميدة البوليسي درس مثل جميع الأغواطيين في محضرة القرآن، واصل دروسه في الشريعة والفقه، بدأ في دائرة الشعر ليصبح شاعرا، يضاف إلى رصيده سلسلة من القصائد والنشر الإيقاعي، درس في المدرسة الفرنسية بشكل مثالي تم تجنيده كنائب لمفوض الشرطة المجاورة.[3]

ثالثا: فرقة الثريا:

1/ تأسيس فرقة الثريا: تعود فكرة تأسيس فرقة الثريا إلى سنة 1941م عند قدوم مُحَّد الجودي المعروف بالري مالك إلى الأغواط عائد من المغرب حسب ما ذكره لنا خميلي إبراهيم من خلال مقابلة معه « أن الفكرة الأولى لتأسيس فرقة الثريا تعود إلى مُحَّد الجودي بينما مبروك الجودي هو من أسسها رسميا، لأنه كان يملك الإمكانيات التي تسمح له بتأسيس فرقة موسيقية» وذكر لنا في نفس المقابلة أن مبروك الجودي كان يملك فريق قبل تأسيس الثريا حيث كانوا يلتقون في البساتين والمزارع أحدهم بالناي والآخر بالدربوكة ويتدربون على القصائد القادرية والصوفية بينما الري مالك لحنها قبلهم.[4]

---

[1]- بشير بديار، **حياته حبه وشعره**، مرجع سابق، ص، 23، 24.

[2] -Mahmoud Kazy , **Laghouat et ses Merveilles à travers les temps** , op.cit ,P , 197.

[3]-Mahmoud Kazy , **Laghouat et ses Merveilles à travers les temps** , op.cit ,P , 197, . . أنظر أيضا: أحمد الأمين، **الحياة الثقافية..**، مرجع سابق، ص58.

[4]- مقابلة شخصية مع إبراهيم خميلي، في منزله، يوم 23 أفريل 2019، من الساعة 14.20 إلى غاية 15.50.

وفي سنة 1942م قام كل من الحاج الطاهر بوزيدي وعبد القادر دهينة ومبروك الجودي بتجهيز ملف طلب الاعتماد وتقديمه إلى حاكم ولاية التيطري لأنه في تلك الفترة الأغواط تابعة إداريا إلى التيطري، وهناك استلموا وصل الملف، وبعد سنة رفض الملف أي سنة 1943م، إلا أن الحاج الطاهر بوزيدي ودهينة عبد القادر ومبروك الجودي لم يستلما وأعاد تجديد الملف في نفس السنة، وفي 21 فيفري 1945م تحصلت فرقة الثريا على الاعتراف رسميا من طرف السلطات الفرنسية.[1]

2/الأعضاء المؤسسون لفرقة الثريا: وهم : مبروك الجودي، دهينة عبد القادر، دهينة مُحَّد، ميداس مُحَّد، بوزيدي الحاج الطاهر، بن عبد الله التاوتي، بن السنوسي الحاج سنوسي، بومدين البشير، كزواي مُحَّدالناري، العمري سايح، لدهم الحاج مُحَّد مفتاح، خليفي البشير المدعو قرينات والجودي مُحَّد.[2] ولكن حسب شهادة إبراهيم خميلي فمحمد الجودي لم يكن مذكورا في المؤسسين لأنه كان يعيش حياة صعبة ولم يكن مستقرا في الأغواط حيث كان متنقلا بين المغرب والأغواط.[3]

- نبذة عن بعض أعضاء فرقة الثريا:

أ) مُحَّد الجودي (الري مالك): ولد مُحَّد الجودي بمدينة الأغواط سنة 1900 أبوه أحمد بن الطاهر جودي وأمه عائشة بنت عبد الجليل، ينتمي والده إلى عرش المغاربة، ولقب الري مالك يرجع إلى الملك مُحَّد الخامس الذي أطلق عليه خذا اللقب حيث كان نديمه،[4] التحق بكتاب الشيخ الرايس بن عبد الله الذهبي وحفظ القرآن الكريم ثم انظم إلى الطريقة الموساوية، إذ كان والده منتسبا للطريقة الموساوية، وبعدها إلى مدرسة الشاذلية وبها بدأت تظهر مواهبه فحفظ الكثير من القصائد والمدائح

[1]- أحمد الأمين، **الحياة الثقافية..**، مرجع سابق، ص60.

[2]- إبراهيم خميلي، **الثريا**، مطبعة بن سالم للنشر والتوزيع، الأغواط، الجزائر، 2013، ص 20.إبراهيم خميلي، **الفنان الموهوب جودي مُحَّد 1900-1983**، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، 2013، ص 29- 30.

[3]- مقابلة شخصية مع إبراهيم خميلي، المصدر السابق.

[4]- لزهاري لبتر ، مرجع سابق، ص27.

الدينية، [1]كان حسن الصوت، ومن هنا بدأ يظهر عليه الحس الموسيقي وأداء الألحان بإيقاع موسيقى معين، توفي عام 1983م.[2]

-**رحلاته:** كان الرَّي مالك قد أقام عند أخيه بالجزائر العاصمة واستغل فرصة تواجده بها لتعلم فن الموسيقى، وكثيرا ما كان يرتاد المرحوم محي الدين باش تارزي، وفي سنة 1926م، شدَّ الرحل نحو المغرب الأقصى، حيث أقام به مدة 12 سنة تعلم فيها فن الموسيقى الأندلسي على يد معلمين أجلاء، وكون فرقة خاصة للغناء كانت تنتقل بين المدن المغربية، كما أنه زار تونس وليبيا وسوريا ومصر، التي تعلم فيها الضرب على العود على يد الفنان سي الطاهر، ولم يعد إلى الأغواط إلا في سنة 1938م، وبعد عام من ذلك استدعي لأداء الخدمة العسكرية، وقد كانت أمه حزينة على فراقه فألف أغنية "يا أمي ليه تبكي عليا" يخاطب فيها أمه التي مرضت بعد ذهابه، وتوفيت ولم يسمع بخبر وفاتها إلاَ بعد ستة أشهر.[3]

فر من الخدمة العسكرية ولجأ إلى المشرق العربي، وانتهز فرصة تواجد خالته بدمشق فقصدها مما أتاح له الفرصة أن يلتقي بكبار الفنانين السوريين، أمثال عبد القادر الحجار.

ثم رجع ثانية إلى الأغواط في سنة 1942م، وفي هذه السنة تشرف الفنان بلقاء الشاعر مفدي زكريا وكان ذلك بتلمسان حيث عرض عليه الأخير أن يرافقه إلى العاصمة، وفيها بدأ يعرض فنَه في محل كان منحه إياه الشاعر مفدي زكريا، ورغم بساطته إلاَ أنَه كان قبلة الفنانين ولم يلبث أن عاد إلى مسقط رأسه 1942م.[4]

[1]- إبراهيم خميلي، **الفنان الموهوب جودي مُحَّد** ..، مصدر سابق، ص، 9- 10.

[2]- بشير بديار، **إحياء ذكرى الفنان الجودي مُحَّد الري مالك، مع الخالدين في مآثرهم**، المركب الثقافي عبد الله بن كريو الأغواط، 5 أكتوبر 1992، ص، 8.

[3]- ورنيقي الشايب، مرجع سابق، ص39. أحمد الأمين، **الحياة الثقافية**..، مرجع سابق، ص60.

[4]- ورنيقي الشايب، مرجع سابق، ص39. مدني لبتر، مرجع سابق، ص116.

ومع اندلاع ثورة التحرير المباركة أبى إلى أن يضع فنه في خدمة النضال، من أجل الحرية فكان يقيم حفلات يغني فيها أغاني سياسية تحريضية، مثل "أحب عيشة الحرية، أنا العربي ولد العربية"، إلاَ أنَ هذه الأغاني لم ترق للسلطات الاستعمارية فحاولت اعتقاله، إلاَ أنَه أفلت منها في آخر لحظة.

وبعد استرجاع السيادة وبالضبط سنة 1963م قصد الإذاعة التلفزيون الجزائري لتسجيل بعض الأغاني فأوصدت الأبواب في وجهه، مثلما فعل مع الفنان سي الحاج مُحَّد العنقاء، أسس سنة 1965م فرقة للرقص الولكلوري، مثلت الجزائر بمهرجان أقيم في مصر، وفي 1966م أسس فرقة الأمل للموسيقى والغناء، وفي 1974م التحق بمدرسة أشبال الثورة كمدرس للموسيقى وظلَ الفنَان وفيا لفنَه، إلى أن توفي في 1983/09/27. [1]

ب)مبروك الجودي: هو العواد الساحر أو صاحب الأصابع السحرية ولد سنة 1918 بمدينة الأغواط في حي الضلعة بالقرب من مقر الزاوية الشاذلية من أب يدعى عيسى وأمه فاطمة بنت الحاج البشير بلحاج، هو الابن الوحيد الذي بقي على قيد الحياة من مجموع إخوة توفوا كلهم ، لم يتلذذ بمعرفة معنى الأبوة، لأنه ببساطة فقد أباه وهو ابن ثلاثة سنين، فتكفل به أعمامه الذين لم يبخلوا عليه بالحب والحنان اللذان هما سببا اكتمال النفس، التحق بأخواله وهو بدورهم فتحوا له صدورهم ولم يتقاعسوا على تأمين العيش له، ولأنَ روح الفنان ترفض أن تبقى محبوسة في أغلال الصدر وتتوق إلى الحرية وإلى السياحة في هذا الفضاء المترامي الأبعاد، أبى سي الجودي إلاَ أن يحقق هذه الرغبة الجاثمة على النفس وأصبح يرافق خاله إلى البستان، فتارة تراه يعمل بجد ونشاط يردد كلمات بصوته العذب الرقيق، إنَه يؤثر الصمت الذي يناجي الضمير ويعيه القلب يتلذذ بسماع موسيقى الطبيعة. [2]

حفظ القرآن الكريم صغيرا، ولأنَ الابن نسخة أبيه، أراد الفنان أن يقتفي أثر الوالد فاحترف النجارة التي كانت مصدر إلهامه وإبداعه فصنع آلة العود دون أن يعلمه أحد، حيث أنَه استلهم صورة

[1]- الشايب ورنيقي، مرجع سابق، ص38-40. مدني لبتر، مرجع سابق، ص117.

[2]- الشايب ورنيقي، مرجع سابق، ص40. مدني لبتر، مرجع سابق، ص120.

هذه الآلة من فيلم مصري في زمن السينما الجوالة سنة 1933م فحاول في المرة الأولى صنعها لكنه لم ينجح، لأنها كانت مجرد تجربة، لكن المحاولة الثانية كلَلت بالنجاح.[1]

ولم تتوقف مخيلة الفنان عند هذا الحد، بل راحت تدفعه دفعا إلى التفكير في اصطناع الجديد ما دامت القوة موجودة والأمل منبسط، فاستجاب الفنان لنداء النفس وتركها على سجيتها، فانطلقت تدغدغ أصابعه الذهبية لتخرج منها آلات موسيقية في غاية الجودة فهذا العود وتلك الكمان ومرة الماندولين وتارة القانون وآلات أخرى انتشرت في أرجاء الجزائر وخارجها.[2]

شارك الفنان الجودي في عدة معارض منها أول معرض أقيم فالجزائر سنة 1954م حيث تحصل على الميدالية الفضية وشهادة شرفية، في مسابقة أحسن حرفي، وتحصل على شهادة شرفية في سوريا سنة 1955 في معرض العشرية الثقافية الجزائرية السورية، كممثل للصنَاعة التقليدية المحلية الجزائرية، كما نال في نفس السنة الميدالية الفضية في مسابقة لاختيار أحسن حرفي جزائري نظمتها محافظة الجزائر الكبرى.[3]

ولأَن جذوته لم تعرف الخمود، راح يطمح إلى الظَفر لكل مستلزمات الموسيقى، من تأليف للكلمات وتلحين لها، فألف مجموعة من الأناشيد الوطنية مثل: "صلاة لنبي الحبيب" و "الأنوار سطعت في الوادي" و "نيل المران في الجزائر بالأمل".

كما أنَه يعتبر من السبَاقين إلى تأسيس فرقة الثريا سنة 1945م، رفقة صديقه الرَي مالك وقد كانت هذه الفرقة تحيي الحفلات الدينية والوطنية في ربوع الوطن، ولأن معظم أناشيدها كانت من وحي الثورة منعت من مواصلة عملها الجهادي بدرجة أولى، وتمَ إغلاق مقرها الرسمي بالأغواط سنة 1948م، فعاد الفنان إلى محله المتواضع لصنع الآلات الموسيقية توفي يوم 2007/02/16.[4]

[1]- الشايب ورنيقي، مرجع سابق، ص40.

[2]- مدني لبتر، مرجع سابق، ص121.

[3]- الشايب ورنيقي، مرجع سابق، ص41. إبراهيم خميلي، **الثريا**، مصدر سابق، ص21.

[4]- لبتر، مرجع سابق، ص 121.

ج) **دهينة عبد القادر**: نائب رئيس فرقة الثريا ليس فنانا بالمعنى الحرفي لكنه يتذوق الفن ويحبه، كان يحب سماع الموشوحات الأندلسية والقصائد الدينية، فهو من مشجعي تعميم الفن في مدينة الأغواط وتطويره، كان عضوا فعالا من المؤسسين المتحمسين في تأسيس فرقة موسيقية ومسرحية في مدينة الأغواط.[1]

د) **دهينة مُحَمَّد**: كان موظف لدى الإدارة الفرنسية، ومن المولعين بتأسيس فرقة موسيقية في مدينة الأغواط، بذل مجهودا كبيرا في إخراج الفرقة للوجود، سعى للحصول على الترخيص لفرقة الثريا للعمل بصفة قانونية.[2]

هـ) **ميداس مُحَمَّد**: موظف لدى الإدارة الفرنسية، وظيفته في الفرقة درباكي فكان يحسن اللعب على آلة الدربوكة، يحسن ضبط الإيقاع الموسيقي، ويحافظ على الوزن، كان ضمن أعضاء الفرقة الذين حرصوا على تأسيس فرقة الثريا.[3]

و)**بوزيدي الحاج الطاهر**: كاتب الفرقة، كان من المتحمسين في تأسيس الفرقة، ينتمي إلى الطريقة القادرية، كان كثيرا ما يأتي بالقصائد الدينية ويعرضها على رئيس الفرقة لإنشادها في المواسم وحتى في الأعراس والأفراح، له علاقات بشخصيات وطنية في الجزائر العاصمة وملیانة وقسنطينة وغرداية والمنيعة والجلفة.[4]

ز)**بن عبد الله التاوتي**: أمين مال الفرقة، موظف لدى الإدارة الفرنسية، كان يحب الفن حبا عظيما، ويحفظ القصائد الدينية والموشوحات الأندلسية، كان يحسن التصرف في أموال الفرقة التي يهبها لها المواطنون والمحبون للفن، وفي خرجات الفرقة خارج الأغواط كان هو الذي ينظم لها السفرية من المأكل والإقامة.[5]

---

[1]- إبراهيم خميلي، **الثريا**، مصدر سابق، ص 23.

[2]- المصدر نفسه، ص 24.

[3]- المصدر نفسه، ص 26.

[4]- نفسه، ص 28.

[5]- نفسه، ص 29.

ح)بن السنوسي الحاج السنوسي: كوميدي وفكاهي ممتاز، وكاتب سكيتشات، ممثل بارع كان مسرحي بما تحمله هذه الكلمة من معنى، يحب السرح كثيرا، كان مؤلف وكاتب معظم تمثيليات الفرقة، فكان كاتب ممتاز يكتب نصوصه عن حالة المجتمع الأغواطي وعن مشاكل الشعب الجزائري.[1]

ط) بومدين البشير: عازف ناي "الفيلت" فنان مبدع في عزفه على آلة الناي، له مقطوعات موسيقية رائعة، كاتب سكيتشات، كل كتاباته مستوحاة من حياة المواطن الأغواطي، من المتحمسين في تأسيس فرقة موسيقية مسرحية، يعتبر عضو فعال في فرقة الثريا.[2]

ي)كزواي مُحَّد التارزي: المدعو باجابيد، عازف على آلة الدف، ممثل كوميدي، كاتب سكيتشات، يحسن اللعب والعزف على آلة الدف ويحافظ على الوزن والإيقاع، كان من المتحمسين في تأسيس فرقة الثريا رسميا، كان يكتب النصوص التمثيلية.[3]

ك) لعمري السائح: موظف لدى الإدارة الفرنسية، عازف عود وكمنجة، مؤلف موسيقي فنان بما تحمله الكلمة من معنى، كان يؤلف القطع الموسيقية والقصائد الدينية، كان رساما له عدة لوحات رسمها عن مدينة الأغواط، وله بعض اللوحات ذات التعبير التاريخي والسياسي مثل لوحات احتلال المدينة أو لوحات اضطهاد المواطنين، وقد استشهد أثناء الثورة التحريرية.[4]

ل) لدهم الحاج مُحَّد مفتاح: عضو مكلف بإدارة الفرقة، صانع عود ممتاز فقد صنع للفرقة عدة عيدان، كان من الداعمين للفرقة ماديا ومعنويا، وكان مكلفا بالعلاقات الخارجية للفرقة.[5]

[1]- إبراهيم خميلي، **الثريا**، مصدر سابق، ص 31.

[2]-نفسه، ص 32.

[3]- نفسه، ص 34.

[4]- نفسه، ص 35-36..

[5]- نفسه، ص 38.

م) خليفي البشير: عازف على آلة الدربوكة له أداء جيد، يعتبر من الأوائل المنادين والمتحمسين لتكوين فرقة الثريا لتكوين فرقة موسيقية تهتم بالفن والشباب، كان ضمن الأعضاء الذين تنقلوا إلى مدينة المدية للاستفسار عن ملف الفرقة لدى الإدارة الفرنسية.[1]

وقد اقترح الجودي مبروك اسم الثريا على الفرقة ووافق الأعضاء على هذا الاسم،[2] والثريا نسبة إلى نجمة الثريا ولكن هناك من أرجع أصل التسمية إلى (الثورية) أي تابعة للثورة وإن كان هذا الرأي غير مرجح من طرفنا لأنه تم تأسيسها قبل الثورة، وأول مقر حصلت عليه الفرقة كان منزل الحاج الطاهر في المقطع القبلي، أما المقر الثاني عند الساعة تحت (السيكتور حاليا).[3]

3/ نشاط الفرقة قبل حصولها على الاعتماد: في الوقت الذي كانت فيه فرقة الثريا تنتظر تصريح الاعتماد لم تقم بتوقيف نشاطاتها، بل واصلت جولاتها الوطنية واتفق الأعضاء المؤسسون على تنظيم وضبط برنامج عمل أسبوعي وآخر شهري للفرقة وأحيت حفلات في العديد من ولايات الوطن وكانت أول حفلة لها خارج الأغواط قبل الحصول على الترسيم في المنيعة في صيف 1941م بدعوة من **مُحَمَّد** بوزوزو[4] لإحياء حفلة في المنيعة فلبوا الدعوة، وقام أعضاء الفرقة بالتدريبات والتمرن على بعض الموشحات الجديدة وتسطير برنامج لهذه الحفلة، فأخذوا الإذن من الحاكم العام العسكري وتم تقديم له قائمة أعضاء الفرقة المسافرة، وأحيت الفرقة حفلتين قدما من خلالها مدائح دينية وقصائد نبوية، وفي العودة إلى مدينة غرداية استقبلهم سكان المدينة وأحيوا حفلة هناك.[5]

---

[1]- إبراهيم خميلي، **الثريا**، مصدر سابق، ص 39.

[2]- مقابلة مسجلة بين الحاج طاهر بوزيدي وإبراهيم خميلي تحصلنا عليها من إبراهيم خميلي.

[3]- مقابلة شخصية مع إبراهيم خميلي، المصدر السابق.

[4]-**مُحَمَّد بوزوزو**: يشتغل معلما في مدينة المنيعة، وكان يأتي إلى الأغواط في العطل المدرسية...للمزيد، أنظر: إبراهيم خميلي، **الثريا**، المصدر السابق، ص، 64.

[5]- مقابلة مسجلة بين الحاج الطاهر بوزيدي وإبراهيم خميلي، المصدر السابق.

وأيضا أحيت فرقة الثريا حفلتين في ربيع 1941م في مدينة تلمسان، حيث قام الطاهر تجيني[1] بتنظيم هذه الحفلة واستأجر قاعة السينما وغرف في الفندق وبلغ السلطات الاستعمارية ونشر الإعلانات، وكانت من انجح الحفلات التي قامت بها الفرقة وحضرها شخصيات لها مكانة في المجتمع التلمساني وهنئوهم وشجعوهم على الاستمرار.

وقام الطاهر تجيني بدعوة الفرقة لزيارة مدينة سيدي بلعباس وإحياء حفلة فيها، واطلعنا على مدى رغبة أعيان استضافتهم وبعد اجتماع الأعضاء قرر تلبية الدعوة في ربيع 1942 زاروا مدينة سيدي بلعباس وأحيوا حفلتين وذهل أهل المدينة للمستوى الفني للفرقة، ولم يصدق بعضهم أنهم من الصحراء بل ظنوا أنهم من فاس أو مكناس، وأن الأغواط لا يخرج منها هذا المستوى الفني.

أما الحفلة الثانية كانت بحضور فرحات عباس وحضرها جمهور غفير وكانت فرحة أعضاء الفرقة كبيرة لأنها نالت شهرة واسعة في كامل ربوع الوطن قبل أن تأسس رسميا.

كما أن فرقة الثريا قررت زيارة مدينة قسنطينة سنة 1942م قصد التعرف عليها وأيضا زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وأقامت حفلات عامة وخاصة.[2]

4/ نشاط فرقة الثريا بعد حصولها على الترسيم: بعد حصولهم على التأسيس نظموا احتفالا وحضره أحمد شطة، الشيخ أبو بكر الحاج عيسى، وتعرف الجمهور الأغواطي على الثريا في الحفلات الدينية وهذه الحفلات كان البراح يعلن السكان عن الحفلة، وعندما اشتهرت الفرقة أصبحت تحيي الحفلات للحجاج والأعراس، وكانت كل قصائدها على المدائح النبوية، وبعض الموشوحات الأندلسية، وواصلت جولاتها في بعض من مناطق الوطن الجزائر العاصمة ،تبسة...وكانوا في كل حفلة يرددون كلمة ياي ياي.[3]

[1]- **الطاهر تجيني**: أستاذ قي اللغة العربية والفرنسية،كان يدرس في المدارس الرسمية الفرنسية في مدينة مليانة...للمزيد أنظر: إبراهيم خميلي، **الثريا**، مرجع سابق، ص، 55.

[2]- مقابلة مسجلة بين الحاج الطاهر بوزيدي و إبراهيم خميلي، مرجع سابق.

[3]- إبراهيم خميلي، **الثريا**، مصدر سابق، ص79-80.

ولم تكن الفرقة تتقاضى راتبا إلا من خلال من يريد أن يدفع أو يتبرع، وحتى بعدما أصبحت الفرقة رسمية لم يكونوا يطلبون الأجر، وكانت الفرقة تغتنم كل مناسبة لتقوم ببث الروح الوطنية، وبعد حصولها على الاعتماد أقبل العديد من الشباب الانضمام إليها خاصة بعد قدوم مُحَمَّد الجودي المدعو الري مالك من المشرق حاملا معه الموسيقى العربية الشرقية، إذ شرع الري مالك يعطي دروسا فيها فكان الجميع ينتظر دروسه بفارغ الصبر.[1]

وهكذا أصبحت فرقة الثريا ميدان للموسيقى العربية الأصيلة، ووجهة العديد من الفنانين الجزائريين، حيث أصبحوا يزورون ولاية الأغواط قصد التعلم وأخذ من الفنان الري مالك[2] الذي ذاع صيته ليس في الأغواط والجزائر فقط بل تجاوزت إلى المغرب ثم إلى المشرق مثل أحمد خليفي من الجلفة وعمه الحاج خليفة،[3] والفنان رحاب الحاج الطاهر من بسكرة الذي حضر إلى الأغواط أكثر من مرة في فترة الخمسينات وحضر دروس الري مالك واحتك بفناني فرقة الثريا،[4] والفنان عبد الرحمن عزيز الذي تأثر كثيرا باحتكاكه بالري مالك والجودي المبروك حيث زار الأغواط سنة 1950 وحضر بعضا من دروس الري مالك لفرقة الثريا،[5] والفنان عبد الحميد عبابسة الذي جاء إلى الأغواط وبقي فيها أياما يتعلم على يد الري مالك وقد استضافه أعضاء الفرقة في بيوتهم طيلة أيام إقامته،[6] إضافة إلى الحاج مُحَمَّد الفرقاني وغيرهم،[7] وكانوا ما يرجعون إلا وتعلموا شيئا جديدا، واستمرت الفرقة بقيامها بإحياء

---

[1]- إبراهيم خميلي، **الثريا**، مصدر سابق، ص، 79.

[2]- المصدر نفسه، ص، 100- 105.

[3]- نفسه، ص100، ص104.

[4]- نفسه، ص 102. للمزيد حول الفنان رحاب الحاج الطاهر أنظر: نايلي رمضان، **عندليب الأغنية البدوية البسكري رحاب الطاهر**، مجلة أصوات الشمال، http://www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98&a=41235، نشر بتاريخ: 14-04-2014، تم الاطلاع: 15-07-2018.

[5]- إبراهيم خميلي، **الثريا**، مصدر سابق، ص103.والفنان عبد الرحمن عزيز هو صاحب الأغنية المشهورة : " يا مُحَمَّد مبروك عليك" للمزيد حول أنظر: رزيقة علي، **بعد 12 سنة من وفاته.. عبد الرحمن عزيز حاضر بروائعه**، جريدة الخبر، نشر بتاريخ: 01-03-2013.

[6]- إبراهيم خميلي، **الثريا**، مصدر سابق، ص105.

[7]- المصدر نفسه، ص106.

حفلات الأعراس والختان، وأعياد دينية،[1] إضافة إلى مساهمتها بجمع التبرعات لبناء مدرسة التربية والتعليم.[2]

وفي سنة 1951م نشطت فرقة الثريا حفلة لزوجة الملك فاروق، وعرفت الفرقة نشاطا كبيرا قبل الخمسينيات وبعد الاستقلال، لكن في فترة اندلاع الثورة نقص النشاط الثقافي وبقي نشاطها سياسي حيث كانت تنتمي إلى الحركة الوطنية، وكان للفرقة نشيد خاص بها:

نيل المرام اليوم في الجزائر بالأمل نهضة واتحاد واتجاه في عمل

صدق وثبات وإخلاص لأجل أن تحيا البلاد ما بين الدول

قاموا أبطال اليوم بالمعركة والكفاح لهم لسان الشعب

قالوا بإصلاح أننا فداء للوطن قيدوهم ياشباب بالتفاهم والوفاق

وتشيوا العداوة واتركوا الشقاق إن المعركة قائمة على قدم وساق

تسموا بالشعوب وليس بالكسل لهذا يا إخوان تلقوا عليكم ذي الكلام

بأداب واحترام حفظا للسلام قولوا واتقوا جميعا لحسن الختام

هناك وجه الله إليه الإمتنان[3]

[1]- المصدر نفسه، ص 100، 105. مقابلة مسجلة، إبراهيم خميلي وبن عية أحمد ويوسف بورزق، بمنزل خميلي أحمد، 2013، تحصلنا عليها من إبراهيم خميلي.

[2]- إبراهيم خميلي، **الثريا**، المصدر السابق ، ص 87.

[3]- مقابلة شخصية مع أحمد بن عية، في منزله، يوم 2019/02/13، من الساعة 11.25 إلى غاية 12.25.

5/ مساهمة فرقة الثريا في الثورة التحريرية: ساهمت فرقة الثريا في دعم الثورة التحريرية ماديا ومعنويا، ففي سنة 1947م منحت الثريا مبلغا قدره عشرة آلاف دينار جزائري من أجل التحضير لثورة، كما قدمت أغاني وطنية تحفيزية مثل: «سيروا للأمجاد حربا...» من كلمات سعيد الزاهري و تلحين العمري السايح. [1]

كما انضم بعض من أعضاء فرقة الثريا إلى الثورة سياسيا، وقدم كل من المبروك الجودي والسنوسي بن السنوسي، والطاهر بوزيدي اشتراكات.[2]

رابعا: الفرقة النحاسية: أنشأت الفرقة النحاسية عام 1958م والتابعة لفرع الكشافة في ولاية الأغواط، وكانت فرع من فرقة الثريا، وتعد مدينة الأغواط هي الولاية الوحيدة التي فكرت في إنشاء فرقة نحاسية، وحملت هذا الاسم لأن جميع آلاتها نحاسية (الطانبور، ساكسفون، لي طرونبات) وتعزف الموسيقى العسكرية والأناشيد الوطنية، وتعد الفرقة النحاسية هي أول فرقة عزفت النشيد الوطني في الاستقلال، ومُحَّد الجودي هو من أسسها ومن بين أعضائها مُحَّد غربي، كزواي عبد الله، السبع رحمه الله وكان معظم أفرادها من الشطيط. [3]

وكان مُحَّد الجودي في فرنسا مسؤول عن الطانبور حيث كان بارعا فيها، وحمل هذه البراعة إلى الأغواط ودرسها لطلاب الفرقة النحاسية، كان يعلم العزف عن الطانبور بقول كلمة مامو، بابا لأجل التقاط الإيقاع الأخير، أما مُحَّد غربي كان يعلمهم برجله لأجل الإيقاع لأنه لم يكن يملك كتابا خاصا بالنوتات الموسيقية، كما مثلت الفرقة النحاسية مدينة الأغواط في العديد من المحافل الوطنية التي وصل عدد أفرادها فيما بعد إلى الخمسون عازفا تحت قيادة العرابي بورزق. [4]

[1]– مقابلة مسجلة بين الحاج الطاهر بوزيدي و إبراهيم خميلي، مصدر سابق.

[2]– مقابلة شخصية مع إبراهيم خميلي، مصدر سابق.

[3]– وكان الرئيس هواري بومدين يستدعيها أحيانا من أجل استقبال الرؤساء لأنه لم يكن يملك فرقة نحاسية في الجيش في البداية.

[4]– دار الثقافة عبد الله بن كريو، **الأغواط ثقافة وحضارة**، وزارة الثقافة محافظة المهرجان الثقافي المحلي للفنون والثقافات الشعبية لولاية الأغواط، د ت، ص، 20.

خامسا: فرقة نجمة صحراوية: بسبب الثورة التحريرية تم التضييق على فرقة الثريا مما جعل أحد أعضائها وهو الفنان أحمد هادف يقوم بتأسيس فرقة جديدة هي فرقة نجمة صحراوية مستفيدا من الخبرة التي اكتسبها في فرقة الثريا، إلى جانب اشتغاله مندوبا للمبيعات وهو ما جعله يحتك بمواطنين من كافة المدن والقرى التي وصلتها شركته مما مكنه من الاحتكاك بفناني العاصمة مما أثر عليه إيجابا حيث أسس هذه الفرقة في الأغواط[1] وتكونت في البداية من ستة أشخاص هم :

_الفنان أحمد هادف: وهو المؤسس عازف الأكوريون والكمان والعود مغن وممثل، وخاله هو المبروك الجودي وهو الذي اكتشف موهبته وأدمجه في فرقته كعازف منفرد، وقد سجلت أغانيه الناجحة في فترة الخمسينات والستينات مثل: " بالله يا الدبيش" و "ياربي يا خالقي" و "هذا غايظني".[2]

_ أحمد طالبي : مغن وعازف كمان.

_ بشير بومدين: المدعو "باشا"، شاعر وكوميدي ومؤلف سكيتشات ومونولوج.

_ كزواي محد التارزي: المدعو "باجاييد" عازف آلة الدف، كوميدي ، وكاتب سكيتشات.

_ مراد قدور بن الحاج عمار: درابكي.

_ بارتوش سيبان ماري Partouche Seban Marie: المعروفة ب: "ميما" وهي يهودية مغنية وممثلة.[3]

وقد انضاف إلى هذه الفرقة مجموعة من الشباب المولعين بالفن، وقد شاركوا في السهرات الأسبوعية المخصصة لهم والذين أطلق عليهم اسم حفلة "الوالياس" Walines"، وكان الفنان يوسف بورزق أول من شارك بأغنية للفنان والملحن مُحَمَّد عبد الوهاب بأغنية خي خي حبيبي ليه قاسي"، وقد نالت إعجاب الجمهور واستحسانه، كما أدى أغان من الفن التونسي مثل أغنية مُحَمَّد الجراري "من الكريطة

[1]- إبراهيم خميلي، **الثريا**، المصدر السابق ، ص 112.

[2]- عاشور شرفي، مرجع سابق، ص995-996.

[3]- إبراهيم خميلي، **الثريا**، المصدر السابق ، ص112-113.

القسم على الله"، وهي أغنية كوميدية تعبر عن حالة العاملين بالعربة التي تجرها الدواب والمعروفة ب: "الكريطة".[1]

استمرت فرقة نجمة صحراوية في نشاطاتها إلى غاية نهاية الثورة، حيث غير مؤسسها أحمد هادف اسمها إلى "راجعون" وذلك في جويلية عام 1962، وقد انضم فنانو فرقة راجعون إلى الثريا وبذلك تدعمت فرقة الثريا بمجموعة من الشباب يشكلون فرقة راجعون إلى جانب علالي بوبكر وزقنيني مبروك وبوسعيد العيد وبوزيد سعد وهو عازف على آلة القانون، والنوار عبد القادر وهو كوميدي وقادة نورالدين، وقد واصلت فرقة الثريا مسيرتها بهؤلاء الشباب إلى جانب القدامى وقد قاموا بتغطية جميع الحفلات التي نشطت بمناسبة فرحة الاستقلال.[2]

سادسا: الغناء الفردي: بالنسبة للغناء الفردي فالملاحظ أن مجالسه قد عرفت ازدهارا كبيرا، إذ برزت في هذه الفترة مغنيات كثيرات، وقد عرفنا بعضهن ، من بينهن المغنية "حابة" وهي مغنية من الجلفة وعاصرتها مغنية أخرى هي –عائشة سيرّو– وكانتا تغنيان أشعار بن كريو المشهورة، إضافة إلى أشعار بن مسايب وبن التريكي، اللتان سجلتا الغناء بواسطة طريقة تسمى –القادوس– وهي طريقة سبقت الأسطوانات،[3] وكانت المغنية عائشة سيرو تغني شعر بن كريو في مجالس يحضرها هو بنفسه.[4]

وقد عثرت في موقع المكتبة الوطنية الفرنسية على الويب BNF على تسجيل صوتي لمديح يسمى :

"Medhat Sidi Elhadj Aissa : Laghouati ; Medhat Sidi Moulay "

"مدحت سيدي الحاج عيسى لغواطي ; مدحت سيدي مولاي الطيب"، وهي من غناء : "الخونية خيرة " وهي تقول في الوجه الأول من الأسطوانة قصيدة في مدح سيدي الحاج عيسى الأغواطي مطلعها:

[1]– المصدر نفسه، ص113.

[2]– نفسه، ص114.

[3]– الشايب ورنيقي، مرجع سابق، ص38.

[4]– أحمد الأمين، **الحياة الثقافية**..، مرجع سابق، ص59.

جا خبرك يا عيسى في البرور والبحور

نا خديمك ونتا سيدي

أما الوجه الثاني فهو مدح لسيدي مولاي الطيب شيخ وزان وشيخ الطريقة الطيبية وتقول في مطلعها:

لله يا لقمري خفق منا تروح في لامان لدار الضمان

للشريف المحقق صاحب البرهاني شور مولى وزان تبلغو عنواني

والقصيدتان موثقتان بالمكتبة الوطنية الفرنسية في سنة 1929.[1]

كما لا ننسى الفنان يوسف بورزق سابق الذكر وهو المعروف ب "يوسف لغواطي" وهو مطرب وشاعر، وقد التحق سنة 1959 بالمحطة المحلية للإذاعة والتلفزة الفرنسية لتنشيط حصة للأطفال تسمى: " جنة الأطفال" وحصة " النجم الصحراوي" المخصصة للأغنية البدوية والتي كانت تبث مرتين أسبوعيا، وقد سجل العديد من الأغاني ذات الطابع البدوي[2].

سابعا المسرح: عرف المسرح بالأغواط منذ سنين غابرة بشكله التقليدي، عبر الأسواق الشعبية والاحتفالات الشعبية (الزردة، الطعم أو الوعدة)، في حلقات يمثلها المداح أو القوال وعرف أيضا عبر مقاهي المدينة في شكل الحكواتي ويظهر في حلة أكثر تطور منذ الثلاثينيات في مسرحيات قصيرة أو سكيتشات هادفة، فكان في مدينة الأغواط نادي المسرح يديره حسين زاهية (الرجل الثاني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، كان يدير المسرح عام 1948، وكانت توجد أيضا فرقة مسرحية نسائية حيث تطور هذا الفن وشاركت في تنشيطه فرق الكشافة وغيرها.[3]

[1] -El Khaounia Kheira, **Enregistrement sonore Medhat Sidi Elhadj Aissa : Laghouati ; Medhat Sidi Moulay Taieb**, https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k1310130n/f2.media, 12-01-2020.

[2]- عاشور شرفي، مرجع سابق، ص1252.

[3]- دار الثقافة عبد الله بن كريو، مرجع سابق، ص، 14.

ثامنا النشاط الفني لفوج الكشافة "الرجاء":كان فوج الرجاء كثير الاستعراضات في شوارع المدينة بعد طلب من السلطات العسكرية بالترخيص لذلك، وكانت الاستعراضات في الأعياد الدينية، وكان فريق الكشافة يجوب شوارع المدينة الرئيسية بالأناشيد الكشفية وبعض الأناشيد الوطنية التي ترمز للجهاد والنضال ومثل هذه الأناشيد كثيرة مثل هوى وطني فوق كل هوى، ودمت يا بيضا وموطني، وكلها كانت ألحانها تنسجم في الإيقاعات حينما تكون الفرقة في حالة موكب سائر، وكان المواطنون ينتظرون بفارغ الصبر استعراضات الفوج خاصة في إحياء المولد النبوي الشريف – عليه الصلاة والسلام – أو ليلة عاشوراء وليلة فتح مكة وليلة الإسراء والمعراج وفي العيدين عيد الفطر وعيد الأضحى ... إلخ، و كان الاستعراض يطوف بأحياء المدينة في شوراع المدينة الرئيسية كلها ويتبعه المواطنون بالهتافات وإلقاء المفرقعات وإشعال الشموع ويمشون من ورائه وأمامه إلى أن ينتهي الاستعراض، وبعد الانتهاء يقام حفل ساهر للمواطنين يقدم فيها الأناشيد والقصائد الدينية والوطنية والمسرحيات خاصة منها الدينية، وسكيتشات وروايات هزلية، وقد كان من بين الشخصيات الكشفيّة التي شاركت في المسرح جودي بلقاسم عبد القدر نوار، علي خميلي وحنيفة طاهر الذي كان بارعا في تقليد الأصوات، وأحسن مسرحية نالت إعجاب المواطنين وصار كل مواطن يطلب إعادة عرضها في المناسبات وهذه المسرحية هي (حلاق بغداد) "..عرضت لأول مرة سنة 1952م وهي مسرحية تعالج حالة وأوضاع الوطن العربي ككل والمسرحية مؤلفها عراقي"[1] ألفها يعالج أوضاع الوطن العربي والمعاناة التي يعانيها الوطن العربي من الاستعمار، والمسرحية الثانية كذلك نالت إعجابا كبيرا وأعيد عرضها عدة مرات للمواطنين لأنها كذلك تعالج حالة الشعوب العربية وهذه المسرحية مؤلفها سوري وعنوانها "الطبيب"، وهاتان المسرحيتان ترمزان إلى رفض الاحتلال، والاتحاد جميعا لدحر الاستعمار .[2]

[1]–.من خلال بحثي تبين أن مسرحية حلاق بغداد هي للمصري ألفريد فرج، وقد نشرت في 1963، ومن هنا يتبين خطأ الأستاذ خميلي إبراهيم.

[2]– مقابلة مع خميلي، مصدر سابق. خميلي، **تاريخ الكشافة**..، مصدر سابق، ص171.

المبحث الثالث: الحركة الكشفية بالأغواط:

تعتبر الحركة الكشفيّة بمدينة الأغواط، امتدادا للكشافة الإسلاميّة الجزائريّة التي ظهرت على يد مُحَمَّد بوراس[1] سنة 1936م، فقد قام بتأسيس فوج الفلاح الذي يعدّ أول فوج على مستوى القطر الجزائري،[2] لتظهر من بعده العديد من الأفواج الكشفيّة، منها فوج الرجاء بقسنطينة الذي تأسس سنة 1936م على يدّ الشيخ عبد الحميد بن باديس، وأصبح هذا الفوج ثاني فوج كشفي في الجزائر بعد فوج الفلاح بالجزائر العاصمة، من هذا المنطلق بدأ بعض الشباب الأغواطي المتحمس يفكر في إنشاء تنظيم يوحد الشباب، ويجمع شملهم، وقد تجسدت هذه الفكرة بتأسيس فوج كشفي بمدينة الأغواط، حمل إسم فوج الرجاء[3] ،و أصبح يعدّ ثالث فوج كشفي على مستوى الوطن الجزائري آنذاك.

أولا: ظهور الحركة الكشفيـّة بالأغـواط: ارتبط ظهور الحركة الكشفيّة بمدينة الأغواط بالحركة الإصلاحيّة، التي لعبت دورًا فعالا ساهم في تشكيل فوج كشفي بالمدينة، و قد تجلى ذلك من خلال مساعدة نادي الأدب بالأغواط الذي تأسس سنة 1937م، وقد تكلمنا عنه سابقا، من طرف مجموعة من الأشخاص يترأسهم (عبد المالك شهرة)، وكان مقره متواجدًا في نهاية شارع النور أين توجد ساحة كبيرة بشارع الأمير عبد القادر، وقد كان الهدف الأساسي لهذا النادي هو التعليم و

---

[1] – **مُحَمَّد بوراس:** من مواليد 26 فيفري 1908 بحي العناصر بمليانة، ترعرع وسط عائلة فقيرة، أبوه يدعى لخضر وأمه مستغانمي حورية تعلم عنهما البساطة والصبر وحب الوطن، التحق بمدرسة حوبورجي عام 1915م، كان يحضر دروس الشيخ الطيب العقبي ممثل جمعية العلماء المسلمين بالعاصمة، وهو مؤسس الكشافة الإسلامية الجزائرية، تم إعدام الشهيد يوم 27 ماي 1941م...للمزيد، أنظر: إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص83. حمدان بوزار، **الشهيد مُحَمَّد بوراس ودوره في الحرطة الوطنية**، الكشافة الاسلامية الجزائرية: دراسات وبحوث الندوة الوطنية الأولى حول تاريخ الكشافة الجزائرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 1999، ص107 وما بعدها.

[2] – إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص 86.

[3] – محمود علالي، المرجع السابق، ص، 143.

التوعيّة و التوجيه، وإلقاء المحاضرات، فكان من أبرز منشطي هذه المحاضرات أبو بكر الحاج عيسى و عبد القادر ميموني والشيخ دهينة زقنيني .[1]

لقد ساهم هذا النادي في تأسيس أول فوج كشفي بمدينة الأغواط، عرف باسم فوج الرجاء، وقد حصل على الاعتماد رسميًا من الإدارة الفرنسيـّة في 09 جانفي 1939م،[2] و يعود الفضل في تأسيسه إلى هدروف ميموني [3]رفقة أخوه عبد القادر ميموني و بورنان عبد المالك و الشيخ أبو بكر الحاج عيسى و شهرة عبد المالك و بوعامر عبد المالك...، فقد اجتمع هؤلاء مع بعضهم وكونوا في بداية الأمر فصيلة من الشباب سنة 1936م، فكانت هذه الفصيلة تقوم بمجموعة من التربصات، لكن نشاط هذه الفصيلة لم يلقى نجاحًا وشعبيّة من طرف الشباب، لذلك لجأ هؤلاء إلى البحث عن طريقة أخرى لتنشيط وجذب الشباب، فتلقى هدروف ميموني تشجيعًا من الشيخ أبو بكر الحاج عيسى، الذي ألح عليه من أجل تكوين فوج كشفي يلم شتات الشباب، لهذا السبب سافر عبد المالك شهرة و ميموني عبد القادر إلى الجزائر، حيث حاولوا هناك الاتصال بمؤسس الكشافة الإسلاميّة الجزائريّة مُحَمَّد بوراس ، للحصول على معلومات تتعلق بنشاط الحركة الكشفيّة، وكيفيّة تسييرها، وطرق نظامها و أهم مبادئها و أهدافها، فقاموا بإنشاء مكتب للجنة ضمت هؤلاء الأعضاء شهرة عبد المالك و ميموني عبد القادر و بورنان عبد المالك .[4]

بعد عبد القادر ميموني و عبد المالك شهرة إلى الجزائر، كانت بحوزتهم معلومات وافرة عن الحركة الكشفيّة و مبادئها وأهدافها، لذلك اجتمعوا مع باقي الأعضاء وقرروا إنشاء فوج كشفي لمدينة

[1]– المرجع نفسه والصفحة نفسها. إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص113.

[2]– مداني لبتر، مرجع سابق، ص، 107. إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص114.

[3]– هناك من يذكر أنّ المؤسس الحقيقي للفوج ليس هدروف ميموني، فحسب الشهادة التي أدلى بها القائد عبد القادر نوار، فإنّ الفضل في تأسيس فوج الرجاء يعود إلى عبد القادر ميموني الذي قام بتحرير طلب الإعتماد، وسلمه إلى الحاكم العام من أجل الحصول على الإعتماد الرسمي للفوج، كما نجد أنّ مُحَمَّد درويش ذكر في كتابه (Le scoutismeecole du patriotisme)أنّ المؤسس الحقيقي لفوج الرجاء هو ميموني عبد القادر.

Mohamed Derouiche, **Le scoutisme ecole du patriotisme** , ENAL-OPU, unite Zabana- Alger , 1985, p81.

[4] – ibid, p81.

الأغواط، وحسب الرواية التي أدلى بها عبد القادر نوار المدعو القائد ، فقد قام الطاهر التجيني و رفيقه عبد القادر ميموني بتحرير طلب من أجل الحصول على رخصة لتأسيس فوج الرجاء، وقاموا بتقديمه إلى الحاكم العام المدعو الجنيرال ڤوفرنو(General Gouverneur)، و قد كان ذلك سنة 1936م، لكن استجابة الحاكم العام تأخرت، بقيت لمدة طويلة من الزمن، وحسب رواية قويدر بوعامر فإنّ سبب التأخر في منح الموافقة لتأسيس فوج الرجاء يعود بالدرجة الأولى إلى عرقلة الكشافة الفرنسيّة و فرقة الآباء البيض الذين كانوا ينشطون بمدينة الأغواط، لذلك لجأ شباب فوج الرجاء إلى العمل سرًا، وبسبب عدم وجود مقر محدد اضطروا في بداية الأمر إلى الاجتماع في الشارع، لكن بعد مدّة قصيرة أصبح هؤلاء الشباب يجتمعون في نادي الأدب، وقد كان عدد الشباب المنخرطين فيه حوالي 20 شابًا، منهم قويدر بوعامر.[1]

لقد بقي فوج الرجاء يواصل نشاطه سرًا بعيدًا عن العيون الفرنسيّة، ففي هذه الفترة قرر القائمين على الفوج تنظيم مخيم كشفي في الخلاء، لذلك توجه عبد المالك بوعامر إلى الجزائر، وجلب معه مجموعة من الخيام، و أمتار من الأقمشة الملوّنة، ومنحها إلى المدعو معمر الذي كان يمتهن حرفة الخياطة، وكلفه بخياطة لباس كشفي خاص بفوج الرجاء، وبعد مجموعة من التنظيمات المحكمة التي قام بها قادة الفوج، خرج الفوج في أول مخيم متجها إلى منطقة رأس العيون (قنطرة وادي مزي حاليًا) ولما علم الآباء البيض بخروج فوج الرجاء، قاموا بمناداة عبد المالك بوعامر و عبد المالك شهرة و يحي بن فاطمي ، حيث أبلغهم الآباء البيض أنّه لا يمكنهم الخروج دون تصريح، لهذا منحوا الفوج تصريحا مؤقتًا، كما طلبوا من أعضاء الفوج عدم الخروج في مجموعات كبيرة، بل عليهم الخروج مثنى ...فخرج قويدر بوعامر مع بن عمر الشاذلي، و عندما و صلوا إلى نهاية شارع المقطع ، خرج شخصين آخرين من الفوج، وقد التقى كل أعضاء الفوج في مكان التخييم في رأس العيون، وقد التقى فوج الرجاء في هذا المخيم بفوج كشافة مدينة الجلفة الذي كان من ضمن أعضاءه بوسعيد وعبد القادر حماني ،مع العلم أنّ كشافة الجلفة لم تكن تملك تصريح لهذا المخيّم، وقد دام هذا المخيّم لمدّة يوميّن.[2]

[1]- مقابلة مسجلة بين (قويدر بوعامر و خميلي ابراهيم)، تحصلنا عليها من خميلي ابراهيم. علالي، مرجع سابق، ص144.

[2]- نفـــس المقابلة.

بقي فوج الرجاء يمارسه أعماله دون اعتماد إلى غاية بداية سنة 1939م، وبالضبط يوم 09 جانفي1939م،[1] ففي هذا اليوم تحصل فوج الرجاء الكشفي لمدينة الأغواط على التصريح الرسّمي من طرف الحاكم العام ، ومنذ هذا التاريخ أصبح أعضاء فوج الرجاء يمارسون نشاطهم رسميًا بعيدًا عن السريّة، وقد كان فوج الرجاء بقيادة هدروف ميموني، ومجموعة من الأعضاء هم: عبد القادر ميموني و الطاهر التجيني و عبد المالك بوعامر و عبد المالك شهرة و الحاج عيسى بن عمر، أما المشرفون نذكر منهم: الشهيد جودي بلقاسم، خميلة مُحَّد، عيسى كريريش والمشوي البشير، مبروك زقنيني، عبد القادر نوار، زنيخري عبد القادر، جلول بوراس وعلال مخنث حيث تداول عليها مجموعة من رجال الاغواط.[2]

في يوم 20-01-1939 عقد مكتب فوج الرجاء اجتماع في منزل بوعامر لتثبيت المكتب كما صرح به في طلب الاعتماد ووافق عليه جميع الأعضاء كالتالي:

التسمية: فوج الرجاء للكشافة الإسلامية الجزائرية

الأعضاء: الرئيس: هدروق ميموني

نائب الرئيس عبد القادر ميموني

الكاتب العام: عبد المالك بوعامر

نائبه: عبد المالك شهرة

أمين المال: الحاج عيسى بن عمر

نائبه: عبد المالك شهرة.[3]

[1]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص122-123.

[2]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص148.

[3]- المصدر نفسه، ص125.

وبعد التأسيس الرسمي للفوج قام هدروف ميموني رفقة زملائه بتنظيم الفوج، والبحث عن مقر دائم من أجل ممارسة النشاطات الخاصة بالفوج، فكان أول مقر لفوج الرجاء في البلاد الغربيّة، فحسب الشهادة التي أدلى بها علال مخنث المدعو (دبابي) الذي التحق بصفوف الحركة الكشفيّة سنة 1940م أنّ هدروف ميموني قام باستئجار محل بوعامر عبد المالك سنة 1939م، وحوله إلى مقر رسمي للفوج، يستقبل فيه المنخرطين الجدد، و يجتمع به كل المنخرطين لمزاولة العديد من النشاطات المتنوعة ، وفي نفس السياق يذكر قويدر بوعامر" أنّ أول مقر لفوج الرجاء كان في البلاد الغربيّة، ثمّ تحول إلى منزل بوعامر عبد المالك الكائن بالمقطع الظهراوي، وقد كان ذلك في الفترة ما بين سنة 1939م – 1940م "، في سنة 1940م انتقل فوج الرجاء إلى مقر جديد مقابـل لسينما جوهـرة برحبــة الزيتون (البلاد الغربيّة) منحهم إياه المدعو (الحاج يحي فرحات)، وقد عرف الفوج منذ سنة 1941م تنظيم وإقبال واسع من طرف الفتيان، واستمر ذلك إلى غاية إيقاف نشاط الفوج من طرف السلطات الفرنسيّة.[1]

أمّا بالنسبة للتنظيمات الداخليّة لفوج الرجاء، فبعد أن حدد المقر الدائم للفوج، قام القادة بتنظيم نشاطات مسائيّة للفوج ابتداء من الساعة الخامسة إلى الساعة السابعة مساءًا، تمثلت في تقديم دروس و محاضرات من طرف المرشد المحلي، وكذلك تلقين الكشافين بعض الأناشيد الوطنيّة الهادفة، وممارسة مجموعة من النشاطات الرياضيّة، وتعليمهم بعض الأشغال اليدويّة مثل أنواع العقد و التعرف على الإشارات كالمورس و السيمافورم، كما يتدربون على الإسعافات الأوليّة.[2]

فقد كان نظام الحركة الكشفيّة بالأغواط مماثلا لنظام الحركة الكشفيّة الإسلاميّة الجزائريّة الذي أقامه مُحَمَّد بوراس في الجزائر العاصمة، فقد كان المنخرطين في فوج الرجاء منظمين في ثلاثة فرق تمثلت في فرقة الأشبال وتتراوح أعمارهم ما بين 06 سنوات إلى 12 سنة، وفرقة الكشافة وتتراوح أعمارهم مابين 12 سنة إلى 20 سنة، وفرقة الجوالة من 20 سنة فما فوق، وقد كان على رأس كل فرقة قائد، وقد كانوا يعملون وفق المبادئ التي وضعها بادن باول، كما كان لفوج الرجاء مرشد ديني يدعى (مُحَمَّد

[1] – مقابلة مسجلة بين قويدر بوعامر و خميلي إبراهيم.

[2] – إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص163، 165.

العمري) الذي يعد أوّل مرشد للفوج، مهمته تقديم دروس و محاضرات دينيّة في كل مساء، كما ساهم المرشدان زاهية حسين و قدور موتح في إثراء أمسيات فوج الرجاء من خلال إلقاء مجموعة من المحاضرات التي تدعوا إلى التمسك بالقيّم الدينيّة و الوطنيّة، كما يذكر إبراهيم خميلي أنّ الخياط المدعو معمر الخياط كان يقوم بخياطة اللّباس الكشفي لفوج الرجاء، مع تكليف أمين المال ونائبه بشراء لوازم الخياطة وغيرها حصرا من عند السيد بن موسى مُحَّد وقصيبة محمود وهما من المتعاطفين مع الفوج الكشفي. [1]

أما بالنسبة للنظام الداخلي لفوج الرجاء مثله مثل أي نظام كشافة وكانت تسير من قبل مجلس إداري يتألف من رجال كبار وشخصيات من المكان، أما النشاط التقني فيفوض لقائد الفوج أو القائد المحلي الذي يضم إليه مساعدا وقادة للأشبال [2] التي تتراوح أعمارهم من 6 سنوات إلى 12سنة والفتيان من سنة 12 سنة إلى 20سنة، أما الجوالة تتراوح أعمارهم من 20 فما فوق وذلك وفقا لنظام بادن باول ،[3] وقد كان يطلب من المنخرطين الجدد شهادة ميلاد فقط لأجل الانخراط.[4]

جدير بالذكر أن سكان مدينة الأغواط قد احتفلوا احتفالا خاصا بمناسبة الاعتماد الرسمي لفوج الرجاء، فقد أقيمت الولائم تعبيرا عن الفرحة بهذا الكيان الجديد، وتعرض الأئمة في دروسهم المسجدية إلى أهمية إنشاء هذا الفوج ومن بينهم الشيخ دهينة زقنيني، حيث بين الصعوبات التي اعترضت هؤلاء الشباب في تأسيس الفوج موضحا أهميته بالنسبة لساكنة المدينة وخصوصا الشباب منهم، وحض المواطنين على تقديم الدعم المادي والمعنوي لفوج الرجاء، الذي ارتبط اسمه برجاء الله لنصر الشباب ونصر الوطن المحتل.[5]

---

[1]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص126

[2]- الشيخ أبو عمران و مُحَّد جيجلي، **الكشافة الإسلامية الجزائرية 1935-1955م**، تر، مولود طياب وفوزي سعد الله، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، 2008، ص، 16.

[3]- المصدر نفسه، ص 16.

[4]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص165.

[5]- المصدر نفسه، ص127-128.

ثانيا: نبذة عن بعض المؤسسين والمنخرطين الأوائل في الحركة الكشفيّة بمدينة الأغواط:

1/ميموني هدروف: هو مُحَمَّد ميموني المدعو بـ (هدروف) نسبة إلى جده هدروف، ولد سنة 1920 بمدينة الأغواط، والده الطيّب بن هدروف، تربى في عائلة متواضعة ،انخرط بالكتاتيب القرآنيّة فحفظ ما تيسر من القرآن الكريم على يد الشيخ مُحَمَّد بن عزوز، دخل إلى مدرسة مبارك الميلي بعد أن فتحت أبوابها وبقي يزاول دراسته بها إلى غاية رحيل مبارك الميلي من الأغواط، لينخرط بعدها في المدرسة الفرنسيّة (حبيب شهرة حاليًا)، يعد من المؤسسين الأوائل للحركة الكشفيّة بمدينة الأغواط، فقد تقلد منصب الرئيس لفوج الرجاء، كما قام بتأسيس فريق لكرة السلة وقد كان هدفه من ذلك لم شمّل الشباب الأغواطي، وقد تولى علال مخنث قيادة الفوج من بعده، أسس مكتبة النهضة بالعاصمة التي كانت مركزا من مراكز الحركة الوطنية، حيث طبعت على نفقته عديد الكتب التعليمية والتاريخية، كما له عدة مؤلفات من بينها ترجمات من العربية إلى الفرنسية، وقد كانت مكتبته مقصدا لعديد الشخصيات مثل البشير الابراهيمي ومالك بن نبي وغيرهم، اعتقل هدروف سنة 1960م، وبعد الاستقلال قام بالعديد من النشاطات المتنوعة ، توفي سنة 2000م.[1]

2/ **عبد القادر ميموني:** يعتبر من المؤسسين الأوائل لفوج الرجاء رفقة أخيه هدروف ميموني، فقد قام عبد القادر ميموني بتحرير طلب الاعتماد لتأسيس فوج الرجاء، ونظر لانشغاله بالتجارة، سلم مهمة الإشراف على الفوج إلى أخيه هدروف.[2]

3/ **طاهر التجيني:** ولد في 16 مارس 1916م بعين ماضي بولاية الأغواط، يعدّ من كبار قادة الكشافة الإسلاميّة الجزائريّة، تلقى تكوينه الأول في مدرسة بمسقط رأسه، ثمّ توجه إلى المغرب الأقصى عند أخيه الأكبر، حيث واصل هناك دراسته الثانويّة في الرباط، ثمّ عاد إلى الجزائر لتحضير لسانس في الآداب بالجامعة، انضم إلى جمعيّة الكشافة الإسلاميّة الجزائريّة سنة 1940م كسكرتير اللّجنة المديرة، وبعد إعدام مُحَمَّد بوراس نفي إلى مرسيليا، ليعود إلى الجزائر سنة 1941م حيث درس بثانويّة

[1]- مقابلة مسجلة بين (أحميدة ميموني و خميلي إبراهيم)، تحصلنا عليها من خميلي إبراهيم. أنظر أيضا: إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص150-151.

[2]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص110.

سكيكدة، عيّن قائدًا عامًا للكشافة الإسلاميّة الجزائريّة، وفي سنة 1947م أصبح رئيسًا وقائدًا عامًا لفتيان الكشافة الإسلاميّة الجزائريّة (BSMA)، انظم إلى جبهة التحرير الوطني سنة 1955م فأصبح عضوًا في شبكة الإعلام، ألقي عليه القبض وحكم عليه بعشرين سنة سجنًا، بعد الاستقلال شارك في مؤتمر الوحدة الكشفيّة في سبتمبر 1962م، تقلد عدّة مناصب حتى وفاته في 07 جانفي 1977م.[1]

4/ **عبد المالك بوعامر**: من مواليد 1920م، يعد من الأوائل الذين وضعوا اللبنات الأولى للعمل الكشفي بمدينة الأغواط رفقة زملائه، فكان الكاتب العام لفوج الرجاء الكشفي، ساهم عبد المالك في تقديم العديد من الخدمات للحركة الكشفيّة منذ تأسيسهـا، كما شارك في العديد من النشاطات

الفوج، وعند اندلاع الثورة التحريريّة شارك في خدمتها بكل ما يملك، توفي سنـة 1990م بعد أن أصيب بمرض تسبب في شلله.[2]

5/ **عبد المالك شهرة**: من مواليد حوالي 1912م بمدينة الأغواط، درس المرحلة الابتدائية بمدينة غرداية، يعدّ من بين المؤسسين الأوائل لفوج الرجاء، فكان من الأعضاء الفاعلين الذين نشطوا في السرّ إلى غاية حصول الفوج على الاعتماد الرسمي سنة 1939م، شارك في العديد من النشاطات و المخيمات التي قام بها فوج الرجاء، وقد واصل نشاطه الكشفي إلى غاية قيام الثورة التحريريّة، فبعد أن أغلق مقر فوج الرجاء من طرف السلطات الفرنسيّة، توجه إلى خدمة الثورة التحريريّة عن طريق دعوة الأعضاء المنخرطين في فوج الرجاء إلى الالتحاق بالثورة التحريريّة بالمنطقة، توفي في حادث مرور.[3]

6/ **مُحَمَّد العمري**: يعد من بين المؤسسين الأوائل لفوج الرجاء الكشفي بمدينة الأغواط، فقد شارك رفقة زملائه أمثال ميموني هدروڤ و عبد المالك بوعامر ...إلخ في تفعيل نشاطات الفوج، وقد عيّن منذ سنة 1939م أول مرشد ديني لفوج الرجاء، فقد تكفل بتوعيّة الشباب الكشافة من خلال

[1]- أبو عمران الشيخ و مُحَمَّد جيجلي، ص 424، 425. إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص152.

[2]- تحصلنا على هذه المعلومات من أرشيف رضا بوعامر.

[3]- تم التعريف به في الفصل السابق.

محاضراته الدينيّة التي كان يلقيها في كل أمسيّة، وبعد صلاة الجمعة، كما شارك مُحَّد العمري في المخيمات التي كان يقيمها الفوج.

7/ **أحمد بن أبي قصيبة:** من مواليد 1919م بمدينة الأغواط، تتلمذ على يد سعيد الزاهري و مبارك الميلي، ثمّ أرسل إلى جامع الزيتونة سنة 1931مفي بعثة الجمعيّة الخيريّة الإسلاميّة، أكمل تعليمه هناك حتى تخرج سنة 1937م، وبعد عودته إلى الأغواط شارك في تأسيس فوج الرجاء بنادي الأدب،[1] وأصبح المرشد المحلي للفوج، وقد شارك الشيخ أحمد بن أبي قصيبة في مؤتمر الكشافة العام الذي عقد بالحراش سنة 1939م،[2] وفي سنة 1946م أنتخب كاتبًا مركزيًا لجمعيّة العلماء المسلمين بالجزائر، وبقي يلقي بها دروس الوعظ و الإرشاد، كما عمل محررًا بجريدة البصائر، وعند اندلا ع الثورة التحريريّة انضم إليها رفقة بعض زملائه، وبعد الاستقلال عيّن مفتشًا جوهريًا للأوقاف، كما تقلد عدّة مناصب، توفي في 04 جوان 1994.[3]

8/ **حسين الزاهية:** من مواليد 1917م بالأغواط، التحق بكتاتيب مدينة الأغواط لإتمام حفظه للقرآن الكريم، كما درس اللغة الفرنسيّة بمدرسة الأهالي ، قام والده بإرساله إلى الهامل ببوسعادة حيث توجد الزاوية القاسميّة من أجل إكمال دراسة القرآن و الفقه، بعدها انخرط في جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين فأصبح أحد شيوخها، شارك في تأسيس مدرسة التربية والتعليم بالأغواط وأصبح من مدرسيها، كما يعدّ حسين زاهية من الأوائل المؤسسين للحركة الكشفيّة بالأغواط، وعمل مرشدًا دينيًا بها، كما انخرط في صفوف الحركة الوطنيّة و نشط في حزب الشعب و الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وقد انظم إلى صفوف الثورة التحريرية بالأغواط، فألقي عليه القبض في 15 أوت 1958م، ثمّ فرضت عليه الإقامة الجبريّة ببشار حتى الاستقلال، ليعود إلى ميدان التعليم، ثمّ أصبح مديرًا لمدرسة (أحمد الشطة)، توفي يوم 06 أوت 1981م بالأغواط.[4]

---

[1]- بلمبارك، مرجع سابق، ص39.

[2]- مُحَّد زبدة، مرجع سابق، ص170-171.

[3]- بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص39. وقد تم التعريف به في الفصل السابق

[4]- نفســـه، ص27. أنظر تعريفه في مبحث أعلام الإصلاح في الفصل الخامس.

9/**عبد القادر مشتح**: من مواليد1897م بالأغواط، تلقى تعليمه الأول بالكتاتيب القرآنيّة، ثمّ التحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسيّة، انقطع عن الدراسـة، وتوجه إلى التجارة بالكتب، وبدأ يتنقل إلى شمال البلاد وغربها وحت خارجها لجلب الكتب، كما اشتغل مراسلاً لبعض الصحف العربيّة والفرنسيّة، وقد كان عبد القادر مشتح قائدًا على الأشبال في الكشافة بمدينة الأغواط، كما اهتم بالرياضة فكان حارس مرمى لفريق الهلال الأغواطي، توفي سنة 1974م.[1]

10/**علال مخنـث**: ولد يوم 24 ديسمبر 1920م بالأغواط، انخرط بصفوف فوج الرجاء وقد كان عمـره آنذاك 20سنة، وقد رقي علال مخنث بعد فترة إلى رتبة قائد، وقد ساعد على ارتقاء فوج الرجاء الذي لقي شهرة في تلك الفترة عبر أنحاء الوطن، فقد كان علال مخنث القائد المثالي الذي اقتدى به الشباب الكشفي، إذ شارك في العديد من الأنشطة و المخيمات الكشفيّة التي قام بها الفوج إلى غاية أن تمّ غلق الفوج من طرف السلطات الفرنسيّة، لذلك توجه علال مخنث إلى دعوة الكشافين إلى تقديم المساعدات الماديّة و المعنويّة إلى الثورة التحريريّة، كما ساعدهم على الالتحاق بالثوار رفقة كريريش عيسى، وبعد استرجاع السيادة الوطنيّة تقلد عدّة وظائف متنوعة.[2]

11/**مُحَمَّد عبد العزيـز**: ولد في 17 نوفمبر 1920م، درس بالمدرسة الابتدائية بغرداية، والمرحلة الإكماليّة بالأغواط، ثمّ التحق بمعهد بوفاريك، تشبع بالروح الوطنيّة من خلال التحاقه بالحركة الكشفيّة بمدينة الأغواط، حيث تعلم من خلال الكثير من النشاطات و الأناشيد الوطنيّة، التحق بحزب الشعب الجزائري، وقد انسحب من الكشافة للتركيز على العمل السياسي والثوري، حيث أعتقل في 14 ديسمبر 1954م، ، أفرج عنه بعد مظاهرات 11 ديسمبر 1961م، عمل بعد الاستقلال في الديوان الوطني للإصلاح الزراعي، ليتقلد بعدها عدّة مناصب، توفي سنة 2008م.[3]

---

[1]- مداني لبتر، **مرجع سابق**، ص 122.

[2]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مصدر سابق، ص161 وما بعدها.

[3]- مصلحة البحوث والتوثيق، **دور الكشافة الاسلامية الجزائرية في الحركة الوطنية والثورة التحريرية**، الكشافة الاسلامية الجزائرية: دراسات وبحوث الندوة الوطنية الأولى حول تاريخ الكشافة الجزائرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 1999، ص45.

12/**عطاالله بلمبتوت**: ولد سنة 1901م بمدينة الأغواط، عرف باهتمامه بالقضايا الوطنيّة و الإصلاح الديني و الاجتماعي إذ تشبع منه الشباب الأغواطي بالأفكار الإصلاحيّة التي كانت تنشرها جمعيّة العلماء المسلمين، وقد كان من المساهمين في تأسيس نادي الأدب، كما ساهم في بناء مدرسة التربيّة و التعليم سنة 1948م، وكان من المشجعين للكشافة الإسلاميّة الجزائريّة بالأغواط فقد انخرط في صفوفها، كما انخرط في العمل السياسي، فكان يتابع الأحداث السياسيّة المحليّة و الوطنيّة و العالميّة، وفي سنة 1948م هبّ لنجدة الفلسطينيين حيث قام بجمع الأسلحة و المؤونة وجهز قافلة سار بها متجها إلى فلسطين لكن عندما وصل إلى ليبيا منع من مواصلة رحلته، وعندما اندلعت الثورة التحريريّة انضم إليها، استشهد بلمبتوت سنة 1958م.[1]

13/ **جودي بلقـاسم**: ولد سنة 1927م بمدينة الأغواط، ينتمي إلى عائلة متواضعة، بدأ نشاطه مع الحركة الكشفيّة بمدينة الأغواط و عمره 12 سنة، حيث انضم إليها كشبل، وبعد مدّة أصبح قائدًا على الأشبال حيث قام بتدريبهم تدريب عسكري مرفوق بتدريب بدني، كذلك عرف جودي بلقاسم بحبه للمسرح، فقد كان عضو في المسرح حيث عرف بصوته العذب، كما التحق بنادي الهلال الأغواطي في جوان 1949م، ظلّ يلعب فيه حتى أواخر سنة 1955م، ليلتحق بالنشاط الثوري فأصبح عضو في المنظمة السريّة بمدينة الأغواط، وفي سنة 1956م غادر الأغواط متجها إلى (بريان) في مدينة غرداية، حيث بقي بها سنتين، وبعد عودته إلى المدينة استمر في نشاطه مع ابن خالته الصادق طالبي في صناعة المتفجرات إلى أن أعتقل، أستشهد في جوان 1958م.[2]

14/**عبد القـادر نـوار**: ولد في 28 أوت 1933م بمدينة الأغواط، درس الابتدائية بالمدرسة الفرنسيّة (حبيب شهرة حاليًا)، عند الأستاذ حبيب شهرة و الأستاذ السوفي مُحَمَّد و الحاج علمي وآخرون، التحق بصفوف الكشافة الإسلاميّة الجزائريّة بمدينة الأغواط في سنة 1943م كشبل حيث كان عمره 10 سنوات، عرف بحبه للرياضة و المسرح، فقد كان ينشط ضمن الفرقة المسرحيّة، كما

[1]- دون مؤلف، **حياة شهيد عطاالله بلمتوت أول مجاهد من مدينة الأغواط يلتحق بالثورة**، مجلة شعاع نوفمبر، العدد 11، (د.ت)، ص08.

[2]- سجل أعضاء جيش التحرير الوطني و المنظمة المدنيّة لجبهة التحرير الوطني حررت بتاريخ 2015/07/28

التحق بفريق الهلال الأغواطي، و قد كانت له إسهامات في الثورة التحريريّة، فقد ألقي عليه القبض سنة 1956م بسبب نشاطه الوطني المعادي للسياسة الفرنسيّة لأنّه كان يعمل على تعبئة الشباب الأغواطي قبل أشهر من اندلاع الثورة التحريريّة، فبقي بسجن البرواغية إلى غاية سنة 1958م، ويعدّ من المؤسسين الأوائل للفرقة النحاسيّة فقد شارك رفقة زملائه في احتفالات عيد الاستقلال.[1]

15/**بلقـــاسم خميـــلي**: من مواليد 17 جانفي 1932م بالأغواط، والده عبد القادر خميلي، بدأ تعليمه الأول بالكتاتيب القرآنيّة، ثمّ التحق بالمدرسة الفرنسيّة، ثمّ بمدرسة التربيّة و التعليم عندما فتحت أبوابها سنة 1948م، حيث درس عن الحاج عيسى أبو بكر و كزواي عطاالله وأحمد شطة، التحق بصفوف الحركة الكشفيّة في الأربعينات كشبل، حيث كان قائده علال مخنث و البشير المشوي ومُحَّد ريان، وعند قيام الثورة التحريريّة التحق بصفوفها سنة 1956م، ألقي عليه القبض سنة 1959م وهو في مهمة كلف بها من طرف جيش التحرير، لكن ألقي سراحه بعد أن تبين للسلطات الفرنسيّة أنّ هناك خطأ في اللقب.[2]

16/**أحمد نوار**: من مواليد 1936م بالأغواط، التحق بصفوف الحركة الكشفيّة بالأغواط في الأربعينات، درس بمدرسة التربيّة و التعليم فكان تلميذا بها إلى غاية سنة 1948م، انتقل بعدها إلى معهد الشيخ عبد الحميد ابن باديس بقسنطينة، ثمّ انتقل إلى القاهرة ليدرس بجامع الأزهر الشريف سنة 1954م، ثمّ التحق بصفوف الثورة التحريريّة حيث أرسل إلى العراق من أجل التدريب العسكري، وعند عودته شارك في عدّة معارك رفقة جيش التحرير، أستشهد بمعركة قرب الحدود التونسيّة بولاية سوق هراس سنة 1958م.

17/ **بولفعة ساسي**: يدعى باسمه الثوري (سي حميد رمضان) من مواليد 17 أكتوبر 1935م بآفلو، والده مُحَّد ساسي، وسمي بولفعة لأنّ والده قال عن يوم ولادة ابنه بولفعة: ((حسبتها نقمة لكنه كان نعمة، فأسميته بولفعة على الوالي الصالح سي بولفعة))، انخرط بصفوف الكشافة بمدينة الأغواط في الأربعينات، حيث انضم إليها كشبل، ثمّ انخرط بصفوف حزب الشعب، وفي الخمسينات

[1]- علالي، مرجع سابق، ص143.

[2]- مقابلة شخصيّة مع بلقاسم خميلي بمنزله، يوم الإثنين، 02 نوفمبر 2015، على الساعة 08:30 إلى غاية 11:13.

انضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني، حيث يعدّ أول من جلب بيان أول نوفمبر إلى مدينة الأغواط في جوان 1954م أي خمسة أشهر قبل إعلان عن اندلاع الثورة التحريريّة، تعرض إلى الاعتقال سنة 1957م، فسجن بسجن سركاجي، ثمّ نقل إلى معتقل عين وسارة إلى غاية سنة 1962م حيث أطلق سراحه.[1]

18/**علي خميلي**: من مواليد 1941م، انضم إلى الحركة الكشفيّة كشبل، درس بالمدرسة الفرنسيّة، ثمّ التحق بمدرسة التربيّة و التعليم سنة 1948م، وفي سنة 1958م توجه إلى تعلم حرفة الميكانيك في غرداية، حيث بقي بها ستة أشهر، انضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني في شهر فيفري 1958م، شارك في بعض العمليات التي قام بها جيش التحرير، أستشهد في إحدى العمليات في 16 مارس 1961م قرب جبال متليلي بعد أن قامت الطائرات الفرنسيّة بقصف المنطقة.[2]

19/**مبروك زقنيني**: من مواليد 1937م بالأغواط، درس بالمدرسة الفرنسيّة منذ سنة 1947م إلى غاية سنة 1952م، ثمّ التحق بمدرسة التربيّة و التعليم حيث درس بها إلى غاية سنة 1956م، فقد درس عند أبو بكر الحاج عيسى و أحمد شطة ...إلخ، انخرط بصفوف الحركة الكشفيّة بالأغواط سنة 1948م، انخرط بها كشبل حيث كان عمره 13 سنة، وبعد غلق مقر الفوج من طرف السلطات الفرنسيّة توجه إلى دعم الثورة التحريريّة، وبعد توقيف إطلاق النار في 19 مارس 1962م شارك في إعادة إحياء الفوج من جديد، كما شارك في تنظيم احتفالات عيد الاستقلال.[3]

20/**بشير هبـول**: من مواليد 04 ماي 1942م بالأغواط، والده يدعى سعد هبول، درس في الكتاتيب، ثمّ في مدرسة التربيّة و التعليم، انخرط في صفوف الحركة الكشفيّة سنة 1948م كشبل، حيث كان عمره 08 سنوات، كان قائده علال مخنث، ساهم في خدمة الثورة التحريريّة، كما ساهم في تنظيم فوج الرجاء بعد وقف إطلاق النار مارس 1962م.[4]

[1]- نسخة من سجل أعضاء جبهة التحرير الوطني و المنظمة المدنيّة لجبهة التحرير الوطني، حررت بتاريخ 12 ماي 2008.

[2]- مقابلة شخصيّة مع بلقاسم خميلي.

[3]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص 119.

[4]- المرجع نفسه، ص 130

21/ **سعد علالي:** من مواليد 1944م بالأغواط انظم إلى صفوف الكشافة الفرنسيّة للآباء البيض بعد أن أقبلت السلطات الفرنسيّة على توقيف نشاط فوج الرجاء الكشفي بمدينة الأغواط، بقي ينشط بها منذ سنة 1957م إلى غاية سنة 1962م، وبعد استرجاع السيادة الوطنيّة انظم إلى صفوف فوج الأمل بالأغواط، حيث شارك في احتفالات عيد الاستقلال، [1] كما يمكن أن نذكر كريريش عيسى وغيره. [2]

ثالثا: نشاطات الحركة الكشفيّة بمدينة الأغواط:

تعتبر الكشافة مؤسسة تكون الأجيال من الناحية النفسية والاجتماعية والتربوية فهي تكمل المدرسة والبيت ولا تحل محلها، ومن بين النشاطات التي كانت تقوم بها الكشافة تقديم حصص مسائية لمنخرطيها تبدأ من الساعة السادسة مساءا إلى غاية الساعة التاسعة مساءا، وكانت الدروس مختلفة في مجال التربية الإسلامية، التاريخ الإسلامي، السيرة النبوية واللغة العربية (تعلم الجمل، المفردات وقواعد نحوية، علوم، تاريخ وجغرافيا، صرف ونحو) أضافة إلى بعض القواعد الأساسية تدرس ورحلات إلى الطبيعة والجبال كل ذلك لأجل تدريب الشباب على الاعتماد على النفس.[3]

تعددت أنشطة الحركة الكشفيّة الإسلاميّة بالأغواط، فقد نظمت العديد من المخيمات محليا (بمدينة الأغواط) ووطنيًا (في مدن الجزائر) و كذلك دوليًا، وذلك من أجل تكوين الشباب والاطلاع على كل ما هو جديد إضافة إلى اكتساب الخبرة من خلال القاءات الخارجيّة مع الأفواج الأخرى.

فمن بين النشاطات التي قام بها فوج الرجاء بالأغواط هو تنظيم أول مخيم محلي والذي أقيم في منطقة رأس العيون (قنطرة وادي مزي حاليًا)، وكان ذلك في الفترة التي سبقت حصول الفوج على

[1]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص 130-131.

[2]- للمزيد حول أعضاء الكشافة الاسلامية بالأغواط يرجى العودة إلى المؤلف الوحيد حول الكشافة الأغواطية للأستاذ إبراهيم خميلي تاريخ نشأة الكشافة بالأغواط، كما أن له مؤلفا آخر حول الكشافة الاسلامية بغرداية، وهو أحد الكشافة المنضوين تحت لواء فوج الرجاء مع عدد من إخوتة.

[3]- علالي، مرجع سابق، ص144.

الإعتماد أي قبل سنة 1939م، وذلك في إطار النشاطات السريّة للفوج ،[1] أما أول مخيم رسمي كان سنة 1940 حضره جميع أفراد الكشافة على ضفاف واد مزي.[2]

وفي سنة 1939 شارك فوج الرجاء في أول مخيم وطني للكشافة الإسلاميّة الجزائريّة، الذي نظم في إطار تكوين جامعة للكشافة الإسلاميّة الجزائريّة، وقد كان ذلك من 27 إلى29جويليةبـ (الحراش) في الجزائر العاصمة، حيث تمّ فيه تكوين لجنة مؤقتة، وكذلك رؤساء شرفيين وأعضاء مستشارون عن كشافة الجزائر،[3] وقد حضر هذا المخيم الفدرالي عبد القادر ميموني وحبيب شهرة كممثلين لفوج الرجاء بالأغواط ، [4]كما استدعت جامعة الكشافة الإسلاميّة الجزائريّة جميع الفروع والجمعيات الكشفيّة القائمة بمختلف المدن الجزائرية لعقد مؤتمرها الكشفي، وذلك لتوحيد البرامج والأعمال حتى تكون الكشافة الإسلاميّة الجزائريّة كلها على اختلاف هيئاتها وأسمائها كتلة واحدة، تسير على منهج ونظام واحد، [5] ووضع في هذا اللقاء قوانين جديدة، كما تمّ فيه اختيار تسميّة للفدراليّة، و تمّ أيضًا انتخاب مكتب يمثل المجلس الإداري للفدراليّة. [6]

وقد قال في هذا الصدد مرشد فوج الأغواط أحمد قصيبة أن من بين الذكريات التي بقيت عالقة في ذهنه عن مؤتمر الكشافة العام الذي عقد بالحراش سنة1939م أنّه كان مؤتمراً مشهودا يقام فيه الآذان وتقام فيه الصلاة، كما كان يرفع به علم الكشافة الإسلاميّة الجزائريّة بنجمته الخماسيّة، كما حضره

[1]– مقابلة مسجلة بين قويدر بوعامر وإبرهيم خميلي. إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة..**، مصدر سابق، ص116.

[2]– إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة..**، مصدر سابق، ص135.

[3] - Mohamed Derouchei, Op.cit, p48.

[4]– مقابلة شخصية مع إبراهيم خميلي، المصدر السابق. مخبر، **جامعة الكشافة الاسلامية الجزائرية**، مجلة البصائر، س4، ع 169، 09 جوان 1939م، ص 2-3. علالي، مرجع سابق، ص144.

[5]– الأغواطي (أبوبكر الحاج عيسى)، **المؤتمر الكشافي الجزائري العظيم**، جريدة البصائر، س4، ع169، 11 أوت 1939، ص5.

[6]– المصدر نفسه والصفحة نفسها.مصلحة البحوث والتوثيق، مرجع سابق، ص32.

وفد من تونس، وقد مثل فيه الفنان محيي الدين إحدى مسرحياته باشتارزي، وخطب فيه الشيخ العقبي والشيخ بن باديس.[1]

شارك فوج الرجاء في المؤتمر الكشفي الذي عقد بسطيف سنة 1941 وقد حضرته جميع أفواج الكشافة المعتمدة من طرف الإدارة الاستعمارية وقد مثل فوج الأغواط كل من : عبد القادر مشتح وقورين بلقاسم ومُحَمَّد العمري، وكان جدول أعمال المؤتمر هو توحيد برامج ومناهج الكشافة الجزائرية وتنسيق الأعمال بين الأفواج الكشفية عبر الوطن.[2]

كما شارك فوج الرجاء في مخيم تلمسان سنة 1944م، حيث يروي القائد بشير المشوي: " في سنة 1944م ذهبنا إلى تلمسان من أجل المشاركة في المخيم الذي أقيم هناك، وقد حضر هذا المخيم 400 إطار من مختلف أفواج الكشافة ، كما حضر الطاهر التجيني المحافظ العام للكشافة الإسلاميّة الجزائريّة رفقة نوابه منهم صادق الفول، وقد زارنا في هذا المخيم الشيخ البشير الإبراهيمي الذي ألقى خطابًا أمام جمع الكشافة...". [3]

وفي سنة 1948مشارك فوج الرجاء في المخيم الذي أقيم بـ ڤوراية في مدينة الشلف، وقد أقيم هذا المخيم للتعرف على مناطق البلاد والتدرّب على دروب المناطق الجبليّة وتبادل الزيارات بين الأفواج الكشفيّة هذا ما يسمح لهم بمعرفة النقص في كل فوج وسدّه وتطوير مهارات الكشاف، وفي صيف سنة 1950 م شارك فوج الرجاء في المخيم الذي نشط بمليانة وحضرته عدة أفواج كشفية على المستوى الوطني ودام 15 يوما نظمت خلالها نشاطات متنوعة ومسابقات نجح فوج الرجاء من خلالها في حيازة المرتبة الثانية. [4]

---

[1]- الأغواطي (أبوبكر الحاج عيسى)، **المؤتمر** ..، مصدر سابق، ص 5-6. مُحَمَّد زبدة، مرجع سابق، ص171. مصلحة البحوث والتوثيق، مرجع سابق، ص33. أبو عمران الشيخ ومُحَمَّد جيجلي، مصدر سابق، ص17.

[2]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة**..، مصدر سابق، ص140-141.

[3]- بشير بديار وآخرون ، **التاريخ الرياضي** ...، مرجع سابق، ص50- 51. أبو عرمان الشيخ ومُحَمَّد جيجلي، مصدر سابق، ص128.

[4]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة**..، مصدر سابق، ص173-175.

كما أنّه نظم فوج الرجاء في صيف سنة 1953م مخيما محليا بمنطقة آفلو، شارك فيه أكثر من 55 كشافا حيث قاموا فيه بنشاطات متعدّدة، تعدّ بمثابة دروس تطبيقيّة لما اكتسبوه من المخيمات الوطنيّة، ولما تلقوه من دروس داخل المقر، إذ قام هذا المخيم على نظام وترتيب محكم، و قبل الخروج للمخيم أرسلوا شخصين من أجل البحث عن مكان مناسب للتخييم ، ويبدأ المخيم بتحيّة الكشاف، وبعض التمارين الرياضيّة الصباحية، كما تدربوا على بعض الإشارات كالسيمافورم والمورس التي تعد من الوسائل المحببة والمشوقة للفتيان، كما كانت تقام سهرات ليليّة، لم يكن الهدف منها الترفيه فقط بل كانت تهدف إلى تكوين شخصيّة الكشافين وتنميّة الثقة بأنفسهم، كذلك هي فرصة لمعالجة بعض الظواهر التي تظهر عند بعض الكشافين مثل الخجل ...والتي تزول بمجرد مشاركتهم في تنشيط السهرات، كما تعلموا في هذا المخيم الطهي في الخلاء بالقليل من الأدوات والمعدات، والتعرف على أماكن تواجد المياه العذبة إضافة إلى ذلك تعلموا أنواع العقد وكانوا يتدربون على تقوية التركيز فمثلاً القائد علال مخنث كان يضع لهم العديد من الأشياء المختلفة على طاولة ثمّ يطلب منهم النظر بتمعن ثمّ يأمرهم بالالتفاف إلى الخلف ويسألهم كم عدد الأشياء التي كانت موضوعة على الطاولة؟، وماهي ألوانها؟ ...، وقد تداولوا على حراسة المخيم في كل ليلة، كما كانوا مكلفين بصنع الأشغال اليدويّة مثل الطاولات ويتعلمون الصيد ويتدربون على كيفية تقديم الإسعافات الأولية [1]

كما شارك فوج الرجاء في المخيم الذي أقيم في حوالي سنة 1954م بالحراش في الجزائر العاصمة حيث يروي مبروك زقنيني تفاصيل هذا المخيم، فذكر أنّه في هذا المخيم التقى فوج الرجاء بكشافة الجزائر وكذلك كشافة معسكر وسطيف، وقد دام هذا المخيم حوالي تسعة أو عشرة أيام حيث شهد هذا المخيم تنظيما محكما وصرامة من طرف القادة، قابلها أفراد الأفواج الطاعة من قبلهم ، وقد كانوا في قمة المسؤولية وذلك من خلال إنجاز الأعمال التي أسندت لهم على أكمل وجه، كما كانت هناك منافسة بين الأفواج، وقد كان من ضمن الشخصيات التي حضرت هذا المخيم "الشيخ أبو عمران"

[1] – إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة**..، مصدر سابق، ص177.

الذي ترأس الشؤون الدينيّة بالجزائر بعد الاستقلال، كما ذكر أنّه في نفس السنة، شارك فوج الرجاء في المخيم الذي أقيم بالشارف في مدينة الجلفة.[1]

وقد كان آخر مخيم وطني شارك فيه فوج الرجاء هو المخيم الذي نظم في أوت 1955 بمدينة تيارت حيث تولى قيادته علال مخنث، وكان من بين المشاركين فيه عيسى كريريش- بلقاسم خميلي – سنوسي الجيلالي – علي عزوز- خميلي علي- أحمد نوار- قدور موتح- جودي بلقاسم...إلخ، إلاّ أنّ هذا المخيم تمّ إيقافه من طرف المعمر الفرنسي "ڤاني بير" (Gani Baire)،ويعود سبب ذلك إلى أنّ مكان تخييم الفوج كان بمحاذاة مزرعة هذا المعمر الفرنسي، لذلك أقدمت مصالح السلطات الفرنسية على طرد أفراد الفوج وتفريق المخيم، وقد دام هذا المخيم 14 يوما وشهد نشاطات مكثفة ومتنوعة، لعل أهمها التربية الدينية والوطنية التي عمل المرشدون على غرسها في نفوس الكشافين الحاضرين، وذلك بسرد قصص غزوات النبي ﷺ والفتوحات، وغرس فكرة حب الوطن مع الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فقد كان المرشدان السيد بلحاج البشير والشيخ زاهية الحسين يتناوبان في تقديم الإرشادات الدينية للفوج وتقديم النصائح والدروس الشفوية والكتابية، وكانت لهما رزنامة عمل دقيقة في كيفية تدريس المواد المسطرة وفق المناهج والبرامج المسطرة من طرف قادة الفوج، وكان كل مرشد يعطي الشروحات والتفسيرات والتأويلات بإسهاب، وفي بعض الأحيان يقدمان دروسا لعلاج بعض المشاكل التي وقعت في الأسبوع خاصة التي تحدث في المدينة لمعالجتها في أسلوب شيق وممتع وجذاب.

وكان اهتمام المرشدين كبيرا في تفقيه أفراد الفوج في دينهم، ومعالجة المواضيع الاجتماعية في إطار الشريعة الإسلامية، ولعل ما يلفت الانتباه أنهم يركزون على المسائل الفقهية كثيرا، ويتطرقون دائما إلى سيرة النبي مُحَمَّد – صل الله عليه وسلم – وإلى سيرة الصحابة والتابعين – رضوان الله تعالى عليهم – ويتعرضون إلى الأحداث العظمى في عهد النبي – ﷺ – وفي عهد الصحابة مثل غزوة بدر وغزوة أحد وغزوة الأحزاب، وفي عهد الصحابة والغزوات الكبرى. ويتعرضون كذلك بإيجاز إلى حب الوطن

[1]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة**..، مصدر سابق، ص 179.

وواجب كل فرد فيه أن يدافع على وطنه ويحرره من المحتلين، ويستشهدون دائما بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الفقهاء. [1].

إضافة إلى هاته النشاطات المحليّة والوطنيّة التي شارك فيها فوج الرجاء، نجد أنّ الفوج تعدى ذلك إلى المشاركة في النشاطات العالميّة، فقد شارك عزوز علي من فوج الرجاء في الجمبوري (المؤتمر العالمي للكشافة) الذي دعى إليه بادن باول، وقد كان حضور علي عزوز في هذا المؤتمر بأمر من مُحَمَّد بوراس وذلك من أجل تمثيل الكشافة الجزائريّة في هذا التجمع العالمي. [2]

كما تحسب لفوج الرجاء نشاطات أخرى تمثلت في إحياء الحفلات التي يحتفل بها سكان الأغواط خاصة منها الحفلات الدينيّة ، حيث كان الكشافة ينظمون بهذه المناسبات أنشطة ثقافيّة تمثلت في تمثيليات مسرحيّة، التي تعددت مضامينها وأهدافها، فقد كان من بين الشخصيات الكشفيّة التي شاركت في المسرح جودي بلقاسم عبد القدر نوار، علي خميلي وحنيفة طاهر الذي كان بارعا في تقليد الأصوات،[3] كما كان أعضاء الفوج يحيون المناسبات بأناشيد دينيّة ووطنية تثير فيهم الروح الوطنيّة وروح التضامن الإسلامي، بالإضافة إلى ذلك فقد كان كل من المرشد أحمد قصيبة وحسين الزاهية ينشطون هذه المناسبات بإلقاء محاضرات ودروس دينيّة [4] ، كما كان لفوج الرجاء نشاطات خيريّة تمثلت في إشرافهم على جمع التبرعات من المواطنين للاستفادة منها في مشاريع خيريّة مثل إشراف الكثير من أعضاء فوج الرجاء على جمع التبرعات من المواطنين وذلك لبناء مدرسة بمدينة الأغواط، فقد سعى أحمد الشطة رفقة بعض زملائه من أجل الحصول على قطعة أرض لبناء المدرسة فاتصل هؤلاء بالمدعو (الحاج يحي فرحات) وألحوا عليه بضرورة التبرع بجزء من أرضه، فوافق على ذلك شرط أن يكون بجانبها مسجد، وقد كان ذلك سنة 1945م، ثمّ عقد تجمع للتعريف بأهميّة المشروع وجمع التبرعات، وقد شكل لذلك مكتب تحت إشراف أحمد الشطة وأسندت رئاسة المال للكشاف (عبد المالك شهرة)، وقد شارك أعضاء فوج الرجاء في حفل وضع أساس المدرسة في 08 ماي

[1]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة..**، مصدر سابق، ص180-181.

[2]- مقابلة مسجلة بين قويدر بوعامر وخميلي إبراهيم.

[3]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة..**، مصدر سابق، ص133-134.

[4]- مداني لبتر، مرجع سابق، ص106، 107.

1945م نذكر منهم: عبد القدر نوار والساسي بولفعة وحسين الزاهية وأحمد قصيبة... ،وقد فتحت المدرسة أبوابها سنة 1948منحت اسم "مدرسة التربيّة والتعليم" وتعد هذه المدرسة من أوائل المدارس التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين في القطر الجزائري [1] .

ولم تقتصر نشاطات فوج الرجاء عند هذا الحّد بل تجاوزته أيضا إلى النشاط الرياضي مثل تأسيس عبد المالك بوعامر لفريــق رياضي لكرة القدم سنة 1949م، وقد سمّي بالاتحاد الرياضي الأغواطي(USL) ، كما قام أحمد بن سالم [2] بإنشاء فريق لكرة القدم سنة 1949م أطلق عليه اسم الهلال، وكان يضمّ عدد كبير من الكشافة، وقد كان هذا الفريق منافسًا للفريق الفرنسي وأداة لاستقطاب الأنصار والشباب وتوطيد صمودهم في وجه الاستعمار. [3]

ونظرًا للنتائج الطيّبة التي حققها فوج الرجاء بمدينة الأغواط، واكتسابه مكانة مرموقة بين باقي أفواج الجزائر، هذا ما جعله يحظى بزيارة العديد من الشخصيات الكشفيّة والسياسيّة، فقد قام السيد بوسعيد وهو من فوج الفلاح بزيارة لفوج الرجاء في الأيام الأولى لمحاولات التأسيس حيث جاء مبعوثا من مُحَّد بوراس عندما سمع بمحاولة الأغواطيين إنشاء فوج للكشافة، فجاء بوسعيد للاطلاع على هذا الفوج ولعرض المساعدة الممكنة.[4]

بينما قام مُحَّد بوراس في 23 جانفي 1940م ونائبه عمر لاغا بزيارة الفوج، وبقيا في الأغواط مدة أسبوع وقد لعجب القائدان بمدى التنظيم والانضباط الذي كان عليه فوج الرجاء حيث حضر الكثير من نشاطاته واحتفالاته وأبدى إعجابه بهذا الفوج ووجه لهم الدعوة لعرض بعض نشاطاتهم في

[1]- الأخضر بلمبارك، مرجع سابق، ص08.

[2]- **مُحَّد بن سالم**:ولد سنة 1904م، له عدة مقالات في جريدة الجزائر الجمهوريّة، إنظم إلى الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وقد كانت له عدّة أنشطة ثقافيّة ورياضيّة مثل تأسيسه لنادي الهلال 1949م، شارك في الثورة التحريريّة حيث ترأس اللجنّة الثوريّة بالأغواط، ألقي القبض عليه سنة 1957م، وأفرج عنه سنة 1959م، توفي في أفريل 1985م. أنظر: مداني لبتر، **مرجع سابق**، ص140، 141.

[3]- حرزالله الشارف، مرجع سابق، ص22.

[4]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة**..، مصدر سابق، ص115-116.

العاصمة،[1] وعلى إثر هذه الزيارة أنشأت أفواج أخرى حملت أسماء مختلفة كالنصر والفتح بالأغواط، إلا أنّ هاته الأفواج لم تدم طويلاً[2].

وقد حضي الفوج أيضاً بزيارة عبد القادر بوراس أخ مُحَمَّد بوراس سنة 1941، وقد جالس أبو بكر الحاج عيسى وأحمد الشطة، وقد تلقى بالأغواط نبأ إلقاء القبض على أخيه مُحَمَّد بوراس[3].

وبمناسبة زيارة مصالي الحاج سنة 1948م لمدينة الأغواط وكذلك زيارة السيد قدور الفار الذي كان يرافقه، والذي كان من مؤسسي نجم شمال إفريقيا وعضو اللجنة المركزية ، قاما السيدان بزيارة فوج الرجاء، وقد اجتمعا بقادة الفوج وعلى رأسهم قائد الفوج ميموني هدروق، وقد أعجب الضيفان بمنهجية العمل في الفوج وباركا آمال وطموحات أعضاء الفوج مستقبلا، وقد ركز السيد مصالي الحاج في كلمته بقادة الفوج: " .... آن على الجزائريين من الآن أن يتوحدوا ويوحدوا كلمتهم، ويركزوا على النضال السياسي أولا قبل كل شيء آخر، فبتوحيد الكلمة وتوحيد المطلب، فلابد أننا نحقق شيئا ما ...." وشجع القائد مصالي الحاج القائد هدروق على العمل المتواصل والدائم وحب الوطن والوطنية والعمل على النضال السياسي وإبعاد الفوج عن المعارك السياسية العلنية، وبأن يعملوا في صمت وهدوء تام.[4]

وقد حظيت مدرسة التربية والتعليم بالأغواط بزيارة الشيخ البشير الإبراهيمي يوم 22 جوان 1949م ، الذي أشرف على تدشينها وقد حظي الشيخ باستقبال كبير من طرف سكان الأغواط وتلاميذ المدرسة وشيوخها، وكان فوج الرجاء ضمن الوفود المستقبلة للشيخ البشير الإبراهيمي. ونظم فوج الرجاء حفلا ساهرا بمناسبة قدوم الشيخ البشير الإبراهيمي لمدينة الأغواط، وبمناسبة افتتاح المدرسة

[1]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة..**، مصدر سابق، ص 139-140. مقابلة مسجلة بين قويدر بوعامر وخميلي إبراهيم.

[2]- مداني لبتر، مرجع سابق، ص107. علالي، مرجع سابق، ص144.

[3]- حمدان بوزار، الشهيد **مُحَمَّد بوراس والحركة الوطنية الجزائرية**، الكشافة الاسلامية الجزائرية: دراسات وبحوث الندوة الوطنية الأولى حول تاريخ الكشافة الجزائرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 1999، ص108.

[4]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة..**، مصدر سابق، ص143.

رسميا للسنة الدراسية 1948م-1949م ، ونظم هذا الحفل في فناء المدرسة واكتظ فناء المدرسة بالجماهير حتى اضطر المنظمون (فرق الكشافة) إلى استعمال أروقة الطابق الأول لاستقبال المدعوين والمواطنين لمشاهدة حفل افتتاح المدرسة وبعد انتهاء الحفل شكر البشير الإبراهيمي قائد الفوج ميموني هدروق، وطلب منه مواصلة العمل وبذل جهد أكثر لتكوين الشباب في هذه الحركة، وأكد له أنه سيجد الدعم والتشجيع من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وحثه على تنسيق العمل بينه وبين إدارة وعلماء مدرسة الأغواط، حتى يكون العمل بين الطرفين مثمرا، وبعد انتهاء زيارة الشيخ البشير الإبراهيمي لمدينة الأغواط رافقته الكشافة إلى خارج المدينة وتوديعه بالأناشيد الوطنية الحماسية.[1]

رابعا: التنافس بين الكشافة الفرنسية والكشافة الجزائرية في الأغواط:

كانت الكشافة الفرنسية تنشط بمقر الآباء البيض (سينما المزي حاليا)، و كان الآباء البيض يشرفون عليها وعلى إدارتها وتسييرها يوميا مدعمة من السلطات الفرنسية المحلية ماديا ومعنويا، فخصصت لها ميزانية سنوية لتلبية مطالب الفوج وتسيير شؤونه وإضافة إلى الميزانية كانت "إعانات" الآباء البيض لأفراد الكشافة أسبوعيا وتتمثل في بعض المواد الغذائية وبعض الحلويات الأفراد الكشافة توزع على أفراد الكشافة في مقر الفوج مرة في الأسبوع على الحاضرين فقط، وهذه سياسة الآباء البيض لجلب أكبر عدد من الفتيان إلى فوجهم، ومنافسة فوج الرجاء بطرق غير مباشرة، وهذا قصد هروب الفتيان المنتمين لفوج الرجاء إلى فوجهم.[2]

كان هدف الآباء البيض وهدف السلطات الفرنسية في تأسيس فوج الكشافة تنصير الشباب والتركيز على الفقراء المحتاجين وعائلاتهم وهذه السياسة انتهجتها فرنسا في جميع جهات الوطن، ودائما تركز على العائلات الفقيرة المعوزة المحتاجة إلى قوت يومها فتخصص لها إعانة أسبوعية تتمثل في مواد غذائية مثل الدقيق والفرينة والزيت والسمن وبعض الحلويات ... إلخ. وهذا لاستدراج أفراد العائلة إلى

[1]- إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة**..، مصدر سابق، ص144-146.

[2]- المصدر نفسه، ص168.

التنصير لإخراجهم من الفقر الذين هم فيه. ورغم هذه الإعانات والمساعدات فلم تنجح لا السلطات الفرنسية ولا الآباء البيض في تنصير العائلات الفقيرة في مدينة الأغواط.[1]

ورغم الإغراءات المتنوعة والأساليب والطرق الملتوية لجلب الشباب إلا أن فوج الرجاء بقي صامدا وبقي يعتمد على أعيان البلدة في إعانتهم المادية والمعنوية وانتصر عليهم بالعمل الدؤوب، والبرامج الملائمة والمنمية للفكر والمحبة للوطن، وهذا رغم العدد الكبير من الشباب الذي انضم إلى فوج الآباء البيض والذي كان يتجاوز 90 فردا ما بين جوالا وكشافا وشبلا، وكان عدد فوج الرجاء لا يتجاوز 50 فردا من جوالة وكشافة وأشبال، إلا أنه كان متفوقا على منافسيه في جميع المجالات، وأفضل من هذا كله أن المواطنين جميعهم ملتفين حول فوج الرجاء بما فيهم أولياء الفتيان المنخرطين في فوج الآباء البيض (كشافة فرنسا كما يرددها المواطنون).[2]

فكشافة الآباء البيض من ناحية الإمكانات هم الأحسن والأفضل، ومن ناحية الألبسة وعتاد التخييم هم كذلك الأفضل وكذلك من ناحية لوازم الرياضات بجميع أنواعها هم الأفضل كذلك وبخاصة ميزانية الرحلات والمخيمات هم الأفضل كذلك الأهم تحت إشراف الدولة الفرنسية كذلك.[3]

أما ميزانية فوج الرجاء، فمصدرها إعانات المواطنين ومسؤولي الفوج، ففي تنظيم المخيمات الأسبوعية تجمع الإعانات من عند العمال والتجار، أما ميزانية المخيمات الكبرى فتموينها يقع على المواطنين كل حسب استطاعته.[4]

وقد كان التنافس شديدا بين فوج الرجاء وفوج الآباء البيض، وكان مواطنو المدينة يطلقون على فوج الآباء البيض ب : "فوج فرنسا" وكان فوج الرجاء كثير الاستعراضات في شوارع المدينة بعد طلب من السلطات العسكرية بالترخيص لذلك، وكانت الاستعراضات في الأعياد الدينية، وكان فريق الكشافة يجوب شوارع المدينة الرئيسية بالأناشيد الكشفية وبعض الأناشيد الوطنية التي لا ترمز للجهاد والنضال

[1]- خميلي، **تاريخ الكشافة**..، مصدر سابق، ص170.

[2]- المصدر نفسه، ص168.

[3]- نفسه، ص 169.

[4]- نفسه، ص 169-170.

ومثل هذه الأناشيد كثيرة مثل هوى وطني فوق كل هوى، ودمت يا بيضا وموطني، وكلها كانت ألحانها تنسجم في الإيقاعات حينما يكون السير .... وكان المواطنون ينتظرون بفارغ الصبر استعراضات الفوج خاصة في إحياء المولد النبوي الشريف – عليه الصلاة والسلام – أو ليلة عاشوراء وليلة فتح مكة وليلة الإسراء والمعراج وفي العيدين عيد الفطر وعيد الأضحى ... إلخ، و كان الاستعراض يطوف بأحياء المدينة في شوراع المدينة الرئيسية كلها ويتبعه المواطنون بالهتافات وإلقاء المفرقعات وإشعال الشموع ويمشون من ورائه وأمامه إلى أن ينتهي الاستعراض، وبعد الانتهاء يقام حفل ساهر للمواطنين يقدم فيها الأناشيد والقصائد الدينية والوطنية والمسرحيات خاصة منها الدينية، وسكيتشات وروايات هزلية.[1]

وقد صارت لفوج الرجاء شعبية كبيرة بداية من عام 1951م عكس فوج الآباء البيض التي كانت معظم برامجه بالفرنسية، وأكثر الأناشيد التي ينشدها فرنسية وكذلك معظم رواياته فرنسية وكان المواطنون قلة قليلة التي تحضر حفلات فوج الآباء البيض، من هنا كان التنافس شديدا من ناحية العتاد واللباس والوسائل الأخرى كانوا هم أفضل من فوج الرجاء، أما من ناحية التكوين والتعليم والانضباط والبرامج الهادفة كان فوج الرجاء هو الأحسن رغم قلة الإمكانيات هكذا صار المواطنون يسعون إلى مساعدة فوج الرجاء ماديا ومعنويا.[2]

ويروي الحاج قويدر بوعامر: " .... ورغم سياسة التنصير التي انتهجها الآباء البيض في مدينة الأغواط وخاصة الفوج الكشفي لم تنجح في تحقيق أهدافها، وهذه السياسة زادت من تصميم قادة فوج الرجاء على الصمود والعمل على تربية الشباب على العزة والكرامة والرفعة وعدم إذلال النفس للأجانب.."[3]

لقد كان أغلب القادة الكشفيّين من الوسط الشعبي، حيث سيّروا الفوج حسب الإمكانيات المتوفرة لهم، وشجعوا على الانخراط بالفوج، ونظراً لنشاطات فوج الرجاء الإصلاحيّة والتربويّة والاجتماعية الواسعة جعلته يكتسب مكانة شعبية مرموقة، فتمسك به أهل المدينة وشجعوا أبناءهم للانضمام لهذه

[1]- خميلي، **تاريخ الكشافة**..، مصدر سابق، ص 170-171.

[2]- نفسه، ص172.

[3]- خميلي، **تاريخ الكشافة**..، مصدر سابق، ص 173.

المدرسة الوطنيّة، حيث ساهمت هذه الأخيرة في تخريج جيل وطني ثوري، ساهم بكل ما يملك في الدفاع عن الوطن.

لم تكن السلطات الاستعمارية غافلة عن نشاطات فوج الرجاء، فقد تبنت سلسلة من المناورات لعرقلة نشاطها، كما كثّفت المراقبة على قادتها، حيث كانت تقوم بحملات تفتيش لمقر الفوج من حين إلى آخر، كما وضعت عراقيل لإقامة المخيمات، وأقدمت على منع الحفلات التي نشّطها الفوج لإحياء المناسبات، وحسب شهادة عبد القادر نوار فإنّ مخيمات الفوج كانت لا تتّم إلاّ بعد الحصول على رخصة من طرف الإدارة الفرنسيّة، كذلك هو الحال بالنسبة للمسرح، فقد كانوا كلمّا أرادوا تنظيم مسرحيّة يتوجب عليهم تقديم برنامجها لكي توافق عليه الإدارة الفرنسيّة ، [1]كما تعرض بعض أعضاء المناضلين والوطنيّين الذين كانوا منخرطين بالفوج إلى سلسلة من المتابعات والاعتقالات، بل تعدى ذلك إلى تعرض الكثير منهم للقتل، مثلما جرى للشاب الكشاف مُحَمَّد حراث الذي أعتقل بسبب نشاطاته المعاديّة للإدارة الاستعمارية، وقد تعرض إلى التعذيب الوحشي ممّا أدى إلى استشهاده سنة1944 ، ويعّد أوّل شهيد كشّاف على مستوى ولاية الأغواط.[2]

خامسا: وضعية الفوج بعد اندلا ع الثورة التحريرية: بعد اندلا ع ثورة أول نوفمبر سنة 1954م، بدأ الشباب يلتحقون بها من كل نواحي الوطن، وفي سنة 1956م بدأ شباب مدينة الأغواط بالانخراط في الثورة، وقد التحق من فوج الرجاء بداية من سنة 1956م بالمجاهدين الشهيد حليفة مُحَمَّد الطاهر الملقب ب "بحري" وبعده بعاج مُحَمَّد وبعدهما كريريش عيسى و خميلي علي وبلحاج البشير وخميلي بلقاسم، لكن الادارة الاستعمارية كانت تراقب نشاطات الفوج عن كثب، فكانت لها عيون ترصد تحركات كل قائد من قادة الفوج، وهذه العيون أغلبها من اليهود لأن النادي (مقر الفوج) يقع بشارع اليهود فلما اشتدت المراقبة على الفوج بدأ أفراد الفوج يتغيبون وأضحى نشاط الفوج في تناقص

[1]- نفسه، ص 159.

[2]- مداني لبتر، مرجع سابق، ص101.

مستمر نتيجة مراقبة السلطات الفرنسية لأعضائه وبالخصوص مراقبة فريق الجوالة لأن أغلبهم يفوق عمره السبعة عشر سنة وفي هذه السنة لم يقم القادة بتنظيم ولو مخيما واحدا. [1]

في سنة 1957 كثفت السلطات الفرنسية المراقبة على مدرسة التربية والتعليم ومساجد المدينة وفوج الكشافة لما ورد أن شيوخ المدرسة وأئمة المساجد وقادة الفوج يشجعون الشباب على الصعود إلى الجبل والالتحاق بالمجاهدين، وقد رأى قادة فوج الرجاء بعد المراقبة الشديدة على نشاطهم اليومي و المواد التي يدرسونها، أن يقللوا من حضورهم إلى مقر الفوج، وأن يحضروا بالتناوب بين القادة يوميا، وأن يكون القادة على اتصال يومي ببعضهم وبالمواطنين وبالمجاهدين، وأن يلتزموا التحفظ في الكلام عن الثورة وفرنسا وأن يتجنبوا الجلوس في جماعات، خاصة أمام مقر الفوج الذي كان بين سكنات اليهود، وقد فضل أغلبية القادة مواصلة النشاط وعدم الاكتراث بالإجراءات التي تقوم بها فرنسا، ورأى بعضهم أنهم إذا أوقفوا نشاط الفوج فهم يعطون فرنسا الفرصة ولكن في ربيع سنة 1958م أغلقت فرنسا مقر الفوج وشمعته بالشمع بعد غلق مدرسة التربية والتعليم وأبلغت القادة الأمر بعدم النشاط نهائيا.[2]

[1]- خميلي، **تاريخ الكشافة**..، مصدر سابق، ص182-183.

[2]- المصدر نفسه، ص 184-186.

المبحث الرابع: الحركة الرياضية في الأغواط:

عرفت مدينة الأغواط كما رأينا نهضة أدبية وثقافية وفنية ارتكزت أساسا على ما خصت به المدينة ومحيطها من إرث سابق تفاعل مع التراث الثقافي الوافد سواء كان مصدره جزائريا مسلما أو مصدره فرنسيا أوروبيا، ولعل المجال الرياضي أحد مجالات التأثر، حيث عرفت المنطقة مجموعة من الرياضات الفردية والجماعية التي يمكن أن ندرجها ضمن التراث الشعبي في مجال الترفيه، ولكن مع نهضة القرن العشرين بدأت تظهر رياضات فردية وجماعية حديثة بقوانين محددة، و هكذا فقد عرفت ساكنة المنطقة أنواعا من الرياضات مثل أشكال السباق (الخيول ، الجمال ، الحمير، القدم ، والسيارات بعد ذلك ...)، و المصارعة بأيدي عارية ، والمبارزة (السيف أو العصا) و السباحة، وتنافس الرياضيون في ذلك الوقت في المسابقات المحلية التي نظمها وجهاء المدينة أو السلطات الاستعمارية في نفس الوقت، وقد ولدت الرغبة في تحدي الاستعمار وأدواته في ظهور نشاطات رياضية جديدة مثل كرة القدم وكرة السلة وألعاب القوى ، دون نسيان الكرة الطائرة التي كانت تمارس أيضا، حيث كانت تقام مباريات بين بعض الفرق العسكرية المحتلة وفرق المعمرين من جهة والفرق المسلمة المحلية الحريصة على النيل من كبرياء المحتلين ولو بمباراة رياضية.

وكغيرها من فنون المقاومة كالأدب والشعر والصحافة، نجحت الحركة الرياضية بمنطقة الأغواط بفضل سرعة انتشارها في بلورة حالة من التلاحم والانتماء والهوية الوطنية، وأصبح للرياضة القدرة على تغيير القناعات لدى الجماهير وبعث الأمل فيهم من أجل استعادة أوطانهم المحتلة، وكانت المباريات التي تُدار في مدينة الأغواط والنشاطات الرياضية ولقاءات التدريب والسفر لأجل تنشيط المقابلات والدورات الرياضية، تُمثل غطاءً يُساعد المقاومين على تبادل الرسائل والمعلومات فيما بينهم قصد توحيد تحركاتهم ضد المستعمر الفرنسي.

أولا: الرياضات الفردية:

1/ الملاكمة: من أهم مارس هذه الرياضة في منطقة الأغواط

أ)الملاكم المرحوم الجودي بوسبسي بن مصطفى: ولد بالأغواط خلال عام 1905م، هاجر إلى فرنسا في العشرينيات، حيث مارس فيها الملاكمة [1]وذكروا أنه بدأ الملاكمة في أواخر العشرينات وهي فترة متقدمة، وقد ذكر السيد قدور بن الصغير (هذه الشخصية التي ما فتأت تقدم الكثير للرياضة سواء في الجمباز وألعاب القوى وفي الملاكمة) على أن هذا الملاكم كان في الثلاثينات بطل إفريقيا الشمالية ، ويذكرون أنه في إحدى دورات الملاكمة بفرنسا ضرب ملاكما فرنسيا فأخرجه من الحلبة بضربة لقي إثرها حتفه فآل الملاكم بوسبسي أن يعتزل الحلبة، غير أن لما فتحت الشركة الصحراوية للرياضة فرعا للملاكمة بالأغواط في بداية الأربعينيات كان يدرب في بعض الأحيان الملاكمين، ومن أبرز الملاكمين الأغواطيين الذين اختاروا هذه الرياضة: النخ فرحات، قلوزة مُحَمَّد الشهيد، بن موسى والجودي حميدة الملقب بالفار الجودي الطاهر الشهيد، كل هؤلاء قدموا الكثير لرياضة الملاكمة،[2] وقد تحصل الجودي بوسبسي أثناء تواجده في فرنسا على لقب بطل شمال إفريقيا وكان يمتاز بقوة توفي سنة 1965م إثر إصابته بتسمم بالغاز ودفن بالجزائر. [3]

ب) النخ فرحات: ولد خلال سنة 1930 بالأغواط، انتقل إلى الجزائر وكانت بدايته في رياضة الملاكمة حيث كان يتمتع بلياقة بدنية جيدة مكنته من خوض غمار هذه الرياضة التي تعتمد على القوة والسرعة والحركة المتناسقة،[4] كان يلاكم في وزن الذبابة 51كغ ثم وزن الديك، كانت بدايته في الملاكمة عام 1948م بنادي A.B.C (Algerien boxing Club) وفي سنة 1954م شارك الملاكم في دورة الملاكمة التي أجريت لفائدة منكوبي زلزال الأصنام. [5]

[1]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص، 55.

[2]- إذاعة الأغواط، مولاي حسان قطشة، تسجيل إذاعي بعنوان **حصة رياضة وترفيه، الأغواط، الجزائر**، 2017.

[3]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص، 55.

[4]- مولاي حسان قطشة، المرجع السابق.

[5]- المرجع نفسه، ص، 57.

ولقد مارس النخ فرحات بعض الرياضات أبرزها رياضة سباق الدراجات،[1] وللملاكم عدة ذكريات منها الجميلة والتي نذكر على سبيل المثال منها زيارة الملاكم الفرنسي وبطل العالم مارسيل الذي زار نادي لاسي في قاعة التدريب وقد ودع طاقم النادي قبل ذهابه إلى فرنسا وأيضا مشاركته في ثورة التحرير حيث كان يجمع الاشتراكات لصالح الثورة، أما الذكريات المؤلمة نذكر منها المنازلة التي أجراها الملاكم الشريف حامية ضد ملاكم أوربي حينها كان الملاكم شريف حامية ملاكما قويا لكنه خسر في المنازلة متعمدا حتى لا يرفع علم فرنسا وهذا بسبب الاستعمار الفرنسي الذي فرض على الملاكمين الجزائريين ظروف قاسية، كما يتذكر النخ فرحات منازلة أخرى انهزم فيها الملاكم شريف حامية ضد ملاكم إيطالي لوج بوكسور Louge boucsseur في الجولة الأولى في أمريكا.[2]

ج)الشهيد مُحَّد قلوزة: من مواليد عام 1938م سافر إلى فرنسا ليشتغل ومارس هناك رياضة الملاكمة، غير أنه لم يكمل مشواره الرياضي حيث عاد غلى الوطن والتحق بصفوف جيش التحرير وشارك في الثورة، استشهد عام 1961م.[3]

2/ رياضة سباق الدراجات: عندما تكلمنا عن الشركة الصحراوية في أواخر الثلاثنيات عام 1939م ذكرنا أنها فتحت فرعا لرياضة سباق الدراجات في مدينة الأغواط وكان منها الرياضيين الذين مارسوا رياضة سباق الدراجات في ذلك الوقت: مُحَّد محنث بن علي، الجودي الهاشمي، الجودي حميدة، طيفور وبن عمر الشاذلي كانوا يجرون السباقات في الأغواط وبوسعادة والجلفة وغرداية،[4] ولم يحصل أحد من هؤلاء المتسابقين على أي لقب،[5] ولكن تبقى أن هذه الرياضة كانت بمثابة لعبة بالنسبة لهؤلاء الشباب في بدايتها، ولكن تطورت الأمور إلى أن أصبحت المشاركة في المنافسات وكذلك الدورات والتظاهرات.[6]

[1]- بشير بديار وآخرون، المرجع السابق، ص، 58.

[2]- مولاي حسان قطشة، المرجع السابق.

[3]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص 59.

[4]- مولاي حسان قطشة، المرجع السابق.

[5]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص 59.

[6]- مولاي حسان قطشة، المرجع السابق.

3/ رياضة المسايفة: من بين الرياضات التي برزت وعرفت وجودها في مدينة الأغواط، هذه الرياضة أي المبارزة بالسيف لم تعرفها العامة فقد كانت رياضة عسكرية لا يمارسها إلا الذين اندمجوا في العسكرية بالأغواط،[1] ومن أبرز الذين اشتهروا بهذه الرياضة المرحوم أحمد حمداني بلهاني وهو أحمد بن أحمد ولد حوالي عام 1898م، اندمج في العسكرية عام1917م رجع إلى الأغواط أواخر عام 1918م، المبارزة بالسيف تحصل على المرتبة الرابعة على مستوى الشمال الإفريقي (المغرب، الجزائر، تونس)، وفي العشرينيات، تحصل على الكثير من الميداليات في مختلف الدورات انتقل إلى الكثير من مدن الجزائر، كان قوي البنية، توفي المرحوم عام 1993م دفن بمقبرة سيدي يانس،[2]وهناك العديد من الشخصيات التي برزت بموهبتها على ممارستها لرياضة المسايفة.[3]

4/ رياضة الجمباز: تعتبر رياضة الجمباز من النشاطات البدنية حيث يعتمد الفرد على قدراته في إنجاز المهمة الحركية، وعندما نتكلم عن الرياضة الفردية في مدينة الأغواط لابد الإشارة إلى رياضة الجمباز، حيث نجد هاته الرياضة ومن خلال الصور التاريخية التي بقيت راسخة، وبقيت صورة حية بما كان يقوم به العديد من الرياضيين المولوعين بالحركة والرشاقة أمثال المرحوم بشير خليفة [4]الذي عند مجيئه من سويسرا كرس جهده لتأسيس رياضة الجمباز إضافة إلى رياضات أخرى في الأغواط، وجعل من قطعة أرض كان يمتلكها – حاليا سينما المزي– مقرا لاحتضان هذه الرياضة، وقد كان هذا الفريق يضم بعض الشباب ذكورا وإناثا لم يقتصر تدريب بشير خليفة الشباب على الجمباز في مقره الشخصي لكن تعداه غلى القفز العالي والقفز الطويل.[5]

– **التعريف بشخصية بشير خليفة:** من مواليد 1907م بمدينة الأغواط، دخل الكتاب أين تلقى القرآن واللغة العربية ثم التحق بالمدرسة الفرنسية وقضى بها بعض السنوات، لكن لم يسعفه الحظ لمواصلة دراسته فبعد وفاة والده انتقل إلى العمل بالمغرب (مراكش) ثم عاد إلى أرض الوطن حيث

[1]– مولاي حسان قطشة، المرجع السابق.بشير بديار وآخرون، المرجع السابق، ص 65.

[2]– بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص 65.

[3]– مولاي حسان قطشة، المرجع السابق.

[4]– مولاي حسان قطشة، المرجع السابق.

[5]– بشير بديار وآخرون، المرجع السابق، ص، 66.

وجد عمل بالعاصمة لدى رجال الأعمال السويسريين أين كان يمارس عمله بين الجزائر وسويسرا، ونظرا لجديته ونشاطه في العمل كسب ثقة هذا المتع أعجب بشير خليفة برياضة الجمباز وانضم إلى الجمعية الرياضية الفريبورجية وأصبح عضوا أساسيا فيها، ثم انتقل إلى جنيف وهناك بدأ مشواره الرياضي مع الرياضات الجماعية، وبعد عودة بشير خليفة أمل مما أدى به إلى أن يعرض عليه السفر معه إلى سويسرا وأصبح سائق لعائلة ارستقراطية، إلى مدينة الأغواط قرر توظيف معارفه، واقتصر الأمر في تلك المرحلة على الفرق المحلية لكرة القدم إضافة إلى رياضات الحركة الكشفية. [1]

5/ **رياضة العدو**: كانت رياضة العدو من بين الرياضات التي لاقت إقبالا من بعض الشباب،[2] وقد شارك الكثير من الرياضيين في مهرجان رياضي في مختلف رياضات ألعاب القوى،[3] هذا المهرجان أطلق عليه اسم تظاهرات الصحراء من تنظيم الكولونيل برو وكان ذلك عام 1951م [4]إبان الاستعمار الفرنسي، وشملت عددا من المدن وقد نالت الجمعية التي كانت تسمى أنذاك بالنجمة الجوائز الأولى:

- في سباق 400 متر تحصل بغدادي مصطفى على الجائزة الأولى.
- في سباق 1000متر تحصل صغير قدور (بيرس) على الجائزة الأولى.
- وفي سباق 100 متر تحصل بشير مشوي على الجائزة الأولى.[5]

ثانيا: الرياضات الجماعية: هي تلك الألعاب التي تخضع للقوانين الدولية ولها نظم وقواعد ثابتة متفق عليها دوليا، وتحتاج هذه الألعاب إلى قاعات لعب ذات مقياس محدد، تمارس بأدوات لها قياسات وأوزان ثابتة، وقد شهدت مدينة الأغواط ظهور الكثير من فرق الرياضات الجماعية مثل:

[1]- مولاي حسان قطشة، المرجع السابق.

[2]- بشير بديار وآخرون، المرجع السابق ، ص 68.

[3]- مولاي حسان قطشة، المرجع السابق.

[4]- بشير بديار وآخرون، المرجع السابق، ص 68.

[5]- مولاي حسان قطشة، المرجع السابق. بشير بديار وآخرون، المرجع السابق، ص 68.

1/ الجمعية الرياضية الصحراوية: تأسست الجمعية الرياضية الصحراوية SSS سنة 1938ومن خلال هذا التاريخ نود أن نقدم كرونولوجيا عن التاريخ الرياضي بمدينة الأغواط وأنديتها الرياضية والتي أنشأت لأهداف متباينة، وبطبيعة الحال كانت الجمعية الرياضية الصحراوية هي الأولى من خلال تاريخ نشأتها، حيث التحق بها مجموعة من الشباب الهاوي للنشاط الرياضي،[1] وتكونت عدة فروع داخل هذه الجمعية بعدما كانت مقتصرة على كرة القدم، ومن هذه الفروع التي أنشأت: كرة الطائرة، كرة السلة، والتي أصبحتا من الرياضة الأكثر شهرة وإقبالا من طرف الشباب آنذاك،[2] وكانت تهدف إلى إبعاد الشباب الأغواطي عن العمل السياسي المتفاعل آنذاك.[3]

2/ كرة السلة: هي لعبة رياضية جماعية سريعة، تعد من أشهر وأكثر الألعاب انتشارا العالم، يرجع تاريخ اللعبة إلى عام 1891، تمارس في الصالات المغلقة في فصل الشتاء تلعب بالأيدي والكرة وبين فريقين كل فريق يتكون من 6 لاعبين، أما تأسيسها في مدينة الأغواط كان عام 1938م تحت الجمعية الرياضية الصحراوية، إذ شارك في دورات محلية وجهوية وقد تحصل على عدة ألقاب وكؤوس نذكر منها على سبيل المثال دورة أفينيون بفرنسا حيث تلقى دعوة من فريق من القسم الثاني الفرنسي للمشاركة في الدورة وجرت هذه الوقائع في شهر أوت سنة 1953م بمدينة أفينيون بجنوب فرنسا وتحصل آنذاك الفريق الأغواطي على كأس هذه الدورة [4]بعد انتصاره الثمين الذي جعله يحظى باهتمام الصحافة الفرنسية، وبعد فرنسا توجه إلى بريطانيا أين قام بعدة مقابلات ودية شرع الفريق إلى أرض الوطن ويضم حوالي خمسين عضو، وبقيت هاته الدورة راسخة في أذهان هؤلاء الشباب ومفخرة لكرة السلة الأغواطية.[5]

[1]- بشير بديار وآخرون، المرجع السابق، ص 73. مولاي حسان قطشة، المرجع سابق.

[2]- مولاي حسان قطشة، المرجع السابق.

[3]- ناصر خرفي، **نادي الهلالي الرياضي الأغواطي H.C.L**، د د ن، الأغواط، الجزائر، 1999، ص، 5.

[4]- أنظر الملحق رقم: 44.

[5]- مولاي حسان قطشة، المرجع السابق.

3/ كرة الطائرة: تعتبر من أكثر الرياضات الجماعية شهرة وشعبية حول العالم، وهي عبارة عن فريقين يلعبان بالكرة بواسطة اليد وليس القدم، تلعب بفريقين يتكون كل منهما من 12 لاعبا، 6 لاعبين أساسيين و6 لاعبين احتياط، ويرجع تأسيس أول فريق لكرة الطائرة في مدينة الأغواط إلى سنة 1945م، وكان هذا الفريق فرعا من الفريق الأم SSS(الجمعية الرياضية الصحراوية) التابعة للآباء البيض، وكان يضم مجموعة من اللاعبين المتميزين، لديهم مواهب متعددة في مختلف الرياضات الجماعية وكان بشير خليفة مدربا ولاعبا في نفس الوقت إذ أنه تعلم الكثير في مجال هذه اللعبة وحسن نوعية الرياضة على مستوى كرة الطائرة واستمر في عمله التدريسي، وفي فترة الأربعينيات عرفت كرة الطائرة ركود كبير، لكن سنة 1936م عرفت انتعاشا من جديد،[1] ومن بين اللاعبين نذكر دادة مُحَّد بن يونس، مُحَّد خشبة العرابي، الطاهر العمري.[2]

4/ كرة اليد: هي لعبة حديثة العصر مقارنة ببعض الألعاب الجماعية الأخرى وتعتبر أحد أهم الأنشطة الرياضية من حيث عدد المتتبعين عبر العالم، تمارس في ملاعب مغلقة وكذلك على المستويين الدولي والأولمبي، ويعد فريق الشبيبة الرياضية الإسلامية الذي أنشأ سنة 1955م أول فريق لكرة اليد تأسس في مدينة الأغواط، ضم في صفوفه عبد العزيز علي، فرحات حميدة، بلمشري عبد الله، سليماني علي، بعيط مُحَّد، لبتر وقنون...وغيرهم كل هؤلاء كانوا يجيدون ممارسة كرة اليد على مستوى هذا الفريق، وكان يفوز في معظم المباريات، واكتسب الفريق شهرة محلية دعمت التشكيلة بعناصرها الجديدة، وأصبحت هناك استمرارية لبعض اللاعبين نذكر منهم: بعاج مُحَّد، قوقة تهامي، مبروك الرويغي، جمال بغدادي، مخلوف قطاف...وغيرهم تركوا بصمة في سنوات الستينات.[3]

[1]- مولاي حسان قطشة، المرجع السابق.

[2]- **دادة مُحَّد بن يونس:** ولد يوم 22 ديسمبر 1947 بمدينة الأغواط، من عائلة جد متواضعة، كان يمتاز بشخصية قوية، شارك مُحَّد بن يونس في الحركة الجمعوية حيث اندمج في الحركة الكشفية، كان رياضيا متكاملا برز في كرة الطائرة واليد والسباحة، توفي يوم 4 فيفري 1996م... للمزيد، أنظر: بشير بديار وآخرون، المرجع السابق، ص، 89.

[3]- مولاي حسان قطشة، المرجع السابق.

5/ كرة القدم: وهي لعبة جماعية تلعب بفريقين يتكون كل واحد من 11 لاعب من ضمنهم حارس مرمى، ويشرف على التحكيم أربع حكام موزعين أحدهم في وسط الميدان وحكمين مساعدين على الخطوط الجانبية وحكم رابع احتياطي. ومن اهم الفق التي التي ظهرت في مدينة الأغواط في هذه الفترة:

أ) الإتحاد الرياضي الأغواطي USL: هو أول فريق لكرة القدم، يرجع تأسيسه إلى الفترة الاستعمارية 1920م، وكان يضم في صفوفه لاعبين فرنسيين وعرب [1]وهو أقدم فريق رياضي في الأغواط، رئيسه في الثلاثينيات مُحَمَّد التخي نعيمة، أما اللاعبون جلواح (جندي)، بوعيش، عبد المالك بوعامر، زنو (اليهودي)، ريان مُحَمَّد، ريان إبراهيم وبن عمر الحاج عيسى.[2]

ب) الجمعية الرياضية الصحراوية SSS: هو أول نادي معتمد لكن بترسانة محلية وكان تحت إشراف الآباء البيض les peres blancs أنشأ سنة 1938م، انضم إليه بشير خليفة عام 1945م كمدرب، ومن بين اللاعبين الفرنسيين الذين حبذوا الانضمام إليه وتقمس ألوانه ليوني، والدكتور ريفيرسا، أما اللاعبين المحليين المنضمين لهذا الفريق هم عبد القادر قلولة حارس مرمى، منصوري تجاني، طالبي مُحَمَّد قادة بن عطاء الله وبن قيوم (يعتبر من خيرة ما أنجبت مدينة الأغواط في كرة القدم)، سنوسي عمر وغيرهم.[3]

ج) فريق النجمة: وقد تأسس هذا الفريق بعد انشقاق نخبة من الرياضيين انشقوا عن فريق SSS مثل بشير مشوي وبغدادي مصطفى وصغير قدور ومنصوري تجاني وقلولة عبد القادر وبلهادف الطاهر، حيث فكروا في إنشاء نادي جديد لكرة القدم واختاروا له اسم النجمة وهو اختيار ثقافي وسياسي واضح، وقد كان أنصار النجمة يغنون في الشوارع:

[1]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص 101، أنظر الملحق رقم

[2]- المرجع نفسه، ص 101.

[3]- مولاي حسان قطشة، المرجع السابق.

ياللي تعشق السبور sport أدخل في النجمة الأغواطية

هو الكلوب club المشـــهور في شمـــــــــال إفريقية

ولكن أعضاء النادي حولوه بعد فترة إلى ناد لألعاب القوى.[1]

د) فريق الأولمبيك الإسلاميOML: تأسس عام 1946م يعد أول فريق رسمي بالجنوب وكان يمثل اتجاه حزب الشعب "حركة انتصار الحريات الديمقراطية"،[2] جمع شباب المدينة وانخرطوا في إطار منظمة فريق كرة القدم، من بين المؤسسين لهذا الفريق عبد العزيز العلمي، الحاج عيسى البشير، شناق حميدة، بوشريط السايح، مرسلي حمزة وغيرهم، أما الرؤساء الشرفيين هم الحاج عيسى أبو بكر، رزوق البشير ومؤسس الفريق هو العلمي، وشارك الفريق في العديد من التظاهرات والمنافسات منهال كأس الناحية ثم كأس ميزاب ثم البطولة المصغرة، وانخرط في رابطة الجزائر [3]ونال عدة مرات كأس الناحية (الأغواط، غرداية، الجلفة) وكأس مزاب (الأغواط، غرداية، الجلفة).[4]

هـ) نادي الهلال HCL: أنشأ فريق نادي الهلال الأغواطي سنة 1949م [5] من طرف مُحَّد بن سالم رفقة أصدقائه في النضال(الحبيب شهرة، مُحَّد دهينة، رحماني عبد الرحمان) إضافة إلى قائمة طويلة من الشباب الذين انخرطوا في الفريق وتركوا بصمة كبيرة، وفكرة تسميته بالهلال تعود إلى مُحَّد دهينة وقال دهينة أنه استوحاه من الرموز الأساسية للعلم الجزائري[6]حيث حمل الألوان الوطنية (أحمر، أخضر، أبيض) [7] ولعل المنافسة غير متكافئة بين أنصار البيان الجزائري من جهة وأنصار حركة انتصار انتصار الحريات الديمقراطية من جهة أخرى كانت السبب في تفكير قيادي حزب فرحات عباس

[1]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص113.

[2]- مداني لبتر، المرجع السابق، ص 111.

[3]- مولاي حسان قطشة، المرجع السابق.

[4]- بشير بديار وآخرون، المرجع السابق، ص، 103.

[5]- أنظر الملحق رقم: 46.

[6]- ناصر خرفي، المرجع السابق، ص 5.

[7]- مولاي حسان قطشة، المرجع السابق.

بالأغواط في إنشاء فريق قوي منافس لفريق الأولمبيك الإسلامي O.M.L الذي كان يمثل اتجاه حزب الشعب، وهذا التنافس أخذ أهدافا مختلفة ومتعددة[1] منها نشر الوعي السياسي واستيعاب أكبر عدد ممكن من الأنصار المدافعين عن توجهاتهم السياسية وقضاياهم الوطنية، وكذلك تحضيرهم للثورة التحريرية، ودحر المخططات الاستعمارية والتنصيرية التي تبنتها الإدارة الفرنسية ودعمت من خلالها الكنيسة الإباء البيض بتوظيف كل ما تملك من وسائل مادية وبشرية لجلب أكبر عدد ممكن من الشباب وصرفهم عن الأفكار الوطنية.

والفترة التي تم فيها إنشاء نادي الهلال قد تميزت بتبلور الحركة الوطنية الجزائرية عامة ونضج الفكر السياسي التحرري، وبعد اندلاع الثورة التحريرية قامت فرنسا بنفي وسجن بعض اللاعبين، أما الباقي أنضم للثورة بعد اكتشافهم أن نادي الهلال كان يدعم الثورة الجزائرية التحريرية لهدف واحد وهو خدمة الثورة سرا، لكن علنا من أجل نشاط رياضي فقط، وفي سنة 1955م جاء أمر من جبهة التحرير الوطني طالبة فيه بتوقيف الرياضات والجامعات...الخ لكن سرعان ما تراجعت عن هذا الطلب وقررت عدم ترك المجال فطلبت هيكلة الشباب.[2]

- نبذة عن بعض لاعبين نادي الهلال:

* **بن سالم مُحَمَّد:** المدعو بوشوشة من مواليد عام 1904م بالأغواط من عائلة عريقة، استطاع رفقة أصدقائه القيام بإنشاء نادي رياضي متعدد الفروع من أبرز مميزاته الرزانة والمعاملة اللطيفة مع اللاعبين، كان عضو مسيرا في الفريق، توفي في 40 أفريل 1985م.[3]

[1]- ناصر خرفي، المرجع السابق، ص 4.

[2]- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[3]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص 107.

* **حبيب شهرة:** ولد بالأغواط خلال علم 1920 درس ببوزريعة والتحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1956م، استشهد في أفريل 1960م.[1]

* **بن عمر الحاج عيسى:** بن مُحَّد بن عمر من مواليد 1918م بالأغواط، بدأ مشواره الرياضي في فريق الإتحاد الرياضي الأغواطي " USL" سنة 1927م وفي سنة 1949 التحق بنادي الهلال الرياضي ونظرا لانضباطه كلفه مُحَّد بن سالم برئاسة النادي.[2]

* **عبد الرحمان رحماني:** ابن رحماني الطيب المولود في 6 جوان 1912م بالجزائر العاصمة، كان من منشطي حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، أصبح مناضلا في جبهة التحرير الوطنية، مؤسس الهلال الأغواطي، توفي في 8 أكتوبر 1986م.[3]

* **سنوسي بن عمر المدعو قيوم:** من مواليد عام 1934م بالأغواط نشأ في ظروف قاسية، تعلم أبجديات كرة القدم في الحي الذي عاش فيه، لاعب متكامل هداف بارع.[4]

* **قويدري عطاء الله المدعو خماسي:** عشق لعبة كرة القدم منذ الصغر كان من بين العناصر الأساسية في تشكيلة الهلال الأغواطي، الخماسي يمتلك مواصفات اللاعب البارع، ساهم في الكثير من الانتصارات التي حاز عليها فريقه.[5]

و) نادي الراسينق (حرف"ق"ينطق حرف G) RCL 1959: بعدما أوقفت فرنسا الحركة الرياضية وحلت النوادي الرياضية أمرت جبهة التحرير الوطني بإعادة تأسيس فريق رياضي بالأغواط وغيروا له الاسم حيث أصبح تحت اسم فريق الراسينق RCL كما تم تغيير ألوانه أيضا وحمل اللون الأسود والأحمر، أما الشكل والمبدأ بقي كما هو،[6] فالراسينق يعتبر من النوادي العتيقة في مدينة

[1]- المرجع نفسه، ص، 108.
[2]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص 109.
[3]- ناصر خرفي، مرجع سابق، ص 32.
[4]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص 110.
[5]- المرجع نفسه، ص 111.
[6]- أنظر الملحق رقم: 46.

الأغواط الذي تأسس عام 1956م، برز في هذا النادي العديد من اللاعبين نذكر من بينهم عبد الرحمان شتيح، الباي البشير، الزاوي العيد وبوشريط عبد القادر، وكان يطلق على نادي الراسينق بالفريق الشعبي وذلك لإقبال الشعب عليه وتشجيعهم لهذا النادي، أما عن الإنجازات لم يحقق النتائج الباهرة حيث وصل إلى أقصى حد آنذاك وهو القسم الشرفي على غرار البطولة المحلية الولائية وذلك لغياب الدعم الكافي. [1]

– نبذة عن بعض لاعبي نادي الراسينق:

* **الزاوي العيد:** الزاوي العيد بن أحمد من مواليد 1939 بالأغواط، تعلم في المدارس القرآنية عند الشيخ العرابي رحمه الله في المدرسة القرآنية الموجودة بالشطيط الشرقي جانب مسجد سيدي الشيخ، درس في مدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالأغواط عند الشيخ حسين زاهية، كان منخرط في فوج الكشافة الإسلامية الجزائرية (فوج الرجاء الأغواطي)، لاعب رياضي محترف. [2]

* **الباي البشير المدعو بوكريشة:** من مواليد 1934م بالأغواط يعد من خيرة ما أنجب هذا الفريق لنا يملكه من مهارات وقدرات عالية، كان يلعب ضمن صفوف الراسينق بصفة حارس، ساهم في انجازات كبيرة التي حققها الراسينق. [3]

* **بوشريط عبد القادر المدعو شناطي:** من مواليد 1932م بالأغواط، يتميز بخصائص إيجابية حيث يملك كل المواصفات الخاصة باللاعب القدير يتمتع بقدرة تنظيم زملائه على أرضية الميدان، لعب كقلب هجوم في نادي الراسينق، تمكن من إحراز العديد من الكؤوس والبطولات المحلية. [4]

[1]– بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص 117.
[2]– المرجع نفسه، ص 121.
[3]– نفسه، ص 119.
[4]– نفسه، ص 118.

* **عبد الرحمان شتيح**: عبد الرحمان بن حميدة بن الحاج الطاهر بن قويدر بن عيسى من مواليد 26 فيفري 1942م بالأغواط، لاعب رياضي بارع في كرة القدم حتى بما في ذلك رياضة الفروسية، التحق بنادي الراسينق بصفة رسمية عام 1956م.[1]

ز)**النادي الرياضي الأغواطي الجديد 1959**: تأسس سنة 1959، من طرف قادة بن عطاء الله، ومجموعة من الشباب.[2]

ح) **النجمة الجديدة (بداية الستينات)**: قبل الاستقلال قام بعض الأعضاء القدامى لفريق النجمة بإعادة تأسيس فرق لكرة القدم من بينهم مُحَّد ريان وقويدر بن سديرة، وقد أطلقوا عليه في البداية تسمية الكوكب ومن ثم استبدلوا هذا الاسم بالنجمة الجديدة.[3]

لقد كانت إذن كرة القدم خاصة والرياضة بصفة عامة تمثل هوية و وسيلة لإثبات الذات بالنسبة لشباب الأغواط فيكفي النظر لاسم النادي و ألوانه لمعرفة هويته، لذا وللتفريق بين هذه الأندية عمدت الفرق المسلمة مثلاً، إلى اختيار حرف الـ"م" أو "M" باللغة الفرنسية، وهو دلالة على أن هذا الفريق مسلم على غرار الأولمبيك الاسلامي، إضافة إلى اختيار الأسماء مثل نادي الهلال أو النجمة، أو اختيار الألوان، وحتى هوية من يقف وراء إنشاء هذه النوادي الذي ينتمي أغلبهم إلى الحركة الوطنية بتياراتها المختلفة استقلالية واندماجية وإصلاحية، و بغض النظر عن هذه الأمور فقد كانت الرياضة أفضل وسيلة للتنقل بسهولة عبر كامل التراب الوطني دون مشاكل، وهو ما كان يساعد على نقل الرسائل و المعلومات للمناضلين بسهولة مطلقة، إضافة لكل هذا فقد كان التدرب اليومي و التحضير البدني مهما جداً وساعد الكثير منهم في الكفاح المسلح، بعد اندلا ع الثورة خاصة بالنسبة للذين توجهوا نحو الجبال.

[1]- نفسه، ص 118.

[2]- بشير بديار وآخرون، مرجع سابق، ص124.

[3]- المرجع نفسه، ص125.

وفي ختام هذا الفصل جدير بالذكر أنني وخلال بحثي في موضوع الحركة الجمعوية في منطقة الأغواط قد تصادفت مع أسماء لجمعيات لم يمكني ضيق الوقت أو قلة المصادر من الغوص أكثر في تاريخ نشأتها ونشاطاتها وأعضائها، وأذكر على سبيل المثال لا الحصر: جمعية الفلسفة (1940م)، وجمعية الإخوان العلويين وجمعية الإخوان العزوزيين الرحمانيين وجمعية محاربة الكحول والمخدرات، وجمعية الأغواطيين في الجزائر العاصمة، وجمعية اليهود الخاصة بأعمال ونشاطات ومصالح الطائفة اليهودية بالأغواط، وجمعية الآباء البيض التي كان لها نشاط تبشيري، ثقافي واجتماعي، وغيرها من الجمعيات التي أتمنى مستقبلا أن أوفق أنا أو غيري من الباحثين في نفض الغبار عنها.

وفي المجمل فإن الحركة الجمعوية في الأغواط كانت سباقة في الظهور ولم تقتصر على جانب معين، بل شملت كل الجوانب الاجتماعية–الخيرية والثقافية–التعليمية والفنية، والغنائية، والمسرحية، والكشفية، الرياضية سواء كانت جماعية أو فردية، وقد كانت ذات صلة وثيقة بالحركة الوطنية بتياراتها المختلفة، فقد كانت العلاقة بينهما تبادلية وفي اتجاهين، وامتد تأثير الحركة الجمعوية إلى الثورة التحريرية حيث قام عدد من منتسبيها بالانخراط مبكرا في أتون الثورة، وقد وقع الكثير منهم شهداء.

خاتمة

عالجت هذه الأطروحة الواقع الثقافي في منطقة الأغواط في ظل الاحتلال الفرنسي منذ احتلال مدينة الأغواط سنة 1852 وإلى غاية استقلال الجزائر، حيث تطرقت إلى جغرافية الأغواط الطبيعية والبشرية، مع إعطاء لمحة حول التطور التاريخي للمنطقة منذ العصور القديمة وصولا إلى الاحتلال الفرنسي للمنطقة والسياسات الاستعمارية التي استهدفت الجوانب الادارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية ومدى تفاعل المجتمع الأغواطي معها، وتأثيرها عليه سلبا أو إيجابا، كما تطرقت إلى الثقافة الشعبية المحلية والتراث المادي المتمثل في القصص والأساطير والشعر الشعبي والطب التقليدي والحساب الفلاحي ووسائل الترفيه، ومؤسسات التعليم التقليدية، وتأثير الطرق الصوفية على الوضع الثقافي والتعليمي، وصولا إلى نشاط الحركة الإصلاحية في ميدان التعليم والبعثات العلمية والتبادل الثقافي والصحافة وبناء المؤسسات التعليمية، لينتهي هذا البحث بالتطرق إلى الحركة الجمعوية في منطقة الأغواط ممثلة في النوادي والجمعيات والفرق الثقافية والخيرية والفنية والكشفية والرياضية وأهميتها في بناء المشهد الثقافي المحلي والوطني، ومن خلال هذا البحث يمكن استخلاص النتائج التالية:

في نهاية بحثي هذا خلصت إلى مجموعة من النتائج هي:

– إن موقع الأغواط الاستراتيجي جعلها معبرا للهجرات البشرية وممرا للقوافل التجارية ومطمعا للقوى السياسية، وموطنا وموئلا لكثير من القبائل والأسر وقد ارتبط الوجود البشري في هذه المنطقة بالتكيف و تحدي الظروف الطبيعية من خلال خلق أنظمة اقتصادية وعمرانية تمكن الإنسان من ممارسة نشاطاته كما كان لهذه الظروف والبيئة المحيطة أثر بارز على الواقع الثقافي في المنطقة.

– يعود النشاط البشري في منطقة الأغواط إلى أزمنة غابرة، وهو ما تدل عليه الرسوم الصخرية والآثار الجنائزية واللقى الأثرية والقصور القديمة وشواهد العمران الروماني، ولكن المعلومات حول الفترات القديمة يشوبها الكثير من الغموض، ولم تأخذ المنطقة وضعها العمراني والثقافي وحتى الاجتماعي إلا مع حلول القرن الحادي عشر الميلادي وما بعده، حيث شهدت منطقة الأغواط وفود القبائل الهلالية وغيرها من القبائل العربية، في موجة نزوح وهجرة كبيرة وطويلة الأمد ومتدرجة، و قد انتشر الهلاليون ومن معهم من قبائل عربية في كامل تراب المنطقة و ساهموا في تأسيس العديد من

التجمعات السكانية البدوية والحضرية، مع ملاحظة أنه تم تعريب المنطقة تعريبا تاما، ولم يبق من الآثار اللغوية البربرية سوى أسماء قليلة جدا من أسماء المناطق أو النباتات أو الأدوات.

وقد تميزت المنطقة في نهايات الفترة الوسيطة بكونها ملجأ للفارين والهاربين من الصراعات السياسية والاجتماعية، أو المتأثرين بالأوضاع الاقتصادية في مناطقهم الأصلية، ومن هنا برز طابع التنوع الذي تميزت به التجمعات القصورية (الحضرية) الأولى، وهو ما كان عامل غنى ثقافي واجتماعي، وعاملا أساسيا للصراع الاجتماعي والسياسي، الذي ميز المنطقة والذي نستشفه من خلال الحكايات الأسطورية التي تناقلتها الأجيال عن أطوار هذه الصراعات وأسبابها ونتائجها.

– أصبحت الأغواط مع مرور الوقت مقصدا لكثير من العائلات الصغيرة التي هاجرت نحو هذه الواحة المنعزلة وما جاورها من قصور، كما تميزت نهاية الفترة الوسيطة والفترة الحديثة بظهور الأشراف والمرابطين والصلحاء والمتصوفة في المنطقة، والذين أتى أغلبهم من الغرب الجزائري أو أقصى جنوب المغرب الأقصى، وقد شهدت المنطقة انتشار عديد الطرق مثل "القادرية" و"الرحمانية" وفروعها، و"الشاذلية" بفروعها، وإنشاء بعضها مثل "التيجانية" و"الموساوية الدرقاوية".

– يمكنني القول أن الروافد الأساسية التي شكلت الوعي الثقافي في منطقة الأغواط تتمثل في :

الثقافة الشعبية المرتبطة بالمحيط الطبيعي والبشري، والتراث الديني الذي كانت الطرق الصوفية حاضتنه الأساسية، والتأثيرات الثقافية الفرنسية، والحركة الإصلاحية كمثال للنهضة الثقافية في النصف الأول من القرن العشرين.

– قامت السياسة الفرنسية في الأغواط بعد احتلالها بصفة عامة على ثلاثة محاور أساسية، **عسكريا:** حيث كانت قامت فرنسا بجعل الأغواط قاعدة متقدمة للمشاريع و المنشآت العسكرية التي انطلقت نحو الصحراء، و**اقتصاديا:** حيث هدفت المشاريع الاقتصادية الفرنسية في الأغواط إلى تحقيق الاستغلال الاقتصادي، والتحكم في التجارة بين الشمال والجنوب، إضافة إلى خلق استثمارات للمعمرين الأوربيين في المدينة وضواحيها، وثقافيا و**اجتماعيا:** حيث هدفت المشاريع الثقافية الاستعمارية إلى فرنسة الشعب الجزائري عموما و منهم سكان الصحراء، و تحويلهم من وضعهم

الثقافي و الاجتماعي الأصيل إلى توجهات تربوية و إدارية و اجتماعية غريبة عنهم و لا تمت بواقعهم بأية صلة.

– منذ بداية الاحتلال الفرنسي للمنطقة عملت السلطات الفرنسية على مهاجمة الثقافة العربية الإسلامية ، فاستهدفت الدين الإسلامي و اللغة العربية ، فدمرت المساجد، و ضيقت على العلماء، و عملت على تنصير السكان، و نشر اللغة الفرنسية من خلال تأسيس مدارس فرنسية، وطمس الطابع العمراني المحلي للمدينة، وذلك بتأسيس القلاع والثكنات والتحصينات المختلفة وكان الهدف الأساسي لها هو خلق نخبة موالية لها توظفها لصالحها متى أرادت، إلا أن مساعي السلطات الفرنسية اليائسة جوبهت بمقاومة السكان و قد كان للمؤسسات الثقافية كالمساجد و المحاضر و الزوايا دور هام من خلال الوقوف في وجه سياسة الفرنسة و التنصير التي تبنتها السلطات الاستعمارية منذ احتلالها للأغواط.

–إن رفض سكان الأغواط لسياسة الاحتلال قد تم التعبير عنه بأشكال و صيغ متعددة و بمواقف مختلفة، فقد فضل ساكنة الأغواط عدم التطبيع مع الوجود الاستعماري، وقد كان هناك إدراك للمقاصد الواضحة للنظام الاستعماري و أيديولوجيته الهادفة إلى السيطرة و الاستغلال وعندما تشبث السكان بثقافتهم وشخصيتهم العربية الإسلامية اعتبر المستعمر الفرنسي ذلك بمثابة عداء ورفض للثقافة الفرنسية.

– عاش ساكنة الأغواط ومنطقتها على هامش النفوذ الفرنسي، وبلغ انتشار اللغة والثقافة الفرنسية أبعادا ضئيلة، ونتيجة لذلك، تم الحفاظ على الشخصيات التقليدية في مجتمع الأغواط المسلم بالكامل تقريبًا، من خلال علاقاتها الطبيعية مع المجتمعات البدوية المجاورة (بسبب الاحتياجات الاقتصادية الملحة) ، ومن خلال استمرار الدعم المعيّن للثقافة الدينية (المساجد، الزوايا، المدارس القرآنية) ، وقوة المؤسسات الطرقية التيجانية والقادرية والرحمانية والشاذلية وغيرها، كانت الأغواط مسلحة بقوة في مقاومتها الثقافية للغرب، وحتى عندما انخرط تلاميذ الأغواط في المدراس الفرنسية إلا أن الحاضنة الاجتماعية والثقافية القوية جنبتهم الوقوع في براثن المخططات الاستعمارية، والانسلاخ الحضاري.

– لقد ساهمت الثقافة الشعبية بمختلف صورها وأشكالها في المقاومة الثقافية، فالقصص الشعبي كان يحمل القيم الدينية وقيم الحرية والعدالة، وكانت قصص الأولياء والصلحاء رافدا لقيم الإيثار ومساعدة

الغير ومحبة الناس، بينما كانت قصص المغازي وسير الأنبياء، وسيرة بني هلال، جسرا لتمرير قيم البطولة والتضحية والفداء، والاعتداد بالنفس والاعتزاز بالجماعة، بينما كان الشعر الشعبي أيضا مدرسة ثقافية ودينية ولغوية وتاريخية جامعة، تعددت أغراضه ومراميه ورسائله، واستجابة للطبيعة البدوية وللإرث العربي (الهلالي) فقد برز في المنطقة شعراء فحول تناقلت الركبان أشعارهم وغنت المجالس بقصائدهم، بل وحازوا حتى اهتمام المستشرقين، وقد نقل لنا هؤلاء الشعراء صورة صادقة عن نمط حياتهم وآلامهم وآمالهم، وضمنوا قصائدهم حكايات عنهم أو عن غيرهم، وقصوا لنا من خلال أبياتهم أحداثا شهدوها أو تناقلوها عن أسلافهم.

-كما شمل التراث اللامادي لمنطقة الأغواط صنوفا من الطب الشعبي الذي يعتبر تكيفا مع أوبئة الطبيعة المحيطة وعلاجاتها، ومعرفة بالنباتات المحلية والمستجلبة، وكان الإرث الطبي الشعبي نتاجا عن ممارسات وعادات وتجارب أهلية، أو متأثرا ببقايا الأدب الطبي الإسلامي القديم، في حين اعتمد ساكنة المنطقة على حسابات فلاحية وعادات مرتبطة بالمناخ لتحديد أوقات الزراعة والحصاد والرعي، وغيرها من النشاطات الاقتصادية، وتخللت أيامهم احتفالات شعبية من زيارات ووعدات، حملت أيضا قيما ثقافية واجتماعية لعل من أهمها الاجتماع والالتقاء في زمن التفتيت الاستعماري.

-لقد كانت منطقة الأغواط وبسبب المزاج الشعبي مكانا خصبا لانتشار الطرق الصوفية بل ولنشأة بعضها، وكانت منطقة الأغواط من الحواضر التي اجتمعت بها وفي محيطها طرق متعددة في أوقات متقاربة أو متزامنة، فقد ظهرت بها الطريقة القادرية، والرحمانية بفروعها والشاذلية بفروعها الكثيرة والمتعددة بل وشهدت تأسيس بعض فروعها أو مرور مؤسسيها بالأغواط مثل الناصرية والموساوية والسنوسية، كما شهدت عين ماضي القريبة من مدينة الأغواط ميلاد مؤسس الطريقة التيجانية والتي سيكون لها دور كبير في مجمل الأحداث السياسية التي طبعت المنطقة في فترة القرن التاسع عشر.

- ولا ريب فإن للطرق الصوفية أثرا ثقافيا مهما في المنطقة، سواء بالنموذج الديني والثقافي الذي تفرضه هذه الفرق على أتباعها ومحبيها، أو بأثرها العام الناتج عن انخراطها في العمل السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي في المنطقة ككل، كإنشاء المدارس والزوايا التعليمية وتأليف الكتب واحتضان المكتبات وقيادة المقاومات الشعبية والمشاركة فيها أو اجتنابها، وتأطيرها للنظام الاجتماعي عبر توثيقها لحالات الزواج والطلاق والإرث وفض النزاعات وفرض رؤيتها لطبيعة ودور المجتمع، ومشاركتها

في النظام الاقتصادي عبر جمع صدقات وزكاوات المريدين وإعادة توزيعها وسهرها على الاستفادة من نظام الوقف الاجتماعي والتعليمي، وبهذا فقد كانت الزاوية أو الطريقة مؤسسة قائمة بحد ذاته، مكنتها أدوارها التعليمية والثقافية وسطوتها الدينية والمجتمعية ومواردها الاقتصادية من التحكم في جزء كبير من المجتمع وإبعاده عن تأثيرات الإدارة الاستعمارية.

– لقد كان من البديهي أن تتعزز هذه الصفات الاجتماعية والثقافية المقاومة، في عشرينيات القرن العشرين، حيث لم تطل الحال بالأغواط حتى تفاعلت معا المناخ الجديد و استجابت لمؤثرات النهضة في ميادين الثقافة و التعليم و السياسة، إذا نجدها بعد الاستفاقة من صدمة الاحتلال العنيفة التي زلزلت النفوس و فككت أوصال المجتمع بعمل مند بداية القرن العشرين على التسامي فوق جراحاتها وتستعيد توازنها على هدى دعوات المرشدين من رجال الإصلاح و الوطنية فما إن وصلتها أصداء النهضة العلمية و التعليمية التي أطلقها المصلحون حتى سارع أعيان الأغواط المتنورين إلى محاولة الأخذ بأسباب هذه النهضة.

–تميزت النهضة الثقافية في الأغواط بحيويتها وشموليتها، فقد شارك فيها أبناء الزوايا والطرق وتلاميذ المدارس الفرنسية وتلاميذ وأعضاء الحركة الإصلاحية والقياد و الباشاغاوات وأعيان البلد وذوو المال والجاه، كما تنوعت نشاطاتها بين التعليم داخل الأغواط وخارجه، وحبس الأوقاف بغض التعليم وغيره، وإنشاء النوادي الثقافية التعليمية والجمعيات الخيرية من أجل مساعدة المساكين والفقراء والفرق الفنية والانخراط في الكشافة الإسلامية، وتنشيط النوادي الرياضية والعمل في الصحافة اشتراكا ومراسلة ونشرا، وبيع الكتب وجلبها وإهدائها ووقفها وعقد الاجتماعات في المقاهي والنوادي والحوانيت والمنازل.

–إن نشاط الجمعيات والنوادي الثقافية في منطقة الأغواط خلال الفترة الاستعمارية من الأنشطة ذات الأهمية البالغة، حيث تعتبر فرقة الثريا هي أول فرقة موسيقية برزت على الساحة في منطقة الأغواط، وعرفت انتشارا في كامل ربوع الوطن، وكان ظهور المسرح متنفسا للأغواطيين للتعبير عن رفضهم للاستعمار من خلال مسرحيات هادفة وكان للحركة الإصلاحية الدور الأبرز في نشأته وتطويره، وكانت الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية بالأغواط ذات طابع تربوي وروحي ووطني، ويعد فوج الرجاء بالأغواط ثالث فوج كشفي على مستوى الوطن، كما شهدت الأغواط نشأة أول فرقة نحاسية،

وتعد الأغواط من المدن الأولى التي تأسست فيها نواد رياضية وعرفت انتشارا حيث كانت تهدف إلى إعداد الشباب بدنيا وفكريا، وكان لـ "فريق الهلال" النصيب الأوفر باعتباره النادي المهم للأغواطيين، كما لاحظنا أن جل المنخرطين في النوادي الرياضية هم أشبال في فوج الرجاء الكشفي.

– تشكلت في الأغواط –تبعا لما سبق ذكره– نخبة ثقافية ذات امتداد اجتماعي وفعالية سياسية، تنوعت مشاربها، وتوزعت مهامها، ومن أهم ما ميزها هو تعاونها في تنشيط الساحة الثقافية، ولم تحدث بين أطراف الحركة الثقافية في الأغواط صراعات ذات بال، بما يعكر الأجواء الأخوية أو يعطل سير النهضة العلمية.

إن الباحث في تاريخ منطقة الأغواط يجد نفسه أمام عجز يعانيه عندما يتعلق الأمر بتوفير الوثائق مما يستدعي من الباحثين النظر في الأرشيف العام لهذه المنطقة والرجوع إلى المداولات والمحاضر التي حفظها الأرشيف الاستعماري، والتي تكشف عن الأسماء النشطة ضمن كوكبة الجمعيات الثقافية والتي تم إيجادها خلال فترة بداية القرن العشرين بل وحتى آخر الفترة الاستعمارية.

والباحث في تاريخ الأغواط المحلي يدرك وبجلاء مدى الغنى الذي يحمله هذا التاريخ والذي ألخص أبعاده فيما:

- تنوع الأصول الاجتماعية لساكنة الأغواط مما يحمل معه بالطبع تنوعا ثقافيا.
- محورية "الأغواط" (جغرافيا وبشريا) ومركزيتها بالنسبة لكثير من الفعاليات الثقافية مثل : الطرق الصوفية والحركة الإصلاحية، والإدارة الاستعمارية.
- أولية "الأغواط" وأسبقيتها في كثير من مجالات النهضة الثقافية.
- ارتباط حاضرة الأغواط بكثير من الحواضر الجزائرية وغير الجزائرية (تونس والمغرب مثالا) اجتماعيا وثقافيا (تأثيرا و تأثرا).
- تنوع مجالات النشاط الثقافي في الأغواط وتشعبها.
- توفر الكثير من الوثائق المخطوطة والأرشيفية والوثائق العائلية ولكن دون الاطلاع على أغلبها.
- غنى الثقافة الشعبية الشفوية بكثير من المعلومات، التي لو جمعت لمكنتنا من إعطاء صورة شاملة للوضع الثقافي المحلي.

وفي الأخير وبعد أن وفقنا الله في إنهاء هذا العمل ما يسعنا إلا أن نشكر ونحمد الله عز وجل حمدا يليق بجلال وجهه الكريم، على توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل ، ونعتذر عما شابه من نقص أو تقصير، كما نتمنى أن يكون منطلقا لأعمال أخرى تكون أوفى وأليق بمكانة الأغواط وساكنتها في سياق التاريخ الوطني عمقا وارتباطا ، وبناء عليه فإن البحث في ثنايا الماضي عن أعلام المنطقة وتراثها المادي واللامادي هو دين في رقابنا وأمانة في أعناقنا، حفظا للذاكرة التاريخية وعرفانا لجهود العلماء وطالبي العلم ومحبيهم وإكراما لشهداء الاغواط وشهداء الجزائر أجمعين.

الملاحق

الملحق رقم(01): معلم جنائزي من نوع جثوة: تيميلوس بحاسي الدلاعة جنوب الأغواط من اكتشافات جمعية باحثون للدراسات التاريخية والأثرية بالأغواط

المصدر: من تصوير الباحث

الملحق رقم(02): حدود الدول القديمة وموقع الأغواط منها

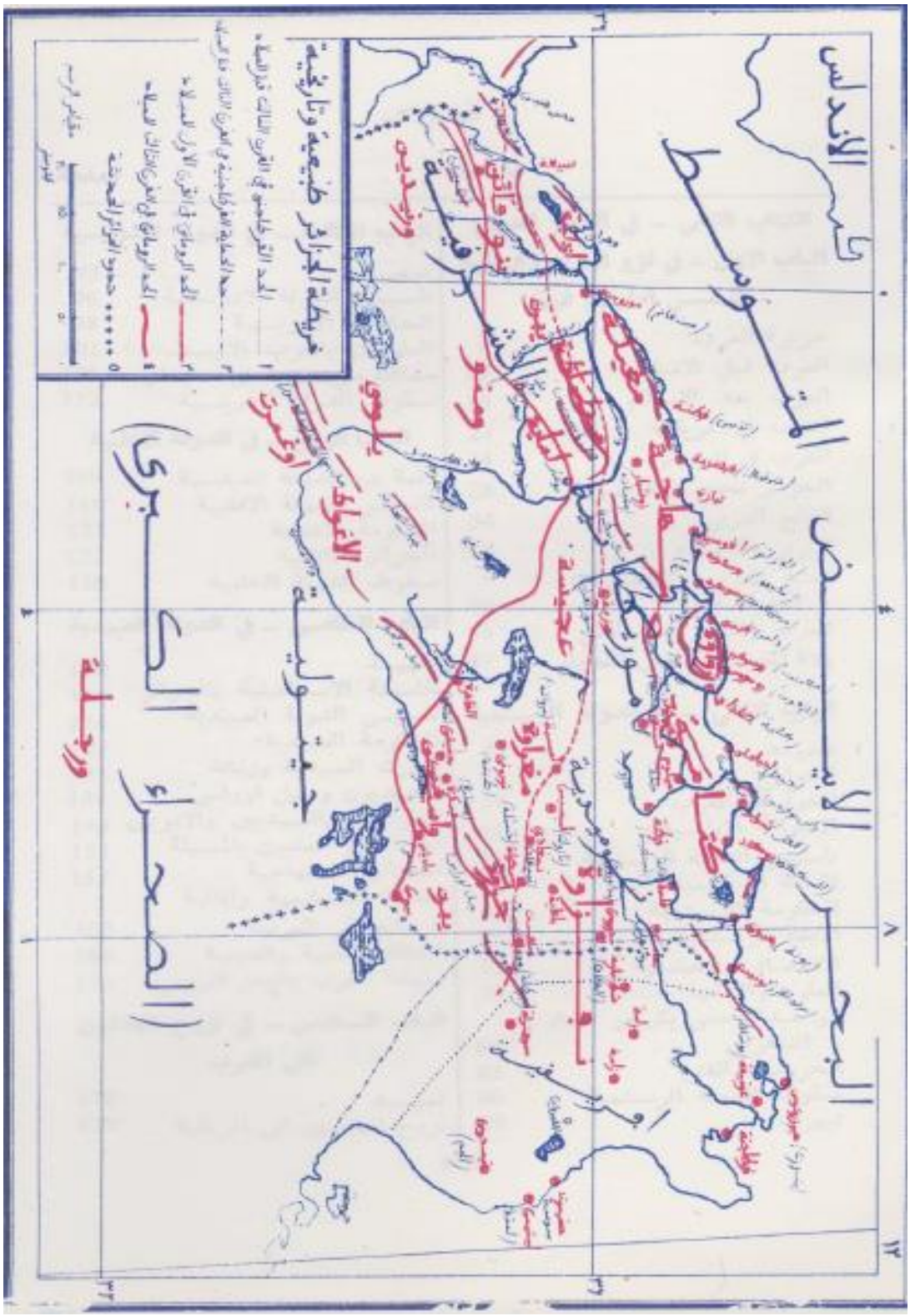

المصدر: مبارك الميلي ، **تاريخ الجزائر القديم والحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت. ج2، ص509.

الملحق رقم(03): خريطة الجزائر ومراكز القبائل في القرن الثامن الهجري

المصدر : مبارك الميلي، مرجع سابق، ص507.

الملحق رقم (04): خريطة توضح هجرة القبائل الهلالية مرورا بالأغواط

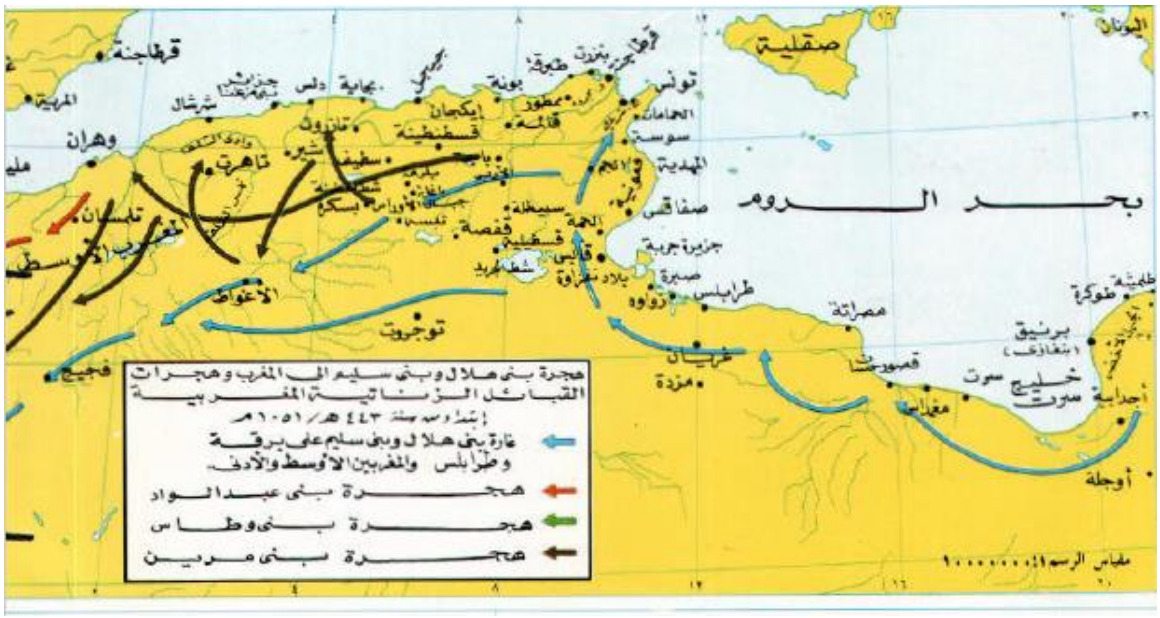

المرجع: حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهراء للإعلام العربي، مصر ،1987، ص160.

الملحق رقم(05): طرق التجارة المارة بالأغواط

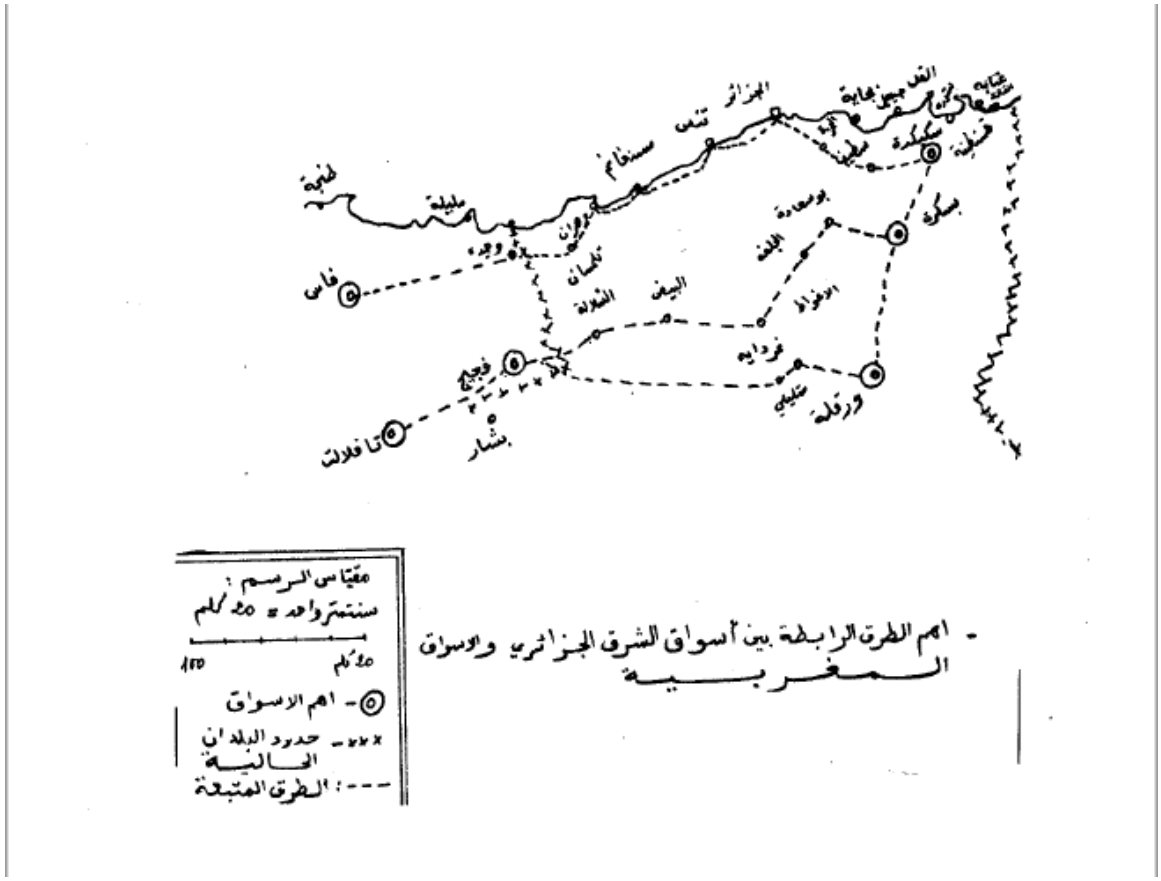

- اهم الطرق الرابطة بين أسواق الشرق الجزائري والاسواق المغربية

المرجع: الزبيري مُحَمَّد العربي ، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792–1830**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

الملحق رقم(06): رحلة قبيلة الارباع السنوية بين الشمال والجنوب (رحلة الشتاء والصيف)

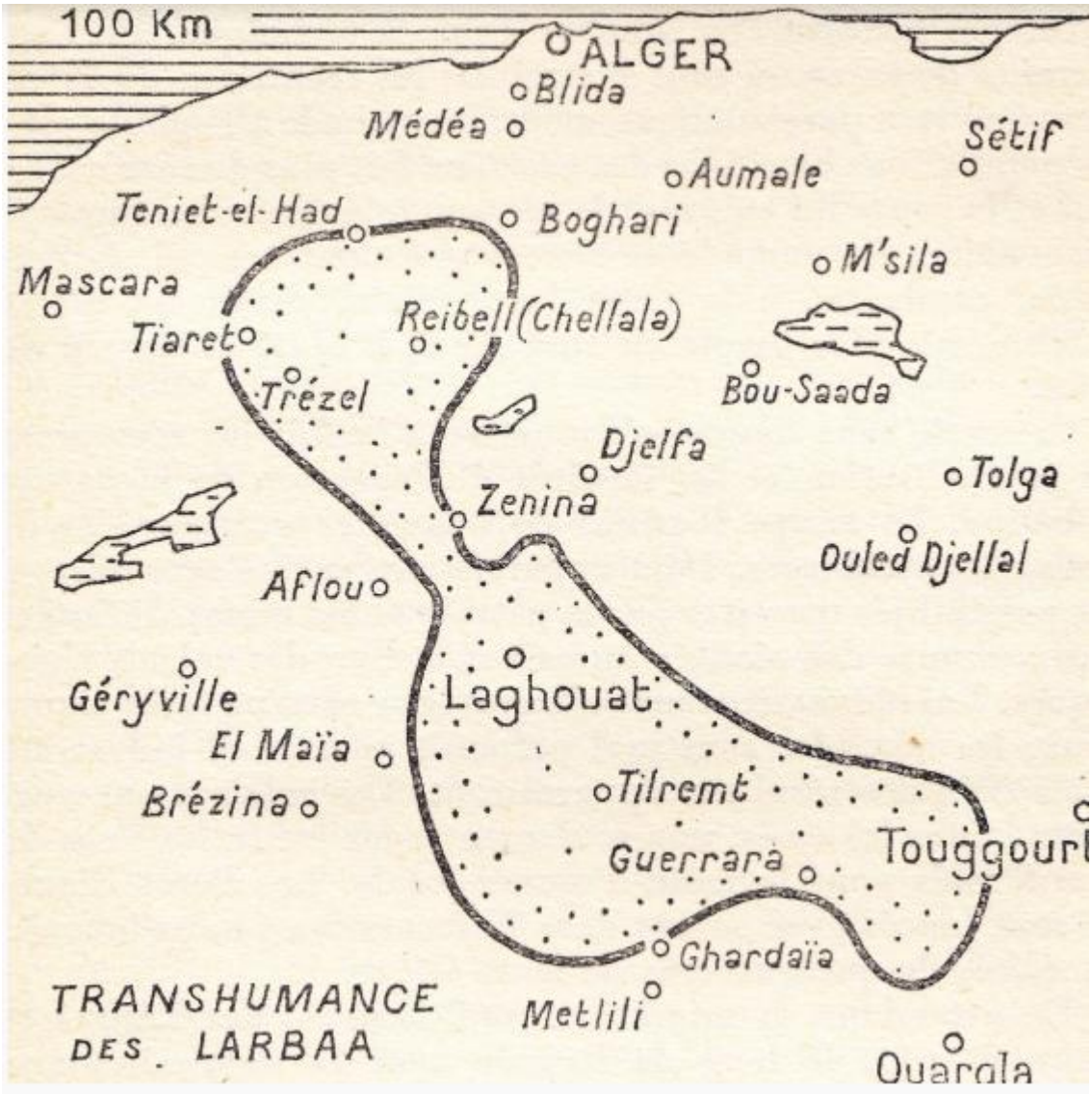

المصدر: Emile Dermenghem, **Le pays d'Abel**, Gallimard, 1960, page 151.

الملحق رقم(07): مراحل تطور وتشكيل حلف الأرباع حسب Yves Bonète

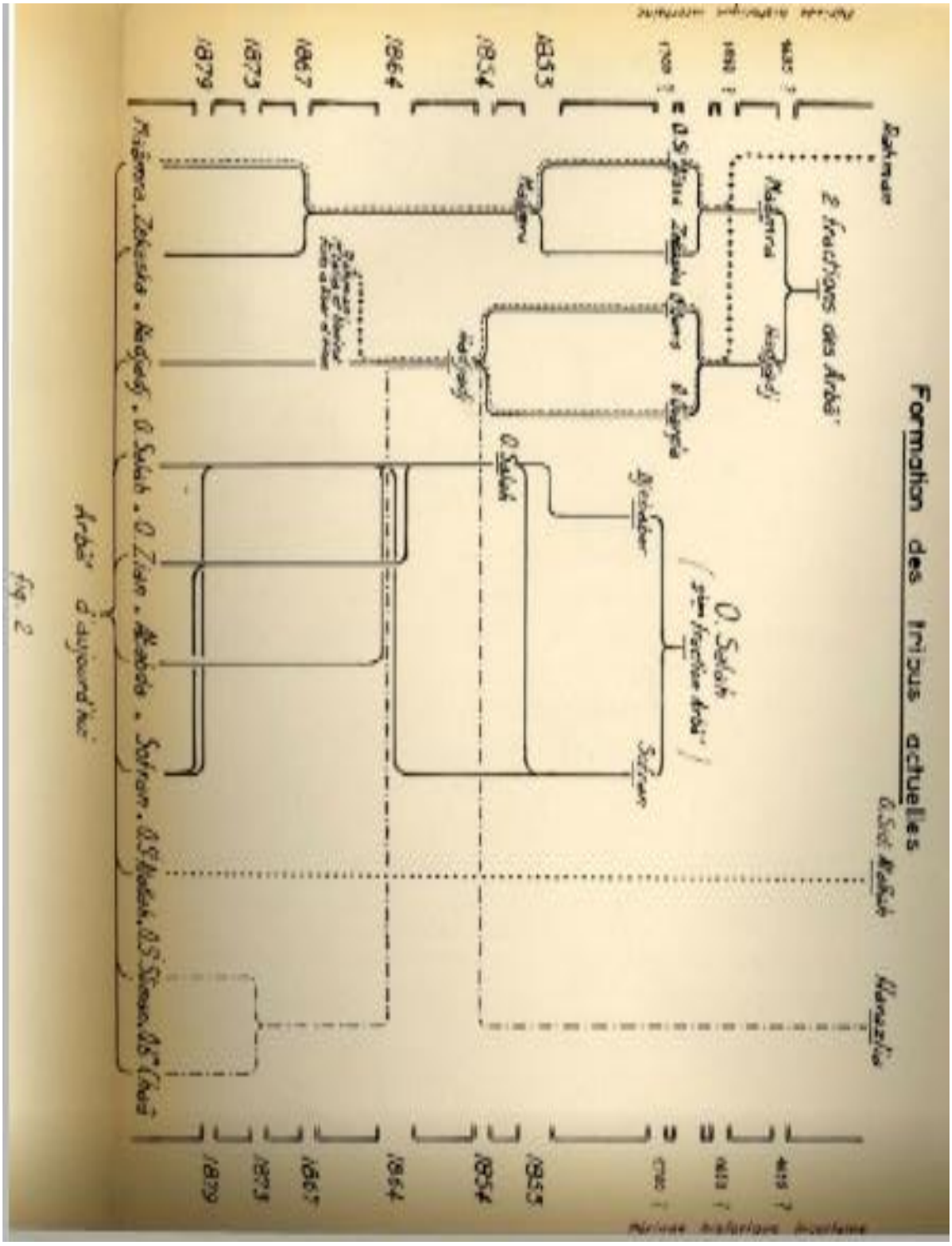

المصدر : Yves Bonète, **Contribution à l'étude des pasteurs nomades Arba'a**, étude de géographie humaine, Doctorat de 3eme cycle en Géographie, 1962.

الملحق رقم(08): تموضع قصبات وقصور الأغواط الأولى في القرن الثامن عشر

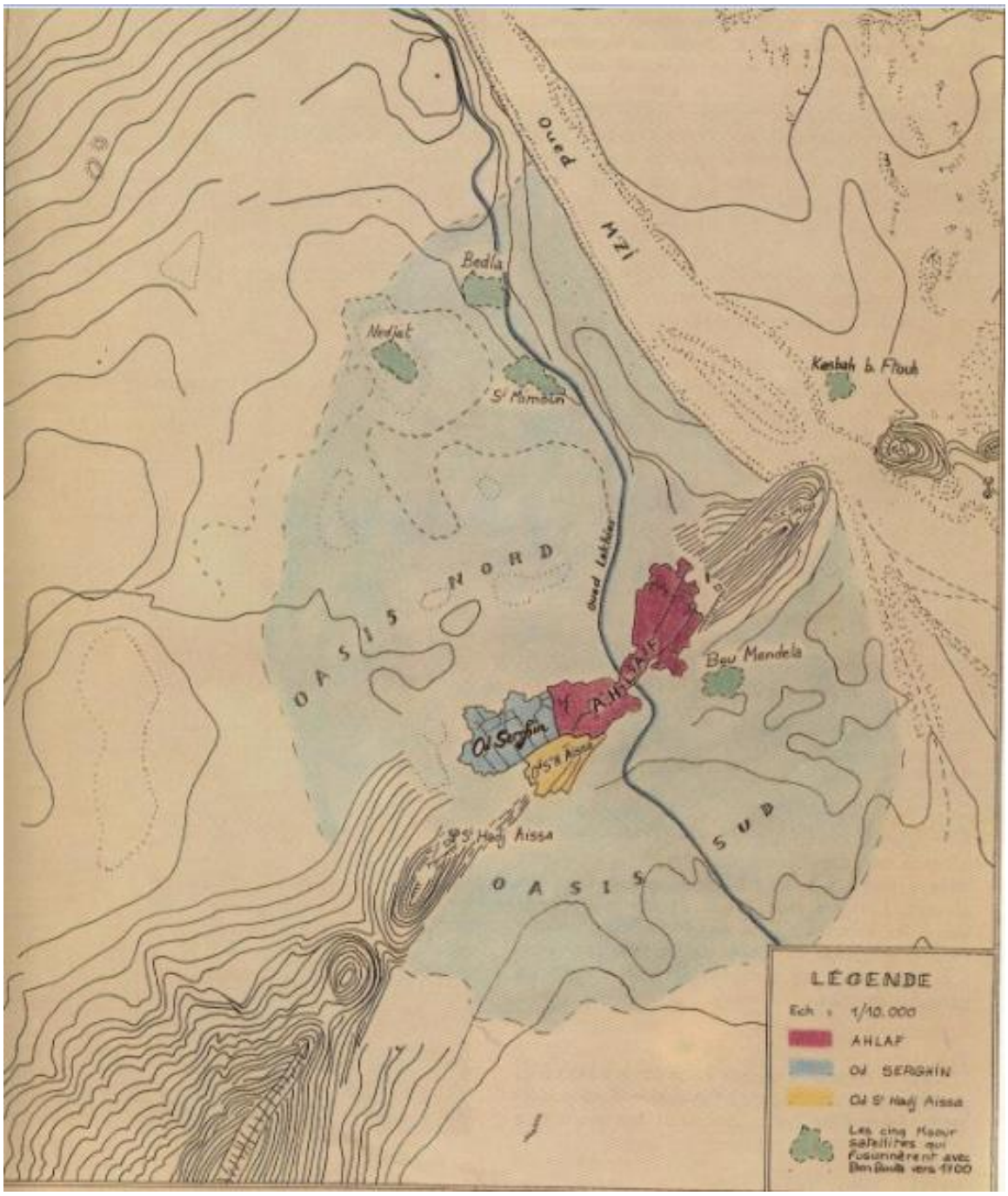

المصدر:

George Hirtz, **L'algerie nomade et ksouriénne 1830–1954**, ed marseille,1989, p138.

الملحق رقم(09): مدينـــــــة الأغـــــواط قبـــل سنة 1852م (أولاد سرغين و الأحلاف)

المصدر : لبتر مداني ، **الأغواط صفحات من التاريخ والحضارة**، دار هومة، الجزائر، 2006، ص24.

الملحق رقم(10): مدينة الأغواط سنة 1950

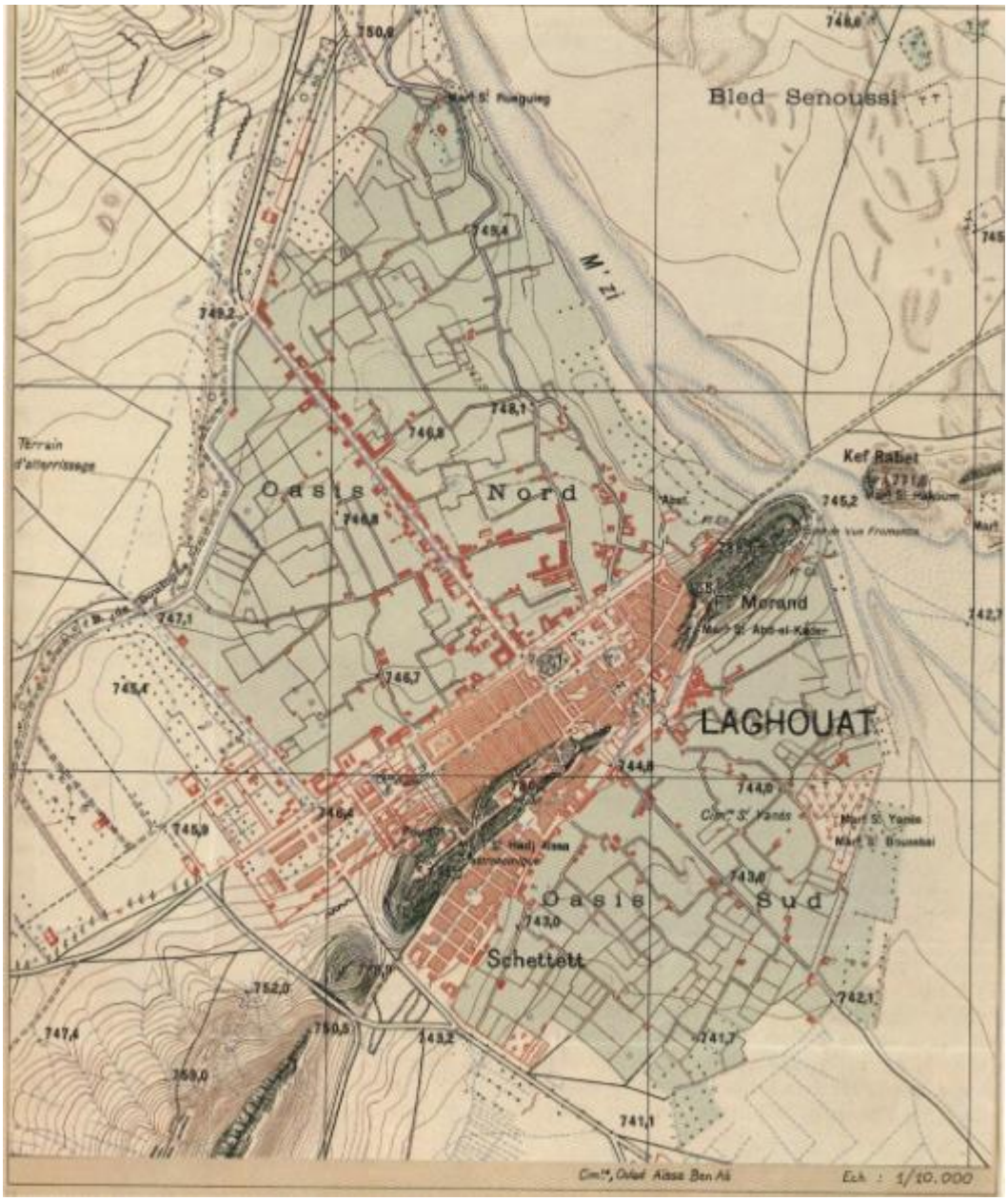

المصدر:

George Hirtz, op.cit , p139.

الملحق رقم(11): رسالة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله السنوسي التي ذكر فيها مجموعة من الأحداث التي وقعت في منطقة الأغواط، مع ذكر بعض القبائل المناصرة له

خطاب سيدي محمد بن عبد الله الشريف الكائن بأرض الشعامبة إلى مـــدير غدامس الحاج موسى آغا بتاريخ ٦ جمادى الثاني ١٢٦٨ .

من محمد بن عبدالله إلى الفـــاضل الورع الحليم البدر الكامل مدير غدامس سيدي الحاج موسى آغا .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد ،

فقد وصلنا كتابكم وقرأناه وفهمنـا ما فيه على شان الشعانبة يحملوا الخير مع التوارق فجزاكم الله خيراً بأحسن الجزاء ، فهذا فعل أهل الفضل والخير باهتمامكم لعافية المسلمين فالله يكون بكم وعلى يديكم إن شاء الله . وأمـــا أنا عبدالله حين قدمت إلى بلاد وارقلة ففتح الله علينا بهـــا وصارت محمدية بعدما كانت في يد الرومي دمره الله وخليفة الرومي فيها . سبحان من حكّم الضعيف في القوي وصار القوي من عباده مخذولاً مذموماً لكن من بركة الشريف شيخنـا سيدي محمد السنوسي رضي الله عنه ونفعنا وإياكم به آمين . وصـــاروا عربان وارقلة وقصورها وقبائل الشعامبة وقصور تفورت وعربانها والأرباع والخرزلية والحجاج وكثير من عربان الظهرة وقصور بني مصـــاب كلهم تحت طاعة الله ورسوله وطاعتنـــا ، والمجاهدين كل يوم في الزيادة . وأخذنا كثيراً من أموال العرب المنتصرة والحمد لله على نصره الدين وظهور شريعة سيـد المرسلين . فالله يدوم علينا وعليكم هذه البركة والفضل دُنيا وآخرة إن شاء الله . وبعث لنا الرومي دمره الله في هذه الساعة ثلاثة أعمل ، محلة من بلاد العمور ومحلة من بلاد الاغواط ومحلة من جهة النوايل تلاقينـــا معهم وصرنا مثل الشامة البيضاء في ثور أسود فنصرنا الله نصراً عزيزاً . وأعلنا على أعدائه ووقع القتال بيننـــا بالبارود والسيوف حتى كسرناهم كسرة عظيمة وقتلنا منهم نحو ثلاثة ماية وستة وثمانون رجلاً وقلعنا من الخيل كثير والبنادق بلا عدد والخزنة والإبل والأخبية والحمد لله على ذلك وبركة الشيخ معنا .

ذكرت لنا أن نبعث لكم كبار الشعامبة وكتبت بالأمان فها هم أكابرهم بعثناهم لكم في الأمان ويرجعون في الأمـان إن شاء الله وأنت قف مع الجميع واجعل بينهم الصلح والعافية التامة والله يوفقنا وإياكم للصواب إن شاء الله وكلما جاءكم من الشعانبة فأنا الملوم به إن طول الله في عمرنا والرقـــاص (أي ساعي البريد) الذي بعثه لنا وصل عندنا يوم خمسة أيام من جمادى الأولى عـام ثمانية وستين ومائتين وألف .

هذا مقتضى جوابه نحرر بختمه
في ٦ جمادى الثاني ١٢٦٨

نقلاً عن سجل رقم « ح » / ٣ / ٥١٠ ، صفحة ٢٠٩ في قسم مخابرة الولاة مع المتصرفين .

المصدر: الدجاني أحمد صدقي، **السنوسية نشأتها الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر**، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت ، 1967، ص 295-296.

الملحق رقم(12): كتاب في حفظ الصحة لعامة مسلمي شمال إفريقية كان يوزع في منطقة الأغواط على الأعيان والقياد

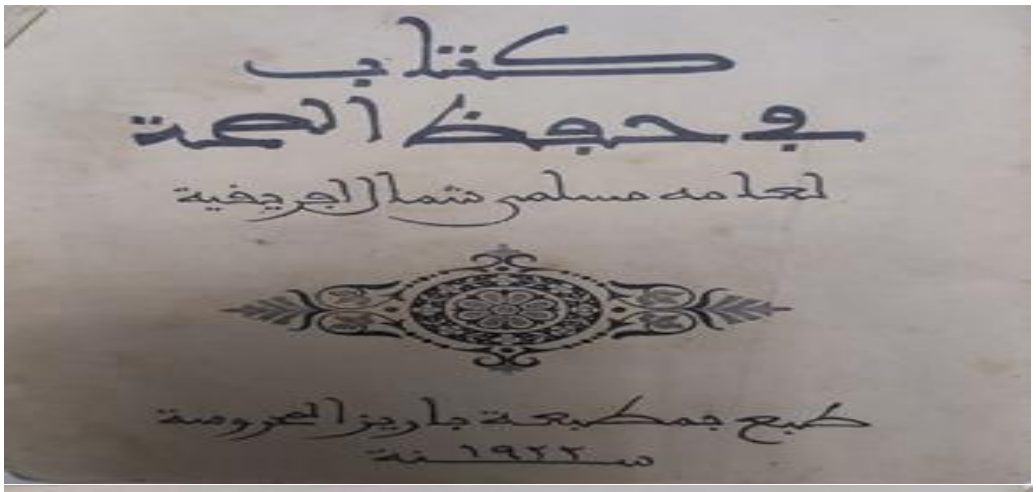
كتاب
في حفظ الصحة
لعامة مسلمي شمال افريقية
طبع بمطبعة جاريزا بالعرومة
سنة ١٩٢٢

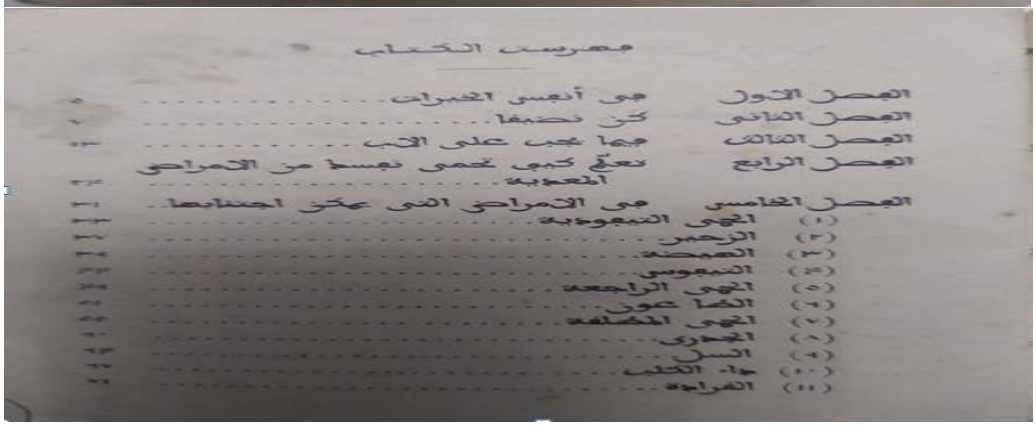
فهرس الكتاب

الفصل الاول في أنفس العبرات
الفصل الثاني كن نظيفا
الفصل الثالث فيما يجب على الأب
الفصل الرابع نصائح كبيرة لخدمة نفسك من الأمراض المعدية
الفصل الخامس في الأمراض التي يمكن اجتنابها
(١) الحمى التيفوئيدية
(٢) الزحير
(٣) الصحة
(٤) التيفوس
(٥) الحمى الراجعة
(٦) الكاعون
(٧) الحمى الملطخة
(٨) الجذري
(٩) السل
(١٠) داء الكلب
(١١) القراءة

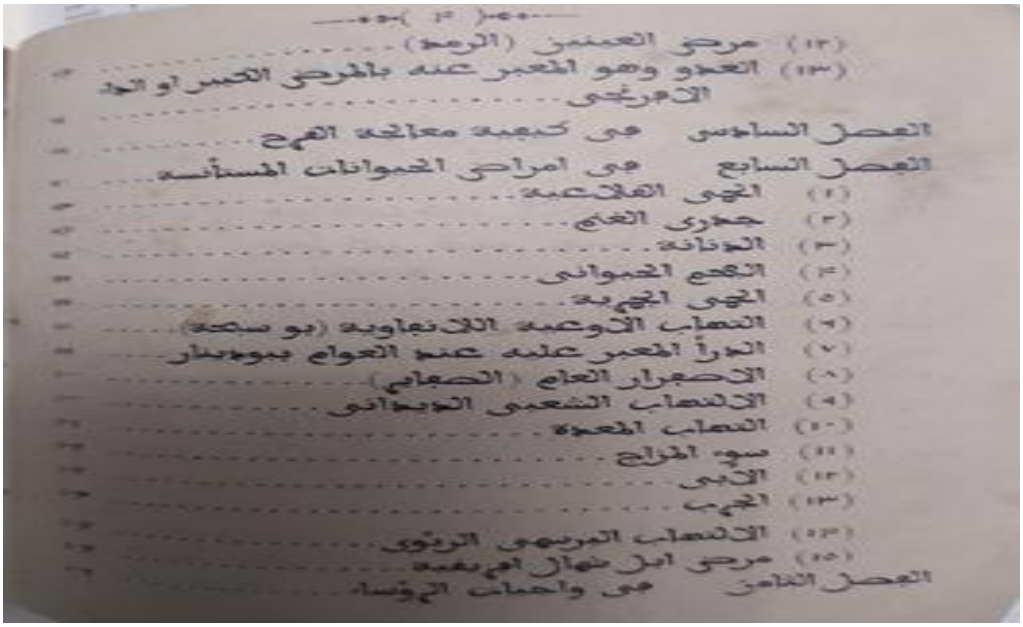
(١٢) مرض العينين (الرمد)
(١٣) العدو وهو المعبر عنه بالمرض النحس او الداء الافرنجي
الفصل السادس في كيفية معالجة القرح
الفصل السابع في امراض الحيوانات المستأنسة
(١) الحمى القلاعية
(٢) جدري الغنم
(٣) الدوانة
(٤) الكحم الحيواني
(٥) الحمى الجهرية
(٦) النصاب الأوعية اللانفاوية (بو سبحة)
(٧) الدرأ المعبر عليه عند العوام ببوبنار
(٨) الاصفرار العام (الصفاير)
(٩) الالتهاب الشعبي الدبوانو
(١٠) النصاب المعوة
(١١) سوء المزاج
(١٢) الأبن
(١٣) الجرب
(١٤) الالتهاب البريهي الرئوي
(١٥) مرض ابل شمال افريقية
الفصل الثامن في واجبات الرؤساء

المصدر: الخزانة العائلية لسيدي بن شاعة بن الصغير الحرزلي الأغواطي

الملحق رقم(13): نموذج عن المنشورات التبشيرية التي كانت توزع في منطقة الأغواط مكتوبة بالعربية الفصحى وبالدارجة:

المصدر: الخزانة العائلية لسيدي بن شاعة بن الصغير الحرزلي الأغواطي

الملحق رقم(14): مجموع مشتمل على مؤلفات في الحساب والفلك وأوقات الصلاة والفلاحة، وهو مما كان يعتمد عليه بعض المثقفين الأغواطيين في شؤونهم:

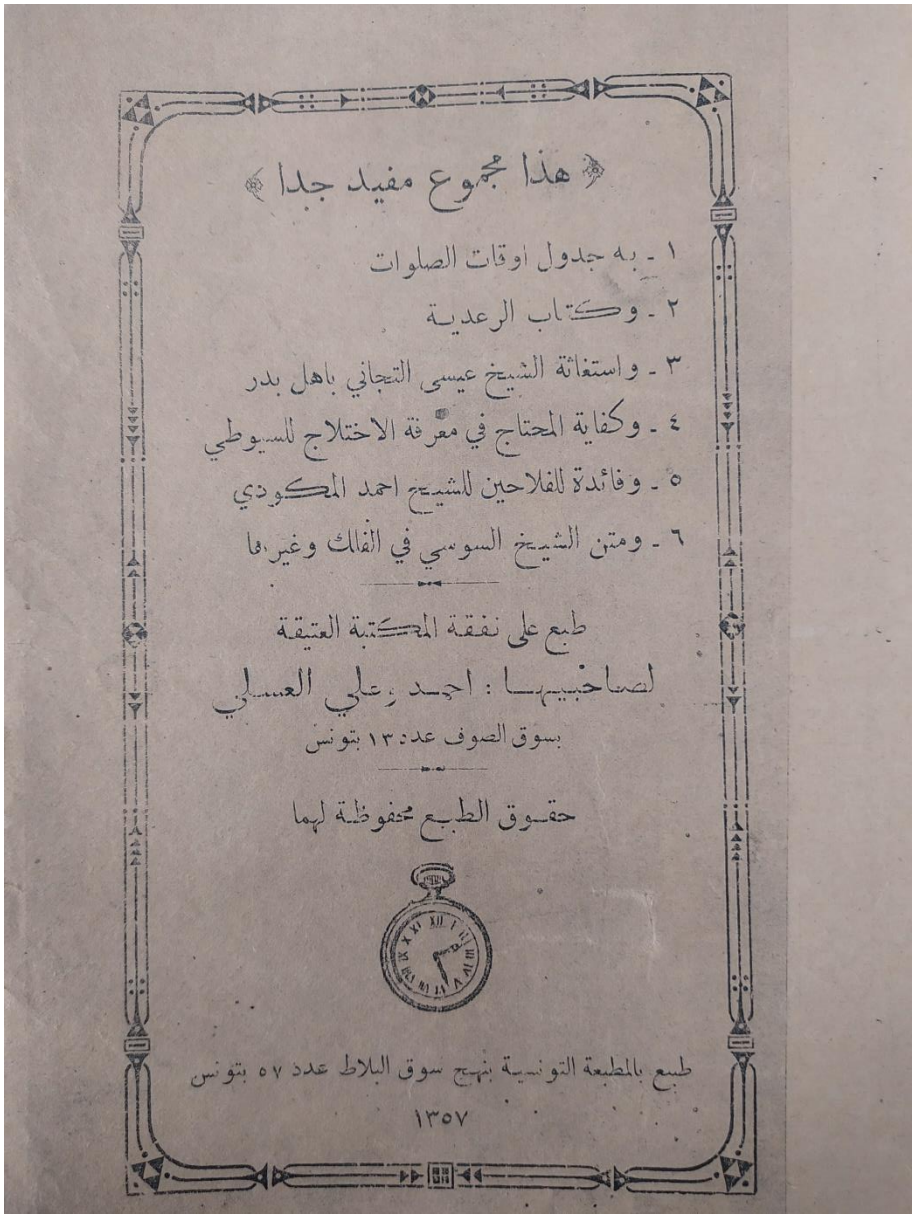

﴿ هذا مجموع مفيد جدا ﴾

١ - به جدول اوقات الصلوات
٢ - وكتاب الرعدية
٣ - واستغاثة الشيخ عيسى التجاني باهل بدر
٤ - وكفاية المحتاج في معرفة الاختلاج للسيوطي
٥ - وفائدة للفلاحين للشيخ احمد المكودي
٦ - ومتن الشيخ السوسي في الفلك وغيرها

طبع على نفقة المكتبة العتيقة
لصاحبيها : احمد وعلي العسلي
بسوق الصوف عدد ١٣ بتونس

حقوق الطبع محفوظة لهما

طبع بالمطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس
١٣٥٧

المصدر: الخزانة العائلية لسيدي بن شاعة بن الصغير الحرزلي الأغواطي

الملحق رقم(15): مخطوط مواهب المنن بملاقاة الشيخ موسى بن حسن لأحمد بن الحاج بن أبي القاسم:

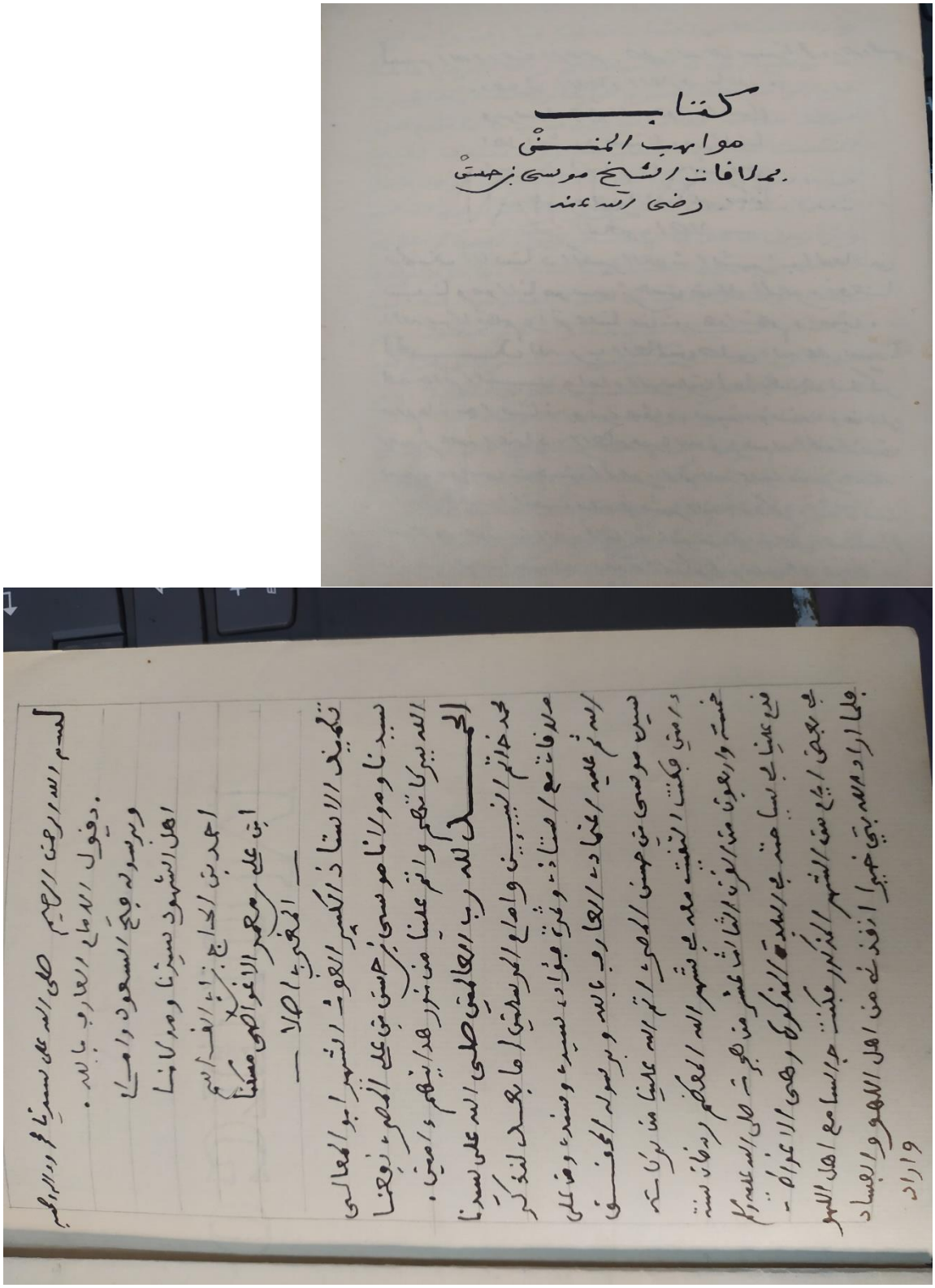

كتاب
مواهب المنن
بملاقاة الشيخ موسى بن حسن
رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم
وبه نستعين وهو حسبنا ونعم الوكيل
ويقول العبد الضعيف الراجي عفو ربه الغني
أحمد بن الحاج بن أبي القاسم
ابن علي من معمر الأغواطي مكنا
المغربي الأصل
تلميذ الأستاذ ذي المكرم الخير الشهير أبو المعالي
سيدنا ومولانا موسى بن حسن بن علي الأحمري نفعنا
الله ببركاتهم وأنار علينا من نورهم آمين.
الحمد لله رب العالمين صلى الله على سيدنا
محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين أما بعد لنذكر
صدرا من أخبار سيدنا وشيخنا وقدوتنا سيدي وسندي وعلى
الله نعتمد عليه ونتوكل ونفوض أمورنا إليه ونسأله العفو
والعافية في الدين والدنيا وحسن الخاتمة بجاه سيدي
موسى بن حسن الأحمري ثم اعلم يا أخي وفقك الله
ورعاك أنه لما كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف
خمسة وأربعون من الفرن الثالث عشر من هجرته صلى الله عليه وسلم
فزع علينا بما حدثه به ولده الذاكر الشاكر رضي الله عنهما
به يحيى أبي ستة الشهير المذكور فكنت جالسا مع أهل اللهو
فلما أراد الله بي خيرا أنقذني من أهل اللهو والفساد
وأراد

المصدر: الخزانة العائلية لسيدي بن شاعة بن الصغير الحرزلي الأغواطي

الملحق رقم(16): مخطوطات لمريدي الطريقة القادرية بالأغواط

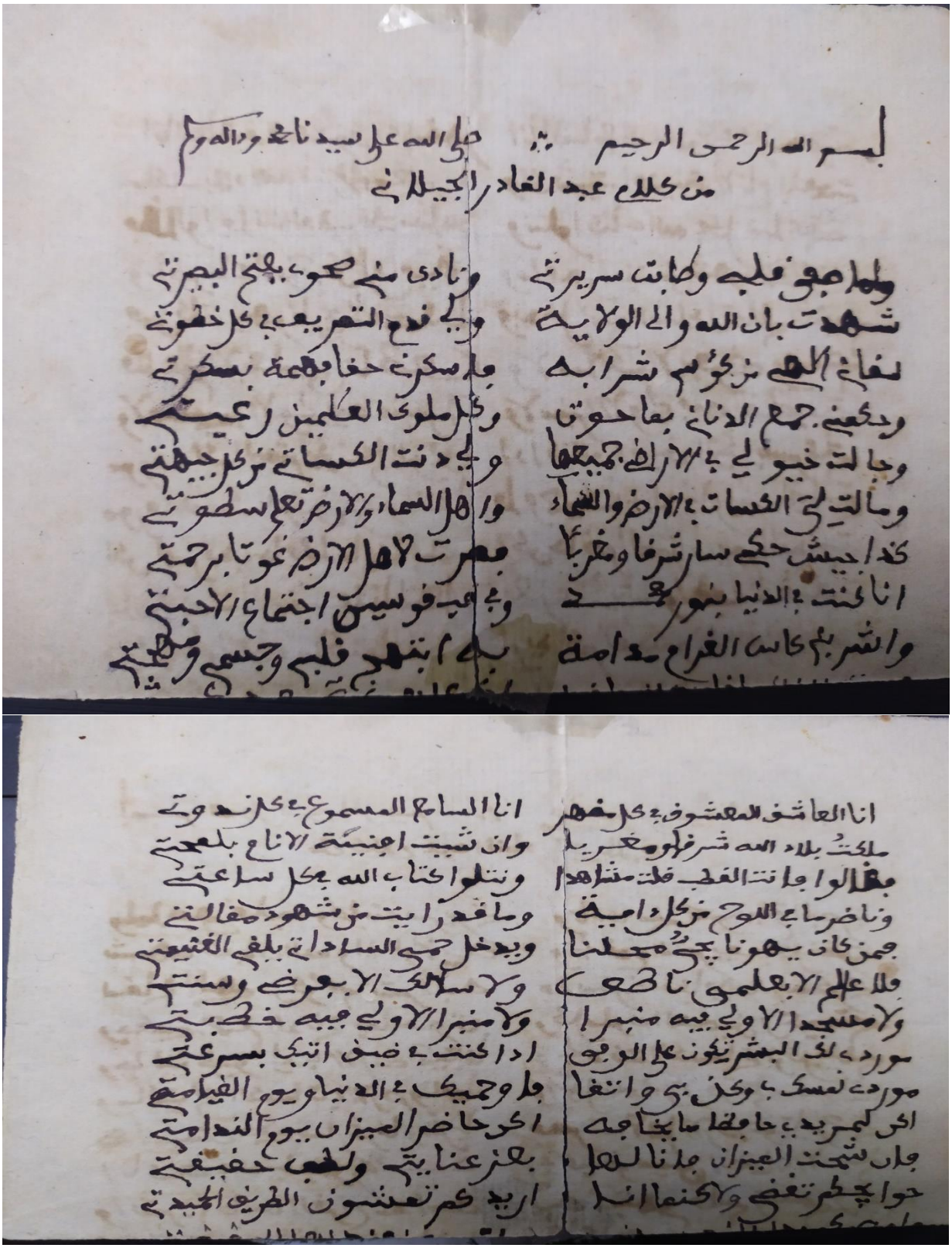

بسم الله الرحمن الرحيم ... صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم
من كلام عبد القادر الجيلاني

ولما صفى قلبه وكانت سريرتي ... ونادى مني صوت بفتح البصيرتي
شهدت بان الله والي الولاية ... وبي قدم التعريف في كل خطوتي
لغواث الله من يحوم شرابه ... ولما سكرت حفا بطعمة بسكرتي
وبكفي جمع الاناني بما حوت ... وكل ملوك العالمين رعيتي
وجالت خيولي في الاراضي جميعها ... وبي دنت الكسات من كل جهتي
ومالت لي الكسات بالارض والسماء ... واهل السماء والارض تحت سطوتي
كذا جيش حكمي سار شرقا وغربا ... بصرت لاهل الارض عوتا برحمتي
انا قلت بالدنيا بنور محمد ... وبي فوسين اجتماع الاحبة
والشرب بي كاس الغرام مدامة ... به ابتهج قلبي وجسمي وبهجتي

انا العاشق المعشوق في كل مظهر ... انا الساقي المسموع في كل ندوتي
ملكت بلاد الله شرقا ومغربا ... واني شيبت اجنبية الاناء بلهجتي
بفالوا واقفت القطب قلت مشاهدا ... ونتلوا كتاب الله بكل ساعتي
وناضر ساحة اللوح من كل اية ... وما قد رايت من شهود مقالتي
جمن كان يهوانا يجي محلنا ... ويدخل حمى السادات بلغي الغشيتي
فلا عالم الا بعلمي ناطق ... ولا سالك الا بعرفي وسنتي
ولا مسجد الا ولي فيه منبرا ... ولا منبر الا ولي فيه خطبتي
موارد لك البشر يكون على الورى ... اذا كنت في ضيق اتيك بسرعتي
موارد نفسك في وكن بي واثقا ... فلو وجهك في الدنيا ويوم القيامة
اكن لمريدي حافظا ما يخافه ... اكن حاضر الميزان يوم الندامة
فان شمخت الميزان فلانا لها ... بعز عنايتي ولطف حفيظتي
حوا يحطر تغفى والكنها انا ... اريد كم تعشون الطريق الجيدة

المصدر: الخزانة العائلية لسيدي بن شاعة بن الصغير الحرزلي الأغواطي

الملحق رقم(17): صورة لمدرسة الشبيبة بالأغواط للشيخ مبارك الميلي سنتي 1345هـ و1347هـ الموافقة لسنتي 1927م و1923م

المصدر: : بلمبارك الأخضر وآخرون، **مدرسة التربية والتعليم في ذكراها الخمسين 1948–1998**، د د ن، الأغواط، 1998، ص 54.

المصدر: إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مطبعة رويغي، الأغواط، 2011، ص 37.

الملحق رقم(18): رسالة من الشيخ مبارك الميلي إلى أحمد توفيق المدني مؤرخة ب1929/09/25 غداة وجوده بالأغواط.

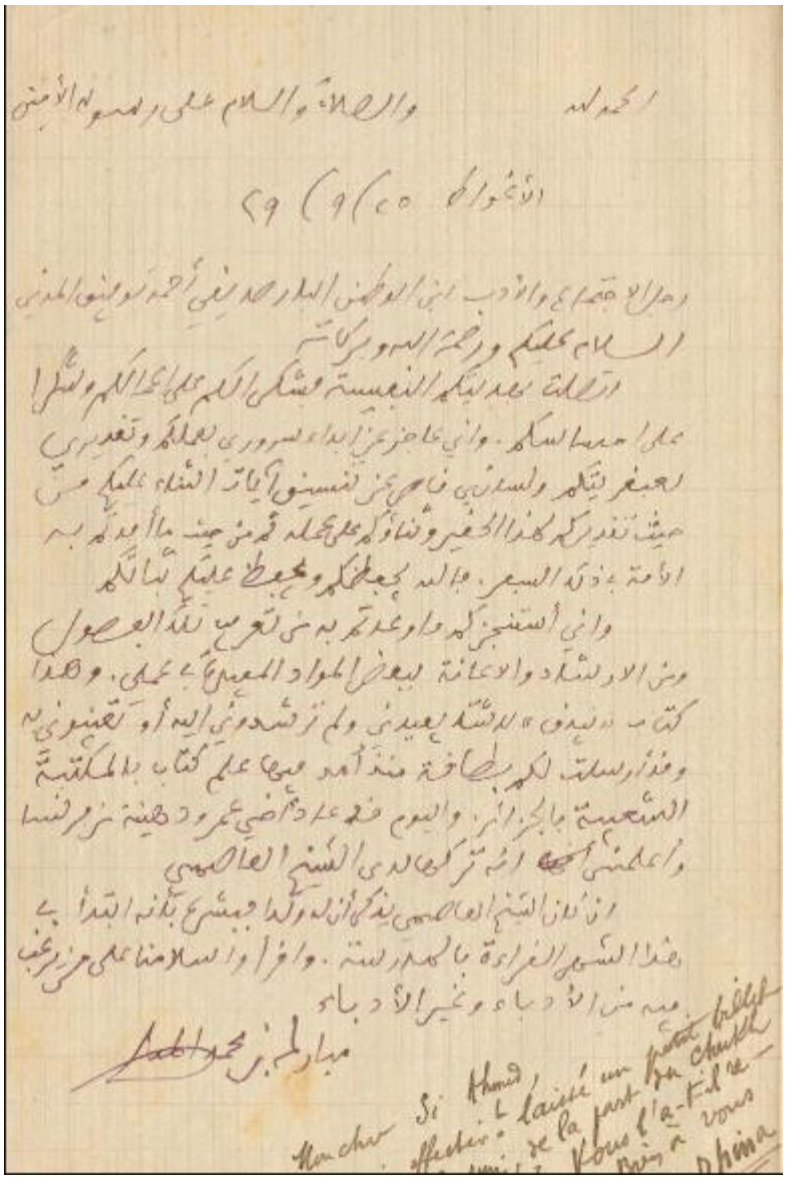

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين

الأغواط 25/09/1929

وصل الاجتماع وأدب ابن الوطن البار صديقي أحمد توفيق المدني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أتحفتنا بعد ليلكم النفيسة فشكر الله لكم على إحسانكم وشكرا على حسن سلامكم. وإني عاجز عن إبداء سروري بعلمكم وتقديري لعنصر نبلكم ولسانين قاصر عن تنسيق آيات الثناء عليكم من حيث تقديركم كذا الخطير وثناؤكم على محله فمن حيث ما أيدكم به الأمة بذكاء السبر. والله يحفظكم ويحيط عليكم بناتكم

وإني أستنجز كم ما وعدتم به من تعريبكم تلك الفصول من الإرشاد والإعانة ببعض المواد المفيدة في عملي. وهذا كتاب «التعريف» «الإرشاد» يفيدني ولم ترشدوني إليه أو تعينوني به وقد أرسلت لكم بطاقة منذ أمد بها علم كتاب بالمكتبة الشعبية بالجزائر. واليوم قد عاد الماضي عمره وطفنا نزور نفسنا ونعلمنا أنه تركها لدى الشيخ العاصمي

إن كان الشيخ العاصمي يذكر أني أنا وكذا فليشرع بأنه البدء بهذا الشهر القراءة بالمدرسة. وإقرأ والسلام على من يرغب فيه من الأدباء وغير الأدباء

مبارك بن محمد

Mon cher Si Ahmed, j'ai laissé un petit billet chez Hachem. Je la part de Kouider Chaibi et la mienne. Vous remercie vous Dhina

الملحق رقم(19): رسالة من الشيخ مبارك الميلي إلى أحمد توفيق المدني مؤرخة ب1930/04/30 غداة وجوده بالأغواط

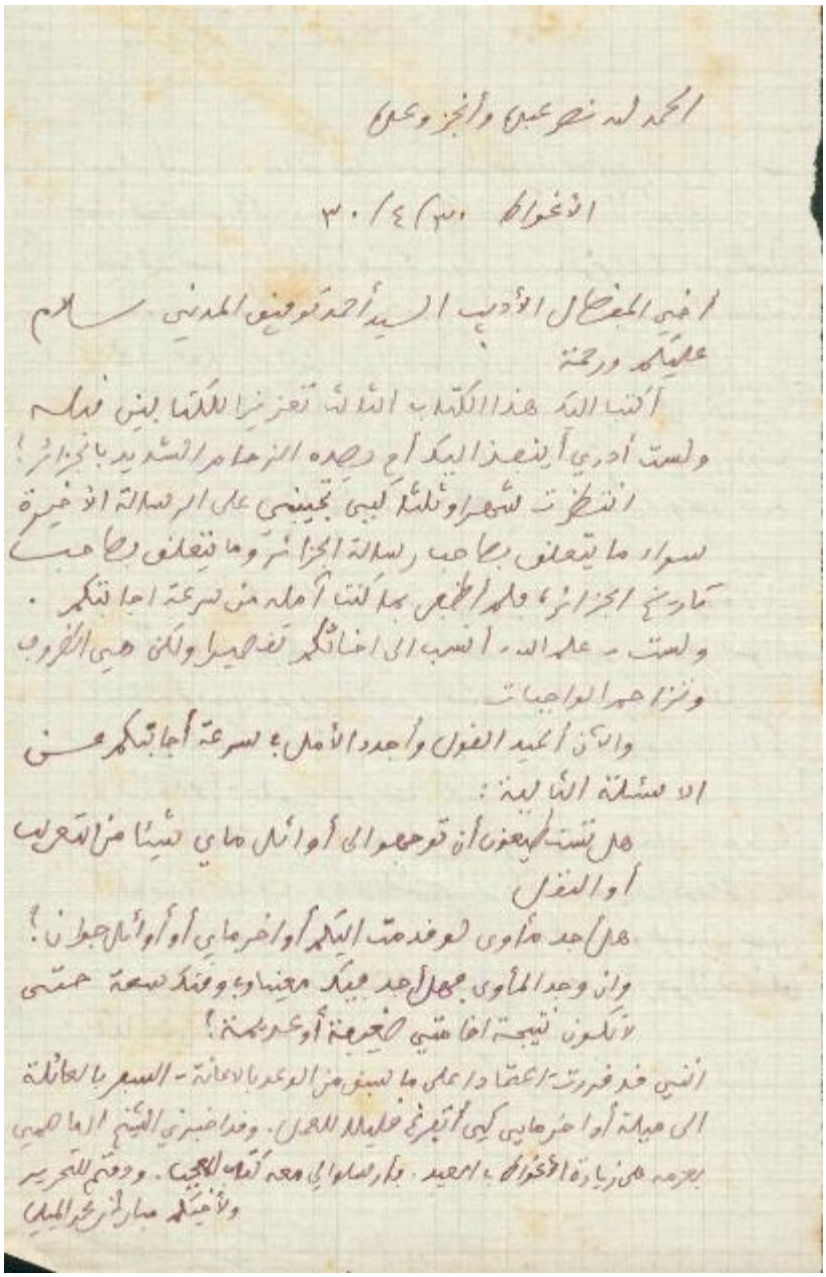

الحمد لله نصر عبده وأعز وعده

الأغواط ٣٠/٤/١٩٣٠

أخي المفضال الأديب السيد أحمد توفيق المدني سلام عليكم ورحمة

أكتب إليك هذا الكتاب الثالث تعزيزا للكتابين قبله ولست أدري أينفذ إليك أم دهمه الزحام الشديد بالجزائر!

انتظرت شهرا وثلثا لعلي تجيبني على الرسالة الأخيرة سواء ما يتعلق بصاحب رسالة الجزائر وما يتعلق بصاحب تاريخ الجزائر، فلم أظفر بما كنت أمله من سرعة اجابتكم. ولست - علم الله - أنسب إلى اخائكم تقصيرا ولكن هي الظروف وتزاحم الواجبات

والآن أحمد الفول وأجدد الأمل بسرعة أجابتكم عن المسئلة الثانية:

هل تستطيعون أن توجهوا إلى أوائل ما يي شيئا من التعريب أو النقل

هل وجد مأوى لو خدمت إليكم أو خرمايي أو أولاد جيطون؟

وإن وجد المأوى فهل أجد فيكم مضيافا وفيكم سعة حتى لا تكون نتيجة اغاثتي ضيعة أو عديمة؟

إني قد قررت اعتقادا على ما يسنح من الوعد بالإعانة - السفر بالعائلة الى ميلة أو خرمايي كي أتفرغ قليلا للعمل. وقد أخبرني الشيخ العاصمي بعزمه على زيارة الأغواط بعد العيد. فإن تصلوا إلي معه كتاب الجواب. ودمتم للتحرير والأخوة مبارك بن محمد الميلي

المصدر:www.elmadani.org

الملحق رقم(20): رسالة من الشيخ مبارك الميلي إلى أحمد توفيق المدني وهي مؤرخة بالتاريخ الهجري 1348/07/07 الموافق ل1929/12/08 غداة وجوده بالأغواط.

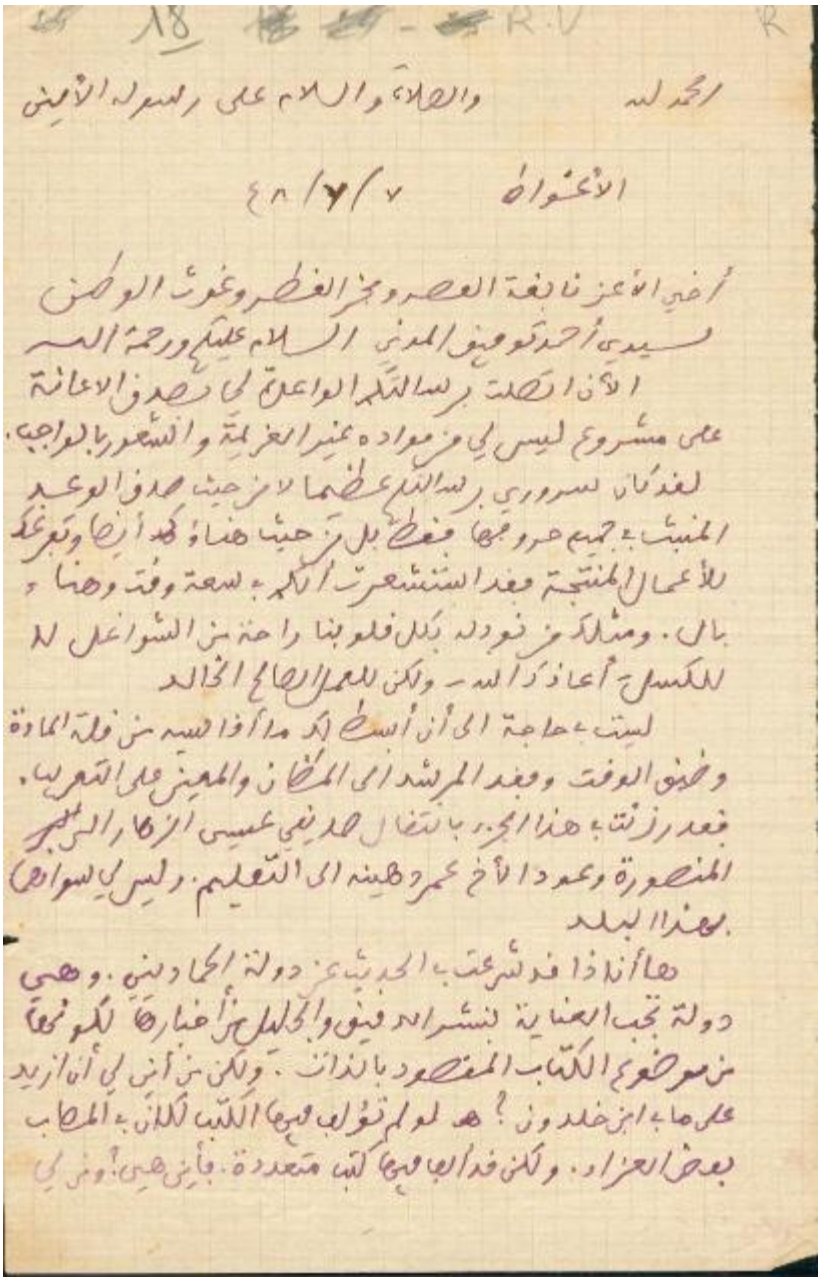

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين

الأغواط ٢٨/٧/٧

أخي الأعز نافحة العصر ومخر الغطر وغوث الوطن
سيدي أحمد توفيق المدني السلام عليكم ورحمة الله
الآن اتصلت برسالتكم الواعدة لي بصدق الإعانة
على مشروع ليس لي من مواده غير العزيمة والشعور بالواجب.
لقد كان سروري برسالتكم عظيما لا من حيث صدق الوعد
المنبئ بجميع حروفها فقط بل من حيث هناءة كهذا إياها وتعرفكم
للأعمال المنتجة فقد استشعرت الكبر بسعة وقت وهناء
بال. ومثلكم من فوده بكل قلوبنا راحة من الشواغل لا
للكسل - أعاذكم الله - ولكن للعمل الصالح الخالد
ليست بحاجة إلى أن أسطر لكم ما أفاده من قلة المادة
وضيق الوقت وفقد المرشد إلى المكان والمعين على التعريب.
فقد رزئت بهذا الجزء بانتقال حديثي عهد إلى الزكار إلى الجزيرة
المنصورة وعمدا الأخ محمد هيئة إلى التعليم. وليس لي سواهما
بهذا البلد
ها أنا ذا قد شرعت بالحديث عن دولة الحماديين. وهي
دولة تجب العناية بنشر الدين والجليل من أخبارها لكونها
من موضوع الكتاب المقصود بالذات. ولكن من أين لي أن أزيد
على ما بابن خلدون؟ هو لم تؤلف فيها الكتب لكان بالمطاب
بعض العزاء. ولكن قد ألف فيها كتب متعددة. فأين هي؟ ومن لي

المصدر:www.elmadani.org

الملحق رقم(21): رسالة من الشيخ مبارك الميلي إلى أحمد توفيق المدني مؤرخة ب1928/11/19 وهو في ميلة يطلب منه فيها أن يراسله في عنوانه الجديد بالأغواط.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين

ميله 19-11-1928

الوطني الصادق والكاتب المجيد الأديب الكبير سيدي أحمد توفيق المدني سلام كشميائكم وطيبها

أما بعد فقد تناولت منذ أمد رسالتكم المؤرخة ثالث أكتوبر. ولو أنكم هذه المدة لوعدكم بالمراسلة بكتاب آخر ولا شتغال بمكري - علاوة على ضروراتي - بما هو خارج عن برنامج حياتي واخطرتني اليه الأخبار

تضمنت تلك الرسالة اعلامي باتصالكم بالنسخ والوعد بتقريب الحصول المطلوبة من كتاب كاوبتك. وإذا كاتبتني عن هذين فلا تبني الى الأغواط بأني عائد اليها عما قريب. وإني أسأل الله لي ولكم ما سألت لي في تلك الرسالة من قليل الاعانة وكثير الصبر. فإنه - والله - سؤال من عرف الأمة وخبر أمالها وآلامها. غير أن صبري يتضعضع لديكم ولدي أيضا اذا كان جنابكم من الفليليين المعنيين لي

ولقد شجعتني بوعودكم التي أنتظر أنكم تفي بها على أن لي حاجة كلمة أخرى لا أراني غيركم لحسن القيام بها ولو كان من يرجون لعهودهم. هذه الكلمة هي البحث عن كتاب للعدواني أظنه رحلة له. وقد بلغني أنه بحر عملي كثيرا. و تسهيلا عليكم أبحث أولي ايكم بنقيضة بحثي عنه. ذلك اني رأيت بكتب سعر النفل عنه بكتاب جرلنس تعريب السيد: «عصور المغرب المظلمة»، مؤلفه غوتيه أحد أساتذة الكلية بالجزائر. ثم ذكره بأحسن العربية. وكان صديقي السيد تيطاوين ترجمان لميلة يعرف هذا المؤلف. فكاتبه مستفسرا عن كتاب العدواني. فأجابه بأنه لا يعرف أصله العربي، وانما نقل عنه بواسطة جيرو الفرنسي. ثم هل هو لا يدري هل جيرو ذكر المكتبة التي بها المخطوط العربي؟ فقال: وهل زميلي لا يستأذن ابن شنب لعلم يقظان هذا الكتاب. فعسى يخاطبه أو كاتب السيد مصطفى عبد اللطيف حافظ المكتبة البلدية بالجزائر

وحيث بلغت هذه النقطة من البحث رأيت أن أكاتب أحدا من ذكر غوتيه ولكن لجهلي بعنوانكم كاتبت جنابكم معتمدا على عنايتكم باسترشادكم عن هذا الكتاب النفيس لفائدته وغرابته أو لغرابته فقط. فلا خلاف عليه بعيد كيفما كان. وإني أرجو أن تخبروني بنتيجة بحثكم في الأغواط

ودمتم للعلم والوطن ولأخيكم: مبارك بن محمد الميلي

المصدر: www.elmadani.org

الملحق رقم(21): رسالة الأستاذ عمر دهينة للشيخ أحمد توفيق المدني مؤرخة ب:

1928/06/16

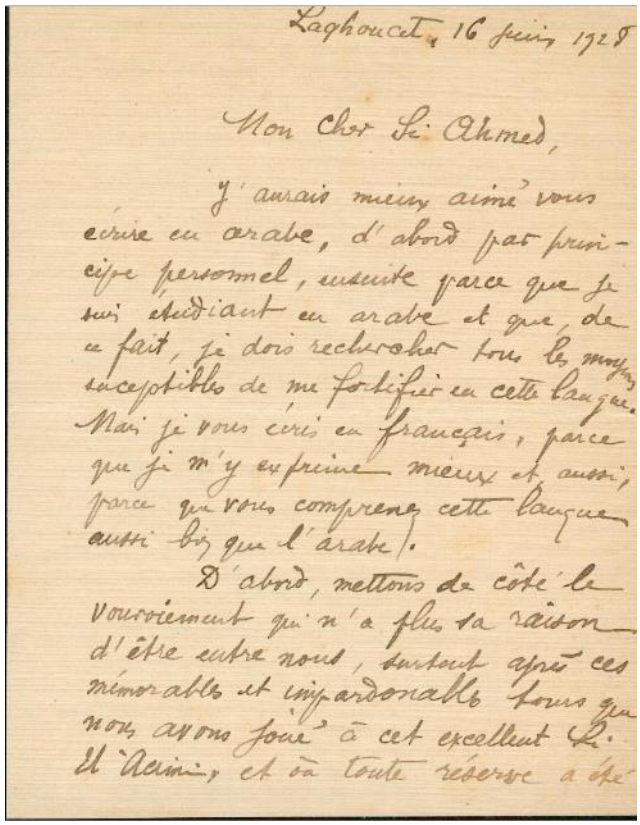

Laghouat, 16 juin 1928

Mon Cher Si Ahmed,

J'aurais mieux aimé vous écrire en arabe, d'abord par principe personnel, ensuite parce que je suis étudiant en arabe et que, de ce fait, je dois rechercher tous les moyens susceptibles de me fortifier en cette langue. Mais je vous écris en français, parce que je m'y exprime mieux et aussi, parce que vous comprenez cette langue aussi bien que l'arabe.

D'abord, mettons de côté le vouvoiement qui n'a plus sa raison d'être entre nous, surtout après ces mémorables et impardonnables tours que nous avons joué à cet excellent Si El Acimi, et où toute réserve a été

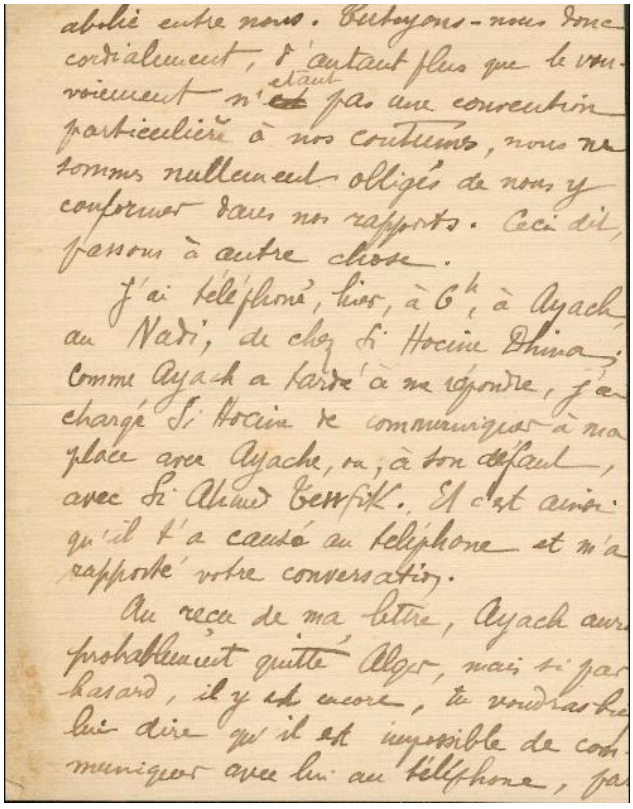

abolie entre nous. Tutoyons-nous donc cordialement, d'autant plus que le vouvoiement n'étant pas une convention particulière à nos coutumes, nous ne sommes nullement obligés de nous y conformer dans nos rapports. Ceci dit, passons à autre chose.

J'ai téléphoné, hier, à 6h, à Ayach au Nadi, de chez Si Hocine Dhina. Comme Ayach a tardé à me répondre, j'ai chargé Si Hocin de communiquer à ma place avec Ayache, ou, à son défaut, avec Si Ahmed Bentifik. Il doit avoir qu'il t'a causé au téléphone et m'a rapporté votre conversation.

Au reçu de ma lettre, Ayach aura probablement quitté Alger, mais si par hasard, il y est encore, tu voudras bien lui dire qu'il est impossible de communiquer avec lui au téléphone, par

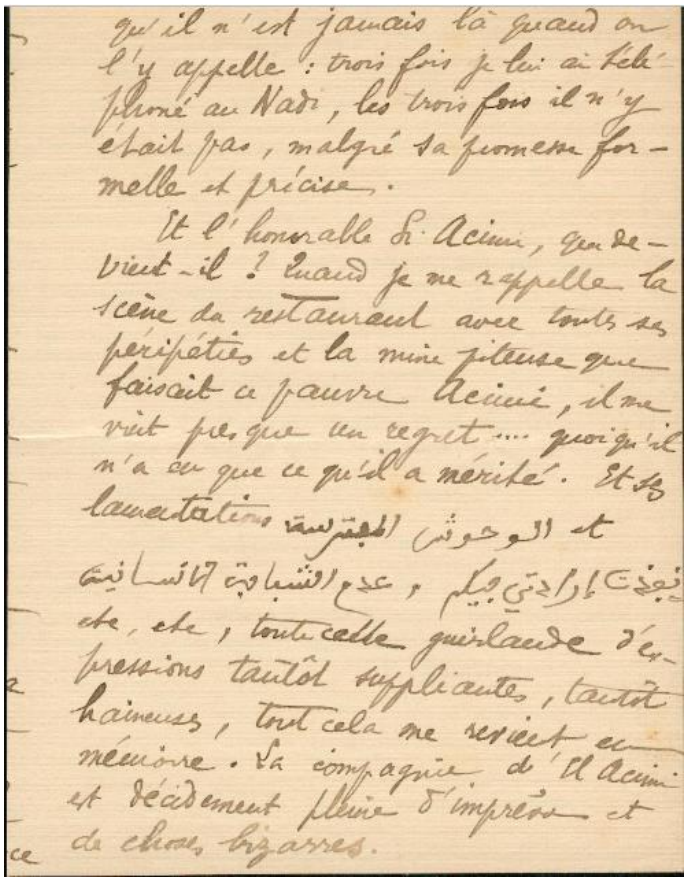

qu'il n'est jamais là quand on l'y appelle : trois fois je lui ai téléphoné au Nadi, les trois fois il n'y était pas, malgré sa promesse formelle et précise.

Et l'honorable Si Acimi, que devient-il ? Quand je me rappelle la scène du restaurant avec toutes ses péripéties et la mine piteuse que faisait ce pauvre Acimi, il me vient presque un regret .... quoiqu'il n'a eu que ce qu'il a mérité. Et ses lamentations المجترسة et نبوغت ارادتي جيلم, عدم الشباب الانسانية etc, etc, toute cette guirlande d'expressions tantôt suppliantes, tantôt haineuses, tout cela me revient en mémoire. La compagnie de Il Acimi est décidément pleine d'imprévu et de choses bizarres.

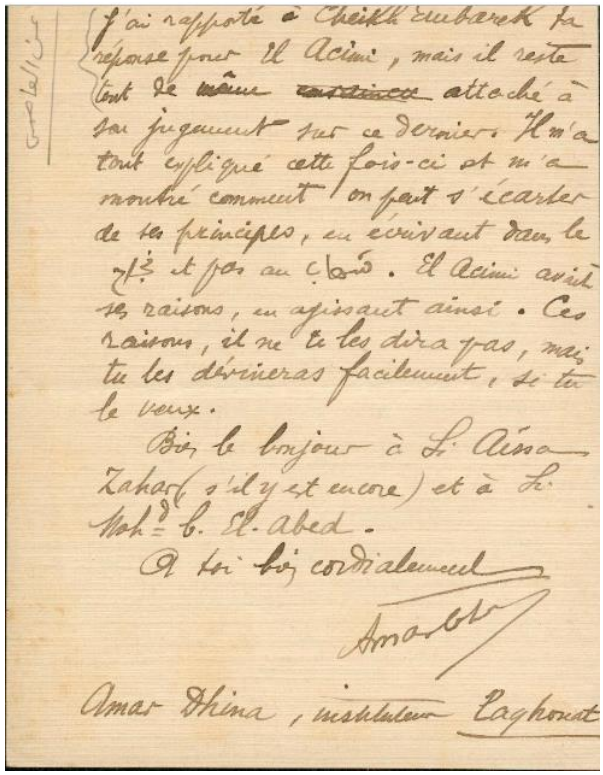

J'ai rapporté à Cheikh Lmbarek ta réponse pour Il Acimi, mais il reste tout de même ~~entêté~~ attaché à son jugement sur ce dernier. Il m'a tout expliqué cette fois-ci et m'a montré comment on peut s'écarter de ses principes, en écrivant dans le ~~ظ~~ et pas au ~~ض~~. El Acimi avait ses raisons, en agissant ainsi. Ces raisons, il ne te les dira pas, mais tu les devineras facilement, si tu le veux.

Bien le bonjour à Si Aïssa Zahar (s'il y est encore) et à Si Mohd b. El-abed.

A toi bien cordialement

Amar

Amar Dhina, instituteur Laghouat

المصدر: www.elmadani.org

الملحق رقم(22): رسالة من الشيخ مبارك الميلي إلى أحمد توفيق المدني مؤرخة ب1930/01/27

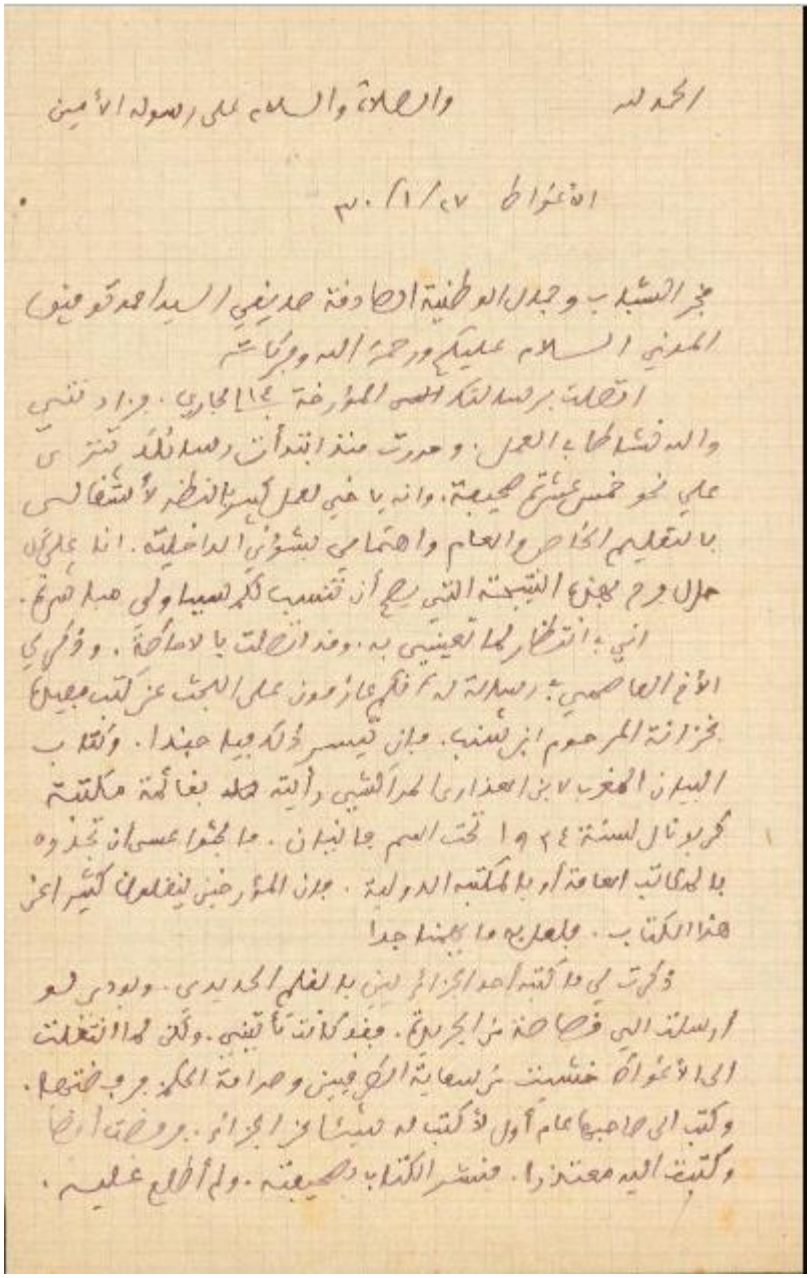

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين

الأغواط ٢٧/١/٣٠

مجز الشباب وجدل الوطنية الصادقة حضرة السيد أحمد توفيق المدني السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اتصلت برسالتك المؤرخة ١٤ الجاري. وزاد فتنتي والله شغفا بالعمل. وحررت منذ ابتدأت رسالتك تترى على نحو خمس عشرة تحية، وانه ليخيل لي أحيانا أن نظرة الاشفاق على بالتعليم الخاص والعام واهتمامي بشؤون الداخلية. انما على كل حال فرح بهذه النتيجة التي يرجى أن تنسب لكم جميعا ولي منها قسط.

اني انتظر لما تعيشني به. وقد اتصلت بالاصالة. وذكرني الأخ الحاج حمي بسيارة له. فكم عازمون على البحث عن كتب مفيدة بخزانة المرحوم ابن سنب. وان تيسر ذلك فيا حبذا. وكتاب البيان المغرب لابن العذاري لعمر الشيء رأيته عند بقالة مكتبة كربونال لسنة ٢٤ و١ تحت العنوان جالبان. ما الجواب عسى ان تجدوه بالمكاتب العامة أو بالمكتبة الدولية. وان المؤرخين ليقلقون كثيرا عن هذا الكتاب. فالعثور عليه يهمنا جدا

ذكرت لي ما كتبه احد الجزائريين بالفلك الحديدي. ولودي لو أرسلته الي فصاحة من الجريدة. فقد كانت تأتيني. ولكن لما انتقلت الى الأغواط خشيت من سعاية الكوميس وصرامة الحكم بوجه خاص. وكتب الي صاحبها عام أول فكتبت له قصيدة من الجزائر. يرفض ارضا وكتبت اليه معتذرا. فنشر الكتاب بدون قصيدته. ولم أطلع عليه.

المصدر:www.elmadani.org

الملحق رقم(23): رسالة من الشيخ مبارك الميلي إلى أحمد توفيق المدني غير مؤرخة، الأكيد أنها مرسلة من الأغواط بسبب ورود اسم "عطاء الله بوعامر" وهو من أعيان وأغنياء الأغواط ونصير للحركة الإصلاحية.

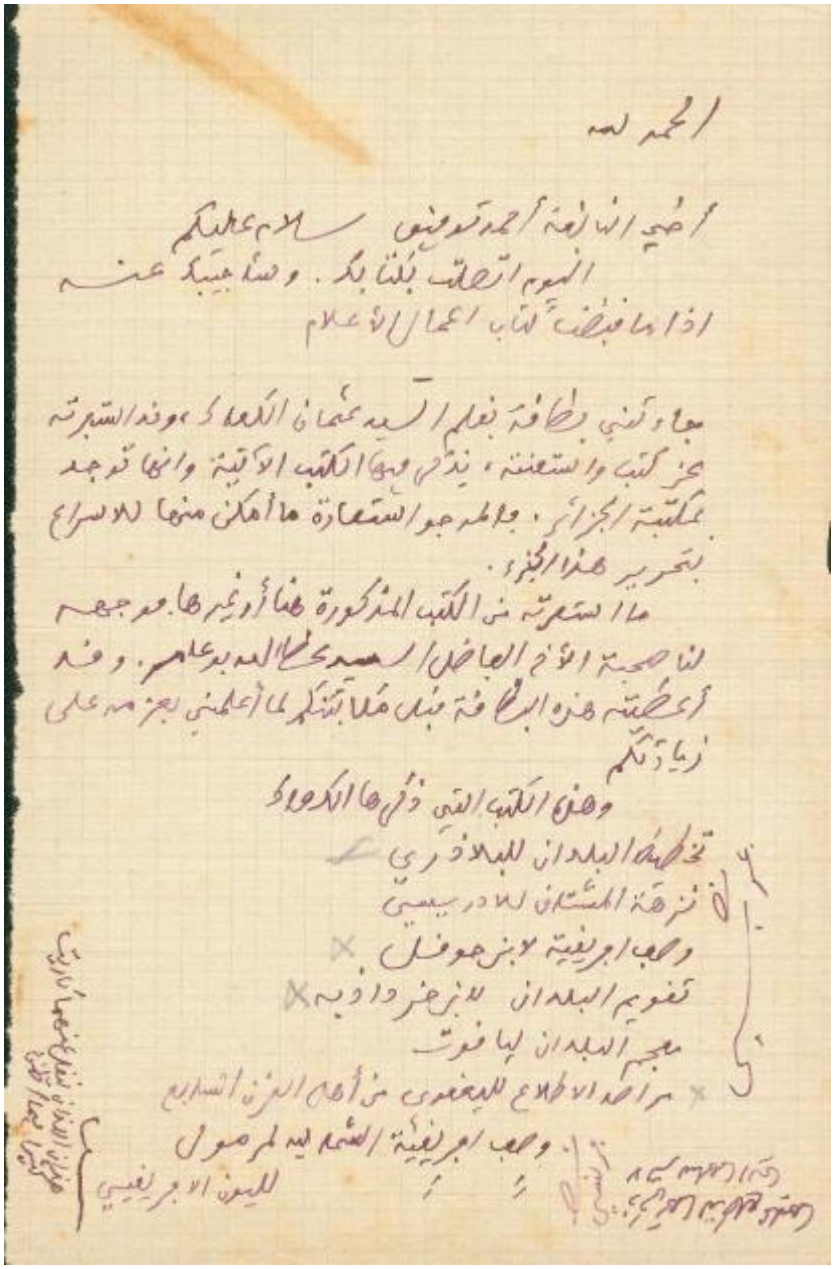

الحمد لله

أخي النابغة أحمد توفيق السلام عليكم
اليوم اتصلت بكتابك. وسأجيبك عنه
إذا ما قبضت كتاب أعمال الأعلام

جاءني بطاقة بقلم السيد عثمان الكعاك، موفد السيرته
بحر كتب واستفتته، يذكر فيها الكتب الآتية وانها توجد
بمكتبة الجزائر، وطلب جواب استعارة ما أمكن منها للاسراع
بتحرير هذا الجزء.
ما استعرته من الكتب المذكورة هنا أو غيرها مرجعه
لناصحة الأخ الفاضل السيد محمد عطاء الله بوعامر. وقد
أعطيته هذه البطاقة قبل ملاقتكم ما أعلمني بعزمه على
زيارتكم

وهذه الكتب التي ذكرها الكعاك
تحفة البلدان للبلاذري
نزهة المشتاق للادريسي
وصف افريقية لابن حوقل
تقويم البلدان لابي الفدا
معجم البلدان لياقوت
مراصد الاطلاع للبغدادي من أهل القرن السابع
وصف افريقية المشهد به لمرصول
للعيون الافريقي

المصدر:www.elmadani.org

الملحق رقم(24): رسالة من الشيخ مبارك الميلي إلى انعيمة بن مُحَمَّد صاحب دكان الأدباء وأحد المثقفين وأنصار الحركة الاصلاحية في الأغواط

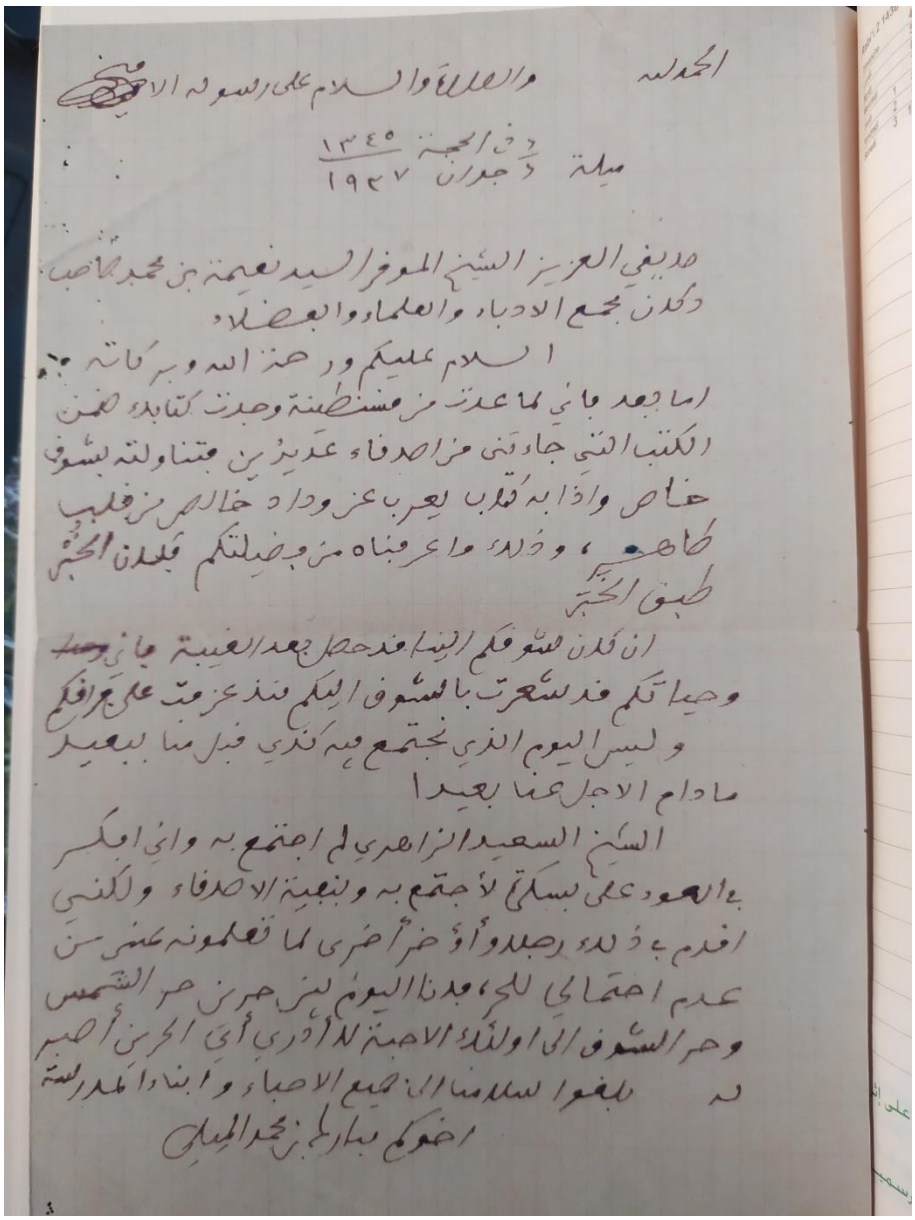

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين

قسنطينة في ٢٥ ذي الحجة ١٣٤٥
٢ جوان ١٩٢٧

حديقي العزيز الشيخ المؤرخ السيد نعيمة بن محمد صاحب دكان مجمع الأدباء والعلماء والفضلاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فإني لما عدت من مستطنة وجدت كتابك ضمن الكتب التي جاءتني من أصدقاء عديدين فتناولته بشوق خاص وإذا به قلب يعرب عن وداد خالص من قلب طاهر، وذلك ما عرفناه من فضيلتكم فإن المخبر طبق الخبر

إن كان شوقكم إلينا قد حصل بعد الغيبة فإني وصياتكم قد شعرت بالشوق إليكم فقد عزمت على زيارتكم وليس اليوم الذي نجتمع فيه كالذي قبل منا ببعيد ما دام الأجل عنا بعيدا

الشيخ السعيد الزاهري لم أجتمع به وإني أبكر بالعود على بسكرة لأجتمع به وبقية الأصدقاء ولكني أقدم بذلك رجلا وأؤخر أخرى لما تعلمونه عني من عدم احتمالي للحر، فإذا اليوم لين حر الشمس وحر الشوق إلى أولئك الأحبة لا أدري أي الحرين أصبر له

بلغوا سلامنا إلى جميع الأصحاب وأبناء المدرسة

أخوكم مبارك بن محمد الميلي

المصدر: الخزانة العائلية لسيدي بن شاعة بن الصغير الحرزلي الأغواطي

الملحق رقم(25): مراسلة من الشيخ مبارك الميلي في ميلة إلى تلميذه أحمد قصيبة في الأغواط بعد رحيل الميلي عن الأغواط تتضمن نصائح وإرشادات مؤرخة بـ: جويلية 1939.

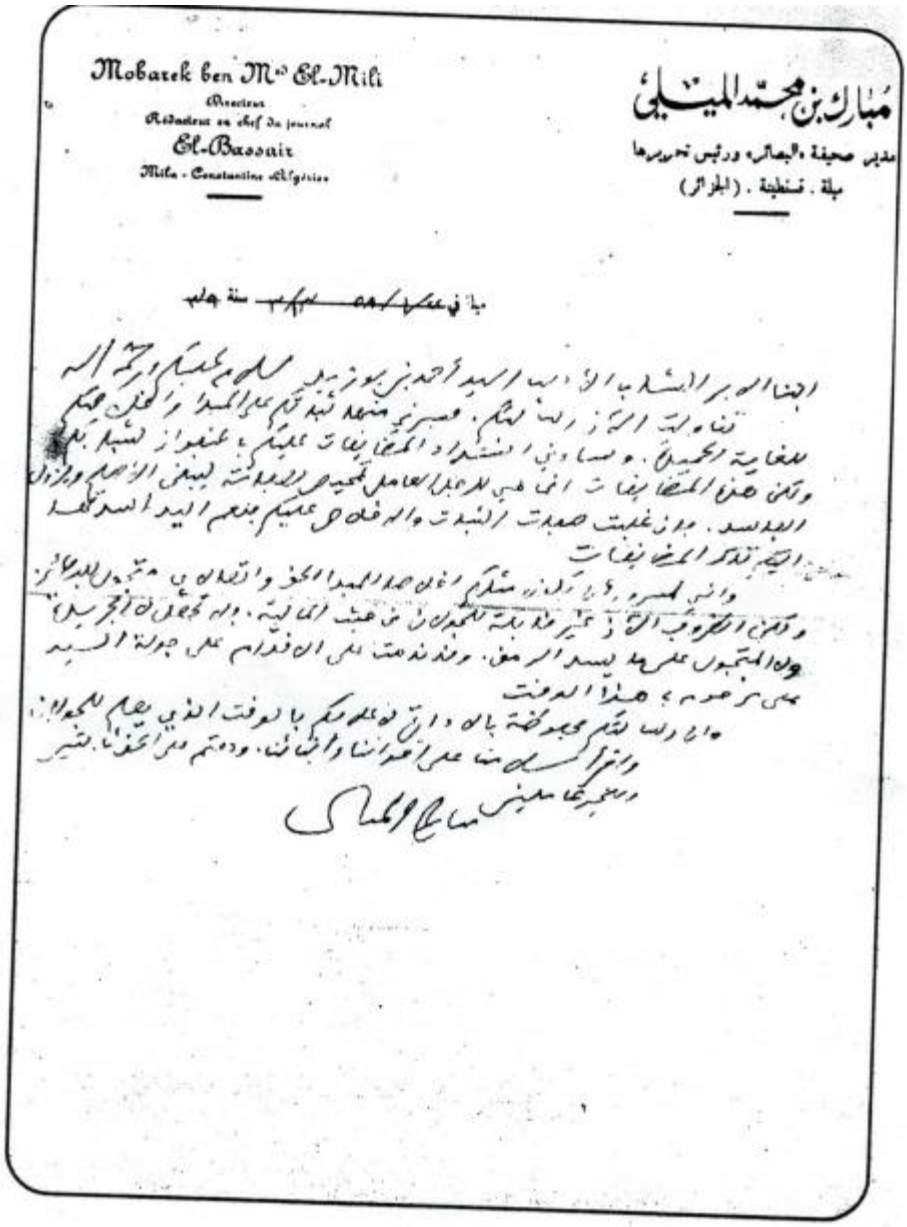

Mobarek ben Mohammed El-Mili
Directeur
Rédacteur en chef du journal
El-Bassair
Mila - Constantine (Algérie)

مبارك بن محمد الميلي
مدير صحيفة «البصائر» ورئيس تحريرها
ميلة . قسنطينة . (الجزائر)

المصدر: بلمبارك الأخضر وآخرون، مرجع سابق، ص74.

الملحق رقم (26): رسالة من الشيخ مبارك الميلي إلى تلميذه أبو بكر بن بلقاسم الحاج عيسى تتضمن نصائح وإرشادات، وفيها جواب على طلب الحاج عيسى من الميلي العودة إلى الأغواط، مؤرخة بسنة: 1934

Le trésorier de
l'association des OulamasMusulmans
ALGÉRIENS
M'barek ben Mohamed El-Mili
PROFESSEUR LIBRE
MILA
(CONSTANTINE)

أمين مال
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
مبارك بن محمد الميلي
مدرس حر
ميلة (قسطينة)

بلة في ١٣٥٢
١٩٣٤

المصدر: علالي محمود ، **الحركة الإصلاحية في الأغواط**، bloutou.c، الجزائر، 2008، ص206.

الملحق رقم(27): استقبال الشيخ البشير الإبراهيمي عند مدخل المدينة سنة 1948 لتدشين مدرسة التربية والتعليم بالأغواط – أقصى الصورة على اليمين الشيخ البشير الإبراهيمي وعن يمينه عبد القادر بن لحبيب وبجانبه الشيخ أحمد شطة.

المصدر: خميلي ، مرجع سابق، ص144.

الملحق رقم(28): الشيخ زاهية الحسين المرشد الديني على اليسار وقائد فرقة الكشافة خميلي مُحَّد في مخيم بالحاجب سنة 1954م

المصدر: خميلي، مصدر سابق، ص166.

الملحق رقم(29): رسالة الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى أحمد قصيبة المؤرخة في 12مارس1939م

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله

قسنطينة ٢٠ محرم ١٣٥٨ هـ و ١٢/٣/١٩٣٩ م

حضرة الأخ الفاضل السيد احمد قصيبة - وعواصم -

أيها الأخ:

لم يمر ظرف عسير على الإسلام والعربية بالقطر الجزائري كهذا الظرف الذي نحن فيه تعليمهما الفعلي معطل ورجاله يلقون عذاب الهون من المحاكمات والحبس والتعزير، والقوانين جائرة تشرع للتنكيل بهم والتضييق عليهم. وقد مرّ في عدد البصائر الأخير ما أشارته ذكرى يوم ٨ مارس المشؤوم على العربية من شجون وكانت تتبعتها ذلك التيار الجارف المطول الذي أبطل مجهودي في مقاومة ذلك القرار الجائر إلا قليلا ما لقيت من محنة وبلاء، واعتقادي الجازم وأنكم لا تقصرون في نجدة ديننا ولغتنا وعربيتنا في الدفاع عنها

وعليه فإنني أدعوكم باسم الإسلام والعربية إلى الحضور بالجزائر يوم الاثنين السابع عشر من مارس الجاري على الساعة التاسعة صباحا بنادي الترقي للمفاوضة مع إخوانكم فيما يجب علينا سلوكه في دفع التهم الباطلة التي نسبت عنها هذه المضايقات المتكررة للعربية ورجالها، وللاتفاق على الوسائل القانونية للدفاع عن التعليم الديني العربي الذي انتم في كل مكان مررت به وأقرأ كل يوم مآت الشكاوي المتصاعدة من قلوب محزونة ونفوس متأثرة فاسكنها بما أمرنا الله به من الثبات على الحق والصبر على المكاره وعسى أن في اجتماعكم ما يزيد هذا القلق تثبيتا في النفوس

وقد كتبت لإخوانكم رؤساء الشعب وغيرهم مقتضيا حضورهم ويقيني أنكم تحضرون

وبما أن الحضور واجب عيني فلتستصدروا أنتم أوامركم لأعضاء الشعبة على نفقات سفرهم.

والله يحفظكم

عبد الحميد بن باديس

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المصدر:

http://sidielhadjaissa.over-blog.com/2015/06/557fb9ed-f233.html

الملحق رقم(29): زيارة عبد الحميد بن باديس كما صورها الشيخ مُحَمَّد بن عزوز الهلالي:

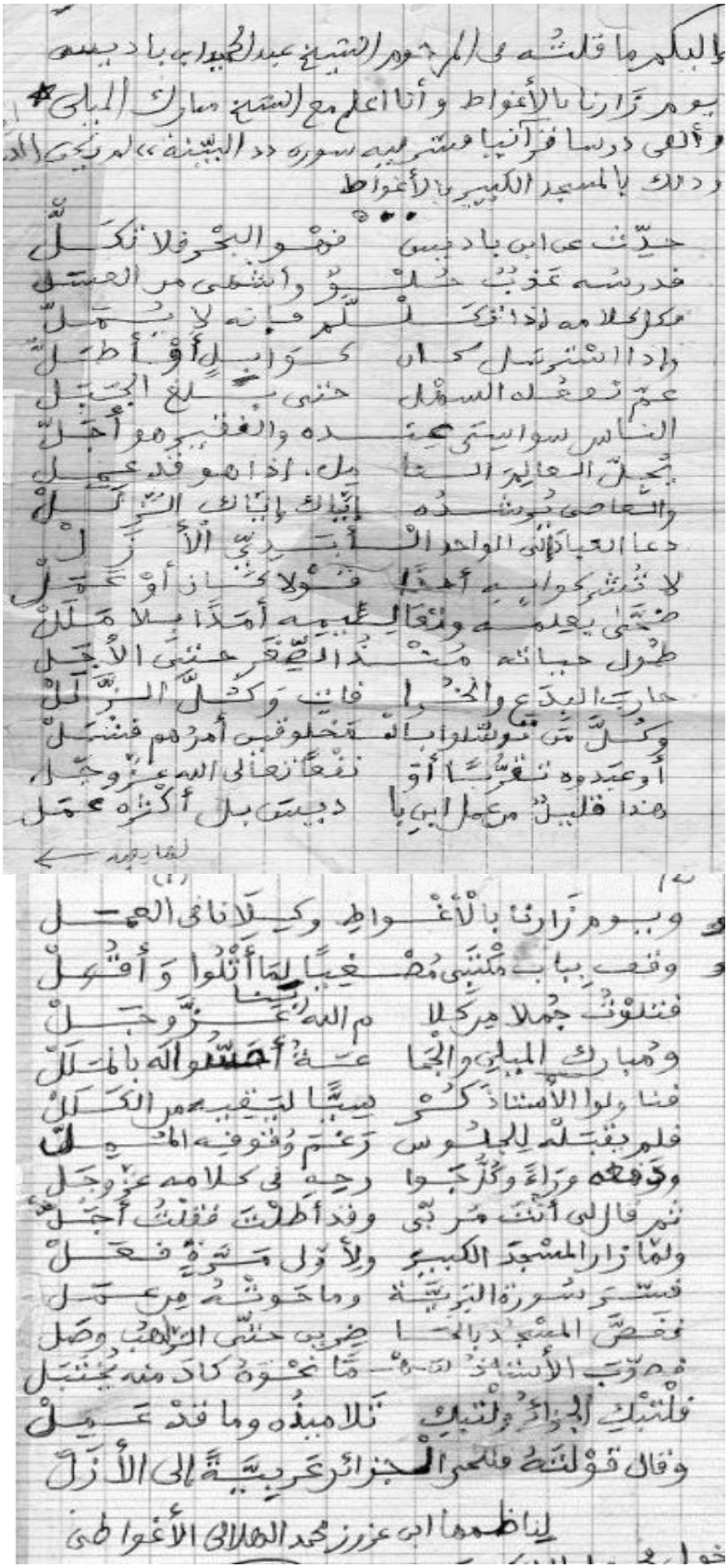

المصدر:http://samokey.over-blog.fr/

الملحق رقم(30): التعليم الاصلاحي في الأغواط من خلال شهادة الشيخ مُحَمَّد بن عزوز

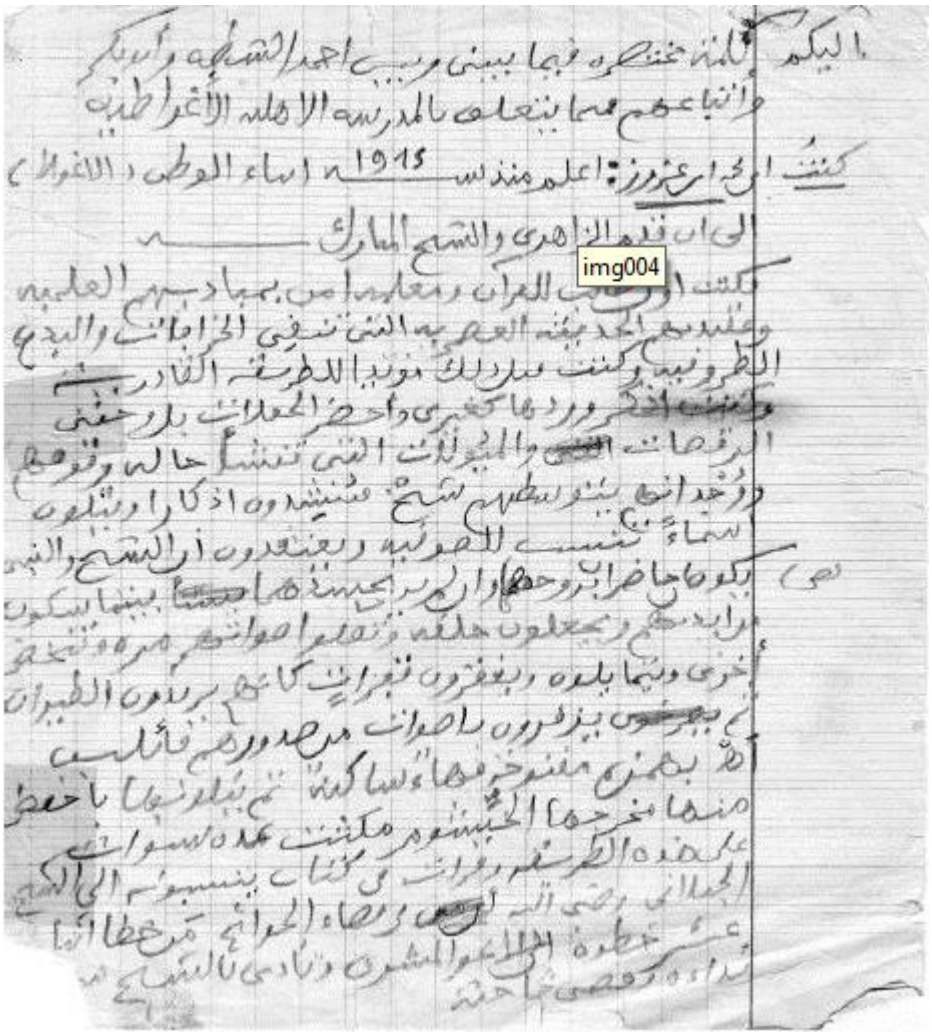

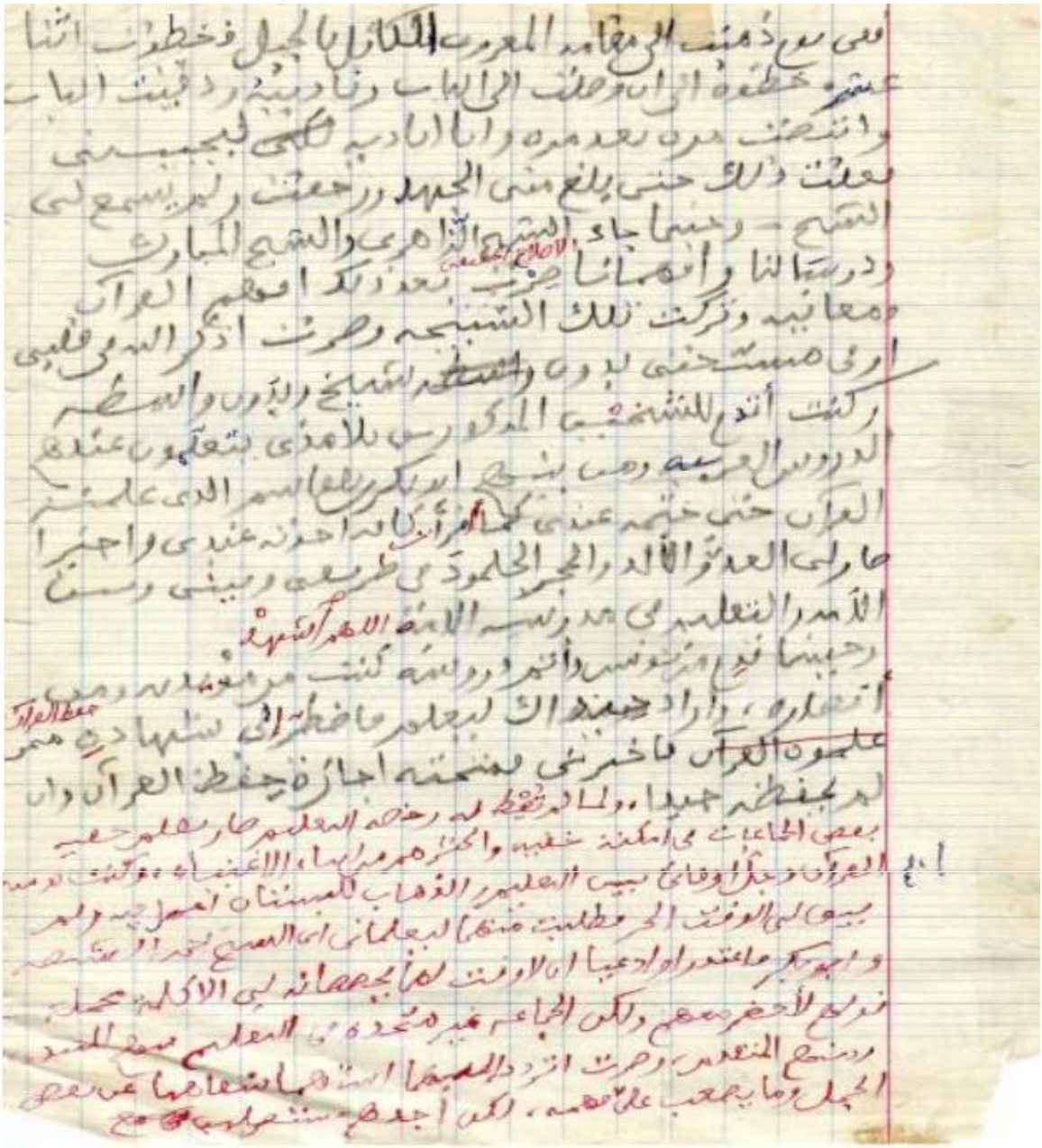

المصدر: http://samokey.over-blog.fr/

الملحق رقم(31): تلاميذ الشيخ مُحَمَّد عزوز في العاصمة سنة 1938، و1941:

المصدر: http://samokey.over-blog.fr/

الملحق رقم(32): تلاميذ الشيخ مُحَمَّد عزوز في سنة 1949–1950:

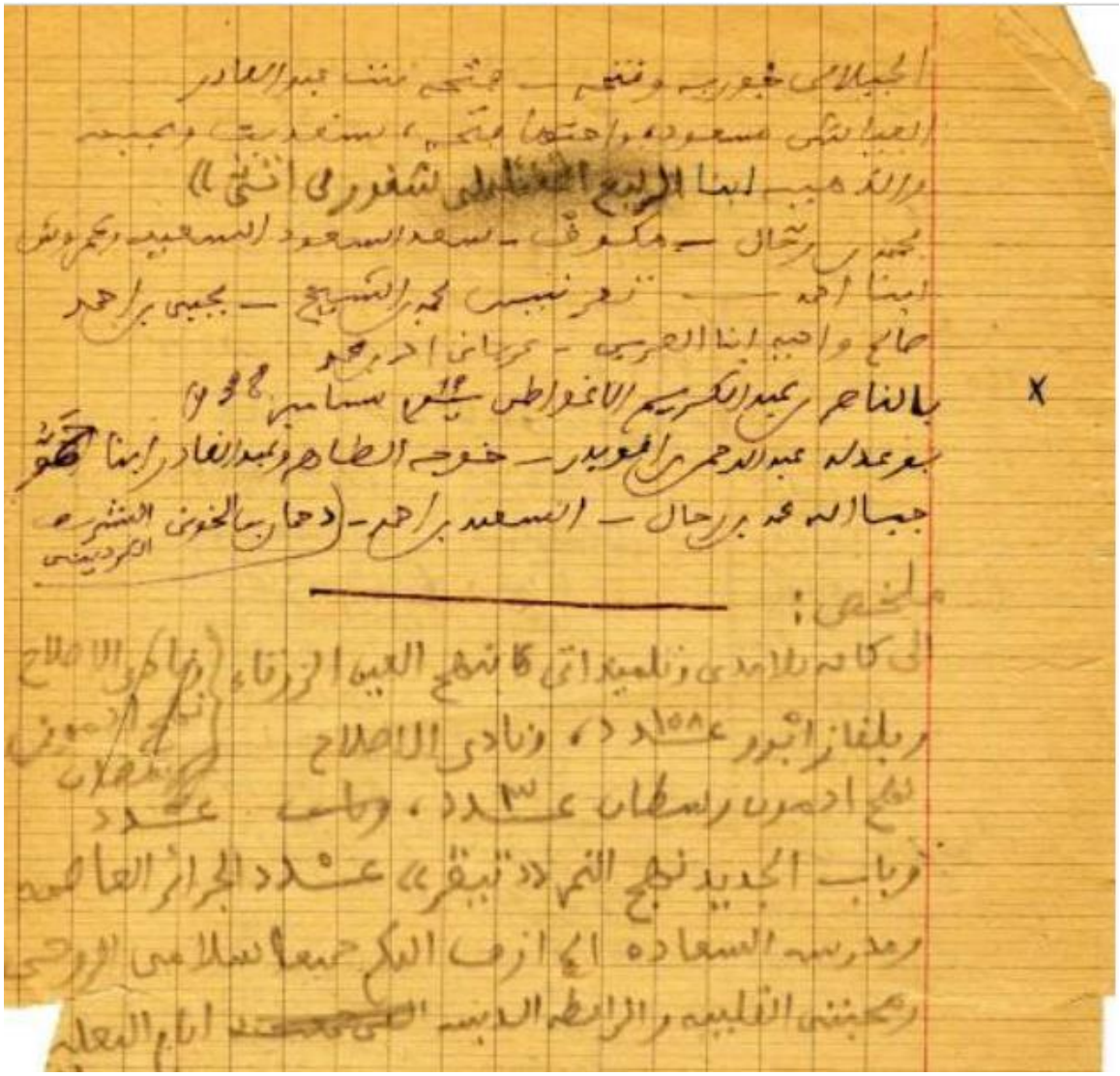

المصدر: http://samokey.over-blog.fr/

الملحق رقم(33): تلاميذ الشيخ مُحَمَّد بن علي بن عزوز في الأغواط سنة 1947:

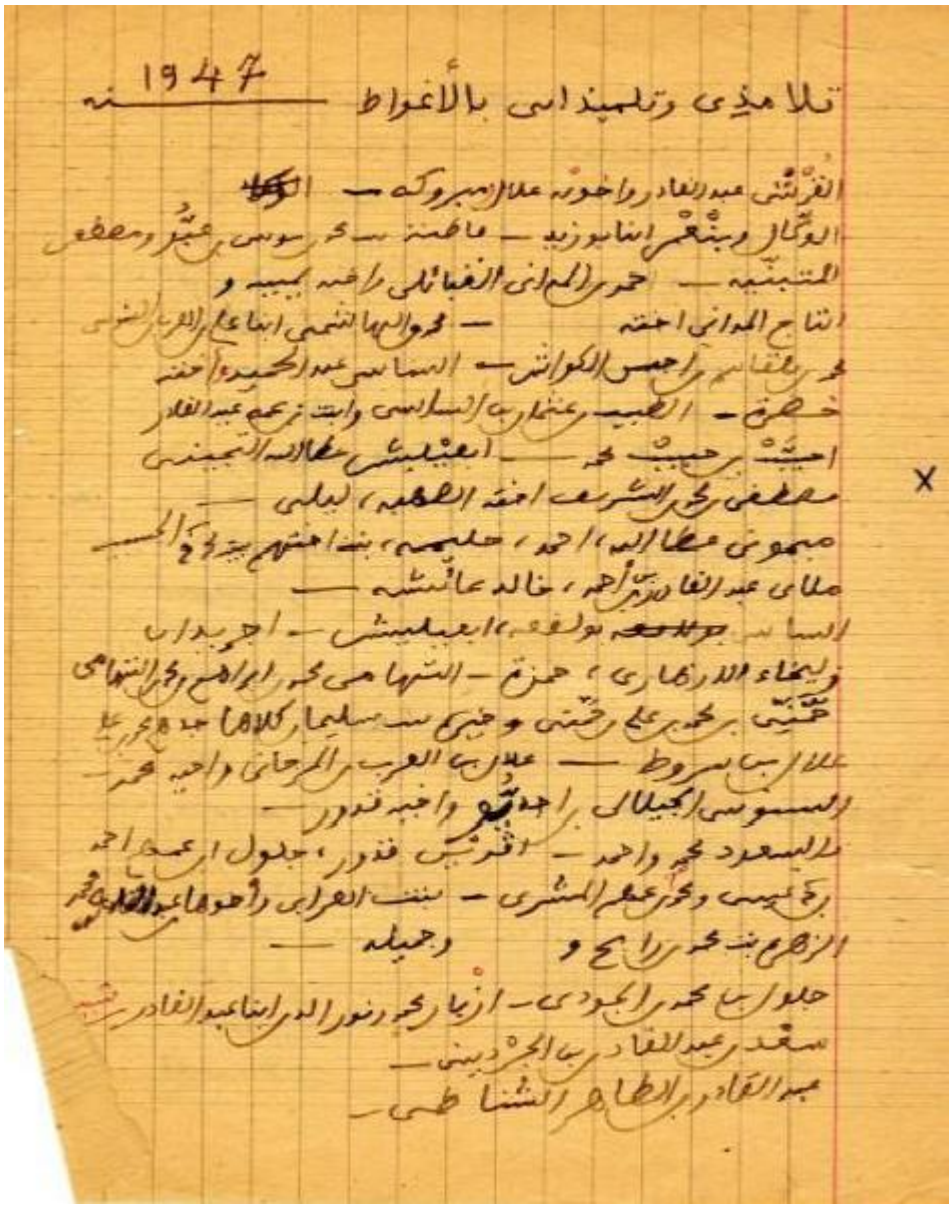

المصدر: http://samokey.over-blog.fr/

الملحق رقم(34):شهادة الشيخ مُحَمَّد بن عزوز على مغادرة مبارك الميلي للأغواط بخط يده:

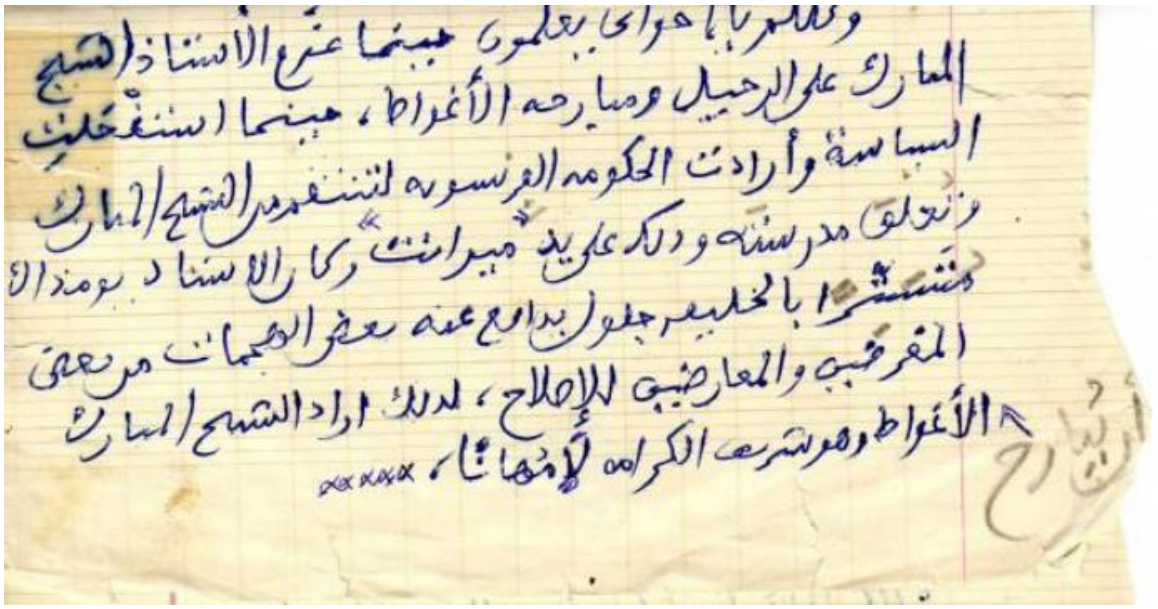

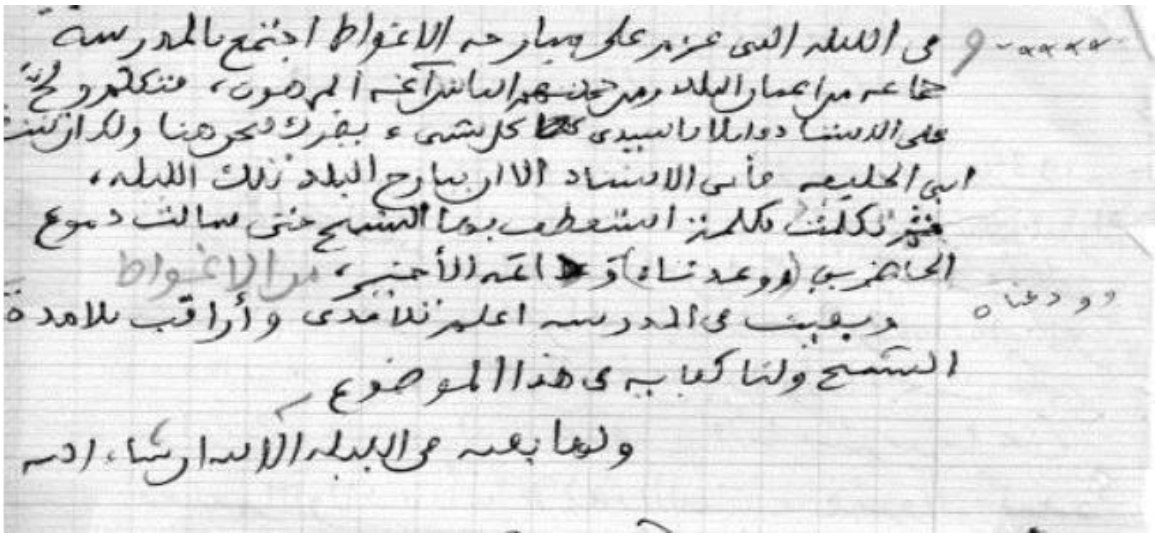

المصدر:http://samokey.over-blog.fr/

الملحق رقم(35): الطاقم الإداري والتربوي الأول لمدرسة التربية والتعليم بالأغواط 1948.

من اليمين الصف الأول : الشيخ الحسين زاهية ، الشيخ عطا الله كزاوي (قيم المدرسة) الباي غضبان .

الصف الثاني : الشيخ أحمد شطة ، أبو بكر الحاج عيسى .

المصدر: بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص 15.

الملحق رقم (36): رسالة الشيخ أحمد شطة إلى الشيخ أحمد قصيبة

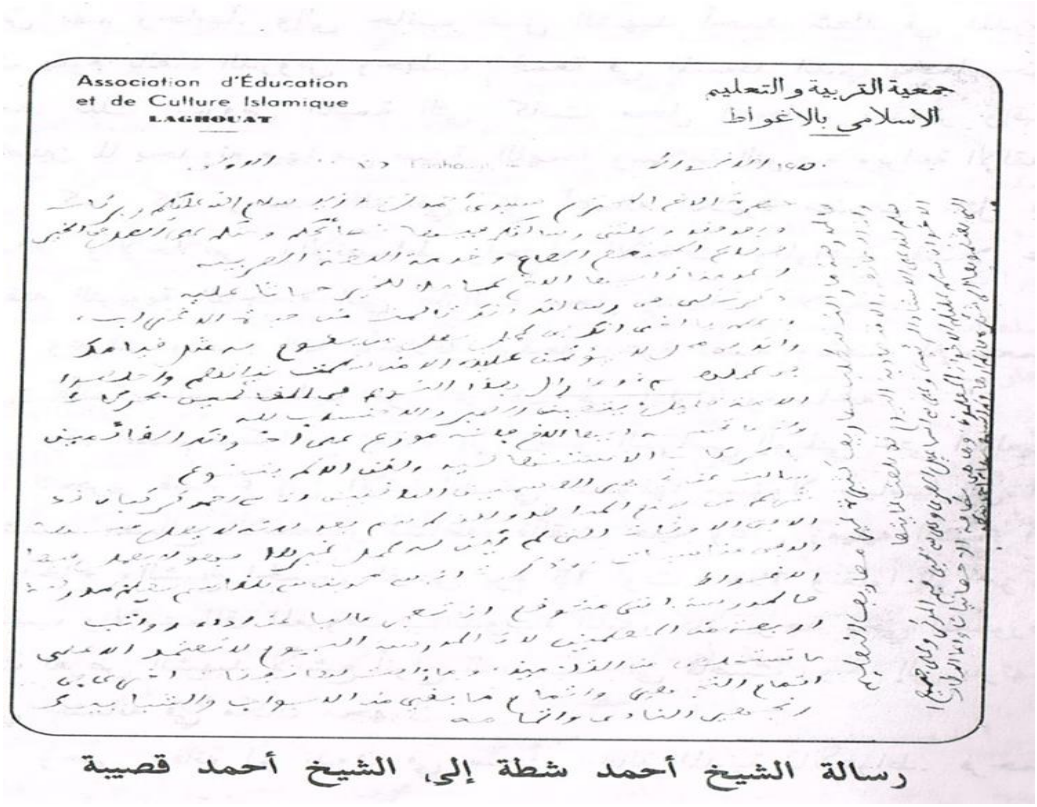

رسالة الشيخ أحمد شطة إلى الشيخ أحمد قصيبة

جمعية التربية و التعليم الإسلامي بالأغواط الأغواط : 1950 26 جمادى الأولى

حضرة الأخ المحترم سيدي أحمد بن بوزيد سلام الله عليكم و بركاته وبعد: فقد وصلتني رسالتكم فيها نصائحكم و حثكم على العمل في الخير لصالح المجتمع العام وخدمة اللغة العربية، لا عدمناك أيها الأخ عاملا للخير حاثا عليه .

ذكرت لي في رسالتك أنك تألمت من حياة الاغتراب ، فاعلم يا أخي أنك في عمل يقل من يقوم به مثل قيامك و إنك في محل لا يؤتمن عليه إلا من سلمت نياتهم و أخلصوا في عملهم ، ومازال هذا النوع في القائمين بحركات الأمة قليلا ، يتعين الصبر و الاحتساب لله و إن ما تحسه أيها الأخ فإنه موزع على إخوانك القائمين بالحركات الاستنهاضية و لكن الألم يتنوع . سألت عن تجهيز القسمين الباقيين إن سي أحمد كركبان قد شرع في صنع المناضد و لكن لم تتم بعد لأنه لا يعمل فيها إلا في

الأوقات التي لم يكن له عمل غيرها فهو لا يعمل فيها إلا في مناسبات ، و ذكرت أن سي مُحَّد بن سي بلقاسم يعلم بمدرسة الأغواط .

و المدرسة إنني متوقع أن تعجز ماليا عن أداء رواتب أربعة من المعلمين لأن المدرسة اليوم لا تعتمد إلا على ما تستخلص من التلاميذ ، و مازالت لها نفقات أخرى في إتمام التجهيز و إتمام ما بقي من الأبواب و الشبابيك و تجهيز النادي و إتمامه. فالمدرسة مازالت تتطلب مصاريف كثيرة غير مصاريف التعليم ، و إن الضائقة الاقتصادية اليوم قد بلغت غايتها .

سلم لنا على الأستاذ الرئيس و على سي اسماعيل العربي و على سي يحي قيم المركز و على جميع الإخوان ، يسلم عليكم الإخوان المعلمون ، و ها هي بطاقة الاحصائيات و أما البطاقة التي بعثتموها إلى شهره فإني لم أرها ولم أسمع بها . أحمد شطة

المصدر: بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص 21-23.

الملحق رقم(37): قائمة الناجحين في امتحان شهادة الدراسة الابتدائية العربية بمدارس جمعية العلماء دورة جويلية 1954:

المشاركون 15 الناجحون 7:

أسماء الناجحين	مدارسهم	رتبهم	الملاحظات
المكي المدني	الأغواط	1	بدون ملاحظة
جميلة بن عية	الأغواط	2	بدون ملاحظة
أحمد خميلة	الأغواط	3	بدون ملاحظة
مُحَمَّد جاب الله	الأغواط	4	بدون ملاحظة
علال يوسفي	الأغواط	5	بدون ملاحظة
عيسى بن مُحَمَّد	الأغواط	6	بدون ملاحظة
العيد بن أحمد الزاوي	الأغواط	7	بدون ملاحظة

المصدر: البصائر السنة 7 العدد 284 بتاريخ 13 محرم 1354هـ الموافق ل 1954/09/10م

الملحق رقم(38): قائمة الناجحين في امتحان شهادة الدراسة الابتدائية العربية بمدارس جمعية العلماء دورة جويلية دورة جويلية 1956:

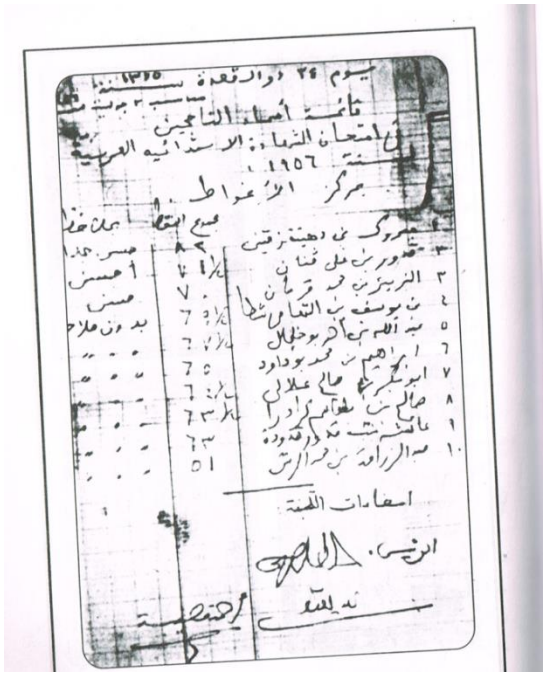

المصدر: بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص

الملحق رقم (39): نسخة من عقد وقف مدرسة التربية والتعليم بالأغواط

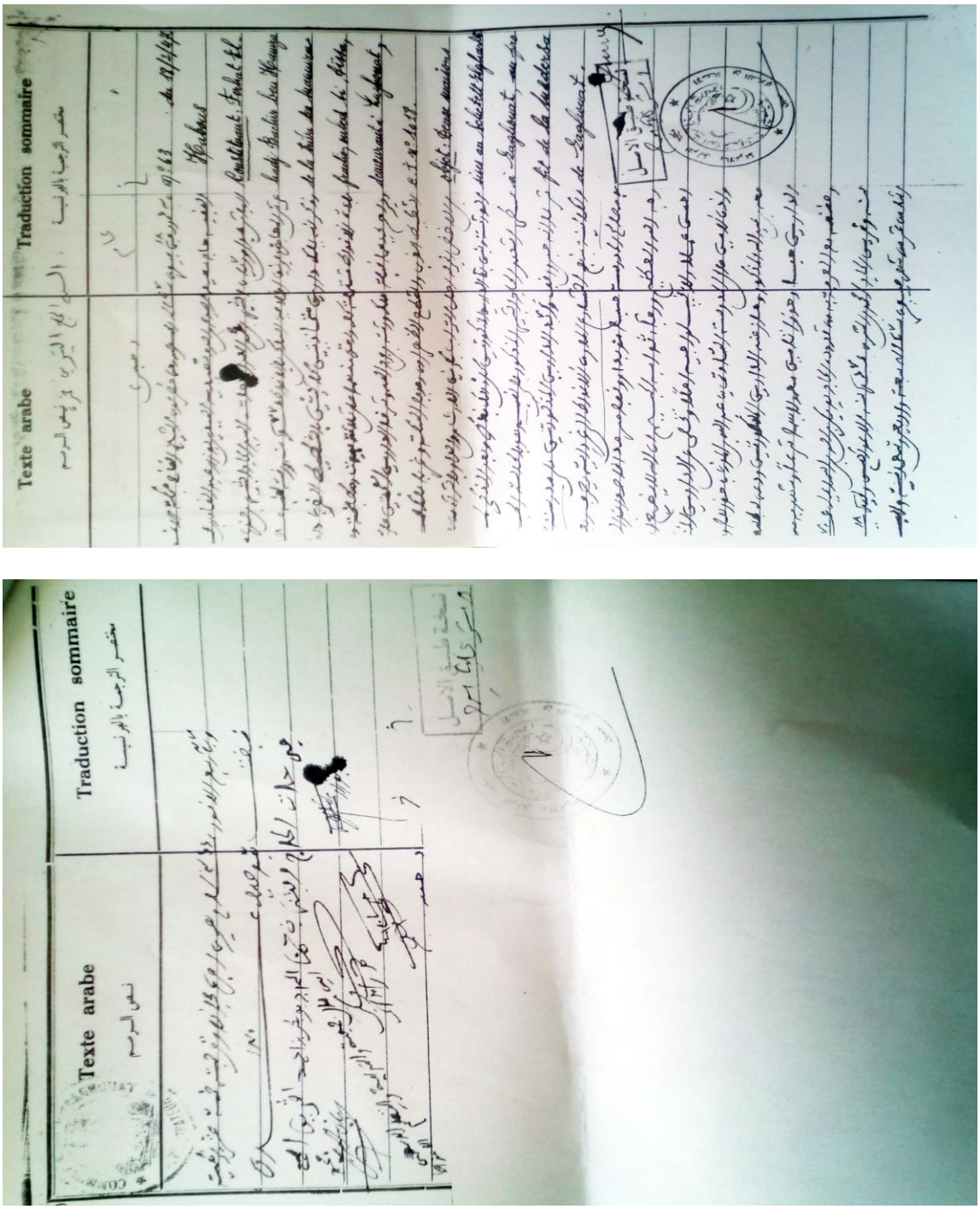

المصدر: الخزانة العائلية لسيدي بن شاعة بن الصغير الحرزلي الأغواطي.

الملحق رقم (40) رحلة أحمد قصيبة إلى تونس :

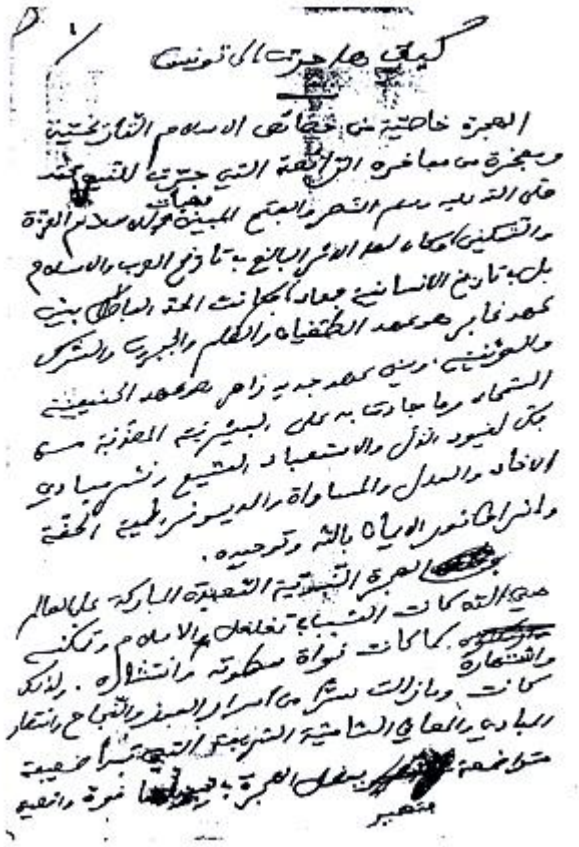

المصدر: محمود علالي، مرجع سابق، ص190-197.

الملحق رقم(41): وصل اشتراك في جمعية الكيس القادري مؤرخ ب: 03 جمادى الأولى 1338

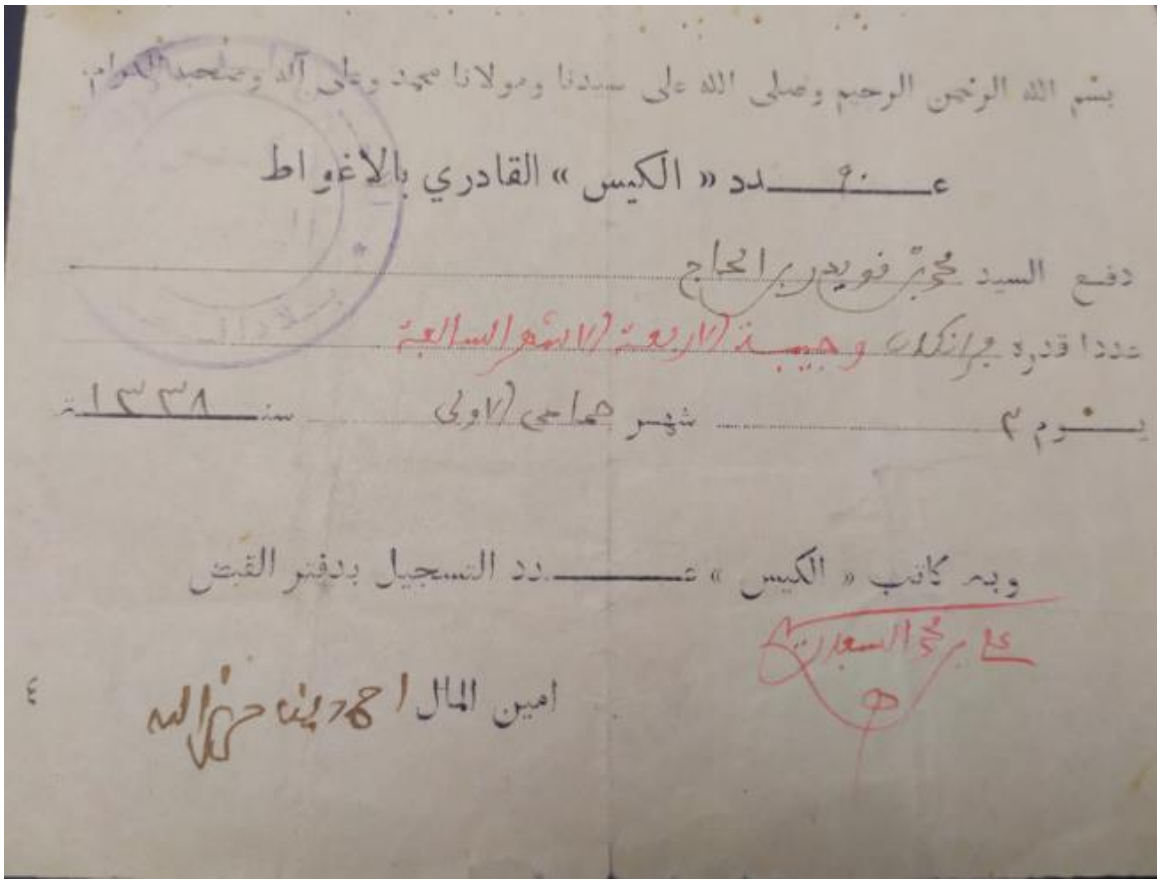
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الكرام

عـــــدد « الكيس » القادري بالأغواط

دفع السيد محبر فويدر الحاج

عددا قدره جرانكات وجيبة الاربعة الاسم السالعة

يـــوم ٢ ..... شهر جمادى الاولى ..... سنة ١٣٣٨

وبه كاتب « الكيس » عـــــــدد السجيل بدفتر القبض

امين المال احمد بن حاج الله

المصدر: الخزانة العائلية لسيدي بن شاعة بن الصغير الحرزلي الأغواطي

الملحق رقم(42): صور لفرقة الثريا بالأغواط + صورة للاعتماد الرسمي لها

المصدر: إبراهيم خميلي، **الثريا**، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، 2013، ص، 33.

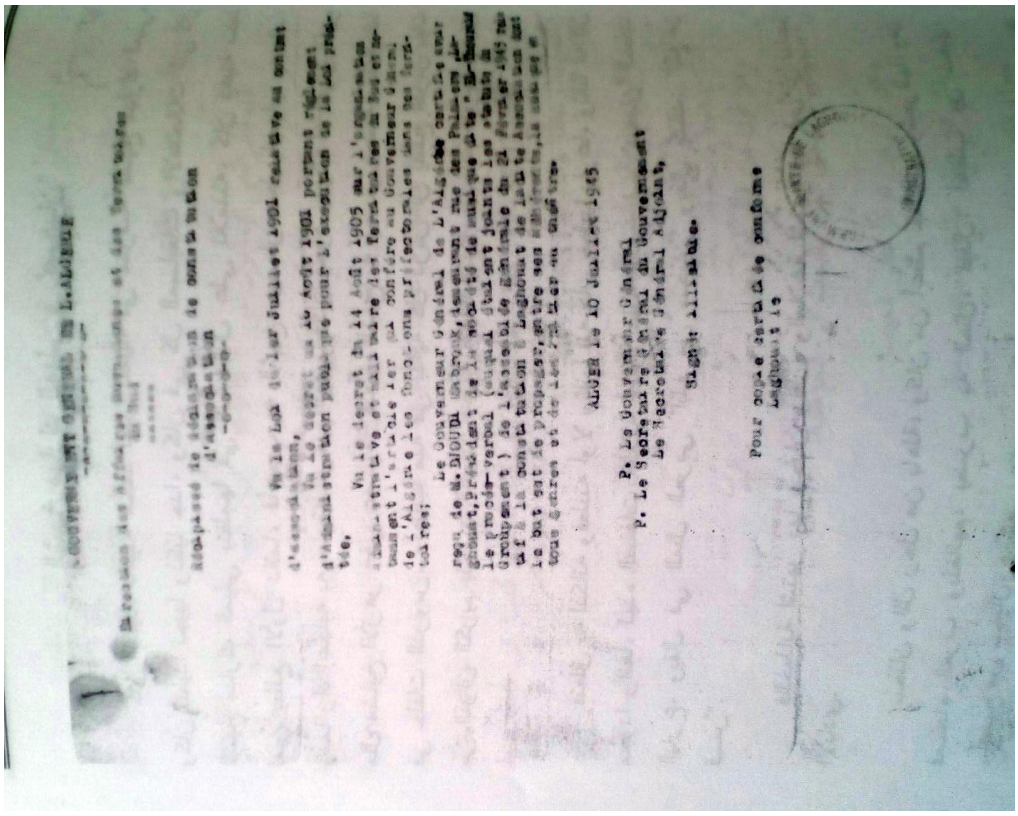

المصدر: إبراهيم خميلي، الثريا، المصدر السابق، ص، 81.

الملحق رقم(43): نسخة من الإعتماد الرسمي لتأسيس فوج الرجاء بالأغواط

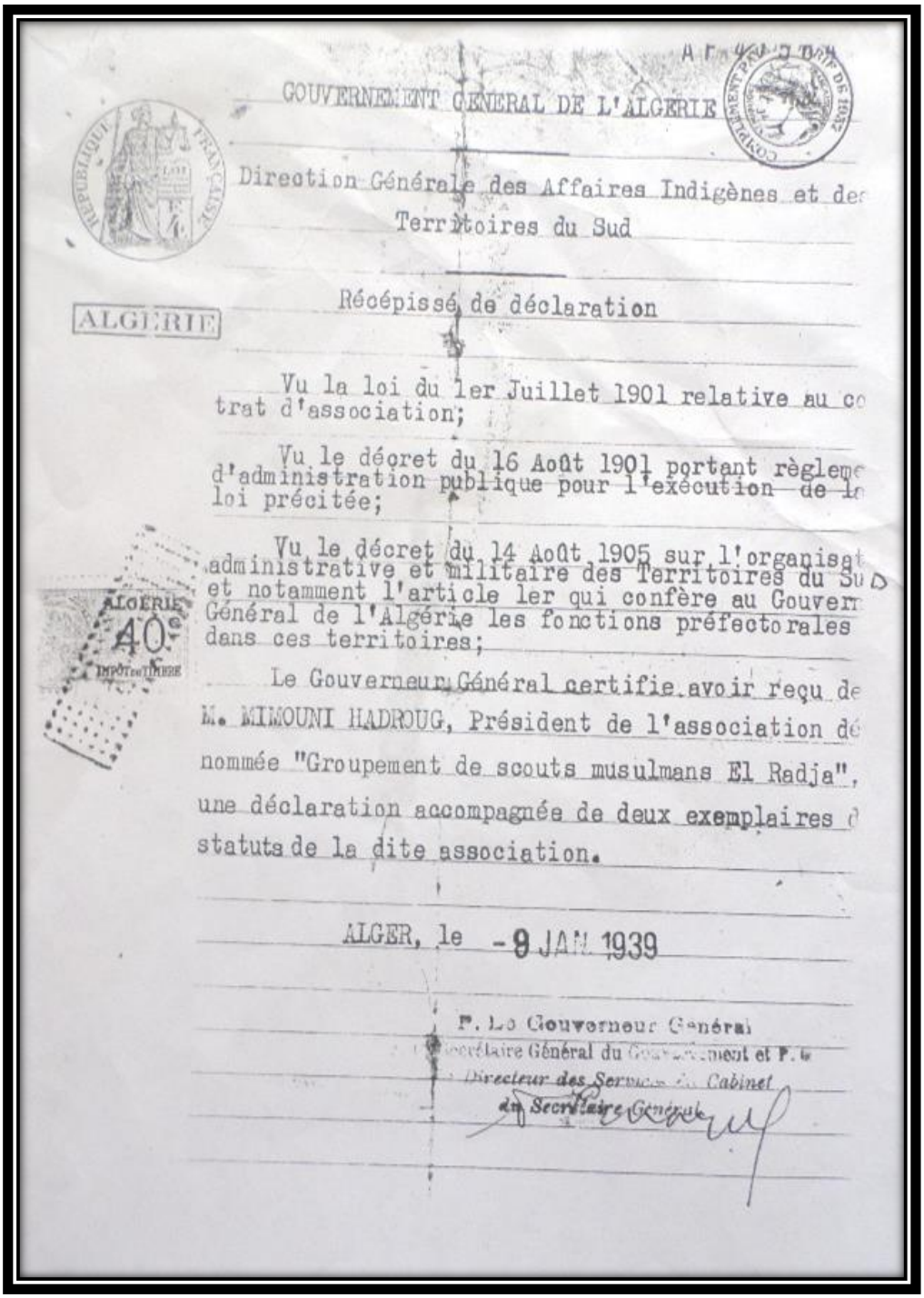

GOUVERNEMENT GENERAL DE L'ALGERIE

Direction Générale des Affaires Indigènes et des Territoires du Sud

ALGERIE

Récépissé de déclaration

Vu la loi du 1er Juillet 1901 relative au contrat d'association;

Vu le décret du 16 Août 1901 portant règlement d'administration publique pour l'exécution de la loi précitée;

Vu le décret du 14 Août 1905 sur l'organisation administrative et militaire des Territoires du Sud et notamment l'article 1er qui confère au Gouverneur Général de l'Algérie les fonctions préfectorales dans ces territoires;

ALGERIE 40c IMPÔT DU TIMBRE

Le Gouverneur Général certifie avoir reçu de M. MIMOUNI HADROUG, Président de l'association dénommée "Groupement de scouts musulmans El Radja", une déclaration accompagnée de deux exemplaires des statuts de la dite association.

ALGER, le - 9 JAN 1939

P. Le Gouverneur Général
Secrétaire Général du Gouvernement et P. le Directeur des Services du Cabinet
du Secrétaire Général

المرجع: محمود علالي، مرجع سابق، ص،189.

الملحق رقم(44): الكأس الذي تحصل عليه فريق كرة السلة الأغواطي

المرجع: le blog des anciens sportifs de laghouat, Laghouat, sport et culture, http://com/ article-le-football-d-un- autre-epoque-a-laghouat- 101926121,html.

الملحق رقم(45): صورة لفريق الاتحاد الرياضي الأغواطي لكرة القدم سنة 1940

المرجع: le blog des anciens sportifs de laghouat, Laghouat sport et culture ,op.cit.

الملحق رقم(46): صورة لفريق نادي الهلال لكرة القدم سنة 1949:

المرجع:

HMED B, **Mise au point de Si Med Heboul**

,http://ancienssportifsdelaghouat.over-blog.com/2019/10/mise-au-point-de-si-med-heboul.html, Publié le 1 Octobre 2019,

الملحق رقم(46): فريق نادي الراسينق لكرة القدم 1956م

المرجع:

HMED B ,**Le Racing club de Laghouat 1958–1959** ,http://anciensspportifsdelaghouat.over-blog.com/2020/01/le-racing-club-de-laghouat.1958-1959.html, Publié le 28 Janvier 2020.

البيبليوغرافيا

البيبليوغرافيا:

أولا: المصادر

- القرآن الكريم

1- الوثائق الأرشيفية:

أ-وثائق من الخزانة العائلية لسيدي بن شاعة بن الصغير الحرزلي الأغواطي:

- رسالة من الشيخ مبارك الميلي إلى انعيمة بن مُحَّد صاحب دكان الأدباء وأحد المثقفين وأنصار الحركة الاصلاحية في الأغواط.

- مخطوطات لمريدي الطريقة القادرية بالأغواط

- نموذج عن المنشورات التبشيرية التي كانت توزع في منطقة الأغواط مكتوبة بالعربية الفصحى وبالدارجة

- وصل اشتراك في جمعية الكيس القادري مؤرخ ب: 03 جمادى الأولى 1338.

-مُحَّد بن الخيذر المليانى، **شراء أولاد يحي لوادي نسا من الزناخرة،** وثيقة مصورة موجودة بالخزانة العائلية للشيخ سيدي بن شاعة بن الصغير الحرزلي الأغواطي.

-نسخة من عقد وقف مدرسة التربية والتعليم بالأغواط

ب- وثائق محفوظة بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف بالأغواط:

- الباشاغا فرحات المرهون، عقد وقفي محفوظ بمديرية الشؤون الدينية بالأغواط، ر: 156، بتاريخ 1942/08/27.

- الحاجة فطوم بنت الحاج مُحَّد، عقد وقفي محفوظ بأرشيف مديرية الشؤون الدينية بالأغواط، ر: 50، بتاريخ 1941/12/22.

- دهينة دهينة الحاج عيسى ، عقد وقفي محفوظ بأرشيف مديرية الشؤون الدينية بالأغواط، ر: 78، بتاريخ 1921/03/04.

- فرحات بشير، عقد وقفي محفوظ بأرشيف مديرية الشؤون الدينية بالأغواط، ر: 666، بتاريخ 1945/01/20.

- مُحَّد بن عمر، عقد وقفي محفوظ بمديرية الشؤون الدينية بالأغواط، ر: 166، بتاريخ 1944/05/23.

ج–وثائق أرشيفية تعود للأستاذ أحمد توفيق المدني نشرها ابنه على موقع:

http://www.elmadani.org

- رسالة الأستاذ عمر دهينة للشيخ أحمد توفيق المدني مؤرخة ب: 1928/06/16.

- رسالة من الشيخ مبارك الميلي إلى أحمد توفيق المدني غير مؤرخة، الأكيد أنها مرسلة من الأغواط بسبب ورود اسم "عطاء الله بوعامر" وهو من أعيان وأغنياء الأغواط ونصير للحركة الإصلاحية.

- رسالة من الشيخ مبارك الميلي إلى أحمد توفيق المدني مؤرخة ب1928/11/19 وهو في ميلة يطلب منه فيها أن يراسله في عنوانه الجديد بالأغواط.

- رسالة من الشيخ مبارك الميلي إلى أحمد توفيق المدني مؤرخة ب1929/09/25 غداة وجوده بالأغواط.

- رسالة من الشيخ مبارك الميلي إلى أحمد توفيق المدني مؤرخة ب1930/01/27

- رسالة من الشيخ مبارك الميلي إلى أحمد توفيق المدني مؤرخة ب1930/04/30 غداة وجوده بالأغواط

- رسالة من الشيخ مبارك الميلي إلى أحمد توفيق المدني وهي مؤرخة بالتاريخ الهجري 1348/07/07 الموافق ل1929/12/08 غداة وجوده بالأغواط.

د–وثائق أرشيفية تعود للشيخ مُحَّد بن عزوز الهلالي في حوزة ابنه نشرها على موقع: /http://samokey.over-blog.fr

- وثيقة مخطوطة باليد : تلاميذ الشيخ مُحَّد بن علي بن عزوز في الأغواط سنة 1947.

- وثيقة مخطوطة باليد التعليم الاصلاحي في الأغواط من خلال شهادة الشيخ مُحَّد بن عزوز.

- وثيقة مخطوطة باليد تلاميذ الشيخ مُحَّد عزوز في العاصمة سنة 1938، و1941.

- وثيقة مخطوطة باليد تلاميذ الشيخ مُحَّد عزوز في سنة 1949-1950.

- وثيقة مخطوطة باليد زيارة عبد الحميد بن باديس كما صورها الشيخ مُحَّد بن عزوز الهلالي
- وثيقة مخطوطة باليد شهادة الشيخ مُحَّد بن علي بن عزوز على مغادرة مبارك الميلي للأغواط.

2– المخطوطات:

1) عبد الرحمن بن الحاج إبراهيم بن سبقاق المذبوحي، **ورقات مخطوطة**، الناسخ: مُحَّد بن قلة المهداوي، سنة 1272هـ، مخطوط بالخزانة العائلية لسيدي بن شاعة بن الصغير الحرزلي.
2) أحمد بن الحاج بن أبي القاسم، **مواهب المنن بملاقاة الشيخ موسى بن حسن**، مخطوط محفوظ بالخزانة العائلية لسيدي بن شاعة بن الصغير الحرزلي الأغواطي.

3– المقابلات الشفوية:

1) مقابلة شخصية مع إبراهيم خميلي، في منزله، يوم 23 أفريل 2019، على الساعة 14.20.
2) مقابلة شخصية مع أحمد بن عية، في منزله، يوم 2019/02/13، على الساعة 11.25
3) مقابلة شخصيّة مع بلقاسم خميلي بمنزله، يوم 02 نوفمبر 2015، على الساعة 08:30.
4) مقابلة مسجلة بين (أحميدة ميموني و خميلي إبراهيم)، تحصلنا عليها من خميلي إبراهيم.
5) مقابلة مسجلة بين (قويدر بوعامر و خميلي ابراهيم)، تحصلنا عليها من خميلي ابراهيم.
6) مقابلة مسجلة بين الحاج طاهر بوزيدي وإبراهيم خميلي تحصلنا عليها من إبراهيم خميلي.

7) مقابلة مسجلة، إبراهيم خميلي وبن عية أحمد ويوسف بورزق، بمنزل خميلي أحمد، 2013، تحصلنا عليها من إبراهيم خميلي.

4- المصادر المطبوعة (العربية والمعربة):

1) الابراهيمي أحمد طالب ، **مذكرات جزائري الجزء الأول: أحلام ومحن 1932-1965**، منشورات دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

2) الابراهيمي مُحَمَّد البشير ، **آثار الامام الابراهيمي**، جم و تق: أحمد طالب الابراهيمي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1997.

3) الابراهيمي مُحَمَّد البشير ، **التراث الشعبي والشعر الملحون في الجزائر**، تح : عثمان سعدي ، شركة دار الأمة لطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2010.

4) الإبراهيمي مُحَمَّد البشير وآخرون، **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام نادي الترقي بالجزائر 1354هـ/1935** م، تق مُحَمَّد الهادي الحسني، دار كردادة للنشر والتوزيع، 2014.

5) ابن أبي بكر أبو زكرياء يحي ، **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تح وتع: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979.

6) ابن أرويلة قدور بن مُحَمَّد ، **وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب**، تح مُحَمَّد بن عبد الكريم، دار الوعي، الجزائر، 2017.

7) ابن حمادوش عبد الرزاق ، **كشف الرموز في العقاقير والأعشاب** ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1996.

8) ابن خلدون عبد الرحمان ، **كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، 1983م.

9) ابن خلدون عبد الرحمان ، **كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الفكر، لبنان ، ط2، 1988م.

10) ابن خلدون يحي ، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تق وتح وتع: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1980.

11) ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي ، **كتاب الجغرافيا**، تح وتق وتع: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982.

12) ابن منظور جمال الدين أبو الفضل، **لسان العرب**، دار صادق للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1968 .

13) ابن ناصر الدرعي أبو العباس أحمد بن مُحَّد ، **الرحلة الناصرية**، تح وتق: عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات، 2001.

14) ابن هطال التلمساني أحمد ، **رحلة مُحَّد الكبير الى الجنوب الصحراوي الجزائري** ، تح وتق مُحَّد بن عبد الكريم، ، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات، 2004.

15) أطفيش قطب الأئمة مُحَّد بن يوسف ، **رحلة القطب**، تح وتع: يحي بن بهون حاج امُحَّد، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2017.

16) الأغواطي ابن الدين ، **رحلة الأغواطي**، تح : أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001 . الصنهاجي أبو عبد الله ، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم**، تحقيق أحمد جلول بدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

17) أكنسوس مُحَّد بن أحمد ، **الجواب المسكت في الرد على من تكلم في طريق الامام التجاني بلا تثبت**، المطبعة الثعالمية، الجزائر 1913.

18) الأمير خالد، **رسالة إلى الرئيس ويلسون ونصوص أخرى**، تر: مُحَّد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2006.

19) الأمير عبد القادر ، **مذكرات الأمير عبد القادر**، دار الأمة، الجزائر، 2004.

20) بفايفر سيمون ، **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال**، تر: أبو العيد دودو, دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009 .

21) بلعالم مُحَّد الباي ، **الرحلة العلية إلى منطقة توات**، دار هومة، الجزائر، 2005.

22) بن عابد الفاسي الشريف يوسف ، **رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضر موت**، تح وتق وتع: السامرائي إبراهيم وحبشي عبد الله مُحَّد ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1993.

23) بن عثمان عبد الرحمان بن الحاج ، **الدر المكنوز في حياة سيد علي بن عمر وسيدي بن عزوز**، مطبعة النجاح، قسنطينة، الجزائر، 1350هـ

24) بن نبي مالك ، **مذكرات شاهد على القرن**، دار الفكر، دمشق ، سورية ط2، 1984.

25) بوعزارة مُحَمَّد ، **عشت مع أولئك ..وعرفت هؤلاء**، منشورات ANEP، الجزائر.

26) بوعزارة مُحَمَّد ، **من الخيمة إلى البرلمان مسيرة حياة**، دار الأمة، الجزائر، 2013.

27) بيرنت يوهان كارل ، **الأمير عبد القادر**، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2005.

28) ترومليي، **الفرنسيون في الصحراء يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية**، تر: مُحَمَّد المعراجي، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

29) تشرتشل شارلز هنري ، **حياة الأمير عبدالقادر**، تر و تح وتع: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

30) الجزائري مُحَمَّد بن عبد القادر ، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، تع محمود حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1964م.

31) جغابة مُحَمَّد ، **حوار مع الذات والاخر**، دار هومة، الجزائر، 2007.

32) الجكني الشنقيطي مُحَمَّد الخضر ، **مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني**، دار البشير للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1993.

33) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، **اللائحة الداخلية لمدارس الجمعية**، المطبعة الجزائرية الاسلامية، قسنطينة، د ت.

34) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، **منهاج التعليم القسم الابتدائي والمتوسط**، المطبعة الجزائرية الاسلامية، قسنطينة، ط2، أكتوبر 1952.

35) الجيلاني عبد القادر ، **السفينة القادرية**، تع: عبد الجليل عبد السلام، بيروت، دار الكتب العلمية ، 2002م.

36) الحافظ المصري التيجاني مُحَمَّد ، **الانتصاف في رد الافتراء على السادة التيجانية**، منشورات الزاوية التيجانية بتماسين ، الوادي، الجزائر، 2007.

37) الحافظ المصري التيجاني مُحَمَّد ، **الانتصاف في رد الافتراء على السادة التيجانية**، منشورات الزاوية التيجانية بتماسين ، الوادي، الجزائر، 2007.

38) حرازم برادة الحاج علي ، **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني**، تح: مُحَمَّد كنون الراضي، دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب، 2001.

39) حشلاف عبد الله بن مُحَمَّد ، **سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول**، المطبعة التونسية، تونس، 1929.

40) الحفناوي أبو القاسم مُحَمَّد ، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906.

41) حماني أحمد ، **صراع البدعة والسنة**، دار البعث، قسنطينة، دت.

42) خميلي إبراهيم ، **الثريا**، مطبعة بن سالم للنشر والتوزيع، الأغواط، الجزائر، 2013.

43) خميلي إبراهيم ، **الفنان الموهوب جودي مُحَمَّد 1900-1983**، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، 2013.

44) خميلي إبراهيم ، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مطبعة رويغي، الأغواط، الجزائر، 2001.

45) خميلي بلقاسم ، **خواطر مجاهد من بوكحيل**، دار الأمل للدراسات، الجزائر، 2011.

46) دبوز مُحَمَّد علي ، **نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة**، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013.

47) دبوز محمّد علي ، **أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج5، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

48) دو فيلاري فرانسوا ، **السهوب عبر العهود مرافئ لتاريخ الجلفة**، تر: عيسى بن مُحَمَّد بونوة، مطبعة رويغي، الأغواط، الجزائر، 2015 .

49) دوتي إدموند ، **الصلحاء مدونات عن الإسلام المغاربي في القرن التاسع عشر**، تر:مُحَمَّد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، الدر البيضاء، المغرب، 2014.

50) دي دوماس دوك ، **الصحراء الجزائرية**، تر: قندوز عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2013.

51) دي طرازي فليب ، **تاريخ الصحافة العربية** ، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، 1914.

52) الديسي مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن ، **تحفة الأفاضل في ترجمة سيدي نايل**، تح: مُحَمَّد بسكر، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2016.

53) الراشدي أحمد بن مُحَمَّد بن علي بن سحنون ، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح: المهدي بوعبدلي، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019.

54) رمان عبد القادر ، **الأئمة الأربعة للمسجد الكبير – الصفاح الأغواط**، دار الضحى للنشر والإشهار، الجلفة، الجزائر، 2016.

55) رمان عبد القادر ، **شيوخ الزوايا والكتاتيب القرآنية في القديم ودورها في الحفاظ على كتاب الله**، مطبعة بن سالم، الأغواط، 2016.

56) الزاهري مُحَمَّد السعيد، **الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير**، دار الكتب، الجزائر، 1983م.

57) الزركلي خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، لبنان الطبعة: ط15، 2002.

58) الزياني مُحَمَّد بن يوسف، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تع وتق: المهدي بوعبدلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.

59) الساسي العوامر إبراهيم، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف** ،منشورة ثالة ،الجزائر ،2007.

60) سانت أرنو، **مذكرات الماريشال سانت أرنو 1841–1844**، تر: عبد القادر ليفا وبداه المهدي، دار المعرفة، الجزائر، 2013.

61) السجلماسي ابن زيدان عبد الرحمن بن مُحَمَّد، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تح: علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر ، 2008 م.**

62) السكندري ابن عطاء الله، **الحكم العطائية**، مركز الأهرام للنشر والتوزيع، مصر 1988.

63) سكيرج أحمد، **كشف الحجاب من تلاقي مع الشيخ التجاني من الأصحاب**، ب د ن ، مصر ، ط3، 1962.

64) سكيرج أحمد، **رفع النقاب بعد كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب**، تح: مُحَمَّد الراضي كنون الحسني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2014.

65) سكيرج أحمد، **غاية المقصود في الرحلة مع سيدي محمود، تح: مُحَمَّد الراضي كنون الحسني الإدريسي**، تح: مُحَمَّد الراضي كنون الحسني الإدريسي، د دن، دت.

66) سكيرج أحمد، **قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ**، تح: مُحَمَّد الراضي كنون الحسني الإدريسي، دار الأمان، الرباط ، المغرب 2010.

67) السلاوي الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956.

68) السمعاني أبو سعد عبد الكريم ، **الأنساب**، عبد الرحمن المعلمي اليماني وآخرون، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1962 م.

69) الشقراني أحمد بن عبد الرحمان الراشدي ، **القول الأوسط في من حل بالمغرب الأوسط**، تح: ناصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

70) الشنقيطي مُحَمَّد الصغير ، **الجيش الكفيل بأخذ الثأر من سل على الشيخ التجاني سيف الإنكار**، مكتبة عباس عبد السلام بن شقرون، مصر (ب. ت).

71) شوبيرغ أ.ف. ، **الطب الشعبي في الجزائر** ، تر : ابو العيد دودو ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2005 .

72) الشيخ أبو عمران وجيجلي مُحَمَّد ، **الكشافة الإسلامية الجزائرية 1935-1955م**، تر، مولود طياب وفوزي سعد الله، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، 2008.

73) الطاهر مُحَمَّد على ، **خمسون عاما في القضايا العربية**، بيروت، لبنان،1978.

74) عتيق مُحَمَّد الصالح ، **أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية** ، مطبعة دحلب، الجزائر، 1990.

75) العروسي الصادق بن أحمد ، **العرف الرياحيني في ترجمة سيدي الحاج علي التماسيني**، مر و تص: أحمد العروسي التيجاني، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 2015.

76) العنتري صالح ، **مجاعات قسنطينة**، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

77) العياشي أبو سالم ، **رحلة العياشي الصغرى أو تعداد المنازل الحجازية**، تح: عبد الله حمادي الإدريسي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013.

78) الغزالي أبو حامد مُحَّد ، **المنقذ من الضلال** ، دار الكتب الحديثة، مصر، د.ت.

79) الفاسي بن أبي زرع ،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس** ، ط2، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1999م.

80) الفوتي عمر ، **رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم**، مطبعة مصطفى الهابي، مصر ط2، 1963.

81) القيرواني الرقيق ، **تاريخ الرقيق القيرواني**، تح: منجي الكعبي ، ط2، الدار العربية للكتاب ، تونس، 2005م .

82) كاريت .إ ، **أبحاث حول الجغرافيا والتجارة في الجزائر الجنوبية– الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1840.1841.1842. العلوم التاريخية والجغرافية**، تر: حمزة الأمين يحياوي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

83) الكتاني مُحَّد بن جعفر ، **سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس فمن قبر من العلماء و الصلحاء بفاس** ، تح: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، ط1، 2004.

84) الكولخي إبراهيم نياس ، **البيان والتبيين عن التجانية و التجانيين**، دار الحسام، 2011.

85) مالتسان هاينريش فون ، **ثلاث سنوات في شمال غرب افريقيا**، تر، أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2008.

86) المالكي ابن الصغير ، **أخبار الائمة الرستميين**، تح: مُحَّد ناصر و إبراهيم بحاز، الجزائر، 1985.

87) مخلوف مُحَّد ، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003.

88) المدني أحمد توفيق ، **محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

89) مراد علي ، **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940**، تر: مُحَّد يحياتن، دار الحكمة، 2007.

90) المراكشي ابن عذارى ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب** ، تحقيق ج. س. كولان . ليفي بروفنسال ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2009م.

91) المزاري الآغا ابن عودة ، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى آخر القرن 18**، تح: يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 .

92) المشرفي مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى ، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وبعض مفاخرها غير المتناهية**، در و تح: إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب، ط 1، 2005.

93) المصعبي إبراهيم بن بحمان ، **رحلة المصعبي**، تح وتع: يحي بن بهون حاج أحمد، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2017، ص68.

94) الميلي مبارك ، **رسالة الشرك ومظاهره**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984.

95) الميلي مُحَمَّد ، **الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني**، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2001.

96) الهمذاني ابن حائك حسن بن أحمد، **الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير**، تح: مُحَمَّد أكوع حوالي، وزارة الثقافة والسياحة، اليمن.

97) الورتيلاني الحسين بن مُحَمَّد ، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"الرحلة الورثيلانية"**، دار الكتب العلمية، لبنان، 2017.

98) الوزان الفاسي ليون الافريقي الحسن بن مُحَمَّد ، **وصف إفريقيا**، تر: مُحَمَّد حجي و مُحَمَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1983.

99) الوهراني مسلم بن عبد القادر ، **تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنس الغريب والمسافر**، تح وتق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

100) اليوسي مُحَمَّد العياشي بن الحسن ، **رحلة اليوسي**، تح: أحمد الباهي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2018.

5- الجرائد والمجلات المصدرية:

1) جريدة الإقدام
2) جريدة البصائر
3) جريدة البلاغ الجزائري
4) جريدة الثمرة
5) جريدة الزهرة التونسية
6) جريدة السنة
7) جريدة الشهاب
8) جريدة الصراط
9) جريدة المبشر
10) جريدة النجاح
11) جريدة النور
12) جريدة لسان الدين

6- الكتب بالفرنسية:

1) Bonète Yves, **Contribution à l'étude des pasteurs nomades Arba'a : étude de géographie humaine**, Doctorat de 3eme cycle en Géographie, 1962.
2) Coppolani Depont , **Les Confreries religieuses musulmanes**, Adolphe Jourdan, Alger, 1897.
3) Daumas (E), **Mœurs et coutumes De l'Algérie** , la Biblioteque Arabe Sidbad , Paris,1988.
4) Derouiche Mohamed, **Le scoutisme ecole du patriotisme** , ENAL-OPU, unite Zabana- Alger , 1985.
5) Dermenghem Emile, Le pays d'Abel, Gallimard, 1960.

6) DHINA A , **Contribution à l'étude du nomadisme .Le chameau chez les tribus Arbâ' du sud algerois**. Mélanges Louis Massignon. Inst. français de Damas. 1956.
7) fromentin Eugene, **sahara et sahel , un été dans le sahara une anne dans le sahel**,1887
8) Général Du Barail, **Mes Souvenirs , T 2, 1851– 1864** , Librairie plon, 4 éme éd. Paris .
9) Hirtz George, **L'algerie nomade et ksouriénne 1830–1954**, ed marseille,1989.
10) JONNART C., **Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie**, imprimerie administrative, Alger, 1909.
11) JONNART C., **Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie 1908**, imprimerie administrative, Alger, 1908
12) JONNART C., **Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie**, imprimerie Adolphe JOURDAN, Alger, 1910.
13) Lacre (D) ,**Visite a Laghouat** ,Alger ,1924.
14) LE General Philibert, **le Général Margueritte**, paris, 1882.
15) LE HURAUX Léon, **Le nomadisme et la colonisation dans les hauts plateaux de l'Algérie**, Éditions du comité de l'Afrique ; 1931.
16) LUTEAUD CH, **Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie1916,1917 et, 1918**, imprimerie administrative, Alger ,1918 .

17) LUTEAUD CH., **Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie**, imprimerie Adolphe JOURDAN, Alger (1914-1915).

18) Mercier Ernest, **Histoire de l'Afrique septentrionale**, tome III, Paris, ERNEST LEROUX ÉDITEUR , 1868.

19) Millia (J), **Lagouat ou Les maisons entourées des jardins** , plan norrit et cie, Paris ,1923.

20) Pommerol Jean, **Une femme chez les Sahariennes entre Laghouat et In Salah**, Paris, Flammarion, 1900.

21) ROCHES Leon, **trente-deux ans**, **à travers l'Islam 1832-1864**, Librairie, de Firmin Didot Paris 1884.

22) Soleillet Paul , **l' Afrique Occidental Algerie Mzab Tidikelt**, ed: el kaima , algerie.2013 .

23) SOLEILLET Paul, **l'Afrique occidentale**, **avenir de la France en Algérie**, Callamel AINE, Paris, 1876.

24) Solleilet Paul, **Note sur un projet pour l'établissement de docks a laghouat**,Paris,avril 1872.

25) Trumelet , **l'algerie legendaire**. Ed adolphe jordan libraire edition, alger, 1892.

7- المقالات بالفرنسية:

1) JOLY , **Remarques sur la poésie moderne chez les nomades algériens**, R. A, V 44, 1900.

2) JOLY, **Remarques sur la poésie moderne chez les nomades algériens Suite**, R. A, V 47, 1903.

3) Mangine (E) ,**Not sur l'histoire de Laghouat** ,R.A , V37 ,1893.

4) MANGIN (E) ,**Notes sur l'histoire de Laghouat** (**Suite et fin**), R A , V 39, 1895.
5) DHIN.A .**Notes sur la phonétique et la morphologie du parler des Arbâ**'. R.A.1938.
6) DHINA (A.), **Textes arabes du Sud–Algérois**, R.A .
7) J.HUGUET,**LES SOFFS DU TELL,DU SUD ET DU SAHARA**, Revue de l'école d'anthropologie, Novembre 1907.
8) MOTYLINSKI (A. de C.) , **Notes historiques sur le Mzab**. R. A , V 28.
9) Arnaud S. , **Siege d'Ain Madi**, **par El HADJ–ABDELKADER Ben Mahdine**. R A, , V 47, Mars 1864.

ثانيا: المراجع :

1– الكتب العربية والمعربة:

1) إبراهيمي كمال ، **تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر**، تر: مُحَمَّد البشير شنيتي ورشيد بورويبة، ش و ن ت ، الجزائر، 1984.
2) أبو الخير علي، **التداوي بالأعشاب والنباتات ودور العلاج الغذائي**، دار الخير، بيروت ، ط 2، 1999 .
3) أبو ريان علي ، **الحركة الصوفية في الإسلام**، مصر، دار المعرفة الجامعية، 2003م.
4) أبو ضيف أحمد عمر مصطفى ، **القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
5) آجرون شارل روبير ، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.
6) الأخضاري محمود ، **الولي سيدي عطاء الله بن العابد – تاريخ رحلة**، مطبعة رويغي، الأغواط، 2017.
7) إسماعيل عزالدين ، **القصص الشعبي في السودان دراسة في فنية الحكاية ووظيفتها** ، الهيئة المصرية العامة لتأليف والنشر ،القاهرة ، 1971.

8) الأمين أحمد ، **صور مشرقة من الشعر الشعبي الجزائري** ، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

9) بالحاج صالح ، **الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربي 1910–1939**، منشورات بن مرابط، الجزائر، 2015.

10) بحاز إبراهيم وآخرون، **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم المغرب الاسلامي**، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

11) بحاز كبير ابراهيم ، **الدولة الرستمية 160–296هـ/777–909م (دراسة في الاوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية)** ، ط2، جمعية التراث ، القرارة ، الجزائر ، 1993م.

12) بختي عيسى ، **جمهرة الرحلات الجزائرية الحديثة في الفترة الاستعمارية 1830–1962 الرحلة إلى أوربا**، تح و تق: عيسى بختي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات، 2017.

13) بديار البشير ، **ابن كريو حياته حبه وشعره**، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، 2009.

14) بديار البشير ، **ديوان سيدي الحاج عيسى الأغواطي 1089–1150هـ/1678–1737م**، ج و تح: البشير بديار، د د ن، 2009.

15) براهم محمود ، **العلامة مُحَمَّد بن علي السنوسي الجزائري مجتهدا ومجاهدا 1788–1859**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

16) برروور بنيامين كلود ، **صحراء اسمها السلام عنف الامبراطورية الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844–1902**، تر: أمين الأيوبي، ابن النديم للنشر والتوزيع، 2020.

17) بشارة عزمي ، **المجتمع المدني دراسة نقدية**، المركز العربي لأبحاث ودراسات السياسات، ط 6، 2012.

18) بعلي حفناوي ، **الرحلات الحجازية المغاربية المغاربة الأعلام في بلد الله الحرام**، دار اليازوري العلمية، عمان، الأردن، 2018.

19) بعلي حفناوي ، **صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحة وفي الكتابات الغربية**، دروب للنشر والتوزيع، 2016.

20) بقطاش خديجة، **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830م–1871م**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1977م.

21) بلمبارك الأخضر وآخرون، **مدرسة التربية والتعليم في ذكراها الخمسين 1948–1998**، د د ن، الأغواط، 1998.

22) البلوشي شاهين بن مُحَّد بن علي، **الألعاب الشعبية البلوشية**، مؤسسة الانتشار، لبنان، 2016.

23) بن الشيخ التّلي ، **دور الشعر الشعبي في الثّورة 1830_1945**، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، سنة 1983م.

24) بن الشيخ التلي ، **منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

25) بن الصغير أحمد ، **الحرازلية** ، كتاب قيد الطبع.

26) بن الصغير أحمد ، **الشيخ مُحَّد ميزة بوداود عميد المربين في غرداية**، قيد الطبع.

27) بن الطاهر علي، **الشيخ مبارك الميلي جهود متميزة في الحركة الإصلاحية الوطنية**، منشورات الرجاء، 2016.

28) بن بريكة مُحَّد ، **موسوعة الطرق الصوفية الطريقة القادرية**، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

29) بن بريكة مُحَّد، **التصوف الاسلامي من الرمز إلى العرفان**، دار المتون للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2006.

30) بن بلة خيرة وآخرون، **زوايا ومدراس الجزائر دراسة أثرية ومعمارية فنية**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004.

31) بن خروف عمار ، **العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

32) بن خليفة علي ، **العرف الشذي في التعريف بالشيخ سيدي الحاج علي التماسيني**، مطبعة دار الجائزة، الجزائر، 2015.

33) بن صالح قارة مبروك ، **أصول الأشراف والقبائل**، د.د ن، الجزائر،2016.

34) بن علجية لحسن ، **الشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي حياته وآثاره**، دار الهدى للطباعة والنشر، عيم مليلة، الجزائر، 2015.

35) بن عميرة مُحَّد، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984م.

36) بن لباد سالم، **محاضرات في الشعر الشعبي الجزائري (المحاضرة الرابعة)**، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية. دت.

37) بنعبد الله عبد العزيز، **معلمة التصوف الاسلامي**، دار المعرفة، الرباط، المغرب، 2001.

38) بوحوش عمار ، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية وحتى عام 1962**، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1997.

39) بوداود بومدين وكعبوش بن حرزالله ، **الحاج سليمان غزال حياته وآثاره**، د د ن، 1999.

40) بودواية بلحيا، **التصوف في بلاد المغرب العربي**، دار القدس العربي، 2009، وهران، الجزائر.

41) بورايو عبد الحميد ، **القصص الشعبي في منطقة بسكرة**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

42) بوزيان سعيد ، **رواد الكفاح السياسي والإصلاحي1900–1954 (شخصيات بارزة في كفاح الجزائر1830–1962)**، دار الأمل للطباعة والنشر.

43) بوزياني الدراجي، **القبائل الامازيغية**، دار الكتاب العربي، الجزائر،2007.

44) بوزيدة عبد الرحمن وأخرون، **الجزائري وأسطورته، المخيال الاجتماعي وآليات التماهي**، م.و.ب.ا.ت، الجزائر، 2003.

45) بوصفصاف عبد الكريم ، **جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى**، ط2، دار مداد، قسنطينة، 2009.

46) بوعزيز يحي ، **تاريخ إفريقيا الإسلامية الغربية في مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

47) بوعزيز يحي ، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.

48) بونابي الطاهر ، **التصوف في الجزائر خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004.

49) تركي رابح، **التعليم القومي والشخصية الوطنية**، ط1، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975.

50) التفتازاني أبو الوفا الغنيمي ، **مدخل إلى دراسة التصوف الاسلامي**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1973.

51) ثنيو نور الدين ، **إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2015.

52) الجابري مُحَمَّد الصالح ، **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس**، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

53) الجابري مُحَمَّد صالح ، **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962** ، دار الحكمة للنشر والترجمة ، الجزائر، 2007 .

54) الجنحاني الحبيب، **دراسات في تاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي** ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1986م.

55) الجوهري مُحَمَّد ، **علم الفلكلور** ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر، 1975.

56) الجوهري مُحَمَّد وآخرون ، **مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري** ، ط1 ، 2006.

57) الجيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام**، دار الأمة ، الجزائر ،2010م.

58) الحاج سعيد يوسف بن بكير ، **تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص9-10.

59) حاجيات عبد الحميد ، **تاريخ المغرب الوسط في عهد المرابطين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

60) حرزالله مُحَمَّد العربي، **منطقة الزاب مائة عام من المقاومة 1830-1930**، دار السبيل، الجزائر، 2009.

61) حركات إبراهيم ، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1984.

62) حساني مختار ، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية (مدن الوسط)**, دار الحكمة ,الجزائر، 2007م .

63) الحسيني أيمن ، **معجزات الشفاء بالحجامة وكاسات الهواء** ، د.ت ، مكتبة القران .

64) حكوم سليمان بن مُحَمَّد ، **ورقلة المجاهدة مع موجز لتاريخ ورقلة من سقوط سدراته إلى الاستقلال على ضوء الوثائق وذاكرة المجاهدين**، دار صبحي للطباعة والنشر، الجزائر، 2016.

65) حليمي عبد القادر ، **النباتات الطبية في الجزائر** ، براقي ، الجزائر 2004 .

66) حليمي علي عبد القادر ، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830**، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972. غطاس عائشة ، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م** ,المؤسسة الوطنية للاتصال و للنشر والاشهار, رويبة ,الجزائر 2012م.

67) حمادو عبد الرحمان ، **مرجعيات جمعية العلماء المسلمين**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2016.

68) حملاوي علي، **نماذج من قصور منطقة الأغواط دراسة تاريخية وأثرية**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.

69) حميدي أبو بكر الصديق ، **قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية**، دار الهدى، الجزائر ، 2015.

70) الحواس الوناس، **نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927–1954**، كنوز الحكمة، د.ت، ص112.

71) الخالدي سهيل، **الإشعاع المغربي في المشرق دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام**، دار الأمة، الجزائر، 2016.

72) خالدي عبد الحميد ، **الوجود الهلالي السليمي في الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2003.

73) خدوسي رابح وآخرون، **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، منشورات الحضارة، بير توتة، الجزائر، 2014.

74) خرشي جمال، **الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830–1962**، تر: عبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر ، الجزائر.

75) خرفي صالح ، **مُحَمَّد السعيد الزاهري**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986 .

76) خرفي ناصر ، **نادي الهلالي الرياضي الأغواطي H.C.L**، د د ن، الأغواط، الجزائر، 1999.

77) خليفة بن عمارة، **تاريخ الجنوب الغربي الجزائري الأعلى من الأصول إلى غاية حرب التحرير**، تر: بوداود عمير، دار القدس العربي، وهران، 2016.

78) خليفي عبد القادر ، **الطريقة الشيخية**، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2006.

79) خورشيد إبراهيم زكي وآخرون، **موجز دائرة المعارف الاسلامية**، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات، 1998.

80) خياط علي ، **معجم المطلحات العلمية والتقنية** ، دار لسان العرب ، بيروت ، دت .

81) خياطي مصطفى، **الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية** ، منشورات ANEP ، الجزائر 2013.

82) دادة سليم ، **الحركة الموسيقية والغنائية بالأغواط**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

83) داهش مُحَمَّد علي، **الدولة العثمانية والمغرب إشكالية الصراع والتحالف**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2011.

84) داود عمر ، **الحركة التبشيرية في الجزائر نشاط الآباء والأخوات البيض في غرداية أنموذجا مقاربة سوسيو– تاريخية**، دار نزهة الألباب، الجزائر، 2016.

85) الدجاني أحمد صدقي ، **السنوسية نشأتها الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر**، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت ،1967 .

86) دحو العربي ، **الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

87) دحو العربي ، **معجم شعراء الشعر الشعبي في الجزائر من القرن 16 م إلى أواخر العقد الأول من القرن 21م**، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر، 2013.

88) درنيقة مُحَمَّد ، **الطريقة الشاذلية وأعلامها**، المكتبة الجامعية ، بيروت، 1410هـ.

89) درياس عمار وبوغرارة كمال ، **السياحة في المناطق العمرانية والتراثية والقصور والواحات: حالة ولاية الأغواط**، جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا، دت.

90) ردفيلد روبرت ، **المجتمع القروي وثقافته** ، تر: فاروق مُحَمَّد العادلي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

91) الركيبي عبد الله ، **الشعر الديني الجزائري الحديث (الشعر الديني الصوفي)** ، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، 2009.

92) رمان عبد القادر ، **الدليل من وحي الأذكار–دراسات في السلوك**، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر.

93) الزاوية التيجانية بتماسين، **الذكر وآدابه في الطريقة التيجانية**، منشورات الزاوية التيجانية بتماسين، الوادي، الجزائر.

94) الزاوية التيجانية بقمار، **الزاوية التيجانية بقمار بين الماضي والحاضر**، مطبعة كوينين، الوادي، الجزائر، 2008.

95) الزبيري مُحَمَّد العربي ، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792–1830**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

96) الزبيري مُحَمَّد العربي ، **المثقفون الجزائريون والثورة**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر،1955 .

97) زرهوني الطاهر ، **التعليم في الجزائر قبل وبعد الإستقلال** ، المؤسسة الوطنية لطباعة ، الجزائر 1993 .

98) زريوح عبد الحق ، **دراسات في الشعر الملحون الجزائري مع قصائد مختارة غير منشورة**، دار الغرب للنشر والتوزيع، د ت.

99) زكريا فؤاد ، **الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية** ، دار الثقافة لطباعة والنشر ، مصر، 1974.

100) زكي عبد القادر ، **النفحة العلية في أوراد الشاذلية**، مكتبة المتنبي ، القاهرة، دت.

101) زكي مبارك، **التصوف في الأدب والأخلاق**، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ت.

102) زوزو عبد الحميد ، **ثورة بوعمامة 1881م– 1908م، الجزء الثاني – جانبها السياسي (1883م– 1908م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983م.

103) زوزو عبد الحميد ، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر" 1830–1900**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

104) ساحل عبد الحميد، **عمر بن قدور الجزائري رائد الصحافة الاصلاحية في الجزائر**، منشورات ANEP، الجزائر، 2016.

105) السحيمي سلمان بن سالم بن رجاء ، **إبدال الحروف في اللهجات العربية**، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية، 1915.

106) سعد الله أبو القاسم ، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر** ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1990 .

107) سعد الله أبو القاسم ، **بحوث في التاريخ العربي الاسلامي**، دار الغرب الجزائري، 2003.

108) سعد الله أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2007.

109) سعودي مُحَّد العربي ، **المؤسسات المحلية في الجزائر الولاية والبلدية 1516–1962**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2011.

110) سعيدوني ناصر الدين ، **الجزائر منطلقات وآفاق**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان،2000.

111) سعيدوني ناصر الدين ، **عصر الأمير عبد القادر**، مؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000.

112) سعيدوني ناصر الدين ، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1999.

113) سعيدوني ناصر الدين ، **ورقات جزائرية**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2000.

114) سعيدوني ناصر الدين و بوعبدلي المهدي ، **الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

115) سعيدي مزيان ، **النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري 1867_1892** ، درا الشروق للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2009.

116) سنوسي يوسف إبراهيم ، **زناتة والخلافة الفاطمية**، مكتبة سعيد رأفت، مصر، 1986.

117) سويدي مُحَّد ، **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990

118) الشاهد مسعود، **ديوان بن حرزالله بن الجنيدي بن الشاهد**، جمع وتصنيف الشاهد مسعود، دط، 1994.

119) شترة خير الدين ، **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900– 1939م**، دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر2009.

120) شترة خير الدين ، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900–1956**، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009.

121) شترة خير الدين ، **قضايا في التاريخ النضالي والاستقلالي للجزائر المعاصرة وأبحاث تراثية وفكرية للمجتمع الجزائري الحديث**، دار الصديق للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، 2015.

122) شرف مُحَّد جلال ، **دراسات في التصوف الاسلامي**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1999.

123) شرفي أحمد الرفاعي ، **مقالات وآراء جمعية العلماء المسلمين، الإمام مبارك بن مُحَّد الميلي**، ط1، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2011.

124) شرفي عاشور ، **معلمة الجزائر**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

125) شعيب إبراهيم ، **التوخي لجمع أشعار عبد الله التخي**، ط1، مطبعة السلام، الجزائر، 1998.

126) شعيب إبراهيم ، **ديوان عبد الله كريو**، مطبعة رويغي، الأغواط، الجزائر، ط2، 2004.

127) شنتوف الطيب ، **دراسات في تاريخ الجزائر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، تر: أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015.

128) شنيتي مُحَّد البشير ، **أضواء على تاريخ الجزائر القديم**، دار الحكمة، الجزائر، 2003.

129) شهبي عبد العزيز ، **الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي بالجزائر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران د.ت.

130) شويتام أرزقي ، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني1519–1830**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2003.

131) الشيخ أبو عمران وآخرون، **معجم مشاهير المغاربة**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995.

132) صادق الحاج ، **مليانة ووليها الصالح سيدي أحمد بن يوسف الملياني**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.

133) صادقي مخلوف ، **أشهر التآليف في الكلام اللطيف من الشعر المخاليف** ، منشورات الحياة الصحافة ، الجلفة ، الجزائر ، 2010.

134) صادقي مخلوف ، **مراحل وأشواط من تاريخ وتراث منطقة الأغواط**، مطبعة رويغي، الأغواط ، الجزائر، 2017.

135) صاري أحمد ، **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصرة** ،المطبعة العربية ،غرداية ،الجزائر،2004.

136) صاري جيلالي ، **انتفاضة 1881–1882 ملحمة الشيخ بوعمامة**، تر: بن تركي نصيرة، موفم للنشر، الجزائر.

137) صحبي حسان ، **العقيدة التربوية الإستعمارية الفرنسية في الجزائر 1830_1962**، منشورات أنوار المعرفة ، الجزائر ، 2014.

138) صحبي حسان، **النظام التربوي الاستعماري في الجزائر 1830 –1962** ،ط1 ،رياض العلوم للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2005 .

139) صيقع أحمد ، **علم الأحياء لكنافات تنوخية شمال الصحراء**، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، 2013.

140) الطمار مُحَمَّد ، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

141) عباد صالح ، **الجزائر خلال الحكم التركي**، الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2013.

142) عبادة عبد اللطيف ، **دراسة في فكر الشيخ مبارك الميلي**، الأصالة للنشر والتوزيع، 2015.

143) عزوق، عبد الكريم ، **القباب والمآذن في العمارة الإسلامية**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1996.

144) العسلي بسام ، **سلسلة جهاد الشعب الجزائري**، دار النفائس، لبنان، ط 2 ، 1983 م.

145) العقبي صلاح مؤيد الدين ، **الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر تاريخها ونشاطها** ، دار البراق، لبنان، 2002.

146) علالي محمود ، **الحركة الإصلاحية في الأغواط**، bloutou.c، الجزائر، 2008.

147) علي حسين السائح, **لمحات التصوف و تاريخه**،كلية الدعوة الإسلامية، الجمهورية الليبية، 1994م.

148) عمار علي ، **ملاح العلاج الشعبي في منطقة حوض تافنة** ، منظمة المجتمع العلمي العربي ، د.ت .

149) عمارة علاوة ، **مغرب أوسطيات(دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الوسيط)**، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة-الجزائر، 2013.

150) عمورة عمار ، **الجزائر بوابة التاريخ**، دار المعرفة الجزائر، 2009.

151) عميراوي احميدة، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.

152) عيساوي أحمد ، **أعلام الإصلاح الاسلامي في الجزائر**، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، الجزائر، 2013.

153) غانم مُحَمَّد الصغير ، **معالم التواجد الفنيقي البوني**، دار الهدى، 2003.

154) غانم مُحَمَّد الصغير ، **مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم**، دار الهدى، الجزائر، 2010.

155) غريسي علي بن مُحَمَّد ، **التيجانيون ومناصب الإفتاء في الجزائر**، منشورات الزاوية التيجانية بتماسين، الوادي، الجزائر، 2013.

156) غوتييه إيميل فيليكس ، **ماضي شمال افريقيا** ، تر: هاشم الحسيني، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010.

157) غولدزيغار أني راي ، **المملكة العربية السياسة الجزائرية لنابليون الثالث 1861–1870**، موفم للنشر ، الجزائر، 2014.

158) الفاسي. م و هربك. إ ، **تاريخ إفريقيا العام** ، اليونيسكو، باريس، فرنسا، 1994.

159) فركوس صالح ، **إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

160) فزاري أمينة ، **مناهج دراسات الأدب الشعبي**، دار الكتاب الحديث، مصر، 2012.

161) فضلاء مُحَّد الحسن ، **المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر**، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.

162) فضلاء مُحَّد الطاهر ، **دعائم النهضة الوطنية الجزائرية**، ط1، دار البعث، 1984.

163) فيلالي عبد العزيز ، **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط** ، دار الهدى ، عين مليلة ، 2014م .

164) القاسمي عبد المنعم ، **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، دار الخليل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

165) القاسمي عبد المنعم ، **زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862–1962**، دار الخليل القاسمي، الجزائر،2013.

166) القاسمي عبد المنعم الحسني، **أعلام التصوف في الجزائر**، دار الخليل القاسمي، 2007م.

167) قبيسي حسان ، **معجم الأعشاب والنباتات الطبية** ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت 2004 ، ط6. هشام

168) قداش محفوظ وصاري جيلالي ، **الجزائر صمود ومقاومات، 1830–1962**، تر: أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.

169) قريش روزالين ليلى ، **القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

170) القشاعي موساوي فلة ، **الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل العهد الفرنسي 1518–1871**، منشورات بن سنان، الجزائر، 2013.

171) قنان جمال ، **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الإستعمار** ، منشورات وزارة المجاهدين ، الجزائر 2009، ص 113_114.

172) قنان جمال ، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، الرويبة، 1994.

173) قنان جمال ، **نصوص سياسية جزائرية في القرن 19 عشر (1830–1914)**، ط5، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2016.

174) قوبع عبد القادر ، **الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920 و 1954**، دار طليطلة، الجزائر، 2013.

175) كبريت علي ، **موسوعة التراث الشعبي لتيارت وتيسمسيلت**، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

176) كديدة مُحَّد مبارك ، **الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل الجدية وطاولة المفاوضات النهائية**، دار المعرفة، الجزائر، 2013.

177) لبتر لزهاري ، **العودة إلى الاغواط ألف سنة بعد بني هلال** ،دار الفارابي، الجزائر، 2002.

178) لبتر مداني ، **الأغواط صفحات من التاريخ والحضارة**، دار هومة، الجزائر، 2006.

179) لبقع أحمد ، **وادي مرة بطولات وأمجاد وميراث أجداد**، مطبعة رويغي، الأغواط، 2019.

180) لقبال موسى ، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس للهجرة** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1979.

181) لكحل الشيخ ، **مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين (1851–1908)**، دار صبحي للطباعة والنشر والتويع، غرداية، الجزائر، 2019.

182) اللولب حبيب حسن ، **الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية**، وزارة الثقافة ، الجزائر، 2013.

183) لونيسي رابح وآخرون، **تاريخ الجزائر المعاصر 1930–1989**، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ج1.

184) مجاهد ناصر ، **سبل العبور إلى جبال العمور**، المطبعة العربية، غرداية، 1993.

185) محرز أمين ، **الجزائر في عهد الأغوات 1659–1671**، البصائر الجدية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

186) مُحَمَّد كمال المغربي ريحاب ، **التجارة في عصر بني حماد (1017 – 408/ 1152 م – 547 هـ)**، كلية الآداب ، جامعة دمياط ، مصر ، 2015.

187) المدني أحمد توفيق ، **مُحَمَّد عثمان باشا دار الجزائر 1766–1791 سيرته حروبه أعماله نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

188) مديرية الثقافة، **بطاقة تقنية لتسجيل مشروع– تصنيف قصر الأغواط**، مديرية الثقافة، ولاية الأغواط.

189) مرتاض عبد المالك ، **أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830–1962**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2003.

190) المرزوقي مُحَمَّد ، **الأدب الشعبي**، الدار التونسية للنشر، تونس، ط5، 1967.

191) مركز دراسات الوحدة العربية، **المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية**، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 7992 .

192) مرمول مُحَمَّد الصالح، **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي**، د.د.ن، الجزائر، 1983.

193) مريوش أحمد ، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

194) مزهودي مسعود، **الإباضية في المغرب الأوسط**، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 1996.

195) مسعودي مُحَّد ، **الحاج عمر مسعودي العالم**، مطبعة بن سالم، الأغواط، 2009.

196) مصمودي فوزي ، **أعلام من بسكرة**، ج1 ، بسكرة، الجزائر، الجمعية الخلدونية، 2001.

197) مطلق عمار بن الحاج سعد، **ديوان الشاعر أحمد بن الحرمة البرياني 1835_1924**، دت.

198) مفتاح عبد الباقي ، **أضواء على الشيخ الجيلاني وانتشار طريقته**، موفم للنشر، الجزائر، 2015.

199) مفتاح عبد الباقي ، **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، 2009.

200) مناصرية يوسف ، **مهمة ليـــون روش في الجزائر و المغرب (1822–1847)**، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990.

201) مؤنس حسين، **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهراء للإعلام العربي، مصر ،1987.

202) مؤنس حسين ، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الأوربي**، ، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1992 م.

203) مياسي إبراهيم ، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837–1934**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

204) مياسي إبراهيم ، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.

205) مياسي إبراهيم، **مقاربات في تاريخ الجزائر1830–1962**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

206) الميلي مبارك، **تاريخ الجزائر القديم والحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت.

207) النجار حامد ، **الطرق الصوفية في مصر**، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت.

208) نجاعي سليم ، **الأغواط**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2011.

209) نظارة الشؤون الدينية، **الأغواط تاريخيا وثقافيا**، مديرية الشؤون الدينية والأوقاف، الأغواط، د ت.

210) النعيمي سعداوي، **حسابات الأيام والشهور والمواسم في التراث الشعبي الجزائري التقويم الفلاحي وعلاقته بالنجوم –منازل القمر –يناير –ليلة العام**، موفم للنشر، الجزائر، 2015، ص171.

211) النفاتي عادل، **المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب حفريات في أدب الرحلة القرن 16**، دار إفريقيا للشرق، الدار البيضاء، المغرب.

212) نوار سامي مُحَمَّد ، **الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللغوية**، دار الوفاء، مصر، 2002.

213) النوري حمو مُحَمَّد عيسى، **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، دار مساحات المعرفة، الجزائر، 2015.

214) نوش أندري وآخرون، **الجزائر بين الماضي ووالحاضر**، تر: رابح اسطمبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

215) نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت ، لبنان، ط2، 1980 م.

216) هرماس أبو مُحَمَّد سعيد، **طبقات المالكية خلال المائة سنة الهجرية الأخيرة**، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية، الجزائر، 2013.

217) هلال عمار، **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الاسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (14/3 الهجريين)** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2010.

218) هلايلي حنيفي، **أوراق** في **تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.

219) الهواري عدي ، **الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830–1960**، تر: جوزيف عبد الله، دار الحداثة، لبنان، 1983.

220) ورنيقي الشايب، **ديوان شعر علي بن شهرة جمع وتحقيق**، مطبعة رويغي، الأغواط، الجزائر، 2007.

221) وشن مزيان ، **مجانة عاصمة إمارة المقرانيين**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

222) وعلي مُحَّد الطاهر ، **التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904 دراسة تاريخية تحليلية** ،منشورات دحلب ،الجزائر ، 1997.

223) ولد أيده أحمد مولود ، **الصحراء الكبرى مدن وقصور**، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

224) يونس عبد الحميد ، **الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي**، دار المعرفة، ط2، 1968.

225) المنظمة الولائية للمجاهدين، **سجل أعضاء جبهة التحرير الوطني و المنظمة المدنيّة لجبهة التحرير الوطني**، مديرية المجاهدين، الأغواط، ماي 2008.

2– الكتب الفرنسية:

1) Aumassip Ginette , **Trésors de l'Atlas**, Alger, Entreprise nationale du livre,1986.

2) Chettih Mohammed , **La bataille de Laghouat legéncide décembre 1852** , imprimerie bensalem, laghouat ,2009 .

3) Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat dignité fierté pour l' éternité**, IMPRIMERIE Rouighi, laghouat, 2014.

4) Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat et ses merveilles A traver les tempes** , Imprimerie Rouighi, Laghouat, Algerie, 2017.

5) Lhote Henri, **Les Gravures rupestres de l'atlas saharien monts des Ouled-Nail et région Djelfa**, parc national du Tassili, 1984.
6) Petit (O) ,**Essai d'histoir social sur la ville de Laghouat** ,collège de Paris ,1976 .

ثالثا: الرسائل والأطروحات والمذكرات الجامعية:

1) بلعجال أحمد ، **الخطاب الإصلاحي عند السعيد الزاهري**، رسالة الماجستير في تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، جامعة منتوري، قسنطينة ، 2005-2006.
2) بن أحمد أحمد ، **ظاهرة الوعدة دراسة أنتروبولوجية** ، رسالة ماجستير ، معهد الثقافة الشعبية جامعة مُحَّد بلقايد ،تلمسان ، 1998.
3) بن الصغير أحمد ، **رسالة نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء –دراسة وتحقيق**، رسالة ماجيستير في تخصص تحقيق المخطوط، جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان، 2011.
4) بن شوك فاطمة الزهراء ، **التداوي بالأعشاب العطرية في الناحية السهبية بتلمسان** ، رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان، 2008.
5) بن عتو بن عون، **الجذور التاريخية لظاهرة التبرك بالأولياء في المجتمع الجزائري**، رسالة ماجيستير في الأنثروبولوجيا، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، إشراف مُحَّد مجاود، 2002.
6) بوخلخال خديجة ، **قصر تاجموت**، رسالة ماجيستير في الآثار الريفية الصحراوية غ م، جامعة الجزائر، 2011.
7) بوقرين عيسى ، **انتفاضة بن الناصر بن شهرة 1851-1875**، رسالة ماجيستير غ م ، جامعة الجزائر، 2010.
8) تلمساني بن يوسف ، **الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر "1782-1900"**، رسالة ماجستير، غ م، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1998.
9) جبار سامية، **فقه العمارة السكنية بقصور منطقة الأغواط عين ماضي وتاويالة أنموذجا**، أطروحة لنيل شهادة الماجيستير تخصص الآثار الريفية الصحراوية، غ م، إشراف: بن بلة خيرة، معهد الآثار، جامعة الجزائر -2-، 2001.

10) حمدي أحمد ، **دراسة أثرية لنقوش صخرية بمنطقة جبل عمور**، رسالة ماجيستير، معهد الآثار ، ، جامعة الجزائر، 2012.

11) خلوفي بغداد، **الحركة العمالية الجزائرية ونشاطها أثناء الثورة التحريرية 1954–1962**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف بن نعيمة عبد المجيد، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة وهران، 2014-2015.

12) دحماني، مُحَمَّد ، **حكايات كرامات الأولياء في منطقة الشلف**، ماجستير في الأدب الشعبي، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2006.

13) دلاسي أمُحَمَّد، **العائلة التقليدية في الوسط الحضري– دراسة ميدانية بمدينة الأغواط** ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، إشراف: بوتنفوشت مصطفى، جامعة الجزائر، 2009/2008.

14) زيزي سهام، **التويزة وأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية دراسة سوسيوأنثروبولوجية**، رسالة ماجيسيتير تخصص أنثروبولوجيا، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، إشراف، سعيدي مُحَمَّد، 2012.

15) ساحد عزيز طارق ، **التعمير البشري في بلاد المغرب في فترة فجر التاريخ نموذج المعالم الجنائزية بمناطق الأوراس**، رسالة دكتوراه في آثار فجر ما قبل التاريخ، جامعة الجزائر، 2009.

16) الشارف حرزالله ، **دور منطقة الأغواط في الثورة الجزائرية 1954– 1962**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الثورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2003-2004.

17) شارف فاطنة ، **الشاعر بن حرزالله بن الجنيدي الأغواطي حياته وآثاره**، رسالة ماجستير في الأدب الشعبي، غير منشورة، جامعة الأغواط، 2006.

18) شلالي ضيف الله ، **دور سكة الحديد الفرنسية في استغلال المناطق الداخلية للجزائر الجلفة أنموذجا 1857–1962** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تخصص المقاومة و الثورة، إشراف: بوعزة بوضرساية، جامعة الجزائر 2، 2012.

19) طرشون نادية ، **الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام 1848-1911**، رسالة ماجيستير، إشراف مُحَّد خير فارس، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1984.

20) طلحة أسامة ، **مقاربة تحليلة لتحولات المساجد القديمة لمدينة الأغواط دراسة حالة المسجد القديم**، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي تخصص تراث معماري، قسم الهندسة المعماري، جامعة عمار ثليجي ، الأغواط، 2018.

21) طلحة بشير ، **البنى التقليدية وعلاقتها بالتقسيم الاجتماعي للمجال الحضري- دراسة حالة مدينة الأغواط**، رسالة ماجيستير غير منشورة، تخصص علم الاجتماع الحضري، إشراف: مُحَّد مخلوف، جامعة الجزائر، 2006/2005.

22) عبد المنعم منال ، **أثر الطريقة الصوفية في الحياة الاجتماعية لأعضائها دراسة أنثروبولوجية في مصر والمغرب**، إشراف: مُحَّد على أبو ريان و فاروق أحمد، جامعة الإسكندرية، 1990م.

23) عثماني بولرباح ، **شعر أحمد بن الحرمة دراسة وصفية تحليلية**، مذكرة ماجيستير في الأدب الشعبي، جامعة الجزائر، 2005.

24) علامة صليحة ، **الأحوال الصحية في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي 1830-1962 عمالة الجزائر نموذجا** ، رسالة دكتورة ، جامعة تلمسان ، 2017 .

25) علي عمار ، **ظاهرة التداوي بلأعشاب والنباتات الطبية بمنطقة عين غرابة** ، رسالة ماجستير ، جامعة تلمسان، 2001.

26) عواريب لخضر ، **جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1927-1955** ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف مريم الصغير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006-2007.

27) عيزل نعيمة ، **الممارسات العلاجية الشعبية في المجتمع الجزائري**، رسالة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، إشراف جويدة عمر، جامعة الجزائر 2، 2015.

28) مجاهد يمينة، **تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف دحو فغرور، جامعة وهران 1، 2018.

29) معازيز عبد القادر ، **الممارسات العلاجية التقليدية بمنطقة البيض** ، رسالة ماجستير 2، جامعة تلمسان 2014 .

30) مكحلي مُحَّد ، **سيدي بلعباس البوزيدي ولي وولاية دراسة تاريخية أنتروبولوجية**، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان 2000.

31) هيزوم الطيب، **مقاربة تحليلية لتحولات المساجد القديمة لمدينة الأغواط– دراسة حالة مسجد التاوتي**، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي، تخصص تراث معمتاري، قسم الهندسة المعمارية، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، 2017.

رابعا: المقالات والملتقيات :

1) أبركان كريم وبلقاسمي، **أسس أولى أبحاث ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا منطقة الجلفة أنموذجا**، مجلة آثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ديسمبر 2016.

2) أبو عودة سليمان ، **الصيدلة عبر العصور** ، مجلة فيصل ع، 44مارس 1981.

3) أبي عمر، **نبذة عن حياة الفقيه سي أحمد عويسي**، أعمال الملتقى الأول لاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الاغواط ، 14-16افريل 1998.

4) أحمر الحاج، **ظاهرة الاتصال بالولي في الجزائر** ، مجلة آفاق فكرية ، مخبر البحوث و دراسات الفكر الاسلامي في الجزائر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، مج 2، ع4 ، 2004.

5) الأمين أحمد ، **مدينة الأغواط الحياة الثقافية خلال فترة الاحتلال**، أعمال الملتقى الأول لاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الاغواط ، 14-16افريل 1998.

6) بديار البشير ، **إحياء ذكرى الفنان الجودي مُحَّد الري مالك، مع الخالدين في مآثرهم**، المركب الثقافي عبد الله بن كريو الأغواط، 5 أكتوبر 1992.

7) بديار البشير ، **أعلام الثقافة بمنطقة الأغواط خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين**، أعمال الملتقى الأول الاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة لأغواط ، 14-16افريل 1998.

8) بديرينة مراد ، **تفعيل السياحة الصحراوية بولاية الأغواط**، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ع14، ماي 2013.

9) برشان مُحَّد ، **الاستعمار والمجتمع القبلي في الصحراء الجزائرية**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع11، ديسمبر2016.

10) برشان مُحَّد ، **التنظيم الإداري الاستعماري في الجنوب الجزائري (1902 – 1960)**، مجلة الخلدونية، مج 9، ع1، 01-06-2016.

11) البزاز سعد توفيق عزيز ، **تطور الحركة العمالية والنقابية في الجزائر بين عامي 1830-1962** ، مجلة التربية والعلم ، جامعة الموصل، ع5، مج19، 2012.

12) بشي إبراهيم العيد ، **دور سكان الجنوب الشرقي في مقاومة الإستعمار الفرنسي** ،مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ع 11، جوان 2013.

13) بكاي رشيد ، **علاقة الطرق الصوفية بالمقاومات الشعبية المسلحة خلال المرحلة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر(1832-1916)**، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الأغواط، ع4، فيفري 2013.

14) البكري حازم ، **العقاقير الشعبية والأدوية العطارية**، مجلة التراث الشعبي ، دار الجاحظ للنشر، العراق، مج 12، ع9-10، 1981.

15) بلهامل مفيدة ، **كتاب رسالة الشرك ومظاهره للأستاذ الشيخ مبارك الميلي دراسة تحليلية دعوية**، الجزائر: مجلة البحوث والدراسات، 2016، ع 22.

16) بن جدو سعيدي ، **مساهمة الطرق الصوفية في إثراء ثقافة المنطقة**، أعمال الملتقى الأول الاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة لأغواط ، 14-16افريل 1998.

17) بن عمر سامية ، **التربية الصوفية وأهدافها**، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الأغواط، ع4، فيفري 2013.

18) بن عمر سامية ، **وظائف المدينة**، الملتقى الوطني : المدينة وإشكاليات العمران الجديد، 20-21 أفريل 2008، جامعة الأغواط.

19) بن قايد عمر، **أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع17، ديسمبر 2012، جامعة غرداية.

20) بوزار حمدان ، الشهيد **مُحَّد بوراس والحركة الوطنية الجزائرية**، الكشافة الاسلامية الجزائرية: دراسات وبحوث الندوة الوطنية الأولى حول تاريخ الكشافة الجزائرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 1999.

21) بوصفصاف عبد الكريم ، **التصوف في الجزائر المدارس والفروع**، الملتقى الدولي الحادي عشر: التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، منشورات جامعة أدرار، المطبعة العربية، 2008 – 2009 م.

22) بوضياف سميرة ، **ملمح تكوين المعلمين والأساتذة في الفترة الاستعمارية** ،مجلة البحوث والدراسات الانسانية ، ع 08، جامعة قسنطينة.

23) بوعزيز يحي ، **وثائق جديدة حول محاربة الأمير عبد القادر للشيخ التجاني** ، المجلة التاريخية المغربية، ع 55-56 ، س 16، تونس 1989.

24) بوكوشة حمزة ، **الأستاذ مبارك الميلي عالم حجة نظار**، الثقافة، ع 88، 1985.

25) بولرباح عثماني ، **الشيخ عبد القادر بن مشتح** ، مجلة رفوف الثقافية ، ع 1، 2016 .

26) بونقاب مختار ، **الطريقة الدرقاوية الحضور و الأثر**، مجلة الحوار المتوسطي، ع11، مارس، 2011.

27) التخي بلقاسم، **الجانب الجمالي والرمزي في عمارة قصور منطقة الأغواط**، مجلة العلوم الاسلامية والحضارة، ع2، ماي 2016.

28) التيجاني مُحَّد العيد ، **رجال الطريقة التجانية رسل محبة وسلام وإحسان، الملتقى الدولي للإخوان التجانيين، 23-24-25 نوفمبر 2006، عين ماضي،** الأغواط، الجزائر.

29) تيكيالين مُحَّد ، **التواجد الروماني في الصحراء بين الاستراتيجية الدفاعية والمصالح الاقتصادية،** مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية ع 15، نوفمبر 2011،.

30) الثعالبي أحمد شغار ، **الشيخ مبارك الميلي وتشخيص أمراض الأمة،** أعمال الملتقى الأول الاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة لأغواط ، 14-16افريل 1998.

31) ثيافة الصديق، **الممارسات الاحتفالية الزيارات لدى مجتمعات القصور بالجنوب الغربي الجزائري،** مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، ع 12، ديسمبر 2017.

32) الجيلالي عبد الرحمن ، **من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلي،** مجلة الثقافة، وزراة الثقافة، الجزائر، مارس 1984، ع 80.

33) حاجيات عبد الحميد ، **السلطان أبو حمو موسى الثاني سياسته وأدبه،** مجلة تاريخ وحضارة المغرب ، جويلية 1970.

34) حاضري يمينة بن اصغير ، **القصور الصحراوية بالجزائر صورة للإبداع الهندسي،** مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، نوفمبر 2011.

35) حلوش عبد القادر ، **حركة التنصير في الجزائر عهد الاحتلال،** الرؤية، العدد الأول، جانفي و فبراير 1996م.

36) حماني أحمد ، **المجاهد الشيخ أبو بكر الأغواطي في ذمَّة الله إن شاء الله،** جريدة الشعب ، 20 جويلية1987م.

37) حمدي أحمد ، **الفن الصخري بمنطقة جبال العمور بالأغواط،** مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مركز البحث في العلوم والحضارة الإسلامية، الأغواط. ع 08، جوان 2018.

38) الخالدي سهيل ، **الدور الجهادي للمهاجرين الجزائريين في حركة التحرر القومي العربي خلال القرن العشرين**، الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830-1962، الأوراسي 30-31 أكتوبر2006.

39) خرفي صالح ، **المهاجر** ، مجلة الثقافة ، ع 3 ، سنة 1981.

40) خليفة عبد القادر، **مدن الصحراء في التحولات من القصور إلى المدن الحديثة**، الملتقى الوطني : المدينة وإشكاليات العمران الجديد، 20-21 أفريل 2008، جامعة الأغواط.

41) خميلي بلقاسم، **كلمة بمناسبة الذكرى 160 لمقاومة الأغواط 04 ديسمبر 1852**، ملتقى الاغواط ذاكرة وتاريخ، جمعية أول نوفمبر 1954 بالأغواط وملحقة متحف المجاهد بالأغواط، 40 ديسمبر2012.

42) دحدي سعود، **ثورة الشريف مُحَّد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية ومواجهة التحديات الاستعمارية الفرنسية 1845-1895**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي، البيض، ع 1، جوان 2010.

43) دراج مُحَّد ، **لمحة عن بايلك التيطري في العهد العثماني**، الملتقى الأول حول تاريخ تابلاط وما جاورها، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، -2-، 2010.

44) دون مؤلف، **حياة شهيد عطاالله بلمتوت أول مجاهد من مدينة الأغواط يلتحق بالثورة**، مجلة شعاع نوفمبر، العدد 11، (د.ت).

45) دين قادة ، **أنماط تواجد الماء في الصحراء الجزائرية وطرق استغلاله من خلال المصادر التاريخية**، مجلة قضايا تاريخية، ع 07، 2017.

46) زاهية المداني ، **نبذة عن حياة الشيخ الحسين زاهية**، أعمال الملتقى الأول الاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة لأغواط ، 14-16افريل 1998.

47) الزبدة مُحَّد ، **وجوه من الذاكرة الشيخ أحمد الشطة**، أعمال الملتقى الأول الاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة لأغواط ، 14-16افريل 1998.

48) الزبيري مُحَّد العربي ، **دور المثقف في توثيق العلاقات المغاربية**، ندوة الذكرى الخمسين لوفاة الشيخ مُحَّد الخضر حسين، موسوعة العمال الكاملة للشيخ مُحَّد الخضر حسين، ج: علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، 2010.

49) زعطوط كلثوم ، **مفهوم المجتمع المدني بين التأصيل النظري ومشكلة المرجعية**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، ع33، مارس 2018.

50) زيد الخير مبروك ، **الشيخ أبو بكر الحاج عيسى ومنهجه التربوي الرشيد الحلقة الثانية**، البصائر ، سل 4، ع 77 .

51) ساحد عزيز طارق ، **الدلالات الرمزية للدفن في المجتمع الجزائري خلال فترة فجر التاريخ**، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، ع6، أفريل2014.

52) سرقمة عاشور، **تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية في الصحراء الكبرى: الصحراء الجزائرية نموذجا**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، نوفمبر 2011، جامعة غرداية.

53) سعيدوني ناصر الدين ، **الإنسان الأوراسي وبيئته الخاصة** ، مجلة الأصالة، وزارة الثقافة، الجزائر، 1978، ع60-61 .

54) سقة منيرة أميرة ، **الحنة النبتة المتعددة الاستعمالات**، مجلة باب الزمان، ع1، جانفي 2016.

55) شافو رضوان ، **أساليب الإدارة الاستعمارية في إخضاع مناطق الجنوب الجزائري**، مجلة عصور الجديدة، ع11-12، 2013-2014.

56) شنيتي مُحَّد البشير، **التوسع الزراعي الروماني وظاهرة البداوة في الجزائر**، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، ع2، 1986.

57) الشيخ برابح ، **نماذج من مقاومات أولاد نايل للتوسع الفرنسي في الهضاب الوسطى 1849–1854**، مجلة قضايا تاريخية، ع9، جوان 2018.

58) شيخ لعرج و دحو فغرور، **انتشار الطريقة التيجانية في بايلك الغرب أواخر القرن 18 وبداية القرن 19 ونشاطاتها المختلفة**، مجلة الحضارة الاسلامية ، ع29، جوان 2016.

59) صاري أحمد، **مبارك الميلي ودوره في الحركة الإصلاحية في الجزائر**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد7، مارس2001.

60) صاري أحمد، **مبارك الميلي ودوره في الحركة الإصلاحية في الجزائر**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد7، مارس2001.

61) طالبي عطاء الله ، **صور من الحياة الثقافية في مدينة الاغواط بين القرنيين 18م20** ، أعمال الملتقى الأول لاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الاغواط ، 14–16افريل 1998.

62) طريف عطاء الله ، **الأغواط موطن السواقي والزوايا**، جريدة الشعب، 2011/09/07.

63) العبيدي علي، **مفهوم البداوة قراءة تاريخية من خلال مقدمة ابن خلدون**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، نوفمبر 2011، جامعة غرداية.

64) عجيلة مُحَّد وبهاز الجيلالي، **تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الصحراوي في الجزائر**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، نوفمبر 2011، جامعة غرداية.

65) العربي إسماعيل، **حكومة الأمير عبد القادر إدارتها ومهامها**، مجلة الثقافة، ع75، س1983.

66) عصفور جابر، **الشفاهية والكتابية**، مجلة العربي، الكويت، ع432 ، نوفمبر 1994 .

67) علي رزيقة، **بعد 12 سنة من وفاته.. عبد الرحمن عزيز حاضر بروائعه**، جريدة الخبر، نشر بتاريخ: 01-03-2013.

68) عليوة علي، **قراءة سيسيولوجية للألعاب الشعبية الترويحية لعبة الخربقة أنموذجا،** الملتقى الوطني المعنون: الرياضة والمجتمع، مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، جامعة مُحَمَّد خيضر، بسكرة، 13-12-2018.

69) عمارة علاوة، **الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، قسنطينة، ع 03، 2008.

70) العماري الطيب، **النخلة في البيئة الصحراوية قيمة اقتصادية ورمزية سوسيوثقافية،** مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، نوفمبر 2011، جامعة غرداية.

71) العماري الطيب، **الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول الديني إلى الدنيوي ومن المقدس إلى السياسي**، مجلة العلوم الانسانية ، العدد15.

72) عواريب لخضر، **بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة من خلال بعض المصادر المحلية ومنها الشهادة التي أملاها على سجانه**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع17، ديسمبر 2014.

73) غرافي مُحَمَّد ميلودي، **شعر ابن كريو بين الغزل والنزعة الصوفية**، مجلة دفاتر، مخبر الشعرية الجزائرية، جامعة مُحَمَّد بوضياف المسيلة، ع2، ، مارس 2016.

74) قصيبة أحمد، **الشيخ مُحَمَّد البشير الإبراهيمي في منفاه بمدينة آفلو** ، مجلة الثقافة ، ع 87، ماي-جوان 1985.

75) قصيبة أحمد بن أبي زيد وحماني أحمد ، **أبو بكر الحاج عيسى الأغواطي**، جريدة النصر ، 28 جوان 1987م.

76) قناطي نجاة بوناب و حياة ، **الهوية العمرانية للمدينة الصحراوية القصر القديم لمدينة الأغواط**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، مارس 2015.

77) قويدري مُحَمَّد ، **الشيخ العلامة مُحَمَّد بن عزوز البرجي** ، ملتقى حول الزوايا الصوفية ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية ، بتاريخ 20-2011/12/22 ، بسكرة .

78) كزواي مُحَّد ، **نبذة عن حياة الشيخ عطاء الله كزواي**، أعمال الملتقى الأول الاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة لأغواط ، 14-16افريل 1998.

79) كوبيبي معاشو جيلاني ، **الصحراء كفضاء للترحال مقاربة سوسيو أنثروبولوجية للبدو الرحل**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، نوفمبر 2011، جامعة غرداية.

80) محمودي نادية، **التحول العمراني وآفاق التوسع لمدينة الأغواط**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، مارس 2015.

81) مريوش أحمد ، **نماذج من الجمعيات الجزائرية ودورها في تعميق الوعي التحرري مابين 1900-1922**، حولية المؤرخ، اتحاد المؤرخين الجزائريين ، الجزائر، ع 3، 4، 2005.

82) مصلحة البحوث والتوثيق، **دور الكشافة الاسلامية الجزائرية في الحركة الوطنية والثورة التحريرية**، الكشافة الاسلامية الجزائرية: دراسات وبحوث الندوة الوطنية الأولى حول تاريخ الكشافة الجزائرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 1999.

83) المعموري مُحَّد عبد الله و محيميد أحمد جاسم ، **قبيلة زناتة و أثرها في حركة الخوارج في المغرب العربي**، مجلة كلية التربية الأساسية لعلوم التربوية و الإنسانية ، جامعة بابل ، ع23، أكتوبر 2015.

84) ميسوم بلقاسم ، **مبارك الميلي رجل الإصلاح ومؤرخ الجزائر**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، قسنطينة، 2007.

85) نورين عبد القادر، **اكتشاف آثار تؤرخ لوصول الرومان إلى الأغواط**، جريدة الخبر اليومي ، 2009/06/16.

86) هرباش زاجية، **الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين الفرنسيين دوماس أنموذجا**، مجلة عصور الجديدة، ع 6، 2012.

87) هلال عمار ، **الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق (1898-1918)**، الثقافة، ع84، نوفمبر- ديسمبر 1984.

88) هلال عمار ، **النوادي الثقافية التي كانت تنشط قبيل الحرب العالمية الثانية**، المصادر، ع7، 2007.

89) دار الثقافة عبد الله بن كريو، **الأغواط ثقافة وحضارة**، محافظة المهرجان الثقافي المحلي للفنون والثقافات الشعبية لولاية الأغواط، وزارة الثقافة.

خامسا: المواقع الالكترونية:

1) أحمد بن الصغير، **الشيخ سي أحمد بن الجنيدي**، http://amal2007.e-monsite.com/pages/-.html، 01-05-2017، 12:00.

2) أنيس العرقوبي، **الأندية الجزائرية والمستعمر.. لكرة القدم أبطالها وشهداؤها**، مقال بموقع نون بوست: http://www.noonpost.com/content/34901، نشر بتاريخ: 10/12/2019 ، تم الاطلاع 15-02-2020.

3) ترجمة الولي الصالح الشيخ عبد الرحمن النعاس، منتدى برج بن عزوز، https://albordj.blogspot.com/2011/02/blog-post_14.html ،

4) جريدة النصر، **الدكتور أحمد صاري يسترجع سيرته في حوار للنصر**، https://www.annasronline.com/index.php/2014-08-09-10-34-08/2014-08-25-12-21-09/75507-2017-07-10-22-54-50، نشر يوم: 10 جوان 2017، تم الاطلاع يوم: 20-10-2018.

5) سعدي بزيان، **الدكتور علي مراد "1930-2017" سيرة ومسيرة أكثر من نصف قرن من العطاء –وخدمة اللغة العربية– والثقافة الإسلامية**، نشر في 02-01-2018، موقع جريدة البصائر: http://elbassair.org/1822/ تم الاطلاع: 20-10-2018.

6) الصالح بن سالم، **ملف الأعراش بمدينة عين تاغروت**، مقال على شبكة الفايسبوك، https://www.facebook.com/groups/889942911122829/permalink/1634659239984522/، نشر : 2018/05/18.

7) العربي الجديد، **تاريخ الكرة الجزائرية الحلقة الأولى: أندية رياضية بأهداف سياسية** ، https://www.alaraby.co.uk/sport/2014/6/2/، نشر بتاريخ: 2يونيو 2014، تم الاطلاع: 15-02-2020.

8) مُحَّد الهادي الحسني، **علي مراد**، نشر على موقع جمعية العلماء: https://www.oulamadz.org/2017/07/13/، يوم: 13-07-2017، تم الاطلاع: 20-10-2018.

9) معهد الهقار، **مسار مراد دهينة لمحة تاريخية عن مستقبل الجزائر**، تر: رشيد زياني شريف، نشر 2012/01/31، تم الإطلاع: 22-03-2018.

10) مولود عويمر، **علي مراد باحث بين ضفتين**، نشر على موقع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين : https://www.oulamadz.org/2015/11/26/ يوم: 26-11-2015، تم الإطلاع: 20-10-2018.

11) نايلي رمضان، **عندليب الأغنية البدوية البسكري رحاب الطاهر**، مجلة أصوات الشمال، http://www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98&a=41235، نشر بتاريخ: 14-04-2014، تم الاطلاع: 15-07-2018.

12) نقلا عن حفيد المترجم له الشيخ الحاج عزوزي تارزي بتصرف، منتدى زاوية الفلاح على النت : http://alfalah.mam9.com/t69-topic ، 03-10-2016، 13:30. أنظر أيضا مدونة برج بن عزوز على النت: https://albordj.blogspot.com/2010/12/blog-post_25.html، 05-06-2018، 22:00.

13) Bachir Rouighi, **Un « Chef de tribu » Parlementaire**, blog : Mémoire, Documentation et Archives de Laghouat,

Publié le 31 Juillet 2017, http://rouighibachir.over-blog.com /2017/07/un-chef-de-tribu-parlementaire.html. 21-10-2118.

14) El Khaounia Kheira, **Enregistrement sonore Medhat Sidi Elhadj Aissa** : **Laghouati ; Medhat Sidi Moulay Taieb**, https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k1310130n/f2. media, 12-01-2020.

15) http://www.m-culture.gov.dz/mc2/ar/mariage.php. 20:19 2018/01/10

16)https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D8%B9، آخر إطلاع : 2020/02/28، الساعة 12:00.

17)https://www.ouarsenis.com ، تاريخ الولوج: 29/04/2019 ، على الساعة: 17 :08.

سادسا: الحصص الإذاعية:

1) طاهر ديدي، **حصة زارتنا بركة** ، يستضيف الأستاذ علي عبدالعزيز ، إذاعة الجزائر من الأغواط، الجزائر، 19-04-2016.

2) مولاي حسان قطشة، **حصة رياضة وترفيه** ، إذاعة الجزائر من الأغواط ، الجزائر، 2017.

الفهرس

فهرس المحتويات:

إهداء
02 شكر
03 قائمة المختصرات
04 مقدمة
06 الفصل التمهيدي: لمحة جغرافية و تاريخية حول منطقة الأغواط قبل الاحتلال الفرنسي
21 المبحث الأول: جغرافية منطقة الأغواط:
22 أولا: الجغرافيا الطبيعية للمنطقة:
22 1/ الموقع:
22 2/المناخ:
25 3/ التربة والغطاء النباتي:
26 ثانيا: القصور المشكلة لمنطقة الأغواط:
28 1/ الأغواط :
29 2/ بين ماضي :
34 3/ تاجموت:
35 4/ الحويطة:
37 5/ العسافية:
37 6/ قصر الحيران:
38 قصر الحنق:
39 قصر تاجرونة:
39 المبحث الثاني: النشاط البشري في منطقة الأغواط في العصور القديمة (قبل الفتح الإسلامي):
40 أولا: النقوش الصخرية:
40 1/ أهم محطات الفن الصخري:
41 2/ دلالات وجود النقوش الصخرية بالمنطقة:
43 ثانيا: المعالم الجنائزية والقبور الأثرية
44 ثالثا: القصور البيزنطية:
46 رابعا: آثار الوجود الروماني:
47 المبحث الثالث : منطقة الأغواط في الفترة الوسيطة: المجال الزناتي (البيزري) والهجرة الهلالية (العربية):
50 أولا: منطقة الأغواط مع بداية الفتح الإسلامي (المجال الزناتي) :
50 ثانيا: المنطقة بين الفتح الإسلامي وقيام الدولة الفاطمي:
53 ثالثا: أوضاع المنطقة في ظل الصراع الزناتي الفاطمي:
59 رابعا: الخلدونيون:
61 خامسا: الهجرة الهلالية:
62 المبحث الرابع: منطقة الأغواط في الفترة الحديثة:
69 أولا: نشأة القصور :
69 ثانيا: هجرات البدو وتوطنهم:
78

1/ التعريف بقبيلة الأرباع 79
2/الصف الشرقي والصف الغربي أو الأرباع الشرقاوة والأرباع الغرابة : 85
ثانيا: تحولات الأحلاف السياسية: 88
1/ العلاقة مع السلطة العثمانية: 88
2/ التحولات العلوية المغربية: 97
3/ وضع الأغواطيين في دار السلطان: 99
الفصل الأول: منطقة الأغواط بين المقاومة والاحتلال 1830-1853 103
المبحث الأول أثر الاحتلال الفرنسي للجزائر على منطقة الأغواط واهتمام الأمير عبد القادر بالمنطقة ومعارضته: 104
أولا: أثر احتلال الجزائر على الأغواط وحملة الحاج موسى بن حسن: 104
ثانيا: نفوذ الأمير عبد القادر ومعارضته في المنطقة: 108
ثالثا: نتائج الصراع بين الأمير والتيجاني: 125
رابعا: محاولات الأمير عبد القادر الأخيرة لضم المنطقة: 131
المبحث الثاني: منطقة الأغواط بين الاحتلال والمقاومة 1844-1853: 135
أولا: الاهتمام الفرنسي بمنطقة الأغواط وأسبابه: 135
ثانيا: حملة ماري مونج 1844 أسبابها ونتائجها: 140
ثالثا: الاضطرابات في المنطقة بعد حملة ماري مونج: 147
رابعا: ظهور محمد بن عبد الله والخليفة بن ناصر بن شهرة: 150
خامسا: عزل الخليفة أحمد بن سالم وتعيينه: 155
المبحث الثالث: سقوط مدينة الأغواط 1852 ونتائجه: 156
أولا: استيلاء المقاومة على الأغواط وردة الفعل الاستعمارية (الزحف والحصار): 156
ثانيا: اقتحام المدينة يوم 04 ديسمبر 1852 ومقاومتها العنيفة: 163
ثالثا: أعداد الحامية الفرنسية في المدينة: 173
رابعا: محاولة استرجاع المدينة: 176
الفصل الثاني: التأثيرات الاستعمارية على أوضاع منطقة الأغواط: 180
المبحث الأول: الوضعية الإدارية للأغواط بعد الاحتلال: 180
أولا: الأغواط في الاستراتيجية الفرنسية بعد الاحتلال: 180
ثانيا: التنظيم الإداري الخاص بمنطقة الأغواط بعد احتلالها: 183
ثالثا: التنظيم الخاص بقبائل الأرباع: 188
رابعا: خلفاء وباشآغوات وقياد ومواقف متباينة : 192
المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية وأثر السياسات الاقتصادية الاستعمارية على المنطقة: 198
أولا: الفلاحة: 198
ثانيا: الصناعة: 211
ثالثا: التجارة: 215
رابعا : الجباية الاستعمارية 218
المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية في منطقة الأغواط في ظل الاحتلال: 224
أولا: مجتمع الأغواط (بدو وحضر، أو قصورية ورحالة) 225

ثانيا: صورة المجتمع من وجهة نظر استعمارية: 232
ثالثا: عادات المجتمع الأغواطي: 235
رابعا: الوضع الصحي: 247
المبحث الرابع: السياسة الثقافية الفرنسية في الأغواط: 249
أولا: سياسة التحطيم الاستعماري: 249
ثانيا: السياسة التعليمية الفرنسية في الأغواط 252
ثالثا: سياسة التبشير 257

الفصل الثالث: الثقافة الشعبية ومؤسسات التعليم التقليدية 264
المبحث الأول: القصص والحكايات والأساطير: 265
أولا: مفاهيم ومصطلحات: 265
ثانيا: مصادر وطرق تلقي التراث الشعبي: 268
ثالثا: مواضيع القصص الشعبي في الأغواط: 270
رابعا: وظائف القصص الشعبي: 273
خامسا: نماذج عن قصص وأساطير من الأغواط: 267
المبحث الثاني: الشعر (الشعبي) الملحون: 280
أولا: تعريفات ومفاهيم: 280
ثانيا: الشعر الملحون في الجزائر: 281
ثالثا: نماذج عن شعراء الملحون في منطقة الأغواط وأغراضهم الشعرية: 285
المبحث الثالث: الطب الشعبي: 301
أولا: مفاهيم ومصطلحات: 301
ثانيا: أنواع المعالجات الشعبية في منطقة الأغواط: 303
ثالثا: مصادر تلقين العلاج الشعبي: 312
رابعا: الأسباب التي تؤدي إلى لجوء المرضى إلى الطبابة الشعبية: 313
خامسا: علاجات بعض الأمراض من خلال الثقافة الشعبية في الأغواط: 315
المبحث الرابع: الحساب الفلاحي: 320
أولا أيام الشتاء: 320
ثانيا: الربيع: 323
ثالثا: الصيف: 323
رابعا: فصول مناخية: 324
المبحث الرابع: وسائل التربية التقليدية ، الألعاب الشعبية 325
المبحث الخامس: مؤسسات التعليم التقليدية: 329
أولا : المساجد: 329
ثانيا: الكتاتيب القرآنية: 347
ثالثا: مصادر تمويل المؤسسات التعليمية التقليدية: 350

الفصل الرابع: الطرق الصوفية وأثرها الثقافي في منطقة الأغواط: 354
المبحث الأول: مفاهيم ومصطلحات حول التصوف: 355
أولا: مفاهيم حول التصوف ونشأته: 355
ثانيا: التصوف وعوامل انتشاره في الجزائر: 359
ثالثا: مصطلحات ومفاهيم مرتبطة بالطرق الصوفية: 362
المبحث الثاني: الطريقة القادرية وأثرها الثقافي في منطقة الأغواط: 380
أولا: التعريف بالقادرية: 380
ثانيا: الطريقة القادرية في الجزائر: 382
ثالثا: الطريقة القادرية في الأغواط وأعلامها: 384
المبحث الثالث: الطريقة الرحمانية الخلوتية وفروعها في الأغواط: 387
أولا التعريف بالطريقة الرحمانية الخلوتية: 387
ثانيا: انتشار الرحمانية في الأغواط: 389
المبحث الرابع: الطريقة الشاذلية وفروعها في الأغواط: 400
أولا التعريف بالطريقة الشاذلية: 400
ثانيا: فروع الطريقة في الجزائر: 402
ثالثا: فروع الطريقة الشاذلية في الأغواط وأعلامها: 404
1/ الناصرية: 404
2/ العليوية الوزانية: 406
3/ الدرقاوية وفروعها: 408
أ) الوسلاوية: 409
ب) الحبيبية: 411
4/ الطريقة التونسية: 412
المبحث الخامس: الطريقة التيجانية وأثرها الثقافي في الأغواط: 414
أولا التعريف بالشيخ أحمد التيجاني: 414
ثانيا: ظهور الطريقة التجانية: 420
ثالثا: علماء الشيخ أحمد التيجاني في عين ماضي: 427
رابعا: أعلام الطريقة التيجانية في الأغواط: 440
الفصل الخامس: التعليم الإصلاحي وأثره على منطقة الأغواط 446
المبحث الأول: ظهور الفكر الإصلاحي في الأغواط: 447
أولا: ظروف نشأة الفكر الإصلاحي في الأغواط: 448
ثانيا: نزول العلماء والمثقفين بالأغواط في الربع الأول من القرن العشرين: 449
ثالثا: إنشاء الجمعية الخيرية سنة 1930: 459
المبحث الثاني: الشيخ مبارك الميلي ونشاطه الإصلاحي في الأغواط: 460
أولا التعريف بشخصية مبارك الميلي: 460
ثانيا: قدوم الشيخ مبارك الميلي بالأغواط أسبابه وظروفه: 462

ثالثا: التعليم المسجدي للشيخ مبارك الميلي داخل وخارج الأغواط: 466
رابعا: إنشاء مدرسة الشيبة: 470
خامسا: التأليف: 482
سادسا: خروج الشيخ مبارك الميلي من الأغواط: 486
المبحث الثالث: زيارات العلماء للأغواط والبعثات العلمية إلى خارجها وأثرها في الحركة الثقافية: 490
أولا: زيارات العلماء والمثقفين من خارج الأغواط: 490
ثانيا: البعثات العلمية (جماعية وفردية) إلى خارج الأغواط: 501
المبحث الرابع: مدرسة التربية والتعليم (1948-1958): 519
أولا: بناء المدرسة وتدشينها: 519
ثانيا: النظام الإداري والتعليمي للمدرسة: 521
ثالثا: نظام الامتحان: 525
المبحث الخامس: أعلام الإصلاح والتعليم في الأغواط في النصف الأول من القرن العشرين: 527
أولا: المعلمون والمربون: 527
ثانيا: الناشئون والمناضلون: 546
ثالثا: المشتغلون بالصحافة: 550
الفصل السادس: المجتمع المدني في منطقة الأغواط: الجمعيات والنوادي والفرق الثقافية والفنية والكشفية والرياضية 550
المبحث الأول: مفاهيم ومصطلحات: 556
أولا تعريف المجتمع المدني: 556
ثانيا الجذور التاريخية للمجتمع المدني في الجزائر: 558
المبحث الأول: الجمعيات والنوادي الثقافية ذات الهدف التعليمي: 565
أولا: جمعية الكبيس القادري: 565
ثانيا: الجمعية الخيرية 1920: 566
ثالثا: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 567
رابعا: نادي الأدب: 567
رابعا: الجمعية الخيرية 1945: 570
المبحث الثاني: الفرق والنوادي والجمعيات الفنية: 573
أولا: فرق المدائح الدينية: 573
ثانيا: نادي القصرة: 576
ثالثا: فرقة الزيارة: 578
رابعا: الفرقة الحماسية: 589
خامسا: فرقة لجمة صحراوية: 590
سادسا: الغناء الفردي: 591
سابعا المسرح: 592
ثامنا النشاط الفني لفوج الكشافة "الرجاء": 593
المبحث الثالث: الحركة الكشفية بالأغواط: 594
أولا: ظهور الحركة الكشفية بالأغواط: 594

ثانيا: نبذة عن بعض المؤسسين والمنخرطين الأوائل في الحركة الكشفية بمدينة الأغواط: 600
ثالثا: نشاطات الحركة الكشفية بمدينة الأغواط: 607
رابعا: التنافس بين الكشافة الفرنسية والكشافة الجزائرية في الأغواط: 615
خامسا: وضعية الفوج بعد اندلاع الثورة التحريرية: 618
المبحث الرابع: الحركة الرياضية في الأغواط: 620
أولا: الرياضات الفردية: 621
1/ الملاكمة: 621
2/ رياضة سباق الدراجات: 622
3/ رياضة المسايفة: 623
4/ رياضة الجمباز: 623
5/ رياضة العدو: 624
ثانيا: الرياضات الجماعية: 624
1/ الجمعية الرياضية الصحراوية: 625
2/ كرة السلة: 625
3/ كرة الطائرة: 626
4/ كرة اليد: 626
5/ كرة القدم: 627
خاتمة: 634
الملاحق: 642
ببليوغرافيا: 694
الفهرس: 743